المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء الاول	تونس في رجب عام ١٣٥٥ وفي سبتمبر عام ١٩٣٦	المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٠٧-٣٧

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان



الحمد لله الذي رفع شان العلم . وشيد اركانه . وعظم اثره في النفوس واعلى بنيانه . وخصص اهله والمنتسبين اليه باكرم مزية . وجعلهم خلفاء الانبياء على اختلاف العصور بين البرية . فكانوا متحملين لاوفر قسط من اداء الامانة العظمى . التي عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان جهلا وظلما . وبقدر ارتفاع الشان تكثر التكاليف ويقوى المعاند . واذا عظم المطلوب قل المساعد .

والصلاة والسلام على من انبعثت بظهوره الانوار . وزال الشك وهتكت عن الباطل الاستار . سيدنا ومولانا محمد نبراس الهداية والارشاد . والقاطع لدابر الشرك والضلال والفساد . المختص باعظم المزايا والمفاخر . الذي خلق الله نوره قبل سائر الكائنات حسبما يشير اليه حديث : اول ما خلق الله نور نبيك يا جابر . صلى الله عليه وعلى ءاله واصحابه الذين قامت على سواعدهم قواعد الايمان . ونصروه في السر والاعلان . وفدوه بالآباء والبنين . وتلقوا راية الاسلام باليمين . فصدقوا ما عاهدوا الله عليه . واعتمدوا على ما لديه . رضى الله عنهم اجمعين . وعن كل من سار على منوالهم الى يوم الدين .

اما بعد . فان الله تعلى لما من على بعض الناس بمزية العلم . واعلى شانهم بانتسابهم اليه اوجب عليهم مقابلة ذلك ان ينفقوا مما ءاتاهم الله بث العلوم والمعارف بين الناس بقدر الاستطاعة . اذ العلم قدر مشاع بين الناس فاذا اوتيه احد فلا يجدر به ان يضن به عن غيره . ولا سيما علم الدين . الذي فرضه الله على كل احد . اذ به قوام الاعمال كلها . سواء اعمال الانسان الخاصة او اعماله الجارية بينه وبين عموم الناس . وملاك ذلك كله الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين قال الله تعلى عنهما : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون »

ونحن اذا تاملنا حالة المسلمين في هذا العصر . من كل قطر ومصر . وجدناهم قد نبذوا تعاليم الاسلام ظهريا . وتجافوا عنه كبرا وعتيا . فسوق المفاسد والضلالات في رواج . وظلام الشرك يوشك ان لا يكون له انبلاج . فكان لزاما على علماء الدين في جميع النواحي ان يشمروا عن ساعد الجد . وينفقوا كل ما لديهم من مال وجاه وكد . ويرفعوا اصواتهم بارشاد الناس ، من جميع الاجناس . حتى

يملا صوتهم الفضاء . ويصل الى عنان السماء . فينفذ الى قلوب اعمتها الضلالة . واتت عليها الجهالـة . وبذلك يـتميز السبيل القصد عن الجائرات من السبل وما تكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ويصرع الباطل وان شاع . ويظهر الحق وتعلو كلمة الله في جميع البقاع .

هذا وان طرق الارشاد كثيرة . واسبابها متنوعة وفيرة . فتكون بالقاء الدروس العلمية . وبالخطب الجمعية . ومن اهم تلك الطرق واكثرها فائدة واوسعها انـتشارا ان تكون على طريق المجلات . فهي وسيلة سهلة يطالعها العموم في جميع الاوقات . ويستفيدون منها الفوائد الجمة من غير حرج ولا اعنات . وقد كثرت في زماننا هذا المجلات واختلت انواعها وتعددت مشاريعها . واستفاد الفكر منها خيرا كثيرا . وعلما غزيرا . وكونت من العامة نخبة صالحة للتفكير . قادرة على التعبير والتحرير .

وكان مفروضا على جامع الزيتونة وهو منبع الاسلام في هذا القطر والكلية الوحيدة التي تدرس فيها علوم الشريعة وعلوم العربية بجميع ما يتعلق بهما من الاصول والفروع . ان يضرب بسهم في هذا المضمار . وكان اهله يشعرون بهذا الامر الاكيد فكانت امنيتهم الوحيدة ان يصدروا مجلة علمية دينية . تكون ترجمانا صادقا عن افكارهم . ومجالا فسيحا لعرض آرائهم وانظارهم . وتكون واسطة للتفاهم بينهم وبين علماء الكليات العلمية في جميع الاقطار . اذ الحقيقة نتيجة البحث واحتكاك الانظار .

لاسيما وبلادنا التونسية وان تعددت فيها النشريات . من جرائد ومجلات . فليس بها مجلة بهذا العنوان . تتحلى بزينة العلم ويكون شعارها احياء ما اندثر من قواعد الايمان .

كانت هذه امنية الزيتونيين . وكان يحول دون اتمامها عدة اسباب ويتكاثف في سمائها ضباب واي ضباب . حتى اراد الله ابرازها فذللت الصعاب . ولانت الرقاب . وزالت من طريقها العقبات . وقطعت الآفات . ولكل شيء من الاشياء ميقات .

فصدر الاذن بها في يوم الخميس الخامس من ربيع الثاني من هذا العام . فسميناها (المجلة الزيتونية) نسبة للكلية الزيتونية التي صدرت منها . ومن ذلك الوقت شرعنا في تهيئة ما يجب لها من الاعمال وفي اعداد البرنامج الذي ستسير عليه . والخطة التي ستسلكها وها نحن نعرض برنامج المجلة على عموم القراء

سيكون في المجلة باب بعنوان (القرءان الكريم) يشتمل على مباحث تتعلق بالقرءان من مختلف النواحي . وسننشر فيه تباعا دروس التفسير التي القاها بجامع الزيتونة العالم الجليل الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي بتونس ادام الله بقاءه . وابد عزه وارتقاءه .

ورأينا من التعميم في الفائدة وهو المقصد الاهم للقائمين على تاسيس هذه المجلة ان ننشر تفسير الحزب الاخير من القرءان نظرا لكونه كثير التداول بين الناس ويتلونه في جميع الصلوات وغالبهم لا

يفهم ما اشتملت عليه تلك السور من المعاني والاسرار . ولطيف الاشارات . مما لا يتم الخشوع بدونه . ولا يقع التدبر مع الجهل به . وقد تكلف بهذه المهمة رئيس التحرير :

وسيكون في المجلة باب بعنوان (الحديث الشريف) يبحث فيه عن مسائل من علم المصطلح . وتشرح فيه احاديث تدعو الحاجة الى شرحها

وسننشر فيه الاختام النفيسة التي يلقيها المشايخ في شهر رمضان من كل عام طبق العادة المتعارفة بتونس . وهي اختام جامعة بين التحقيق والعلم . وسيكون من ضمنها اختام كان القاها بعض اعيان العلماء بتونس واهملتها يد النسيان . مع انها جديرة بان تشهر . ويعبق عبرها وينشر .

وسيكون في المجلة باب بعنوان (التشريع الاسلامي) يبحث فيه عن مقاصد الشريعة واسرارها . وعن حكمة الشارع سبحانه وتعلى فيما فرضه على عباده من التكاليف وما سنه لهم من التراتيب والنظم .

وقد التزم بالتحرير في هذا الباب العالم المحقق النظار الذي لا يشق له غبار الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المفتي المالكي ادام الله اجلاله ومنحه لطفه ونواله .

وسيكون في المجلة باب بعنوان (الفتاوى والاحكام) ننشر فيه جواب الاسئلة التي ترد على المجلة من مختلف الاشخاص اذ لكل مسلم حق فيها والمجلة تتقبل بصدر رحب سؤال كل سائل وتجيبه بما يجب من العناية والتحقيق ولان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم .

كما ننشر فيه بعض الفتاوى التي صدرت من المشائخ في القديم والحديث التي تضمنت تحريرات لمسائل فقهية كانت تلك الفتاوى حلا لمعقدها وكشفا لما غمض منها .

وننشر في هذا الباب ايضا بعض احكام شرعية صدرت من المشائخ القضاة بتونس او من المجلس الشرعي الاعلى بالحاضرة من قسميه الحنفي والمالكي حيث كانت تلك الاحكام مشتملة على نظريات فقهية وتحقيقات علمية . وتصلح ان تكون نصوصا فيما صدرت فيه فيستفيد منها اهل العلم وتكون هدايا لهم فيما يستقبل من الزمان .

وهذا الباب سيكون محررا بقلم جميع مشائخ المجلس الشرعي بتونس الذين لا يتاخرون عن ارشاد ولا يتهاونون بما فيه نفع العباد والبلاد ادام الله ارشادهم .

وسيكون في المجلة باب بعنوان (الوعظ والارشاد) وهو من اعظم ابواب المجلة حيث سيكون مجالا فسيحا لارشاد الناس وتنبيههم الى مواقع الخطا فيما هم سائرون عليه حتى يقلعوا عنه ويرجعوا الى هدي الاسلام .

وسيكون في المجلة باب بعنوان (التاريخ) ننشر فيه اهم المباحث التاريخية وبالاخص ما كان منها متعلقا او مرتبطا بتونس . من ناحية المعالم او الوقائع او الاشخاص . حيث ان التاريخ التونسي مجهول عند الكثير من الناس سواء بداخل تونس او بخارجها مع انه تاريخ حافل بالمهمات . وجدير بان يعتنى به ويدرس . ويقدم للقراء بصورة محررة تطلعهم على مجد هذه البلاد . وما كانت فيه من حظوة واسعاد .

ويشارك في هذا الباب زيادة عن اعضاء المجلس حضرة العالم الفاضل الذي تقلب في مناصب الدولة فزانها بعلمه وفضله . وظهرت فيها آثار حلمه ونبله السيد محمد بن الخوجة المستشار لدى الحكومة التونسية ادام الله اسعاده .

وسيكون في المجلة باب بعنوان (الادب) ننشر فيه مختارات من الشعر التونسي في القديم والحديث . ومن غيره مما هو جدير بالنشر .

كما ننشر في هذا الباب مباحث تحليلية نقدية في الادب .

وسيكون في المجلة باب بعنوان (الاخلاق) ننشر فيه فصولا في بيان مكارم الاخلاق وبيان فضائلها وما يتعلق بها .

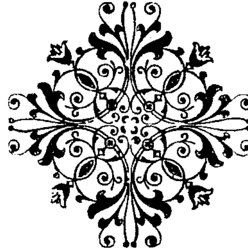
ورغبة منا في افساح المجال للشبان من المتعلمين حتى يجدوا مجالا لنشر افكارهم وبث معارفهم خصصنا صفحة بعنوان (صفحة الشباب) هذا كله زيادة عما ستضمه من الابواب التي تدعو اليها الحاجة . كباب الجرائد والمجلات . وباب الحركة العلمية والادبية في تونس وفي الشرق . وباب تقريض الكتب . وباب الصحة وباب المخترعات الحديثة .

هذا برنامج المجلة باختصار عرضناه على الانظار .

وسيكون شعار المجلة في جميع اعمالها وفي مختلف اطوارها . الاصلاح الديني . ومقاومة كل حركة ترمي الى الالحاد او الى التعصب الديني او المذهبي . ومقاومة البدع بجميع انواعها ما استطاعت الى ذلك سبيلا . وبث العلوم والمعارف بين الناس باقرب الوسائل واسهل الطرق وتدخل في المناقشات العلمية مع التزام الاداب في المناقشة والاخذ بالرفق واللين وتحاشي ما وقع فيه كثير من اهل العلم من تنكب جادة الصواب . والخروج في المناقشة العلمية عن دائرة الاداب . بما صيرهم سخرية عند العامة فضلا عن العلماء . ومضغة في افواه الحمقا فضلا عن العقلاء . لذلك لا تنشر المجلة من الابحاث والمناقشات الا ما كان داخلا تحت هذا الشرط . اذ اهل العلم يجب ان تظهر فيهم مكارم الاخلاق باجلى مظاهرها . واكمل صورها . والا فهم غير صالحين لان يقتدي بهم احد . وما يصلح الملح اذا الملح فسد

ونبتهل اليه جل جلاله ان يديم لهذا القطر سراجه الوهاج . وعمدته الذي لا يخشى مع وجوده ضلال في الدين او اعوجاج . امير المؤمنين . وحامي حمى الملة والدين . وواسطـة الصيد الغطارفة من ءال حسين . الذي زين بالبر والتقوى واخلص لله في السر والنجوى . المحفوف باسرار السبع المثاني . سيدنا احمد باشا باي الثاني . صاحب المملكة التونسية . صانها الله بوجوده من كل مصيبة وبلية . وايده بآل بيته الكرام. ووزرائه الفخام . خصوصا وزيره الاكبر . الذي لا تجحد اياديه على اهل العلم ولا تنكر . وعلى الله الاعتماد والاتكال . والتوفيق في الاقوال والاعمال . وهو المرجو ان يحقق بفضله ما بدانا فيه من عمل . نرجو ان يكون الصلاح شعاره . وتقوى الله عمدته ودثاره

محمد المختار بن محمود



خطاب صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الاعظم وفروعه سيدي صالح المالقي ابقاه الله للوفد الذي ام فضيلته المتركب من صاحب المجلة ومديرها ورئيش تحريرها وعرض عليه مشروع انشاء مجلة علمية عنوانها (المجلة الزيتونية) للاستنارة بارائه الصائبة واخذ نصائحه في ذلك لما يجمعهم بفضيلته من الرابطة العلمية وما ينتسبون به اليه من الصلـة الابويـة . فلقيهم بكامل الحفاوة وجميل الملاطفة حسب المالوف من اخلاقه الزكية واظهر لهم كمال ارتياحه لهذا المشروع كما يتجلى ذلك في نص خطابه القيم الذي فاه به جنابه امام زائريه ونحن نثبته في صدر المجلة لما تضمنه من الاغراض السامية والى القراء نصه

***

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

اني لمبتهج جدا لما توفقت له اليوم نخبة من ذوي المدارك الراقية ، ذات المرامي السامية ، من اعيان مدرسي الجامع الاعظم التي تمثلونها الان لاعلامنا بمشروعها الجليل الذي تعاقدت عليه رغبتها من انشاء مجلة علمية عنوانها « المجلة الزيتونية » ذات نطاق متسع جـامعة لشوارد المسائل مفعمة بالمواضيع العلمية الراقية على اختلافها يشارك فيها كافة اهل العلم وعلية الكتاب ، واني ارى من واجبي معاضدة كل مشروع علمي ومديد المساعدة له ، وارى مشروعكم هذا مما تتوفر الهمم لمناصرته وساقوم بواجبي نحوه ما استطعت

وجوب ربط الصلة بين علماء الاسلام على طريق المجلات العلمية وما كان عليه السلف في ذلك

اراه مشروعا يربط بين علماء الاسلام ويحكم اواصر التعارف بينهم ومجالا واسعا لتبادل الافكار فيه فيما يخص المسائل العلمية حيث كانت صبغة المجلة علمية محضة مشروعا تنتشر معه الاراء الصحيحة وتتجلى في سمائه شمس المعارف وتتحرر في دائرته مهمات المسائل الجديرة بالبحث فهو كدائرة معارف يطلع منها كل من الكاتبين بها على راي الآخر وان بعدت بينهما الشقة وتناءت بهما البلدان

على اني لا ارى اليوم مبررا لدعوى بعد الشقة ، او حصول المشقة . بعد ما بلغت اليه المواصلات

من السرعة ومزيد الامن فيها والتوصل الى ما يبهر العقول بما اظهره العلم اليوم من المخترعات وما عسى ان يظهره في ذلك مما نعده من علامات النبوة وصدق الرسالة والاخبار بالمغيبات في حديث(١) تقارب الزمان مزيلا لما اختلفت فيه الآراء من طلب تاويله كل بحسب ما بلغ اليه اجتهاده قبل ظهور المخترعات الحديثة

كانت المواصلة العلمية بين العلماء بطريق المواصلة الخصوصية لمن بينهما تعارف او بواسطة التاليف ونشر الكتب بين العموم لتحرير القول في مهمات المسائل ذات النظر والابحاث الدقيقة . فهذا ابو عبد الله محمد ابن مرزوق الحفيد تلقى من عصريه العالم الجليل ابي يحي ابن عقيبة القفصي مراسلة تتضمن ما عن له من اشكالات وتوقفات علمية في مسائل جمة من التفسير والحديث والاصول وغيرها وطلب منه كشف القناع عنها وابداء رايه فيها بما يزيل عنه تلك الاشكالات ويدفع تلك التوقفات فاجابه ابن مرزوق عنها في تاليف اسماه اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصه قال في طالعته ولولا ما اغتنمته في محادثته من انتهاز الفرصة . لكنت في التكلم معه بهذا الكلام كحامل التمر الى قفصه وشهادة ابن مرزوق هاته تدل على ما بلغت اليه قفصة في ذلك العصر من انتشار العلم واشتهاره بها كاشتهارها بنخلها الباسقات ليومنا هذا وناهيك ببلدة اخرجت مثل ابن راشد القفصي واضرابه وكتاب اغتنام الفرصة هذا لم يمثل للطبع لحد الآن ويوجد بمكتبة الجامع الاعظم تحت عدد ٣٢١٩ وفي املي ان اسعى في طبعه رجاء عموم نفعه لما اشتمل عليه من افاضة القول في تحرير المسائل المسؤل عنها والمكانة العلمية لكل من السائل والمسؤل . وهذا ابو عبد الله محمد بن سعيد صاحب حاشية الاشموني وحاشية الخبيصي على التهذيب والديوان المسمى الفلك المشحون المشتمل على مراسلاته وادبياته كانت بينه وبين بعض علماء الاستانة مراسلات علمية ومكاتبات متبادلة وبها توصل الى الحصول على بغبته من جمع مادة من الكتب القيمة من تاليف الاعاجم المفقود غالبها يومئذ من الديار التونسية كانت مرجعا له في تاليف حاشيه الخبيصي المنوه بها واخيرا كان بين العالم الجليل بركة القطر ابي اسحاق الشيخ ابراهيم الرياحي كبير اهل الشورى المالكية قدس الله روحه وبين العلامة المفضال الشيخ محمد عارف شيخ الاسلام بالاستانة روابط علمية ومكاتبات في عدة مسائل لا تخرج عن الدائرة العلمية كشف كل لصاحبه القناع عن مخبئاتها بطريق المراسلة الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة والذي حدا بنا الى التعرض لهؤلاء الشيوخ هو التنويه بشانهم والقصد لتخليد ذكرهم لما تحملوه في تلك العصور من اقتحام المشاق وتجشم ارتكاب المصاعب في المواصلة والمكاتبة لمن كان بعيد الدار عنهم

(١) اخرجه الترمذي في سننه من طريق انس بن مالك رضي الله عنه

وطرق ابواب البحث في المسائل العلمية اما اليوم وقد تيسرت اسباب المـواصلة بما اتيح للعالم كله من ارتباط بعضه ببعض كما اسلفنا ذكره فلا عذر للمتواني لا سيما وان باب المكاتبة مفتح على مصـراعيه بوجود المجلات العلمية والجرائد الدورية

راي الشيـخ في ان الابحاث العلمية يجب ان تنشر بالمجلات المختصة بها

على اني لا ارى نشر المسائل العلمية في غير المجلات المخصصة لذلك التي تعد دواوين علمية يتجمع منها في راس كل سنة اسفار تكون كدائرة معارف يرجع اليها مما نرجوه لمجلتكم المتحدث عنها اما الجرائد الدورية فان مهمتها في نظرنا غير ذلك ووظيفتها نقل الاخبار على اختلافها وطرق سائر المواضيع العامة او المخصصة لها وبذلك تكون مصالح النشر متبادله والتخصص في كل بحسبه

نصائـح الشيـخ لاسرة المجلة

اما نصائحي التي نقدمها اليوم لمجلتكم فهي ، التباعد عن الخصوصيات ، وسلوك الطريق الجادة وتحاشي بنيات الطريق ، وتجنب سائر الاميال وما يثير الضغـائن او يزرع الاحقـاد بين الكاتبين سواء بالتصريح او بالايماء او ما فيه لمز او حطيطة مع احترام القائل كيفما كانت حيثيته فان الكلام مع الكلام لتكون وجهة المجلة علمية محضة رائدها اظهار الحقيقة بالحجة والبرهان شعارها الرفق والمجاملة « والرفق يدوم لصاحبه. والخرق يصير الى الهرج » ولقد كان يسؤني جدا ما اراه في بعض المحررات العلمية من تطرف كاتبها وعدولهم عن المحجة المثلى وعن الاقناع بالدليل الى اللمز والانتقاص من قيمة المبحوث معه بما يعد من الجفا ، ولا تسيغه اداب المباحثة وربما اداني الخروج عن الموضـوع الى الاعراض عن تتبع بقية الخطاب خشية مشاركتي للقايل فيما ارتكبه من صنيعه الذي لا نرى له فيه مبررا

بيان مهمة مشيخة الجامع الاعظم التي تسعى لتحقيقها

هذا وان مهمة مشيخة الجامع الاعظم التي تسعى لتحقيقها والعمل للحصـول عليها ونؤمل من الكاتبين بمجلتكم طرق مواضيعها هي ما ياتي

• اولا المحافظة على سمعة المعهد واتساع نطاق التعليم به لتتكون به طبقات علمية ذات نبوغ احياء لمجده التالد ، واستبقاء لذكره الخالد ، تحاكى من تقدمهم من اساطين العلمـاء الـذين طبق ذكرهم الافاق وسار في مشارق الارض ومغاربها في القديم والحديث كابن عصفور والمازري وابن عبد السلام الهواري وابن عرفة وولي الدين ابن خلدون وغيرهم

« ثانيا » المحافظة على العلوم الدينية المعتبرة به في الدرجة الاولى من التفسير وعلوم القرءان . والحديث . واصول الدين . واصول الفقه والفقه مع ادلته وحكمة التشريع وربط الفروع بالاصول والاخلاق والآداب الشرعية مع التبحر في جميع ذلك بما يحفظ على الامة قـواعد دينها اذ هو احد المعاقل الثلاثة التي تضيء على العالم اجمع (١) جامع الزيتونة بالقطر التونسي (٢) الجامع الازهر بالقطر المصري (٣) جامع القرويين بالمغرب الاقصى وهي مناخ الدين بالاصقاع الثلاثة ادام الله لها عمرانا. واشاد بها لمعالم الدين اركانا .

« ثالثا » المحافظة على اللغة العربية وآدابها وعلى انتشارها بما يظهر للعالم اجمع انها لغة حية وانها في الرتبة الاولى بين اللغـات وهي الحافظة للامة امر دينها اذ هي لغة الكتاب الكريم والحديث الشريف الظاهر امرهما الى يوم ينفخ في الصور

« رابعا » التخصص في العلوم واقل مراتبه اليوم ما جاء به قانون الاصلاح من حصره في قسمين شرعي وادبي الى ان تسمح المقادير بتعميمه لجميع العلوم لتنحصر وجهة العالم فيما تخصص به فيزداد بذلك نبوغه وتفوقه وبالسبر نعلم ان من برع من العلماء في فن تخصص به لا تكون له تلك البراعة في غيره من العلوم وان شارك فيها دليل ذلك المشاهدة والمقابلة بين افراد العلماء منذ القديم الى يومنا هذا

« خامسا » ارشاد العلماء للعامة وانقاذهم من وهدة الجهالة التي لا يعذر صاحبها مع وجود العلماء وذلك بالوعظ والارشاد في الجوامع والمجتمعات العامة وتعهدهم بالموعظة كما كان عليه سلف الامة ولا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها مع ظهور اولئك المرشدين بمظهر يؤهلهم لقبول نصائحهم واتبـاع طرائق ارشادهم وذلك باتباعهم هم في انفسهم ما جاءت به نصوص الشريعة وتحاشيهم عما لا يليق واجتنابهم ما ينهون عنه اذ العالم محل الاقتداء وتنظر اليه العامة بعين الاكبار لمكانته العلمية عندهم

وقد توعد الله سبحانه امهات المؤمنين بمضاعفة العذاب لهن ضعفين على تقدير ان يظهرن للعموم على خلاف ما يراد منهن من اجتناب النواهي كما وعدهن لامتثالهن لما يؤمرن به باتيانهن اجـورهن مرتين وذلك اعتناء منه سبحانه وتعلي بشانهن للمزية التي خصصن بها من بـين النساء وهي كونهن من بيت النبوة محل الاقتداء ضاعف الله لجميعنا الاجور . ووفقنا بفضله الى العمل المشكور . وفي الختام نسال الله تعالى ان يبلغنا من اعزاز هذا الجانب ما نتمناه في ظل الحضرة الشامخة العلية . والسدة الباذخة الاحمدية . حضرة مولانا ولي النعم . وكـريم الشيم . المحفوف بسر السور والآي . سيدنا ومولانا احمد باشا باي . ادام الله دولته . وابد في سماء العز صولته . معزز الجانب بآله الكرام ووزرائه الفخام وهذا ما سمحت لنا به الفرصة الان من الذكرى ونحن احق بالموعظة واحرى والسلام عليكم ورحمة الله

خطاب صاحب المجلة

الذي القاه بين يدي اعضاء مجلس ادارتها في الاجتماع الاول بعد الحصول على الاذن الدولي في اصدار المجلة

ايها السادة الاعلام والمشائخ الكرام اني لاجد نفسي عاجزا عن اداء ما يليق بمقامكم الرفيع من عبارات التجلة والاكرام ويقصر لساني عن ان يفصح لكم عما يكنه ضميري نحوكم لتلبيتكم دعوتنا لعقد هذا الاجتماع المبارك .

واني اعد هاته الساعة من اعظم ساعات حياتي العلمية وهي الساعة التي سنتهيأ فيها لابراز مشروع طالما تاقت نفوسنا اليه وسعينا في تحقيقه وابرازه منذ زمان باوسع نطاق ولكن هي الاقدار صرفتنا عنه قهرا لا عن اختيار .

سادتي

انتم تعلمون اننا بدأنا اعمالنا في رجب عام ١٣٥٢ بنفوس طاهرة لا تضمر الكيد لاحد وان انس لا انسى تلك الكلمة الذهبية التي صدرت من رئيسنا الهمام في ناديكم هذا الا وهي (نحن لا نضمر السوء لاحد ولو علمنا ان واحدا منا يخالج ضميرة شيء من ذلك لانفضضنا من حواله) .

بل حسبنا ان الفرصة سانحة لاقامة هيكل تلتجىء اليه الهيئة العلمية الزيتونية وفتح نافذة منه يسمع منها الكافة صوت الحق الذي يمليه الدين الحنيف ووالينا الاجتماعات واحضرنا قانون جمعية العلماء الذي كان من جملة فصوله تاسيس مجلة علمية وبعثنا به الى الحكومة فلم ننجح في ذلك الحين . وجرى في علم الله ان الوقت لم يتهيأ لنا فيه العمل وامتحننا الله فصبرنا صبر الشاكرين . وعدنا للعمل والعود احمد فهيأ الله لنا الاسباب .

وها نحن اليوم نستانف اجتماعاتنا وقد استصدرنا رخصة المجلة الزيتونية بعد ان اعترانا فشل وقتي هو طبيعي يعقب كل مصادمة يلقاها الفرد او الجماعات ويلذ لي ان اسجل بينكم كلمة شكر لصديقي الشيخ سيدي الطاهر القصار عما بذله من التضحية وما اعانني عليه في التحصيل على رخصة اصدار المجلة واتجاسر لا عبر باسمكم جميعا عن عظيم ممنونيتنا له وتقديرنا لما قام به في هذا المضمار كما يلذ لي ان نعترف بالجميل للمساعي التي سعاها اخى وصديقي الشيخ سيدي محمد المختار بن محمود في تذليل الصعوبات واعمال ما في الوسع لنيل المقصود وانها لاعمال تذكر فيشكر عليها شكرا جزيلا كما يلذ لي ان اقدم لكم جميعا تشكراتي القلبية عما ستقومون به من الاعمال الجليلة .

انا سنقطع بهذا العمل المفيد مرحلة من مراحل الانتاج في سبيل نشر الثقافة الاسلامية ونسعى لربط الصلة بيننا وبين علماء الاسلام ونعطي باعانة الله وتوفيقه مثالا فيما وراء هاته الديار يليق بمقام رجال العلم بجامع الزيتونة في هذا العصر الذي يوجد فيه على راس مشيخة التعليم بالجامع الاعظم ذلك الشيخ الجليل والاستاذ الكبير العامل للنهوض بهذا المعهد المحب للعاملين الذي شجعنا على هذا المشروع يوم فكرنا فيه ورغبنا في الشورى حتى يبرز كما تصبوا النفوس اليه فاعلمناه انه المبدا الذي وطدنا نفوسنا عليه .

كيف لا وهو ليس بمشروع يهم الواحد منا او الاثنين بل هو كما احسب يهم كل فرد من شيوخ التعليم بالجامع الاعظم عمره الله ونجاحه موكول بهممهم الشريفة وعزائمنا الصادقة نحن الذين سيناط بعهدتنا امر ادارته ـ وانها لاتعاب جمة ومسؤلية خطرة لا يتحملها الا من وطد نفسه على تعميم النفع امثالكم وسيسجل لكم في تاريخ النهضة العلمية الحديثة ما انتم صانعون .

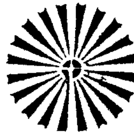
وليس هذا هو كل ما يتطلب منا القيام به فان امامنا مهمات كثيرة تتطلب رجالا مصلحين امثالكم هي اليوم في طي الذهول او النسيان واذكر للشيخ سيدي علي بن الخوجة ما حث عليه في الدور الاول من اجتماعاتنا من امر الوعظ وان يكون له المقام الاسمى بالنظر لنفعه العميم وسياتي اذا شاء الله يوم تبرز فيه تلك المهمات الى عالم الوجود ويقوم كل بما هو اهل له من اسباب الرقي والنهوض واني اتفاءل خيرا بالمستقبل والمستقبل لله .

سادتي

لا يعزب عن انظاركم انا في زمان سادت فيه الفوضى باسم المدنية وركب الناس متن الاهواء فدفعتهم الامواج المتلاطمة الى قعر عميق ظلمات بعضها فوق بعض وحكموا عقولا لم يصلحها العلم فزاغت عن رشدها والناس لا يعلمون .

فاليكم سفينة الانقاذ تسيرون بها في طريق السلامة لتنقذوا من بقي من امتكم كما علمكم الله وتنيروا منار الهدى للسالكين بعد ولكم من الله الجنة ولنعم دار المتقين الهادين المهديين .

محمد الشاذلي بن القاضي



ابواب المجلة

القرآن الكريم

دروس التفسير

لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور

شيخ الاسلام المالكي بتونس

كانت لدروس تفسير القرءان الكريم التي افتتحها فضيلة الاستاذ الامام الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي بالجامع الاعظم جامع الزيتونة المعمور في شوال عام ١٣٤١ لما ارتقى الى خطة الفتيا رنة تقدير واعتبار لدى الاوساط العلمية لما امتاز به فضيلته من طول الباع وسعة الاطلاع في علوم الشريعة واللغة

فلقد كانت دروس الشيخ ابقاه الله روضا نضيرا تتسابق الهمم للعرف من اريجه والكرع من منهله العذب الفياض وسوقا علمية تتبارى فيها افكار تلاميذه الذين بث فيهم بآرائه القيمة واسلوبه الحكيم روحا علمية جريئة ونشاطا لا عهد لهم به

وكانت طريقته في دروسه ممتازة بتحاشي الابحاث القليلة الجدوى والاطالة بنقل كلام المفسرين مما لا يرتبط كثيرا بالغرض المهم من معاني الذكر الحكيم صارفا همته لا يراد ما احتوى عليه القرءان من اسرار الشريعة ونواميس الكون والعمران معتنيا جد الاعتناء باظهار بلاغة التنزيل واعجازه في تعبير يزري بنظم الجمان ويبز فصاحة سحبان ورغبة في تعميم فائدة هذه الدروس القيمة التي كان الشيخ يسجلها بقلمه البليغ راينا وجوب المبادرة بنشرها في فاتحة باب القرءان الكريم من هذه المجلة ولما خاطبناه في هذا الغرض الفينا منه ارتياحا وتنشيطا عظيمين واسعفنا بديباجة تفسيره والمقدمة الاولى من مقدماته لنشر ذلك مستتبعا بما يليه من بقية المقدمات ثم التفسير والى القاري الكريم نص الديباجة مع قسم من المقدمه الاولى

ديباجة

قد كان اكبر منيتي منذ سنين . اقراء تفسير الكتاب المبين . الجامع لمصالح الدنيا والدين . والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها . والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها . طمعا في بيان نكتة من العلم وكليات من التشريع وتفاصيل من مكارم الاخلاق كان يلوح انموذج من جميعها في خلال تدبره . او مطالعة كلام مفسره[١] . لاسيما ونحن في زمن قد ذهل فيه كثير عن تدبر محامد دينهم القويم . ونكبوا عن اتباع صراطه المستقيم ولكني كنت على كلفي بذلك اتجهم التقحم على هذا المجال اتقاء ما عسى ان يعرض له المرء نفسه من متاعب تنوء بالقوة . او فلتات سهام الفهم وان بلغ ساعد الذهن كما له في الفتوة . فبقيت اسوف النفس مرة ومرة اسومها زجرا فان رأيت منها تصميما احلتها على على فرصة اخرى . وانا آمل ان يمنح الله من التيسير . ما يشجع على قصد هذا الغرض العسير . وفيما انا بين اقدام واحجام . وتخيل هذا الغرض مرة انه القتاد واخرى انه الثمام . اذا انا باملي ذلك يخيل الي انه تباعد او انقضى . اذ قدر ان تسند الي خطة القضاء[٢] . فبقيت متلهفا ولات حين مناص . واضمرت تحقيق هاته الامنية متى اجمل الله الخلاص . وكنت احادث بذلك الاصحاب والاخوان . واضرب لهم المثل بما وقع للحافظ ابن رشد في اتمام كتاب البيان[٣] . ولم ازل كلما مضت مدة يزداد التمني وارجو انجازه . الى ان اوشك ان تمضي عليه مدة الحيازة . فاذا الله قد من بالنقلة لخطة الفتيا[٤] . واصبحت الهمة مصروفة لما تنصرف اليه الهمم العليا . فتحول الى الرجاء ذلك الياس . وطمعت ان اكون

---

(١) اشير بهذا الى ان المهم من كلام المفسرين يرشد الى الزيادة على ما ذكروه . والذي دون ذلك من كلامهم ينبه الى تقويم ما ذكروه . (٢) في ٢٦ رمضان سنة ١٣٣١ . (٣) حيث ذكر انه شرع فيه ثم عاقه عنه تقليد خطة القضاء بقرطبة بعزم على الرجوع اليه ان اربح من القضاء وانه عرض ذلك على امير المسلمين علي ابن يوسف بن تاشفين فاجابه لذلك واعفاه من القضاء ليعود الى اكمال كتاب البيان والتحصيل . (٤) في ٢٦ رجب عام ١٣٤١

ممن اوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس [١] هنالك عقدت العزم على تحقيق ماكنت اضمرته . واستعنت بالله تعالى واستخرته وعلمت ان ما يهول من توقع تعب او غلط . لا ينبغي ان يحول بيني وبين نسج هذا النمط . اذا بذلت الوسع من الاجتهاد . وتوقيت طرق الصواب والسداد . واعتمدت على ما علمني الله من العلوم وتوسمت انواء افهام ابنائنا في مجلس الدرس الذين هم لسمائه كالنجوم . فالحمد لله الذي صدق الامل . ويسر الى هذا الخير ودل .

اقدمت على هذا المهم اقدام الشجاع . على وادي السباع . متوسطا في معترك انظار الناظرين. وزائرا بين ضباح الزائرين [٢] . فجعلت حقا علي ان اقف مواقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها وان ابدي في تفسير القرآن نكتا لم ار من سبقني اليها فان الاقتصار على الحديث المعاد . تعطيل لفيض القرآن الذي ما له من نفاد ولقد رايت الناس حول كلام الاقدمين احد رجلين رجل معتكف فيما شاده الاقدمون • وآخر أخذ بمعوله لهدم ما مضت عليه القرون • وفي كلا الحالين ضرر كثير • وهنالك حالة اخرى يكون بها جبر الجناح الكسير • وهي ان نعمد الى ما شاده الاقدمون فنهذبه ونزيده وحاشا ان ننقضه او نبيده عالما بان غمص فضائل السلف كفران للنعمة • وجحد مزايا السلف ليس من حميد صفات الامة • كيف وقد علمنا الله تعالى ما يجب علينا نحو سلفنا بقوله (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا انك رؤوف رحيم)



(١) اردت الاشارة الى الحديث لا حسد الا في اثنتين لانه لا يتعين ان يكون المراد الجمع بين القضاء بها وتعليمها بل يحصل المقصود ولو بان يقضي بها مدة ويعلمها الناس مدة اخرى . (٢) الزائرون هنا اسم فاعل من زأر بهمزة بعد الزاي وهو الذي مصدره الزئير وهو صوت الاسد قال عنترة :

« حلت بارض الزائرين فاصبحت ❀ عسرا علي طلابك ابنة مخرم »

« المقدمة الاولى في التفسير والتاويل »

التفسير مصدر فسر الذي هو مضاعف فسر بالتحفيف (من بابي نصر وضرب) الذي مصدره الفسر وكلاهما فعل متعد فالتضعيف ليس للتعدية

والفسر الابانة والكشف لمدلول كلام او لفظ بكلام ءاخر هو اوضح للسامع ثم قيل المصدران والفعلان متساويان في المعنى وقيل يختص المضاعف بابانة المعقولات قاله الراغب وصاحب البصائر

وكان وجهه ان بيان المعقولات يكلف المبين كثرة القول كقول اوس بن حجر

الالمعي الذي يظن بك الظنـ ـن كان قد راى وقد سمعا

فكان تفسيراً لمعنى الالمعيْ وكذلك الحدود المنطقية المفسرة للمواهي والاجناس لاسيما الاجناس العالية الملقبة بالمقولات فناسب ان يخص بالمضاعف بناء على ان فعل اذا لم يكن للتعدية كان المقصود منه الدلالة على التكثير من المصدر قال في الشافية « وفعل للتكثير غالبا » وقد يكون التكثير في ذلك مجازيا واعتباريا بان ينزل كد الفكر في تحصيل المعاني الرقيقة ثم في اختيار اضبط الاقوال لابانتها منزلة العمل الكثير كتفسير صحار العبدي البلاغة بقوله « ان تقول فلا تخطي وتجيب فلا تبطي » ثم قال اقلني « هو ان لا تخطي ولا تبطي »

ويشهد لهذا قوله تعالى « ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا » فاما اذا كان فعل للتعدية فان افادته التكثير مختلف فيها والتحقيق ان المتكلم قد يعدل عن تعدية الفعل بالهمزة الى تعديته بالتضعيف لقصد الدلالة على التكثير لان المضاعف قد عرف بتلك الدلالة في حالة كونه فعلا لازما فقارنته تلك الدلالة عند استعماله في التعدية مقارنة تبعية ولذلك قال الزمخشري في خطبة الكشاف « الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله على حسب المصالح منجما » فقال المحققون من شراحه جمع بين انزل ونزل لما في نزل من الدلالة على التكثير الذي يناسب ما اراده العلامة من

التدريج و التنجيم وانا ارى ان استفادة معنى التكثير في حال استعمال التضعيف للتعدية امر من مستتبعات الكلام حاصل من قرينة عدول المتكلم البليغ عن المهموز الذي هو خفيف الى المضاعف الذي هو ثقيل فذلك العدول قرينة على المراد وكذلك الجمع بينهما في مثل كلام الكشاف قرينة على ارادة التكثير

واما ما عزاه شهاب الدين القرافي في اول انواء البروق الى بعض مشايخه من ان العرب فرقوا بين فرق بالتخفيف وفرق بالتشديد فجعلوا الاول للمعاني و الثاني للاجسام بناء على ان كثرة الحروف تقتضي زيادة المعنى او قوته والمعاني لطيفة يناسبها المخفف والاجسام كثيفة يناسبها التشديد واستشكله بعدم اطراده • فليس من التحرير بالمحل اللائق وهو اشبه باللطائف منه بالحقائق • اذ لم يراع العرب في هذا الاستعمال معقولا ولا محسوسا وانما راعوا الكثرة الحقيقية او المجازية كما قررناه ودل عليه استعمال القرآن الا ترى ان الاستعمالين ثابتان في الموضع الواحد كقوله تعلى « وقرآنا فرقناه » قرئ بالتخفيف والتشديد وقال تعالى حكاية لقول المؤمنين « لا نفرق بين احد من رسله » وهي تفرقة معنوية لا جسمية كما هو واضح

والتفسير في الاصطلاح نقول هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني الفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار او توسع

والمناسبة بين المعنى الاصلي للتفسير والمعنى المنقول اليه لا يحتاج امثالكم الى تطويل فيه • وموضوعه الفاظ القرآن من حيث البحث[1] عن معانيه وما يستنبط منه وبهذه الحيثية خالف علم القراءات لان تمايز العلوم كما يقولون بتمايز الموضوعات وحيثيات الموضوعات . . . (يتبع)

محمد الطاهر ابن عاشور

(١ ارى ان يتوسع اهل اللسان العربي في اضافة حيث الى المفرد لان جر الاسم انس في السمع مع كونه واردا عن العرب

الحَدِيثُ الشَّرِيفُ

عَنْ سعيد بن جُبَيْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نوفا البكالي يَزْعُمُ انَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي اسْرَائيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخر فَقَالَ كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بن كَعْب عَن النَّبِيءِ صَلَّى اللّٰه عليه وسلم قَالَ قَامَ مُوسَى النَّبي صَلَّى اللّٰه عليه وسَلَّمَ خَطِيبًا فِي بَنِي اسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ انا أَعْلَمُ فَعَتَبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ اذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ الَيْهِ فَأَوْحَى اللّٰهُ الَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ اعْلَمُ مِنْكَ قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بنَ نُونٍ وَحَمَلَا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُؤوسَهُمَا وَنَامَا فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمِهِمَا فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا الَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ قَالَ مُوسَى ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَلَمَّا أَتَى الصَّخْرَةَ إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ فَسَلَّمَ مُوسَى فَقَالَ الْخَضِرُ وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ فَقَالَ أَنَا مُوسَى فَقَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ قَالَ

هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ ، قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا فَعُرِفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ فَقَالَ مُوسَى قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ، قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ فَكَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا ، فَانْطَلَقَا فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ ، فَقَالَ مُوسَى أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ، قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ وَهَذَا أَوْكَدُ ، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ ، فَقَالَ مُوسَى لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ، قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا

« اخرجه البخاري في كتاب العلم »

البيــان

بقلم العالم الجليل الاستاذ المحقق الشيخ سيدي محمد البشير النيفر الاستاذ بقسم التحصص والمدرس بالمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط



القصص والاخبار من علوم القرآن الحكيم ولذكرها فيه فوائد

منها قيام الحجة على اهل الجحود والعنـاد في رسالة النبيء صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن يتلو كتابا ولا يصاحب من يتلو ثم جاء الناس بكتاب يقص عليهم انباء الاولين ويسيرهم بالحق ويهدي مع هذا الى ما فيها من ضروب العظة والاعتبار وسنن الله تعالى وغير ذلك من القواعد الصحيحة للعمران والاجتماع وقد يشير الى هـذه الفائدة بعض آيات القصص كقوله تعالى بعد قصة طالوت وجالوت : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين » فتذييل القصة بهذه الجملة: « وانك لمن المرسلين » اشارة والله اعلم الى ان ذكر مثل هذه القصة آية بينة على رسالته صلى الله عليه وسلم

واظهر من هذه الاية في تنبيه الاذهان الى هذه الفائدة قوله تعالى بعد قصة مريم عليها السلام « ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمـون » وقوله تعالى بعد ان قص ما قص من نبا موسى عليه الصلاة والسلام : « وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنـا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين

ومنها الاعتبار بما فيها من ضروب الهداية والارشاد الالاهي ٠ ومما ينتظم في هذا السلك تاسي نبينا صلى الله عليه وسلم بالرسل الذين من قبله كيف كان شانهم مع الامم وشان الامم معهم ثم كانت العاقبة لهم ٠ وحقت كلمة الله عز وجل على من كذبهم وناواهم والى هذا الاشارة بقوله تعالى « وكلا نقص عليك من انبـاء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في ذلك الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين »

وقد ختم الله سورة يوسف عليه الصلاة والسلام بقوله : « لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب الآية فهدانا الى الاعتبار بهذا القصص الصادق

حسبنا ما ذكرنا من الفائدتين للقصص القرءانية وبعد هذا ناخذ في التنبيه على شان من شؤنها في القرآن الحكيم

ذلك ان منها ما يكرر فيه ومنها ما لا يذكر الا مرة واحدة فمن الاول قصة آدم عليه الصلاة والسلام ذكرت في القرآن سبع مرات وقصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون كررت فيه ايضا ومن الثاني قصة طالوت وجالوت وقصة ابني آدم وقصة موسى والخضر عليهما السلام

الالا تضلك الاوهام الباطلة فتذهب الى ان ما كرر في القرآن من القصص كرر لغير فائدة ، فان الله وعظ بهذه القصص وذكر والشيء كلما تكرر تقرر

اليس في تكرار قصة آدم عليه الصلاة والسلام ما يبعث التالي بتوفيق الله وعنايته على اخذ الحذر من ابليس وقبيله

اليس في تكرار قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون ما يثبت فؤادك على الاعتقاد بما لله عز وجل من العناية بالحق واهله وان دولة الباطل وان طال عمرها الى زوال

اما قصة موسى والخضر فليس لموضوعها من الخطارة مثل ما لقصة آدم او قصة موسى وفرعون فلذا لم تذكر الا مرة وان جاء فيها من ضروب العظة والاعتبار ما سنمر ببعضه ان شاء الله تعالى وتلك سنة القرآن في كل قصة وقد سبقت الاشارة اليه

ولك ان تنتزع مما ذكرنا في فائدة تكرار القصة الواحدة بالكتاب العزيز فائدة تكرار الحديث الواحد في كتاب من كتب الحديث الشريف كالحديث الوارد في قصة موسى والخضر عليهما السلام اخرج هذا الحديث الامام البخاري في اكثر من عشرة مواضع في صحيحه منها موضعان في كتاب العلم ترجم اولهما بقوله باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر الى الخضر عليهما السلام وهو يشير بهذه الترجمة الى ان من فوائد الحديث الرحلة في طلب العلم وترجم الثاني بباب ما يستحب للعالم اذا سئل اي الناس اعلم فيكل العلم الى الله وهو يشير بهذه الترجمة الى ما ينبغي ان يكون عليه العالم من رد العلم الى الله تعلى واخرجه

في كتاب التفسير وكتاب قصص الانبياء وغيرهما• ذلك كله لما تريه لك هذه القصة من الفوائد المختلفة التي احلتها من عناية الامام البخاري بالمكان المكين فكان يذكرها مرة بعد اخرى ولقد كان له في كتاب الله اسوة حسنة والقصد الآن الى ما ترجمه بقوله: باب ما يستحب للعالم اذا سئل اي الناس اعلم فيكل العلم الى الله وقبل ان نطرق باب الحديث نقول كلمة في اعراب هذه الترجمة تاسيا بالشارحين قال الشهاب القسطلاني فيكل العلم الى الله اي فهو يكل العلم الى الله وحينئذ فاذا شرطية والفاء في جوابها والجملة بيان لما يستحب• او اذا ظرف لما يستحب والفاء تفسيرية على ان يكل في تقدير المصدر بتقدير ان اي ما يستحب وقت السؤال هو الوكول الى الله تعالى اه

وحاصله ان في اذا والفا وجهين احدهما ان تكون اذا شرطية ظرفية والفاء بعدها هي التي تقارن جزاء الشرط • واشار رحمه الله بتقدير الضمير الى أن الفاء داخلة على مبتدأ مقدر والجملة اسمية والذي دعاه الى هذا التقدير اخذه بمذهب سيبويه الذي يمنع ان يقترن مثل هذا المضارع بالفاء ويصرف ما ظاهره ذلك الى تقدير مبتدا فيه حتى تكون الجملة اسمية

قال الشيخ ابن هشام في المغني بعد ذكر المسائل الست التي يلزم فيها قرن الجزاء بالفاء وانما دخلت في نحو ومن عاد فينتقم الله منه لتقدير الفعل خبراً لمحذوف فالجملة اسمية اه

قال الشمني: وهذا مذهب سيبويه وقال المبرد لا حاجة الى ذلك قال ابن جعفر ومذهب سيبويه اقيس اذ المضارع صالح للجزاء بنفسه فلولا انه خبر لمبتدأ لم تدخل عليه الفاء اه وقد بسط المسالة باوسع من هذا في اثناء الكلام على ألا • وخلاصة ما كتبه ثمت ان الشيخ ابن الحاجب صرح في الكافية بجواز اثبات الفاء وتركها مع المضارع المثبت والمنفي بلا

قال الرضي اما الفاء فلانهما كانا قبل اداة الشرط صالحين للاستقبال فلم تؤثر الاداة في معناهما تاثيرا ظاهرا كما اثرت في فعلت • واما تركه فلانهما كانا صالحين للحال والاستقبال على الصحيح والاداة خصتهما بالاستقبال وهو نوع تاثير وبهذا التعليل يسقط التوجيه الذي ذكره ابن جعفر لاقيسية مذهب سيبويه

قال الرضي وان ثبت نحو ان غبت فيموت زيد لم يكن لمذهب سيبويه وجه اذ

لا يمكن في مثله تقدير مبتدا الا ضمير الشان ولا يجوز الا بعد ان المخففة قياسا وان واخواتها ضرورة اه ونتيجة البحث ان الشيخ الرضي يرجح مذهب المبرد على مذهب سيبويه واليه ميل الشمني وعليه فلا حاجة الى تقدير ضمير مبتدا في قوله « فيكل العلم الى الله » ولكن كلام الشيخ الرضي ضعيف فانه مبني على تقدير ثبوت : ان غبت فيموت زيد وانى لنا بثبوته!

الوجه الثاني ان تكون اذا ضرفية بحتة متعلقة يستحب والفاء بعدها تفسيرية بناء على ان المضارع في تقدير المصدر اي ما يستحب عند السؤال هو الوكول وفي رواية: ان يكلا وهو اوضح قاله الحافظ ابن حجر .

قلت حاصل كلامه ان الضرف يتعلق بيستحب واما على الاول فيتعلق بجوابه كما هو معروف واذا علق بالجواب كان مفاد الترجمة ان الباب موضوع لبيان ما يستحب للعالم مطلقا واذا كان كذلك لزم ان جميع ما يستحب للعالم هو ان يكل العلم الى الله اذا سئل اي الناس اعلم وانما وضع الباب لبيان ما يستحب له عند السؤال . ولهذا صحح السندي طريقة تعليق الظرف بيستحب ولكنه يخالف الشيخ ابن حجر في جعله الفاء تفسيرية والفعل من بعدها في تاويل مصدر بل يري الفاء فاء الفصيحة والفعل جزاء شرط مقدر حذف صونا للكلام عن صورة التكرار مع ظهور القرينة فيؤل الكلام الى ما مثاله . باب ما يستحب للعالم عند السؤال . اذا سئل اي الناس اعلم فيكل الغلم الى الله . فنقطة الخلاف بين الحافظ ابن حجر والسندي في الفاء اهي التفسيرية ام فاء الفصيحة وفي الفعل بعدها اهو في تاويل المصدر خبر الضمير او واقع في جزاء الشرط المقدر

ويقول هذا العاجز . اما تعليق الظرف بيستحب كما صححه السندي واقتصر عليه الحافظ فهو المتبادر الظاهر ولا مجال فيه لنقد واما تقدير شرط في الكلام واعتبار الفاء مفصحة عنه فالظاهر خلافه كما عليه الحافظ ابن حجر لوجهين

الاول رواية ان يكل العلم فهي ترجح تاويل يكل بالمصدر وتخريج الفاء على التفسير في رواية . فيكل العلم الى الله . الثاني انه اقل تقديرا . . . (يتبع)

محمد البشير النيفر

الوعظ والإرشاد

الدعوة الى الاصلاح واثرها في المجتمع

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن »
(قرآن كريم)

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لهداية الناس الى دين الفطرة — قيام علماء الاسلام بواجب الهدي كما امرهم الله — قيام الاصلاح النبوي على الامر بالمعروف والنهي على المنكر — وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تختص بفريق من الامة — تقصير العموم باهمالهم سؤال العالم واسباب ذلك — الطرق التي سلكها المصلحون — حال المربي الاكبر عليه السلام مع قومه — اساس النجاح عدم الاياس — حاجة الامة الى المصلحين

***

ان الله تعالى بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويبصرهم طريق الهدى وسبل السعادة العظمى ويكشف لهم عن نقاب المهلكات التي ما فتىء اهل الاهواء عاكفين عليها ويزيل عنهم درن الوثنية الذي ما زال عالقا بالبشر فاهاب بالعقول من سباتها ودعاها الى التفكير في ملكوت السماوات والارض ونبهها الى ما عليه الانسان من التقصير في هذا المضمار وما كان يجدر به ان يلتمس الدر من الغدير ويتبع اناسا هم في مواطن الحجة يتراجعون بل كلمتهم نحن (وجدنا آباءنا على امة وانا على ءاثارهم مقتدون)

فهداهم الى المحجة وارتضى لهم الاسلام دينا وجعلهم امة وسطا يدعون الى اليقين بامر من عنده ويحذرون الضال حتى يعود اليه رشده ويتبين له الغي فيحيد عنه ويثوب الى فطرة الله التي فطر الناس عليها

وما زال من امة الاجابة بتوفيق الله الحكيم من يتخطى مواقع الخطا فيزيل عنها الشبهة ويحتسب فيدعو الناس الى هدى الرسول ويعرفهم بالمعروف ويرغبهم فيه بالموعظة الحسنة ويخاطبهم بالحكمة البالغة التي تنشرح اليها الصدور ويضرب الباطل بسهم نافذ فيزيل عن النفوس مخالبه المتمكنة منها فيسلم الظاهر والباطن ويعالج اسقامها بآداب النبوة حتى بلغوا بهم شاوا بعيدا فسلمت من امراض كان خطرها على المجتمع عظيما وما صلاحه الامع استقامتها وروضوها على الخلق الحسن فتهذبت طباعهم التي كانت قد غلبت عليها الوحشية

ولعمري ان اعظم تراث يقدم لبني الانسان ليستعمله في تاسيس المجد الذي شغف به واكبر اصلاح يحمد اثره ويثمر نباتا حسنا باذن الله واخطر خطة يتولاها اولو العزم في هذا العالم ليصلوا بقافلة البشر الى نهاية السعادة هو ترغيب الكافة بامرهم بالمعروف حتى تتحمله النفوس ويتمكن منها وتهذيبهم بنهيهم عن المنكر وصدهم عنه فيزيل تعلقه بهم . ولعظم هذا الامر وخطارته وما علق بالجبلة البشرية من الشر وما ينتسب اليه نجد الله سبحانه وتعالى لطفا منه بعباده وهو اللطيف الخبير رتب على بعثة الرسل امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بابلغ معانيهما فقام الاصلاح النبوي على هذا الاساس

ثم جعل ذلك وظيفة كل من يؤمن بالله واليوم الآخر ووعدنا عليه الثواب الجزيل قال تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) كما توعد المقصر وحذره عاقبة تقصيره حيث قال وهو اصدق القائلين (لعن اللذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

وليست وظيفة الامر والنهي خاصة بفريق من الامة دون فريق بل المسلمون في احكام الملة سواء ومن علم حكم الله في شيء وجب عليه ان ينشره بين العموم ولا يعذر الجاهل بجهله وتقصيره بعدم السؤال والله يقول (فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)

فكما انه يجب على من راى فسادا في الارض او ظلماً او عقيدة مقامة على ضلال أن يحذر الناس وينكر عليهم الدخول في هذا المضمار او راى تقصيرا من آخرين ان

يامرهم بالمعروف الى اصلاح حالهم ويرشدهم الى ما هم في غفلة عنه ويذكرهم فان الذكرى تنفع المؤمنين كذلك لزاما على كل مسلم ان لا يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه

وكذلك كان حال سلفنا الصالح وبه تمت لهم المزية ونالوا مقاما حمدوا عليه وسلموا من اخطار وقع فيها من اهمل هذا الركن العظيم

ومن تامل حال المسلمين في هذه الا زمان يرى منهم اعراضا تاما عن السؤال والبحث عن احكام الله فيما يتعاطونه من الاعمال فيباشر الواحد المعاملات على اختلاف انواعها وتباين صورها ولا يبحث عن جوازه او عدمه ولا عن الصورة التي تكون بها جائزة والتي لاتكون . بل ترى اشد من ذلك وهو عدم السؤال عن مسائل العبادات وعن شروطها واركانها فترى الواحد يصلي اعواما ولا يعلم ما يصحح الصلاة وما يفسدها وكذلك القول في الصيام وهكذا في سائر العبادات

ونحن اذا بحثنا بحثاً مستفيضا وراء هذا الخلق الذي منع العموم من السؤال وافضى بهم الى الخسران والندامة ولات ساعة مندم . وان كان السواد الاعظم لم تشعر حواسه بما خفي في نفسه مما نسميه ندامة وغاية ما وصل اليها زفرات تتصاعد في سواد حالك يحيط به لاتتركها تصل الى الحقيقة كما هي فيبقى ينتقل من مفسدة الى اشد منها مثابراً في سيره على غير هدى

نعم اذا بحثنا في ذلك بحثا مستفيضا نجد السبب يرجع الى امور متعددة

اولها : الاعتزاز بالنفس والترفع عن السؤال . ثانيها . تاثير البيئة . ثالثها . مبدا الاباحية . رابعها : ما تفشى عند بعض الادعياء في العلم من الانكار على التقليد مع وقوعهم فيما فروا منه . خامسها : عدم اطمئنان النفس لاستجواب مرشد امين . سادسها : عدم ادراك الاخطار التي تنجر من اهمال السؤال . سابعها : ضعف الوازع الديني . ثامنها : مفعول المال والجاه . تاسعها : الخوف من الاجابة بالمنع . عاشرها : الدعاة الضالون المضلون

وفي العزم ان نتولى بحث هاته الامور التي تقف سدا منيعا بين الانسان والنجاة . ونميط اللثام عن حقائق نحن في حاجة الى الكشف عنها

***

وقياما بالواجب المفروض علينا وتعميما لفائدة الارشاد حتى يبلغ هذا الصوت اسماع الكافة وتعي معانيه افئدة هي في حاجة الى بلوغ صداه افتحنا هذا الباب وهو « باب الوعظ والارشاد » ليلجه كل محتسب في دينه مخلص في دعوته الى الحق

واني ارى فريقا من الناس قصروا انظارهم في هذا الامر الخطير على معالجة بعض بدع اعتادها الكافة او قسم من الامة وحسبوها فرعا من فروع الملة وانها قربة ينال بها العبد من ربه جزاء وانكروا عليهم صنيعهم ذاك وقاوموهم بشتى المقاومات فحصل خلاف المقصود وعاد الامر على عكس المطلوب واحسب ان السبب الذي اوجب ذلك هو اسلوب المقاومة الذي اتخذه المصلحون في نشر دعوتهم المباركة بين قومهم الذين خيم عليهم الجهل وضرب برحابهم اطنابه فصور لهم الدعوة الى الحق ضلالا والتنفير من البدع الحادا قوم هاته اخلاقهم التي شبوا وشابوا عليها الحكمة في ارجاعهم الى تعاليم الاسلام وتحذيرهم مما هم عاكفون عليه ولا يمت الى الشريعة بسبب ان نتعهدهم بالموعظة الحسنة كما امرنا بذلك فنكون مرغبين غير منفرين ولا نيأس من رحمة الله فان العادة اذا استحكمت في النفوس ليس من الهين تركها والاقلاع عنها فكيف بما يرجع الى المعتقدات والقرب

وقد وصف الله تعالى رسله بانهم اولو العزم بما يتحملونه من مشقة الصبر العظيم لبلوغ الغاية التي اقاموا لها الدعوة وساروا في ذلك على مقتضى ما رسمه لهم العليم الحكيم

وهذا المربي الاكبر والمصلح الحكيم يخاطبه الله بقوله (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن)

فتلك هي الطريقة المثلى التي رسمها القرآن ولكم في رسول الله أسوة حسنة فهل يجدر بنا ان نحيد عنها ونبغي بعد ذلك النجاح

فلا بد حينئذ من امرين احدهما الدعوة الى الاصلاح بالحكمة والوصول اليها لا يكون الا بالموعظة الحسنة وثانيهما الصبر على ذلك حتى تقوم الفضيلة في النفوس مكان الرذيلة

أما اذا كان في نفوس المصلحين شيء من الحدة فان نفوس القوم اشد حدة من

من ذلك ولربما افضى بهم الامر اذا خذلتهم الحجة ان يعمدوا الى منطق هو في الواقع عقيم وكثيراً ما نسمعهم يقولون ان ما تنكرونه الناس متعلقون بما هو اشد منه خطورة فهلا اعتنى المصلحون بذلك كان المرء اذا قام منكرا على احد توفرت له الاسباب في الانكار عليه ليس له ذلك ما دام في الوجود من يفعل فعله او ما هو اقبح من صنيعه

ولو علم الناس ان دعوة الاصلاح لا تختار من المنكرات فتشمل هاته وتتغافل عن تلك وحذقوا ان المصلح يتربص بقومه الفرص لهان عليهم الامر على ان امر الاصلاح كثير التشعبات متعدد المسالك وعلى كل فرد ان يقوم بما يتمكن منه وليس من الراي في شيء ان نكثر باللائمة على من هداه الله لارشاد الناس ونفسد عليه خطته التي رسمها لنفسه فنتعرض له بانواع المقاومات ونشن عليه الغارة ونظهره في اعين الكافة باقبح صورة يكون عليها الانسان ونستعير له من الصفات ما هو مضاد لما يدعو اليه لننفر منه المجتمعين حوله بل الامر على خلاف ذلك فان المنكرات التي تمكنت من النفوس لا تدخل تحت حصر والتقصير في القيام بالواجبات شمل العظيم والصعلوك والجهل بالاحكام الشرعية هي الصفة الذاتية التي يتميز بها هذا الخلف عن اولئك السلف

وكيف يتم امر الترغيب والترهيب والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من مصلح واحد او اثنين حتى يصح لنا ان نقاومه اذا افرغ وسعه للقيام بنوع من الارشاد

انما الواجب ان نرغب الناس في ذلك الى ان يتوفر عدد المصلحين بتوفيق الله تعالى وتشمل الدعوة الى الفلاح سائر الخطوب فتنقشع تلك الغيوم وتظهر شمس الهداية ويبرز اثرها للعيان

محمد الشاذلي بن القاضي



طلب العلم فريضة على كل مسلم

بقلم العالم النحرير صاحب الامضاء

لا نريد ان نتعرض لبيان مزية العلم وفضله وكيف ينهض بصاحبه من حضيض الجهل والهوان الى ذروة العز والشرف فان ذلك من القضايا المسلمة بين العقلاء من جميع الامم والشعوب . وانما نريد ايقاظ العامة الى امر مهم هم عنه غافلون . من المعلوم ان الله تعلى ميز نوع الانسان بالعقل واختاره لعمران هذا العالم الذي شاءت الارادة الازلية بقاءه الى اجل معلوم عنده وكان من الحكمة ان تعبده بتكاليف وفرض عليه فرائض حتى يكون عبده اختيارا كما كان عبده اضطرارا . ومن تلك التكاليف ما يرجع الى العقيدة ومنها ما يرجع الى العمل . وكل من النوعين لا يقبل الا اذا كان مستوفيا لشروطه الشرعية فمعرفة تلك الشروط التي يتوقف عليها خروج المكلف عن عهدة التكليف فرض عين بمعنى انه يفترض على كل مكلف بعينه واما معرفة ما زاد عليها من العلوم التكميلية ففرض كفاية بمعنى انه يفترض على المجموع لا على كل فرد فالمراد بالعلم في الحديث معرفة ما لا بد منه لاقامة امر الدين فمن قصر فيه فهو متهاون بدينه . قال بعض الفقهاء من فرائض الاسلام تعلم ما يحتاج اليه المرء في إقامة دينه واخلاص عمله لله تعلى وفرض على كل مكلف ومكلفة تعلم علم الوضوء والغسل والصلاة والصوم وعلم الزكاة لمن له نصاب وعلم الحج لمن وجب عليه وعلم احكام البيوع للتجار ليحترزوا عن الشبهات والمكروهات وكل من اشتغل بشيء يفرض عليه تعلم احكامه ليمتنع عن الحرام فيه اه

وفي تبيين المحارم لا شك في فرضية علم الفرائض الخمس وعلم الحلال والحرام وعلم البيع والشراء لمن اراد الدخول في التجارة وعلم الالفاظ المحرمة والمكفرة ولعمري ان هذا من اهم المهمات في هذا الزمان لانك تسمع كثيرا من العوام يتكلمون بما هو مكفر وهم عنه غافلون والاحتياط ان يجدد الرجل ايمانه كل يوم . فحقيق بكل مكلف ان

الادب

اليراعة

حي اليراعـة وافتـخر برجـالها ... واذكر مآثرها وحسن خصالها
واعجب بهـا عـودا تبز شباتـه ... حـد الاسنة سـودها وطـوالها
سبـحانك اللهـم اشرف مـقسم ... صـرفت بـالقلم الامـور لآلهـا
سطرت به اللوح العظيم مـلائك ... علمت من الاسما حقيقة حالها
فهوت سـجودا للذي رفـع السما ... ودحى الثرى بسـهولها وجبـالها
واختص ءادم بـالرعايـة فـانثنى ... ابـليس مخزيـا بـعـار زوالـهـا
فـاز اليراع بحل كل عـويصة ... قعدت اسود الحرب دون نزالها

يسعى جهده في تصحيح عقائده وتعلم ما لا بد منه لاقامة امر دينه اما بالجلوس في حلقات الدروس الدينية واما بالسؤال عن كل ما يعرض له في امور العبادة فان الدار دار اسلام لا يعذر فيها بالجهل والعلماء بحمد الله كثير وليحذر الاقبال على امر دنياه والاشتغال بها معرضا عن ءاخرته ومعاده فذلك من التهاون بالدين والغفلة عن الله. كما نرغب من علمائنا السعي في نفع العوام والاكثار من دروس الوعظ والارشاد بمختلف المساجد حتى يؤدوا الامانة التي ائتمنوا عليها ويخرجوا من عهدة التقصير وبعد أفليس من العار ان يكون بجامع الزيتونة من المدرسينماية ونيف ليس بينهم من نصب نفسه لافادة العوام وارشادهم الى صراط الشريعة الاقوم والتمسك بعروتها الوثقى ولو وفقنا لاداء هذا المهم لوجدنا من الامة اذعانا للحق وانقيادا له فان الاستعداد موجود والقيادة مفقودة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل٠

ح٠ ب

وجرى بسلسال العلوم فـاينعـت ... ازهـارهـا بمروجهـا وتـلالهـا
وزهت لاهل الضـاد دانيـة الجنى ... قـد عرست خـود المنى بظلالها
وبـذي المجلة جنة من نـورلا ... او سرحـة تغري الحجا بـدلالها
فاقد تبـدت كاعبا في وشيهـا ... تزري سنـاء الشمس في اقبالها
زفـت عـروسـا للنهـى عربيـة ... باباثها تـركيـة بجمـالهـا
وسطت على هـم الصعاب بما لهـا ... في الله من ثقـة لـدى ءاماها
قد شرفت نسبا بمنتسب الهـدى ... ركن المعـارف بيتهـا ومناها
المسجد السامي الذرى حيث الهدا ... يـة يبهـر الالباب خفق جلالها
موصولة الحلقـات موثقـة العرى ... بالمهتـدين شبابهـا ورجالهـا
القـائمين بامـرهـا والشائـدين ... ن بذكرها والتابعين لآلهـا

☆ ☆ ☆

هذي المجلة سوف يكمل حظها ... ما دام سعي الشعب نحو كمالها
واذا الجهـود تـوحـدت لمهمـة ... كتب النجاح لحالها ومـآلهـا
ان التـآزر سر كل سعـادلا ... اعيى على الاقـوام نيـل وصالها
وكـذا العظائم فكرلا في بدئهـا ... لكنمـا الانتـاج في اعمالهـا
واضر ما في الناس كفر صنيعة ... وتـرصـد لخسـارهـا وزوالهـا
خزيا لمن يقضي على آمـاله ... في مهـدها ويجـد في استحصالهـا

☆ ☆ ☆

يا شعب ان ترغب لنفسك نهضة ... فاعمل لها واتبـع خطى ابطـالها
وتطلب العليـاء من مرقـاتها ... وابـغ السعادلا من طريق مناها
واجهر بقولك نـاثـرا او شاعـرا ... وارض العروبة ما استطعت ووالها
واعد لها ما قد مضى من مجدها ... واهتف لدى سمع الدنـا بمـقالها
وانشر على الالبـاب من آدابهـا ... وابسط على الافهـام من افضالها
فالعلم في كن الصدور جهالـة ... تذر الشعوب فريسـة لنكالها

التجديد في الادب

« ابتدأت بهذا الموضوع سلسلة مقالاتي لغرضين الاول صبوة النفس اليه واعتباره اول موضوع يجب بحثه في زمن قعدت فيه الهمم عن فهم الادب العربي واستجلاء معانيه الحية ، والثاني استنهاض المنصفين من اهل الفكر للحكم في هاته القضية اما لي او علي »

***

اذا تفهمنا تطورات الادب قديما وحديثا وخبرنا الاسس التي ينبني عليها تطوره في الزمنين عرفنا سر روعته وجودته في الماضي وتدهوره وبساطة فكر ذويه في الزمن الحاضر . ولا شك ان الشاذ في كلا العصرين لا حكم له

لمتى وانت على البرية عالة — مترقب لسخائها ونوالها
هذي النصيحة من مجلتك التي — جعلت نهوضك منتهى آمالها
وستغتدي للعلم خير مطية — تتنافس الفرسان في اعجالها
في ساحة الشرف التي قد جمعت — بين العوارف في فسيح مجالها
من كل عصماء يعز مناها — وينوء بالاصداف بذل مثالها
نضدت بها آي الكتاب قلائدا — طوقن لبات النهى بجمالها
او كل تبيان يشع بلاغة — من نير العليا وقطب كمالها
طه القريشي الذي بحديثه — ازرى الفصاح وبز سحر مقالها
تلفي بها الظمآى مناهل حكمة — يجري الهدى والحق من سلسالها
ستقيم للشيم الزكية دعوة — فعل السيوف يهون دون فعالها
وستذكر الماضي بما في طيه — وتقص للخضرا حديث رجالها
وتعيد للاداب صوت جريرها — وبيان احمدها ونسج غزالها
حتى نرى بالعلم رآية تونس — تسمو لمطلع نجمها وهلالها

« الطاهر القصار »

لقد كان التجديد في الادب طبعيا يتاثر خطى المدنية ويقفو ركاب الحضارة والادب اكثر المظاهر احساسا واسرعها تطورا . واجمل ءاثاره رقة المعنى بعد جفافه وشدته وجزالة اللفظ بعد ثقله وصلابته وما ذلك الا نتيجة وفرة المعاني وكثرة الصور والمشاهدات التي تجلوها مرآة المدنية لابناء العصور بمقدار حظوظهم في الرقي والحضارة وبتفاوت تلك الحظوظ تختلف قيم الاداب وتتفاوت نتائج التفكير من الكتاب والشعراء وهو وان كان حسن النتيجة طيب الاثر في بعض العصور الغابرة الا انه لم يترك جانب الامة العربية بريئا من تهمة القصور في اللغة وعدم التضلع في آدابها وهي لعمري تهمة شنعاء لا يزيدها البعد عن العصر العربي الا قوة وثبوتا بما جعل ادب البعض كاهل الجزيرة والعراق ومن عاصرهم على روعته وحسنه مردود الشهادة في مجال الاستدلال على قواعد اللغة واثبات اصول اشتقاقها صونا لها وخوفا عليها من الامتزاج واقوى عوامله تقارب الشعوب وتجاورها واتصال المدن والممالك ببعضها . واذا عرفنا ان الادب العربي قاموس جامع للغة الضاد وان اهل الضاد في عصورهم المجيدة كانوا يتكلمون العربية سجية وخليقة فيهم لا تقوى قواهم على تغييرها او النطق بغير القياس فيها اكبرنا فكرة القادح في لغة غيرهم ممن التصق بالامم الغربية وتبادل معها الاخذ والعطاء في شتى المناحي ومختلف جهات الحياة . ولو لم يقم علماء العربية بضبط قواعد اللغة وادبها بعد ما خفقت بوارق التغيير لما بقيت لها بقية ولاصبحت كسائر اللغات الاخرى التي قوضت صرحها يد المدنية الغالبة وابقت اشكالها رموزا على الجدران والدمى لا تدرى معانيها ولا تفهم مبانيها

على ان التجديد عند القدماء لم يغير الروح العربية او يبدل كيفية تصوير المعاني او يحول اسلوب الاشتقاق في اللغة إلى غير منحاه العربي وغاية اثره هو تهذيب المعاني والالفاظ بصورة تتناسب مع مدنية العصر واختراع بعض الصور اللفظية او المعنوية اختراعاً لا يمت إلى غير الاسلوب العربي بصلة وما ذلك إلا لوقف هممهم على رعاية الادب الصحيح واحلاله بالمنزلة السامية من نفوسهم وتثقفهم بالعلوم العربية الصرفة وتعصبهم لقوميتهم ولغتهم حتى في اخريات ايامهم وما آثارهم في هذا الصدد سواء في

العصر الاموي او العباسي بالامر الذي اتت عليه الايام او طوته السنون . ولنضرب مثلا حكاية علي بن الجهم الذي يقول :

انت كالكلب في حفاظك للود   وكالتيس في قراع الكعوب

ويقول :

عيون المهى بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

فهو يستعمل الالفاظ الوحشية الغريبة عن اسماع اهل الحواضر الرافلين في شفوف الديباج والحرير والساكنين باشباه الخورنق والسدير حين لم يالف سوى الكلب والاسد والتيس والجمل ولم يتفيأ غير ظلال الشيخ والقيصوم ولم ير غير الطنب والوتد . ثم هو ينظم فرائد اللؤلؤ المكنون نظما ياخذ بالالباب والعقول لما سكن القصور . وغازل ربات الخدور . وتسنم قمم السرر المرفوعة . واتلقت امامه شموس الاكواب الموضوعة . واجال النظر فيما ابدعته يد الصناعة ووشته انامل الفن الجميل ومرح بين الفاف البساتين مع الخرد الغيد والكواعب الاتراب . ومع هذا النوع من التجديد الظاهر لا تجد الروعة العربية فارقت ثاني قوليه او الروح الخاصة بلسان الضاد قد ماتت فيه او وهنت وهو لم يعمد الى انتحال اساليب الغير او يلبس قوله ثوبا مستعارا لا يحسن لمثله لبوسا ولم يركب الاثير مطية لخياله ولا سبح في سماء الخلود سعيا الى اللانهاية ولم يسند الجمال للملائكة الغلاظ الشداد ولا هو تخيل بخيال غيره فتصور ان الملك صبي وسيم المحيا حسن الطلعة له جناحان وبيده قوس وسهم . فهو وامثاله من المجددين بحق اعظم من ان يقول قولا اذا سئل عنه بقي مبهوتاً او اجابك بجواب هو ايضاً من النوع الذي سالته عنه .

وها اهل الاندلس يتجاوز التجديد عندهم المعاني والاساليب اللفظية الى الفن العروضي ذاته فيتصرفون فيه بزيادة فن كامل له اصوله وقواعده وهو فن التوشيح الذي لم يزاحم الى اليوم بما يقوم مقامه لا سيما في الموسيقى ولم يجد له هواة التجديد على كثرتهم في هذا العصر مشابهاً او بديلا . ولكم نافسهم الادباء في عصور مختلفة بمعارضات شتى فاخطأ منهم سهم التوفيق غرضه وحاذ بهم جواد السباق عن مداره .

وما النثر باقل حظ في التجديد من الشعر فقد غيرت اساليبه وتنوعت مناهجه فارسل بعد تسجيعه واطلق بعد تقييده بفنون البديع التي من شانها غالبا التاثير على اظهار المعنى في صورته التامة لا سيما اذا لم تكمل مهارة الكاتب ولم يتم نضج قريحته وهاته الظاهرة جلية في نثر اهل الجزيرة والعراق . والعصر الاندلسي في عمومه يعد من العصور الادبية الزاهرة كما كان عصر المدنية والحضارة ولربما راى فيه البعض ضعفا ومبالغة في المجون والخلاعة بما جعله في المرتبة الثانية ازاء العصر العباسي

واني من الافراد الذين يرون غير ذلك ويقدرون الاندلس اتم التقدير ويشهدون بالتبرز لادباء الجزيرة التي انبتت تربتها امثال الغزال وابن زيدون وابن شهيد وابن خفاجة تلك الروضة التي احتملت الفنون باجمعها في ادواح افنانها الوارفة الظل حتى كبرت وترعرعت وظهرت للامم بهجة الانظار وزينة العقول . تلك الجنة التي انجبت من يقول في سينية مطلعها :

عسى خطرة بالركب يا حادي العيس على الهضبة الشماء من قصر باديس

* * *

وحانة خمار دعانا لقصدها شميم الحميا واصطكاك النواقيس
تطلع ربانيها من جداره يهينم في جنح الظلام بتقديس
بكرنا وقلنا اذ نزلنا بساحها عن الصافنات الجرد والضمر العيس
ايا عابد الناسوت انا عصابة اتينا لتثليث بلا ولتسديس
وما قصدنا الا المقام بحانة وكم البس الحق المبين بتلبيس
فانزلنا فورا على جنباتها محاريب شتى لاختلاف النواميس

ومنها :

بدرنا بها طين الختام بسجدة اردنا بها تجديد حسرة ابليس
ودار العذارى بالمدام كانها قطى تتهادى في رياش الطواويس
وصارفنا فيها نظاراً بمثله كانا ملانا الكاس ليلا من الكيس
وقمنا نشاوى عند ما متع الضحى كما نهضت غلب الاسود من الخيس

الفتاوى والأحكام

حكم لبس البرنيطة في دار الحرب ودار الاسلام

بقلم خاتمة المحققين المقدس المبرور الشيخ سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي المدرس بجامع الزيتونة المولود عام ١٢٦٢ والمتوفي عام ١٣١٣

كان لتهاون القادة وبعض اهل النفوذ بالبلاد الاسلامية بنواميس الشرع اثر ظاهر في المبادرة بنشر التحرير التالي لانه وفى الموضوع حقه واحاط به من جميع نواحيه فان ظهور المسلم بمظهر ينافي مقررات شرعه امر لا يقره الاسلام وهو دين المدنية في كل ما سنه وشرعه وكم من لوعة يتحملها الفؤاد من رؤية افراد الامة الاسلامية يبادرون للبس القبعة في البلاد الغربية لا سيما اصحاب الحيثيات والمناصب العالية الذين يذهبون لتمثيل اممهم في المؤتمرات الدولية والمحافل الرسمية . فهذا الوفد المصري الذي ذهب اخيرا الى لندن لامضاء المعاهدة المصرية الانكليزية قد راينا صور افراده بمجلات مصر المصورة في زي غربي بحت حاملين على رؤوسهم القبعات وفي مقدمتهم رئيس الوزارة المصرية رجل الساعة وحامل لواء الوطنية في الشرق متاثرين بالغربيين في ازيائهم وعاداتهم التي ضربها الاسلام بحضارته في الصميم

***

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد سالني العالم اللوذعي والنحرير الالمعي الدراكة الشهير والناقد البصير الجامع لما قد تنوسي الشيخ ابو عبد الله

فقال لبئس المسلمون ضيوفنا ... فلا وابيك الحبر ما نحن بالبيس

وهل في بني مثواك الا مبرز ... بحلبة شورى او بحلقة تدريس

اذا هز عسال البراعة فاتكا ... اسال نجيع الحبر فوق القراطيس

فبصرف النظر عن الموضوع اخلاقياً نرى ان الصورة الوصفية التي اخرجها الشاعر في قصيدته تكاد تبعث مع الاحياء ولا اصدق ان ريشة رفائيل او غيره من اساطين فن التصوير قادرة على اخراج ما صوره ابن الخطيب بلسانه . . . (له بقية)

الطاهر القصار

سيدي محمد السنوسي حرس الله كماله وبلغه في الدارين آماله عمن يتعمد لبس البرنيطة في بلاد الافرنج وهو قادر على استعمال الشاشية ولا يناله من استعمالها سوء فهل يعد لبسه لها من علامات الاستخفاف بالدين وان لم يقصد بلبسها الارتداد عن الدين وتجري مجرى علامات التهاون الظاهرة ! ام ينظر فيها لقصد لابسها ؟ واذا اعتبر قصد لابسها فهل يعتبر قضاء وافتاء ام في الفتوى فقط ؟ وهل ان قصد لابسها بلبسها مجرد الاختلاط بسواد الافرنج حتى لا يكون معروفا فيما يفعله مما يزين او يشين استتاراً عن العيون او قصد بلبسها مجرد التشبه بالافرنج لاستحسان ما هم عليه في زيهم او التحبب اليهم بوجه من الوجوه او لبسها لمصلحة فضلها بها عن الشاشية بزعم انها تصلح الراس او تزين اللابس يكون بهاته المقاصد السيئة سالماً من موجب الردة ام ان هاته المقاصد تعتبر حجة عليه في التشبه والاستحسان المفضيين للتهاون والاستخفاف بالدين ؟ وهل من لم يخالج صدره شيء من هاته المقاصد المذكورة يحمل صنيعه على ما يتراءى من الاستخفاف ام يكفي نهيه عن العود لذلك ؟ وهل لابسها للسخرية به او الاستحسان حكمه حكم من لم يكن له قصد ام حكمها مختلف ؟ وهل من يلبسها في بيته وهو مقيم في بلاد الاسلام لقصد التبرد فيما يزعم او قصد آخر غير الارتداد يكون سالما بقصده وهو بين اظهر المسلمين يرونها علامة مختصة بالمرتدين ام لا ؟ جوابكم الشافي لا زلتم ماجورين وبعين العناية ملحوظين انتهى نص السؤال .

فاقول في الجواب والله الموفق للصواب . اختلف مشائخنا فيمن لبس علامة المجوسي مع القدرة على الترك قال في الفتاوى الهندية يكفر بوضع قلنسوة المجوسي على راسه على الصحيح الا لضرورة دفع الحر والبرد وبشد الزنار في وسطه الا اذا فعل ذلك خديعة في الحرب وطليعة للمسلمين اه وقال فقيه النفس قاضي خان في فتاواه مسلم وضع على رأسه قلنسوة المجوسي قال الشيخ الامام ابوبكر محمد بن الفضل رحمه الله لا يكفر بذلك قال رضي الله عنه هذا الجواب انما يصح اذا فعل ذلك ضرورة ولا يعتقد انه يصير به كافرا فان فعل ذلك وظن انه يصير به كافرا او يقصد به الاستخفاف بالدين فانه يصير كافرا . وعن عبد الله ابن ابي جعفر ان فعل ذلك يريد به تقبيح فعلهم لا يكون

كفر اهـ وقال في البزازية وضع قلنسوة المجوسي على رأسه قيل لا يكفر لانه موحد بلسانه مصدق بجنانه قال الامام رحمه الله لا يخرج احد من الايمان الا من الباب الذي دخل به والدخول بالاقرار والتصديق وهما قائمان وقيل يكفر لانه علامة ولا يلبسها الا من التزم التمجس والاستدلال بالعلامة والحكم بما دلت عليه مقرر في العقل والشرع اهـ وفي الفصول العمادية وجامع الفصولين واللفظ للثاني وضع قلنسوة المجوسي على رأسه قال بعض المشائخ كفر وقال بعضهم لا يكفر وبعض المتاخرين قالوا لو لضرورة كدفع برد او غيره لا باس به والصحيح انه يكفر وما ذكروا من الضرورة ليس بشيء اذ يمكنه ان يمزقها ويخرجها عن تلك الهيئة حتى تصير شبه القطعة لبد فيدفع ضرر البرد عن نفسه ثم قال في جامع الفصولين شد زنارا على وسطه او وضع عسليا على كتفه كفر اقول لقائل ان يقول في لبس مثل هذه الاشياء ينبغي ان يكون على نيته فلو اعتقد انه كفر كفر والا فلا اذ الاصل ان لا يكفر احد من اهل القبلة والاسلام راجع الى الاقرار والاعتقاد فاذا سلم عما يوجب الكفر ينبغي ان لا يتسارع الى الكفر الا بشيء يوجبه قطعا ويمكن رده بما روي عن النبيء صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بقوم فهو منهم فينبغي ان يكفر به اهـ وقال في الاشباه ويكفر لو تزنر بزنار اليهود او النصارى دخل كنيستهم او لم يدخل ولو قال كنت استهزىء بهم ولا اعتقد دينهم صدق ديانة اهـ وقيد في البحر الكفر بلبس الزنار بما اذا كان يقصد الاستخفاف بالاسلام اما لو فعل ذلك خديعة في الحرب وطليعة للمسلمين لا يكفر اهـ

قلت واذا ثبت الخلاف في قلنسوة المجوسي ثبت في قلنسوة النصارى المسماة بالبرنيطة وقلنسوة غيرهم من الكفار اذ لا فرق بين الجميع وكذلك يثبت الخلاف في غير القلنسوة من الملبوسات التي هي علامة ظاهرة على التمجس او اليهودية او النصرانية او غيرها من فرق الكفر اذ لا فرق بين علامة وعلامة مع استواء الجميع في كون كل منها علامة ظاهرة على الكفر ثم على القول بان لابس الامور المذكورة كافر فالاحتمالات المذكورة في السؤال كلها سواء لان مجرد اللبس مكفر على هذا القول سواء انضم له شيء اخر ام لا وقد انبنى هذا القول على اعتبار ظهور العلامة في الكفر فيثبت الاستخفاف

المنافي للتعظيم . قال الكمال ابن الهمام في المسايرة ولاعتبار التعظيم في الايمان المنافي للاستخفاف كفرت الحنفية بالفاظ كثيرة وافعال تصدر من المتهتكين لدلالتها على الاستخفاف بالدين اه وعلى هذا القول فما يقضي به القاضي من الكفر هو ما يفتي به المفتي اذ لا فرق بين ما به القضاء وما به الفتوى قال في الدر المختار نقلا عن صاحب التصحيح والترجيح :

لا فرق بين المفتي والقاضي الا ان المفتي مخبر عن الحكم والقاضي ملزم به اه نعم بعض مسائل الطلاق والعتاق تختلف في كون صاحبها يصدق ديانة لا قضاء كما صرح به في البحر من كتاب الايمان واصحابنا يعبرون فيها بالديانة وبقولهم فيما بينه وبين ربه وكذا بعض مسائل الردة وقد تقدمت مسالة منها في كلام الاشباه ومنها مسالة من اراد ان يقول اكلت فقال كفرت قال في جامع الفصولين قال محمد لا يكفر قالوا هذا محمول على ما بينه وبين ربه فاما القاضي فلا يصدقه اه وكذا بعض مسائل الايمان كالحالف بالاسم المشترك كالحليم وقال اني نويت غير الله سبحانه قال في البحر نقلا عن البدائع لا يكون يمينا لانه نوى محتمل كلامه فيصدق في امر بينه وبين ربه تعلى اه اي ولا يصدق قضاء لانه خلاف الظاهر قال الامام الزيلعي لان دلالة القسم معينة لارادة اليمين اذ القسم بغيره تعلى لا يجوز اه

واما على القول بان لابس الامور المذكورة غير كافر ولو مع القدرة على لبس غيرها فان لم يقصد بلبسها الارتداد عن الدين فعدم الكفر ظاهر لانه لم يقصد امراً مكفراً وانما الذي صدر منه مجرد لبسها واصحاب هذا القول لم يجعلوا مجرد اللبس لعلامة من علامات الكفار من علامات الاستخفاف بالدين الذي يكفر صاحبه اذا وجد فان الظاهر ان العلامة المعتبرة عندهم هي العلامة القاطعة كوضع المصحف في القذورات والسجود للصنم فان الوضع والسجود المذكورين من العلامات القاطعة على الاستخفاف بكتاب الدين وبالشارع للدين ولا يخفى ان لبس مثل هذه الامور ليس بهذه المثابة قطعا والا لما وقع فيها خلاف .

يؤيد ما قررناه من الدراية تعليل اصحاب هذا القول عدم الكفر بقولهم لانه موحد

بلسانه مصدق بجنانه فقد اعتبروا التصديق قائما قياما معتدا به مع ان الاستخفاف اذا تحقق تزعزع التصديق لانه ينافيه فيكون التصديق مع الاستخفاف حكمه حكم العدم لآن الاستخفاف من امارات التكذيب المنافي للتصديق كما صرح به المحقق التفتزاني في شرح العقائد

ويؤيده ايضا ما قاله صاحب جامع الفصولين في البحث الذي ابداه المؤيد لقول هؤلاء من انه ينبغي ان لايتسارع الى الكفر الا بشيء يوجبه قطعا اه

وحكم ما اذا لبسها لمجرد الاختلاط بسواد الافرنج حتى لا يكون معروفا فيما يفعله مما يزين او يشين استتارا عن العيون كحكم ما اذا لبسها ولم يقصد بلبسها الارتداد عن الدين لانه لم يقصد امرا مكفرا وكذلك لبسه لها لمصلحة فضلها بها على الشاشية بزعم انها تصلح الراس او تزين اللابس لانه لم يقصد امراً مكفرا وكذلك لبسه لها للسخرية به لانه جعل نفسه سخرية بلبسها ففيه استخفاف بالعلامة الملبوسة وتقبيح لها وقد تقدم عن قاضي خان انه نقل عن عبد الله ابن ابي جعفر انه ان لبسها يريد تقبيح فعلهم لا يكون كافرا وكذلك لبسه لها في بيته وهو مقيم في بلاد الاسلام لقصد التبرد او قصد آخر غير مكفر فانه يكون سالما بقصده من موجب الردة وهو بين اظهر المسلمين يرونها علامة مختصة بالمرتدين

واما حكم لبسها لاستحسان ما هم عليه او التحبب اليهم بوجه من الوجوه فهو مختلف فان كان الاستحسان راجعا الى الديانة وكذا التحبب بحيث انه يستحسن ديانة الافرنج ويفضلها على ديانة المسلمين ويتحبب اليهم من جهة استحسانه ديانتهم فانه كفر وان كان الاستحسان والتحبب راجعا الى مجرد ما هم عليه من اتقان امور الدنيا كالصناعات والمعارف من حيث انها موصله للكسب ورواج التجارة واصلاح البلدان والمنازل حيث لم يكن في ذلك امر راجع الى الديانة ويدخل في هذا جميع امورهم الدنيوية التي لا تمس الديانة بشيء فانه ليس بكافر قال في البحر :

يكفر بتحسين امر الكفار اتفاقا حتى قالوا لو قال ترك الكلام عند اكل الطعام حسن من المجوس او ترك المضاجعة حالة الحيض منهم حسن فهو كافر اه . وقال في

الاشباه قال التاجر ان الكفار ودار الحرب خير من بلاد الاسلام والمسلمين لا يكفر الا اذا اراد ان دينهم خير وقال في جامع الفصولين معلم صبيان قال اليهود خير من المسلمين بكثير فانهم يقضون حقوق معلم صبيانهم كفر اقول لو اول ان مراده تقبيح معاملة اهل بلاده وبيان تغيير الاحوال عن قانون الشرع لا اهانة الاسلام هل يكفر ؟ ينبغي ان لا يكفر ديانة ولكن ينبغي ان لا يصدق قضاء اذا اطلق المسلمين بلا تخصيص قوم اه.

واذا علمت الخلاف في كفر لابس علامات الكفار فالذي عليه الفتوى في باب الردة في المسالة الخلافية انه لا يفتى بالكفر وانه يتعين الافتاء بعدمه قال في جامع الفصولين:

روى الطحاوي عن ابي حنيفة لا يخرج الرجل من الايمان الا جحود ما ادخله فيه ثم ما يتيقن بانه ردة يحكم بها وما يشك انه ردة لا يحكم بها اذ الاسلام الثابت لا يزول بالشك مع ان الاسلام يعلو وينبغي للعالم اذا رفع اليه هذا ان لا يبادر بتكفير اهل الاسلام مع انه يقضي بصحة اسلام المكره اه.

وقال في الفتاوى الصغرى: الكفر شيء عظيم فلا اجعل المؤمن كافرا متى وجدت رواية انه لا يكفر اه . قال في البحر: ولو كانت تلك الرواية ضعيفة اه قال خير الدين الرملي: ولو كانت تلك الرواية لغير أهل مذهبنا ويدل عليه اشتراط كون ما يوجب الكفر مجمعا عليه اه . وقال في البحر: من باب البغاة يقع في كلام اهل المذهب تكفير كثير لكن ليس ذلك من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون بل من كلام غيرهم ولا عبرة بغير الفقهاء كما قاله الكمال ابن الهمام اه وقال في البحر من باب الردة والذي تحرر انه لا يفتى بتكفير مسلم امكن حمل كلامه على محمل حسن او كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة فعلى هذا فاكثر الفاظ التكفير المذكورة في كتب الفتاوى لا يفتى بها قال الكمال ابن الهمام وقد الزمت نفسي ان لا افتي بشيء منها اه وقال في البزازية ويحكى عن بعض ما لا سلف له انه كان يقول ما ذكر في الفتاوى انه يكفر بكذا وكذا فذلك للتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر وهذا باطل اه قال الفاضل الحموي في حواشي الاشباه والحق ان ما صح عن المجتهدين فهو على حقيقته اي فيفتى به واما ما ثبت عن غيرهم فلا يفتى به في مسالة التكفير ولذا قال الكمال ابن

الهمام في الفتح ان الذي صح عن المجتهدين في الخوارج عدم تكفيرهم ويقع في كلام كثير تكفيرهم لكن ليس ذلك من كلام الفقهاء المجتهدين بل من كلام غيرهم ولا عبرة بغير الفقهاء اه وقال في الدرر اذا كان في المسالة وجوه توجب الكفر وواحد يمنعه فعلى المفتي الميل لما يمنعه ثم لو نيته ذلك الوجه الواحد فهو مسلم والا لم يمنعه حمل المفتي على خلافه اه ومثله في الفصول العمادية

ولا يخفى عليك ان العمومات المتقدمة لا تختص بالاقوال بل تعمها والافعال ايضا فعلى هذا لا يفتى بكفر لابس علامات الكفار اذا لم يصحبه قصد امر مكفر واذا لم يكفر لابس هذه العلامات فانه يكون بلبسها قد فعل محرما ويؤمر بالاستغفار والتوبة وتجديد النكاح قال في المحيط :

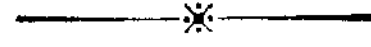
ما كان في كفره اختلاف فان قائله يؤمر بتجديد النكاح وبالتوبة والرجوع عن ذلك بطريق الاحتياط اه وقال الشرنبلالي في شرح الوهبانية ما يكون كفرا اتفاقا يبطل العمل والنكاح واولاده اولاد زنى وما فيه خلاف يؤمر بالاستغفار والتوبة وتجديد النكاح اه وقول صاحب المحيط بطريق الاحتياط معناه كما في رد المحتار ان المفتي يامره بالتجديد ليكون وطؤه حلالا باتفاق وظاهره انه لا يحكم القاضي بالفرقة بينهما اه قال في الفصول العمادية ثم ان اتى بكلمة الشهادة على وجه العادة لم ينفعه ما لم يرجع عما قال لانه بالاتيان بكلمة الشهادة على وجه العادة لا يرتفع الكفر اه

قلت وحاصله ان الرجوع لا بد ان يكون مع التبري مما قال او فعل مما يدل على الكفر

وحيث فعل بلبس العلامات الخاصة بالكفار محرما فانه يعزر قال في الاشباه كل مرتكب معصية لاحد فيها . فيها التعزير اه وقال في البحر ان كل مرتكب معصية ليس فيها حد مقدر يجب تعزيره باجماع الامة اه . نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا اللهم انا نعوذ بك ان نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه وصلى الله على على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

سؤال وجواب

قد ورد سؤال على العالم النحرير المدرس الشيخ سيدي الناصر الصدام عن حكم دفع زكاة الحبوب نقودا فمهد بنظمه الى نظم الجواب عنه حسبما تتبينه فيما يلي :



بتوفيقك اللهم جد لي تفضلا ويسر اموري يا كريم وسهلا
وصل على المختار من ءال هاشم محمد المبعوث للخلق مرسلا
وبعد فوافاني سؤال مهذب يروم جوابا محكما ومفصلا
محصله هل يجزي المال مسقطا زكاة حبوب عندما العام امحلا
اجبت نعم تجزي الدراهم عندنا اذ المال بالحاجات تلفيه اكفلا
فاحرى يكون المال للفرض مسقطا اذا ادخروا للقوت حبا وسنبلا
يريد بنا الله اليسار تفضلا ويدفع عنا العسر والشر والغلا
فقد قال للساعي النذير معنفا مقالا يريك الرفق بالخلق اعدلا
الم (١) انهكم عن اخذ اكرم مالهم غداة رأى الكوماء فيما تحصلا
عليه صلاة الله ما دام رفقه يفوق شذاها زرنبا وقرنفلا
كذا الال والاصحاب من رفعوا لنا قواعد دين بالرعاية اكملا

الناصر الصدام

(١) في هذا البيت تضمين شيء من كلامه صلى الله عليه وسلم وهو انه لما راى الكوماء فيما سعى الساعين غضب لذلك غضبا شديدا وقال « الم انهكم عن اخذ كرائم اموال الناس » وفيه تنبيه على ناموس من نواميس العمران وتعليم من تعاليم الاسلام الراقية افصح عنه القرآن الكريم في قوله سبحانه « خذ العفو الاية » ذلك ان في اخذ العفو حكما منها الوئام الذي لولاه لهلك الانام ومنها استدامة المودة

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب

ومنها تربية الوازع الديني في نفوس الماخوذ منهم وبتكامله تتكامل المقاصد وتكتسب المحامد.

صفحة الشباب

لمحة خاطفة من حياة الشباب

في العصر الحاضر

بقلم الاديب الفاضل البحاثة صاحب الامضاء

لما وضعت الحرب الكبرى اوزارها ورجعت الجنود الى مساقط رؤسها . بعد ذلك الامتزاج البالغ والارتباط الوثيق بين افراد مختلف الامم التي خاضت غمارها وانغمست في حماتها المسنونة . دخلت بعد ذلك الحياة العامة في مضمار تنذر دلائله بالتعقد والفوضى من جراء التفاعل الذي حصل من مزيج اخلاق متباينة واراء متطرفة وقد ظهر اثر ذلك بارزا في حياة الشباب وعلى الخصوص الناحية الاخلاقية منه ، ولعل ذلك يرجع الى ما في طباعه من نزق وعقوله من طرق يسهلان عليه تأثره بما يفد عليه من الاراء المستجدة والمنازع الفكرية في كل مناحي الحياة حتى يصير كقصبة تميله رياح المدنية الوافدة أنى شاءت وتتقاذفه تياراتها الجارفة الى ان تنتهي به الى سواحل الاماني الخادعة والاحلام الكاذبة وهناك يرتطم بصخرة الحقيقة القاسية فيصبح من النادمين .

وضروري ان لا يتاثر الكهول والشيوخ كتاثر الشباب اذ لاولئك من الاناة والتجارب ما يمنعهم من الانغمار في بهرج تلك الحياة ويربا بهم عن ان يدرعوا هجيرها ويخوضوا دجاها

قلنا ان انقلاب حياة الشباب كان اثره بارزا ينذر بوخامة العقبى وسوء المصير ذلك ان الشباب قد استبدل من اخلاقه الذي هو ادنى بالذي هو خير ، فآثر الاثرة على الغيرية واستمرأ النفاق على الصراحة فتراه يلاقيك بابتسامته المصطنعة وهو متحمل على الخبث قد طوى كشحه على الحقد عليك والكيد لك . يهزأ بالنصيحة ويستيطب المخادعة

وهو الى ذلك قد أوزع بالمظاهر الخارجية الكاذبة دون ان يابه بزكاء النفس وسمو العاطفة ونبالة الاحساس وطهارة الوجدان فراج عنده الادب الداعر وغاض فيه الحياء وفاض على يده الفسوق فندت عنه الفضيلة وشاعت بينه الرذيلة وخبت منه الانسانية الكاملة وطغت عليه الحيوانية الضارئه وتوزعت لذلك اطماعه هنا وهناك حتى كنت تجد ضحاياه في كل مكان ومخازيه في كل منعرج وهو مع ذلك لا يفكر في شيء تفكيره فيما يبلغ به ابعد غايات التمدن المزعوم ، وما درى الغمر انه يسير بخطى سريعة طائشه نحو التردي في مهواة الانحطاط السحيقة

لو كانت جناية هذه الطائفة مقصورة عليها لهان الم الحسرة اما وضررها يتجاوزها الى دينها ووطنها وعشيرتها فان الحسرة تتضاعف وتتضاعف جدا . وهذا ما اهاب بالمفكرين في كل الامم الى ان يعيروا حياة الشباب جانبا من عنايتهم ويستعرضوا ادواءه ويصفوا دواءه . حتى يتقوم ما ارتبك من اخلاقه ويستقيم على الطريقة المثلى فينضو عنه اوضار المدنية الساخرة العابثة ويتدرع بالخلق الكامل ليصير عنصر نشاط في حياة الامة معتزا برجولته مسترفعا بقسطه من اكلاف الحياة الجادة

وبعد فانا لنرجو لمجلتنا هذه ـ وهي في اول الطريق ـ ان تكون خير اداة لتقويم الشباب والسير به نحو المثل الاعلى للانسانية الفاضلة حتى تؤدي بذلك ما تفرضه عليها رسالة الفضيلة والتهذيب

م العنابي

في فقه الفرائض

ظهر في عالم المطبوعات التونسية كتاب « الغرة في شرح فقه الدرة » للعالم النحرير الفرضي الشيخ الصادق الشطي المدرس من الطبقة الاولى المالكية بجامع الزيتونة المعمور وهو شرح نفيس على قسم الفقه من متن الدرة البيضاء لمؤلفه الشيخ عبد الرحمان الاخضري نحا فيه طريقة الكتب المدرسية الحديثة من سهولة العبارة وجودة التنسيق وجعل تمارين عقب كل باب فسد ثلمة في كتب الدراسة بالجامع

وقد قررت مشيخة الجامع تدريسه لتلامذة السنة الرابعة من المرتبة الابتدائية لما ر ت فيه من الصلوحية للتدريس على الطريقة البيداغوجية الجارية على اساليب التعليم الصحيحة بعد ان عرضته على لجنة علمية مشكلة خصيصا لهذا الغرض فأبدت رأيها بصلوحيته لذلك

ونحن بدورنا نثني على همة الشيخ العلمية وندعو له بالاعانة والتوفيق كما نرجو من سائر شيوخ التدريس بالمعهد الزيتوني ان ينسجوا على هذا المنوال حتى يعم نفعهم ابناء عصرهم ومن سيجيء بعد من الاجيال

المرجو من القارىء الكريم تصحيح الاخطاء الآتية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	١٣	عليهم مقابلة	عليهم في مقابلة
٣	١	واتت	ورانت
٣	٢	وما تكون	ولا تكون
٣	٧	واختلت	واختلفت
٣	٧	مشاريعها	مشاربها
٣	٧	الفكر	الناس
٤	٧	عبرها	عبيرها
٦	٣	زين	تزين
٧	٣	رئيش	رئيس
٨	١٩	بغبته	بغيته
٨	٢٠	حاشيه	حاشية
١١	١٣	ضميرة	ضميره
١٦	٣	وتوقيت	وتوخيت
٣٢	٦	هم	همم
٣٩	٨	القطعة	قطعة
٣٨	١٨	المجوسي	المجوس
٣٨	١٨	المجوسي	المجوس
٣٨	٢٠	المجوسي	المجوس
٣٩	١	المجوسى	المجوس
٣٩	٥	المجوسي	المجوس
٣٩	١٨	المجوسى	المجوس

سقط السطر الاتي من صفحة ٣٧ وهو السطر الخامس عشر ونصه «وفيما يلي نص السؤال الوارد على صاحب التحرير من صديقه الشيخ محمد السنوسي عن الموضوع ثم نص الجواب كما هو بنسخة بخط المجيب قدس الله روحه»

تباع المجلة بالحاضره في الاماكن التالية :

المكتبة العلميةسوق الكتبية عدد ١٢

مكتبة الاستقامة نهج سيدي بن عروس عدد ٣٤

المكتبة العتيقة نهج سوق الصوف عدد ١٣

مكتبة السيد محمد معلا نهج سيدي ابن عروس عدد ٤٤

دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف عدد ٧٢



المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء الثاني	تونس في شعبان عام ١٣٥٥ وفي اكتوبر عام ١٩٣٦	المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

الجزء الثاني — المجلد الاول

فهرس العدد

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات	٢٠
« للتلامذة «	١٥
« خارج المملكة (وحدة البريد) «	٣٠

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

المجلد الاول	تونس في شعبان عام ١٣٥٥ وفي اكتوبر عام ١٩٣٦	الجزء الثاني

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر النصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٠٧-٣٧

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

من المجلة الى قرائها

تتقدم المجلة الزيتونية بوافر الشكر وجزيل الثناء الى عموم التونسيين على ما اظهروه من الاهتمام بها والاقبال عليها بما دعى الى اعادة طبع العدد الاول وجعل الهيئة القائمة عليها تنظر للمستقبل بعين الفرح والابتهاج . وتتوسم في نجاح هذا المشروع الذي اقدمت عليه بدافع الواجب الديني والعلمي وتخص بشكرها وثنائها اولئك السادة الافاضل الذين عملوا على توفير عدد المشتركين فيها وعلى نشرها بسرعة في سائر انحاء القطر . وتخص بالثناء ايضا اصحاب الجرائد الذين كتبوا على المجلة فنوهوا بشانها أيما تنويه واثنوا على هيئة القائمين بها او تقدموا اليها بملاحظات دفعهم اليها مبدأ التناصح الذي بدونه لا تخلو الاعمال من اخلال . والمجلة عند ما تبتهج بذلك لا يكون ابتهاجها منظورا فيه الى ما في ذلك من النجاح المادي - وان كان به نجاحها ونموها ودوامها بحول الله - وانما تنظر الى ما هو اسمى من ذلك وارفع وهو الاعانة على نشر المبادي الدينية والعلمية بين جميع الطبقات على احسن وجه واقرب اسلوب . وانا نغتنم هاته الفرصة لابداء ملاحظة تتعلق بتحديد مبدأ المجلة الذي ستسير عليه بحول الله ليكون في ذلك جواب عن بعض ملاحظات يدفع الى ابدائها حسن نية اصحابها مع غفلتهم عن المبدأ . ان (المجلة الزيتونية) انما اسست لخدمة العلم والدين وليست خاصة بطبقة معينة من الناس تسايرهم وتماشيهم وتعرض عن سواهم اذن فهي تنشر المباحث العلمية الدقيقة التي قد لا تهم الا طبقات معينة من الناس . وتنشر المباحث الدينية والاجتماعية التي تهم عموم الناس فتحصل بها للعالم الذكرى ويتعلم منها غيره ما لم يحط به خبرا . ومن طبيعة هذا الازدواج ان تنشر فيها مقالات تكون محررة على ما تقتضيه المباحث العلمية . من دقة في التحرير . وسمو في التعبير . ولا يكون في ذلك غضاضة في نظر الناقد البصير . ومن جهة اخرى فالمجلة في اول حياتها ولا بد لكل قادم من دهشة فهي جديرة بان تحضى من قرائها بالتسامح والاغضاء وان ينظر اليها بعين الرضاء وان يتجاوز عما عساه ان يكون فيها من تقصير او سهو والله الموفق الى السداد . والهادي بفضله الى سبيل الرشاد.

قلم التحرير

المشاريع

بين العزائم الصادقة والمثبطين للعزائم

المشاريع مهما تعددت انواعها واختلفت مراميها وتباينت مقاصدها من دينية وعلمية وادبية واجتماعية وتجارية واقتصادية فاساس نجاحها ٠ وشرط انتاجها صدق العزيمة في القائمين عليها ٠

فاذا بلغك عن مشروع انه كون او هو بصدد التكوين واردت ان تعلم مبلغه من النجاح والدوام ٠ فابحث عن القائمين به ٠ فان تحققت ان لهم عزيمة صادقة فبشر بنجاح ذلك المشروع ٠ والا فاحكم عليه بالاضمحلال ٠ من يوم الاستهلال

فملاك الاعمال كلها ٠ والمحور الذي تدور عليه رحاها هو العزيمة الصادقة

فما هي العزيمة الصادقة ؟

هي ان يكون الشارع في عمل من الاعمال معتقدا بصحته ٠ موقنا بنتيجته ٠ جازما جزما لا شك فيه انه سيصل الى مبتغاه بعد بذل الجهد والاعتماد على الله معرضا عن البطالين والمثبطين للعزائم ٠ مضحيا بنفسه وباعز ما عنده في سبيل تحقيق ما عزم عليه غير مكترث بما سيناله من الاتعاب ٠ وبما سيصادفه في طريقه من المشاكل الصعاب ٠

فاذا تحققت هذه الشروط فذلك هو صدق العزيمة الذي هو سر النجاح

وفي اعتقادي ان تحققها غير صعب وانما يستدعي شيئا من الممارسة والتعود على الفضائل حتى تصير كالطبيعة للانسان ٠

ولكن منها شرط واحد هو اصعبها تحققا واشدها مراسا ٠ الا وهو الاعراض عن المثبطين للعزائم ٠ فهم الداء العضال المسلط على المشاريع الفاتك بها ٠

فالمثبطون للعزائم مثابتهم بمثابة الحيوانات السامة المفترسة ٠ الا ان هاته تفتك بارواح البشر ٠ وهم يفتكون بارواح المشاريع ٠ ولعل هذا النوع من الفتك اشد ضررا واعظم مسئولية من النوع الاول ٠ لان القضاء على المشاريع هو في الحقيقة قضاء على حياة امم كاملة

ولعل مما يؤسف له : ان يكون هذا الخلق خلق تشبيط العزائم متفشيا في بلادنا بصورة عجيبة وعدوا نامية ولا تزال تنمو بكيفية مزعجة مخيفة بحيث يخشى من خطرها كما يخشى من جراثيم مرض الحمى والبلهريسيا . وتجب مقاومتها باشد انواع المقاومة كما تقاوم جراثيم هاته الامراض .

ان خلق تشبيط العزائم قد قضى على هذه البلاد وعلى تقدمها وعلى انتاج اهلها وعلى عزائم قادتها وعلى قرائح نبغائها . وعلى نشاط العاملين فيها .

فوقفت في مكانها وقد سارت الامم اشواطا الى الامام . وتعطل انتاجها وقد ملأ انتاج غيرها عوالم البر والبحر والسماء . وخارت عزائم قادتها وقد صحت عزائم قادات الامم حتى صارت اصلب من الحديد . وتعطلت عقول نبغائها عن العمل المثمر وقد اينعت ثمار العقول في جميع الاقطار والبلدان . وقضى على نشاط الحازمين فيها وقد ايدوا ونصروا عند جميع الاجناس .

وما الذلك من سبب الا هذا الداء العضال داء تشبيط العزائم

تفكر في مشروع من المشاريع ـ كاحداث مدرسة لتعليم البنات المسلمات الدين واللغة العربية وتسعى لابرازه للخارج . فيخطر ببالك ان تتحدث في شانه مع بعض أهل بلادك كما هو الواجب . فتتحرك في نفسه نعرة التشبيط ويتهيأ لمقاومتك فيبدالك اولا بقوله إن هذا المشروع لا تصادقك عليه الحكومة ـ والحكومة هي السلاح الاول الذي يتدرع به كل من لا يريد العمل فتعارضه بان هذا مشروع علمي محض نكل حكومات العالم ـ حتى الحكومة الحبشية المرحومة ـ تعين عليه فيقول لك هب ان الحكومة آذنتك بفتح هاته المدرسة فاين المال الذي ستنفقه على القيام بها . فتقول له سانفق عليها مما يدفعه اولياء البنات في كل شهر ومما تجود به همم اهل الفضل والاحسان على هذا المشروع . فيعارضك بان هذه الموارد لا يصح الاعتماد عليها لان ولي البنت ان دفع شهرا فانه لا يستمر على الدفع . واهل البر ان دفعوا مرة فانهم لا يزيدون عليها . فتقول له : هذا سوء ظن بك وغفلة عما وصلت اليه امتنا من الرقي وادراك المشاريع النافعة واي مشروع انفع من تكوين شابات مسلمات يتعلمن الدين الصحيح ويكون لنا

ابناء المستقبل مشبعين بروح الدين وحب لغتهم العربية فمن غير شك ان مشروعا كهذا ستتوافر هممهم على اعانته وبذل كل ما يملكون في سبيله . فتبكته حجتك ولكن لا يرجع عما جبل عليه من التثبيط فيسلك بك مسلكا آخر ويقول لك : هب ان ذلك كله يتم فهناك مشكلة كبرى تحول دون اتمام هذا الموضوع وهي ان اولياء البنات ليست لهم ثقة فيمن سيباشر تعليم بناتهم من الرجال وما يدريك لعل مجالس التعليم تنقلب الى مجالس لهو وفجور . فتقول له قد بلغت يا هذا في سوء الظن وخبث النفس فارجع عن هذا التفكير الاحمق وحسن نيتك في ابناء جنسك فيقول لك : هذه نصيحتي اسديتها اليك وستشاهد صحتها ثم ينصرف .

وما هو في الحقيقة بناصح ولا بمريد للخير ولا بمعتقد لصحة ما يقول ولكنه خلق تثبيط العزائم استولى عليه حتى تركه يهذي بما يتنزه عنه المحموم

وهنا يظهر صدق العزيمة . فان كنت متحليا به فانك تعرض عن هذا المثبط الخائن ويتجلى لك انه واحد من اعوان ابليس الذين يعملون له ما يعجز عن ان يعمله بنفسه وعند ذلك تستعيذ بالله من شره وتمضي في تنفيذ مشروعك الذي فكرت فيه . وان كنت محروما من صدق العزيمة فانك تهتم بما قاله لك ويأخذ عليك مشاعرك وتقوم عندك احتمالات صحة ما اشار به اليك فتاخذ عزيمتك في الانحلال شيئا فشيئا حتى تعتقد بصعب تحقيق ذلك المشروع ثم بتعذره ثم بتعسره ثم باستحالة وقوعه حتى يصير ذلك المشروع عندك نسيا منسيا .

فهذه صورة من مآت الصور التي تقف فيها المشاريع بين مد العزائم الصادقة وجزر المثبطين للعزائم . وفي الغالب تتغلب الثانية على الاولى . فتضمحل المشاريع ويقضى عليها وهي في مهدها .

ولعل بعض الناس يتساءل عن العلة النفسية لهذا الخلق الذميم . ويظهر لي ان علة ذلك ترجع الى خلق آخر وهي ان كل انسان متصف ببعض الرذائل يتمنى فشوها بين جميع الناس . فالمقامر يبتهج بكثرة المقامرين والسكير يفرح كثيرا بتفشي الخمر بين الناس . والنمام يعمل اقصى جهده لتعويد الفضلاء على النميمة وهكذا . لان المتلبس

برذيلة يحس بانحطاط نفسه وحقارتها بالنظر لغير المتلبسين بها فهو يحرص على فشوها من الناس ليكون له بذلك تسلية عما هو فيه وتثبيط العزائم من اكبر الرذائل ايضا وهو شيء عن عدم استعداد النفوس للعمل وعدم قدرتها على تحمل مشاق المشاريع العظمى الابتكارات المفيدة وصاحب هذا الخلق يعرف مقدار هذه الرذيلة ويشعر بامتهان نفسه ضعف عزيمته وانه لا يعيش الاكلا على المجتمع فهو لذلك يسعى جهده في تثبيط عزائم الناس الذين يتوقع انهم يقدرون على العمل المنتج حتى يكونوا مماثلين له في الكسل والبطالة وعدم الانتاج وبذلك يقضي لبانة ما انطوى عليه من خبث النفس تدرن الطوية .

فواجب على كل من يريد القيام باعباء اي مشروع من المشاريع ان يطبع نفسه على العزيمة الصادقة والاستهزاء بالمثبطين الماكرين . وان لا يلتفت اليهم ولا يقيم لهم وزنا . لانهم اعداء انفسهم واعداء اممهم بل واعداء العالم كله .

ونحن اذا قلبنا صفحات التاريخ من يوم خلق الله الارض الى يوم الناس هذا نجد ان مثل هذا الصراع بين صادقي العزائم والمثبطين ظاهر في جميع الاطوار والنواحي والاتجاهات . فان تغلب صدق العزيمة ـ وهو القليل ـ نجحت الاعمال . وتحققت الآمال . وان تغلب التثبيط ـ وهو الكثير ـ تعطلت المشاريع وقضي عليها .

خذلك مثلا بما قصه علينا القرءان العظيم مما وقع لرسل الله عليهم الصلاة والسلام من المشاق الكثيرة والمتاعب التي لا يقدر على تحملها الا من اصطفاهم الله لاداء الامانة وتبليغ الرسالة . فهذا سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام يبالغ قومه في أذايته حتى يفضي بهم الحال الى القائه في النار . وهو مصر على ما جاء يدعوهم اليه من نبذ الاوثان واخلاص العبادة لله وحده . وهذا سيدنا يوسف وهذا سيدنا يوشع وهذا سيدنا ذو النون الى غيرهم من بقية الرسل عليهم الصلاة كلهم قد عانوا في سبيل الله ما عانوا وكانت الغلبة لهم على اقوامهم وكان النصر حليفا لهم عليهم . وما ذلك الا لما اودع الله فيهم من صدق العزيمة والثبات الذي دونه ثبات الرواسي الشامخات حتى سماهم الله باولى العزم .

وقد اشار القرآن الى ان الغرض من بسط قصصهم مع اقوامهم هو تربية العزيمة الصادقة في النفوس حتى لا تكون تلك المقاومات حائلا بين الرجال وبين ما يعزم على القيام به من الاعمال الصالحة والدعايات النافعة . فقال الله تعلى (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) ـ وقال الله تعلى (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدن لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون)

ثم اذا التفتنا بعد ذلك الى تواريخ الامم نجد ان ابطالها وزعماءها لم يتمكنوا من النهوض بها وتغيير مجاري حياتها الا بفضل ما لهم من الثبات وصدق العزيمة والصبر على الشدائد • وتحمل المكاره • ومن اجل ذلك كان هذا النوع عزيزا في الرجال • ولله در ابي الطيب في قوله :

لا يدرك المجد الا سيد فطن ❀ لما يشق على السادات فعال
لولا المشقة ساد الناس كلهم ❀ الجود يفقر والاقدام قتال
وانما يبلغ الانسان طاقته ❀ ما كل ماشية بالرحل شملال (١)

فعلى كل من اراد النجاح وبلوغ الغاية التي يرمي اليها ان يتدرع بصدق العزيمة • وان لا يترك لهؤلاء المثبطين عليه من سبيل •

وواجب على كل امة تريد ان تنهض بنفسها • وان تصل الى ما تصبو اليه من عز وسؤدد ان تقاوم هؤلاء المثبطين وان تعمل للقضاء عليهم . بعدم الالتفات اليهم وتركهم وشق الجمل • يلاحظون فتلغيهم • ويتكلمون فتسكت عنهم • ويتظاهرون بالنصح فتعمل بنقيض ما به ينصحون •

وهب ان عدة مشاريع تلاقيها عند تكوينها اعاصير الرياح فتبددها • وتصادفها موانع فتقضي عليها فلا ينبغي ان يكون ذلك مثبطا لعزائم العاملين . لان مثل هاته

---

(١) الشملال الناقة القوية السريعة في مشيها ـ ومعنى البيت ان كل انسان يجري في السيادة على قدر طاقته فليس كل احد اهلا للاضطلاع باعباء السيادة حتى يستطيع ان يسود ويبلغ مبلغ العظماء من الرجال . كما انه ليس كل ناقة مشت بالرحل شملالا .

العوارض من شانها ان تصادف جميع الموجودات وتصادم جميع الكائنات . ولكن ليس في ذلك دليل على فساد المشاريع ولا ان فيه ما يدعو الى ترك العمل لانه يكفي الانسان فخرا ان ينجح في مشروع من مائة مشروع يسعى فيه . وقديما قالوا :

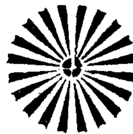
على المرء ان يسعى بما فيه نفعه ❀ وليس عليه ان تتم المطالب

وينبغي ان لا يذهل قارىء هذا المقال عن الفرق بين المثبطين الذين كنا نتحدث عنهم . واطلنا في التحذير منهم . وبين المرشدين النصحاء الذين ان انتقدوا فللاصلاح خلل . وان قالوا فلتقويم اعوجاج . وان حذروا فلتهيئة القائمين على المشاريع الى مقاومة ما يحذرونهم منه . مع الصدق والجد والترفع عن سفساف الاغراض . فهؤلاء يجب الاهتمام بهم وتنشيطهم والعمل بما به ينصحون . بل اعتقد ان هذا الصنف من الناس لا بد من وجوده او من ايجاده لانهم ا راس الامناء على المشاريع من ان يتطرقها خلل او يطرأ على القائمين عليها ادنى زلل . والى مثلهم يشير شاعر الحماسة عند ما قال :

ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ❀ ايادي لم تمنن وان هي جلت
راى خلتي من حيث يخفى مكانها ❀ فكانت قذى عينيه حتى تجلت

فعلى العاقل ان يميز بين الناس ويتبين مقاصدهم . ويفرق بين من يسرحسوا في ارتغاء . ويعمل للقضاء على المشاريع واحباط المقاصد وبين من يكون صادقا في نصيحته ولا غرض له الا الارشاد ونفع العباد . والله الموفق والهادي الى سواء السبيل

محمد المختار بن محمود



القرآن الكريم

دروس التفسير

لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

بقية المقدمة الاولى في التفسير والتاويل

هذا وفي عد التفسير علما تسامح اذ العلم اذا اطلق اما ان يراد به نفس الادراك نحو قول المنطق العلم اما تصور واما تصديق . واما ان يراد به الملكة المسماة بالعقل . واما ان يراد به التصديق الجازم وهو مقابل الجهل وهذه غير مرادة في عد العلوم واما ان يراد بالعلم المسائل المعلومات وهي مطلوبات خبرية يبرهن عليها في ذلك العلم وهي قضايا كلية ومباحث هذا العلم ليست بقضايا يبرهن عليها فما هي بكلية بل هي تصورات جزئية غالبا لانه تفسير الفاظ او استنباط معان فاما تفسير الالفاظ فهو من قبيل التعريف اللفظي واما الاستنباط فمن دلالة الالتزام وليس ذلك من القضية

فاذا قلنا ان يوم الدين في قوله تعلى ملك يوم الدين هو يوم الجزاء . واذا قلنا ان قوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا مع قوله وفصاله في عامين يؤخذ منه ان اقل الحمل ستة اشهر عند من قال ذلك لم يكن شيء من ذلك قضية بل الاول تعريف لفظي والثاني من دلالة الالتزام الا انهم عدوا تفسير الفاظ القرءان علما مستقلا اراهم فعلوا ذلك لواحد من وجوه ستة الاول ان مباحثه لكونها تؤدي الى استنباط علوم كثيرة وقواعد كلية نزلت منزلة القواعد الكلية لانها مبدأ لها ومنشأ ولا شك ان ما تستخرج منه القواعد الكلية والعلوم اجدر بان يعد علما من عد فروعه علما وهم قد عدوا تدوين الشعر علما لما في حفظه من استخراج نكت بلاغية وقواعد لغوية . الثاني ان نقول ان اشتراط

كون مسائل العلم قضايا كلية يبرهن عليها في العلم خاص بالعلوم المعقولة لان هذا اشتراط ذكره الفلاسفة في تقسيم العلوم اما العلوم الشرعية والادبية فلا يشترط فيها ذلك بل يكفي ان تكون مباحثها مفيدة كمالا علميا لمزاولها وواعيها والتفسير اعلاها في ذلك كيف وهو بيان مراد الله تعلى من كلامه وهم قد عدوا البديع علما والعروض علما وما هي الا تعاريف لالقاب اصطلاحية . الثالث ان نقول التعاريف اللفظية تصديقات على رأي بعض المحققين فهي تؤل الى قضايا وتفرع المعاني الجمة عنها نزلها منزلة الكلية . والاحتجاج عليها بشعر العرب وغيره يقوم مقام اقامة البرهان على المسالة وهذا الوجه يشترك مع الوجه الاول في تنزيل مباحث التفسير منزلة المسائل الا ان وجه التنزيل في الاول راجع الى ما يتفرع عنها وهنا راجع لذاتها مع ان التنزيل في الوجه الاول في جميع الشروط الثلاثة وهنا في شرطين لان كونها قضايا انما يجيء على مذهب بعض المنطقيين . الرابع ان نقول ان علم التفسير لا يخلو من تقرير قواعد كلية في اثنائه مثل تقرير قواعد النسخ عند تفسير « ما ننسخ » وتقرير قواعد التاويل عند تقرير « وما يعلم تاويله » وقواعد المحكم عند تقرير « منه ءايات محكمات » فسمي مجموع ذلك وما معه علما تغليبا .

هذا وقد اعتنى العلماء باحصاء كليات تتعلق بالقرآن وجمعها ابن فارس وذكرها عنه في الاتقان وعني بها الكفوي في كلياته فلابدع ان تزاد تلك في وجوه شبه مسائل التفسير بالقواعد الكلية . الخامس ان حق التفسير ان يشتمل على بيان اصول التشريع وكلياته فكان بذلك حقيقا بان يسمى علما ولكن المفسرين ابتدأوا بتقصي معاني القرءان فطفحت عليهم وحسرت دون كثرتها قواهم فانصرفوا عن الاشتغال بانتزاع كليات التشريع الا في مواضع قليلة . السادس وهو الفصل ان التفسير كان اول ما اشتغل به علماء الاسلام قبل الاشتغال بتدوين بقية العلوم وفيه كثرت مناظراتهم فكان هو قمطر العلوم الشرعية فمن اجل ذلك سمي علما .

ويظهر ان هذا العلم ان اخذ من حيث انه بيان وتفسير لمراد الله من كلامه كان معدودا من اصول العلوم الشرعية وهي التي ذكرها الغزالي في الضرب الاول من العلوم

الشرعية المحمودة من كتاب الاحيا (١) لانه عد اولها الكتاب والسنة ولا شك انه لا يعني بعلم الكتاب حفظ الفاظه بل فهم معانيها وبذلك صح ان يعد راس العلوم الاسلامية كما قال البيضاوي وان اخذ من حيث ما فيه من بيان مكي ومدني وصيفي وشتاءي وناسخ ومنسوخ ومن قواعد الاستنباط التي تذكر ايضا في علم اصول الفقه من عموم وخصوص وغيرهما كان معدودا في متممات العلوم الشرعية المذكورة في الضرب الرابع من كلام الغزالي وبذلك الاعتبار عده فيها اذقال الضرب الرابع المتممات وذلك في علم القرآن ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءات والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل والى ما يتعلق باحكامه كالناسخ والمنسوخ والعام والخاص وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه انتهى وهو بهذا الاعتبار لا يكون رئيس العلوم الشرعية .

وهو اول العلوم الاسلامية ظهورا اذ قد ظهر الخوض فيه من عصر النبيء صلى الله عليه وسلم اذ كان بعض الصحابة يساله عن مشكل بعض معاني القرءان كما ساله عمر رضي الله عنه عن الكلالة ثم اشتهر فيه بعد من الصحابة علي وابن عباس وهما اكثر الصحابة قولا في التفسير وزيد بن ثابت وابي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهم وكثر الخوض فيه حين دخل في الاسلام من لم يكن عربي السجية فلزم التصدي لبيان معاني القرءان اليهم وشاع عن التابعين واشهرهم في ذلك مجاهد وابن جبير

واما تصنيفه فاول من صنف فيه عبد الملك بن جريج المكي « المولود سنة ٨٠ والمتوفي سنة ١٤٩ » صنف كتابه في تفسير ءايات كثيرة وجمع فيه ءاثارا وغيرها واكثر

(١) فانه قسم العلوم الى شرعية وغيرها وقسم الشرعية الى محمودة ومذمومة وقسم المحمود منها الى اضرب اربعة اصول وفروع ومقدمات ومتممات فالاصول الكتاب والسنة والاجماع وءاثار الصحابة والثاني الفروع وهو ما فهم من الاصول وهو الفقه وعلم احوال القلوب والثالث المقدمات كالنحو واللغة والرابع المتممات للقرءان وللسنة وللاثار وهي القراءات والتسفير والاصول وعلم الرجال وليس في العلوم الشرعية مذموم الا عرضا كبعض احوال علم الكلام وبعض الفقه الذي يقصد للتحيل ونحوه

روايته عن اصحاب ابن عباس مثل عطاء ومجاهد وصنفت تفاسير نسبت رواياتها عن ابن عباس لكن اهل الاثر تكلموا فيها وهي تفسير محمد ابن السايب الكلبي « المتوفي سنة ١٤٦ » عن ابي صالح عن ابن عباس وقد رمي ابوصالح بالكذب حتى لقب بكلمة « دروغدت » بالفارسية بمعنى الكذاب وهي اوهى الروايات فاذا انضم اليها رواية محمد بن مروان السدي عن الكلبي فهي سلسلة الكذب ارادوا بذلك انها ضد مالقبوه بسلسلة الذهب وهي مالك عن نافع عن ابن عمر وهنالك رواية مقاتل ورواية الضحاك ورواية علي ابن ابي طلحة الهاشمي كلها عن ابن عباس واصحها رواية علي ابن ابي طلحة وهي التي اعتمدها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه فيما يصدر به من تفسير المفردات على طريقة التعليق دون الاسناد وقد خرج في الاتقان جميع ما ذكره البخاري من تفسير المفردات عن ابن ابي طلحة عن ابن عباس مرتبة على سور القرآن والحاصل ان الرواية عن ابن عباس قد اتخذها الوضاعون والمدلسون ملجأ لتصحيح ما يروونه كدأب الناس في نسبة كل امر مجهول من الاخبار والنوادر لاشهر الناس في ذلك المقصد .

وهنالك روايات تسند لعلي رضي الله عنه اكثرها من الموضوعات الاما روي بسند صحيح مثل ما في صحيح البخاري ونحوه لان لعلي افهاما في القرآن كما ورد في صحيح البخاري ان عليا قال مجيبا لمن ساله اعندك شيء من العلم ليس عند غيرك فقال ماعندنا الاكتاب الله وهذه الصحيفة واخرج صحيفة فيها ذكر الديات ونحوها ثم قال الافهما يرزقه العبد في كتاب الله ثم تلاحق العلماء في تفسير القرآن وسلك كل فريق مسلكا ياوي اليه وذوقا يعتمد عليه فمنهم من سلك مسلك نقل ما يؤثر عن السلف واشهرهم محمد ابن جرير الطبري ومنهم من سلك مسلك النظر كابي السحاق الزجاج وابي علي الفارسي وشغف كثير بنقل القصص عن الاسرائليات فكثرت في كتبهم الموضوعات الى انجاء في عصر واحد عالمان جليلان احدهما بالمشرق وهو العلامة ابو القاسم الزمخشري فالف كتاب الكشاف والاخر بالمغرب بالاندلس وهو الشيخ عبد الحق ابن عطية فالف تفسيره المسمى بالمحرر والوجيز وكلاهما يغوص على معاني الآيات وياتي بشواهدها من كلام

العرب ويذكر كلام المفسرين الا ان منحى البلاغة على الزمخشري اغلب ومنحى الشريعة على ابن عطية اغلب وكلاهما عضادتا الباب ومرجع من بعدهما من اولي الالباب

وقد جرت عادة المفسرين بالخوض في بيان معنى التاويل وهل هو مساو للتفسير او اخص منه وجماع القول في ذلك ان من العلماء من جعلهما متساويين والى ذلك ذهب ثعلب وابن الاعرابي وابو عبيدة وهو ظاهر كلام الراغب ومنهم من جعل التفسير للمعنى الظاهر والتاويل للمتشابه . ومنهم من قال التاويل صرف اللفظ عن ظاهر معناه الى معنى آخر محتمل لدليل فيكون هنا بالمعنى الاصولي فاذا فسر قوله تعلى « يخرج الحي من الميت » باخراج الطير من البيضة فهو التفسير او باخراج المسلم من الكافر فهو التاويل وهنالك اقوال اخر لا عبرة بها وهذه كلها اصطلاحات لا مشاحة فيها الا ان اللغة والآثار تشهد للقول الاول لأن التاويل مصدر اوله اذا ارجعه الى الغاية المقصودة والغاية المقصودة من اللفظ هو معناه وما اراده منه المتكلم به من المعاني فساوى التفسير من حيث انه لا يطلق الا على ما فيه تفصيل معنى خفي معقول ولذلك استعمل مجازا في التنمية والتفصيل في قول الاعشى :

على انها كانت تاول حبها ❀ تاول ربعي السقاب فاصحبا

اي تفسر حبها انه كان صغيرا في قلبه فلم يزل يشبت حتى صار كبيرا كهذا السقب اي ولد الناقة الذي لم يزل يشب حتى كبر وصار له ولد يصحبه قاله ابو عبيدة وقد قال الله تعلى هل ينظرون الا تاويله « اي لا ينظرون الا بيانه الذي هو المراد منه والغاية وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس « اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل » اي فهم معاني القرآن وفي حديث عائشة رضى الله عنها « كان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي يتاول القرآن » اي يعمل بقوله تعلى فسبح بحمد ربك واستغفره فلذلك جمع في دعائه التسبيح والحمد وذكر لفظ الرب وطلب المغفرة فقولها يتاول صريح في انه فسر الآية بالظاهر منها ولم يحملها على ما تشير اليه من انتهاء مدة الرسالة وقرب انتقاله صلى الله عليه وسلم الذي فهمه منها ابو بكر وعمر وابن عباس رضي الله عنهم .

الحديث الشريف

« بقية شرح حديث موسى والخضر المنشور نصه بالجزء الاول »

بقلم الاستاذ الشيخ محمد البشير النيفر المدرس بقسم
التخصص والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

حاصل الحديث ان سعيد ابن جبير اخبر ابن عباس رضي الله عنهما بما يقول نوف البكالي ان موسى الذي قص الله من خبره مع العبد الذي آتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما ليس هو موسى بني اسرائيل بل موسى آخر فانكر ابن عباس هذا القيل بقوله كذب عدو الله وساق من حديث ابي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة موسى والخضر ما يبطل ما ذهب اليه نوف . قال ابن التين لم يرد ابن عباس اخراج نوف عن ولاية الله ولكن قلوب العلماء تنفر اذا سمعت غير الحق فيطلقون امثال هذا الكلام لقصد الزجر والتحذير منه وحقيقته غير مرادة

وجوز الحافظ ابن حجر ان يكون ابن عباس اتهم نوفا في صحة اسلامه ولهذا لم يقل في حق الحر بن قيس هذه المقالة مع تواردهما عليها . قلت اشار الحافظ الى ما أخرج البخاري في كتاب العلم في باب ما ذكر في ذهاب موسى عليه السلام في البحر الى الخضر من ان ابن عباس تمارى هو والحر بن قيس الفزاري في صاحب موسى قال ابن عباس هو خضر فمر بهما ابي ابن كعب فدعاه ابن عباس فقال اني تماريت انا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سال موسى السبيل الى لقيه الخ

وانت ترى ان الحر بن قيس لم ينكر ان يكون موسى الكليم هو صاحب الخضر كما انكر نوفا البكالي وانما كان يماري في صاحب موسى فمتعلق الانكارين مختلف

والظاهر ان لا ينظر اليهما بعين واحدة حتى ينال الذاهب الى كل واحد مثل ما ينال الاخر من لوم وانكار فكلام الحافظ مجال كما رايت والله اعلم

قلت وعلى ما رآه ابن التين ننتزع من كلام ابن عباس حجة لمذهب الجمهور الذين يفسرون كذب الخبر بعدم مطابقته للواقع وان وافق الاعتقاد وما رآه ابن عباس واحتج له هو ما عليه جمهور اهل العلم والتاريخ

قال القرطبي الجمهور من اهل العلم والتاريخ انه موسى بن عمران المذكور في القرآن ليس فيه موسى غيره وقالت فرقة منهم نوف البكالي انه ليس موسى بن عمران وانما هو موسى بن مشا بن يوسف بن يعقوب وكان نبيا قبل موسى بن عمران

واحتج ابن عباس على بطلان ما قال نوف بما رواه ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قام موسى النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم. الحديث

قوله (قام خطيبا) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما ظهر موسى وقومه على ارض مصر نزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار امره الله ان يذكرهم بايام الله فخطب قومه فذكرهم ما اراهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون واهلك عدوهم واستخلفهم في الارض ثم قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه والقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه فجعلكم افضل اهل الارض ورزقكم العز بعد الذل والغنى بعد الفقر والتوراة بعد ان كنتم جهالا فقال له رجل من بني اسرائيل عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض اعلم منك يا نبي الله ؟ قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه ذكره القرطبي ومثله في الكشاف مختصرا قال ابن عطية : وما يروى ان موسى عليه السلام انزل قومه بمصر الا في هذا الكلام بل الظاهر ان موسى مات بفحص التيه قبل فتح ديار الجبارين والرواية عن ابن عباس توافق صريح حديث الباب ان موسي عليه السلام سئل عن ذلك . ولكن في رواية للنسائي من طريق عبد الله ابن عبيد عن سعيد ابن جبير بهذا الاسناد انه قام خطيبا فعرض في نفسه ان احدا لم يؤت من العلم مثل ما اوتي وعلم الله بما حدث به نفسه .

ورواية مسلم نحو من رواية البخاري في ان موسى سئل عن هذا ولا يبعد الجمع بين رواية النسائي وغيرها بان موسى صلى الله عليه وسلم عرض هذا الخاطر في نفسه وسئل عنه

وقوله في الحديث فسئل (اي الناس اعلم فقال انا اعلم قال الشهاب القسطلاني اي بحسب اعتقاده وهذا ابلغ من السابق في باب الخروج في طلب العلم : هل تعلم ان احدا اعلم منك فقال لا فانه انما نفى هنالك علمه وهنا على البت) هذا كلامه رحمه الله اما قوله أي بحسب اعتقاده فهو يلوح به الى درء شبهة واردة وهي ان موسى عليه الصلاة والسلام معصوم من قول غير الحق فكيف يقول انا اعلم مع ما اوحى الله به اليه : ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين . هو اعلم منك

ونظير هذا ما اجاب به بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ذي اليدين كل ذلك لم يكن من ان المعنى كل ذلك لم يكن في ظني

ونقل القاضي عياض عن بعضهم ان معنى قوله انا اعلم انه اعلم بما تقتضيه النبوة وامور الشريعة وسياسة الامة ، ويدل له قول الخضر عليه السلام انت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وانا على علم علمنيه الله لا تعلمه . واذ كان كذلك فخبره عن ذلك صدق نقله الشيخ الابي واقره

وللعبد فيه نظر وذلك ان الذي يفيده الحديث ان الله بين لموسى عليه الصلاة والسلام بما اوحى اليه ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو اعلم منك ان قوله : انا اعلم لا يتفق مع ما في علم الله تعالى وحينئذ فاما ان يكون قول موسى عليه الصلاة والسلام انا اعلم معناه انه اعلم بكل شيء ويكون الله بين له ان من عباده من هو اعلم منه ببعض الامور ، واما ان يكون معناه انا اعلم بشيء خاص مثل ما تقتضيه النبوة وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الله قد بين له ان من عباده من هو اعلم منه بذلك الخاص . وعلى التقديرين فقد تبين لموسى عليه الصلاة والسلام ان ما قاله لم يتفق هو وما علمه الله . واما حمل قوله انا اعلم على ان معناه انا اعلم بشيء خاص وهو ما تقتضيه النبوة وامور الشريعة وسياسة الامة كما نقله القاضي عياض عن بعضهم مع حمل متعلق علم الخضر

على غير متعلق علم موسى عليهما الصلاة والسلام وهو لا يلاقي ما اقتضاه ظاهر الحديث من ان الله بين لموسى بقوله: ان عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك ان ما قاله لا يتفق مع ما في علمه جل وعلا

والذي يتعين او يكاد يتعين ان معنى قول موسى عليه الصلاة والسلام: انا اعلم انه اعلم بكل شيء وان الله بين له ان من عباده من هو اعلم منه ببعض الامور

واما قول الشهاب القسطلاني: فهذا ابلغ من السابق في باب الخروج في طلب العلم فحاصله ان الذي تقدم للبخاري في باب الخروج في طلب العلم ان موسى عليه الصلاة والسلام كان في ملأ من بني اسرائيل اذ جاءه رجل فقال: اتعلم احدا اعلم منك فقال موسى لا الحديث. فراى الشهاب ان في هذه الرواية نفي العلم. واما رواية الباب فالمنفي بها البت

وهذا عجيب من مثل الشهاب فقد رايت قريبا انه تأول قول موسى عليه الصلاة والسلام: انا اعلم بقوله: اي بحسب اعتقاده. وبهذا تتحد رواية الباب بالرواية السابقة من جهة المعنى ولا تكون الثانية ابلغ

ومما يزيدك ثقة بصحة راينا هذا قول الحافظ ابن حجر في الفتح

قيل انه (١) مخالف لقوله في الرواية السابقة في باب الخروج في طلب العلم. قال هل تعلم احدا اعلم منك. وعندي لا مخالفة بينهما لان قوله هنا انا اعلم اي فيما اعلم فيطابق قوله: لا في جواب من قال له هل تعلم احدا اعلم منك اه ومثله للمازري

وقوله في الحديث: فعتب الله عليه اذ لم يرد الامر الى الله. قال الامام المازري معنى العتب عدم الرضا بقوله شرعا واما العتب بمعنى الموجدة وتغير النفس فلا يجوز على الله تعالى وهو يشير به الى ان الكلام من باب الكناية ومثله معروف مشهور. وقوله اذ لم يرد العلم اليه علة للعتب اورد العلم الى الله بان يقول انا والله اعلم او نحوا من هذا

وقوله في الحديث: فاوحى الله اليه ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين الخ قال في

(١) اي قوله انا اعلم

مدارج السالكين العبودية نوعان عام وخاص فالعبودية العامة عبودية اهل السماوات والارض كلهم برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم فهذه عبودية القهر والملك قال الله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه لقد جئتم شيئا ادا يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السماوات والارض الا آتي الرحمن عبدا) وقال : قل اللهم فاطر السماوات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) وقال : « وما الله يريد ظلما للعباد » « ان الله قد حكم بين العباد »

واما النوع الثاني فعبودية الطاعة والمحبة وامتثال الاوامر قال تعالى : يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون وقال فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه . وقال : وعباد الرحمان الذين يمشون على الارض هونا . وقال تعالى حكاية عن ابليس : لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فقال تعالى : ان عبادي ليس لك عليهم سلطان . فالخلق كلهم عبيد ربوبية واهل طاعته وولايته عبيد الوهية

وانما انقسمت العبودية الى عامة وخاصة لان اصل معنى اللفظ الذل والخضوع يقال طريق معبد اذا كان مذللا بوطء الاقدام ويقال عبده الحب اذا ذلله . لكن اولياؤه خضعوا له وذلوا طوعا واختيارا وانقيادا لامره ونهيه واعداؤه خضعوا له قهرا ورغما

واذا علمت انقسام العبودية الى القسمين فعبودية الخضر من القسم الثاني وفي ضمنها القسم الاول كما هو ظاهر .

قال في المدارج والله تعالى جعل العبودية وصف اكمل خلقه واقربهم اليه فقال : لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون وقال : « واذكر عبدنا داود واذكر عبدنا ايوب » واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب وقال عن المسيح : ان هو الا عبد انعمنا عليه . ووصف اكرم خلقه عليه واعلاهم عنده منزلة بالعبودية في اشرف مقاماته فقال تعالي : وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وقال : تبارك الذي نزل الفرقان على عبده . وقال : الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فذكره بالعبودية في مقام انزال الكتاب عليه والتحدي بان ياتوا بمثله . وقال : وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه

لبدا فذكره بالعبودية في مقام الدعوة اليه وقال : سبحان الذي اسرى بعبده فذكره بالعبودية في مقام الاسراء .

ولننظم في هذا السلك قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا وما جاء في حديث الباب فاوحى الله اليه : ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين الخ

وهذا العبد هو الخضر كما جاء التصريح به فيما اخرجه البخاري في غير هذا الموضع من كتاب العلم وفي كتاب التفسير ايضا وتقدم التنبيه على هذا وان ابن عباس تمارى هو والحر بن قيس في صاحب موسى الذي سأل السبيل الى لقيه وان ابي ابن كعب روى لهما عن النبيء صلى الله عليه وسلم ما يرفع الاشكال .

وقوله بمجمع البحرين : قال الشهاب القسطلاني اي ملتقى بحر فارس والروم من جهة الشرق او بافريقية او طنجة اه

قلت اما القول بانه ملتقى بحر فارس والروم فقد عزاه القرطبي الى قتادة وعزاه ابو حيان الى مجاهد ايضا . قال ابن عطية : وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من الشمال الى الجنوب في ارض فارس من وراء اذربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام هو مجتمع البحرين على هذا القول

واما القول بانه بافريقية فقد عزاه الى أبي واما . القول بانه بطنجة حيث مجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه فقد عزاه ابو حيان الى جماعة منهم محمد بن كعب . وفيه اقوال أخر اظهرها بطلانا انه موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم . قال في البحر المحيط : وهذا شبيه بتفسير الباطنية وغلاة الصوفية . والاحاديث تدل على انهما بحرا ماء . واولى هذه الاقوال بالقبول قول مجاهد وقتادة لان موسى عليه السلام كان بالشام

قال الابي : وقيل ان جميع القصة كانت بافريقية وان الصخرة صخرة ابي الربيع وان الجدار بالمحمدية وان السفينة من السفن التي كانت تحمل الحجر بالحنايا وهذا كله بعيد لان موسى عليه الصلاة والسلام كان بالشام فيبعد ان ياتي منها لافريقية ماشيا هذا كلامه وهو سديد

يتبع

محمد البشير النيفر

الحديث الموضوع

كانت دروس فضيلة العلامة النحرير الشيخ سيدي محمد الصادق النيفر نوادي عام تجمع طبقات الناس المختلفة من رجالات العلم الى العامة لما كان لاسلوبه السامي من جاذبية ولما كان لفضيلته من المقدرة الكبرى في تيسير امهات مسائل العلم على المستمع والنزول بها الى الاذهان البسيطة مع المحافظة على روحها ورونقها ، ولذا كانت رحاب دروسه غاصة الجوانب مفعمة افعاما . وقد تخرج منها عدد كبير من علماء تونس ورؤس مدرسي الجامع واساتذته . وها هو اليوم يمتع قراء المجلة الزيتونية بشيء من آثاره الجليلة

***

وضع الحديث ـ دواعيه ـ علاماته ـ ما اشتهر منه

ان دعامة الاسلام شيدت على اسس محكمة قويمة . ولولا ذلك لانهار الاسلام (لا قدر الله) اذ قد مني باعداء الداء يحاربونه بكرة وعشيا ويرشقونه بنبال سهامهم الحسية والمعنوية وربما املوا ان يبلغوا بالثاني ما لم ينالوا بالاول وما هم ببالغيه

ومن بين تلك الطرق التي حاولوا بها طعن الاسلام في الصميم وضع احاديث مكذوبة دسوها في الحديث الشريف المروي عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم وما دروا انه (والحمد لله) دين مجيد تنزيل من حكيم حميد لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ولقد قيض الله له في كل عصر علماء مصلحين وخدمة للدين ناصحين فذبوا عن حياض السنة بما اوتوا من قوة وعزيمة ودمغوا صفوف الملحدين وكانوا شجا في حلق الذين تهاونوا بحديث من كذب علي (١) فليتبوا مقعده من النار وهو حديث كما قال ابن الجوزي ليس في الدنيا حديث نظيره اجتمع عليه العشرة المشهود لهم بالجنة وقال فيه السيوطي رواه اكثر من مائة من الصحابة

(١) سياتي ما يتعلق بزيادة لفظة متعمدا

ولما اشتمل عليه هذا الحديث الصحيح من شديد الوعيد الذي ليس بعده من مزيد كان بعض الصحابة يقلل من رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح عن انس رضي الله عنه انه قال ليمنعني ان احدثكم حديثا كثيرا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار وفي صحيح البخاري وغيره عن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما قال قلت للزبير اني لا اسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان قال اما اني لم افارقه منذ اسلمت ولكني سمعته يقول من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار زاد الدارقطني والله ما قال متعمدا وانكم تقولون متعمدا

ولعظم ضرر الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم الذي ربما حول وجهة الدين وقلب بعض حقائقه ترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لمن عرفه هو بالامانة وكمال التقوى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه حين روى[1] له حديث الاستيذان لتاتيني على هذا بالبينة فقام ابو سعيد الخدري رضي الله عنه وشهد معه فقال عمر لابي موسى اني لم اتهمك ولكن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغم كون علماء الحديث خدموا الاسلام خدمة كبرى بتبيين الصحيح من الضعيف والثابت من الموضوع لم يزل بعض خطبائنا (هداهم الله للصراط السوي) يروون الحديث في خطبهم الجمعية وان كان موضوعا بقصد الترغيب الذي لا يرتضيه الشرع وينفر منه العقل والطبع كما ستقف عليه (بحول الله) مفصلا ولا نظلم الخطباء بنسبة التقصير اليهم وحدهم بل بعض الجلة من العلماء يكتفون من الاستدلال بالحديث بمجرد كونه قيل (وان لم يعلم درجة الناقل) : روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

جزى الله عنا سلفنا الذين سبقونا بالايمان وخدمة اهله احسن الجزاء فليس في معرفة الحديث الصحيح من غيره اليوم كبير العناء .

فاذا ولينا وجهتنا لبيان بعض الاحاديث الموضوعة على التحقيق[2] مع نتف من اسباب وضع الحديث ودواعيه كان ذلك من باب التذكير .

---

(١) القصة في صحيح البخاري — (٢) قلنا ذلك لان بعض من الف في الحديث الموضوع تساهل فحكم بالوضع على احاديث ربما كانت صحيحة

الدواعي لوضع الحديث

لو لم يقف الباحث على الاسباب التي عدها علماء الحديث لما كان يظن ان يقدم على وضع الحديث الا زنديق مارق ولكن يا للاسف نجد من بينهم الزهاد والوعاظ وضعوا الحديث بدعوى الحث على الخير او الردع عن الشر ويتسلل من يضع منهم الحديث من الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم بانه كذب له لا عليه كما حكوا عن ابي عصمة المروزي انه وضع احاديث في فضائل السور وقال اني رايت الناس اعرضوا عن القرآن فوضعت هذه الاحاديث حسبة ولعمري ليس هذا بعذر يزحزحه عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعض المبتدعة كالكرامية يجوزون الوضع في الترغيب والترهيب وهو خلاف اجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الاجماع .

ولا حاجة تدعوا الى ذكر اسماء الاشخاص الذين وضعوا الحديث لان الكتب المؤلفة في الجرح والتعديل والضعفاء والمدلسين قد كفتنا مؤنة ذلك وانما نذكر بعضا على سبيل التمثيل .

فمن الزنادقة الوضاعين للحديث محمد بن سعيد الشامي فزاد في حديث انا خاتم النبيين لا نبي بعدي : الا ان يشاء الله .

ومن دواعي الوضع جلب الناس الى حظيرتهم واخذهم للعمل على شاكلتهم كحديث اشتهر عندنا وهو من وضع المشركين « لو احسن احدكم ظنه بحجر لنفعه » قال ابن القيم الجوزية هو من كلام عباد الاصنام الذين يحسنون ظنهم بالاحجار ومنها الحرص على التقرب من ذوي السلطة والحكم كمن زاد في حديث لا سبق الا في خف او حافر او نصل او جناح لما رأى امير وقته معجبا باقتناء الحمام .

ومنها التغالي في حب شخص كالاحاديث الموضوعة في فضل الامام ابي حنيفة او الامام الشافعي او حب بلاد كالاحاديث الموضوعة في فضل مصر او فاس ومنها الحسد وشدة البغض كالاحاديث الموضوعة في ذم الترك

الوعظ والإرشاد

الدعوة الى الاصلاح واثرها في المجتمع

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن »

الارشاد والسؤال دعامتا الاصلاح – ما يكتنف المصلح من النزعات – الدعوة الى التجديد – المحافظون والمجددون والمحايدون – هل التجديد ضروري في حياة الامم – اماطة اللثام عن وجه الحقيقة في التجديد –

اذا كانت النتيجة التي بلغنا اليها في بحثنا السابق ان امر الاصلاح يعتمد على ركنين الارشاد ـ والسؤال ٠ وشرحنا بعض نقط يلزم المرشد ان يعيرها جانبا من اهتمامه٠ ولا يليق بمن ينصب نفسه ليقوم بهذا الامر الخطير ان يتغافل عنها لا سيما وهو يكتنفه من النزعات ما يكون في بعض الاحيان سببا في صدة عن بلوغ الغاية التي تصبو نفسه اليها وحائلا دون الهدف الذي يرمي اليه ٠ والناس جماعات هذا متحفظ وذاك ناقم عليه

ومنها ان يرى بعض من ينتسب للصلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ويحدثه بكلام ثم يستيقظ ويحدث بذلك الحديث من دون ان يذكر انه منام وكان الواجب عليه بيان ذلك ليعلم السامع الحال لان رؤيا المنام لا تثبت حكما وان كانت رؤيته صلى الله عليه وسلم حقا فالكلام الذي يسمعه الرائي في منامه تارة يكون تلقيه صحيحا موافقا وتارة يكون غير صحيح بحسب طهارة روح الرائي وجسمه

وقبل ان نسبح بك في خضم احاديث اشتهرت بين اظهرنا عامة وخاصة نعرج بك على ذكر علامات وضع الحديث

يتبع

خادم الحديث : محمد الصادق النيفر

يرميه بالجمود ويدعوا الناس الى آراء ومباد جديدة هي في نظره نبراس الهدى للمهتدين

وما الدعوة الي التجديد التي شغلت افكار ابناء هذا العصر وما يقابلها من التحفظات والمجهودات التي تبذل في صد الناس عن الاصغاء اليها والتأثر بها الا نوع من تلك النزعات التي تحف بالمرشد . وانه ليلذ لي ان ابسط في هذا المقام القول في كلا النظرين وما يصاحبهما من الاراء

التجديد . كلمة رددتها ألسنة ابناء هذا العصر في مختلف الاقطار الشرقية . ونزعة توخوها لانقاذ اممهم مما بداهم عدم صلاحه من نظم وعادات قاسوها على ما تعارفته امة اخرى غير امتهم فادركوا ان ما عليه قومهم جدير بالنقض حتى يسهل احلال غيره محله . ولم يقف بهم السير عند منتهى هذا الطريق بل استعدوا لمقارعة ما هو ادق من هذا وذاك الا وهو العقيدة وما تدين به امتهم فزعموا ان تعاليم الدين قد التبس فهمها على الخاصة فتضلل العموم . وما حسبه الفريق الاول والثاني بانقياده له سبيل السعادة هو عند الناقد منهم لا يمت الى السعادة بسبب فنازعهم في ذلك اولئك المتحفظون وكونوا لانفسهم جبهة متراصة محكمة النظام وأسلاكا شائكة دبروا استحكاماتها في وجه خصومهم المجددين .

وقاموا بحملات استدامة لما عليه الناس وتحفظا منهم ان يعبث اصحاب النزعات بكيان الامة مسايرة لبوارق الاصلاح التي تفتق لهم عبيرها من تلك الاكمام التي لم يتربصوا لبحثها هل هي اكمام اقحوان ظاهره فيه نعومة الجمال وباطنه عذاب ام هي اكمام القرنفل طيب الظاهر والباطن

فنسف خصومهم هذا الزعم بمنطق غير مألوف افضى بتمسك كل طائفة بنظرياتها واتسع الخلف . ودعا كل واحد قومه لمباديه . ولكن كانت النتيجة بعد ذلك ان انقسمت صفوف الامة وتحزبت على نفسها ولا يعلم الا الله كيف ستكون النهاية اذا لم يتنبه القادة الى هاته الاخطار نعم اتسع الخلف ونحل كل فريق الى الآخر ما يناقض المبادي التي رسمها لنفسه ووصف احد الفريقين خصمه بالالحاد فرماه الآخر بالجمود والضلال .

وهناك فريق آخر جالس على الربوة ولم يغامر بنفسه وينضم الى احد المتنازعين واذا خاطبت احدهم في هذا الشان اجابك على البديهة ان هذه نتيجة طبعية لكل امة نامت نومة طويلة ثم نهضت من كبوتها فوجدت من ابنائها من يدعوها الى مسايرة ناموس الحياة والتأثر بروح العصر الذي تحيا فيه والبعد عن التقليد واستنشاق نسيم الحرية الطلق

كما وجدت من ابنائها ايضا من يحافظ على تراث الاجداد ويفهم من الحياة انها المحيط الذي يكتنفه ويستقي من مورده المألوف له ويتشاءم من تبديل الخطى ويشن الغارة على كل من لا يرى رأيه ويحذر قومه بكل ما أعطي من قوة ونفوذ سوء العاقبة ان هو انصاع لتلك الدعاوي وهاتيك الاباطيل

وعندي ان هذا الراي الذي خامر بعض العقول فوصف احد الفريقين بالمجدد والآخر بالمحافظ . وتصور ان هاته الحالة التي عليها الفريقان امر طبعي في حياة الامم ورأى ان العاقل يلزمه ان يتربص حتى يرى الغلبة لمن تكون وذلك تطاحن لا بد ان تكون له نهاية ونهايته تكون بحسب ما في الامة من معدات الحياة انما تسرب لبعض الاذهان وتاثرت به واصبح هو المنطق المألوف لهم ليخففوا به وطأة ذلك النزاع القائم على قدم وساق ويلبسوه ثوبا يحجب عن الانظار مساوي الاختلاف الذي استحكمت حلقاته .

ونحن اذا نظرنا نظرة الناقد البصير من غير تحيز لاحد ورسمنا لانفسنا مقدمات اولية مسلمة من الجميع افضى بنا ذلك الى نتيجة يذعن لها العقل السليم من غير ان يعمد بعد الى نسفها او ان يعود وهو يتعثر الى مقدماتها الاولى لنقضها او عدم تسليمها بعد ان اذعن بصحتها وان الخلل لم يتخللها . وذلك ان التجديد كلمة واسعة النطاق تعبر عن معان مترامية الاطراف تفسح لها اسباب تنازع البقاء مجالا لتبوئها المقام الاسمى الذي ترتكز دعائمه على مقومات العالم الانساني الذي اذا توفرت له اسباب السعادة في عصر من العصور حسبما أدرك ما هو مسمى السعادة من عاش في ذلك العصر قد يعتري تلك الاسباب ما يزيل بعضها او كلها او تصبح غير مفضية الى انتاج ما هو من ضروريات

الحياة العامة فضلا عن غيرها من الكماليات . وهذا العقل البشري نراه كل يوم يخوض غمار البحث ويجندل بسلاح التفكير ما يسجله من اختراعات العصر الذي حدث فيه وبعبارة ادق هو في كل يوم يكشف له عن سر من اسرار هذا الكون الذي شاء مبدعه ان يساير بعضه بعضا في الظهور والاستفادة منه رويدا رويدا ما قدر لهذا العالم من بقاء

وما الكهرباء مثلا الا سر من اسرار الكون خفي على قسم ممن عمر هذا العالم وظهر لآخر . ولم يكن لمكتشفه يد الايجاد بعد العدم ضرورة انها موجودة في العالم من يوم خلق الله العالم بتسليم الكل حتى من المكتشف نفسه

ونقول هذا لا على معنى استصغاره والتحقير من شأنه في الانظار واني لنا بمثل هاته القرائح التي توفقت لتسجيل مثل هذا الاكتشاف الذي اصبح العقل بعده يتصور الحياة لا على نحو ما كانت عليه عند من سبقنا من الامم ويفهم من السعادة غير ما استقر في النفوس بل اضاف سببا الى اسباب السعادة المنشودة التي هي غاية الجميع

وقافلة الحياة لا يتسنى لها ادراك الغاية الا بقطع مرحلة تلو اخرى وهذا يعتمد على تجديد الخطا . فلا جرم ـ اذا قلنا ان التجديد امر رسمه الله على صحيفة العالم واكسير الحياة بالغريزة لا بالاختيار

ولا احسب ان هناك من لا يشاطرنا على ذلك من الفريقين ونحن اذا اتصلنا بهذه النتيجة وطلبنا من الفريقين تسليمها بعد تسليم مقدماتها لم نكن قد عمدنا الى مقدمات سفسطائية لنغالط احد الفريقين ونفضي به الى ما يفر منه ترجيحا لاحد الشقين وتلبيسا على الفريق الآخر حتى اذا رام الخروج من المأزق وجد امامه جمعا من الامة تأثر بتلك المقدمات التي شرحت له واقتنع بها واذعن لنتائجها وناصرها بكل ما لديه من اسباب المناصرة

ولا كنا محبذين لتلك المبادي التي دعا اليها دعاة التجديد ومعتبرين ان نزعاتهم هي الاسس التي سيقام عليها صرح مجد الامة انما غرضنا من هذا كله اماطة اللثام عن وجه الحقيقة حتى تنجلي كما هي ويزول الالتباس ويعود الى كل رشده فيبحث بمنطق مالوف ويصعد على متن التفكير الصحيح ليصل به الى الكمال

محمد الشاذلي بن القاضي

التاريخ

صحيفة من تاريخ تونس

كيف نشأت خزائن الكتب لدراسة العلوم بجامع الزيتونة

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد بن
الخوجة المستشار لدى الحكومة التونسية

الى حضرات الشيوخ المثقفين الفضلاء . اركان المجلة الزيتونية دام بهم النفع .

نظرتم لشخصي الضئيل في صفحة مرآة كمالكم فحشرتموني بحسن ظنكم في صعيد واحد مع طائفة من اقطاب العلم بجامع الزيتونة وعلقتم على قصوري آمالا واسعة كانت في عنقي قلادة فخر متينة لا مناص من الانقياد لحكمها حيث تفضلتم باضافة اسمي لسلسلة اولئك الفضلاء الذين طرزتم بذكرهم ديباجة الجزء الاول من المجلة الزيتونية التي اتحفتموني بها اثر ايابي من السفر بالجهات الجبليه الواقعة بين فرنسا واسبانيا حيث الغروس النضرة والهواء العليل والمياه المتدفقة وقد سرحت طرف الطرف فيها فاذا هي روضة غناء يفوق جمالها حسا ومعنى ما تقدم وصفه من تلك المناظر الطبيعية البهية وبالتالي فكرت فيماذا يناسب ان يكون فاتحة المقتطفات التاريخية الجديرة بمجلتكم العلمية فلاح لي اعتبار هذه المجلة الجامعة كجزء متمم لاقوى اركان العلم بجامع الزيتونة يعني ثمرة ما ابتكرته العقول وخطته اقلام الكاتبين في بطون الاوراق المحفوظة بخزائن الجامع لذلك وقفت عندها وجعلتها البحث المختار للتعريف بها من الوجهة التاريخية ولكني رايت من تعميم الافادة ان نجعل لذلك مقدمة وجيزة شاملة لتاريخ ظهور خزائن الكتب في الاسلام ثم نلحق بها تاريخ خزائن الكتب بجامع الزيتونة مفصلا والله المعين

اعلم ان عناية المسلمين بالكتب والترجمة والتدوين كان ظهورها اولا في مبادي الدولة العباسية على يد الخليفة ابي جعفر المنصور وفي مدة هارون الرشيد وجد بيت الحكمة ببغداد وهو عبارة عن مدرسة للترجمة ونساخة الكتب وكان ازدهارها في زمن ابنه عبد الله المامون وفي عنفوان الدولة كانت لهم خزانة كتب فيها ما لا يحصى من الاسفار اكلتها النيران فيما روي بايعاز من الصاحب بن عباد لاحتوائها على النسخة الوحيدة الموجودة بالعالم الاسلامي من تفسير الاشعري المسمى بالمختزن وهو في خمسمائة مجلد قالوا انه بذل في ذلك عشرة آلاف دينار لحافظ تلك الخزانة ليلقي النار في كتبها نكاية في تفسير الاشعري المشار اليه وكان لمشاهير العلماء والادباء في ذلك العهد من خزائن الكتب ما يضارع المكاتب العمومية فقد بلغت كتب الصاحب بن عباد المتقدم ذكره الى حد ان يحتاج في نقلها الى اربعمائة راحلة ومن خزائن الكتب العامة التي اشتهرت في تلك الازمان خزانة الامير نوح بن نصر الساماني في المائة الرابعة وممن انتفع بكتبها الشيخ الرئيس ابن سينا وعاصرتها مكتبة الوزير سابور بن اردشير ببغداد كان بها اكثر من عشرة آلاف مجلد منها مائة مصحف بخطوط بني مقلة وهذه الخزانة افنتها النار في سنة ٤٥١ واعتبر ما حكاه ياقوت الحموي عن نفسه في كتابه معجم البلدان حيث قال حاكيا عن مدينة مرو ما ننقله عنه بحروفه « فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف لم ار في الدنيا مثلها كثرة وجودة » ثم وصف اولاها ثم الثانية وقال كان بها اثنا عشر الف مجلد ثم البقية ثم قال « وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد واكثره بغير رهن تكون قيمتها مايتي دينار فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها وانساني حبها كل بلد والهاني عن الاهل والولد واكثر فوائد هذا الكتاب (معجم البلدان) من تلك الخزائن » وتنافس ملوك المسلمين في تلك النهضة العلمية فكان منها لامراء الاندلس بالمغرب ما لبني العباس بالمشرق ومن ذلك مكتبة الحكم بن الناصر بقصر الزهراء بلغ فهرسها الى ٤٤ مجلدا وبلغت كتبها الى اربعمائة الف مجلد وكان بغرناطة وحدها سبعون مكتبة عمومية عامرة بنفائس الكتب التي جعلها الملك فرديناند الخامس (شهر الكاتليكي لتحمسه في النصرانية) من نصيب النار اثر سقوط دولة الاسلام بالاندلس قالوا ان ما احرقه فرديناند

بجهله وحميته الدينيــة تجاوز الف الف من المجلدات المخطوطة بالقلم فيا لها من معرة في وجه تاريخ الانسانية ومعلومك ان من بلاد الاندلس كان اشراق شموس العلم وقد بلغت اشعتها لهذه الديار في عهد بني الاغلب امراء القيروان فرحل من رجالها جماعة في طلب العلم منهم اسد بن الفرات وعبد الله بن غـانم وسحنون وعند رجوعهم لافريقية اخذ العلم في الظهور والانتشار كما ظهرت اول مكتبة عمومية بالقيروان وكان بها من نفائس الكتب ما لا يقدر بمال واغلبها منسوخ على رق الغـزال ومنها المصاحف الجليلة المزركشة والمزوقة بالذهب الوهاج منها مصحف فـاطمة حاضنة باديس وما زالت منها بقية بجامع عقبة بن نافع لهذا اليوم اما هذه الخزانة القيروانية فقد ذهبت شذر مذر اثناء الفتن التي تناولت مدينة القيروان في القرنين الرابع والخامس ثم اجهزت على البقية الباقية منها فتنة دخول مراد ابي باله في سنة ١١١١ للقيروان وفتنة حصارها من البـاشا علي بن محمد للاجهاز على عمه المولى حسين بن علي باي في سنة ١١٥٣ واما خـزائن الكتب بمدينة تونس يعني بجامع الزيتونة وهي المقصودة بالذات من هذه النبذة التاريخية فاول ما ظهر من ذلك الخزانة العامة التي احدثها ابو فارس عبد العزيز الحفصي في سنـة ٧٩٧ وجعلها بالجامع المذكور بمجنبة رصد الهلال وعلى قياسه جرى عمـل حفيـده السلطان ابي عمرو عثمان فقد اضاف في سنة ٨٣٩ لخزانة جده خزانـة اخـرى مشتملة على اهم الكتب وضعها بالمقصورة الشرقية بالجامع وتعرف بمقصورة سيدي محـرز بن خلف ثم تلاه حفيده ابو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود فاسس في اوائل المائة العاشرة المكتبة المعروفة بالعبدلية التى سياتي الكلام عليها وجعـلها بالرواق الشرقي بالجامع مشرفة على جهة سوق العطارين وجميع هذه الخزائن الثلاث عبثت بهـا الايـام اثناء الاحتلال الاسباني لتونس في عام ٩٨٠ قالوا انهم مزقـوها كل ممـزق حتى كانت تباع بابخس الاثمان او تدوسها سنابك خيولهم المرابضة بصحن جامع الزيتونة فقد ذكر بعض المؤرخين ان المار حول الجامع من جميع جهاته لا تكاد تقع قدمه على غير الكتب فبادت جميع الكتب وتلاشت ولم يبق منها بالجامع الا بضع نسخ من صحيح الامـام البخاري وامسى العلم بتونس كشمس على مغيب حوالي القرن الحـادي عشر ومما زاد

نجمه افولا تعاقب الاوبئة في ذلك العهد منها وباء عام ١١٠٠ قال الوزير السراج ان العلم انقطع من تونس بذلك الفناء المتعاقب وذلك من بقية الاسباب التي اتت على ما تركته ايدي الفتن والسرقة لان الكتب لا تعيش طويلا بين غير اهل العلم ولما اراد الله اخراج هذه الديار من ظلمات الجهل الذي ارخى عليها سدوله في تلك العصور اشرقت عليها شمس البيت الحسيني فتوجهت عناية الباي حسين بن علي تركي رأس العائلة الحسينية الى بناء المدارس ونسخ الكتب لاسيما كتب الفقه واجتهد في ذلك لحد تكوين خزانة معتبرة وقفها على المحكمة الشرعية بتونس منها نسخة المدونة المحفوظة الآن بالمكتبة العبدلية وفاقه في هذا الميدان حفيده للاخ الامير العالم الباشا علي بن محمد صاحب النهضة العلمية اذ أرسل للاستانة مفتي دولته الشيخ حسين البارودي لاشتراء اكثر ما يمكنه اقتناءه من احسن الكتب وابدعها خطا وتزويقا وتذهيبا جمعها بمكتبته التي جعلها بمسجد بيت الباشا بباردو وكان في جملتها من الكتب النادرة اذاك حواشي الكشاف التي لم تكن موجودة قبل ذلك بين اهل العلم بتونس كما اسس الباشا المذكور مكاتب اخرى بمدارس الطلبة للمعلمين والمتعلمين فكان هذا الامير الذي خلط في مدته عملا صالحاً وآخر سيئاً هو ابو النهضة العلمية الاولى في العصر الحسيني الا ان كتبه تلاشى منها الكثير بامتداد يد النهب اليها من باي قسنطينة الذي شارك في النزاع الحاصل بين الباشا المذكور وبين ابني عمه محمد الرشيد باي وعلي باي، اللذين استرجعا منه بالقوة القاهرة ملك ابيهما المغصوب في سنة ١١٦٩ وفي خلالها كان مصرع الباشا المشار اليه قال شاعرهم :

وامسى دفينا بعد ان كان دافنا ❀ فقلت وقد ارخته دفن الباشا
١١٦٩

ويستفاد من فهرس قديم موجود بمحفوظات الدولة التونسية ان الكتب التي كانت بمسجد بيت الباشا بقصر باردو عند صعود المرحوم محمود باي على الاريكة الحسينية في سنة ١٢٣٠ كانت جملتها ٢٧٢٦ مجلدا وكان الامراء يتفاخرون بها بين اهل العلم فقد كان الباي حسين بن محمود باي واخوه مصطفى باي بدوره يشيران على شيوخ المجلس

الشرعي عند اجتماعهم بمجلس الباي في قصر باردو بمراجعة ما شذ من كتب الفقه لديهم بمكتبة مسجد بيت الباشا عند حصول خلاف بين الشيوخ او عند الحاجة للوقوف على عبارة نص بعينه . هذا ولما كان الناس على دين ملوكهم اقتدى بصنيع ملوك البيت الحسيني وزراؤهم ومنهم ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع فقد احدث مع جامعه بالحلفاوين خزانة عامرة بانفس الكتب في شتى العلوم وممن استفاد من كتبها شيخ الشيوخ وطود الرسوخ الشيخ ابراهيم الرياحي قدس الله روحه أما جامع الزيتونة الذي فارقناه على حالة الفراغ التي كان عليها اواخر المائة العاشرة واستمر كذلك حتى القرن الثاني عشر فقد كساه ثوب العلم والفخار الامير المشير احمد باي الاول اذ وفقه الله لتأسيس دراسة العلم به مع تعميره بخزائن الكتب النافعة صدر منه ذلك في سنة ١٢٥٦ بما اطلق السن العلماء والشعراء بالثناء عليه والحمد لله والشكر اليه وخطب بذلك على رءوس المنابر تنويها بشأنه بين القابل والغابر ومن ذلك ما خطب به بركة القطر ابو اسحاق ابراهيم الرياحي على منبر جامع الزيتونة وهي خطبة امست وثيقة تاريخية ننقلها هنا اتماما للفائدة ونصها .

الحمد لله الذي رفع للذين اوتوا العلم درجات لما خفض لاهل الجهل دركات افمن جعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات احمده وحمده من جملة ما به انعم واشكره على ما علمنا ما لم نكن نعلم واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة رفع العلم قواعدها واسس اليقين براهينها وشواهدها واشهد ان سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار الذي ارسله بنور يكاد سنا برقه يذهب بالابصار صلى الله عليه وعلى ءاله واصحابه ومن تبعهم باحسان ما تعاقب الليل والنهار . ايها الناس هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب الم تعلموا ان الجهل نعت الخلق والعلم وصف رب الارباب الم تعلموا ان ابانا آدم فضل بعلم الاسماء وامر بالسجود اليه ملائكة السماء والعالم الاسمى وقالوا نحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون الم تعلموا ان الدين علم وعمل فمن لم يكن له علم فعلى اي شيء حصل ايظن الجاهل انه ذو بصر نافذ في الامور كلا بل هو رجل اعمى مغرور فانها لا تعمى الابصار ولكن

تعمى القلوب التي في الصدور وحيث كان العلم بهذا الشرف الاثيل والرتبة العليا التي ليس لها مثيل فما للهمم متقاصرة عن استطلاع طوالع انواره وما بال العزائم متقاعدة عن استكشاف خبايا اسراره أخور في الطباع ام فقد لمواد الانتفاع كيف وقد تيسرت في هذا الزمان المبارك اسبابه وفتحت للمعلمين والمتعلمين ابوابه وتضوعت في بيت الله اعطاره وطلعت فيه شموسه واقماره وذلك بهمة الملك الهمام الخطير الباي احمد باشا المشير الذي وسع الجم الغفير بالعطاء الكثير ليجد ثوابه عند الله مدخرا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا واعلموا ان العلم النافع ما قارنه الاخلاص في التعلم والتعليم والعمل بما يحكم به من التحليل والتحريم والا كان جديرا بان ينبذ بالعراء وهو سقيم وقد مثل العلماء العلم النافع بشجرة ثابتة الاصل حلوة الثمرة يستريح برائحتها المحزون ويستلذ طعمها الآكلون وغيره بشجرة مالها قرار خبيثة الرائحة مرة الثمار يستمج رائحتها المستنكهون ويستبشع مذاقها الطاعمون وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون. في الحديث الشريف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلماء ورثة الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم يستغفر للعالم اربعة اشياء الملائكة في السماء والطير في الهواء والدواب في القفار والحيتان في البحار وقال صلى الله عليه وسلم فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة وعن ابي ذر رضي الله عنه حضور مجلس عالم خير من صلاة الف ركعة ومن عيادة الف مريض ومن شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن الا بالعلم. جعلني الله واياكم ممن علم وعمل واخلص الله فقبل. الا ان انفع ما تنشرح به الصدور واصدق حديث منطوق ومسطور كلام مولانا الغفور الشكور اعوذ بالله من الشيطان الرجيم « انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور » اهـ.

وقد وصف المؤرخ الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف هذه المنقبة المشيرية الاحمدية بقوله « يا له من عمل ذلل صعاب العلوم وراضها وأنشأ حدائقها ورياضها واجرى جداولها وحياضها واصاب شواكلها واغراضها نسج على اعز مثال انهل به ودق العلم وانثال وسرى ذكره مسرى الامثال »

يتبع — محمد بن الخوجة

الادب

الشعر

ما بال روض الشعر ساءت حاله … اقضى عليه من الصروف كماله ؟
فتاودت اغصانه وتساقطت … اكمامه وتقاصت اظلاله
اين الخمائل وهي ترقص للصبا … رقص الشجي تحققت آماله
قد ضاع طفل الشعر من كنف الربى … لما تكامل حمله وفصاله
اعداه من ديم السماء وليها ؟ … فتغيرت ازهاره وغلاله
ام ان عادية النفوس سطت على … ذاك الحمى فتروعت اطفاله ؟

***

الشعر قد ساس الممالك والنهى … فتفيأت ظل العلا اقياله
كم بث من خلق وكم اسدى يدا … حسناته موفورة وخصاله
لوح الحوادث في الدهور وسفرها … للذكر والتاريخ خط مقاله
من صدر يعرب كان يقصف صوته … ومن الجزيرة جهزت ابطاله
فقضت على روما وفي شعرائها … من لا يطاق لدى القراع نزاله
وزرت على يونان في فتيانه … وهم اولو الراي الحكيم وءاله
لله يعرب كم شدت بفخاره … عصر وشرفت الدنا اشباله
سل مشرقيها عن صروح علائهم … هل بزها فلك السما وهلاله
مجد لعمرك قد أذم مقامه … في العالمين علاؤه وجلاله
ابطالهم اسد بساحات الوغى … وكرامهم ديم الندى ومناله

رق المشاعر في يمين قريضهم — والشعر يمتلك النفوس جماله
كم سار تحت لوائه من اروع — ولكم تحكم في الكماة خياله
وكم ارتوى الحكماء من مسقاته — ولكم طوت من ازمن امثاله

***

هيهات ان يلد الزمان مخلدا — في موضع الف الحمام رجاله
في امة ملك الغرور عتاقها — فقضت على الخلق النبيل فعاله
شعر الخلود قضى ومن ذا يرتجي — فتحا لباب احكمت اقفاله
ولى مع الماضي واقفر ربعه — واستمطرت ديم النهى اطلاله

***

يا خاطبا في الشعر منزلة السهى — قصر فذاك من الزمان محاله
الشعر قد الف المدارك مكنسا — وبمثل جحرك لا يحل غزاله
الشعر يتبع الخطى في سيرها — وبقيمة الالباب تعرف حاله
الشعر مأثرة الحجى ونتاجه — فاولو الحجى بين الانام عياله
من غر بالبسطاء حتى املوا — منه الوصال وهل يهون وصاله
ما للقريض وهيكل ضعفت به — روح الحياة وقطعت اوصاله

***

من كان في طلب العلاء مقصرا — ضنت عليه بوصلها ءاماله
وقضى الحياة كنائم لعبت به — حلم الكرى فتناقضت اعماله
بئس الغرور وويح من اودى به — ولبئس عصر قد طغى جهاله
فاستبدلوا غرر الكلام بلغوه — واللغو اقبح ما يكون مقاله

***

يا ايها النفر الزري بضاده — المذرف الدمع المصون ضلاله
الضاد منك بريئة وكفى لها — فخرا كتاب الله جل جلاله

الطاهر القصار

التجديد في الادب

٢

وادل العصور الادبية على هذا التجديد الطبعي الذي لم يخرج بالادب عن روحه العربية العصر الاموي ثم بعض العصر العباسي فأدب العصر الاول يمتاز بجزالة اللفظ وقوة المعنى وينفرد بالمتانة التي نجدها في الادب الجاهلي لاسيما في الاغراض التي كانت محل العناية في ذلك العصر كالحماس والفخر والرثاء والهجاء لكن بعد ان عمل فيها التجديد عملا واصبحت اثرا ظاهرا لقابلية الادب للتجديد مع تطور المدنية

واما العصر العباسي فقد كان بعضه مثلا عاليا في سمو الادب ونفاق سوقه وبلوغه الى غاية بعيدة المدى من حيث سلاسة المبنى ورقة المعنى وقد خلد من كلا العصرين افذاذ هم في اليوم والغد محط النظر في الادب ومرجع فحوله ـ وقد بان مما اسلفنا ان العصر العباسي اكثر تجديدا في الادب ان لم نقل انه المظهر الحقيقي له ومن اعظم اركانه شاعر العراق ابو نواس الذي يقول

دع الرسم الذي دثرا يعاني الريح والمطرا

لكن الناقد البصير تجاه ادب هذا العصر لا يخفى عليه الفرق بين العصرين ولاضعف الادب العباسي بالنسبة للادب الاموي وقد لا تتحد الآراء في هذا الادعاء سيما وقواعد النقد كانت ولا تزال محل الخلاف والجدل بين النقاد فترى كل ناقد يعتمد في نقده على قواعد واسس ينشئها لنفسه بنفسه والحق ان النقد لم تقعد قواعده بعد ولم تثبت اصوله التي يجب ان تعتمد

ويمكن ان نختصر طريقة النقد عند القدماء وغيرهم استطرادا فنقول . لا خلاف في ان الشعر الحي هو ما نتج عن احساس وتولد من شعور وانبعث من كن اللب ومخبي الضمير لا ما تكلف نظمه لخير يراد او نقمة تذاد لكن القدماء يتذوقون الشعر وغيره بالذوق العربي السليم فينقدون جيده من رديئه بما لهم من خبرة ودراية وطول باع في

دراسة الادب ومعرفة فنونه وتفهم نفسية الاديب من درس عصره وحضارته وبيئته بدون ان يجعلوا حيثيات احكامهم في ذلك مبنية على الاغراض المطروقة من الكتاب والشعراء لاعتبارهم ان الاحساس والشعور اللذين هما روح الشعر على الاخص يوجدان تارة في المديح والهجاء والوصف والخماس وغيرها من الاغراض وينعدمان اخرى • وسواهم يرى ان الشعر الحي هو ما كانت معانيه جبرانية ••• تشم ولا تحك والفاظه جوفاء لا اثر للاسلوب العربي عليها سابحة مع الخيال الصامت في بحر الوجود الصاخب كما يقولون . . . او ما اتجه الغرض فيه لبيان فلسفة غريبة او معنى سمج خارج عن حد التفكير او خيال يحمل على عطفيه بردة الادب الغربي الذي تعشقه بعض اهل العصر الحديث بدافع تغلب مدنية الغرب على الشرق وقلة ما في اليد من التراث العربي في اللغة وآدابها الامر الذي اودى بكثير من لغات العصور الخالية وتركها واهلها حديثا مسطورا •

وهؤلاء المجددون على زعمهم وهم لعمرك معاول هدم وتقويض اذا وقفوا على مثل قول ابن سهل الاشبيلي في وصف حال قلبه من لوعة الحب وحرقة الجوى

فهو في حر وخفق مثلما لعبت ريح الصبا بالقبس

او قول ابن حمديس

ضحكت محاسنه اليك كانما جعلت لها زهر النجوم ثغورا

وقوله في وصف بركة بها اسود صناعية من نحاس تقذف بالمياه من افواهها

وضراغم سكنت عرين رئاسة جعلت خرير الماء فيه زئيرا

وكانما غشى النضار جسومها واذاب في افواهها البلورا

اسد كان سكونها متحرك في النفس لو وجدت هناك مثيرا

وقوله في وصف قصر المنصور ابن اعلى الناس ببجاية

فلك من الافلاك الا انه حقر البدور فاطلع المنصورا

او قول ابن خميس

عجبا لها ايذوق طعم وصالها من ليس يامل ان يمر ببابها

البكاء في الشعر العربي

بقلم العالم الاديب الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية

تلك القوافل من عتاق العيس الصاعدة قفاف الرمل المحرق او المرقلة في بحيرات السراب لا تكاد يدفعها الظما لتريح على غدير في ظلال صور

من الكارعات الماء بالقاع تستقي　　باعجازها قبل استقاء الحناجر

حتى يجف الغدير دون النهل واذا هي تعاود ارقالها على الحفى والكلالة حتى ترمي بها المفاوز الى الماء الذي لم تزل تشوقها اليه هذه الشقة التي فصلت العلل عن النهل اذا هي رتعت في سواد العراق تحت الظلال المخضلة ثم وردت دجلة وهو يعرض

وانا الفقير الى تعلة ساعة　　منها وتمنعني زكاة جمالها

قالوا حديث خرافة يا ام عمرو لاعتبارهم ان الشعر الحي غير ذلك وان الشاعرية لا تكون الامع السلخ من آداب الغير والبكاء معه مما بكى والمرح معه في ساح مدنيته الغالبة ضاربين العروبة في الصميم بالكيد للغة الضاد التي برزت الفحول في الجاهلية والاسلام وشادت باسمائهم في ميادين الادب العالي بما ادهش المشرق والمغرب

وكم يلذ لي ان استعرض نماذج عدة من مثل ما ذكرته لكن خوفي على نفوس حضرات المجددين بل المقلدين الذين لا يوافق مزاجهم هذا النوع من المواضيع يمنع يراعي من الاسترسال ويهتف به ان قف فنفوس اصحابك حداد وانت قد خرجت من غرضك الى الكتابة في تاريخ الاندلس وسرد شعر ادبائها والانتصار لهم قبل ان تصل بين آرائك في التجديد قديما وحديثا الا ان اليراع لم يقف الابعد ان خط هاته الكلمة. لو لم يكن من امر فحول الادباء الذين هم المجددون بحق وامر المتطفلين على موائد الادب الا ان الاولين قالوا فاجادوا وفهموا ما يقولون وفهم الناس عنهم ماقالوه والاخيرين قالوا ما لم يفهموا فلم يفهمهم الناس لكفى ذلك دليلا على ما قدمناه واقتنع به من لم يجعل الاهه هواه　　(يتبع)　　الطاهر القصار

نفسه فارتوت وتشفت ورعت من كلأ الشط خضرة حلوة حتى بطنت وامتدت خاصرتاها .

لم ينسها اينها بالامس نشاطها اليوم ولم تذهل عن ظما الحجاز بري العراق وما تزال بروق الآل تلمع بين عينيها وهي على حاشية النهر الازرق فيزداد حنينها الى حياة الرمال التي لم تزل قائمة بين جنبيها وتدوم حليفة لذكرى هواجرها على ذلك الطريق القاحل حامدة ما لاقت من اللاواء في اشواقها كما قال ابو العلاء

تذكرن مرا بالمناظر آجنا عليه من الارطى فروع هدال

واعجبها خرق العضاة انوفها بمثل ابار حددت ونصال

ولا تزال في اعماق نفسها بنت الشمس والرمال الوفية للظما والكلال وان اخلدت الى التربة الخصبة وسكنت الى الظل الوارف على ضفاف الانهار المزبدة

كذلك شان هذا الشعر العربي نشأ على البداوة في عصر الجاهلية حتى اذا اكتمل شبابه بظهور الاسلام فاض عن مهده يطوف الدنيا ويعبر المحيطين ويكتنف الحضارات القديمة ويستلهم غمامات البحر المتوسط ما اودعتها الاجيال من رقة الفن وسعة الخيال ثم مازج روح الدنيا الجديدة في بغداد فتردد من قصور الخلافة الى نوادي الشطارة وحلق من القمم المثلجة بتبريز الى الرياض الزاهرة بالاندلس فما تغيرت روحه ولا ضاع من اعماقه عهد النشاة وبقيت بداوته الاولى قوام حياته تحقق له وحدته على اختلاف اللمحات وتفيض على المظاهر الجديدة لحياته باكثر مما تستمد منها

وهل لهذه الحياة البدوية الخالدة التي بقيت روح الشعر العربي في جميع اطواره ما يحقق ماهيتها ويميزها عن حياة المدنية والعمران غير خاصيتيها العظيمتين وهما الترحل والغارة الطريقان الطبيعيان للحياة في طور البداوة من تقلبات الامم لاسيما في المناطق المجدبة التي لا تكاد تضرب فيها اطناب الخيام على قليل من العشب والكلا حتى يصوح ربيعها فتدفع غريزة تنازع البقاء احدى القبيلتين الى أن تغير على اختها فاذا هما تتفانيان في الحروب حتى اذا تداركهما الشهر الحرام بالامن والسلام اشتدت وطأة الجدب فاذا الرحال تشد للنجعة واذا المنزل الانيس قفر خلاء والقبيلة تتفرق ركابا يقصد كل

منها الى حيث يأمل مقاما غير طويل على المرعى ينتابه ما انتاب سابقه من حرب ويختم بما ختم به من رحلة

فكان من الطبيعي ان يترك هذان المظهران اثرهما البين في الشعر الجاهلي اذا كان منشؤه في اوساط الرحل من العرب بعيدا عن القرى الخمس التي تعتبر حواضر نسبية (١)

وهذا الاثر يظهر جليا في ماساد الشعر العربي وانبث في اغراضه المختلفة من روح اللوعة وتناوله بواعث اللوعة المتباينة في قوالب خالدة من الشجو والروعة هي التي حققت للشعر العربي منزلته الفائقة من عموم الشعر الاحساسي وابقته على مر القرون مهتف القلوب الجريحة ومتنفس الاكباد الحراء

كيف لا تقوى روح اللوعة ويسود سلطان البكاء في حياة قوامها الترحل والغارة وهما مجلبة لاعظم الارزاء وابلغ بواعث البكاء الفراق والموت

اما لوعة الفراق فاثر روحي ناشيء عن الارتحال يحس به افراد من القبيلة عكسا لما يحس به مجموعها

اذ لا بد للقبيلة من ان تكون قد ضمت مدة الاقامة افرادا من شبانها وجدت ارواحهم من بعض فتيات القبيلة المجاورة ما تانس اليه وتشعر نحوه بالالفة القديمة المتسلسلة من علاقات الارواح في عالمها العلوي تبعا لناموس الازدواج النوعي كما قال جميل

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد

فتنشا العلاقات الغرامية بين شباب القبائل مقرونه بالبكاء والكآبة في كافة اطوارها كما قال ذو الرمة

هل الحب الا زفرة بعد زفرة وحر على الاحشاء ليس له برد
وفيض دموع العين يامي كلما بدا علم من ارضكم لم يكن يبدو

ولنتجاوز ما لا يهمنا هنا مما يقاسي المحب عند نشاة المحبة من سهام النظر وشبوب

(١) انظر طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي

النيران ثم ما تفعل به حمى الاشواق الاولى من السهاد وشرود الفكر وانصباب الدمع كما قال وضاح اليمن

ولقيتها تمشي بأبطح مرة بخلاخل وبحلة اكباش
فظللت معمودا وبت مسهدا ودموع عيني في الرداء غواش

ثم ما يلاقي من اعراض المحبوب او تصاممه الى سفحه لديه دموع الشكوى التي لم تخل منها عين عاشق حتى قال ابو الطيب

اتراهـا لكثرة العشـاق تحسب الدمع خلقة في المـآقي

ولنقف على لوعة الفراق نستجليها في المظاهر المختلفة التي تنغص بها على المحبين فنرى الارواح المتآلفة في سكراتها العشقية ذاهلة عما بين القبائل من نزاع وما هم فيه من تطاحن طائرة على اجنحة الغرام الى سماء الايثار من حيث تنظر الى سائر الدنيا بعين السخرية كما نظر ابو فراس اذ يقول

فليتك تحلـو والحياة مريرة وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيـني وبين العالمين خراب

حتى اذا حمي وطيس الحرب وتصاعد غبارها ففرق بين العشيقين واخذ الشاب الى ساحة الحرب لا يلتفت الى ما ترك وراءه من هوى مقطوع ودموع منهمرة كما قال كثير

اذا ما اراد الغـزو لم يثن عزمه حصان عليها عقد در يزينها
نهته فلما لم تـر النهي عاقه بكت فبكى مما شجاها قطينها
ولم يثنه عند الصبابة نهيها غداة استهلت بالدموع شؤونهـا
ولكن مضى ذا مرة متثبتا لسنة حق واضح يستبينها

وبدأ يقاتل قوما ملء قلبه الاشواق الى ابنتهم فاجتارت نفسه بين غرامه وواجبه وغلبه التيار حوله فاندفع تعمل يده للواجب ويهتف قلبه بالغرام متعجبا من حاله تعجب عنترة اذ يقول

علقتها عرضا واقتـل قومها زعما لعمر ابيك ليس بمزعم

او راهبا طوارئ الفراق رهبة جميل اذ يقول

كأن لم نحارب يا بثين لوانها تكشف غماها وانت صديق

فاذا وضعت الحرب اوزارها وراجع المتحابان عهود الوصال لم يتح لهما صفاء غمرة الحب الاولى بسبب ما يطرأ على العلاقات من المنغصات التي اولها ان الفراق الذي مارسه وقاسى لاواءه لا يغيب شبحه الهائل من بين عينيه فلا يزال يعاوده بين الفترات مهددا بقرب الرجوع في ابشع صوره واشقها فنرى المتحابين في هذه الحالة يبكيان للفراق المتوقع قبل ان يرياه ونجدهما في ساعة السعادة منكدي القلب بذكرى الشقاء كما قال الحماسي

وما في الارض اشقى من محب وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين مخافة فرقة او لاشتياق
فيبكي ان ناوا شوقا اليهم ويبكي ان دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائي وتسخن عينه عند التلاقي

وقد قال ابو تمام في وصف هذا الاحساس من طرف المحبوب

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد قتادا عندها كل مرقد

وبتردد هذه الخواطر وشيوع هذه التخوفات تصبح نفس المحب شديدة اللهفة على المحبوب حريصة على التمتع بوصاله شان النفس البشرية اذا احست بقرب الفناء في ما لديها كما قال الصمة

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

ومن هنا اصبح لليوم الذي قبل يوم الفراق شانه العظيم عند ارباب الهوى فطالما استقبلوا غداته بالبكاء كما قال ابن ميادة

وما انس م الاشياء لا انس قولها وادمعها يذرين حشو المكاحل
تمتع بهذا اليوم القصير فانه رهين بايام الشهور الاطاول

وبانضمام هذا الحرص الشديد على وصال الحبيب الى اثر عظم الاشواق وطول احتمالها مدة الفراق الاول يتعاظم الشوق مع الاتصال وهي ثاني منكدات الوصل بعد الفراق كما قيل

وابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار (١)

حتى ينتهي الى الدرجة التي قال فيها عباس

ومن عجب اني احن اليهم واسال عنهم من لقيت وهم معي
وتشتاقهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

(يتبع) محمد الفاضل ابن عاشور

(١) هكذا رواه ابو علي القالي عن جحضة عن حماد بن اسحاق عن ابيه انظر الجزء الاول من الامالي صحيفة ٥٥

التشريع الاسلامي

في العدد القابل مقال ينشر تحت هذا العنوان للعلامة الاستاذ الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المفتي المالكي

اعتذار

ورد على ادارة المجلة عدة تحارير وقصائد اضطررنا لتاخيرها الى عدد قابل مع الاعتذار لاصحابها بضيق هذا الجزء

منها مقال قيم بعنوان (المكتبات ومبلغ عناية الامم بها) بقلم الاديب الشيخ محمد العنابي

ومنها مقال تحت عنوان (التجديد في الادب ايضا) للاديب الشيخ محمد المهدي بن الناصر تاخر نشره لما بعد انتهاء المقال المتتابع بالعنوان نفسه

كما ورد على المجلة اسئلة مختلفة ستقع الاجابة عنها في الاعداد المقبلة ان شاء الله

ملاحظة : المرغوب من السادة الذين يرغبون في الاجابة عما يوجهونه من الاسئلة ان يختموا رسائلهم باسم المرسل الطالب للجواب . وله الحق في طلب اخفاء اسمه ان شاء

مجلة الافكار

سيعزز جانب الادب بمجلة الافكار التي ستصدر قريبا والمؤمل انها ستكون من المجلات الراقية المنتجة وانا لنبتهج بصدور هذه المجلة ونؤمل للقائمين عليها ان يكون التوفيق رائدهم فيما يستقبلونه من عمل مفيد وللمجلة ما تستحقه من الرواج

الفتاوى والأحكام

حكم الحلف بالحرام واللازمة

بقلم العلامة الكبير سيدي احمد كريم شيخ الاسلام سابقا بتونس قدس الله روحه

ننشر فيما يلي نص ما حرره المقدس المبرور شيخ الاسلام سيدي احمد كريم المتوفى في المحرم سنة ١٣١٥ في اليمين بالحرام واليمين باللازمة وما يلزم الحالف بهما شرعا نظرا لما يجري في هذه الايام من الاختلاف فيهما بين علماء المشرق ولتعارف اهل بلدنا الحلف بهما وكثرة دورانهما على السنة الناس مع الغفلة عما يلزم بهما عند الحنث من طلقة واحدة بائنة او ثلاث على حسب نيته ان كانت له نية او على مقتضى العرف ان لم ينو الموجب ذلك انفكاك عقدة النكاح بين الزوجين انفكاكا لارجعة معه ويكون الواجب على الزوج حينئذ تجديد عقدة النكاح من اصلها وذلك بعقد ومهر جديدين ان كان الواقع طلقة بائنة او الحرمة الغليظة التي لا تحل معها الزوجة لزوجها الاول الا بعد ان تنكح زوجا غيره والا فهو مقيم على معصية الزنا واولاده منها بعد الحنث اولاد زنا ومن منا يرضى لنفسه القيام على كبيرة من اعظم الكبائر مع الاستمرار عليها وعدم الاقلاع عنها الى آخر نفس من حياته مع ما يترتب على ذلك من الاحكام ذات الشان كعدم ثبوت نسب اولاده منها شرعا وانه لا توارث بينهما ولا توارث بينه وبين اولاده منها بعد الحنث وغير ذلك مما يقبح بالمسلم المحافظ على دينه جهله او التغاضي والغفلة عنه.

قال قدس الله روحه : ومما تعارفه اهل هذا القطر الافريقي اليمين بقولهم بالحرام وباللازمة اما الاول فقد اتفقت كلمة المشائخ الحنفية بتونس وعملها على لزوم طلقة بائنة من غير توقف على نية الطلاق به وان كان من الكنايات للعرف نعم يحتاج الى عدم نية

الثلاث فلو نوى به الثلاث او صرح بها وقعت ثلاثا والقول قول الحالف بيمينه في عدم نية الثلاث وبذلك افتى كل من ادركناه من المشائخ في اليمين بالحرام

واما اليمين باللازمة فقد جرت الفتوى فيه من مشائخ الاسلام البيرميين بمثل الفتوى في اليمين بالحرام نصا سواء وخالفهم في ذلك شيخنا شيخ الاسلام سيدي محمد ابن الخوجة رحمه الله وقد سالته يوم التاسع والعشرين من شعبان عام ثمانية وستين ومائتين والف عن اليمين باللازمة وما يلزم بها اذا حنث الحالف في يمينه بها فاجابني بقوله اني لا افتي بشيء فيها اذ لم اقف على النص من اهل مذهبنا سالكا في ذلك مسلك والدي رحمه الله تعالى وان كنت اطلعت على اقوال الفقهاء المالكية في ذلك واما آل بيرم فانهم يفتون فيها بما يفتى به في اليمين بالحرام مستندين الى ما نقله الشيخ بيرم الاول عن العلامة الانطاكي الحنفي في شرحه على البردة وهو ليس من الكتب المعدودة لنقل احكام المذهب الحنفي ثم قال لي رأيت في المنهج الفائق في الاحكام والوثائق للوانشريسي من كتب المالكية النقل عن ابي بكر ابن العربي صاحب العارضة انه سال عنها علماء العراق فلم يجيبوا بشيء وتوقفوا قال ابن العربي وسالت شيخهم المقدم ابا بكر الشاشي عنها فاجاب بانه روى عن ابي حنيفة انه على نيته في الحلف بها . ورايت في اعلام الموقعين في احكام رب العالمين من كتب الحنابلة نص المسالة في مذهبنا وقال لي الشيخ القاضي اسماعيل التميمي : ابوبكر الشاشي شيخ ابي بكر ابن العربي اه بلفظه

فان قلت اي طريق سلكت من هاتين الطريقتن لما انخرطت في سلك المفتيين قلت سلكت مسلك البيرميين وافتيت بما افتوا به بيقين لا بمجرد التقليد بل لما استندوا له مع ما انظم الى ذلك مما وقفت عليه من كلام علمائنا في نظيرها وفيما جرى به العرف مما كان من قبيل الالفاظ وما تحرر من فحول السادات المالكية في اليمين باللازمة مما تقتضيه قواعدنا وبيان ذلك : ففي الباب الثامن والعشرين من معين الحكام في القضاء بالعرف والعادة لقاضي القدس الطرابلسي الشهير بابن افلاطون ما نصه :

تنبيه ونقلت من الرحلة لابي عبد الله بن رشيد فيمن حلف بالايمان اللازمة وحنث هل يلزمه الطلاق الثلاث او واحدة ثم قال والمعتبر في ذلك عرف الحالف لاعرف المفتي

فلو دخل المفتي بلدا لا يكون عرفهم فيه انه يراد به الطلاق الثلاث لم يجز له ان يفتي فيه بذلك ولا يحل للمفتي ان يفتي فيما يتوقف على العرف الا بعد معرفة العرف لهذ الجواب اه وقد صرحوا في غير ما كتاب بانه يحمل كلام كل عاقد وناذر وواقف على عرفه اي على ما تعارفه الناس في محاوراتهم وخطاباتهم وبنوا على ذلك جواز النكاح بالالفاظ المصحفة وكذا في الطلاق الخ ولا تجد احدا من اهل هذا القطر يفهم من يمين اللازمة الاطلاق الزوجة كناية حتى ان كثيرا من المستفتين اسالهم عند الفتوى في يمين اللازمة بماذا حلفت فيقول بيمين الزوجة

هذا وقد وقفت على تحرير العلامة الشيخ محمد المناعي شيخ شيخنا سيدي ابراهيم الرياحي قدس الله روحه وكان من افقه علماء المالكية بالحاضرة بخطه ما نصه : ان الحكم اذا كان له مدرك من علة او عرف فانه يدور مع مدركه كاللازمة فمن كانت في عرفه يمينا فيمين والا فلا وعلى الاول فمن كان يراد بها في عرفه جميع الايمان فانها تلزمه ومن كان في عرفه يراد بها الطلاق فانه يلزمه على ما يراد في العرف من الواحدة او الثنتين او الثلاث وان كان العرف جرى بغير ذلك فانه يلزمه ما يراد في العرف كالمشي الى بيت الله الحرام وصوم شهر مثلا وهلم جرا ولذلك تجد العلماء يقول كل واحد بما يوافق عرفه وليست هي اقوالاهم كما يوهمه نظم العاصمية وشارحوها وانما المدار على ما ذكرنا انتهى كلام الشيخ احمد كريم في المسئلة وقد ذيله العلامة الشيخ الشاذلي ابن القاضي رحمه الله بقوله : قلت ما نقله الشيخ من اعتبار العرف يؤيده ما قاله الكمال ابن الهمام في فتح القدير : واعلم انهم تعارفوا الحرام يلزمني ولاشك في انهم يريدون به الطلاق المعلق فانهم يذكرون بعده لا افعل اولا فعلن وهو مثل تعارفهم الطلاق يلزمني لا افعل فانه يراد به ان فعلت كذا فهي طالق ويجب امضاؤه عليهم • والحاصل ان المعتبر انصراف هذه الالفاظ الى المعنى المتعارف فيه بلانية ولو قال الحالف اردت غيره لا يصدقه القاضي وفيما بينه وبين الله هو مصدق وان لم يتعارف يسئل عن نيته اه واقره عليه صاحبا البحر والنهر والشرنبلالي

ولما كان المتعارف عند اهل قطرنا في قولهم باللازمة الطلاق اللازم وهو البائن

فمعنى باللازمة بالطلقة اللازمة فاذا قال باللازمة لا افعل كذا فمعناه على ما قرره الكمال ان فعلت كذا فعلي طلقة لازمة فاذا حنث لزمه الطلاق بلا نية وانما يحتاج الى النية في كونه نوى الطلقة الكبيرة وهي الثلاث او نوى الصغيرة وهي الواحدة كما ذكره اصحابنا في الطلاق بالمصدر ولذا يحلفه مشائخنا اذا حلف بالحرام هل نوى واحدة او ثلاثا فيحلف انه ما نوى الثلاث لان لفظ الحرام مصدر وهو محتمل للكبيرة والصغيرة فيحلف انه ما نوى الكبيرة احتياطا ٠ وفي كلا الفصلين وهما بالحرام وباللازمة ليس له ترجيعها الا برضاها ضرورة ان النكاح وان كان واحدة لكنه بائن فيتوقف على الرضا والحاصل ان اللفظ اذا تعورف استعماله في الطلاق صار صريحا في ذلك العرف وحينئذ لا يحتاج الى النية ٠ فقد نقل في رد المحتار ان الصريح ما غلب استعماله في العرف في الطلاق بحيث لا يستعمل عرفا الا فيه اه

قلت ولا شك ان لفظ باللازمة كلفظ الحرام في عرف اهل قطرنا حتى انه لا يحلف به الا الرجال فوجب اعتباره صريحا كاعتبار لفظ الحرام كما افتى به المتاخرون من فقهائنا نعم الواقع بهما البائن وهذا لا بدع فيه لان الصريح يقع به البائن كما هو مصرح به

فان قلت اذا وقع الطلاق بهذين اللفظين ينبغي ان يكون معقبا للرجعة لان العامي الجاهل لا يميز بين البائن والرجعي فضلا عن ان يكون عرفه ايقاع البائن وانما المتعارف عنده ان من حلف باحد اليمين المذكورين يقع عليه الطلاق مثل قوله علي الطلاق لا افعل كذا

قلت لفظ الحرام معناه عدم حل الوطء ودواعيه وكذا لفظ اللازمة في العرف طلقة لازمة لا يحل معها الوطء ودواعيه ولذلك يعطفون عليها الحرام في حلفهم كثيرا فيقولون باللازمة والحرام لا أفعل كذا وعدم حل الوطء ودواعيه هنا بالطلاق والرجعي لا يحرم الوطء ودواعيه فتعين البائن وكونه التحق بالصريح لاجل العرف لا ينافي وقوع البائن به وخلاصته انه لما تعورف الطلاق بذينك اللفظين صار معناهما تحريم الزوجة وتحريمها لا يكون الا بالبائن٠ فهم وان لم يتعارفو فيهما في قطرنا

لفظ البائن بالمعنى الاصطلاحي لكن تعارفوا المعنى الذي لا يكون به الطلاق الا بائنا ولذا قال في البزازية : ان المتعارف في هذه الالفاظ انما هو ايقاع البائن لا الرجعي ولا يخفى على من له ادنى تدرب في الفقه ان العرف اصل عظيم في الشرع ادير عليه كثير من الاحكام · قال مولانا الشيخ محمد امين في شرحه لقوله في منظومة رسم المفتي :

والعرف في الشرع له اعتبار   لذا عليه الحكم قد يدار

اعلم ان اعتبار العادة والعرف رجع اليه في مسائل كثيرة حتى جعلوا ذلك اصلا فقالوا تترك الحقيقة بدلالة الاستعمال والعادة · نقله عن الاشباه في القاعدة السادسة « العادة محكمة » ثم ذكر فروعا خالف فيها المتأخرون المنصوص في مسائل قال ولم يخالفوه الا لحدوث عرف بعد زمان الامام فعلى المفتي اتباع عرفه الحادث في الالفاظ العرفية وكذا في الاحكام التي بناها المجتهد على ما كان في عرف زمانه وتغير عرفه الى عرف آخر اقتداء بهم لكن بعد ان يكون المفتي ممن له رأي ونظر صحيح ومعرفة بقواعد الشرع حتى يميز بين العرف الذي يجوز بناء الاحكام عليه وبين غيره اه المراد منه والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

سؤال وجوابه

ورد على ادارة المجلة سؤال من مدينة زغوان نصه بعد فاتحته

رجل مسلم حر بلغ من العمر خمسا واربعين سنة لم يصل في هذه المدة ركعة ولم يصم يوما ثم تاب الى الله واستقام حاله فما هو الحكم الشرعي بالنسبة الى هذا الرجل حينما كان تاركا للصلاة والصيام :

والجواب ان الشارع الحكيم أوجب على المكلف وهو العاقل البالغ حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى الصلاة وجعلها عماد الدين قال تعالى « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » اي فرضت على المؤمنين في اوقات معينة وهي الاوقات التي اشار لها القرآن في آيات كثيرة وبينتها السنة الشريفة قولا وفعلا بما لا مزيد عليه وبسط الفقهاء

ذلك في كتبهم بسطا شافيا فليرجع اليه من ارادە فتقرر باجماع المسلمين انه يفترض على كل مكلف خمس صلوات في اليوم والليلة ويجب عليه دون وجوب الخمس المتقدمة لكنه متاكد جدا حتى كاد يلحق بها الوتر

فان ترك المكلف الصلاة وهي على ما علمنا من التاكد فتاركها لا يخلو اما ان يتركها لنوم او نسيان لها فيجب عليه قضاء ما فاته من الصلوات زمن الغفلة اجماعا ولا التفات لمن قال لا يقضي ما كثر فانه قول شاذ عند اهل العلم ولا اثم عليه في التاخير لان التكليف على حسب الوسع وقد قال عليه السلام فيما رواه مسلم من طريق انس بن مالك رضي الله عنه «من نسي صلاة او نام عنها فكفارتها ان يصليها اذا ذكرها » وفي رواية اخرى له عن انس ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا رقد احدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول اقم الصلاة لذكري » وهذا من دلائل رفق الشارع واخذه باوجه المسامحة والتيسير ولا بدع فان من اصول ديننا القويم الدعوة الى ما فيه يسر والتنفير مما فيه عسر قال صاحب الشريعة الدين يسر وقال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ومما جاء في شمائله صلى الله عليه وسلم انه ما خير بين امرين الا اختار ايسرهما وفي ذلك تعليم لنا وتذكير شرح الله صدورنا ونور بصائرنا لاستجلاء ما في هذه الشريعة السمحة من دلائل الصدق وشارات الخلود. واما ان يتركها جاحدا لها منكرا وجوبها ومستهينا مستخفا بامر الشارع لها وهذا كافر باجماع المسلمين خارج عن ملة الاسلام والعياذ بالله تعالى يستتاب فان تاب والا قتل كفرا

واما ان يتركها تكاسلا مع اعتقاد فرضيتها كما هو حال كثير من الناس وهذا محل اختلاف علماء الاسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الفقهاء المجتهدين فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف الى انه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فان تاب والا قتل حدا كالزاني المحصن وهي رواية عن احمد وذهب جماعة من السلف الى انه يكفر وهو مروي عن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه واحدى الروايتين عن احمد بن حنبل رضي الله عنه وبه قال عبد الله بن المبارك واسحاق بن راهويه وابن حبيب من المالكية ولا قضاء عليه حينئذ لانه كمرتد تاب

وذهب ابو حنيفة واصحابه والمزني من اصحاب الشافعي الى انه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر بان يحبس او يضرب حتى يتوب ويصلي قال في التنوير وشرحه « ويكفر جاحدها لثبوتها بدليل قطعي وتاركها عمدا مجانة وتكاسلا فاسق يحبس حتى يصلي لانه يحبس بحق العبد فحق الحق احق وقيل يضرب حتى يسيل منه الدم » وفي الفتح لابن الهمام (فرع) ترك الصلاة عمدا كسلا يضرب ويحبس حتى يصليها ولا يقتل الا اذا جحدها او استخف بها »

وكأن من قال بكفره ناظر لحديث بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة(١) فمن فهم من الكفر هنا الكفر الحقيقي جعله كافرا ومن فهم من الحديث التغليظ والتوبيخ اي ان افعاله افعال كافر وانه في صورة الكافر كما جاء في الحديث الآخر لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن لم ير قتاله كفرا ومن قال انه فاسق يعزر بالضرب والحبس ولا يقتل ناظر لحديث لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير نفس .

واذا كان ترك الصلاة وتاخيرها عن وقتها من اكبر الكبائر واعظم العظائم لما فيه من التغافل عن القيام باهم الفرائض التي حث عليها الشارع واوصى بالمحافظة عليها قال جل من قائل « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » فعلى تارك الصلاة المبادرة بالتوبة النصوحة وذلك بالاقلاع عن معصية الترك واداء صلواته في اوقاتها والندم على ما فرط في جنب الله وقضاء ما فاته في سابق عمره من الصلوات التي بذمته فيأتي بها على حسب ما يتيسر له في الاوقات الزائدة على اوقات نومه واكله وعبادته الحاضرة وعمله الذي لا بد منه لتحصيل كسبه وليس عليه ترتيب في قضاء ما فاته عند ابي حنيفة رضي الله عنه اذا كانت الفوائت كثيرة بان تجاوزت الستة اذ الكثرة مسقطة للترتيب عنده وانما عليه ان يعين كل فائتة يريد قضاءها والتسهيل عليه قال فقهاء الحنفية انه ينوي عند القضاء اول صبح فاته او آخره واول ظهر فاته او

(١) اخرجه مسلم من طريق جابر رضي الله عنه في كتاب الايمان

آخره وهكذا في كل صلاة الى ان يقضي الجميع . ففي مسئلة الحال نفرض انه بلغ وله من العمر اثنتا عشرة سنة فعليه صلاة ثلاث وثلاثين سنة اذا كان في دار اسلام نعم اذا كان في دار حرب ولم يبلغه وجوبها فهو معذور وليس عليه قضاؤها حينئذ عند ابي حنيفة وفي مذهب مالك خلاف قال الشيخ الابي في شرح مسلم : واختلف في الحربي يسلم هل يقضي ما فاته ببلد الحرب قال سحنون يقضي واباه ابن عبد الحكم

والرجاء ان يقبل الله توبته ويمحو عنه ذنب تاخيرها عن وقتها فان التوبة المستجمعة لشرائطها مقبولة لقوله تعالى « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون » وفي قبول توبة العامي وستر ذنبه دافع له الى الرجوع الى الله والانفلات من مخالب الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس . واما الصوم فانه من اوكد الفرائض العينية ايضا قال جل ذكره « يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » اي فرض عليكم ايها المؤمنون الصوم وهو الامساك عن المفطرات التي بينتها السنة من الاكل والشرب والجماع كما فرض على الامم الذين كانوا قبلكم . وقد عرف ان فرضية الصوم ثابتة في كل الشرائع السابقة لما فيه من الحكم العالية والمصالح العامة والاحاديث الدالة على تأكده وعظيم اعتبار الشارع له كثيرة منها قوله عليه السلام كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا أَجزى به » قيل انما خص الصوم بالنسبة اليه تعالى من بين العبادات لانه عمل خفي اذ هو عمل سابي لا يطلع عليه في الحقيقة غيره تعالى فلا يدخله الرياء المحبط للاعمال ثم القدر المفترض منه هو صوم شهر رمضان من كل سنة على العاقل البالغ قال تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وشهود الشهر ان يبلغه على الطريق الشرعي المعروف دخول شهر رمضان برؤية هلاله او بعد شعبان ثلاثين يوما

فان ترك الصوم وافطر في نهار رمضان فلا يخلو ان افطر مستحلا او مستخفا كفر ومنه ما اذا افطر مجاهرا بفطره غير مبال بمعاينة الناس له فانه يحكم بكفره ويقتل قال في البزازية : من أكل نهارا في رمضان عيانا عمدا شهرة يقتل لانه دليل الاستحلال اه وان أَفطر ناسيا فلا شيء عليه عند ابي حنيفة واصحابه لا مؤاخذة ولا قضاء وذهب

مالك الى وجوب القضاء عليه . وان أفطر عمدا غير مستحل للفطر ولا مستخف بامر الشارع فهذا فاسق عاص اجماعا وعليه ان يقضي ما فاته من ايام الصوم وان يكفر بتحرير رقبة ولو كانت كافرة ان وجدها وان لم يجد رقبة فعليه صيام شهرين متتابعين ان قدر عليه فان لم يقدر لكبر او مرض اطعم ستين مسكينا بان يغديهم ويعشيهم غداء وعشاء مشبعين او يغديهم غدائين من يومين او يعشيهم عشائين من ليلتين ولكن لا يكفيه ذلك الا اذا كان الذين اطعمهم ثانيا هم الذين اطعمهم اولا حتى لو غدى ستين ثم عشى ستين غيرهم لم يجزه ذلك حتى يعيد الاطعام لاحد الفريقين ولو اطعم فقيرا واحدا ستين يوما اجزأه لانه بتجدد الحاجة في كل يوم يصير بمنزلة فقير آخر ومثل الاطعام ان يعطي كل فقير نصف صاع من بر او من دقيقه او يعطيه صاعا من تمر او شعير او زبيب او يعطيه قيمة ما ذكر وان تعددت ايام الفطر فعليه ان يقضيها جميعا وتجزيه كفارة واحدة عن الجميع لو من رمضان واحد للتداخل ولو من رمضانين اختلف التصحيح عند الحنفية ففي ظاهر الرواية انه لا تكفيه كفارة واحدة قال في الجوهرة وهو الصحيح وعند محمد تكفيه كفارة واحدة قال في البزازية والمجتبى وعليه الاعتماد قال الشيخ ابن عابدين في رد المحتار على الدر المختار بعد ان نقل التصحيحين عن البحر قلت فقد اختلف الترجيح كما ترى ويتقوى الاول بانه ظاهر الرواية اه

ففي مسئلتنا يقضي صيام ثلاثة وثلاثين شهرا ويكفر كفارة واحدة عن الجميع عند محمد بن الحسن رحمه الله وذهب امام دار الهجرة رضي الله عنه الى ان الكفارة تجب على التخيير بين التحرير والصيام والاطعام والاطعام افضل وانه لا يجزيه الاطعام الا اذا كان لستين مسكينا وانه لو اطعم فقيرا واحدا ستين يوما لم يكفه ذلك وان القيمة لا تجزىء وانه لا تكفيه كفارة واحدة عن ايام كثيرة بل لا بد من التكفير عن كل يوم بخصوصه ولا تداخل

وفقنا الله لاداء ما كلفنا به والهمنا ما فيه صلاحنا انه ولي الاعانة والتوفيق .

محمد الهادي ابن القاضي

الحياة العلمية

كان يوم الخميس الرابع عشر من شهر رجب المنصرم الموافق ليوم غرة اكتوبر الجاري هو يوم افتتاح السنة الدراسية . وهو يوم مشهود ترقبه النفوس الحية وتبتهج به كما تبتهج بايام المواسم والاعياد . ففتحت جميع معاهد العلم ابوابها . وعاودها نشاطها بعد ان كانت راكدة مدة الصيف المضني بحرارته للعقول والاجسام

وحدثت بسبب ذلك حركة في البلاد من جميع نواحيها حيث حل بالعاصمة الآف من الطلبة من مختلف انحاء القطر بعد ما قضوا زمن المصيف في بلدانهم بين اهلهم واصحابهم

في جامع الزيتونة — وفي يوم الخميس المذكور فتحت ابواب جامع الزيتونة فاقبل طلبته مبتهجين مسرورين بانقضاء الراحة وحلول زمن الكد والعمل المفيد فانشرح بقدومهم صدر الجامع وشيوخه ولاقوهم كما يلاقي الاب ابنه العزيز بعد ان طال به الانتظار . وعز عليه الاصطبار . وكانت مشيخة الجامع قد هيات جميع الاعمال والتراتيب من قبل بحيث ان غالب الدروس قد انتظمت من اليوم الاول . والفضل في ذلك راجع الى دقة النظام الذي يسير على مقتضاه صاحب الفضيلة شيخ الجامع الاعظم ابقاه الله

فرع جديد للجامع — وقد اضيف في مفتتح هذا العام فرع ثالث للجامع الاعظم بالحاضرة وهو جامع سيدي يوسف . زيادة عن فرعيه السابقين وهما جامع القصبة . والمدرسة الخلدونية وذلك لضيق الفرعين المذكورين عن ايواء التلامذة الذين اخذ عددهم في نمو وازدياد في هذه الاعوام التي احس الناس فيها بانه لا حياة ولا سعادة الا بالعلم . وخصوصا علم الدين واللغة العربية

ولعمري انه لمظهر مسر جدا هذا الذي دفع الناس على اختلاف طبقاتهم وعقلياتهم الى الحرص على تعليم ابنائهم مهما كانت التكاليف . ومهما عرضت من مصاعب

وجامع سيدي يوسف كان الحق بجامع الزيتونة في عام ١٣٤٥ الموافق لعام ٢٧ - ١٩٢٦ وانتظم التعليم به خمسة اعوام . ثم نقل لجامع القصبة وسنكتب في المستقبل عن تاريخ هذا وتفصيل ما وقع عند الحاقه بجامع الزيتونة .

اجراء الامتحانات ـ وقد اعيدت الامتحانات بالجامع للراسبين في امتحان آخر العام او لمن تعذر عليه اجراؤها اذ ذاك طبق التراتيب الجديدة للجامع

فابتدئت الامتحانات يوم السبت ١٢ رجب و٣ اكتوبر واعطيت النتيجة يوم الاحد ٢٤ و١١ منهما. وكان جملة الناجحين اثنين وسبعين تلميذا على التفصيل الآتي:

شهادة العالمية ـ اثنان في القراءات. واثنان في العلوم احدهما في القسم الشرعي والآخر في القسم الادبي

شهادة التحصيل ـ واحد في الرتبة الاولى. وثلاثة عشر في الرتبة الثانية. وواحد وعشرون في الرتبة الثالثة

شهادة الاهلية ـ واحد في الرتبة الاولى. وثمانية في الرتبة الثانية. واربعة وعشرون في الرتبة الثالثة. فنهنيهم جميعا ونرجو لهم زيادة الحرص على طلب العلم

نصيحة للطلبة ـ ونحن بما لنا من العاطفة الابوية. والحرص على صالح ابنائنا من عموم الطلبة ننتهز هذه الفرصة لنقدم لهم هذه النصيحة الخالصة لوجه الله

ايها الابناء الاعزاء زادكم الله من توفيقه. انتم قرة اعيننا. ومطمح امالنا وزينة مستقبلنا. ان كنتم تريدون لبلادكم الخير ولامتكم العز والشرف. وان تنهض من كبوتها. وتسترجع بعضا من عزتها. فاعلموا ان ذلك لا يكون الا بالعلم. فاصرفوا اوقاتكم في تحصيله ولا تتركوا لحظة من وقتكم تمر بدون عمل مفيد وتحصيل علم جديد. وانظروا الى ما يقاسيه اباءكم في سبيل اسعادكم وتهذيب نفوسكم وترقية شعوركم والى ما تقاسونه من بعد الاوطان. ومفارقة الاقارب والخلان. فاياكم ان تضيعوا اوقاتكم في غير الاستفادة والتحصيل. قال بعض الحكماء: الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك. وقال آخر: العلم ان اعطيته كلك اعطاك بعضه. فلتكن اوقاتكم مقسمة على ثلاث حصص. حصة للحضور بالدروس. وحصة للتحضير لها. وحصة لمطالعة الكتب في مختلف الفنون والمواضيع حتى تكون لكم مشاركة حسنة واطلاع واسع. فليس العالم من يعرف مسائل من النحو او من البلاغة او من المنطق ويتقنها ويجيد القاءها. بل العالم هو من تكون له ثقافة عامة. واطلاع واسع. وخبرة

بالحياة من جميع نواحيها • وذلك لا يمكن التحصيل عليه بالدروس وحدها • بل لا بدمعها من المطالعة والانكباب على دراسة الكتب على اختلاف مواضيعها وتباين مشاربها • واعلموا ان ملاك السعادة والنجاح • واساس البلوغ الى كل خير • هو تقوى • الله والبعد عن محارمه • فزينة العالم بالتقوى • ونجاحه بالاخلاص لله في السر والنجوى ولنختم هاته النصيحة بابيات خالدات من نظم شاعرنا التونسي الشيخ محمود قابادو رحمه الله وهي قوله:

دليل اصطفاء الله للعبد علمه ... وتشريفه ان يكشف الحق فهمه
وليست فنون العلم الا طرائق ... يؤم بها كل امرئ ما يهمه
لذلك لما استخلف الله ءادما ... توفر من علم الحقائق قسمه
فكان مناط العلم والدين والعلا ... بحيث نما العمران وامتد رسمه
فمن علم الاشياء وفى حقوقها ... ودان له فيما يحاول خصمه
وكل فنون العلم للملك نافع ... ولا سيما ما ساير الملك حكمه
لذاك ترى ملك الفرنج مؤثلا ... بعلم على الايام يمتد يمه
ومملكة الاسلام يقلص ظلها ... وينقص من اطرافها ما تضمه
وقدما تناهت في الفنون توغلا ... وجمع طم الصنع فيها ورمه
فلم يجد المستبعدون لعزها ... سوى العلم نهجا للرءاسة امه
فكان لهم منه النفوذ الى المنى ... ولا سيما ثغر خبا منه حجمه
لقد فاتنا في بادئ الصوب راينا ... واشفى لعمري ان يفوت ختمه
تباعد شوطا مقدم ومقهقر ... اذا لم يحن منه التفات يزمه
لعمري ليس الميت من اودع الثرى ... ولكن مطيق للغنى بان عدمه

فلتكن هاته الابيات نصب اعينكم • ولتتدبروا في معناها ومغزاها فهي التي تبعث الهمم من مرقدها وتحيي ميت الشعور والله المرجو لتحقيق الآمال ونجاح الاعمال •

محمد المختار ابن محمود



المرجو من القارىء الكريم تصحيح الاخطاء الآتية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٦	٣	دعى	دعا
٤٦	٧	على	عن
٤٨	١٦	يبداك	يبدؤكِ
٤٨	٢٠	آذنتك	اذنتك
٥٠	١	برذية	برذيلة
٥١	٦	بوعدن	يوعدون
٥٢	٤	بما	لما
٥٦	٢٠	السحاق	اسحاق
٦٢	١٩	داوداد	داود
٦٦	١٠	تدعوا	تدعو

تباع المجلة في الاماكن التالية

اماكن بيع المجلة بالحاضرة

المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢
مكتبة الاستقامة نهج سيدي ابن عروس رقم ٣٤
المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣
مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢
مكتبة الاطلس نهج سيدي ابن عروس رقم ٤٤
المكتبة الزيتونية سوق السرايرية
مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢
المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية
مكتبة العنابي (اخوان) نهج باب البنات
مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤
دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف رقم ٧٢

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

السيد الحبيب الذوادي ببنزرت بنهج احمد باي
« احمد المرابط متعهد بيع المجلات ببنزرت
« عمر بن يدر بفريفيل
« علي المزي بماطر
« احمد بن الحاج عبد الرحمن العجالي بقليبيه
« عبد القادر قربوج بنابل
« حموده الذكواني بمنزل جميل
محمد الصالح البكوش بباجه
السيد حمدان الشريف بسوسه
« محمد العربي بالمكنين
« محمد زهره بالمنستير
« ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال
« الصادق بوزيان بالقيروان
« سعد بن بلقاسم الصحراوي بسبيطلة
« علي بسباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس
« قدري قعيب بقفصه
« المكتبة الاسلامية بتوزر
« عمر اسكندر بنفطة
« شرف الدين الدقاشي بدقاش
« محمد بن علي امنجه بقابس
« حمزه شورو بميدون جربه

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

السيد محمود نسيم بشارع لالير رقم ٤٢ بالجراير
« محمود باش طبجي بساحة شارتر بالجزائر
مكتبة النجاح بقسنطينة
« قندوز بنهج جنجراس بسطيف
« الاخضر بن مبارك ببسكره
« بن داود بساحة دي قرقولات بعنابة
« محمد الهادي جلال بتبسه
مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك ٢٤ تلمسان

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

المجلد الاول	تونس في رمضان عام ١٣٥٥ وفي نوفمبر عام ١٩٣٦	الجزء الثالث

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

اطلب مع هذا الجزء هديته

ثمن الجزء فرنكان

الجزء الثالث — المجلد الاول

فهرس العدد

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠
« بلاد شمال افريقيا « ٣٠
« في الخارج « ٤٠
مخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء الثالث	تونس في رمضان عام ١٣٥٥ وفي نوفمبر عام ١٩٣٦	المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

بسم الله الرحمن الرحيم

اشد الناس ضررا على الدين اعداؤه الذين يعملون ضده وهم ينتسبون اليه

(بقلم رئيس التحرير)

إذا كنت قد تحدثت في مقالتي السابقة عن المثبطين للمشاريع بصفة عامة . وشرحت الطرق التي يسلكونها للقضاء على المشاريع . فاني اريد اليوم ان اتحدث عن نوع آخر من المثبطين الهدامين . وهم الذين يعملون للقضاء على الدين . وتعطيل تعاليمه . ومحو جلاله وتقديسه من النفوس . ولعمري ان هؤلاء اشد ضرراً واعظم خطراً من النوع السابق . وأن مقاومتهم ليست من الامور المستحسنة فقط . بل مقاومتهم واجبة على كل أحد ولا سيما على اهل العلم الذين يعد هذا العمل من أوكد الواجباب بالنسبة اليهم . إذ اول شيء يجب على الانسان أن يدافع عنه هو الدين وكل واحد من المسلمين مطالب بان يدافع عن دينه بالوسيلة التي يقدر عليها . وعلى العالم ان يبين للناس ما نزل اليهم . فيدفع عنهم غوائل المفسدين . ويكشف عن ضلالات الملحدين . وعلى العامة ان يعملوا بما بين لهم . وان يتجنبوا الوقوع في مهاوي الهلاك التي يريد المفسدون ايقاعهم فيها . والانسان بنفسه ادرى . ولا تزر وازرة وزر أُخرى . لذلك أَردت أَن اكشف القناع في هذا الفصل للقراء عن فرق تعمل لاحباط الدين . حتى يحذروهم ويكونوا منهم على بينة والله المُوفق .

لم ينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى إلا بعد ان نزل عليه قول الله سبحانه وتعلى (اليوم أَكملت لكم دينكم وأَتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) فكانت هاته الآية نصاً صريحاً في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم

يفارق هاته الحياة الدنيا إلا بعد ان كملت الشريعة التي أراد الله أن تكون خاتمة للشرايع وأن تكون القانون العام الشامل لمصالح الحياة الدنيا والآخرة . بعد ان وقع نسخ ما تعلقت إرادة الله بابطاله . فكانت الشريعة يوم نزول هاته الآية قد وصلت الى الحد الذي أراد الله أن تبقى عليه من غير ان تحتاج إلى أي اصلاح او تغيير . اذلو كانت محتاجة لذلك لما صح وصفها بالاستكمال فكل من يقوم بعمل يريد به تغيير ما جاء عن الشارع بدعوى الاصلاح الديني فهو مكذب بما جاء عن الله سبحانه وهو مشرك مرتاب

ومن نظر في شريعة الاسلام بنظر الباحث عن الحقيقة الراغب في الوصول الى محجة الصواب تجلى له انها شريعة واضحة مبنية على مصالح البشر بالصورة التي اختارها الله لهم ـ وهو الاعلم بمصالحهم ـ لا بالصورة التي يختارونها لانفسهم . اذ الانسان اذا وكل الى نفسه قد يلتبس عليه ما يضره بما ينفعه . فكان من لطف الله سبحانه وتعلى ان تكفل لعباده بترتيب جميع مصالحهم طبق ما جرى في علمه . حسبما يفصح عن ذلك قوله تعلى (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون)

ورغما عن ذلك كله فنحن لا نزال نرى افراداً يقومون بدعايات لا فساد الدين والعبث به والتشويش على عامة المسلمين بالقاء بذور الالحاد والزندقة بينهم او بادخال الشبهات عليهم وصدهم عن ذكر الله بما يثيرون من ضلالات وتوقفات في امور لاداعي للتوقف فيها . مع التستر بالوان من الارشاد وحب الاصلاح وغير ذلك من الكلمات الفارغة . ونحن وان كنا على يقين من ان عملهم لا يكون مآله الا الاخفاق بعد قوله تعلى (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) فنحن نخشى ان يصيب اذاهم بعض الانفس الآمنة المطمئنة التي ليس لها من الرسوخ في علم الشريعة ما يكون حائلا بينها وبين تسرب جراثيمهم اليها

وهؤلاء العاملون على افساد الدين قد اختلفت مشاربهم واشتبهت حالاتهم ولقد تتبعت اثارهم واستقصيت انباءهم واخبارهم . فوجدتهم على ثلاثة اصناف :

الصنف الاول ـ من يتجاهرون بالعبث بالدين وتعاليمه · فتراهم يزدرون بمقررات الشريعة وقواعدها واحكامها · ويتظاهرون بالانتقاد عليها

يعمد الواحد منهم الى حكم صريح من احكام القرآن فيطعن فيه · ويقول: هو تشريع منظور فيه الى زمن خاص كان يتناسب مع وقت نزوله اما الان فلا يمكن ان يعمل به كان يقول : ان مشروعية جعل حظ الذكر مـا للانثيين في الميراث انما يصلح العمل به عند ما كانت الانثى غير مطالبة بان تقوم بشيء من تكاليف الحياة امـا الآن ونحن نريد ان يكون لها من التكاليف مثل ما للرجل فينبغي ان نسوي بينهما في الميراث

وهذا الصنف مشرك بالله ورسوله

الصنف الثاني ـ من يتظاهرون بالتدين والتعصب للدين ولكنهم يضمرون له شرا فاذا اراد الواحد منهم ان يقوم بدعـاية ابتدأ دعايته بالانتصار للدين والدفاع عنه حتى إذا استوثق منك انك النت له جانبك واطمأن اليه قلبك · اخذ يقول لك : هذا الحكم لا ينبغي ابقاؤه على ما هو عليه · او لا ينبغي ان نصرح به امام غيرنـا من الامم الراقية حتى لا نكون سخرية عندها · وهكذا ياخذ في هدم ما لا يوافق هواه من احكام الاسلام

يعرض عليك مثلا مسألة الربا · فيقول لك : ان نظام الحياة الحاضرة متوقف على التعامل بالربا · وعليه فما جاء من النصوص في تحريمه منظور فيه الى ظروف خاصة كانت تقتضيه اما الآن فلا . ويرتكب هذا الصنف من اللين في دعايته ما يجعل بسطاء الناس يتاثرون بكلامه

وهذا الصنف أخطر من الذي قبله · لان النوع الاول بتجاهره بالحاده نـأمن على الناس ان يتبعوه اما هذا النوع الثاني فبسبب عدم تظاهره بالالحاد ربما يغتر بعض الناس به فيذعنوا لما يقوله · او يحصل لهم شك على الاقل · وامارتهم وان خفيت في اول الامر لكنها تظهر عند ما يشرعون في تنفيذ مقاصدهم الخبيثة فليحذرهم الناس وليتباعدوا عنهم · ولا يقبلوا منهم صرفا ولا عدلا ·

الصنف الثالث ـ من يعملون لتعطيل شعائر الدين متظاهرين بمقاومة البدع المحدثة فيه · فيبدأ الواحد منهم دعايته بمدح الدين والتشبث بتعاليمه ثم يقول لك ان الناس قد زادوا في الدين ما ليس منه فيجب تطهير الدين من هاته الزيادات · فتركن

نفسك الى هذا الكلام الحسن بظاهره · فاذا بحثت عما يدعون اليه وجدت دعايتهم كلها تنحصر في (التروك) اي في طلب الاقلاع عن كل عمل صالح بدعوى نه ليس من الدين · وان كان لا ينافي الدين ·

وهذا الصنف يلتبس بصنف آخر ويعسر التفريق بينهما وهو صنف المصلحين حقيقة الذين يريدون مقاومة البدع المنكرة في الدين ·

ويظهر ان امارة الفرق بينهما ليست عسيرة · فامارة الصنف الاول الاعتناء بالسفاسف واطالة القول فيها · وامارة الصنف الثاني الاعتناء بمقاومة منكرات البدع التي تعود على موضوع الدين بالنقض

فالصنف الاول إذا أراد ان يقوم بدعوى الاصلاح بدأ مثلا بالكلام على (السبحة) وقال ان اتخاذها لا يجوز لانها لم تكن مستعملة في الصدر الاول · فهي حرام · فتقول له ان السبحة آلة لعد ما يذكره الانسان عند ما يتعلق غرضه بعده وأي ضرر او منافاة للدين في ذلك فيعاندك عناد المستكبر · وهو لا غرض له في الحقيقة الا تعطيل ذكر الله

والصنف الثاني اذا اراد أن يقوم بدعوى الاصلاح بدأ مثلا بالكلام على ما احدث من البدع في اصول العقايد والتكاليف مما احدث فيها اختلالا وصيرها تقام على غير الوجه الذي قصد اليه الشارع من تكليف الناس بها · كالاعتماد على غير الله في قضاء الحاجات واعتقاد ان لغيره تاثيراً في اجرائها وهكذا تراه إنما يبحث عن البدع المنافية لموضوع الدين فيبذل جهده في مقاومتها · فعلى عامة المسلمين ان يجتهدوا في التفريق بين من يتظاهر بمقاومة البدع وغرضه الهدم · وبين من يقاوم البدع وغرضه اصلاح ما اختل من احوال المسلمين

هذا عرض مختصر لحالة العاملين على مقاومة الدين الساعين في القضاء عليه · وهو عرض لا يخلو من اجمال دعى اليه المقام ولعلنا نعود في فرصة اخرى لزيادة الكلام على بعض هاته الانواع · حتى يتضح للناس امرها · وينكشف سترها ·

والله المسؤول أن يثبت قلوبنا على دينه الصحيح · وأن يقينا شر عواقب الزيغ والفتن والالحاد ·

« محمد المختار بن محمود »

القرآن الكريم

دروس التفسير

لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

المقدمة الثانية في استمداد علم التفسير

استمداد العلم يراد به توقفه على معلومات سابق وجودها على وجود ذلك العلم عند مدونيه لتكون عونا لهم على اتقان تدوين ذلك العلم وسمي ذلك في الاصطلاح بالاستمداد اذ شبه احتياج العلم لتلك المعلومات بطاب المدد والمدد العون والغوات فقرنوا الفعل بحرفي الطلب وهما السين والتاء . وليس كل ما يذكره العلم معدودا من مدده بل مدده ما يتوقف عليه تقومه فاما ما يورد في العلم من مسائل علوم اخرى عند الافاضة في البيان ككثير من افاضات فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب فلا يعد مددا للعلم ولا ينحصر ذلك ولا ينضبط بل هو متفاوت على حسب مقادير توسع المفسرين

فاستمداد علم التفسير للمفسر العربي والمولد من علم العربية والآثار واخبار العرب واصول الفقه قيل وعلم الكلام

اما العربية فالمراد بها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وادب لغتهم سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم ام حصلت بالتلقي والتعلم كالمعرفة الحاصلة للمولدين الذين شافهوا بقية العرب ومارسوهم والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها

ان القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة • ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي وهي متن اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان • ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من اساليبهم في خطبهم واشعارهم وتراكيب بلغائهم ويدخل في ذلك ما يجري مجرى التمثيل والاستيناس للتفسير من افهام اهل اللسان انفسهم لمعاني آيات غير واضحة الدلالة عند المولدين ولعلمي المعاني والبيان مزيد اختصاص بعلم التفسير لانهما وسيلة لاظهار خصائص البلاغة القرآنية وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني واظهار وجه الاعجاز ولذلك كان هذان العلمان يسميان علم دلائل الاعجاز قال في الكشاف : علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علما المعاني والبيان وقال السكاكي في المفتاح « وفيما ذكرنا ما ينبه على ان الواقف على تمام مراد الحكيم تعلى وتقدس من كلامه مفتقر الى هذين العلمين (المعاني والبيان) كل الافتقار فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل قال السيد الجرجاني في شرحه : لاشك ان خواص نظم القرآن اكثر من غيرها فلا بد لمن اراد الوقوف عليها ان لم يكن بليغا سليقة من هذين العلمين • وقد اصاب اي السكاكي بذكر الحكيم المحز (يعني لان كلام الحكيم يحتوي على مقاصد جليلة ومعان عالية لا يحصل الاطلاع على جميعها او معظمها الا بعد التمرس بقواعد بلاغة الكلام المفرغة فيه) وقوله فالويل كل الويل تنفير لان من لم يعرف هذين العلمين اذا شرع في تفسير القرآن واستخراج لطائفه اخطأ غالبا وان اصاب نادرا كان مخطئاً في اقدامه عليه اهـ

واما استعمال العرب فهو التملي من اساليبهم في خطبهم واشعارهم وامثالهم ونوادرهم

ومحادثتهم ليحصل بذلك لممارسة المولد ذوق يقوم عنده مقام السليقة والسجية عند العربي القح . وهذا كما قلناه آنفا شيء وراء قواعد علم العربية وعلم البلاغة به يحصل انكشاف بعض المعاني واطمئنان النفس لها وبه يترجح احد الاحتمالين على الآخر في معاني القرآن ومن اجله نرى ايمة التفسير يكثرون من الشواهد من شعر العرب على الاستظهار في معاني القرآن الا ترى انك لو فسرت قوله تعلى يايها الذين ءامنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء » وعرض لديك احتمال ان يكون عطف قوله ولا نساء على قوله قوم عطف مباين او عطف خاص على عام فاستشهد على ذلك بقول زهير

وما ادري وسوف اخال ادري اقوم آل حصن ام نساء

كيف تطمئن نفسه لاحتمال عطف المباين دون عطف الخاص على العام . وكذلك اذا راى تفسير قوله تعلى وامسحوا برؤوسكم وتردد عنده احتمال ان الباء فيه للتاكيد او انها للتبعيض او للالة وكانت نفسه غير مطمئنة لاحتمال التاكيد اذ كان مدخول الباء مفعولا فاذا استشهد على ذلك بقول النابغة

لك الخيران دارت بك الارض واحدا واصبح جد الناس يضلع عاثرا

وقول الاعشى

فكانا مفرم يهوى بصاحبه قاص ودان ومحبول ومحتبل

رجح عنده احتمال التاكيد وظهر له ان دخول الباء على المفعول للتاكيد طريقة مسلوكة في الاستعمال

وروى ايمة الادب ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرا على المنبر قوله تعلى « او ياخذهم على تخوف » ثم قال ما تقولون فيها اي في معنى التخوف فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال عمر وهل تعرف العرب ذلك في كلامها قال نعم قال ابوكبير الهذلي :

تخوف الرحل منها تامكا قرداً كما تخوف عود النبعة السفن (١)

(١) التامك السنام وقرد بفتح القاف وكسر الراء كثير القراد والسفن بفتحتين المبرد

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا هو شعر العرب فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم وعن ابن عباس الشعر ديوان العرب فاذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغتهم رجعنا الى ديوانهم فالتمسنا معرفة ذلك منه وكان كثيرا ما ينشد الشعر اذا سئل عن بعض حروف القرآن قال القرطبي سئل ابن عباس عن السنة في قوله تعلى لا تاخذه سنة ولا نوم فقال النعاس وانشد قول زهير :

لا سنة في طوال الليل تأخذه ولا ينام ولا في امره فند

فما يؤثر عن احمد بن حنبل رحمه الله انه سئل عن تمثل الرجال ببيت من الشعر لبيان معنى في القرآن فقال ما يعجبني فهو عجيب وان صح عنه فلعله يريد كراهة ان يذكر الشعر لاثبات صحة استعمال الفاظ القرآن كما يقع من بعض الملاحدة روي ان ابن الراوندي (وكان يزن بالالحاد) قال لابن الاعرابي اتقول العرب لباس التقوى فقال ابن الاعرابي لا باس لا باس واذا انجى الله الناس فلا نجى ذلك الراس هبك يابن الراوندي تنكر ان يكون محمد نبيا افتنكر ان يكون فصيحا عربيا

ويدخل في مادة استعمال العرب ما يؤثر عن بعض السلف في فهم معاني بعض الآيات على قوانين استعمالهم كما روى مالك رحمه الله في الموطا عن عروة بن الزبير انه قال قلت لعايشة وانا يومئذ حديث السن ارايت قول الله تعلى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عايه ان يطوف بهما فما على الرجل شيء ان لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول لكانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما انزلت هذه الاية في الانصار كانوا يصلون لمناة الطاغية وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله عن ذلك فانزل الله ان الصفا والمروة الآية اه فبينت له ابتداء طريقة استعمال العرب لو كان المعنى كما توهمه عروة ثم بينت له دفع مثار شبهته الناشئة عن قوله تعلى « فلا جناح عليه » الذي ظاهره رفع الجناح عن الساعي الذي يصدق بالاباحة دون الوجوب

واما الآثار فالمعني بها ما نقل عن النبيء صلى الله عليه وسلم من بيان المراد من بعض القرآن في مواضع الاشكال والاجمال وذلك شيء قليل . قال ابن عطية : عن عائشة رضي

الله عنها مـا كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن الا آيـات معدودات علمه اياهن جبريل قال معناه في مغيبات القرآن وتفسير مجمله مما لا سبيل اليه الا بتوقيف اهـ

قلت او كان تفسيرا لا توقيف فيه كما بين لعدي بن حاتم ان الخيط الابيض والخيط الاسود هما سواد الليل وبياض النهار . وقال له انك لعريض الوسادة وفي روايـة انك لعريض القفا كما في صحيح البخاري . وما نقل عن اصحابه رضي الله عنهم الذين شاهدوا نزول الوحي من بيان سبب نزول وناسخ ومنسوخ وتفسير مبهم وتوضيح واقعـة من كل ما طريقهم فيه الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم دون الرأي وذلك مثل كون المراد من المغضوب عليهم اليهود ٠ ومن الضالين النصارى ٠ ومثل كون المراد من قوله تعالى « افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مـالا وولداً » العاصي بن وائل السهمي في واقعة له مع خباب بن الارت رضي الله عنه كما في صحيح البخاري والمراد من قـوله تعلى « ذرني ومن خلقت وحيدا الآية هو الوليد بن المغيرة المخزومي ابا خالد بن الوليد قال ابن عباس مكثت سنين اريد ان اسال عمر عن المراتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مـا يمنعني الا مهابته ثم سالته فقال هما حفصة وعايشة ٠ وبمعنى كون اسباب النزول من مادة التفسير انها تعين على تـفصيل المراد وليس المراد ان لفظ الآية يقصر عليها لان سبب النزول لا يخصص ٠ قال تقي الدين السبكي وكما ان سبب النزول لا يخصص كـذلك خصوص غرض الكلام لا يخصص كان يـرد ايضا خاص ثم يعقبه عام للمناسبة فلا يقـتضي تخصيص العام نحو فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير ٠ وقـد يكون سبب النزول موضحا لمـا يشكل نحو قوله تعالى « ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا » الآية(١) وتشمل الآثار اجماع الامة على تفسير معنى إذ لا يكون إلا عن مستـند كاجماعهم على أن المراد من الاخت في ءاية الكلالة الاولى هي الاخت للام وان المراد من الصلاة في سورة

(١) انظر ما قـاله قدامة بن مظعون لعمر في اعتذاره عن شرب الخمر وما اجاب به ابن عباس في سبب نزول الآية ص ١٨٢ موافقات ٣

الجمعة هي صلاة الجمعة وكذلك المعلومات بالضرورة كلها ككون الصلاة مراداً منها الهيئة المخصوصة دون الدعاء والزكاة المال المخصوص المدفوع

وأما القراءات فلا نحتاج إليها إلا في حين الاستدلال بالقراءة على تفسير غيرها وانما يكون في معنى الترجيح لاحد المعاني القائمة من الآية أو لاستظهار على المعنى فذكر القراءة كذكر الشاهد من كلام العرب لانها إن كانت مشهورة مأثورة فلا جرم أنها تكون حجة لغوية وإن كانت شاذة فحجيتها لا من حيث الرواية لانها لا تكون صحيحة الرواية ولكن من حيث أن قارئها ما قرأ بها إلا استناداً لذوق عربي صحيح إذ لا يكون القارئ معتداً به إلا إذا عرفت سلامة ذوقه كما احتجوا على أن أصل الحمد لله أنه منصوب على المفعول المطلق بقراءة هرون العتكي الحمد لله بالنصب كما قاله صاحب الكشاف وبذلك يظهر أن القراءة لا تعد تفسيراً من حيث أنها طريق في أداء ألفاظ القرآن بل من حيث أنها شاهد لغوي فرجعت لعلم اللغة

وأما أخبار العرب فهي من جملة أدبهم وانما خصصتها بالذكر تنبيها لمن يتوهم أن الاشتغال بها من اللغو فيستعان بها على فهم ما أوجزه القرآن في سوقها لان القرآن انما يذكر القصص والاخبار للموعظة والاعتبار لا لان يتحادث بها الناس في الاسمار. فبمعرفة الاخبار يعرف ما أشارت له الآيات من دقائق المعاني فنحو قوله تعالى « ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا » وقوله « قتل أصحاب الاخدود » يتوقف على معرفة خبرهم عند العرب

واما أصول الفقه فلم يكونوا يعدونه من مادة التفسير وانا عددته منها مريدا ان بعضه يكون مادة للتفسير وذلك من جهتين أحداهما أن علم الاصول قد أودعت فيه مسائل كثيرة هي من طرق استعمال كلام العرب وفهم موارد اللغة أهمل التنبيه عليها علماء العربية مثل مسائل الفحوى ومفهوم المخالفة وقد عد الغزالي علم الاصول من جملة العلوم التي تتعلق بالقرآن باحكامه فلا جرم أن تكون مادة للتفسير

الجهة الثانية أن علم الاصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها فهو آلة للمفسر في استنباط المعاني الشرعية من آياتها

وقد عد عبد الحكيم والالوسي علم الكلام في جملة ما يتوقف عليه علم التفسير قال عبد الحكيم لتوقف علم التفسير على ثبوت كونه تعالى متكلما وذلك يحتاج الى علم الكلام . وقال الالوسي لتوقف فهم ما يجوز على الله ويستحيل على الكلام يعني من آيات التشابه في الصفات ولعل هذا التوجيه اقرب من توجيه عبد الحكيم وكلاهما اشتباه لان كون القرآن كلام الله قد تقرر عند سلف الامة قبل على الكلام ولا اثر له في التفسير

وأما معرفة ما يجوز وما يستحيل فكذلك ولا يحتاج للكلام إلا في التوسع في إقامة الادلة على استحالة بعض المعاني وقد ابنت لكم أن ما يحتاج اليه المتوسع لا يصير مادة للتفسير ولم نعد الفقه من مادة علم التفسير كما فعل السيوطي لعدم توقف فهم القرآن على مسائل الفقه فان علم الفقه متأخر عن التفسير وفرع عنه . وانما يحتاج المفسر الى مسائل الفقه عند قصد التوسع في تفسيره للتوسع في طرق الاستنباط وتفصيل المعاني تشريعا وآدابا وعلوما وذلك لا يكاد يحصر ما يحتاجه المتبحر في ذلك من العلوم ويوشك ان يكون المفسر المتوسع محتاجا حينئذ إلى الالمام بكل العلوم . وهذا المقام هو الذي اشار له البيضاوي بقوله « لا يليق لتعاطيه . والتصدي للتكلم فيه . إلا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفي الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها »

محمد الطاهر ابن عاشور

اعتذار

تعتذر إدارة المجلة لقرائها الافاضل عن تأخير نشر بقية شرح حديث موسى والخضر للعلامة الاستاذ الشيخ محمد البشير النيفر وموضوع التجديد في الادب لمديرها بضيق النطاق بسبب نشر المواضيع الخاصة بالصيام وآدابه وسينشر ذلك بحول الله في العدد المقبل . كما أنها تجدد الاعتذار لحضرات الذين ارسلوا لها بمواضيعهم ولم يقع نشرها وستبذل الجهد في نشر كل ما ورد عليها في الاعداد المقبلة إن شاء الله. « الادارة »

الحديث الشريف

عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

الصِّيَامُ جُنَّةٌ . فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ . وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ . فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ . يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي . الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ . وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا . « اخرجه البخاري »

البيان

إن ألله تعالى خلق العباد وهو غني عن طاعتهم لا علاقة لكماله سبحانه بمعاصيهم ضرورة أن الجزاء راجع اليهم وعقول البشر متفاوتة في إدراك المنافع فيعملون للوصول اليها ولو بعد حين كما أنهم في جانب الضار ليسوا على قدم واحدة فتزل اقدام قوم وهم لا يشعرون لذلك كان من لطف الله بعباده وهو اللطيف الخبير أن أوضح سبل السعادة للبشر في دينه وعلى لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام لئلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل وليسلك عباد الرحمن المنهج القويم ويستعملوا جوهرة عقولهم فيما يعود عليهم بالخير الكثير والنفع العميم . وحذرهم من أشياء وعد ارتكابها عصيانا عظيما . وتوعدهم على مخالفته بجهنم ولبئست دار المذنبين

وما انفك الرسل صلوات الله عليهم وسلامه يقومون بهذا الامر الخطير ويبلغون عن الله تعالى ما أمر بتبليغه لصالح الناس ويرشدون قومهم للخير وفيه فلاحهم المنشود ويحذرونهم من الضلال الذي غلبتهم نفوسهم عليه . وما انقشع ظل نبي او رسول

حتى عاود النفوس بعض ما أنسته من قديـم وركبوا متن أهوائهم تأثـراً بوسواس الضالين المضلين

وعلى هاته الطريقة وذلك المنهاج سار البشر في حياته الدنيا قوم على هدى وفريق في ضلال ولن تجد لسنة الله تبديلا . وهذا الرسول الصادق والنبي الامين بعثه الله على فترة من الرسل بدين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون فأقر من الشرائع ما جاء بتقريره صريحا أو دلالة ونسخ منها عن تبديل او تغيير بزيادة او نقصان او عن ابطال على حسب ما اقتضته سنة العمران لحكمـة وان خفيت على بعض الاذهـان بيد أنه من خصوصيات الرسل حسبما يمليه عليهم الوحي الالهي (قل ما يكون لي أن ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الاما يوحى إلي) فلا تسع غيرهم من الانام

فهذا الكليم موسى عليه السلام يشرع له صيام يوم النجاة وهو اليوم الذي نجـاه الله ، فيه من فرعـون وظلمه والبحر وتلاطم موجه فشق له البحر واتخـذ هو وقومه من بينه طريقاً آمنا

فكان صيام ذلك اليوم من شريعته المرضية وقال في حقـه الرسول الامين صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ووجد اليهود تصوم يوم عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسي على فرعون ونحن نصومه تعظيما له فقال نحن أولى بموسى منكم وأمر بصيامه

ثم اقتضت حكمة العليم الحكيم ان فرض في الشريعة المحمديـة الخالدة الى يوم ينفخ في الصور أياماً أخر ووعد الممتثلين لذلك جزاء موفوراً .

وأحسب ان للوقت أثراً في هذا التشريع كما له في ذلك التشريع فروعي في العبادة الظرف الذي تؤدي فيه . وبما أن شهر رمضان شرفه الله تعالى من بين الشهـور حيث أنزل فيه القرآن . وأعظم به من منة على المسلمين جعله سبحانه ظرفاً لتقـام فيه هاته العبادة قياما بواجب الشكر والامتنان . وبمقدار عظم المنة كان واجب الشكر اوفر .

فذلك يوم النجاة

وهذا شهر القرآن (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. فمن شهد منكم الشهر فليصمه)

القرآن. وما ادراك ما القرآن. القرآن كلام الله القرآن المتضمن لدين الله. القرآن الذي جعله الله ترجماناً بينه وبين خلقه. القرآن نبراس الهدى للمهتدين. القرآن الذي ضمنه العليم أسرار شريعته. القرآن الذي قص علينا من حوادث الامم عبرا وذكرى لقوم يعقلون. واعطى للعالم المثال الكامل للخلق الحسن. القرآن الذي ادى به النبي الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم رسالته للعالم وجاءهم فيه بتشريع لا عهد للانسانية بمثله

وحقيق من كانت هاته بعض صفاته وتلك درجته ومزيته ان يتخذ الوقت الذي نزل فيه موسم عبادة وان يمتاز نوع هذه العبادة من سائر الطاعات وما ذلك الا بالاخلاص الذي وان كان شرطا في قبول جميع القرب إلا أنه قد يفارقها فتبقى جسداً بدون روح. وليس كذلك الصيام فان الاخلاص صفة ذاتية فيه كما افصح عن ذلك هذا الحديث

قال صلى الله عليه وسلم (الصيام جنة) قال ابن الاثير في النهاية معنى كونه جنة انه يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات اه

فالصيام حجاب يتستر به الصائم حتى لا يعبث به هواه فيرديه في المآثم التي توعده الله عليها بالنار فيكون الصيام حجابا من النار بواسطة انه يقيه من الشهوات وهذه اذا سلم من تاثيراتها لم يشمله الوعيد وتسربل بحجاب الامن من العذاب

ولا يبعد هذا إذا قلنا إن الصائم في عبادة خالقه ما دام متحليا بصفات القانتين صاعدة نفسه في مراقي الكمال متطلعة الى عالم الملائكة متصفة باخص صفاتهم التي تكون للمرء نعم الساتر بينه وبين سائر المهلكات

فجاء الترتيب ينادي بان من كانت تلك صفته لا يرفث ولا يصدر منه الفحش ولا يجهل بارتكابه ما هو من افعال اهل الجهل والاهواء. ولا يجادل بغير علم وهو مصداق قوله (فلا يرفث ولا يجهل) والرفث منكر في الفطر والصيام وهو من الصائم أشد لان حالة العبادة تنادي بالابتعاد عن المخاطر والا أوشك ان يخرج منها الصائم وهو خاسر الصفقتين

وكما أنه لا يتعدى على غيره لا يجاري اهل الدعارة في قبيح فعالهم (وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل إني صائم مرتين) وهذا من الحديث مثال ثان لخلق الصائم الذي دأبه مرضات الله عز وجل لا يخضع لما تمليه عليه ارادته من الانتقام لنفسه بل يكون مثالا ليقتدي به من لاخلاق له • فيرده عن غيه بلطيف قوله • وكفى بتذكيره بالصيام واعظا • وانه في عبادة ربه الذي لا يخفى عليه ظلم كل معتد أثيم وأن العابد يتنزه ان يلوث نفسه بالخطايا وينقض غزله وهو لا يشعر

وان من تحريف الكلم عن مواضعه أن يقول الانسان هذا القول في مقام الاعتذار عما يرتكبه من هجن القول فترى الرجل تسوء أخلاقه في يوم الصيام ولا يسلم من شره قريب او بعيد • وأشد من نشفق عليه في هذا المقام المرأة والحشم فيلاقي الواحد من هؤلاء ما يضني الفؤاد لا من أجل كبير • وإذا خاطبته فررت منه ووليت منه رعبا لما يظهر عليه من الغضب الشديد • ثم اذا رجع اليه رشده تمثل باني صائم

اما علم ان ذلك ورد في مقام الرد على امثاله لا في بيان وجه الاعتذار حتى يقبل منه قوله ويعطى من الاعذار ما يخفف عنه سوء صنيعه

أما درى انه بصنيعه هذا الممقوت خرج من سلك من يعنيهم الحديث ولا هو ممن وصفت رائحة افواههم بما جاء في قوله عليه السلام (والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك) وكفى بهذا القسم وانه لو تعلمون عظيم في بيان ما يكتنف الصائم من كمالات • وهذا الذي يتسرب الى بعض الاذهان من ان الصائم يعتريه من الصفات لخلو معدته ما ينفر منه • هو عند الله على نحو ما تستطيبونه في حياتكم الدنيا ايها الغافلون

والعبادة يتطلب لها كمال الظاهر والباطن فطيب المصلي المسك وطيب الصائم خلوف فمه ويزول هذا الطيب بعثرات اللسان كما يرتفع الحجاب بما ياتي به المرء من قبيح الافعال

فالعاقل البصير لا يرضى الا ان تكون جميع اعماله واقواله مراعى فيها جانب الله الذي تعبده بالصيام وما صام الا من اجله قال عليه السلام فيما يحكيه عن رب العزة (يدع

طعامه وشرابه وشهوته من اجلي) وهذا فيه التصريح بالتروك الثلاثة التي هي مظاهر الصيام . وبيان لصفة الاخلاص التي امتازت بها هذه العبادة التي يجني من ورائها الصائم نعما كثيرة (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) بعضها يرجع الى عالم المشاهدة من سلامة في الجسم والعقل . وبعضها يلقاه يوم الجزاء

وكفانا ترجمانا عنه ما جاء في تتمة هذا الحديث (الصيام لي وانا اجزي به) فتشرف باضافته الى الله تعالى

وللعلماء في تاويل اضافة الصيام لله تعالى مذاهب كثيرة والذي حدا بهم الى ذالك ما هو معلوم ان الاعمال كلها لله تعالى وهو سبحانه الذي يجزي بها

فجرت لهم فى بيان المراد اقوال لا سبيل الى استيفائها في المقام ونكتفي بالتعرض لثلاثة منها

احدها ان الصوم لا يدخله الرياء كما يدخل غيره من العبادات فيفسد المقصود منها وهو العبادة لله وحده والخلوص لجلاله . لتتحقق العبودية باكمل مظاهرها وادق مدلولاتها . وما دخل الرياء شيئاً الا أفسده . وسلم الصوم من هذا الخطر لان الاعمال التي تلابس العبادات تكون بالحركات الا الصوم فانه لا يطلع على حقيقته ما في نفس الامر الا علام الغيوب

وتعقب ابن حجر دعوى ان الصيام لا يتطرقه الرياء مفصلا في المقام

ان الرياء يحصل مرة بالقول واخرى بالفعل وهذا الثاني لا يدخل الصوم واما الاول فقد يدخل الصوم كمن يتبجح بخبره انه صائم . فهو من هذه الحيثية يدخله الرياء

وأختار في دفع الايراد ان الرياء الذي حصل انما حصل من القول ولم يكن حصل بنفس الصيام الذي وصف بانه لا يدخله الرياء وانما حصل من امر زائد على الصيام

ومن العلماء من اختار في التاويل ان الصيام لم يعبد به غير الله تعالى

ورجح آخرون ان يكون المراد ان سائر العبادات توفى منها مظالم العباد فيؤخذ من ثوابها ويضم الى حسنات الغريم الا الصوم قال ابن عيينة فيما رواه عنه البيهقي اذا

الحديث الموضوع

- ٢ -

علامـاتـه

لا تمكن معرفة الحديث الموضوع بدون ان ينظر في سنده الا لمن تضلع في السنة حتى امتزج الصحيح بلحمه ودمه وعـرف احواله صلى ألله عليه وسلم وهـو في عصرنا هذا كالخل الوفي

ومع هذا قد ذكر علماء هذا الفن من المتقدمين علامات للوضـع منها : ان يناقض ماجاءت به السنة الصحيحة كحديث من سمي محمداً او احمد لم يدخل النار فان الذي يجير من النار الاعمال الصالحة لا الاسماء والالقـاب . وحديث إذا غضب الرب نـزل الوحي بالفارسية وإذا رضي نزل بالعربية وامثال هذا كثير

ومن علامات الوضع سماجة اللفظ وركاكته كحديث لو كان الارز رجلا لكان حليما على ان رسول ألله صلى ألله عليه وسلم لم يكن ليشغل مجالسه العالية بالتحدث عن بعض المآكل كما يفعله اهل الشغف ببطونهم (مثل البطناجية في رمضان) وحديث لا كان يوم القيامة يحاسب الله تعلى عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من عمله حتى لا يبقى له الا الصوم فيتحمل الله تعلى ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة

ولما اخبر الله سبحانه انه الذي يتولى جزاء الصائم ولا يكله لسواه . فارق جـزاء الصوم جزاء غيره من الطاعـات ولم يذكر لحسناته عدد كما ذكر عـدد الحسنات مـع غيره من الطاعات (والحسنة بعشر امثالها) وألله يضاعف لمن يشاء كما جاء في بعض الروايات (إلى سبعين ضعفا)

ضاعف الله لنا الاجور والحقنا بخدمة سنة الرسول وملكنا اعنة نفوسنا حتى يكون صيامنا لله ونيتنا خالصة وسعينا لما فيه نفع الامـة متواصلا ورائدنا البحث عما فيه فلاحها انه قريب مجيب

محمد الشاذلي بن القاضي

تسبوا الديك فانه صديقي . ومنها مخالفة المحسوس وما قضت به التجربة كحديث الباذنجان شفاء من كل داء فان المشاهدة اثبتت ان كثيراً من الامراض يزيدها الباذنجان شدة

ومنها ان يتضمن الحديث خبراً يشهد التاريخ الصحيح ببطلانه كحديث اتقوا البرد فانه قتل أخاكم أبا الدرداء فهذا حديث لا أصل له ومن ادلة وضعه ان أبا الدرداء عاش بعد النبيء صلى الله عليه وسلم زمنا غير قصير

والحديث الذي يجيء على خلاف مقتضى الحكمة المتفق عليها بين اصحاب العقول السليمة منتظم في سلك الموضوعات مثل ما جاء « جور الترك ولا عدل العرب » فان الجور مذموم على الاطلاق كما ان العدل محمود على كل حال ولا شك ان هذا من وضع الشعوبية

ويلحق بما نحن بسبيله الاحاديث التي يحكم عليها الحفاظ بالوضع ويقول بعض المتصوفة انها ثبتت بطريق الكشف اذ من المتفق عليه بين الراسخين في علم الشريعة ان الرؤيا والكشف لا تتقرر بهما الاحكام الشرعية بل الاحكام التي تستند الى واحد منهما دون دليل من الكتاب او السنة الثابتة لا تخرج عن الابتداع في الدين والمزاعم الباطلة

ثم ان احاديث صلوات ايام الاسبوع لم يصح منها شيء وان ذكرت في مثل كتاب الاحياء للامام الغزالي

واحاديث فضل رجب كرجب شهر الله وان في الجنة نهرا ولا تغفلوا عن أول جمعة من رجب لم تصح

ومثلها احاديث فضل ليلة النصف من شعبان التي منها ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب وقد ضعفه البخاري وعن ابن دحية لم يصح في ليلة نصف شعبان شيء ولا نطق بالصلاة فيها ذو صدق من الرواة وما احدثه الا متلاعب بالشريعة المحمدية

واتخاذ تلك الليلة موسما تصنع فيه الاطعمة وتظهر فيه الزينة من الامور المبتدعة المحدثة التي لا اصل لها

الاختام بتونس

نظرا لما تعورف في بلادنا التونسية من القيام باختتام الحديث في شهر رمضان من كل عام فقد اردنا ان ننشر للقراء تاريخ اختتام الحديث في القديم والحديث

من السنن المعروفة بتونس منذ قرون الاحتفال بمجالس الحديث الشريف في رمضان في المساجد الجامعة وغيرها وفي المدارس ولا تكون قبل اليوم الحادي عشر من الشهر واما انتهاؤها ففي اليوم التاسع والعشرين منه وقد يكون في اليوم الواحد الختمان والثلاثة

اصل هذه المجالس ان اهل الخير وذوي العناية بالعلم والحديث الشريف من بناة المساجد والمدارس وغيرهم يؤسسون بهذه المعاهد دروسا للحديث الشريف ويقوم

كما لم يثبت شيء من احاديث فضل عاشوراء الا احاديث صيامه ففي البخاري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك صيام عاشوراء وقال من شاء صامه ومن شاء تركه وأما حديث من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه في سنته كلها فقال ابن رجب لا يصح اسناده واورده ابن الجوزي في الموضوع

ومن الاحاديث الضعيفة احاديث المهدي وليس فيها ما يعتمد عليه وبعضهم جمعها في تاليف مستقل ولا يغتر به

وهناك احاديث في التواريخ المستقبلة كلها لم تثبت وقد جمع بعض المولعين بالجفر احاديث كاذبة من هذا النوع ترويجا لبضاعته ونسب ما الفه من الكتب في ذلك الغرض لسيدنا علي رضي الله عنه وبعض اهل البيت كالباقر وجعفر الصادق والكاظم وكلها زور وافتراء على الله

ولا اصل لاحاديث قصص الانبياء التي تمس بالعصمة كعشق سيدنا داود لزوجة أوريا وارساله للقتال مرارا حتى قتل ولو ذكرها بعض المفسرين واهل السير. ثبتنا الله بالقول الثابت (يتبع) خادم الحديث : محمد الصادق النيفر

بها اهل العلم ويكون ريع الوقف الذي يتبرع به المؤسس اعانة لهم واكثر هذه الدروس في صحيح البخاري وقد يكتفي المؤسس بالرواية كما يعلم من الاطلاع على وثائق اوقاف هذه الموسسات وظهير الولايات الصادر لاصحابها ثم منها ما يبتدأ في كل سنة من رجب ومنها ما يكون في الحول كله وينتهي كلاهما في يوم معين من شهر رمضان ولاجله دعي بيوم الختم وفي رسالة التراجم المهمة للخطباء والايمة للشيخ العلامة ابي عبد الله محمد بيرم الرابع شيخ الاسلام ان ابا المحاسن يوسف داي وابا محمد حمودة باشا المرادي شرطا ان يكون راوي الحديث بجامعيهما ممن يحسن اللغة التركية ليبين بها معنى الحديث لمن يحضر مجلسه ممن لا يحسن الا اياها وربما شرط الواقف رواية الصحيح كله في الحول او الاشهر الثلاثة منه فالقائم للواقف بما عين اما ان ياتي على رواية الصحيح كله او يدرس في كل عام طائفة منه يبتدىء من فاتحته ثم من حيث انتهى في كل سنة إلى ما شاء الله تعالى

وممن كان يروي الصحيح كله الشيخ المعمر ابو النخبة مصطفى البارودي المتوفى في شهر رمضان عام ١٣٢٢ في مسجد الطراز والشيخ المقرئ ابو السرور البشير السقاط المتوفي عام ١٣٤٢ في مسجد سيدي ابي حديد وموعد ختم الاول اليوم (١٨) وموعد ختم الثاني (١٤) وكان العلامة استاذ الجماعة كبير اهل الشورى المالكية وامام جامع سبحان الله الشيخ ابو النجاة سالم ابو حاجب رحمه الله رحمة واسعة لا يقوم في هذا الجامع بتدريس صحيح البخاري العام كله ولا في الاشهر الثلاثة فحسب ولكن بعد عصر يوم الجمعة من اكل اسبوع ومن الناس من لا يلقي بالا لما رغب الواقف فيه من رواية الصحيح او تدريسه وانما يحضر اليوم المعين فيختار بابا او اكثر من صحيح البخاري يرويه او يلقي فيه درسا

ولا يزال جامع الزيتونة الاعظم عمره الله محتفظا برواية صحيح البخاري وصحيح مسلم والشفاء ايضا تبتدىء رواية الجميع يوم الاحد الاول من رجب وتنتهي اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان يقوم برواية صحيح البخاري الامام الاول وبصحيح مسلم الامام الثاني وبالشفاء الامام الثالث ومن السنة في الرواية بالجامع ان تكون بالباب المعروف بباء الشفاء من ابواب جامع الزيتونة وان يجلس الامامان

الثاني و الثالث بين يدي الامام الاول و يقال ان اول من سن سنة جلوس الامام الثاني بين يدي الامام الاول بعد ان كان يجلس الى جانبه الشيخ العلامة الصالح الطائر الصيت الطاهر ابن مسعود الفاروقي الامام الثاني بجامع الزيتونة المتوفي سنة ١٢٣٤ سنها ادبا مع شيخه العلامة صاحب النسب الطاهر الشيخ ابي محمد حسن الشريف الامام الاول يومئذ

وكانت السنة فيما يلقى من الدروس في هذه المجالس اكثار المواعظ فيها الا قليلا منها تنصرف فيه همة اصحابها الى تحقيق المسائل العلمية وقد ذكر بعض المؤرخين ان الشيخ ابا بكر ابن الشيخ تاج العارفين البكري ثاني ايمة جامع الزيتونة من آل هذا البيت اكثر في مجلس ختمه بجامع الزيتونة بجملة « قلت » لوفرة ما استنبط واستظهر وكان مجلس والده الشيخ تاج العارفين في الاشهر مجلس افادة يحضره العلماء ويتجاذبون اطراف الحديث ثم تغيرت الحال فصار المجلس مجلس رواية فحسب من يوم مات الشيخ ابو بكر

قال ابن ابي دينار في أواخر الفصل الثالث من خاتمة تاريخه المؤنس ما نصه

ولم يكن بالديار التونسية من يوم حل بها العسكر العثماني من تعاطى الرواية والدراية الا الشيخ العالم الرباني ابو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني سقى الله ثراه من صوب الرحمة والرضوان وكان مجلسه بالجامع الاعظم من اجل المجالس وتحضره الاجلاء من اهل العلم وتدور بينهم المباحث الجميلة في العلوم الجليلة ولايخلو مجلسه من فوائد في الثلاثة الاشهر رجب وشعبان ورمضان الى يوم الختم وهو اليوم السادس والعشرون من رمضان ثم تلاه ولده العلم الشهير والعالم النحرير الشيخ ابو بكر فسار سيرة والده وقام بعلم الحديث الشريف احسن قيام وشهد له بالرواية علماء الاسلام وكان في هذا الفن نسيج وحده وحصل له سر ابيه وبركة جده الى ان سار الى رحمة الله في سنة ثلاث وتسعين والف فتغيرت تلك القاعدة وصارت رواية لا غير وجرت به العادة للتبرك اه

ثم لم تزل السنة تتغير في جعل هذه المجالس بحال وعظ وارشاد حتى صارت مثابة تحقيق لمسائل العلم فحسب وكل ينفق مما عنده وأخذت هذه الطريقة تسلك من اوائل

القرن الماضي وربما وقع اختيار بعض اهل العلم من رجال هـذه الدروس على بعض النوازل الحادثة فيتناولها بحثا وتحقيقا ويبين مـا يراه فيها بناء على قواعد العلم ومن هؤلاء العلامة الطائر الصيت ومثال التحقيق وسعـة النظر الشيخ ابو العباس احمد بن الخوجـة شيخ الاسلام المتوفي في ذي الحجة ١٣١٣ فقد كان تـناول مسألة العمل بخبر البرق في الصوم في مجلس ختمه بجامع محمد باي المرادي سنة ١٢٨٠ لورود خبر الصوم ببرقية في هذا الشهر وجاء في الموضوع بتحقيق بديع ونقل ما كتبه فيه العالم المؤرخ الشيخ محمد السنوسي في رحلته الحجازية وكان العلامة الواسع الاطلاع الشيخ محمد النجار المفتي المالكي المتوفي في رمضان عام ١٣٣١ يتناول في مجالس اختامه مسائل الوسيلة والاجتهاد والكسب وغيرها مما صار موضوع اخذ ورد بين الكاتبين منذ اربعين عاما واكثر هذه المجالس تختم بحديث التسبيح اخر ما روى الامام البخاري في صحيحه وفي احكام التخلص لهذا الحديث يتـنافس المتـنافسون وربمـا جمع بينه وبين التخلص الى الدعاء واختص التخلص به وكان العلامة المحقق الصالح الورع الشيخ ابو عبد الله محمد النيفر الاكبر المفتي المالكي المتوفي سنة ١٢٧٧ اقام ختما بمدرسة بئر الحجار تشد الرحال اليه في سنة ١٢٥٨ جاء فيه بسبع تخلصات الى حـديث التسبيح

انظر ما كتبه ابن ابي دينار في تـاريخ الاختام بتونس وهيأتها على عهده في أواخر الفصل الثالث والفصل الرابع من خاتمة كتابه المؤنس • وما نقله ابن ابي دينار عن والده فيما يروى من كتب الحديث وهياة مجالس اختامها لم يتغير الحال عنه فيما بعد الاقليلا

فاما العناية بصحيح البخاري فلا تـزال الى اليوم وكان في اهل العلم من يـدرس صحيح مسلم ومن هؤلاء الشيخ العلامة كبير اهل الشورى المالكية ابو الفلاح صالح النيفر رحمه الله وله كتابة نفيسة على حديث كل سلامى من الناس عليه صدقـة كل يوم تطلع عليه الشمس المخرج في كتاب الزكاة من صحيح مسلم املى خـلاصتها بالمدرسة المرادية دوسا وكتابة على باب الوضوء وفضله وكان الشيخ العلامة كبير اهل الشورى المالكية ابو النجاة سالم ابو حاجب رحمه الله يختم بالمدرسة المنتصرية فيكتب على باب من ابواب الموطأ وهو اول من كتب على ابوابه في مجالس الاختام باقتراح السيد

الشريف دفين المدينة محمد العربي زروق رحمه الله وظل على طريقته هذه الى ان اقعده العجز وكان الشيخ احمد جمال الدين امام جامع المرسى يختار لختمه بعض مباحث من الشفاء للقاضي عياض رحمه الله

واما تقديم قراءة القرءان بين يدي مجاس الختم فلا تزال معروفة وكان من المعروف في القرن الماضي ان يتلى قبل الشروع في الختم بعض ابواب من كتاب في الوعظ للشيخ البوني وعلى هذه التلاوة وقف لا يزال ياخذ ريعه بعض الناس الى اليوم ولصاحبها ظهير ملوكي وقد تركت التلاوة منذ زمان بعيد

هذا ولم يذكر ابن ابي دينار حضور الملوك بهذه المجالس والظاهر انه لم يكن معروفا يومئذ وما حدث الا على عهد الملوك الحسينيين وفيهم المقل والمكثر

فقد كان المولى ابو النخبة مصطفى باشا باي يحضر بضعة اختام منها ختم قاضي الجماعة الشيخ محمد البحري بن عبد الستار والمفتي المالكي الشيخ محمد بن سلامة وختم الباشية وجامع الزيتونة وهو اول من حضر ختم الباشية من ءال بيته وكانوا لا يدخلونها فيما قبل لما في الصدور على مؤسسها المولى علي باشا مما اكتسبه بسوء سلوكه ثم عمه المولى حسين بن علي رحمه الله رحمة واسعة

وجاء من بعده المولى المشير الاول احمد باشا باي فكان يحضر بضعة اختام ايضا منها ختم صديقه ورفيع المكانة من قلبه الشيخ محمد بن سلامة وختم العلامة شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن الخوجة وختم العلامة شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بيرم الرابع بالعنقية وختم جامع الزيتونة

اما ابن عمه المشير الثاني المولى محمد باشا فلم يكن يؤثر عنه الا الحضور بجامع الزيتونة ثم جاء شقيقه المولى محمد الصادق باشا فعني بمجالس الاختام عناية لم تعهد لاحد من سلفه وكان تعجبه المباحثات العلمية والاخذ والرد فيها وكان من المسارعين في البحث بها يومئذ من أهل العلم العلامة شيخ الاسلام أبو العباس أحمد كريم رحمه الله ولشدة عناية هذا الامير بحضور مجالس الاختام كان يجمع أحيانا في المساء الواحد بين الختمين ثم ضعفت هذه العناية فخص بحضوره جامع الزيتونة الاعظم

أما شقيقه المقدس المولى أبو الحسن علي باشا باي والد الجناب العالي ايده الله فلم يحضر الا مجلس الختم بجامع الزيتونة الى ان أقعده عنه المرض في أواخر ايام حياته ومجلس ختم جامع المرسى الذي اسسه

ثم جاء ابنه المولى محمد الهادي باشا باي فاحيى سنة عمه المولى محمد الصادق باشا باي في العناية بمجالس الاختام فلم يكن يتخلف الا عن القليل منها وكان هذا في السنتين الاوليين من سني ولايته ثم صرفه عن حضورها ما مني به من المرض الذي صحبه الى وفاته رحمه الله

أما المولى أبو عبد الله محمد الناصر باشا باي فقد اختار في أول مدة ولايته بضعة أختام وهي ختم جامع الحرمل للشيخ العلامة المفتي المالكي أبي عبد الله محمد النجار وختم جامع صاحب الطابع للشيخ العلامة شيخ الاسلام أبي الثناء محمود بن الخوجة وختم جامع الزيتونة ثم أختص بحضوره ختم الجامع الاعظم وختم جامع صاحب الطابع الى وفاة إمامه شيخ الاسلام رحمه الله ثم صار يحضر مجلس ختم الجامع اليوسفي لامامه شيخ الاسلام يومئذ العلامة ابي عبد الله احمد بيرم رحمه الله وختم جامع الزيتونة و تخلف عنها جميعا في رمضان عام ١٣٤٠ قبيل وفاته للمرض

وأما ابن عمه المولى محمد الحبيب باشا باي فقد حضر للعام الاول من اعوام ولايته مجالس سبعة اختام منها ختم جامع الزيتونة الاعظم ثم صار يحضر ختم الجامع اليوسفي وجامع الزيتونة فحسب

اما الجناب العالي بارك الله في عمره فقد عني بحضور مجالس الاختام من اول سني ولايته المباركة وغير ايام بعضها تقديما او تاخيراً ليحضر عامة ما وقع عليه اختياره منها فصارت تبتدىء في العامين الماضي والحاضر من اليوم الثامن نسأل الله ان يمد اهل العلم بعون منه على خدمة حديث رسوله صلى الله عليه وسلم والتعلق باذياله ءامين « كاتب »

الحديث النبوي

هو ثاني كتابي التشريع في الاسلام . واكبر مظاهر الشريعة السمحة بعد القرآن الكريم . ومن اهم مواد اللغة العربية واوسع موارد لسان الضاد . حفظه يحفظ اللسان . وينير الجنان . ويطيل العمر

التشريع الاسلامي

المقاصد الشرعية واسرار التشريع

او القواعد العامة في التشريع والحكم الباطنة في جزئياته

ابتداء من هذا العدد ننشر سلسلة مقالات في هذا الباب بقلم العلامة الجليل . الامام النظار . المتبحر في علوم الشريعة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة ابقاه الله . وادام النفع به .

نظرة في طريق استثارة المقاصد الشرعية وتمهيد

طالما حدت بي عوامل الشغف بهذا الموضوع النفيس ودواعي الشوق الى تذوقه ان أتقصى اثر اسلافنا فيه فطفقت اتصفح تراثهم العلمي واستكشف خباياه واعجم ما في كنانته لاعثر على ضالتي المنشودة فرأيت في مجموعه ما يقضي لبانة النفس ويضيء ارجاء البصيرة لكن بعد ان يلقى الباحث عرق القربة ويتجشم قطع عقبات تذره طليح النصب صريع الضجر لبعد النجعة وصعوبة المرتقى

ذلك اني لم أعثر في هذه الثروة العلمية مع غزارة مادتها وكثرة انواعها ووفرة عددها على ديوان جامع جدير باستحقاق هذا اللقب يجمع في مطاويه شمل المقاصد الشرعية ويفصح عن أسرار التشريع وإنما يوجد في بطون الدواوين الفقهية وكتب علم الخلاف صبابات من العلل وشذرات من الادلة لا تشفي للواقف عند حدها علة إذ لا تبثه تلك العلل مقصداً تارز اليه أفراد من أنواع الاحكام ولا تناجيه بما يكفي للاذعان بانه مقصد ولا تسفر عما في أغوار تلك العلل من الفوائد

ويوجد في كتب القواعد الفقهية ما يجمع اشتات الجزئيات ولكنها مقفرة من الاستدلال على تاصيل تلك القواعد ممسكة عن حديث المصالح التي تترتب عليها والمفاسد التي تدرأ بها على اني لا اغمص حق كتب القواعد البعيدة فقد جلت في بعض

الميادين وأطلعت في ءافاقها كواكب اليقين كبعض من فروق الشهاب وجملة من القواعد المبثوثة في موافقات الشاطبي ألا إن ذلك غيض من فيض ووشل من بحر

ويوجد في بعض كتب التصوف ما يستخلص منه كثير من اسرار التشريع بيد ان معظمه قاصر على الاداب وأعمال القلوب وممزوج بما لا يساير احوال الدهماء من الجمهور ولا يناسب الا فريقا خاصا ممن نبذ الدنيا وراءه ظهريا

ويلفى في التفاسير وكتب شروح الاحاديث كثير من أسرار التشريع ومقاصده ولكنها مشتتة غير متسقة ويقتصر منها على ما يتعلق بالآية المسوقة والحديث المتكلم عليه الامر الذي لا يصل الانسان معه الى حظيرة القطع واليقين لظنية الدلالة واختلاف العلماء فيها

فكان لزاما على الباحث عن المقاصد الشرعية واسرار التشريع ان يشد رجال الصبر ليقطع هذه المهامه الفيح وبعد طول السهاد ومواصلة الادلاج يحمد سراه ويجني ثمر مناه ويا ليت (أو لعل) بروق التوفيق تتألق للعلماء الراسخين من المعاصرين العاملين في سبيل الاصلاح فتشرح صدورهم لمراجعة المواد المتحدث عنها وجمع متفرقاتها ونظم شتاتها وسبكها في قالب يقري أريها المشور ويجعل الوصول اليها من الامر الميسور وذلك فيما أرى يحصل بإبرازها في أحدى صورتين الاولى إجلاؤها في صورة قواعد عامة يبرهن عن تاصيلها بالادلة السمعية المفيدة لذلك وعن عمومها باعتبارها في افراد المواضيع الفقهية المختلفة الانواع ويكشف عما في اعتبارها من المصالح الراجعة للافراد او المجتمع الثانية ان تبرز في صورة موضوعات فقهية يستهل فاتحة كل موضوع منها بالمقاصد التي اعتبرها الشارع فيه ويستدل عليها بالجزئيات الواردة عن الشارع في ذلك الموضوع المحافظة على تلك المقاصد وتحلل تلك المقاصد تحليلا شافيا جاريا على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ويتمم ذلك بنظرات الفقهاء في الجزئيات التي امسك الشارع عنها فاستنتجوا أحكامها من المقاصد التي راعاها

فبالسير في هذا السبيل يمكن للباحث ان يصل الى مقاصد الشارع ويتيسر التفقه في الدين ويتضح ذلك بتمهيد كان من المتعين ان يستهل به الموضوع لولا التطلع الى محادثة الاخوان بما يقصيهم عن الوقوع في مهاوي العثار او الوقوف على سواحل الحرمان

— التمهيد —

وهو ان التشريع الديني أثر من ءاثار رحمة الله للعباد ومنهل من ينابيع اللطف بهم حيث جعل بينهم وبين المضار حصونا منيعة وساق اليهم المنافع كما يساق الماء الى الارض الجرز وهو في عامة نواحيه يرمي الى تزكية النفوس وازالة اوضار النقائص عنها وغرس الفضائل فيها يستوي في ذلك ما يرجع الى علاقات العبد مع ربه وما يئول الى العبد في خويصة نفسه وما يعود الى علاقاته مع بني جنسه وقد اومأت باية يتلو عليهم ءاياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ونظائرها الى هذا الغرض بشيق الجمل في سلك ذلك الترتيب البديع إذ الرسول يتلو الايات فتسمع ويبينها فتعلم ويروض النفوس فتزكو فلما كانت التزكية متاخرة عما قبلها ومترتبة عليه وهي الغرض الاسمى من التلاوة والتعليم فقاهما بها تقفية المقدمات بالنتائج

وللشارع فيما يشرعه مقاصد وحكم ادراكها هو الفقه في الدين الذي يزيد المؤمن إيمانا وتتفاوت قوى الناظرين في استيفاء حظوظها منه كما يرشد اليه قوله عليه الصلاة والسلام انما أنا قاسم والله معط وقول امام دار الهجرة ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء وبنور هذا الادراك أمكن للراسخين في العلم ضبط أحكام الجزئيات التي توارت بحجاب الخفاء لسكوت الشارع عنها وتخصيص العام بالقياس وتقييد المطلق به وتقديم بعض الاقيسة على بعض أخبار الاحاد وتعميم المعنى بالغاء خصوص اللفظ وترجيح بعض الاخبار المتعارضة على بعض وتمهيد قواعد الفقه

وليست هذه المقاصد بالمنتظمة بربانها في سلك البيان ولا بالملقاة في فيافي الابهام بل بعضها صرح فيها الافصاح عن محضه وبعضها اقتصر فيها على التعريف بوحي اللفظ ورمز الاشارة . لذلك تفاوتت مراتبها فكان منها ما بلغ هضبة العلم واليقين كحفظ الكليات الخمس الدين والنفس والعقل والنسب والمال التي جاءت الشرائع كلها بالمحافظة عليها والتي لا تستثير في اعتبارها الى شاهد معين بل تستقي اعتبارها من جزئيات كثيرة مبثوثة في الشريعة يشهد كل فرد منها لها حتى صار اعتبارها مقطوعاً به كدأب الادلة الظنية الكثيرة الواردة على شيء معين فان مجموعها يفيد القطع على ما يشهد به الوجدان وما

افادة التواتر المعنوي للعلم الامن هذه الناحية فللمجموع من الاثر ما ليس للافراد .
وكان من المقاصد ما لم يعد منازل الظنون لقلة شواهده او خفائها وهذه المقاصد عند التامل لا تكون الا خادمة للمقاصد المقطوع بها وهي التي يتسع فيها مجال الاجتهاد وتنتشر لاجلها الاقوال والمذاهب

وما القواعد التي يؤصلها ارباب المذاهب الا ناظرة من هذه المشكاة فمنها ما تعلق بعروة اليقين وهي القواعد التي تمالؤا عليها كقاعدة ارتكاب اخف الضررين وقاعدة عدم رفع اليقين بالشك وقاعدة سد الذرائع في الجملة ومنها ما وقف بساحل الظن وهي المختصة ببعضها

والطريق المستقيم المفضي الى ادراك هذه المقاصد استقصاء النظر في مصادرها من الكتاب والسنة واستكشاف عللها بالمسالك المعروفة في علم اصول الفقه واستجلاء العلل بتبويئها منزلا من منازل الضروريات ومتمماتها والحاجيات ومكملاتها والتحسينيات وتوابعها ذلك ان هذه الشريعة القيمة جاءت بالمحافظة على ما يتوقف النظام واستقامة الاحوال على اعتباره بحيث لو ولي شطر الاهمال لذهبت مظاهر العقل الانساني ايدي سبا وجرت الاحوال على فساد وتهارج واختلال تنزل بالانسان الى درك الشقاء وتمنعه من الاستواء على صهوة الارتقاء وهذا ما يعنونه الاصوليون بالضروريات

ووسعت هذه الشريعة المباركة للعباد مجال استجلاب المصالح ودرء المفاسد بتمكينهم من استيفاء ما هم بحاجة اليه حتى لا يمسهم ضيق ولا يلحقهم حرج بالحيلولة بينهم وبين حاجياتهم وهذا ما يلقبه الاصوليون بالحاجيات

وزادت هذه الشريعة في العناية بهم فشرعت لهم ما يستحسن في مجاري العادات وقانون المروءة ومكارم الاخلاق وهذا ما يسميه الاصوليون بالتحسينيات وبالغت في المحافظة على كل مرتبة من هذه المراتب فشرعت لها من الوسائل ما يكون اعون على تحقيقها واتم في صونها وحياطتها وهو ما يسميه الاصوليون بالمتممات والمكملات

فاذا جس الناظر علل الاحكام بطنا وظهراً واحاط بحالتها خبرا كان في متناوله

الاعلام بفضل العرب في الجاهلية والاسلام

بقلم العالم الاديب البارع الشيخ علي النيفر المدرس من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة

— مقدمة وتمهيد —

مما يثير اللوعة ويبعث الاسى ان يتطاول من يعد نفسه من علماء المسلمين على مقام الامة الاسلامية ويطعن في كرامة السابقين الاولين اولئك الذين اضاءوا غياهب العالم بعد الظلمة المدلهمة بما ادوه للامم من امانة التبليغ لهاته الشريعة السمحة التي رفعت الجنس البشري من دركات الجهل والغواية ومساوي الاخلاق الى اسمى درجات العلم والهدى ومحاسن الشيم • بل ومن العجب العجيب والحدث المنكر الغريب ان تبتلى الامة العربية الكريمة بمن يجحد فضلها ويغمص حقها وهي التي سارت بذكر مفاخرها الركبان • وتحدث بمزاياها كل قاص ودان

او ليس مما يصم الاذان ويستفظعه كل انسان ان تنعت الامة العربية النبيلة ذات الشرف الاثيل • والمجد الباذخ الذي ليس له مثيل • بانها احط الامم وان العربي حيوان اعجم ليس له من مميزات الانسان الا الصورة الجثمانية • وبها استحق سمة الانسانية لا ينفلت من هذا الحكم القاسي سالف او خالف غير علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه • سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم • وافك مبين • لا يقره منصف ولا يرضاه مسلم

عند تزاحمها وتعارض مقتضياتها استجلاء مقصد الشارع في تقديم ما هو احق بالتقديم واستنار له الطريق فألحق غير المنصوص باشباهه ونظائره

وإذ تبين ان هذه المراتب الثلاث ومكملاتها هي القطب الذي تدور عليه رحى جزئيات الشريعة وانها تطوف حول حفظ مصالح العباد وإغلاق أبواب الشرور عنهم فيلزم لادراك أسرار التشريع إجراء جزئياته على ما ترمي اليه هاته المراتب ولمعرفة المقاصد الشرعية تلقي ما ورد فيها صريحا أو استثارتها من الجزئيات السمعية المحققة لتلك الرغائب والله الهادي الى سواء السبيل خادم العلم : محمد العزيز جعيط

الا ليعلم الناعق بهذا الهذيان ان الامة العربية ان يكن مسها الضعف في العصور الاخيرة وساورها الانحطاط وبذها غيرها من الامم في كثير من الميادين فما ذلك بهادم ما بناه من المجد اسلافها الاكرمون ولا هو بماح من صفحة الوجود تاريخهم الذهبي الخالد وءاثارهم البادية للعيان وما بعد العيان بيان

تلك ءاثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

وبعد فرحضا لاوضار هذه الفرية الشنعاء وتمحيصا للحق بالرجوع لتحكيم ميزاني الشرع والتاريخ نجعل الحديث في هاته العجالة يدور حول نقطتين « شواهد الشريعة الناطقة بفضل العرب. والبراهين التاريخية المنادية بمزايا الامة العربية في الجاهلية والاسلام »

شواهد الشريعة الناطقة بفضل العرب عموما
والسابقين منهم الى الاسلام خصوصا

فضل العرب على غيرهم من الامم ادلته في الشريعة مستفيضة حتى كاد يكون معلوما من الدين بالضرورة قال الكرماني : الذي عليه اهل السنة والجماعة اعتقاد ان الجنس العربي افضل من غيره من الاجناس البشرية . هذا مذهب اهل العلم واهل السنة وادركت من ادركت من اهل الافاق من حجاز وغيره على هذا . وان من خالفها او طعن فيها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهاج اهل السنة ثم قال : ونعرف للعرب حقهم وفضلهم وسابقيتهم ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب العرب ايمان وبغضهم نفاق » ولا نقول بقول الشعوبية وارذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بالفضل لان قولهم بدعة وضلالة اهـ . ونقل عن ابن عباد مافضل رجل العجم الا وفيه عرق من المجوسية ينزع اليه . ولنذكر بعض الادلة الشاهدة بفضل العرب فنقول قال تعالى « ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » قال المفسرون : المراد من الناس محمد صلى الله عليه اوسلم او العرب . وعلى ثاني الاحتمالين فهو دليل واضح على فضل العرب . وروى الطبراني والبيهقي وابو النعيم والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى خلق الخلق فاختار

من الخلق بني ءادم واختار من بني ءادم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فانا خيار من خيار فمن احب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » وهذا الحديث صريح في تفضيل العرب على غيرهم . وروى الحافظ ابن تيمية من طرق معروفة هذا الحديث بعينه • وفي خبر آخر رواه الترمذي وحسنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهما فرقة » الحديث • قال العلماء والفرقتان العرب والعجم

وروى الامام احمد في مسنده هذا الحديث وفيه فصعد النبيء صلى الله عليه وسلم المنبر فقال « من انا » فقالوا « انت رسول الله صلى الله عليه وسلم » فقال : انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة وجعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فانا خيرهم بيتا وخيرهم نسبا » وروى الترمذي وغيره عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك » قلت يارسول الله كيف ابغضك وبك هداني الله قال « تبغض العرب فتبغضني » فجعل عليه الصلاة والسلام بغض العرب سببا لبغضه وسببا لفراق دين من حل بقلبه فكان سلمان رضي الله عنه يقول : نفضلكم يا معشر العرب بتفضيل رسول الله اياكم لا ننكح نساءكم ولا نؤمكم في الصلاة . رواه البزار باسناده • فاذا كان البغض الذي قد لا تترتب عليه نكاية المبغوض على ما سمعت فالايذاء بالسب والتنقص اولى واجدر بذلك

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احبوا العرب وبقاءهم فان بقاءهم نور في الاسلام وان فناءهم فناء في الاسلام » وروى الحاكم « حب العرب ايمان وبغضهم كفر فمن احب العرب فقد احبني ومن ابغض العرب فقد ابغضني » وعن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » حديث صحيح • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انا عربي والقرآن عربي ولسان اهل الجنة عربي » قال الحاكم : انه حديث

صحيح رجاله كلهم ثقات وكذلك حديث « قدموا قريشاً ولا تقدموها » وحديث « الايمة من قريش » وحديث « الناس تبع لقريش » وعن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي » ومما يزيد هذا المعنى ايضاحا ما ذكره غير واحدان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رتب الديوان للعطاء قالوا يبدأ امير المؤمنين • قال لا ولكن ضعوا عمر حيث وضعه الله فبدأ باهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بمن يليهم من قريش الى ان اتت نوبته في بني عدي ثم بدأ بقبائل العرب فلما انقضت العرب جاءت العجم والمراد ذووا الحاجات • وا ا عطاء الديوان فلاحظ للعجم فيه بل هو خاص بالعرب لانهم كتائب الاسلام فبان من صنيع عمر رضي الله عنه ان جنس العرب افضل من جنس العجم ولا فضل كفضل عمر ولاعلم كعلمه • وقد قال فيه صلى الله عليه وسلم « الحق يدور مع عمر حيثما دار « وفي رواية « وضع الحق على لسان عمر وقلبه » وكان رضي الله عنه لا يستحي من الحق ولا تاخذه في الله لومة لائم فهو اعلم بمراتب التفضيل • وفي العقد الفريد لابن عبد ربه ان معاوية رضي الله عنه ما استدر له كلام قط فقطعه حتى يذكر العرب بفضل او يوصي فيهم بخير • قال بعض العلماء : ومما يدل على كمال العرب وفضلهم على غيرهم النهي عن التشبه بالعجم في الزي والكلام فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم « ان من كان يحسن ان يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فانه يورث النفاق » رواه ابن عمر رضي الله عنهما وقال عمر رضي الله عنه اياكم ورطانة الاعاجم

هذا واما حديث « لا فضل لعربي على عجمي » فالمراد والله اعلم انهما سواء في الاحكام الشرعية من حدود وغيرها جمعا بين الادلة : هذه نبذة يسيرة من شواهد الشريعة المنادية بفضل الامة العربية عموما (يتبع) علي النيفر

اعتذار

ابلغنا بعض مشتركينا الكرام ان الجزء الثاني من المجلة لم يصلهم فبادرنا لانهاء المسالة لادارة البوسطة لعمل ما يلزم في الامر وانا نعتذر لحضراتهم عن ذلك وعسى ان لا يقع مثل ذلك الخلل في المستقبل

الوعظ والإرشاد

الصيام وآثاره في الفرد والمجتمع

بقلم العالم الفاضل الشيخ محمد الطاهر النيفر
المدرس بجامع الزيتونة عمره الله بدوام ذكره

(يايها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)

من أعظم منن الله تعلى على هاته الامة المحمدية ان كتب عليها الصيام كما كتبه على الذين من قبلها فكان احد الاسس المتينة التي اقيم عليها الاسلام . واحدى دعائمه المحكمة التي لا يقوى على تخريبها تقادم العصور ومعاول الايام . فئاثاره في تقويم النفوس البشرية اعظم من ان تحصى . وفوائده للمجتمع اكثر من ان تستقصى . وناهيك بعبادة ضمت للتقريب من الله زلفى تطهير النفوس مما عسى ان يلتحق بها من خشونة الطبع وضعف العاطفة نحو ذلك البائس الفقير الذي ترتبط معه بهاتيك الرابطة العظمى رابطة الاسلام التي لا تنفصم عراها . ومتى عملت هاته العبادة عملها في النفوس بسطت بعضا من النعم التي آثرها بها المتصرف الحكيم على السائل والمحروم فتصبح سعادة البشر عامة ولو الى حين : واذ قد لمحنا لك في هاته النبذة لعظيم فوائده . وجليل قلائده . فيجدر بنا ان نفصل لك ايها القارئ الكريم بعضا من هاتيك الفضائل الجمة في الحال والمئال. والله الموفق وعليه الاتكال . ان من نظر بعين الهداية والتوفيق لما سنه الله لنا في هاتـه الشريعة السهلة المحكمة النظام وجـده لا يخرج عن اصلاح مفردنا وجمهورنا . في دنيانا وبعد نشورنا . حتى نكون في سعادة شامله . وخيرات فضائلها متكامله . وقد كانت عبادة الصوم جامعة لهاته الفضائل الثلاث اعني خير الآخرة واصلاح الفرد والمجتمع ولذا رأينا ان الحديث في هذا المقام يتناوله من ثلاث جهات : فضائله الاخروية — فوائده الفردية — آثاره الاجتماعية

فضائله الاخروية — ان الله تـبارك وتعلى اوجب الصوم في شهره المبارك ورغب فيه . ووعـد بجزيل العطاء عليه . فقال : « وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » ونسبه الله لنفسه من بين سائر العبادات اظهاراً لشريف مقـداره . وجلائل آثاره فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا اجزي به والصيام جنة فاذا كان يوم صيام احدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه احد اوقاتله فليقل اني صائم اني صائم والذي

نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما اذا افطر فرح بفطره واذا لقي ربه فرح بصومه » رواه البخاري وغيره واللفظ له . والوجه في اختصاص هاته العبادة بالانتساب للذات العلية انه لا يـداخلها ما يمكن ان يصاحب العبادات العملية من رياء وتظاهر بالطاعة فهي العبادة التي لا يطلع عليها سواه ولا تكون الا لله . واظهارا لمزيد فضل الصوم خص الله تبارك وتعلى باب الريان في الجنة بالصائمين . تمييزا لهم عن سائر عباده الذين شملهم فضله واحسانه فكانوا من الفائزين.كما وعد جل فضله بمحو جميع الخطايا والذنوب.لمن اتم صومه على الوجه المطلوب وشفعه في صاحبه يوم لا يغني مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم فعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيام يقول الصيام اي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان) رواه احمد والطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم

فاذا كانت هاته فضائله وتلك مزاياه فالعجب كل العجب ممن عنه يعرضون ويستبدلون هاتيك السعادة الابدية بارضاء الشهوة البهيمية ، واتباع ملذاتهم الدنيه ، فيخرجون بصفقة المغبون شان من اضله الشيطان واتبع هواه فانقلب على وجهه مذموما مدحورا خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين وليس صوم المؤمن بترك طعامه وشرابه والاعراض عن ارضاء الشهوة الغريزية فقط وانما الصوم بترك ذلك كله مع الاعراض عن القيل والقال وتجنب لغو الكلام وفواحشه والابتعاد عن انتهاك الحرمات والتعرض لعيوب المخلوقات .

فقد ثبت في بعض الآثار ان جرم التعرض للغير بما لا يرضيه يساوي ما اعده الله من عظيم الجزاء على صومه وعليه ان يتجنب الرفث والصخب ، وما يؤدي لايقاد العواطف وجالب اللعن والغضب ، فان سابه احد او شاتمه فليقل اني صائم اني صائم وفي الحديث الشريف عن ابي هريرة رضي الله عنه (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه) اخرجه البخاري . واذا كان الصيام جنة كما في حديث ابي هريرة المتقدم اى ساترا من النار فكيف نجعله مطية للوقوع فيها فانا اصبحنا نشاهد ويا لهول ما نشاهد في اغلب اوقات الصيام كثرة الخصام والسباب . والافراط في المواجهة ببذي القول وفواحش الخطاب . ولربما وصل بهم الامر للخروج عن دائرة الاسلام وهم لا يشعرون فاذا انحيت على مرتكب ذلك باللوم والتعنيف اعتذر بانه صائم كانما صومه بذلك اغراه . وما درى المسكين انه عن مثل ما وقع فيه ينهاه ، وانه جاء بما يوازي احباط مسعاه فالواجب المحافظة على اللسان ، فانه اصل كل بلية للانسان ، وتعمير اوقاته بمختلف الطاعات ، وذكر خالق

الارض والسماوات ، سبحانه الكبير المتعال فالطاعة يعظم جزاؤها بزيادة فضل اوقاتها ، وتتفاوت درجاتها بتفاوت امكنتها في الشرف والفضل فعن سلمان رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان قال (يا ايها الناس قد اضلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة خير من الف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة كان كمن ادى فريضة فيما سواه ومن ادى فريضة فيه كان كمن ادى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل اجره من غير ان ينقص من اجره شيء) رواه ابن خزيمة في صحيحة ثم قال صح الخبر ورواه من طريق البيهقي ، ومما ارى لزاما التعرض له في هذا المقام ما اعتاده غالب اهل ايالتنا من تعمير لياليه بالعاب اختلفت انـواعها ، وتعددت اوضاعها ، وجميعها لا يخرج عما كانت الشريعة تاباه رأفة بنا وحرصا علينا من ان نضيع الوقت الثمين ، فيما لا نجني من ورائه فائدة باحدى الدارين ، والانكى من ذلك كله ان منا من يقضي هاتيك الليالي الفضليات في الميسر او غشيان الملاهي ودور الفسق والفجور اين تهتك ستور الشريعة الطاهرة ويداس الخلق النبيل ولا يرى ارباب هـاتيك المحلات بأساً في الاعلان عن تلك الحفلات الجامعة لشتات المنكرات فيكون عاملا على افشاء الفاحشة في قومه وتعميم الرذيلة بينهم كانما اسلامه عن ذلك لا ينهاه . والخلق الفاضل لا يأباه . واني لاعجب من مثل هذا الخب الاثيم كيف ارتضى لنفسه هاته المهانه . وتدلى بها لدرك الحقارة والادانه . فجعلها واسطة سوء بين فجار بني آدم والساقطات من بنات حواء فجمع بينهما في محله طمعا في الاستحصال على بعض الدريهمات التي تكون سحتا عليه . ولا تمر بحمد الله لديه فاعرضـوا ايها المؤمنون عن جميع ذلك فان من اتبع هواه وجد الشيطان الى قلبه سبيلا فاضله طريق الرشاد واوشك ان يأخذه الله بما كسبت يداه فيصبح من النادمين وهيهات ان يعود له ما فات . او تفيده الحسرات والتأوهات . واستبدلوا ذلك باحياء لياليه بالعبادة . والتوبة من الذنوب والدعـاء بالانابه . فمن لياليه ليلة القدر . التي هي خير من الف شهر . ومن احياها بما يرضي الرب الكريم غفر له ما تقدم من ذنبه فعن ابي هريرة رضي الله عنه (من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وقد اخفاها الله تعلى ترغيبا لنا في احياء جميع لياليه حتى يعظم الزاد . ليوم اللقاء والمعاد . فنكون من الذين ابيضت وجوههم فكانوا من الآمنين

فوائده الفردية — اولها الصحة فالصوم رياضة تجفف الرطوبات البدنية وتفني المواد المنهكة للقوى التي كثيراً ما يتولد عنها امراض يصعب علاجها ويخفى سببها فقد أثبت ابن سينا الحكيم ان هاته المواد تتولد من الطعام وتكثر حتى ينجم عنها امراض معضلة يخفى عن الحكيم سببها في غالب الاحيان ولا

وقاية منها الا بالاعراض عن كثرة الاكل زمنا في كل سنة. وتابعه فيما قرره حكماء اروبا من بعده. اذاً فالصوم وان تولد عنه الضعف والذبول في بعض الاحيان فعاقبته القوة والنمو الا ترى الى النبات الذي يمنع في بعض الاحيان السقي حتى يذبل ثم يفاض عليه الماء فيعاوده نموه وزهوه بصفة اتم واحسن مما لو استمر سقيه والكثير من النباتات استمرار سقيها يؤدي لتلفها. ومنها كسر سورة الشهوة وكبح جماحها حتى يصبح قيادها بيده ولا يتم ذلك الا بتسييرها طبق رغبته لا طبق مرغوبها ولا ارى خطرا يقضي على كيان الانسان في هاته الحياة ويسلب سعادته بعد موته كتغلب الشهوة على العقل فان من طغت شهوته عليه افرط في اتباع هواه وانغمس في ملذات هاته الحياة وعندئذ تنطمس من نفسه اشعة الصفات الكريمة كالعفة والقناعة والحياء والسخاء فتصبح الفضيلة وقد تهدمت من نفسه اركانها. وتزعزع بنيانها وفي ذلك البلاء العظيم لامته جمعاء فصلاح الامة بحسن تهذيب افرادها. ومن فوائده العظيمة توطين النفس على المكاره وتعويدها الصبر وعدم الجزع حتى يتمكن من تاديبها طبق ما يمليه الشرع والعقل ويقتضيه الشرف وحسن الشيم ومن لم يوطن نفسه على هاته الصفات اصابه يوم يعضه الدهر بنابه والزمان ذو الوان من جراء ذلك العذاب الاليم فالذي لا يملك نفسه عند الجزع والشدة لا يقدر على التخلص منها وفي ذلك هلاكه المحقق وخسرانه المبين ولذا كانت العرب تضرب للابل الاخماس بالاسداس استعدادا بها للسفر في الصحاري والقفار حتى تتمكن من قطع هاتيك المسافات الشاسعات التي قل ان يظفر مجتازها بمرغوبه من زلال الماء. ومن اعظم الاغراض التي يرمي اليها الاسلام توطين نفوس اهله على هاته الصفات الجليلة التي بها سعادة البشر في جميع اطوار حياته. ومن فوائده ايضا معرفة قيمة النعم حتى يحسن التصرف فيها والاحتفاظ بها فان النعم لا تدرك حق الادراك الا بزوالها والاشياء تعرف باضدادها

آثاره الاجتماعية — اعظمها التسوية بين الاغنياء والبائسين. واهل الخصاصة والمترفين. في فقد دواعي اللذة وموجبات النعم وفي هاته التسوية تعميم الالفة بين افراد الامة الواحدة والاعراض عما يدعو للتخالف الناشي عن ترفع بعضهم عن بعض ومتى صفت النفوس من الاحقاد والتنافر حصلت السعادة العامة للجميع والتآلف بين افراد الامة المحمدية في مقدمة الامور التي جاء الاسلام داعيا اليها في كتابه الحكيم وعلى لسان الصادق الامين قال عليه الصلاة والسلام (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) اخرجه البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه. ومنها تعدي نعم ذوي اليسار. لاهل الخصاصة والاعسار. لان من تذوق طعم المكاره حن قلبه لاهلها فكان ذلك حاملا له على مواساتهم واعانتهم على التخلص من الشدة التي يتخبطون فيها. وفي هذا القدر كفاية وذكرى لمن القى السمع وهو شهيد.

محمد الطاهر النيفر

التاريخ

صحيفة من تاريخ تونس

- ٢ -

كيف نشأت خزائن الكتب لدراسة العلوم بجامع الزيتونة المعمور

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد بن الخوجه المستشار لدى الحكومة التونسية

ان هذه النهضة المباركة هي النهضة الثانية بالعصر الحسيني اذ بها استدرك المشير احمد باي الاول ما درج عليه سلفه من الانتصار لجانب العلم واهله ولقد تساسلت اشعة انوارها بالديار التونسية فاولدت المدرسة الصادقية التي جاءت بكل نتاج خصيب اما تعمير المشير المشار اليه لجامع الزيتونة بخزائن الكتب التي نوهنا بشانها فقد كان تكوين ذلك بجمعه للكتب الموجودة بمسجد بيت الباشا بباردو واضاف لها كتب الوزير حسين خوجه باش مملوك التي باعها عليه دائنوه اشتراها بريالات ٢٨٩١٧ ثم اضاف لها بعد ذلك ما امكنه اقتناؤه من الكتب على التوالي ومن ذلك خزانة كتب الشيخ ابراهيم الرياحي بعد وفاته في سنة ١٢٦٦ واوقع بها تحبيسا وجعل ثوابها في صحيفة الشيخ المذكور وهذه الكتب الرياحية هي انفس قسم اشتملت عليه المكتبة الاحمدية لانها جمعت بين النفايس والنوادر المغربية والمشرقية مما اختاره الشيخ رضي الله عنه بنفسه في رحلته لفاس سنة ١٢١٨ وللاستانة سنة ١٢٥٤ فصار الجميع ٢٦٩٦ مجلدا زين بها صدر الجامع وجعل نظرها لشيخي الاسلام باعانة القاضيين الحنفي والمالكي وكان نظار الجامع يومئذ اي في سنة ١٢٥٦ هم الشيخ محمد بيرم الثالث والشيخ ابراهيم الرياحي والشيخ محمد بن الخوجه والشيخ محمد بن سلامه وسوغ اعارتها لاهل العلم على شروط واقام لها وكلاء وحفظة ثم لما تاخر الوزير مصطفى خزندار عن الوزارة الكبرى في سنة ١٢٩٠ وكان مستغرق الذمة للدولة كان في جملة ما صالح عليه من المال خزانة كتبه النفيسة المشتملة على الكتب الغريبة والنادرة ذات الابداع في النسخ والتزويق والتذهيب وكان في جملتها كتب المرحوم الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف الذي باعها في قائم حياته وجملتها ١٧٩٨ مجلدا الحقها المشير محمد الصادق باي بالتحابيس المتقدمة من ابن عمه المشير الاول احمد باي واقتدى بصنيعه المأثور اخوه صنو الشجرة الحسينية المولى علي باي

الثالث اذ خصص من خزانته العامرة ثلاثمائة كتاب بنية التحبيس على الجامع تمت عقدة تحبيسها على يد ابنه المقدس المولى محمد الهادي باي حسبما سياتي الكلام عليه عند التعريف بالمكتبة العبدلية وهذه الكتب تضمنت عيونا ونفايس منها كناشات شيخ الاسلام العلامة الشيخ احمد كريم وديوان شعره الرقيق وبعض شرحه على متن المحبية في الفقه الحنفي والبعض الآخر استاثر به جامع عقبة ابن نافع بالقيروان فى جملة التحابيس الصادرة من المولى محمد الهادي باي المتقدم ذكره على مكتبة هذا الجامع وهنا يتبادر للذهن بان من مصلحة المعلمين والمتعلمين الجمع بين هذين القريبين الشتيتين اما بضم ما بجامع القيروان لجامع الزيتونة او العكس واول الوجهين اولى لانتظام دراسة الفقه الحنفي بتونس دون غيرها من بلدان المملكة ولان الشرح المتحدث عنه لم يمثل للطبع ولا توجد منه غير النسخة الوحيدة المنقسمة بين تونس والقيروان فجمع شتاتها لا يمكن ان يكون الا حسنة تستمد منا لاقدار كتابتها في صحيفة من يهمهم أمر الجامع: قال الشاعر :

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

هذا وقد اقتدى بصنيع من تقدم من المحبسين السابقين غيرهم من المحسنين كالوزير محمد خزندار المتوفى عام ١٣٠٦ اذ وقف على الجامع خزانتين عامرتين بالكتب المعتبرة منها دائرة المعارف لبطرس البستاني كما ان الوزير مصطفى بن اسماعيل حفظ له التاريخ حسنة كللت مدة صولته وجولته بالبلاط الصادقي حيث اشترى كتب الفاريق عصمان امير عساكر المنستير

وأضافها لما تقدمها من التحابيس على جامع الزيتونة وتوفق بعض العمال الاقدمين للتحبيس ايضا على خزانة الجامع كالمرحوم القائد ابراهيم بن عباس الرزقي حيث الحق بالخزانة المذكورة مكتبته الخاصة وعلى ذلك المنوال جرى عمل بعض الاعيان التونسيين منهم المرحوم الشيخ المختار بن عمر شهر قابادو حيث اوصى باضافة ما انجر له من كتب متبنيه المفتي الشيخ محمود قابادو الشريف للتحابيس المتقدمة ومعلوم ان كتب الشيخ قابادو كانت كلها عيونا نعم ان ورثته عارضوا يومئذ في صحة تلك الوصية ولكنهم ما لبثوا ان ركنوا لقبول صلح في النازلة وتم انفاذ تلك الوصية لفائدة جزانة الجامع وكتب نص الصلح المشار اليه على ظهر احد تلك الكتب وهو كتاب الاتقان في علوم القرآن للامام السيوطي وتوالت تحابيس الافراد من الحاضرة وخارجها ابتغاء الثواب وحسن المثاب الى ان بلغ جملة ما بخزانة الجامع الاحمدية ليومنا هذا من عيون التصانيف واغلبها مخطوط باليد الى ٧٨٣٣ مجلدا وهذا العدد ينبغي ان يضاف له كتب المكتبة الفرعية التي اسست بالجامع لفائدة طلبة العلم في سنه ١٣٤٤ بمساعي جميل الذكر المولى محمد الحبيب باي وجملتها ٦٣٧٧ جزء كلها كتب دراسية من طبع مصر والمشرق تطوعت الدولة التونسية بدفع ثمنها من الميزانية العمومية واستفدنا

من المصادر الوثيقة ان مشيخة الجامع الجليلة ما زالت همتها منصرفة نحو التوسيع والتوفير في هذه الخزانة الدراسية لفائدة طلبة العلم وانها حصلت على وعود من الدولة في مد يد الاعانة لها في ذلك، الامر الذي لا يسع كل محب في العلم الا تحبيذه مع اهداء جميل الشكر من اجله للمقامات العالية بالدولة التونسية ولصاحب الفضيلة شيخ الجامع وفروعه . بقي علينا ان نتكلم على خزانة كتب العبدلية وتسمى في الاصطلاح الرسمي بالمكتبة الصادقية نسبة لمحييها بعد الاندراس وهو المشير محمد الصادق باي ففي سنة ١٢٩٢ احدث هذا الامير باشارة من المصلح الكبير الوزير خير الدين المكتبة المشار اليها وجعل مركزها بالمحل الذي كانت به المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة التي حبسها في المائة العاشرة السلطان ابو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي حسبما سبقت الاشارة لذلك وجمع بها اكثر ما تيسر له جمعه من التحابيس التي كانت مشتتة بالمساجد والاضرحة والمدارس بتونس وخارجها وشارك الوزير خير الدين في هذه المبرة باضافة الف مجلد لذلك من خزانة كتبه الخاصة ومنها كتب البيارمة الاعلام وعليها بخطوطهم من التعاليق والحواشي الشيء الكثير وفي ضمنها كتب المرحوم محمد داود من رجال دولة المشير احمد باي ووضع لها قانونا من شروطه الانتفاع بتلك الكتب مطالعة واستنساخا من دون اخراجها من الجامع على قاعدة خزائن الكتب العمومية باروبا هذا وقد اشرنا فيما تقدم من الحديث لما عقد عليه النية المقدس المولى علي باي الثالث من تحبيس ٣٠٠ مجلد من الكتب القيمة على جامع الزيتونة فانجازا لذلك المقصد الاشرف بادر ابنه ووريث ملكه المنعم المولى محمد الهادي باي اثر صعوده على عرش الملك بانفاذ التحبيس الموعود به من والده طاب ثراه واضاف لذلك نصف خزانة كتبه العامرة فكانت الجملة نيفا وثمانمائة مجلد حبسها على المكتبة العبدلية وحبس النصف الآخر من كتبه على مكتبة جامع عقبة ابن نافع بالقيروان اما تحبيسه على العبدلية فقد وضع له دفتر خاص مفتتح بخطبة نفيسة من انشاء المفتي الشيخ محمد بيرم ابن الشيخ الرابع هذا وقد توفق غير من ذكرنا للنسج على ذلك المنوال فحبسوا كتبا كثيرة على المكتبة الصادقية وممن كتبت له الاقدار هذه المزية في صحيفة حسناته من اهل عصرنا الحاضر المدرس الشيخ الشاذلي بن ضيف اذ كان من اكثر العلماء تحبيسا على العبدلية ومثله البرة العفيفة باهية بنت السعيد اذ حبست في رجب ١٣٥٢ نحو الاثني عشرة مائة جزء من الكتب انفاذا لوصية من زوجها المرحوم الحاج صالح بن عمار الحداد المزابي واخر تحبيس تمتعت به المكتبة العبدلية هو الكتب النفيسة التي وقفها في هذا العام ملكنا الحالي بهجة الايام والليالي سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني بلغه الله الاماني وقد تضمن هذا التحبيس عيونا من الكتب النادرة منها تفسير الامام الثعلبي النيسابوري في اربعة اجزاء ختامها وافق العدد ٥٨٠٨ الذي هو اخر عدد عمومي لما بالمكتبة العبدلية من الكتب في كل فن باشتمال ذلك على مجموعة الفهارس المصرية والتركية والاروباوية التي

توفق كاتب هذه النبذة لنزعها من خزانة كتبه الخاصة والحاقها بكتب العبدلية ايثارا للجنة تدوين الفهرس الجديد وتسهيلا لمراجعاتها اثناء ابحاثها الفنية وفي ضمن ذلك فهرس المكتبة الخديوية بمصر ومكتبة راغب باشا بالاستانة وطبعة كشف الظنون الالمانية وكلها مما جمع فاوعى وباضافة العدد ٨٠٨ ه المشار اليه انفا للعددين المتقدمين يعني لعددي الكتب المحفوظة بخزانة الجامع الاصلية وبخزانة الطلبة تكون جملة الكتب الموجودة في هذا اليوم بخزاين جامع الزيتونة عمره الله ٢٠٠١٨ مجلدا اغلبها مخطوط باليد ويوجد ضمنها من الكتب النادرة والغريبة ما يعز عن النظير وحسبك الوقوف على اعيانها بخزائنها ومما لا يجوز اهمال ذكره في هذا المقام الكتب الكثيرة والثمينة المنجرة من خزانة المرحوم الشيخ محمد بن مصطفى بيرم دفين مصر التي بعث بها ابنه الهمام الارشد السيد مصطفى بيرم لخزانة جمعية قدماء المدرسة الصادقية وجعل مرجعها على شروط لخزانة المكتبة العبدلية وهذه الكتب المخطوط كثيرها بخط القلم تضمنت عيونا ونفايس منها تفسير ابن عادل وهو من الكتب النادرة ومنها غير ذلك من غريب التآليف والنفايس ولنا ان تقول ان خزائن جامع الزيتونة احتوت على كنوز لا تقدر بمال وقد قام بوصف بعض مدخراتها العلمية الفهرس الجديد الذي طبع منه اربعة اجزاء وما زالت العناية منصرفة نحو انجاز بقيته بهمة اللجنة العلمية المنوط بعهدتها تدوينه واني لمفتخر بمشاركتي في المساعي التي سهلت تاسيس تلك اللجنة للقيام بذلك العمل الجليل ونشكر لاعضائها النابغين مجهوداتهم في ذلك السبيل لا سيما وقد انجزوا في هذه الاثناء تدوين بقية فهرس المكتبة العبدلية باجمعه بحيث لم يبق منه غير مطبوع سوى جزأيه الخامس والسادس ولكن نرجو لها التمادي في مشروعها بنشاط لتدوين فهرس مكتبة الجامع الاحمدية لانها تستغرق نحو العشرة اجزاء على اقل تقدير ومنه تعلى نستمد الاعانة والتيسير

محمد بن الخوجة

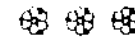
الاحتفال بتأبين الشيخ ادريس بن محفوظ الشريف مفتي مدينة بنزرت سابقا

في اول شهر شعبان المنصرم وقع في مدينة بنزرت احتفال عظيم لتابين الشيخ ادريس الشريف مفتي المدينة سابقا . بمناسبة مرور عامين على وفاته . والشيخ ادريس رحمه الله كان من افاضل اهل العلم . وقد جمع بين العلم والادب وحسن العقيدة . فهو جدير بان يخلد ذكره وينوه بشانه وكانت لنا به مودة خاصة متوارثة . تمكنا بسببها من اكباره واجلال قدره والاطلاع على فضائله التي قلما يعرفها كثير من الناس . لما جبل عليه رحمه الله من الانزواء . والبعد عن مظاهر الرياء . وقد افاض مؤبنوه من ادباء بنزرت ونبهائها في ذكر فضائله واجادوا في ذلك بارك الله فيهم وفي كل من يعمل لتخليد ذكر امثال هذا الفقيد العظيم . اذ رقي الامة يتوقف على تقدير فضل رجالها العاملين . وكان حدثنا الفقيد في حياته عن كتاب الفه في الرد على بعض المبتدعة وتوضيح ضلالهم للناس . وبودنا ان لو تتوفق الهيئة التي عملت على تخليد ذكره بهذا الاحتفال الى طبع هذا الكتاب اذ بذلك تكون قد اسدت للهيئة العلمية يدا تذكر فتشكر . فالى هيئة الاحتفال شكرنا الجزيل على هذا العمل الجليل . جازاهم الله خيرا

الأدب

ضحايا المدنية الحمقاء

قف بالعقول وشد شمل رثاتها — وابذل مصون الدمع حول رفاتها
في معشر ءاباؤهم لم يعرفوا — غير السعادة بعد بذر نواتها
في غرة الدنيا مئاثرهم بدت — دررا كان الشمس من ذراتها
ضرب العلاء قبابه برحابهم — فهفا على الاقوام من ساحاتها

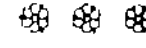


تفنى الشعوب وتنقضي ءاجالها — ان زاغت الالباب في نظراتها
يا قاتل الله الجهالة روعت — قلبا زرى بالموت في فتكاتها
قلب العروبة ذلك القلب الذي — قهر القوارع واعتلى صهواتها
واقتاد نحو مناه كل نجيبة — اعيت خلائقها نفوس حداتها
ماذا اقول وللجهالة السن — يدمي فؤاد الحق وخز شباتها
قلنا فامطرنا الطغام شتائما — وهم لعمرك كل مدلولاتها
ماذا يلاقي من جهول نفسه — ضحت بعزتها على شهواتها
وابتاعت المدنية الحمقا بما — نزلت له التيجان عن هاماتها
حسبوا التمدن بزة وخلاعة — ووصال بنت الكرم في حاناتها
حسبوا التجرد والسفور حضارة — فاستنزلوا الاقمار عن هالاتها
وتمازج النوعان هذا فاجر — مرح وتلك تهيم في لذاتها
غيداء مطلقة العنان جريئة — مياسة تختال في خطراتها
سفرت خمار حيائها شغفا بما — الف الفرنجة من صنيع بناتها
نكد اريع الدهر من حدثانه — ورمى قلوب العرب في حباتها
نكد من الابنا تسدد سهمه — تبت يد خانت ذمام حماتها



يا ايها الولد الخئون جدوده — او هل تركت مساءة لم تاتها

ابـواك قد نجـلاك قرة اعيـن ... فغـدوت اقـذاء على حـدقـاتها
تلغو فتحسب ان لغوك حكمة ... يحتـار افلاطون في آيـاتهـا
تلهو فتحسب ان ذاك هـداية ... تـؤتيك يوم الجمع من ثمـراتها
وتحيد عن طرق الهدى متـأثرا ... سبل القلوب الغلف في خطـواتها
وتخون ملتـك المشـرفة التي ... غمرتك بالاحسان من نفحاتها
وحبتك كل سعادة تصبو لهـا ... همـم الكرام مبـاءة لنجـاتها
الديـن دين الله ذلكـم الهـدى ... ومحجـة الاحـلام في نهضـاتهـا
وعمارة الـدنيا ومنجاة الـورى ... في عيشها الفـاني وبعـد ممـاتها
بمكـارم الاخلاق هل هـلاله ... وبنوره هديت نفـوس دعـاتها
منحت لسان الضاد آي كـتابه ... شرفا فكان الدهر بعض رواتهـا



يا من ينادي للصـلاح مخادعا ... يستنهض العزمات من وسنـاتها
يا من يروم بزيغـه وضـلاله ... هـدي البرية في مجال حيـاتها
يا من يعيـب لسانـه وبيـانه ... جمع البلاغة واحتـوى غـاياتها
يا من يسيء لـدينه ولشعبـه ... ويكيد للاخلاق كيد عداتها
يا من يؤمل في الحيـاة سعادة ... بقـراع امتـه وطعن ذواتها
يا من تملكه الغـرور وصـاده ... بنبالـه فهـوى صريـع ظباتهـا
يا من سلا بالغرب حب بلاده ... وسلا ببنت الغـرب خير بناتهـا
يا من تطلب في الرغام مراده ... واستقسم الآسـاد في اقـواتهـا
لم تجن الا الشوك من غاب المنى ... وتركت ما قد لذ من ثمراتها
تملي الجهالـة امرهـا فتطيعـه ... وتتيه عجبا من هتـاف دعاتهـا
المعجبين بكـل الكن عاجـز ... عن منطق الفصحى وعن نغماتها
الضاربـين اكفهم طربـا بمن ... لا يعرف الاعراب في كلماتهـا
المـوقنين بـدين كل منافـق ... ساء الشريعـة وازدرى حرماتهـا
فالله خصمـك مـا بقيت مذبذبـا ... والله للخضـراء في نكباتهـا
والله حسب ابيك كـاد لتونس ... في نشئهـا فغـدا اشـر جناتهـا
واذا الرعـاة تضاءلت عزماتهـم ... في امـة فايقـن بقـرب وفاتهـا

الطاهر القصار

البكاء في الشعر العربي

- ٢ -

ولا يزال العاشق جادا في الهرب من ساعة الفراق مستترا بتناسي الجزع والذهول عن الارتياع استتار النعامة من الصياد وساعة الفراق تقترب منه شبحا مخيفا حتى تتمثل حقيقة مظلمة فتدركه ادراك الليل الذي يقول فيه النابغة

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع

فهنا لك المصرع الهائل الذي حصر فيه ابو الطيب مصارع المحبين اذ يقول

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت لها المنايا الى ارواحنا سبلا

والباعث الاعظم على البكاء الذي هو من اقدم ما عرف من بواعثه في الشعر العربي اذ يقول فيه امرؤ القيس

كاني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

ويلتحق بهذا الموقف ما يحف بالبكاء من مظاهر الحيرة والاضطراب كالنظرة الشاردة التي يقول فيها ابو الطيب

ولم ار كالالحاظ يوم رحيلهم بعثن بكل القتل من كل مشفق

ادرنا عيونا حائرات كانها مركبة احداقها فوق زئبق

واصفرار الوجه الذي قال فيه ايضا

وقد صارت الاجفان قرحى من البكا وصار بهارا في الخدود الشقائق

وخفقان القلب وابدع ما فيه للعرب قول توبة بن الحمير

كان القلب ليلة قيل يغدى بليلي الاخيلية او يراح

قطاة غرها شرك فباتت تنازعه وقد علق الجناح

ولهول موقف الفراق قصرت طاقات المحبين عن مكابدة ساعة التوديع فتركوه اما ذهولا واضطرارا كما قال ابو الطيب

عشية يعدونا عن النظر البكا وعن لذة التوديع خوف التفرق

او تفاديا واختيارا وهو من ابتكارات الاعشى اذ يقول

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل

وقد علله واعتذر عنه ابو عبادة البحتري فاحسن ما شاء في قوله

الله جارك في انطلاقك تلقاء شامك او عراقك

لا تعذلني في مسيري يوم سرت ولم الاقك

اني خشيت مواقفـا للبين تسفح غرب ماقك
وعلمت ان بكاءنا حسب اشتياقي واشتياقك
وذكرت ما يجد المود دع عند ضمك واعتناقك
فتركت ذاك تعمدا وخرجت اهرب من فراقك

ويحم الفراق ويفصل المحب عن ربع المحبة فصال الفطيم فيبتعد عنه جسمه وقد علقت به روحه فلا يزال في سيره حريصا على الابقاء على اتصاله الجسماني بالربع فيتطلع اليه ويلتفت نحوه لفتة هي من بواعث البكاء كما قال الصمت بن عبد الله القشيري

ولما رايت البشر(١) اعرض دوننا وحالت بنات الشوق يحنن نزعا
تلفت نحو الحي حتى رايتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا
بكت عيني اليمنى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

حتى اذا لم يبق للمشاهدة الحسية والاتصال الجسماني مطمع متع باللفتة القلبية الكامنة التي يقول فيها الشريف الرضي

وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

ولفتة القلب هي عاطفة الذكرى التي لا تنفك تعمر قلوب المحبين حتى تمثل طيف المحبوب ملازما ليقظتهم ومنامهم وغدوهم ورواحهم كما قال الحماسي

أآخر شيء انت في كل هجعة واول شيء انت عند هبوبي

وقال ابو العلاء :

ما سرت الا وطيف منك يصحبني سرى امامي وتاويبا على اثري
لو حط رحلي فوق النجم رافعه الفيت ثم خيالا منك منتظري

الا ان لهذه العاطفة الكامنة في النفس كمون النار في الزند مناسبات وبواعث قد يكون منشؤها مجرد الانقداح الذاتي بجولان النفس في ضمائرها وانبعاث الخاطر النفساني الذي يحملها من الحياة المادية التي حولها الى عالم الموجودات الصورية القائم في حسها المشترك ومثال ذلك تذكر عمر بن معديكرب اخته ريحانة بمجرد الهاجس النفساني الذي وصفه بقوله

امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع

وقد يكون منشؤها الباعث المادي وهو راجع الى احد ثلاثة اصول الازمنة والامكنة والحوادث اما الزمان الباعث للذكريات فقد شاع عندهم إنه الليل ولم تزل السنة الادب تردد شكواه منذ قال امرؤ القيس :

وليل كموج البحر ارخى سدوله علي بانواع الهموم ليبتلي

وليس ذلك لانه زمان الافتراق كما ظن كثيرون لانه امر عارض قد يتفق نهارا ايضا حتى اختلف

(١) اسم جبل

الشعراء باعتباره في تفصيل احدهما (١) . ولكن لان الليل يزيد بامور طبيعية فيه من الرهبة والسكون والوحشة وكلها من محركات الاشجان وبواعث الاحزان بها امتاز عن النهار فكان باعثا عظيما من بواعث الكآبة والذكريات الباكية كما قال ابو فراس

اذا الليل اضواني بسطت يد الهوى   واذللت دمعا من خلائقه الكبر .

واما الامكنة فانبعاث الذكرى لديها وانصباب الدمع عليها هو الباب الاعظم من بواعث الذكريات والدافع الاقوى الى مراجعة عهود القرب والانس شان النفس في التنقل من المحسوسات الى المجردات وهل في الامكنة ادعى لشوق وابعث لشجن من مكان كان مجرى الانس ومربع الوصل لا سيما اذا لم يزل يه من الآثار المحسوسة ما يعين النفس على اظهار ما في باطنها من تخيل حضور المحبوب وعهود اقترابه بما يبقى شاخصا على المنازل بعد الرحيل من آثار الاقامة وبقايا الديار والمتاع وهي الاطلال . وباب البكاء عليها مفتوح في الشعر قبل امرئ القيس بدليل قوله

عوجا على الطلل المحيل لاننا   نبكي الديار كما بكى ابن خزام (٢)

وتلاعب به امرؤ القيس في قصائده وتفنن الشعراء من بعده في البكاء على الاطلال واكثروا حتى قال ابو تمام :

على مثلها من اربع وملاعب   اذيلت مصونات الدموع السواكب

وتجاوزوا البكاء الى تحية الطلل والحديث معه والدعاء له بالرعي والسقيا حتى استنطقوه وطلبوا جوابه فمنهم من غني ببكائه عن جواب الطلل كابي تمام في قوله

من سجايا الطلول ان لا تجيبا   فصواب من مقلتي ان تصوبا
فاسألنها واجعل بكاك جوابا   تجد الدمع سائلا ومجيبا

ومنهم من تخيل قرب نطقه كما قال ذو الرمة

وقفت على ربع لمية ناقتي   فما زلت ابكي عنده واخاطبه
واسقيه حتى كاد مما ابثه   تكلمني احجاره وملاعبه

ومنهم من انتهى به الوله الى ان سمع جواب المنازل واثبت حديثها كما قال المجنون

واجهشت للتوباد حين رايته   وهلل للرحمان حين رآني
واذريت دمع العين لما رايته   ونادى باعلا صوته فدعاني
وقلت له اين الذين عهدتهم   حواليك في عيش وخير زمان
فقال مضوا واستودعوني بلادهم   ومن ذا الذي يبقى على الحدثان
واني لابكي اليوم من حذري غدا   فراقك والحيان مؤتلفان

حتى اذا خلعوا حكم الوله عاودتهم صحوة فانكروا على انفسهم ما هم فيه من بكاء لغير سامع

(١) انظر الباب الحادي عشر من ديوان الصبابة
(٢) هكذا نرويه بسندنا عن الاصمعي في ديوان الشعراء الستة

الفتاوى والاحكام

نقل دخول شهر رمضان من بلد الى آخر بواسطة الهاتف «التلفون» او المذياع «الراديو» هل يثبت به الشهر ام لا

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه . اما بعد فقد كثر سؤال من سألني هل اذا ثبت دخول شهر رمضان بوجه الثبوت الشرعي في بلد وجاء الخبر بواسطة التلفون إلى بلد ءاخر في الاعلام بثبوته هل يعتبر الاخبار بالتلفون مثبتا للشهر فيلزم اهل البلد المخبرين (بفتح الباء) العمل بذلك الخبر فيصومون او لا يعتد به فلا يلزمهم الصوم وانا نرى الناس يخبر بعضهم بعضها بواسطة التلفون في الامور العادية فيعتمدون تلك الاخبار ويبنون عليها اعمالا كثيرة فهل يبنون كذلك عليها امور عبادتهم . وهل يحصل ثبوت رمضان اذا بلغ الخبر بثبوته بواسطة المذياع (الراديو) من بعض مراكز الاذاعة بالبلاد الاسلامية

والجواب ان هذه مسألة قد كثر فيها خوض الخايضين وتخليط الناظرين يخلطون بين مختلف الاقوال ومختلف الصور والاحوال وانما الفتوى اجادة التنزيل لا كثرة القال والقيل . وان طرق ثبوت الامور الشرعية في العبادة والمعاملة غير طرق ثبوت الامور العادية فطريق ثبوت اوقات الصلوات

وحديث مع غير عاقل وتعظيم لامر تافه كما قال امرؤ القيس : — وهل عند رسم دارس من معول —
وقال الاعشى :

ما بكاء الكبير بالاطلال ... وسؤالي وما ترد سؤالي

وقال ذو الرمة :

امنزلتي مي سلام عليكما ... هل الازمن اللاتي مضين رواجع
وهل يرجع التسليم اويكشف العنا ... ثلاث الاثافي والديار البلاقع

ومن هذا المذهب اخذ الشعراء المحدثون سبيلهم في الاستخفاف بالاطلال تبعا لابي نواس في الخمريات والغزليات وابدع في ذلك البحتري اذ عظم المحبة واستخف بالرسوم في قوله :

لا تقف بي على الديار فاني ... لست من اربع ورسم محيل
في بكاء على الاحبة شغل ... لاخي الحب عن بكاء الطلول

(يتبع) محمد الفاضل ابن عاشور

آذان المؤذنين واخبار الموقتين . وطريق ثبوت طهارة الماء او ضدها اخبار رجل او امراة موصوف بالعدالة ان بين الوجه او اتفق مع المخبر في المذهب وطريق ثبوت شهر الصوم او الفطر الشهادة برؤية الهلال ليلة ثلاثين من الشهر السابق اذا كان الراءي رجلين عدلين او جماعة مستفيضة او باكمال الشهر السابق ثلاثين يوما . وطريق ثبوت الحقوق شهادة عدلين في غير المال وشهادة عدل وامرأتين فيما يرجع الى المال . وطريق ثبوت العيوب اخبار من له معرفة بها وان لم يكن عدلا

وقد يحصل الاطمئنان لطريق من طرق الثبوت العادية ولا يجزي بذلك الطريق في الامور الشرعية لان الشريعة قد عينت لثبوت اسباب التكاليف طرقا خاصة رعيا لاهميتها ولما يترتب عليها من المصالح فلا يجوز لنا ان نتعداها بقياسها على الامور العادية وهذا من مزالق الخطأ الذي تزل فيه اقدام كثير من الناس . ثم ان لائمة الفقه خلافا في وجوه طريق ثبوت رمضان والمشهور من مذهب مالك وعامة اصحابه عدا ابن الماجشون وهو الذي نتقلده في الفتوى والذي عليه اهل تونس وافريقيا الشمالية ان طريق ثبوت رمضان من قبيل الشهادة وهو وان كان فيه شايبة الرواية وشايبة الشهادة فقد غلب عليه عند مالك شايبة الشهادة لادلة من السنة الصحيحة كما بينه شهاب الدين القرافي في الفرق الاول ومن مراعاة مصلحة اجراء امر المسلمين على انتظام في القطر الواحد او في سائر الاقطار بقدر الامكان ومن اتقاء تعريض عبادتهم الى ظهور ما يناقضها من تبين كذب المخبر او توهمه بقدر الامكان فيما استنبطناه من تعليل قول مالك رحمه الله ويترتب على كون طريق ثبوته من قبيل الشهادة ان لا يكون ثبوته بواسطة القضاة وان يكون ثبوته بواسطتهم شبيها بالحكم فلذلك كان المشهور عمومه لسائر الآفاق اذا ثبت لدى احد قضاة الامصار الاسلامية بمنزلة الحكم الذي يرفع الخلاف ولذلك ايضا كان قابلا لتعيين العمل فيه باحد المذاهب من قبل السلطان لانه بمنزلة تخصيص القضاء بمذهب فان القضاء يقبل التخصيص ومن اجل ذلك كان العمل بالقطر التونسي في امر الصوم والفطر على مذهب مالك وكان المعين لاجراء اعمال الرؤية وثبوت الشهر هو قاضي المالكية مع وجود قاض حنفي بالحاضرة وكان ثبوته عند القاضي المالكي موجبا للثبوت العام بحيث يصوم الحنفي بثبوت الشهر عند القاضي المالكي برؤية عدلين الهلال مع ان المذهب الحنفي يشترط في الغالب الشهادة المستفيضة . فاذا تقرر هذا فطريق ثبوت الشهر اذا لم يكن على كمال ما قبله هو رؤية المكلف الهلال او اخبار رجلين عدلين برؤية هلاله ليلة ثلاثين او بشهادة مستفيضة وان لم يكونوا معروفين بالعدالة فاذا لم يحصل احدى هاتين الشهادتين لا يثبت الشهر الذي هو سبب وجوب الصوم ثبوتا شرعيا بحيث تترتب عليه مشروعية مسببه وهو الصوم . ثم ان ثبوت رمضان شرعا نوعان ثبوت عام وهو الغالب وثبوت خاص وهو نادر فاما الثبوت العام فهو الثبوت عند قاضي البلد بوصف كونه

قاضيا فذلك الثبوت يجب العمل به على كل من في ولاية القاضي فهذا معنى كونه ثبوتا عاما. واما الثبوت الخاص فهو الثبوت عند الشخص في خاصة نفسه بحيث لا يتعداه الى غيره الا الى اهله كما سياتي والمراد بالشخص ما يشمل القاضي في خاصة نفسه لا بوصف كونه قاضيا اذا لم يبلغ طريق الثبوت لديه ان يكون طريقا عاما بل خاصا فاما طريق الثبوت العام فيحصل بثلاثة وجوه احدها حصوله بشهادة عدلين او جماعة مستفيضة عند القاضي برؤية الهلال . الثاني حصوله بخطاب قاضي بلد ءاخر اياه بثبوت رؤية هلال رمضان عنده اذا توفرت في ذلك شروط خطاب القضاة . الثالث حصوله بنقل ناقل للقاضي ان الشهر ثبت في بلد ءاخر حضره الناقل وهذان الوجهان الاخيران مبنيان على القول بان ثبوته في موضع يعم ساير الاقطار اذا نقل الى قضاتها وهو المشهور خلافا لمن قال ان لكل قوم رؤيتهم . فان كان الناقل ناقلا عن رؤية عدلين فلا بد ان يكون الناقل عدلين ايضا باتفاق علماء المذهب لانه من باب نقل الشهادة ونقل الشهادة يشترط فيه ما يشترط في اصله المنقول فالشهادة في الامور التي لا يقبل فيها اقل من عدلين لا يكون نقلها الا بعدلين وثبوت رمضان من هذا النوع كما تقرر . وان كان الناقل ناقلا عن شهادة مستفيضة فقد اختلف علماء المذهب (اذ ليست المسالة بمنصوصة في الامهات) فالذي ذهب اليه الشيخ ابو عمران الفاسي وابن رشد في المقدمات وخليل في التوضيح وبهرام في الشامل وابن فرحون في شرح مختصر ابن الحاجب وهو ظاهر مختصر خليل انه لا بد ان يكون الناقل للقاضي عن المستفيضه عدلين الا اذا وجه القاضي من تلقائه عدلا يستكشف له الخبر عن ثبوت الشهر في بلد ما فحينئذ يعمل القاضي بخبره ويثبت به الشهر ثبوتا عاما قاله ابن رشد في المقدمات لان ذلك العدل حينئذ قايم مقام القاضي في تلقي الثبوت عن شهادة البلد الآخر فكان بمنزلة القاسم والذي يوجهه بدلا عنه للتحليف وكل ذلك يكفي فيه العدل الواحد فاخرجوه من حكم نقل الشهادة والتحقيق ان الاكتفاء بالواحد في توجيه القاضي عدلا من قبله يستكشف له لا يختص بهذه الصورة بل يجري في ساير الصور) . وقال احمد بن ميسر يقبل العدل الواحد في النقل عن الشهادة المستفيضة ويثبت به الشهر عند القاضي واختاره الشيخ ابن ابي زيد وابن يونس والباجي وجعلوه من باب الخبر لا من باب نقل الشهادة .

وان كان الناقل نقل ثبوت الشهر عند قاضي بلد ءاخر فحكمه كحكم النقل عن الشهادة المستفيضة عند الفريقين من الفقهاء المذكورين ءانفا عدا ابا الوليد الباجي فلم اره له فيه قولا . واما طريق الثبوت الخاص فيحصل بالوجه الثالث من الوجوه الثلاثة المذكورة في طريق الثبوت العام . وان الاقوال في صورة هي عين الاقوال التي ذكرناها ءانفا الا ان ابن رشد يرجح في الثبوت الخاص الاكتفاء بالعدل الواحد فينضم في هذا الى قول ابن ميسر وموافقيه . وقد ظهر ان القواين في قبول

نقل العدل الواحد عن الشهادة المستفيضة وعن الثبوت لدى قاضي بلد ءاخر كلاهما مشهر . والذي نتقلده ونفتي به ان ارجح القولين الجاري على قواعد المذهب هو قول ابي عمران وموافقيه من اشتراط كون الناقل عدلين في صور النقل كلها . اما بالنسبة للثبوت العام الذي هو الاهم عند الناس فلان الثبوت عند القاضي ضرب من الحكم كما تقدم فطريقة الشهادة وحكم النقل عن الشهادة كحكم الشهادة وحكم النقل عن الثبوت عند القاضي كحكم نقل حكم القاضي وحكم القاضي لا يثبت الا بشاهدين ولهذا اختار ابن رشد فيه قول من اشترط نقل العدلين اذ قد استقر المذهب على اعتبار طريق الثبوت العام للشهر شهادة وان ثبوته العام حكم . واما بالنسبة للثبوت الخاص فالقولان متقاربان من جهة النظر ولكن الارجح قول ابن عمران ايضا لان النقل فيه نقل شهادة فيجري على حكم الشهادة على الشهادة ونقل الثبوت لدى القاضي نقل حكم مع الغاء الفارق بين الثبوت العام والثبوت الخاص الا ترى ان المذهب لم يفرق بينهما في صورة ما اذا راى العدل الواحد الهلال واخبر بذلك رجلا انه لا يثبت بخبره دخول رمضان عند المخبر (بفتح الباء) ولا يصوم بخبره . فاذا تقرر هذا فالاخبار بواسطة التلفون يلزم ان تعرضه على قاعدة ثبوت الشهر شرعا ولا نجريه على اعتبارات الناس في مخاطباتهم العادية . فان كان الاخبار بالتلفون وارداً الى قاضي البلد الذي لم ير فيه الهلال فان كان المخبر (بالكسر) قاضيا في بلد ثبت لديه الشهر وكان المخبر (بالفتح) قد تحقق صوته او اصطلحا على علامة بينهما لم يطلع عليها غيرهما كما نفعله في تونس في علامة الرسائل البرقية المنبئة برؤية هلال رمضان فذلك الخطاب التلفوني يثبت به الشهر عند المخاطب (بفتح الطاء) وهو من باب خطاب القضاة والمصير الى التخاطب بالرسائل البرقية (التلغراف) في ذلك اولى وابعد عن الريبة . وكذلك اذا كان المخبر (بالكسر) نائب القاضي المخبر مثل اخبار قضاة الكور لقاضي الجماعة . وان كان المخبر (بالكسر) غير قاض ولا نائبا عن المخبر (بالفتح) فيشترط في قبوله لدى القاضي المخبر (بالفتح) ان يكون خبر عدلين معروفين بالعدالة لدى القاضي المخبر (بالفتح) يخبران بان عدلين يعرفان عدالتهما رأيا الهلال او ان جماعة مستفيضة راته او انه ثبت لدى قاضي البلد الذي به المخبران ويلزم ان يتحقق القاضي المخبر (بالفتح) صوتهما وان يكون اخبارهما بصريح الشهادة بكونهما سمعا من العدلين او من المستفيضة او من القاضي الذي ثبت لديه الشهر . واعلم انه كما يثبت الشهر عند القاضي بخطاب قاض ءاخر بالتلفون كذلك يثبت عند نواب القاضي وعند كل من له ولاية تخوله الاعلان بثبوت الشهر اذا تلقى الاعلام بذلك من القاضي او نوابه مثل العمال ونوابهم في البلدان والبوادي على الطريقة التي يتلقون بها اوامر رؤسائهم في معتاد اشغالهم كما يثبت عند عامة الناس بالعلامات الاصطلاحية المؤذنة بثبوت الشهر مثل طلق المدفع وايقاد السرج بالمنارات وضرب الطبول ليلا فكل ذلك يقوم مقام

قول القاضي للناس انه قد ثبت عندي دخول الشهر . واما اخبار الناس بعضهم بعضا بواسطة التلفون بانه قد ثبت الشهر فيجري على ما قررناه في طريق الثبوت الخاص بعد تحقق صوت المخبر او المخبرين (بالكسر) على الخلاف وذلك الخبر يقصر حكمه على المخبر (بالفتح) فيجب عليه العمل به في خاصة نفسه ويامر به اهله فان ابوا ان يعملوا به فقيل يجبرهم نقله عبد الحق عن ابن الماجشون وقال ابن بشير لا يجبرهم ولا يشيع ذلك في الناس فيوقعهم في حيرة ولو اشاعه في الناس لم يجب عليهم الصوم بخبره ولم يجزئهم اذا صاموا بخبره لان الثبوت العام لا يكون الا من تلقاء قاضي البلد او نوابه الموجهين من قبله او الماموريين منه وهذا مقام يغلط فيه كثير من الكاتبين والناظرين والعاملين عند قصد العمل به فيختلط عليهم حكم الثبوت العام بحكم الثبوت الخاص وربما افتوا السائلين بدون تثبت فغروهم فينبغي التيقظ والتثبت في ذلك لئلا يصبح امر المسلمين فوضى ولئلا يتسور على الخطط الشرعية من ليس من اهلها . واما حكم ثبوت رمضان بواسطة المذياع (الراديو) من بعض مراكز الاذاعة في البلاد الاسلامية فان اذاعة الراديو الخبر بثبوت رمضان في بلد مركز الاذاعة لا يثبت به رمضان عند السامعين ثبوتا شرعيا يترتب عليه وجوب الصوم لكون المخبر بذلك واحدا ولا يعرف حاله في العدالة ولا هو موجه من طرف قاضي البلد ولا من طرف اميرها فاذا سمعه الرجل في خاصة نفسه لا يجب عليه الصوم واذا سمعه القاضي لا يبني عليه ثبوت الشهر الثبوت العام ومن يصبح لاجله صايما فلا اعتداد بصومه وهو كصيام يوم الشك . فاذا اصطلح قضاة امصار الاسلام التي بها مراكز اذاعة على تنظيم الاخبار بثبوت الشهر لدى احدهم بواسطة المذياع فيلزم ان يعين كل منهم رجلا يوجه من طرف القاضي للاخبار بان الشهر ثبت عند القاضي ويجعلوا علامة لفظية يصطلحون عليها لا يطلع عليها غير القضاة المتخابرين وتجدد لكل شهر من اشهر العبادة فاذا نطق المخبر الموجه من طرف القاضي في مركز الاذاعة بخبر ثبوت الشهر اردف خبره بالنطق بتلك العلامة فيكون ذلك من قبيل خطاب القضاة مثل معرفة الخط ومعرفة الختم والشكل فحينئذ يثبت الشهر لدى القاضي المخاطب (بفتح الطاء) وهو يعلم به اهل ولايته على الطرق المعتادة في الاعلام التي اشرنا اليها انفا .

افتيت بذلك وانا محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي بتونس . وحرر في ١٤ شعبان سنة ١٣٥٥ و ٣٠ اكتوبر ١٩٣٦

مع بريد الجزائر

اتصلت ادارة المجلة من الشيخ الحاج الزواي الجزائري بامساكية تحت عنوان « تحفة رمضان » فنشكر لهمة صاحبها ونقدر له صنيعه

الجواب عن اسئلة وردت على المجلة

س ١ – ذكر شيخ الجامع الازهر في فتواه للمنبوذين في الهند في مسألة الختان . ان الختان يجوز للصغير والكبير . اما في الصغير فظاهر واما في الكبير فغير ظاهر لان كشف العورة محرم والختان سنة فكيف يجوز التلبس بفعل محرم لاجل ان لا يترك سنة

س ٢ – رجل تاجر مالكي صلى صلاة الجمعة مع السادة الحنفية . هل يجوز له البيع والشراء عند نداء صلاة الجمعة في الوقت الذي تقام فيه الجمعة بالمساجد المالكية . وان كان يجوز فما يفعل في قوله تعالى « اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم لا تعلمون » وهل يسأل المشتري هل صلى الجمعة ام لا . وان كان لا يجوز فهو مناقض للمقصود من الآية وهو السعي الى الجمعة وقد سعى

ج ١ – الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وبعد فالجواب عن سؤال الختان والله الموفق ان النظر للعورة مباح للضرورة كالتوليد والختان والتطبيب فلا يصح قول السائل ان كشف العورة محرم والختان سنة فكيف يجوز التلبس بفعل محرم لاجل ان لا يترك سنة لان كشف العورة لضرورة دينية او بدنية مباح ولما استدل ابن شريح للشافعي على وجوب الختان باباحة محرم له وهو النظر للعورة اجيب عن استدلاله بانه ابيح نظر العورة للطبيب وليس الطب بواجب مع ان الطب لمصلحة الجسم والختان لمصلحة الدين انظر الابي في شرحه على مسلم صفحة ٣٥ ج ٢

ج ٢ – عمن صلى الجمعة في جامع هل يجوز له البيع والشراء عند النداء الى الجمعة في جامع ءاخر فهو انا اذا بنينا على جواز اقامة الجمعة بجوامع متعددة في المصر الكبير للضرورة وهو ما جرى به عمل الامصار في غالب الاعصار فالبيع والشراء جائزان لمن اداها لان الامر بترك البيع في الآية معلل بخشية فوات الجمعة وهذا قد أداها وبعد ادائه لها يصير بمنزلة من لا تلزمه الجمعة واهل المذهب قيدوا حرمة البيع بمن تلزمه قال حافظ المذهب وزعيم الفقهاء ابن رشد يمنع من البيع من تجب عليه الجمعة ومن لا تجب وترفع الاسواق واما في غير الاسواق فجائز للعبيد والنساء والمسافرين واهل السجون والمرضى ان يتبايعوا فيما بينهم اهـ . فانت تراه قد اجاز البيع لهؤلاء الذين لا تلزمهم الجمعة واما قوله يمنع من البيع من تجب عليه الجمعة ومن لا تجب وترفع الاسواق فمعناه الحيلولة بينهم وبين التبايع في الاسواق وقت النداء والمراد من المنع الجبر على اغلاق الاسواق وعدم التمكين من التبايع فيها وقت النداء وهذا هو الذي عناه خليل في مختصره فقال واقامة اهل السوق مطلقا قال

شارحه عبد الباقي وندب للامام اقامة اهل السوق منه بوكيل من ناحيته على ذلك مطلقا من تلزمه لئلا يشتغل عنها ومن لا تلزمه لئلا يشغلوا من تلزمه او يستبد بالربح فيدخل على من تلزمه الضرر فمنعوا ولو كفارا لصلاح العامة اه

واما سؤال البائع الذي صلاها في جامع للمشتري هل صلى الجمعة فلا يلزم لان عدم الصلاة وقت النداء مع وجوبها عليه مانع من البيع والشك في المانع غير مؤثر على ما تقرر في علم الاصول وبيان الشك هنا ان المشتري يحتمل انه قد صلاها او ممن لا تلزمه لسفر او مرض او غيرهما فلو تحقق البائع ان المشتري ممن تلزمه وانه لم يؤدها لم يجز له مبايعته في ذلك الوقت ففي الزرقاني وفسخ بيع لحرمته حيث كان ممن تلزمه الجمعة ولو مع من لا تلزمه اه وفي المدونة فان تبايع اثنان تلزمهما او احدهما فسخ البيع وان كانا ممن لا تجب الجمعة على واحد منهما لم يفسخ اه محمد العزيز جعيط - المفتي المالكي

س ٣ — ما معنى قول الفقهاء في كتاب الرضاع الا اخت اخيه رضاعا ؟

ج ٣ — عبارة الفقهاء هنا وتحل اخت اخيه رضاعا ونسبا وهي خالية من اداة الاستثناء لانها قضية مستقلة ليست مستثناة من غيرها ولعل العبارة المسئول عنها الا ام اخيه واخت ابنه وهي مستثناة من القاعدة المشهورة يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب وذلك لان ام الاخ من النسب ما ام او موطوءة الاب وكلاهما حرام واخت ابنه من النسب اما بنت او ربيبة وكلتاهما حرام وهذا المعنى مفقود في الرضاع فتحل ام الاخ رضاعا وتحت ذلك ثلاث صور لان الرضاع اما ان يتعلق بالمضاف او بالمضاف اليه او بهما معا . الصورة الاولى ان يكون لك اخ من النسب له ام من الرضاع . الثانية ان يكون لك اخ من الرضاع له ام من النسب الثالثة ان يكون لك اخ من الرضاع له ام من الرضاع ففي هذه الصور الثلاث تحل لك ام اخيك ومثل ذلك يقال في اخت الابن والله اعلم .

س ٤ — رجل ولي الخطابة باحد المساجد هل يجوز له اخذ الاجرة عليها ؟

ج ٤ — ذهب ابو حنيفة واصحابه الى بطلان الاجارة على الامامة والاذان وتعليم الفقه والقرآن وغير ذلك من الطاعات ولكن افتى المتأخرون من اتباعه وهم مشايخ بلخ بجواز الاستئجار على هذه الاشياء وعللوا ذلك بالضرورة اي ضرورة المحافظة على الشعائر المذكورة لظهور التواني بين الناس في الامور الدينية فلو لم يرخص لهم في اخذ الاجرة عليها لضاعت والمتقدمون انما كرهوا ذلك لانه كان للمعلمين والايمة ونحوهم عطايا من بيت المال فكانوا مستغنين عما لا بد لهم من امر معاشهم اما اليوم وقد حرموا من عطاياهم فلا مانع من اخذهم الاجرة على ما يقومون به من عمل . فالحاصل ان للامام ان ياخذ الاجرة على الامامة كما افتى به المتاخرون قاطبة .

محمد الخطاب بوشناق
المدرس من الطبقة الاولى الحنفية

زيارة عالم اديب لادارة المجلة

زارنا في ادارة المجلة العالم الفاضل الاديب الشيخ محمد شاكر المدرس بالجامع الكبير بصفاقس فابتهجنا بادبه ولطفه وقد تفضل بالقاء هاته الابيات المتضمنه لتحية المجلة مع تاريخ صدورها واليك هي :

هـذي مجلـة جامع الزيتونـة ... برزت تطـرز باليراع فنونـه
تفسير قـرآن وسنة احمد ... ادب وتاريخ فخـذ مضمونـه
وتغـذ من عرفـانها تظفر بما ... يجلو على نفس الاريب رعونه
واقرا بحسن عنايـة وتـبصر ... تملك من العلم الصحيح حصونه
وادع الاخلا لاجتنـاء ثمارها ... يـا فوز من بالعلم زان شئونـه
واشكر لفضل جهابذ قد نظموا ... عقدا لها غدت الكواكب دونـه
واسال من الله الجزاء لهم وقل ... يا رب حقق فيك مـا يرجونه
لا سيما ما جا بـقول مـؤرخ ... نـور وفـا لمجلة الزيـتونـة

٢٥٦ ٨٧ ٥٠٣ ٥٠٩

١٣٥٥

مجلة مكارم الاخلاق

صدرت بمدينة صفاقس (تونس) مجلة مكارم الاخـلاق لصاحبها الفاضل السيد علي قـدور (نهج العدول عدد ١٤ بصفاقس وهي مجلة نصف شهرية .. صدر العدد الاول منهـا في غـرة شعبان المنصرم . والغرض منهـا خدمة العلم والاخلاق والادب والتاريخ ويقـوم بالتحرير فيهـا نخبـة من افاضل علماء صفاقس وادبائها . وقد تصفحنا العددين الاولين منها فوجدناها مطابقة للغرض الذي اسست لاجله . مع الاسلوب الحسن وسهولة التناول . فنرجو لها حياة منتجة خصبة . ونتمنى لصاحبهـا اعانة من الله تمكنه من مقاومة التيارات الكثيرة التي تعترض كل من يعمل مثل هذا العمل العظيم .

مجلة الافكار

صدرت مجلة (الافكار) لصاحبها الاديب السيد حمودة قوجه . وهي مجلة شهرية وقـد صدر العدد الاول منها مؤرخا بيوم غرة نوفمبر الجاري (الموافق ليوم ١٦ شعبان المنصرم) والغرض منها خدمة العلم والادب والتاريخ وخصوصا التاريخ والاداب التونسية . ويـقوم على تحريرها والعمل فيها نخبة صالحة من الشبان الذين جمعوا بين الادب وحسن التفكير وصدق العزيمة على راسهم الاديب الفاضل السيد نور الدين بن محمود . وقد تصفحنا العدد الاول منها فاذا هو جميل في منظره مبهج في مخبره . وقد اشتمل على مقالات في مواضيع مختلفة . ونحن نرجو لها نجاحا مطردا . ونموا مستمرا . حتى تكون عنوانا صادقا على ما وصل اليه تفكير الشبـان بتونس من الرفعة والدقة والاعتـدال نجح الله سعيهم . وثبت خطاهم

جدول شهر رمضان المعظم لسنة ١٣٥٥

*** تعديل عربي ***

امساك س	امساك ق	ايامه	افطار س	افطار ق
٤	٥٨	٠١	٥	١٥
٤	٥٨	٠٢	٥	١٤
٤	٥٩	٠٣	٥	١٣
٥	٠٠	٠٤	٥	١٢
٥	٠٠	٠٥	٥	١٢
٥	٠١	٠٦	٥	١١
٥	٠٢	٠٧	٥	١٠
٥	٠٢	٠٨	٥	٠٩
٥	٠٣	٠٩	٥	٠٨
٥	٠٤	١٠	٥	٠٨
٥	٠٤	١١	٥	٠٧
٥	٠٤	١٢	٥	٠٦
٥	٠٥	١٣	٥	٠٥
٥	٠٦	١٤	٥	٠٥
٥	٠٦	١٥	٥	٠٤
٥	٧	١٦	٥	٠٣
٥	٧	١٧	٥	٠٣
٥	٧	١٨	٥	٠٢
٥	٨	١٩	٥	٠٢
٥	٨	٢٠	٥	٠١
٥	٩	٢١	٥	٠١
٥	٩	٢٢	٥	٠٠
٥	٩	٢٣	٥	٠٠
٥	١٠	٢٤	٤	٥٩
٥	١٠	٢٥	٤	٥٩
٥	١٠	٢٦	٤	٥٨
٥	١١	٢٧	٤	٥٨
٥	١١	٢٨	٤	٥٨
٥	١١	٢٩	٤	٥٨
٥	١٢	٣٠	٤	٥٧

*** تعديل افرنجي ***

امساك س	امساك ق	ايامه	افطار س	افطار ق
٤	٥٨	٠١	٥	١٥
٤	٥٨	٠٢	٥	١٤
٤	٥٩	٠٣	٥	١٣
٥	٠٠	٠٤	٥	١٢
٥	٠٠	٠٥	٥	١٢
٥	٠٢	٠٦	٥	١٢
٥	٠٣	٠٧	٥	١١
٥	٠٣	٠٨	٥	١٠
٥	٠٤	٠٩	٥	٠٩
٥	٠٥	١٠	٥	٠٩
٥	٠٦	١١	٥	٠٩
٥	٠٦	١٢	٥	٠٨
٥	٠٧	١٣	٥	٠٧
٥	٠٨	١٤	٥	٠٧
٥	٠٩	١٥	٥	٠٦
٥	١٠	١٦	٥	٦
٥	١٠	١٧	٥	٦
٥	١٠	١٨	٥	٥
٥	١١	١٩	٥	٥
٥	١١	٢٠	٥	٤
٥	١٢	٢١	٥	٤
٥	١٢	٢٢	٥	٣
٥	١٣	٢٣	٥	٣
٥	١٤	٢٤	٥	٣
٥	١٤	٢٥	٥	٣
٥	١٤	٢٦	٥	٢
٥	١٥	٢٧	٥	٢
٥	١٥	٢٨	٥	٢
٥	١٦	٢٩	٥	٢
٥	١٧	٣٠	٥	٢



تباع المجلة في الاماكن التالية

اماكن بيع المجلة بالحاضرة

المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢

مكتبة الاستقامة نهج سيدي ابن عروس رقم ٣٤

المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣

مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢

مكتبة الاطلس نهج سيدي ابن غروس رقم ٤٤

المكتبة الزيتونية سوق السرايرية

مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢

المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية

مكتبة العنابي (اخوان) نهج باب البنات

مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤

دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الأوقاف رقم ٧٢

البشير وبلقاسم بن عماره سوق السرايرية ٣٠

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

السيد الحبيب الذوادي ببنزرت بنهج احمد باي

» احمد المرابط متعهد بيع المجلات بنزرت

» عمر بن يدر بفريفيل

» علي المزي بماطر

» احمد بن الحاج عبد الرحمن العجالي بتاليبيه

» عبد القادر قربوج بنابل

» حموده الذكواني بمنزل جميل

السيد حمدان الشريف بسوسه

» محمد الصالح البكوش بباجه

» محمد العربي بالمكنين

» محمد زهره بالمنستير

» ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال

» الصادق بوزيان بالقيروان

» سعد بن بلقاسم الصحراوي بسبيطلة

» علي بسباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس

» قدري قعيب بقفصه

» المكتبة الاسلامية بتوزر

» عمر اسكندر بنفطة

» شرف الدين الدقاشي بدقاش

» محمد بن علي امنجه بقابس

» حمزه شورو بميدون جربه

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

السيد محمود نسيم بشارع لالير رقم ٢٤ بالجزاير

» محمود باش طبجي بساحة شارتر بالجزائر

مكتبة النجاح بقسنطينة

» قندوز بنهج جنجراس بسطيف

» الاخضر بن مبارك بسكره

» بن داود بساحة دي فرقولات بعنابة

» محمد الهادي جلال بتبسه

مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك ٤٢ بتلمسان

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء الرابع	تونس في شوال عام ١٣٥٥ وفي ديسمبر عام ١٩٣٦	المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٠٧-٣٧

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

بمناسبة عيد الفطر المبارك ابرزنا هذا العدد بحجم اكبر من المعتاد

فهرس العدد

الجزء الرابع — المجلد الاول

صحيفة

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠
« ببلاد شمال افريقيا « ٣٠
« في الخارج « ٤٠
يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

المجلد الاول	تونس في شوال عام ١٣٥٥ وفي ديسمبر عام ١٩٣٦	الجزء الرابع

شهرية وسنتها عشرة اشهر

تهنئة بالعيد

نتقدم بالتهنئة الخالصة بهذا العيد المبارك للسدة الشامخة العلية صاحب العرش الحسيني امير القطر سيدنا ومولانا احمد باشا باي والامراء رفعاء الشان من سلالة الامير حسين ووزراء دولته العظام وكافة ملوك الاسلام وعموم المسلمين في جميع بقاع الارض وندعو الله مخلصين ان يعم المسلمين بالهناء الشامل ويجدد هذا العيد بالسعد الكامل ويعقد الامل بالنجاح . ويصل الهمم بالعزيمة الصادقة والفلاح ويرفع عن الامة ما لحقها من الهوان . ويرشد شيوخها والكهول والشباب للتعاون على ما فيه سعادة الاسلام انه سميع مجيب .

محمد الشاذلي بن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الاعيـــاد

حكمة الاعياد ومغزاها – الاعياد السياسية وما لها من اثر في النهوض بالامم –
الاعيــاد الاسـلامية الدينية

بقلم رئيس التحرير

لكل امة ايام تتخذها اعيادا فتظهر فيها بمظاهر الفـرح والسرور والابتهـاج · وتستريح فيها من عناء الاعمال الشاقة · والاشغال اليومية المتعبـة للافكار · والمنهكة للقوى · فتستعيد بتلك الاعياد نشاطها · وتستانف العمل من جديد · بقوة وعزيمة من حديد

والاعياد · اما دينية او سياسية · فالاعياد الدينية تحيي المشاعر · ويتذكر بها الناس ما بسطه الله عليهم من النعم الوافرة · وما وفقهم اليه من القيام باعباء ما كلفوا به على احسن وجه · فتكون تلك الاعياد ابلغ مظهر من مظاهر شكر الله على انعامه

والاعياد السياسية تذكي الشعور وتبعثه من مرقده · لانها ذكريات تقيمها الامـم لتخليد ما لها من ايام غرر · وما لرجالها من مواقف صادقة · وعـزائم صارمة · فتنبعث بتلك الاعياد العزائم الخاملة · والنفوس الهامدة · ويسعى الخلف لادراك شـاو السلف · وما الاعياد السياسية الا اعتراف من الامم بالجميل لابطالهـا الذين افنوا انفسهـم واموالهم في سبيلها · واقرار بالفضل لمن قدمـوا مصلحة العامة على مصلحـة النفس · وءاثروا مصلحة الوطن على مصلحة الذات · وبذلك تنبعث الهمم من مرقدها · ويسعى كل واحد من الامة لعمل ما يقدر عليه لصالحها · لان النفوس مجبـولة على حب الثناء والاعتراف بالفضل · فاذا رأى الناس ان عمل السابقين لم يذهب سـدى ولم تعبث به

يد النسيان • شمروا عن ساعد الجد • وواصلوا العمل لاصلاح امهم وابلاغها من الرقي والتقدم الى اقصى حد

ولقد بالغ الغربيون في زماننا هذا في اكرام الابطال من رجالهم وتمجيدهم والتنويه بشانهم ـ ونعم ما صنعوا ـ حتى صارت ايامهم كلها ذكريات • ولم يقتصروا على مجرد الاحتفالات • ووضع الكتب في حياة الافراد بل زادوا على ذلك فوضعوا ذكريات مجسمة بان نصبوا التماثيل في طرقاتهم وساحاتهم لكل من له من الامة يد عليها سواء في العلم او الادب او الطب او الاكتشاف او غيرها

ونحن معاشر العرب قد فرطنا في ذلك تفريطا فاحشا • فجهلنا اسماء عظمائنا فضلا عن تاريخهم واحياء ذكرهم ؛ ونحن وان كان تخليد الاشخاص عندنا لا يجوز بنصب التماثيل • لكن لنا وسائل كثيرة يمكن لنا بها تخليد عظمائنا الذين نسيناهم فجهلهم الناس وغفلنا عنهم فانكرت فضلنا الامم •

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة على الحر من وقع الحسام المهند

على اننا احوج الى الذكريات منهم • فهم يتذكرون قدماءهم ولهم من مجدهم الحاضر ما يبهر الانظار • ويغني عن التذكار • ونحن قد نسينا قدماءنا • ومجدنا في اضمحلال ومصيرنا الى زوال • مع انه قد كانت لنا ايام غرر محجلات • ورجال ابطال عظام ومجد تصاعد حتى تجاوز السماكين واعتلى على الفرقدين •

وايامنا مشهورة في عدونا لها غرر معروفة وحجول
واسيافنا في كل شرق ومغرب بها من قراع الدار عين فلول
معودة ان لا تسل نصالها فتغمد حتى يستباح قبيل
وانا اناس لا نرى القتل سبة اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد في فراشه ولا طل منا حيث كان قتيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
اذا مات منا سيد قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول

تلك هي ايامنا ورجالنا ومجدنا فنسينا ذلك كله • وكان حتما علينا ان نجعله نصب اعيننا • حتى تكون لنا بتلك المقارنة والمقايسة عبرة تبعث فينا العمل على استمادة ذلك المجد الغابر • والنهوض من كبوة هذا الحظ العاثر •

تلك هي الاعياد وما فيها من مغزى • فاعتبر بها ايها القاري النبيه • ولا تظننها مجرد ايام تنقضي في اللهو والسرور وتكثير الزيارات • وتبادل الجمل الباليات الميتات •

ونريد ان نرجع بك بعد هذا الى الحديث عن الاعياد الاسلامية التي لها صبغة دينية وما فيها من الحكمة البالغة فنقول

ان شريعة الاسلام تنطوي في كل ما جاءت به على حكم سامية • واغراض عالية فهي شريعة جد وعمل • لا تخلو كل جزئية مما اشتملت عليه من عبرة لمن يعتبر • وموعظة لمن لم يطبع الله على قلبه بطابع الكفر والفسوق والعصيان

وليس المقام مقام ان نحدثك عن تفصيل ذلك • فلذلك فرص اخرى لا يزال في الوقت متسع بحول الله لبسطها والتوسع فيها • وانما نريد ان نقتصر الآن على بيان اصول الاعياد في الاسلام

للمسلمين عيد اسبوعي • وثلاثة اعياد سنوية • فالعيد الاسبوعي هو يوم الجمعة • والاعياد السنوية هي يوم عيد الفطر ويوم عيد الاضحى ويوم عاشوراء

يوم الجمعة

هو يوم مبارك قد ادخره الله لهذه الامة الاسلامية ليكون عيدها الاسبوعي . فاتخذت الامم السابقة علينا عيدها الاسبوعي في غيره وضلت عنه . فاتخذ اليهود عيدهم في يوم السبت واتخذ النصارى عيدهم في يوم الاحد . وبقي هذا اليوم المبارك عيدا للامة الاسلامية اكراما من الله لها حسبما يصرح بذلك الحديث المروي في صحيح البخاري وصحيح مسلم بروايات مختلفة نقتصر منها على روايتين من لفظ الثاني فالاولى (عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون

الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفـوا فيه من الحق فهذا ـ اي يوم الجمعة ـ يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له فاليوم لنا وغدا لليهـود وبعد غد للنصـارى) والثانية (اخبرنا معمر عن همام بن منبه اخي وهب بن منبه قال هذا ماحدثنا ابو هريرة عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم . وهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فاليهود غدا والنصارى بعد غد)

واهم ما امتاز به يوم الجمعة عن بقية الايام الساعة التي يستجاب فيها الدعاء . وقد رويت في ذلك احاديث كثيرة في صحيحي البخاري ومسلم منها بلفظ الثاني (عن ابي هريرة عن النبيء صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيرا الا اعطاه قال وهي ساعة خفيفة)

وقد اختلف السلف رضي الله عنهم في تعيين هذه الساعة والاصح المعتمد انها حصة تكون ما بين جلوس الامام على المنبر الى انقضاء الصلاة يؤيد ذلك ما اخرجه مسلم ايضا (عن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري قال قال لي عبد الله بن عمر اسمعت اباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان ساعة الجمعـة قال قلت نعم سمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هي ما بين ان يجلس الامام الى ان تقضى الصلاة)

ويظهر لي والله أعلم انه لا مجال للاختلاف في تعيينها بعد ثبوت هـذا الحديث اللهم الا ان تكون قد قامت ادلة اخرى لمن خالف في ذلك هي في نظره اقوى من هذا الحديث .

واصرح حديث في فضل يوم الجمعة ما رواه مسلم رضي الله عنه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة .

وقد فرض الله على عباده في هذا اليوم صلاة الجمعة وحثهم على الظهور بمظهر

الفرح والسرور حتى تكون حالتهم ناطقة بشكر الله وتقدير ما انعم به عليهم بتخصيصهم بهذا اليوم العظيم · فهذا هو يوم الجمعة وهذه اسراره التي اودعها الله فيه ·

عيد الفطر وعيد الاضحى

الاصل في هذين العيدين حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي أخرجه النساءي وابن حبان قال (قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان في كل سنة يلعبون فيهما . فقال صلى الله عليه وسلم : قد ابدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الاضحى)

فاما عيد الفطر فحكمته هي اظهار شكر الله على ما وفق اليه من اداء فريضة الصيام على اكمل وجه وأي عمل يبتهج به المسلم اهم من القيام بما فرضه الله عليه ·

واما عيد الاضحى · فحكمته هي اظهار شكر الله على ما انعم به من القيام بفريضة الحج وادائه على أحسن وجه · اما بالنسبة لمن قام بالفريضة فالامر ظاهر · واما بالنسبة لغيره فليكون مشاركا في السرور لاخيه المسلم الذي قام بها · وليبعث فيه ذلك السرور حرصا ونشاطا على ان يؤدي تلك الفريضة في اقرب وقت ·

وقد سن الله تعالى في هذين اليومين صلاة العيد وان يخرج الناس اليها وعليهم علائم الفرح والترفه والابتهاج حتى تكون نعمة الله ظاهرة عليهم · والله يحب ان يشاهد آثار نعمته على عبده ·

ورحمة من الله بالفقراء اوجب صدقة الفطر في عيد الفطر · واوجب الضحية في عيد الاضحى · حتى يتيسر للفقراء ان يشاركوا الاغنياء في الاحتفال بالعيد · اذ بما ينالونه من الصدقة مالا او لحما يكونون قد كفوا مؤنة السؤال واراقة ماء الحياء في ذلك اليوم العظيم ·

وقد امتاز عيد الاضحى بانضمام عيد آخر اليه وهو انه قد نزلت في ليلته اي عشية يوم عرفة الاية التي اعلم فيها الله رسوله صلى الله عليه وسلم بكمال الدين · وناهيك بهذا العيد العظيم الذي كملت لنا فيه شريعتنا وفاح في ذلك اليوم مسك ختامها ·

ولو لم يصادف ان كان نزولهـا في يـوم عيد لا تخذ المسلمون يـوم نزولها عيدا مستقلا حسبما يستفاد من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع بعض اليهود الذي رواه البخاري في كتاب الايمان من صحيحه ونصه :

« عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنـه ان رجلا من اليـهود ـ وهو كعب الاحبار قبل اسلامه ـ قال له يا امير المؤمنين ءاية في كتابكم تقرؤنهـا لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيـدا • قال ـ اي عمر ـ اي ءايـة قال ـ اي كعب ـ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا. قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله علـيه وسلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة) وفي رواية اسحاق بن قبيصة زيادة في ءاخر الحديث هكذا (يوم جمعة يوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد)

ولا يخفى عليك بعد التامل في هذا الحديث أَن سيدنا عمر قد وافق السائل على أن يوم نزول هذه ٱلآية يكفيه ان يكون عيدا بنزولها فيه • ولكن لما كان اليوم نفسه يوم عيد فقد تداخل العيدان • واجتمـع لنا في ذلك اليوم فضيلتان وشرفان ومعلوم تعظيمنا لكل منهما على حدة فاذا اجتمعا فقد ازداد التعظيم

يوم عاشوراء

واما يوم عاشـوراء فاصله عيد سنه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لبني اسرائيل حيث انه هو اليوم الذي نجى الله فيه موسى وقومه من فرعون وعمله فهو اليوم الذي شق فيه البحر لموسى فدخله مع بني اسرائيل فـتبعهم فرعـون وقومـه فادركـه الغرق وكان من المهلكين فصامه موسى شكرا لله • فـاراد رسول الله صلى الله عليـه وسلم ان يشاركه في اظهار السرور والقيام بواجب شكر الله فصامه وامر بصيامه • وقـد افصح عن ذلك حديث الشيخين واللفظ لمسلم (عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماهذا اليوم الذي تصومونه • فقالوا : هذا يـوم عظيم انجى الله فيه موسى وقومـه وغرق

فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بصيامه) •

ويؤخذ من صحيح الامام احمد رضي الله عنه ان ليوم عاشوراء مزية اخرى وهي انه اليوم الذي استوت فيه سفينة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام على الارض ونص مازاده على رواية الصحيحين : (وهو اليوم الذي استوت فيه السفينة على الجودي فصامه نوح شكراً)

هذه اصول الاعياد الاسلامية تعرضنا لها بما يقتضيه المقام • وبقيت هناك اعياد دينية اخرى اصطلح عليها المسلمون فيما بعد وجرى عملهم على الاحتفال بها والتنويه بشانها • منها ليلة السابع والعشرين من رمضان • ويوم الهجرة • ويوم المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام •

وهي ايام جديرة بان يحتفل بها وان ينوه بشانها وان تقام لها المواكب الجمة الاحشاد• وان يكون الناس فيها في جذل واسعاد • ومن العجيب ان بعض الناس يريد ان يثير اشكالا بان الاحتفال بها من قبيل البدع • وعليه فيجب ان لا يحتفل بها • ويظهر لي ان هولاء الناس ممن يشملهم الصنف الثالث من الاصناف التي انكرنا عليهم في افتتاحية العدد السابق فينبغي ان لا يلتفت اليهم • وان لا يقام لكلامهم وزن •

وفقنا الله للقيام بما فرضه علينا من التكاليف والسنن • ووقانا عواقب الشرور والفتن •

محمد المختار بن محمود

تنبيه :

المرغوب من السادة الفضلاء المشتركين بالمجلة الزيتونية ان لا يسلموا معلوم اشتراكهم لاحد الا اذا قدم لهم وصل الاشتراك ممضي من امين مال المجلة وعليه طابعها

القرآن الكريم

دروس التفسير

لصاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

المقدمة الثالثة في التفسير

بغير المأثور وبالرأي وبالباطن والاشارة

ان قلت اتراك بما عددت من استمداد علم التفسير تجوز لمن استجمع من تلك المادة حظا صالحا وذوقا يفتح له بهما من معاني القرآن ما ينفتح عليه ان يفسر القرآن ويتجاوز ما أثر عن المتقدمين فيفسر القرآن بما يجري على قواعد تلك العلوم وهل ان هو فعل ذلك ففسر آية بشيء لم يذكره السلف يعد مفسرا للقرآن برأيه فلا يحق عليه التحذير الوارد فيما رواه ابو داود والترمذي والنساءي من قوله صلى الله عليه وسلم « من تكلم في القرآن برأيه فاصاب فقد أخطا » وكيف تحاشى بعض السلف عن ذلك فقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقد سئل عن تفسير حرف من القرآن قيل عن الابّ في قوله وفاكهة وابًّا أنه قال : أي أَرض تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في القرآن برأيي . وتحاشى سعيد بن المسيب والشعبي عن ذلك .

قلت أُراني كما حسبت اجيز ذلك وهل اتسعت التفاسير وتفننت مستنبطات معاني القرآن الا بما رزقه اهل العلم من الفهم الصحيح في كتاب الله . وهل يتحقق قول العلماء ان القرآن لا تنقضي عجائبه الا بهذا أما انه لو وقف الناس عند المأثور

من التفسير لكان التفسير ورقات قليلة فقد ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله الا آيات بعدد علمه جبريل اياهن • وقد كنت مثلت لكم ذلك بتفسيره لعدي بن حاتم معنى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر • ثم لو كان التفسير مقصورا على بيان معاني مفردات القرآن بحسب اللغة العربية لكان ضئيلا ونحن رأينا كثرة النقل عن السلف من الصحابة فمن يليهم تفسيرا كثيرا فما ذلك الا افهام رزقهم الله أياها قال الغزالي والقرطبي: لا يصح ان يكون كل ما قاله الصحابة في التفسير مسموعا من النبيء صلى الله عليه وسلم لوجهين احدهما ان النبيء صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه من التفسير الا تفسير بعض آيات كما تقدم الثاني انهم اختلفوا في التفسير على وجوه مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان بعضها مسموعا لترك الآخر • قلت أي لصرح سامعه لمخالفيه بالرواية حتى يرجعوا اليه فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه • وقد روى البخاري في صحيحه عن ابي جحيفة قال قلت لعلي رضي الله عنه : هل عندكم شيء من الوحي الا ما في كتاب الله[(١)] قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه الا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير وان لا يقتل مسلم بكافر اهـ

فما جاءت هاته التفاصيل النافعة التي اقتبست منها سائر العلوم الاسلامية الا بافهام العلماء في معاني القرآن وقد قالوا في حروف فواتح السور اقوالا كثيرة مع انها ابعد الفاظ القرآن عن استنباط المعاني منها فما ظنك بغيرها . وذكر ابو بكر ابن العربي في

(١) لا شك ان الداعي لابي جحيفة هو ظهور مقالة بعض الشيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اسر لعلي بما لم يقله لغيره من الوحي فانهم قالوا ان القرآن وقر بعير وانه عند سيدنا علي ثم توارثه ايمة آل البيت وهو الآن عند الامام المنتظر فلعل تلك المقالة ظهرت في زمن ابي جحيفة او ان ابا جحيفة ظن ان مكان علي من رسول الله واخوته ومصاهرته تخصه بشيء من الوحي سمعه منه غير ما في المصحف .

العواصم انه املى على سورة نوح خمسمائة مسألة وعلى قصة موسى ثمانمائة مسالة . قال الفخر في تفسير قوله تعالى « وعاشروهن بالمعروف » من سورة النساء ما نصه : وقد ثبت في اصول الفقه ان المتقدمين اذا ذكروا اوجها في تفسير الآية فذلك لا يمنع المتاخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها والا لصارت الدقائق التي استنبطها المتأخرون في التفسير مردودة وذلك لا يقوله الا مقلد خاف

وان شئت دليلا من المنقول فحسبك قوله تعالى « ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » واولو الامر هم اهل العلم كما قال الغزالي فاثبت لهم استنباطا والاستنباط حقيقته استخراج الماء من البئر عند الحفر يقال نبط الماء ونبط البئر كنصر وضرب ومجازه كل ما اظهر بعد خفاء فقد استنبط واستنباط العالم استخراجه العلم بفهمه واجتهاده فهو استعارة وجه شبهها تشبيه كد الذهن لاستفادة المعقولات بآلات علمية بكد اليد بآلات الحفر لاستخراج ماء من البئر ثم صارت هاته الاستعارة حقيقة عرفية عند الفقهاء والاصوليين اقتباسا من القرآن . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . وقال الفقهاء في آداب قراءة القرآن ان التفهم مع قلة القراءة افضل ولا شك ان التفهم لكل قارىء بما يناسبه وغايته للعالم ان يستنبط معاني اذ لم يقولوا استحضار ما فسر به السلف افضل . وقد عد حجة الاسلام ابو حامد في باب آداب تلاوة القرآن من الاحيا اشياء من جملتها التدبر عند قراءته وفسره بانه اعادة النظر في الآية وان يتفهم ويستوضح من كل ءاية ما يليق بها لتنكشف له من الاسرار معان مكنونة لا تنكشف الا للموفقين قال : ومن موانع الفهم ان يكون قد قرأ تفسيرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وان ما وراء ذلك تفسير بالرأي فهذا من الحجب العظيمة

(يتبع) محمد الطاهر ابن عاشور



الحديث الشريف

درس ختم الحديث الشريف الذي القاه فضيلة الاستاذ الاكبر والعلم الاشهر الشيخ سيدي محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي يوم ١٧ رمضان المنصرم بجامع حموده باشا المرادي بمحضر الحضرة الشامخة العلية وآل البيت الكرام والوزراء الفخام

باب قول الله تعالى وَنَضَعُ الموازينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ وأَنَّ أَعمال بَنِي ءادَمَ وَقَوْلَهُمْ يُوزَنُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ الْقِسْطَاسُ العدل بِالرُّومِيَّةِ ويقال القسط مصدر المقسط وهو العادل واَمَّا الْقَاسِطُ فَهُوَ الجَائِرُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بن أَشْكَابَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ فُضَيْلٍ عَنْ عُمَارَةَ بن الْقَعْقَاعِ عن ابي زُرْعَةَ عن ابي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيءُ صلى الله عليه وسلم كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إلى الرحمنِ خَفِيفَتَانِ عَلى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ

البيان

افتتح البخاري كتابه هذا بحديث الاعمال بالنية والاعمال واقعة في الدنيا وختمه بحديث وزن الاعمال الواقع في الآخرة وصلا للمبتدا بالمنتهى وإشعارا بلامعة الرمز الى استيفاء الغرض وحصول التمام وذلك من براعة المقطع وحسن الختام ولا غرو فقد التزم رحمه الله في هذا التاليف المبارك ان يكون في الحديث الاخير من كل كتاب من الكتب المترجم بها ما يشعر بالانتهاء كقوله في آخر بدء الوحي فكان ذلك آخر شان هرقل وفي آخر كتاب الايمان ثم استغفر ونزل ولئن تجد ما يتخلف عن ذلك الا قليلا

كيف لا والامام البخاري من أهل الترجيح وتمييز الصحيح من غيره ذلك ان

الاحاديث لم تكن مدونة في عهد الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة رضي الله عنهم وانما اعتمدوا في ذلك العصر على الحفظ والتلقي بطريق الرواية قالوا لئلا يشتغل الناس بها عن القرءان وينبغي أن يضاف لذلك خشية الالتباس واختلاط القرءان بغيره كما وقع لاهل الكتاب فانهم كتبوا مع كتاب الله كتبا أخرى وربما كان ذلك هو المبدأ فداخله التحريف يرشدنا لذلك ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن واستشار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار عليه غالبهم بذلك فمكث شهرا يستخير الله ثم أصبح يوما فقال اني كنت ذكرت لكم من كتب السنن ما علمتم فاذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم كتبوا مع كتاب الله كتبا فاكبوا عليها وتركوا كتاب الله واني لا البس كتاب الله بشيء فترك كتابة السنن واستمر الحال على ذلك الى آواخر المايه الاولى

ولما تواتر القرءان في سائر الاقطار الاسلامية وأقبلت الامة على الاعتناء بحفظه وامن بذلك من الالتباس والاشتغال عنه وخيف ذهاب الكثير من السنة بذهاب رواتها وقع إذ ذاك تدوينها في جميع الانحاء على اختلاف مشارب رجالها

ثم جاءت طبقة من المحدثين صرفوا عنايتهم نحو الاختيار والترجيح فدونوا ما رووه ورأوه من الصحيح طبق ما اشترطوا في طريق الرواية وحال الرواة وفي مقدمة هذه الطبقة شيخا السنة ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج

وقد أبدع البخاري في تدوين كتابه هذا بما لم يسبق اليه وكأين من اشارة لطيفه في مدارج اسلوبه الحكيم الا يرى كيف صدر الباب هنا بالآية التي ورد فيها ذكر الميزان بصيغة الجمع وخرج الحديث الذي جاء فيه الميزان بصيغة الافراد تنبيها على ان الجمع لا لتعدد الموازين بالنظر الى الاشخاص أو باعتبار الاحوال كما قيل بل لتعدد انواع العمل كما يرشد اليه فمن ثقلت موازينه اي اعماله الموزونة فانها الموصوفة بالثقل والخفة او للتفخيم على شاكلة قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين مع ان المرسل اليهم واحد وهو نوح عليه السلام ولا يشكل اتحاد الميزان مع كثرة الموزون لان احوال القيامة لا تكيف باحوال الدنيا

وقد اجمعت الامة على وجوب الايمان بالميزان يوم القيامة لثبوته بالكتاب والسنة البالغة مبلغ التواتر كما اجمع اهل السنة على انه ميزان حسي له لسان وكفتان توزن به صحائف الاعمال او نفس الاعمال فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون وقالت المعتزلة ليس هناك ميزان حسي وتأولوه بانه مجاز ومثل للقضاء بالعدل والراجح ماذهب اليه اهل السنة وهو المتبادر من الآيات والاحاديث ومنها حديث الباب كلمتان حبيبتان الى الرحمن اي محبوب قائلهما ومحبة الله للعبد مجاز عن الثواب او ارادته وفاقا للقاعدة المستمرة فيماورد ممالا يجوز إطلاقه بالمعنى الحقيقي على الله تعالى كالرحمة والغضب والحياء وغير ذلك من المعاني المختصة بالاجسام واعتمادا في تعيين المجاز على التردد المقرر بين الاشعري والباقلاني في الحمل على النهايات كالاحسان في الرحمة الذي هو من صفات الفعل او البدايات كارادة الاحسان التي هي من صفات الذات

وخصت المحبة هنا بالاضافة الى الرحمن لمناسبة مورد الحديث وهو الدلالة على سعة فضل الله ورحمته حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل،

قيل وهذا الفضل الذي تضمنه حديث الكلمتين ونظائره مما ورد في الاذكار والاعمال الصالحة انما هو للمتقين اهل الشرف والكمال في الدين لا لكل عامل وذاكر وقد انتحى هذا القائل مسلك الشهاب القرافي وهو قبول العمل الذي هو عبارة عن الثواب مع كونه بمحض الفضل مشروط بالتقوى مستدلا بقوله تعالى في قصة ابني ءادم انما يتقبل الله من المتقين وان المراد من التقوى هو المعنى العرفي اعني المبالغة في القيام بالواجبات واجتناب المحرمات وبعبارة عدم العصيان غالبا وان ما جاء من الادلة المطلقة في الوعد على العمل الصالح بالمثوبات المتعددة والمضاعفة المتنوعة محمول على شرط التقوى بالمعنى المذكور على طريقة حمل الطلق على المقيد دفعا للتعارض هذا خلاصة ما استظهر في الفرق الخامس والستين

وتعقبه سراج الدين ابن الشاط بان حمل التقوى على المعنى العرفي مجرد احتمال غير متعين لا يعارض ولا يقيد اطلاق قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله والله يضاعف لمن يشاء وقوله عليه الصلاة والسلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس

او سبع وعشرين درجة وغير ذلك من الآيات والاحاديث المتكاثرة المتضافرة ظواهرها على الاطلاق وعدم التقييد البالغة في ذلك مبلغ القطع وان الظاهر تفسير التقوى بمطلق الايمان الموافى عليه اي الايمان الذي يتوفى عليه الشخص سواء كان الغالب عليه عدم العصيان اولا وتفسير التقوى بهذا المعنى هو الذي يتلاقى مع ظواهر تلك الادلة ويلائم ما انبأت به القواطع من اتساع باب الرحمة وساحة الفضل فما ثم حينئذ الّا الاطلاق لان الموعود بالثواب هم المؤمنون وهم متصفون بالتقوى بمعنى مطلق الايمان فالتقييد عين الاطلاق هذا ما حرره ابن الشاط والقول ما قاله القرافي إن سلمه ابن الشاط كما في ضوء الشموع للشيخ الامير

وتوضيحه ان مرجع النظر في هذه المسالة الى قاعدة حمل الكلي المطلق كالتقوى على ادنى مراتب افراده او على اعلاها وقد حرر القرافي في الفرق الحادي والعشرين ان فروعها ليست سواء بل هي على انواع نوع اجمع الناس فيه على الحمل على الاعلى وهو ما ورد في الاوامر بالتوحيد وكمال التعظيم والاجلال في ذاته تعالى وصفاته العليا فلا خلاف في أن المامور به في هذا النوع هو أقصى غايته الممكنة للعبيد ولذا قال عليه الصلاة والسلام لا أحصي ثناء عليك كما أثنيت على نفسك ونوع أجمع الناس فيه على الحمل على الادنى وهي الاقارير فاذا قال له علي دنانير يقبل تفسيره باقل مراتب الجمع وهو ثلاث لان الاصل براءة الذمة النوع الثالث ما اختلف فيه العلماء لعدم اقترانه بما يعين احد الامرين وذهب كل فريق إلى ما ترجح عنده بما لا يعدو طريق الظن والاجتهاد كالرشد في قوله تعالى فان ءانستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم حمله أبو حنيفة ومالك رضي الله عنهما على الادنى وهو الرشد في المال خاصة وحمله الشافعي رضي الله عنه على الاعلى وهو الرشد في المال والدين والصعيد في ءاية التيمم حمله أبو حنيفة ومالك على الادنى وهو ما يسمى صعيداً اي وجه الارض ترابا كان أو حجراً صلداً وحمله الشافعي على الاعلى وهو التراب وما اشبه ذلك من الفروع الخلافيه بين ارباب النظر

وبذلك يتبين جليا ان التقوى التي هي شرط القبول والثواب ينبغي ان تكون

من النوع الثاني الذي يتعين فيه الحمل على الادنى وهو مطلق الايمان كما قال ابن الشاط لاقترانه بما يعين ذلك وهي الادلة الكثيرة المتضافرة ظواهرها على الاطلاق وقد صرح ابو اسحق الشاطبي بان كثرة الظواهر تفيد القطع

ويؤيده ايضا حديث البطاقة الذي رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وهو ان الله تعالى يستخلص يوم القيامة رجلا على رءوس الخلائق ينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل منها مثل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذه شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول له تعالى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها اشهد ان لا إله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال له انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة اي لمضاعفة تلك الحسنة الى ما شاء الله بسبب ما اقترن بها من الاخلاص وقوة التصديق وان كان صاحبها قليل العمل وفي الحديث الحسنة بعشر امثالها الى سبعين الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله والله يضاعف لمن يشاء . هذا ويظهر لي ان ما ورد من الفضل ومضاعفة الثواب في بعض الاعمال وبعض الاذكار منوط بقصد العبادة والتقرب الى الله تعالى وتصور معنى الذكر ولو في الجملة لا بمجرد العمل واجراء الكلام على اللسان مع الغفلة وعدم القصد يرشدنا لهذا قوله تعالى (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وقوله (الا لله الدين الخالص) وان النبيء صلى الله عليه وسلم ذكر في مواضع الترغيب الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله صدقا من قلبه ومرة خالصا او مخلصا كما في صحيح البخاري وغيره وبذلك يتجلى انه لا محيص عن تقييد تلك الظواهر المتضافرة على الاطلاق بما دلت عليه الادلة القاطعة من اعتبار حضور القلب وقصد التقرب الى الله تعالى وظني ان هذا هو الوسط العدل بين تضييق القرافي وتوسيع ابن الشاط

وكلمتان خبر مقدم وما بعده صفة والمبتدا سبحان الله وبحمده مقصود لفظه على وزان هجيرى ابي بكر لا اله الا الله اي هذا اللفظ وهو سبحان الله الخ كلمتان حبيبتان الى الرحمن وقدم الخبر تشويقا لطوله بالاوصاف الباعثة للسامع على التشوف

وانتظار المسند اليه ليتمكن في النفس فضل تمكن وكلما ازداد الخبر طولا ازداد التقديم حسنا وموقعا وعلى هذا الطراز البلاغي نقول

ثلاثـة تـشـرق الـدنيـا ببـهجتهـا شمس الضحى وابو العباس والقمر

وعساك ايها الباحث عن لطائف السحر البياني ان يزيدك البيت لطيفة اذا ما زدته نظرا وهي ذكر ثالث النيرين وسطا بين الطرفين للاشعار بزيادته عليهما عملا بقاعدة خير الامور الوسط

وانظر هل يجري منحى هذا التشويق في المبتدإ الموصوف مجرالا في الخبر ولم يصرح به اهل الصناعة قصدا الى ادراكه بالمقايسة او لايجري ذلك المجرى لكونه خاصة الخبر. هذا الذي افضنا القول فيه من تقديم الخبر هنا هو الذي رجحه شراح الحديث ورجح الكمال ابن الهمام في تعليقه على اعراب الحديث جوابا عن سؤال القي اليه ان المتقدم هو المبتدا وسبحان الله وبحمده هو الخبر موجها ذلك بان الاصل عدم التقديم والتأخير الا لموجب وبان الخبر محط الفائدة وسبحان الله مفيد بنفسه بخلاف كلمتان فباعتبار الوصف والمفيد بالذات أولى من المفيد بالوصف

وفيه ان ما علل به لا يقاوم فكيف يغالب غرض التشويق واحربه أن يكون موجبا وداعيا لخصوصية التقديم المطابق لمقتضى الحال وان لا يعتد معه بكون الافادة بالذات او الوصف خصوصا مع صدور الكلام عن أبلغ البلغاء وأفصح من نطق بالضاد اللهم إلا إذا رجعنا في الحافرة وقلنا لا مانع من إجراء المبتدإ الموصوف مجرى الخبر في غرض التشويق ولعل هذا ملحظ ابن الهمام في الترجيح لحصول الغرض البلاغي حينئذ مع رعاية الاصل

وسبحان مصدر على إضمار الفعل أي اسبح سبحان الله والتسبيح هو تنزيه الله تعالى عن عوارض الحدوث والولد والشريك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وإنما كرر التسبيح للتنبيه على كمال الاعتناء بشانه دفعا في صدور المخالفين من أهل الملل والنحل الفاسدة سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وقد أشعرنا وصف الثقل في الميزان بفائدتين مزدوجتين فضيلة التسبيح بالكلمتين

الحديث الموضوع

- ٣ -

المشتهر منه

ذكرنا في الفصول السالفة أسباب الوضع وعلامات الحديث ونريد أن نذكر في هذا الفصل نتفا من احاديث متكلم فيها عند نقدة هذا الفن ولها اشتهار بين خطبائنا او في مجالس الخاصة وغرضنا من ذلك ان يقفوا على مقالة علماء الحديث الذين عنوا بتمييز الصحيح من غيره فيها حتى يكونوا على بينة من أَمرها واليك بعضها :

حديث : رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهرا متي ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال الحافظ ابن حجر في كتابه تبيين العجب انه موضوع ايضا وللخطباء ولع بذكره

واما حديث : اتاكم شهر رمضان شهر مبارك تفتح فيه ابواب الجنة وتغل فيه

وجهة التفضيل وهي كثرة الثواب وفق لقاعدة المؤسسة على السمع من قواعد التفضيل كالايمان فانه افضل الاعمال ناهيك بعظم ثوابه وهو الخلود في الجنان والخلوص من النيران وكالصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم فانها افضل من الف صلاة في غيره وفي المسجد الحرام أَفضل من الف ومائة وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة

هذا وقد ورد في التسبيح احاديث وآثار كثيرة منها ان سبحان الله والحمد لله والله اكبر من الباقيات الصالحات والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ومن فضيلة التسبيح انه جاء في معرض المعجزة اخرج البخاري في علامات النبوة عن ابن مسعود رضي الله عنه كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ولم نقف على صيغة التسبيح المسموع من الطعام والظاهر ان الصيغة هي سبحان الله وبحمده لقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وكما جاء اليسبيح في معرض المعجزة كذلك جعل مقدمة الاعتذار في قول الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وجعل فاتحة الدعاء فكان النبيء صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء بقوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب

مردة الشياطين وفيه ليلة هي خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم . فقد رواه الامام احمد والبيهقي والنسائي عن ابي هريرة

حديث : الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه . رواه ابو يعلى والعسكري بتمامه واحمد وابو نعيم بالاقتصار على الشتاء ربيع المؤمن وكلهم رووه عن ابي سعيد مرفوعا وفي مسنده ابو الهيثم ضعفه جماعة ووثقه آخرون وله شواهد فيصير حسنا لغيره منها ما رواه الطبراني وغيره عن أنس مرفوعا . الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة

حديث : ابى الله الا ان يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يعلم اورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال البيهقي ضعيف بالمرة لانه من رواية عمر بن راشد وءاية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) ليس فيها حصر

حديث : اتخذوا عند الفقراء ايادي فان لهم دولة يوم القيام قال الحافظ ابن حجر لا اصل له وذكر السخاوي عدة احاديث بمعناه وعقب عليها بقوله كل هذا باطل

حديث : اتقوا زلة العالم قال الهندوي هو ضعيف ان لم يكن موضوعا لكن روى البيهقي عن ابن عمر مرفوعا ان اشد ما أتخوف على امتي ثلاثة زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تقطع اعناقكم فاتهموها على انفسكم وهو بمعناه والمشهور على الالسنة زلة العالم زلة العالم

حديث : اتق شر من أحسنت اليه وفي لفظ ماتحسن اليه قال السخاوي لا اعرفه ويشبه ان يكون من كلام بعض السلف وهو ليس على اطلاقه بل محمول على اللئام دون الكرام فعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال ما وجدت لئيما قط الاقليل المروءة وفي التنزيل (وما نقموا منهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله) وقال ابو عمرو ابن العلا يخاطب بعض اصحابه كن من الكريم على حذر اذا اهنته ومن اللئيم اذا اكرمته ومن العاقل اذا احرجته ومن الاحمق اذا رحمته ومن الفاجر اذا عاشرته : وهذا الشاعر يقول

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

حديث : اجتمعوا وارفعوا أيديكم فاجتمعنا ورفعنا أيدينا ثم قال اللهم اغفر للمعلمين ثلاثا كيلا يذهب القرآن واعز العلماء كيلا يذهب الدين قال في اللئالي انه موضوع وسلمه غيره

حديث : الاجتماع مقدر قال السخاوي لم اقف على انه حديث وانما قيل انه من كلام اويس القرني

حديث : أحبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة والطبراني عن ابن عمر وابن عمرو والدارقطني والبيهقي عن علي موقوفا والبخاري في الادب المفرد فلا متكلم فيه حينئذ

حديث : اختضبوا فان الملائكة يستبشرون بخضاب المؤمن نقل ابن حجر المكي عن السيوطي انه كذب موضوع

حديث : اخفوا الختان وأعلنوا النكاح قال السخاوي لا اصل للاول يعني اخفاء الختان ويشهد لما روي فيه من الاعلان قول سالم ختنني ابي (يعني ابن عمر) انا ونعيما فذبح علينا كبشا فلقد رأيتنا وانا لنجذل به على الصبيان ان ذبح علينا كبشا وبوب له البخاري في الادب المفرد بالدعوة في الختان وباللهو في الختان وذكر احاديث تشهد للاعلان به

حديث : اخوك البكري ولا تأمنه قال في المقاصد رواه ابو داود واحمد وغيرهما مرفوعا والبكري بكسر الموحدة وهو الذي ولده ابواك اولا ومعنى الحديث المبالغة في التحذير اي اخوك الشقيق احذره ولا تأمنه فضلا عن الاجنبي وهذه كلمة جاهلية تمثل بها الرسول عليه الصلاة والسلام من قصة مطولة سردها ابو داود

حديث ادفع الشك باليقين • من القواعد الجارية على السن الفقهاء (وهو وان أخرجه السخاوي عن دائرة الحديث لكن له شاهد من الصحيح وهو : دع ما يريبك الى ما لا يريبك • وفي الحلية لابن نعيم عن الثوري : عليك بالزهد يبصرك الله عورات

الدنيا وعليك بالورع يخفف حسابك ودع مـا يريبك الى ما لا يريبـك وادفع الشك باليقين يسلم اك دينك

حديث ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فان الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء وفي رواية قيل : يا رسول الله وهل ينفع الجـار الصالح في الآخرة ؟ قال : هل ينفع في الدنيا ؟ قالوا : نعم • قال كذلك ينـفع في الآخرة • هـذا الحديث منظوم عند ابن الجوزي في عداد الموضوعات بيد أن عمل السلف والخلف لم يزل على هذا ومما يشهد له ما اخرجه ابن عساكر عن علي رضي الله عنه : امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ندفن موتانا وسط قوم صالحين فان الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى به الاحياء

حديث شبه الشيء منجذب اليه[1] وفي لفظ شبيه ليس من كلام الرسـول وهو بمعنى الارواح جنود مجندة ومن العبارات الدائرة على الالسنة : الجنس الى الجنس اميل

حديث شرار امتي العلماء الذين ياتون الامـراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء روى شطره الاول فحسب ابن ماجة لكنه بسند ضعيف حسبما نص على ذلك الزين العراقي في تخريج احاديث الاحياء

حديث شرار امتى الذين غذوا بالنعيم يـأكلون الوان الطعام ويلبسـون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام رواه ابن ابي الدنيا في ذم الغيبة والبيهقي وسنده ضعيف

حديث شراركم معلموا صبيانكم اقلهم رحمة على اليتيم واغلظهم على المسكين

---

(١) ضمن العلامة الشيخ المكي بن عزوز دفين الاستانة المتوفي سنة ١٣٣٤ هذا المثل في المصراع الاخير من ابيات اربع كتبها بخطه تحت عنوان مؤلفه « السيف الرباني » وبعث بها الى جدنا القاضي العادل الشيـخ محمد الطاهر النيفر المتوفى سنة ١٣١١ وهي :

كتاب ام ذا شرف فخيم ❁ حسام الشرع اضحى في يديه
جنـاب الطاهر السامي مقاماً ❁ رقى اوج السمـاك باخمصيـه
وسيف قضاة اهل العصر حقا ❁ طغاة الوقت خاضعـة لديه
ولم لا ينتحي سيف لسيـف ❁ وشبـه الشيء مجـذب اليه

من خصائصه صلى الله عليه وسلم

عصمته في هواه

بقلم العالم النحرير الشيخ الناصر
الصدام المدرس بجامع الزيتونة

اذا توجهت عناية الله تعلى لشيء كانت الاكسير الذي يستحيل به النحاس ذهبا وينقلب به السبب مانعا والمانع سببا (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق الآيه (قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً ان هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد)

هاته آيات فصلت من كتاب وذكر حكيم دبجنا به ما نحدثك عن ميزة من ميزات محمد رسول الله وخاتم النبيئين وشارة من شاراته اذ لم يسبق لاحد ـ فيما علمت ـ التنبيه على أنها من خصوصياته الا وهي عصمته صلى الله عليه وسلم في هواه

فإنه لما أحاطت به العناية الربانية أصبح كله لله وبالله ومن الله والى الله وكذلك ربك إذا أحب عبداً كان له سمعا وبصراً ولساناً وقلباً ورجلا ويداً

وما حديث الشق عن الصدر الشريف إلا آذان في الخليقة أولها وآخرها بانه القلب الذي هو بيت الرب والمكان الذي بورك حوله ليرى محمد صلى الله عليه وسلم بالبصر والبصيرة الآية الكبرى (ما كذب الفؤاد ما رأى)

افاد في اللئالى انه موضوع ولعمري كيف لا يكون كذلك وهذا المرشد الاعظم يقول خيركم من تعلم القرءان وعلمه على ما رواه البخاري والترمذي عن علي رفعه

حديث شر الحياة ولا الممات هو من كلام بعض الحكماء وليس بحديث ثم انه كلام صحيح ان كان مراد قائله بشر الحياة ما ينتاب المال والانفس من الاعراض الدنيوية وما الى ذلك واما ان كان يقصد بشر الحياة الى ما هو اعم من ذلك ومن جملته الفتنة في العقيدة فهورد (يتبع)

خادم الحديث : محمد الصادق النيفر

وما العدول عن الماء إلى الثلج عند الغسل مع أن المـاء أنقى « لو كانت الادران » إلا لينثلج ذلك الصدر المبارك للحقائق وليستعد لما يفاض عليه من الاسرار والانوار حتى لا يكون مبهوراً (كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) (١) وما الختـم بين الكتفين الشريفين إلا لتأييس الاولين والآخرين من محاولة بلوغ ذلك الشأو ولانها المنـح التي لا تنبغي لاحد من قبل أو بعد وللتعويذ ايضاً من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس (لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) (٢)

فهو صلى الله عليه وسلم مطرد العصمة في جميع الاوقات وعموم الحـالات وسائر التقلبات حتى في اتباع هوى نفسه وأميالها وان هو إلا ما ربك اوحى لها

يشهد لذلك امور منها قول الصديقـة رضي الله تعالى عنها (ما ارى ربـك إلا يسارع في هواك (٣)) وجه الدلالة أن المسارعة هنا مأولة بالتشريع على وفق ما تهواه نفس الحبيب صلى الله عليه وسلم والتشريع مطلقا أي خاصا كان أو عـاماً أمر والله تعلى لا يأمر بـالفحشاء والمنكر وكذلك قـوله سبحانه (قد نرى تقلب وجهك في السمـاء فلنولينك قبلة ترضاها) وهاته الآية الكريمة تـدل على ما ذكر من حيث انها سيقت مساق التبشير له صلى الله عليه وسلم والامتنان عليه بما يهواه ويتطلع اليه وهو التوجه الى أول بيت مبارك وضعه للناس أبوه ابراهيم عليه السلام ولانه الوطن الاصلي وحب الوطن من الايمان

ومما يشهـد لذلك ويدل عليه قوله جل وعلا (وتخفي في نفسك ما الله مبديـه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه) وهاتـه دلالتها من حيث أن الانسان يخفي

(١) وهاته دلالتها على تحقيق توجه العناية الالاهية لاعداد المحل لما يحل

(٢) فيها دلالة على العناية بجنس التاييد والتثبيت

(٣) اخرجه البخاري في كتاب النكاح مترجما له بقوله هل للمراة ان تهب نفسها لاحد فقال (حدثنا هشام عن ابيه قال كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن انفسهن الى النبيء صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما تستحيي المراة ان تهب نفسها للرجل فلمـا نزلت ترجي من تشاء منهن قالت يـا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع في هوك رواه ابو سعيـد المؤدب ومحمد بن بشر وعبدة بن هشام عن ابيه عن عائشة يزيد حديث بعضهم على بعض اه) قلت وفيه دلالة على فقه نفس الصديقة وفهمـها عن الله تعلى فرضي الله عنها وعن سائر امهات المسلمين

في نفسه ما يشفق فيه من ٱلملامة والتعنيف فالمخفي من هوى النفس لا محالة وابـداء الله تعلى لهذا ٱلمخفي ابداء تكريم وتشريع لا ابداء ملامة وتشنيع

ومن تلك الادلة قوله عليه الصلاة والسلام (حبب الي من دياكم النسآء والطيب وجعات قرة عيني في الصلاة) فان النساء والطيب مما تهواه الانفس لا محالة

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام في شان الصلاة أيضا (أَرحنا بها يا بلال) فان فيه دلالة من حيث ان النفس ترتاح لهواها وتملأُ العيون وتقر بحبيبها

ومن ذلك حديث شق الصدر المومى اليه فانه خصوصية ايضا لها دلالة على هاته الخصوصية من حيث الارتباط والمنشأة

واعلم أن هذا التحقيق قد استتبع تحقيقا وأشرق نوره فاستوضحنا بـه الى الهدى طريقا وذلك شأن الحقائق في بدو أنوارها للمشاهد اذ هي سبوح لها منها عليها شواهد

والذي تراءى لنا من ذلك أمران الاول ان قوله سبحانه (وما ينطق عن الهوى) هو مما كني فيه بنفي اللازم عن نفي الملزوم(١)

الثاني ان معاد الضمير في قوله تعلى (ان هو الا وحي يوحى) لفظ الهوى المتقدم لا القصة والشان ولا القرآن كما قيل بذلك اذ الاصل في المعاد الذكر دون الحذف فلا يصار اليه إلا لدليل

فذنك برهانان من ربك لقينا بهما نجاحا في غابر الازمان ودليلان وضاءان على تطاول العهد ما مستهما يدان

وبهذا التحقيق تجتث جذور الفتنة في قضية تزوجه صلى الله عليـه وسلم بزوجة متبناه نسفا فينقطع الافاكون ويقتل الخراصون

هذا حاصل ما علمت مما يدل على عصمته صلى الله عليه وسلم في هواه أمـا دليل اختصاصه بذلك فمنه قوله جل وعلا حكاية لمقالة سليمان عليه السلام وتقريراً لمضمونها (إني أَحببت حب الخير عن ذكـر ربي حتى تـوارت بالحجـاب (وقوله سبحانه في قصة يوسف عليه السـلام (ولقـد همت بـه وهم بها لـولا انـ رأى برهان ربـه

(١) اي فهو قضية سالبة صادقة بنفي موضوعها كقوله على لا حب لا يهتدى بمناره

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) وكذلك تنبيهه تعالى لداود عليه السلام عن اتباع الهوى وتحذيره من وخامة عواقبه في قوله (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) فانك إذا قايست ما خوطب به داود بما خوطب به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم في الآي المتقدمة ونحوها تبينت تفاوت المراتب وان منا الا له مقام معلوم

وحاصل ما في المقام انهم عليهم الصلاة والسلام معصومون من هواهم وهو صلى الله عليه وسلم معصوم في هواه وهذا وأمثاله رمز الى سمو منزلته وكمال اختصاصه بربه سبحانه فحقا أن النفسية المحمدية كنز من كنوز الله المطلسمة وهي كهرباء العوالم التي هيهات أن تدرك كنهها الافكار ويرحم الله أويسا القرني اذ يقول (والله ما عرفتم من محمد الاظله ولا يعرف محمداً إلا ربه) فالحمد لله الذي قسم لنا من هذا النور المحمدي ما عرفنا به لذلك الجناب الارفع عصمته في هواه وهدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

ما هوى نفسه الزكية بالمر — دي ولا بالمخوف في عقباه
بل هو الوحي افعم الكل قطعا — فالانا ما حوى لشيء سواه
وكذا اليمن حيثما حل يسري — نفعه في اجزاء ما قد حواه
ولذا مثل الله بالمشـ — ـكاة فيها مصباحها وسناه
موقدا من (زيتونة) كاد منها الز — زيت ان يشرق الضلام صفاه
هكذا سيد الخليقة اضحى — بصفا النفس مستبان هداه
فهو لو لم يبعث الينا رسولا — لرأيناه للعلا منتهاه

الناصر الصدام

تنبيــه

وقع تحريف في الآية الكريمة الموجودة بالسطر السابع من صحيفة ١٥٠ من الجزء الثالث وصواب الآية (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، كما وقعت بعض اخطاء مطبعية اخرى لا تخفى على القاري اللبيب

التشريع الاسلامي والمرأة

بقلم العلامة الجليل الامام النظار الشيخ سيدي محمد
العزيز جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

كثيراً ما فوق المتعصبون من الغربيين سهام الانتقاد على الشريعة بتهمة الاجحاف بحقوق المراة حتى اثر ذلك على بعض المنتمين الى الاسلام ممن فتنهم زبرج التمدن الغربي فانصاعوا لاقوال اهله دون تمييز بين السمين والغثيث والطيب والخبيث وأصبح النساء مثار فتنة من ناحية العدل في التشريع كما كن وما زلن حبائل فتنة من ناحية العفة والاستقامة

لهذا آثرنا الحديث على مراعاة الشارع للمراة في جميع أطوارها وعامة نواحيها حتى يتجلى لذي عينين محاسن هذه الشريعة المباركة فيما تضمنته تعاليمها من مراعاة مصالح النساء

المراة في طور الطفولة

كان الجاهلية يرون ان البنات عبء ثقيل عليهم لانهن لا يشددن ازر القبيلة ولا يمنعن طوارق الغارات ولا يقوين على القيام بمؤنة الابوين والاقارب وهن مع ذلك عرضة لهوان السبي وذلة الفجور وسبب للفاقة فكان نفورهم منهن عظيما وربما طغت وساوس النفور ببعضهم فدفعته الى وأد بناته تخلصاً من شرهن وما زالت هذه الكراهة تساور نفوس بعض المسلمين الذين لم يرتاضوا بالآداب الشرعية وتنتاب قلوب الاجانب عن الدين الاسلامي الذين تعودوا تحمل تكاليف مالية في سبيل تزويج بناتهم فجاءت الشريعة الاسلامية السمحة بحماية البنت من خطر اثر النفرة ونهت عن وأد البنات فقال الله تعلى (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم) ثم بينت ما يوجب

استئصال النفرة من النفوس وينبهها من غفلتها بايقاظ الشعور بما تقوم به البنت من الخدم الجليلة وتجلبه من الانصار بسبب الاختان والاصهار عند ما تصير قيمة ببيت زوجها فقال الله تعلى في معرض التنبيه على انعام الله على عبيده (والله جعل لكم من جنسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) اي جعل لكم من جنسكم ازواجا لتأنسوا بهن وتقيموا بذلك جميع مصالحكم وجعل لكم من ازواجكم بنين يحمون ظهوركم وبنات يخدمن بيوتكم اتم خدمة وعبر عن البنات بالحفدة (والحافد المسرع في الخدمة والطاعة) ايذاناً بوجه المنة (وهذا أحد الافهام في الآية وقيل المعنى جعل لكم من ازواجكم بنين واعوانا من الاخدان والانصار وقيل غير ذلك) ولم تقف الشريعة عند حد ايقاظ التدبر المفضي لتقلص ظل كراهتهن بل ترقت فبينت ان العوامل التي كانت تدفعهم الى الكراهة تحمل في مطاويها سعادة الفوز بالنعيم المقيم والنجاة من العذاب الاليم فجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتلي من البنات بشيء فاحسن اليهن كن له سترا من النار والتعبير بالابتلاء لجريان عادة الناس بكراهتهن كما قال تعلى (واذا بشر احدهم بالانثى) الآية ولا يقتضي الحديث ان لا يكن سترا الا لمن أحسن اليهن على تكرهه حتى يتقرر كونهن بلية لان الحديث خرج مخرج الغالب والمسالك العربية تقتضي اهمال مفهومه والاحسان الوارد في الحديث لا يختص بناحية معينة بل يحصل بكل من اصل الانفاق والتوسع فيه والتشوير المباح والتغذية بلبان المعارف والتلقين للاخلاق الفاضلة والخطاب بلين القول وطلاقة الوجه واللقاء ببسط جناح العطف والحدب ولا يلزم من ورود الحديث بسبب الاحسان بالاطعام قصره عليه لان السبب لا يخصص وكيف يصح ان يقصر الاحسان على الامور المادية الخسيسة ولا يتناول الامور المعنوية النفيسة وقد جاء في الحديث الصحيح ايما رجل كانت عنده وليدة فعلمها باحسن تعليمها وادبها فاحسن تاديبها ثم أعتقها وتزوجها فله اجران فاذا كان لتعليم الولائد وتاديبهن اثر في نمو الاجر فكيف لا يكون لهما اثر في البنات وجاء في الحديث الصحيح من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو وضم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابعه يريد رفاقته معه في الجنة او السبق الى

دخولها معه وهذا الفضل لمن قام بالمئونة والكفالة يستوي فيه من كان البنات له ومن كان البنات لغيره فهذه ادلة صريحة تحدثك باهتمام الشارع بالبنت قبل استقلالها

البنت في طور الشباب

راعت الشريعة ما تحتاجه المراة من زواج تقتضيه الطبيعة ويتطلبه العمران وتنتظم به المصالح فامرت الاولياء بتزويج المراة ومنعتهم من عضلها قال الله تعلى: وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال جل ذكره: واذ اطلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف وسواء أقلنا ان الخطاب للاولياء كما يدل عليه حديث معقل بن يسار الوارد في الصحيح ام قلنا ان الخطاب للازواج كما يقتضيه قوله واذا طلقتم النساء وان التعبير بالازواج عن الخطاب باعتبار المئال فالآية صريحة في النهي عن العضل ممن يمكن حصوله منه وقد احتاطت الشريعة للمراة في شان الزواج فقيدته بقيود تفضي الى سعادتها وتحفظها من طوارق المؤذيات ذلك انها بنت النكاح على ما يثمر الحب ويتقاضاه حسن التدبير واعتبرت فيه ما يكون اكفل بدوام العشرة وحسن الالفة وابلغ في حفظ الشرف

حسن الاختيار واشتراط الولي

لم تجعل الشريعة للمراة الاسلامية الاستقلال بابرام النكاح بل جعلت اختيار الزوج لها وأوقفت ابرام العقد على موافقة وليها لان النساء سريعات الاغترار بالظواهر والانقياد الى البوارق فربما اخترن غير الاكفاء فتجرعن مرارة سوء الاختيار وأصاب سوء الاختيار شظاياه اولياءهن فراعى الشارع مصلحتهن واشترط الولي في النكاح وحماهن من جور الاولياء فنهاهم عن العضل ومكن المعضولة بغير حق من ادراك بغيتها بانهاء امرها الى الحاكم حتى اذا تبين له جور الولي تولى الحاكم ابرام العقد اذا لم يمتثل الولي لابرامه وهذا نهاية المبالغة في الاحتياط لها فاشتراط الولي في حق المراة ليس اجحافا بحقها كما يتوهمه قصار النظر بل لتوفية الاختيار حقه من السداد واهمل اشتراط الولي في جانب الرجال لامكان انحلالهم من ربقة النكاح بالطلاق وقد أدرك المضطلعون الراسخون في معرفة المقاصد الشرعية حكمة

حسن اختيار الازواج وحافظوا عليها بيد انهم اختلفوا في طريق الحفظ فاكثرهم أختار في سبيل حفظها اشتراط الولي لظواهر كثيرة ولهذا اخترنا بناء الكلام عليه وبعضهم اختار في طريق حفظها اعتبار الكفاءة فاذا حافظت المرأة عليها فلا متكلم لوليها ولها مباشرة العقد واذا اهملتها وابرمت عقدة النكاح كان للولي نقض غزل هذا النكاح

الصداق

احتاطت الشريعة للمرأة فاوجبت الصداق قال تعلى (وءاتوا النساء صدقاتهن نحلة) وذلك لمعان الاول ما فيه من استهداء نفسها وبذر محبة الرجل في قلبها والمحبة دعامة الالفة وجناح حسن العشرة واستمالة النفوس بالاحسان امر معروف ويشعر بهذا المعنى وصف الصدقات بانها نحلة الثاني ما في الصداق من ادخال السرور عليها باظهار الرغبة فيها حيث بذل الزوج في الاقتران بها المال الذي جبلت النفوس على حبه واظهار الرغبة في النساء له مكانته من نفوسهن وفي تحرج بعض امهات المؤمنين ممن عرضت نفسها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكار بعض بنات الصحابة على من عرضت نفسها من النساء على بعض الفضلاء دليل بين على ذلك الثالث ما في الصداق من دواعي الانقياد الى سلطان الزوج ونفوذه الامر الذي يدعو الى التوافق بين الزوجين ويمكن الزوج من تقويم اعوجاج زوجه وصدها عما يغض من شرفها بتطرق الريبة لها كخروجها دون رضاه والاذن لمن يكره في الدخول الى بيته وقد وقع الافصاح بهذه الحكمة في قول الله تعلى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) الرابع ما في الصداق من تثبيط الرجال عن الطلاق حتى لا يذهب عليهم ما اعطوه في سبيل الاستحصال على المرأة سدى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى

خادم العلم محمد العزيز جعيط

اعتــذار

نتقدم للسادة الافاضل الذين وجهوا لنا اسئلة يتطلبون الاجابة عنها بأننا لم نغفلها وانما ضيق النطاق اوجب علينا تاخير الاجابة عنها وستقع الاجابة عنها بعون الله حسب ترتيب ورودها على ادارة المجلة في الاعداد المقبلة

الفتاوى والاحكام

حكم معاملة ارباب المعاصر لمالكي الزياتين وأقراضهم شيئا من المال ثم استيفائه زيتا مع اجرة العصر

ورد على ادارة المجلة السؤال الاتي نصه :

قد جرت عادة ارباب معاصر الزيتون بغالب جهات المملكة بان يقرضوا شيئا من المال لمالكي الزياتين وهؤلاء يلتزمون بعصر غلة زياتينهم بماكيناتهم وبعد العصر يطرح بقيمة المال المقترض زيتا من المتحصل كما جرت العادة ايضا بان يقرضوا لطائفة من تجار حب الزيتون مقدارا من المال وفي مقابلة ذلك يكونون ملتزمين بعصر ما اشتروه من الحب في معصرة المقرض ومن متحصل الزيت يسترجعون مالهم الاصلي مع معين كراء العصر وفي بعض الاحيان يزيد المقترض من ماله الخاص في صورة ما اذا لم يوف متحصل الزيت بالخلاص وحيث ان ظاهر فقه هذه المسالة هو باب سلف جر نفعا فالمرغوب افتاؤنا في ذلك

وقد احلناه على فضيلة شيخ الاسلام المالكي ابقاه الله فاجاب عنه بما نصه :

ان هذه المعاملة على الوجه المذكور اذا وقعت عن رغبة من مالك غلة الزيتون سواء كان مالك الاصل او خضارا او تاجرا في الغلة لاحتياجه الى المال ليكمل به اعماله الفلاحية او التجارية فدفع له صاحب المعصرة (الماكينه) مالا واشترط عليه ان ياتيه بمتحصل الغلة سواء كان معين المقدار ام غير معين ليعصر في معصرة المقرض بالاجر المتعارف دون زيادة لاجل القرض فهذه المعاملة من قبيل القرض اي السلف وهي جعل غلة الزيتون توثقة لذلك القرض فيصير مسمى هذه المعاملة هو مسمى القرض برهن اذ العقود تعطى الاسماء الشرعية باعتبار المسميات والمواهي • وغلال الزيتون يجوز رهنها ولا يضر عدم تحقق المقدار المتحصل لان الغرر في الرهن مغتفر ولا يضر عدم حوزها في وقت القرض لان الرهن ينعقد ولو تأخر قبض المرهون فان الغلة لا

تحاز دفعة واحدة بل تجنى بعد النضج بطنا بعد بطن وحيث كانت غلة الزيتون انما تقصد لزيتها فالمقصود من التوثقة هو الزيت الحاصل من عصرها فلذلك لزم ان يكون عصر الغلة عند المقرض تحقيقا لمبادرة الحوز بقدر الامكان ثم ان محل النظر ومناط السؤال هو ما في هذه المعاملة من انجرار منفعة لصاحب المعصرة الذي هو المقرض وهي منفعة اجرة عصر ذلك الزيتون في معصرته فاذا نظرنا الى هذه الاجرة وجدنا المقترض لا مندوحة له عن دفعها سواء عصر في معصرة مقرضه ام في معصرة رجل آخر ولو قدرنا ان هذا المقترض لم يقترض ولم يرغب في عصر زيتونه وباعه حبا فلا شك انه يبيعه بثمن ناقص عن ثمن الزيت نقصا بنسبة ما يزاد في ثمن الزيت من مصاريف العصر والخزن وهذا أمر معلوم فهذه الاجرة من هذا الوجه غير مسببة عن القرض بل هي مسببة عن وجود غلة الزيتون وناشئة في ثمنها وكائنة فيه تقديرا فهي في هاته الحالة منفعة للمقرض لا مضرة فيها على المقترض ولم يتكلفها لاجل القرض

ثم انا نجدها راجعة الى المقترض في مقابلة عمل العصر ومصاريفه فالمقترض من هذه الجهة كواحد من الناس الذين يعصرون في تلك المعصرة فلم تبق فيها من فائدة للمقرض الا فائدة تحقق وجود مقادير من الزيتون لتشغيل معصرته ولو كلف المقرض ان يعصر زيتون المقترض بدون اجر لكان ذلك ضررا يدخل على المقرض لما تستدعيه المعاصر من النفقات واجور الخدامة فتبين من هذا ان في مثل هذه المعاملة منفعتين منفعة تنجر للمقترض وهي سهولة وجدان من يقرضه المال بدون اعنات ولا مراباة ولولا هذا الشرط لما وجد من يقرضه الا المرابين المفحشين فبهذه المعاملة تنجر له الارباح الناتجة عن عمل زيتونه ويسلم من مخالب المرابين ومن اثم المعاملات الربوية وهذه منفعة عظيمة للمقترض وفيها منفعة حاصلة للمقرض وهي وجدان ما يشغل به معصرته بانتظام وهذه منفعة ضعيفة في جانب المنفعة الحاصلة للمقترض لما تقدم من ان صاحب المعصرة لا يعدم من يعصر في معصرته بدون هذه المعاملة الا ان ذلك قد لا ينتظم او لا يطرد.

فصارت هذه المنفعة من منافع السلف المشتركة بين المقرض والمقترض واذا كانت المنفعة المنجرة عن السلف مشتركة بين المقرض والمقترض ففي المذهب المالكي خلاف

في جوازها واليه اشار ابن الحاجب في مختصره وخليل في شرحه المسمى بالتوضيح ولنذكر كلامهما ممزوجا المتن بالشرح قال (وشرطه - اي الغرض ان لا يجر منفعة للمغرض) سواء تمحضت للمقرض او اشترك فيها مع المقترض اعني ان تكون المنفعة لهما على السواء او منفعة المقرض اكثر واما اذا كانت منفعة المقترض اكثر فسيتكلم عليها - اي في قوله الآتي وفي سلف السائس ثم قال (وفي سلف السائس بالسالم في المسغبة والدقيق والكعك للحاج بدقيق في بلد بعينه قولان) المشهور المنع فيهما والشاذ لسحنون اي بالجواز وقيد اللخمي المشهور بما اذا لم يقم الدليل على ارادة نفع المتسلف فقط واما اذا قام ذلك فيجوز اهـ)

واصل المسالة في تبصرة اللخمي في باب بيوع الآجال ونصه « قال مالك في الحاج يتسلف الدقيق او السويق او الكعك يحتاج اليه ويقول اوفيكه بموضع كذا ببلد آخر لا خير فيه ولكن يتسلف ولا يشترط وقال سحنون في الحمديسية لا باس بذلك للحاج ونحوه للضرورة ولولا الشرط لم يسلفه وهو احسن اهـ وقصدهم من المنفعة المنجرة للمقرض في هاتين المسالتين هي منفعة اخذ السالم مع كون السلف سائسا ومنفعة قبض الطعام في البلد الذي يريده المقرض دون ان يقبله في حيث يشاء المقترض. ونحن اذا نظرنا الى ما تشتمل عليه هذه المعاملة نجدها ترجع الى اعتبار الحاجي القريب من الضروري فان خضارة غلة الزيتون تكثر حاجتهم الى اقتراض المال لاقامة خدماتهم واصحاب المعاصر بحاجة الى ايجاد الزيتون ليعصر في معاصرهم كل يوم لئلا تضيع نفقاتهم واجور عمال المعاصر في بعض الايام التي قد لا يجلب لهم فيها الزيتون فيئول بهم ذلك الى خسائر طائلة ولو حرم اصحاب المعاصر من هذه المعاملة لا عرض اكثرهم عن هاته الحرفة فيحل فيها غير المسلمين ويضطر اصحاب الزياتين الى التعامل منهم وتلحق من ذلك اضرار شديدة تخل بالحاجي من ثروة المسلمين لا حاجة الى التطويل ببيانها فانها لا تخفى ففي منعهم من هاته المعاملة ادخال اضرار عليهم وليس في المنع من هاته المعاملة منفعة لخضارة غلة الزياتين بل تدخل عليهم من منعها اضرار كثيرة فكانت هاته المعاملة منفعة عظيمة للمقترضين ومنفعة قليلة للمقرضين وفيها مصلحة عامة وهي

اعانة الناس على العمل وانتشال الحضارة من الاقتراضات الربويه ومراد سحنون بالضرورة الحاجة الاكيدة لظهور ان اسلاف الحاج الكعك والدقيق ليس من الضروري بالمعنى الاصولي الذي هو حفظ احد الكليات الخمسة لظهور ان الحاج لم ينحصر قوته في تلك المعاملة بل هو يرجع الى الحاجي ولو كان ضروريا بالمعنى المشهور لم يقع فيه خلاف ولذلك اعترض ابن عرفة في مختصره على ابي الطاهر ابن بشير حكاية الخلاف في اسلاف القمح السائس بالسالم في المسغبة قائلا لم يحك غير ابن بشير في المسغبة الا الجواز يعني لان المجاعة موجب الهلاك وعليه فسحنون اعتبر الحاجة فحكم بالجواز والغى انجرار المنفعة والقول المشهور نظر الى انجرار المنفعة من السلف ولم يعتبر الحاجة ومدرك سحنون اقوى ولذلك قال اللخمي ان قول سحنون احسن

فاذا تقرر هذا فقد جرى عمل الناس في هاته المعاملة اخذا واعطاء على خلاف المشهور بل على ما يجيزه سحنون فلو وقع التقاضي في بعض هذه المعاملات لحكمنا بفسخها على المشهور واما في غير مقام التقاضي فلا ينبغي التعرض للناس بابطالها لما تكررت به فتوى ابي سعيد ابن لب ان ما جرى عليه عمل الناس وتقادم في عرفهم وعاداتهم ينبغي ان يلتمس له مخرج شرعي على ما امكن من وفاق او خلاف اذ لايلزم ارتباط العمل بمذهب معين او بمشهور من قول قائل ولما حكاه المواق عن شيخه ابن سراج انه اذا جرت عادة الناس بشيء ولم يكن متفقا على تحريمه فليتركهم المرء وما هم عليه وليفعل في نفسه ما هو الصواب عنده ووجه ذلك ان حمل الناس على ابطال ما عملوا به يرجع الى قاعدة تغيير المنكر وشرط تغيير المنكر ان يكون الفعل مجمعا على انكاره بين علماء الامة فاذا كان عمل الناس جاريا على قول عالم معتبر فلا يتعرض لهم فيه بالابطال افتيت بذلك وانا محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي في رمضان وفي نوفانبر عام ١٣٥٥-١٩٣٦



الاعلام بفضل العرب في الجاهلية والاسلام

بقلم العالم الاديب البارع الشيخ علي النيفر
المدرس من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة



الشواهد الشرعية على فضل العرب في الاسلام

اما شواهد فضل من آزروا منهم النبيء صلى الله عليه وسلم في ابلاغ الدعوة وسبقوا الى الايمان به وباعوا انفسهم لاعلاء كلمة الله من المهاجرين والانصار فهو من حديث البحر . لا ياتي عليه عد ولا حصر ولنذكر بعضها بايجاز : فمنها في سورة الفتح قوله تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » ومنها في سورة الاعراف « وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون » قال المفسرون : هم امة محمد صلى الله عليه وسلم كما في الحديث وصدر الامة عرب خلص وفي سورة التوبة « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اولئك هم الفائزون » وفي سورة التوبة ايضا «لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون » وفي سورة آل عمران « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » قال المفسرون : الخطاب لامة محمد اي كنتم في علم الله . وفي سورة الحشر « للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في نفوسهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » وفي صحيح الامام البخاري من طريق سفيان عنه عليه الصلاة والسلام « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وفيه ايضا من طريق شعبة قال صلى الله عليه وسلم ولا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وفي الشفاء للقاضي عياض احاديث كثيرة تنادي بفضل اصحابه عليه الصلاة والسلام ووعيد من تنقصهم او آذاهم نشير الى بعضها

فمنها ما رواه القاضي ابو الفضل باسناده عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان ياخذه

ومنها لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم »

ومنها من سب اصحابي فاضربوه . ومنها ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نذر قطع لسان ابنه عبيد الله اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب النبيء صلى الله عليه وسلم . وقال مالك رضي الله عنه : من انتقص احدا من اصحاب النبيء صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال « للفقراء المهاجرين » ثم قال « والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم » وهؤلاء الانصار ثم قال « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان » فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين اه

هذه لمحة يسيرة مما نطقت به الشريعة المطهرة في شأن فضل العرب عموما وفضل السابقين الى الاسلام منهم الذابين عنه الناشرين لدعوته في الآفاق خصوصا

الشواهد التاريخية الناطقة بفضل الامة العربية جاهلية واسلاما

الامة العربية في جاهليتها - كانت العرب في الجاهلية لهم عادات محمودة واخلاق فاضلة من الكرم والشجاعة والفروسية والوفاء والصدق وحماية الجار والذود عن العرض وعزة النفس واباية الضيم والشهامة وجودة الذهن وقوة العارضة والفصاحة والبلاغة فكانت السنتهم اتم بيانا وتمييزا للمعاني وهم وان كانوا امة امية الا ان ما وصل الينا من منظومهم ومنثورهم ربما فاقوا به غيرهم من الامم . قال بعض العلماء في العرب اربع لم يساوهم فيها سواهم . الحمية - والحماية - والكرم - والشجاعة اه وفي العقد الفريد عن ابن الكلبي كانت في العرب خاصة عشر خصال لم تكن في امة من الامم خمس منها في الرأس وخمس في الجسد فاما التي في الرأس فالفرق والسواك والمضمضة والاستنثار وقص الشارب . وأما التي في الجسد فتقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء . وكانت في العرب خاصة القيافة لم يكن في جميع الامم احد ينظر الى رجلين احدهما قصير والآخر طويل او احدهما اسود والاخر ابيض فيقول هذا القصير ابن هذا الطويل وهذا الاسود ابن هذا الابيض الا في العرب اه وفي العقد الفريد ايضا عن ابي العيناء الهاشمي ما نصه باختصار : ان ابن المقفع

اجتمع بثلة من اشراف العرب فسالهم اي الامم اعقل فبعد ترديدهم الجواب بما لم يصيبوا به شاكلة الصواب قال لهم : اعقل الامم العرب فضحكوا فقال ابن المقفع : أما أني ما اردت موافقتكم ولكن اذ فاتني حظي من النسبة فلا يفوتني حظي من المعرفة ان العرب حكمت على غير مثال مثل لها ولا آثار اثرت اصحاب ابل وغنم وسكان شعر وادم يجود احدهم بقوته . ويتفضل بمجهوده ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة . ويفعله فيصير حجة . ويحسن ما شاء فيحسن . ويقبح ما شاء فيقبح . ادبتهم انفسهم . ورفعتهم هممهم واعلتهم قلوبهم والسنتهم . فلم يزالوا كذلك حتى رفع الله لهم الفخر . وبلغ بهم اشرف الذكر . وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر . وافتتح بهم دينه وخلافته الى الحشر . فمن وضع حقهم خسر . ومن انكر فضلهم خصم . ودفع الحق باللسان اكتب للجنان اه

ويذكرني ما قاله ابن المقفع بمفاخرة النعمان بن المنذر امام كسرى بمحضر وفود الامم قال النعمان ما خلاصته : اما الامم فأي امة تقرنها بالعرب الا فضلتها العرب قال كسرى : بماذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكم السنتها وشدة عقولها وانفتها ووفائها ثم افاض النعمان في اقامة البرهان على كل واحدة من هذه الخصال التي تحلت بها العرب ولما انتهى من مفاخرته عجب كسرى لما اجابه النعمان به وقال : انك اهل لموضعك من الرئاسة في اهل اقليمك ولما هو افضل ثم كساهم من كسوته اه

العرب بعد ظهور الاسلام

لا نريد ان نطيل ذيل الكلام بالاكثار من اقامة البراهين التاريخية على فضل العرب في عصور الاسلام فذلك مما اقر به المنصفون ولا ينكره الا جاهل او مأفون .

وليس يصح في الاذهان شيء ... متى احتاج النهار الى دليل

وكتب التاريخ الاسلامية قد تكفلت بهذا الغرض وادت منه الواجب المفترض بل قد اشاد بفضل العرب الاسلاميين من الاجانب من تحلى بحلية الانصاف ولم يركب متن التعصب والاعتساف ولو أردنا التوسع بجلب شواهد ذلك لضاق بنا المجال ولكل مقام مقال . لكنا نلمح الى بعض ذلك موجزا فنقول بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وامم العالم اذ ذاك في غيهم يعمهون وفي اودية ضلالهم يتيهون ما قدروا الله حق قدره ولا انصفوا خلقه فكان القوي يأكل الضعيف والمشروف يستعبده الشريف حالهم اسوء حال ومآلها الخزي والنكال . فكان عليه الصلاة والسلام منقذهم من هوة الهلاك بدينه القويم الهادي الى الصراط المستقيم هداهم الى الايمان بالله الخالص من الشوائب وسوى بينهم في الحقوق وامنهم المعاطب . ثم انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى

الاسلام منقذ البشريــة

ومركبها الى شاطيء النجاة

بقلم الحقوقي البارع الاستاذ المهدي بن الناصر المحامي بتونس

تمهيـد

مبحث صعب المسالك ، ملتوي المنحدرات ، خطر المزالــق ، متشعب المناهج شائك الوهــاد وناتي الشعاب ، غاباته مــأسودة واكــامه مفهودة ، ما جرأني على طرق بــابه واقتحام صعابه وولوج افنيته وتخطــي عرصــاته وانا الاعزل من سلاح الوقــاية الا ما يماؤني املا وطيدا من نجدة رجال النهضة الزيتونية اذا ما اخذت في اطرافه بالخناق وفي مقدمتهم قــواد عرمرمها الجحفل حاملو الويتها الخفاقة المعقــودة بنواصيها بواتر الهمم الشماء وباعاليها العزائم الفولاذيه من شيوخي الاعلام واخــواني النبغاء (عمد المجلة الزيتونية الفيحــاء) نواة النهوض الافريقي الاسلامي العاملة على تبيان اصوله ونشر مباديه السامية في القــارات العالميه ، رسالة التبشير الزيتــوني الى اطراف المعمــور ، اشرقت شمسهــا الوضاءة بعد ان ركد المعهد عهودا ونام آمادا ، تنير الغياهب وتعمل لاعلاء الكلمة ،

قرير العين باتمام نور الاسلام ودخول الناس في حظيرته افواجا . فقام باعباء نصرة هذا الدين ومهمة نشره بين مختلف الامم من عرب وعجم خلفه من اصحابه رضوان الله عنهم وهم كما علمت عرب خلص فجابوا البلاد فاتحين هادين للامم مرشدين وكفى بذلك فضلا

قال الوالد نعمه الله في تاريخه حسن البيان ما نصه : ان العرب دخلوا البــلاد التي فتحوها بالقرآن في الحقائب وجاءوا معهم بالعدل والحرية جاءوا بالمدنية الحقيقية جاءوا بالعلوم والمعارف فهم وان حملوا معهم القرآن يستضيئون بنوره في المدلهمات لكن لم يكرهوا احدا على الاخذ به بل اوكلوا الامم الى ما اختاروا من النحل وحفظوا عليهم مع ذلك بعد حط اوزار الحرب اموالهم واعراضهم وقاتلوا عدوهم دونهم وحاطوهم بسياج حفظوا به ابناءهم وحرمهم ولم ينقضوا عهدهم بطول الامد ولم يمنعوهم علما ولا حظروا عليهم صناعة ولا فكروا في مضايقتهم في متجر بل اوصلوا اليهم العلوم مهذبة سهلة ومهدوا لهم طرق المعارف والصناعات وسبــل المعايش والتجارات والشــاهد كالشمس في رابعة النهار اهـ

ولنقتصر في بيان فضل العرب على هذا المقدار ففيه مقنع والله الموفق — علي النيفر

فمرحى يا رسالة النور وموقظة الهمم . يا كوكب الاسلام المشرق من كعبة هي كل الآمال ومطمح الانظار . وان كنت في بزوغك اليوم هلالا فستصبحين بفضل عزائم ابطالك الغر الميامين بدرا يتلالأ في افق النهضة كاملا ينير من الارجاء ما ادلهم ويبين من المناهج ما ابهم ومن الاتجاهات ما تبلبل .

فكاني ولسان حال اسرتك ينادي بالصوت عاليا « هلموا يا رجال العلم الي خير عمل . قفوا اعالي المنبر العام وادوا الرسالة . استيقظوا من السبات العميق والنوم الطويل وادوا الامانة » .

عزيز علينا وايم الله ما نحن عليه اشبال الكلية وضراغمها من ضعف الانتاج ووهن العزائم كان قد لجمنا بالجمة الركود السرمدي وختم على افئدتنا بطابع الجمود النحس وغاض منا معين التفكير وبترمنا اليراع . عقوقاً واشئم به من عقوق للمعهد ثالث معاهد العالم الاسلامي الكبرى وازراء وابشع به من ازراء لقيمته امام الغرب والشرق أيخفت صوته وصوت الازهر عاليا ؟ ويتضاءل نوره ونور الازهر لألاء ؟ وينكس علمه ولواء الازهر مرفوع ؟ أيطمس نور الاسلام الابهر بديارنا ونحن عصبة تتغذى من مباديه السامية من نعومة الاظفار الى الكهولة الشامخة والشيخوخة الرصينة بين تلك العرصات الشيقة نقضي على انوار الشمس وأشعة الكهرباء السنين الطوال ثم ما نتخرج منها الا مدفوعين من انفسنا الى زوايا الخمود عوض ان نشق لانفسنا طريقا وضاء في عالم الحياة الزاخرة بانوار العلم نتخذ منها لعليائنا مستوى كان ما نتلقاه من علوم الدين عبادات وتوحيد ومبادي اجتماعية واخلاق سامية وتعاليم عالية مستمدة الروح من آي الفرقان الحكيم والسنن السنية والحديث الشريف . ومن معاملات وحالة شخصية يقف حيال اصولها والفروع ما انتجه الفكر البشري من الاوضاع التشريعية خانعا ومتسربلا بالوهن وتتضاءل دون مبناه الازلي الثابت ما تتمخض عنه يوميا تبديلا وتغييرا افكار فطاحلة التشريع العصري . كان ذلك وما ذلك بالامر الهين . مبادي عديمة القيمة والصلوحية لهذا العصر الملقب بعصر النور . كانها مباد لا تتفق وعصر المادة النير المحلق بمنطاده في دوائر الكواكب السيارة والخارق كالسهم بغواصاته ظلمات المحيط . كانها تعاليم جدير بصوتها ان يخفت ويختنق بدائرة تلك العرصات الضيقة لا ان تصدم تموجاتها الجبارة في سمو واعجاز وحكمة بالغة صفحة المذياع العالمي . تالله ان هذا وذا وذاك الاوهم متغلغل في معاني البطلان

فهذا العصر على ما هو عليه من التقدم المادي قد غشيه من يم المادة ما غشيه فذهب منه باللب الخلقي العام والخاص « اخلاق الفرد واخلاق الجماعة » وترامت به تياراتها الى اماد بعيدة عن الروح الانسانية المحضة فاصبح هيكلا حديديا من غير روح تتقاذفه امواج المادة العتيدة لترمي به الي محيط الانحلال بعد إن اختل منه مركز التوازن الخلقي وانهد من حصانته ذلك السد الذي جعلته السنن الالاهية حائلا دون طغيان المادة ومعدلا لمفاعيلها الطاغية الا وهو الدين الاقوم .

وقد تراءت هذه النتيجة السيئة والظاهرة النحسة والهاوية الفاغرة فاها لرجال الفلسفة الاخلاقية عند ما اخذتهم رجة انهيار صرح الاخلاق فاعلنوا بالصيحة من كل جانب ومكان

ولو كان سهما واحدا لا تقيته ولكنه سهم وثـان وثالـث

ان معاول المادة الحادة عند ما هدمت الركن الخلقي وقوضت في صرامة أس الاسرة رمت الروابط الاجتماعية او اخلاق الجماعة بنبال سامة من المبادي السياسية المتشاكسة الحدود والمتباينة الاشكال والمتضاربة المنافع والمتناكدة الغايات واتسع نطاقها وتصادمت اهواءها على حساب المجتمع التعس وتسربت سمومها من خلايا مبتكريها الى افكار القادة وتحكمت بقيادة اعنة الساسة ومنهم عم عميمها الى السواد الاعمى فضربت الفوضى الاجتماعية مضاربها ولولا أسنة ونار تحميها وقذائف محرقة تدافع عنها لانفجرت براكينها فحرقت شظاياها العالم المادي الكدر وتبعا للنواميس الطبيعية لابد للبركان ان ينفجر وما انفجاره عنا ببيعد اذ كلما نصبح نسمع له زفيرا وكلما نمسي نحس من رجاته زلزالا .

فالبولشفيكية بنت على اطلال ما نسفته من قصور القياصرة واشراف الاقطاع مذهباً يجعل الملكية العامة نهباً للسواد والحالة الشخصية من غير روابط تربط الفرع بالاصل ويقابلها في ركن التطرف الفاشيسم وندء النازي يجعلان التصرف في الملكية العامة وتسيير دولاب حياة الجموع بيد الفرد المطلق وتقف موقف الاعتدال بينهما الاشتراكية وعن هذه تتفرع فروع تتوافق مبدا وتتخالف مسلكا ومشربا .

فهذه النزعات المتصادمة جوهريا هي المكونة لوحدات شظايا الاتون الاروبي – (قلب العالم المتفرعة منه اليه شرايين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية) – فهو بركان ان تزلزل زلزل ما حوله وان اندك الهبت ذراته ستائر ما ارتبط به – وقى الله العالم من القارعة العظمى – (وما كارثة اسبانيا الا نقطة تصادم مذهبين من هذه المذاهب الدنسة)

فالعالم الغربي بانغماسه في حمأة المادة واتخاذه عجل الذهب معبودا قد امات منه هذا الاتجاه الكلي الناحية الخلقية العامة والخاصة وبما ان الاخلاق السامية في الامم تحتل مكان الروح من الجسد فاذا ما تخدرت الروح وانحلت اصبح الجسم يعمل عمل المجانين ومن اقرب ما يصدر من المجنون بعدان يهدم ما حوله ان يلوي على اوصاله فيقطعها ثم ينتحر

فهذا العالم الذي بهرتنا منه انوار المادة بعد ان تدهورنا من ناحيتها واخلدنا الى السكون وقعدت بنا الهمم عن مجاراتــه ونحن في حمايــة العروة الوثقى « الاسلام » ووقاية تعاليم الشريعة السمحة (المحمدية) بحيث كنا لا نخشي من مفاعليها تاثيرا ما بل كنا نذللها ونكسر منها الشوكة فنبلغ منها الى

الأخلاق

ومبلغ عناية الشارع بها

ان امر الاخلاق في بناء صرح مجد الامم عجيب اذ عليها مدار عظمة الامة او حقارتها وبها وحدها يقاس شانها بين الامم .

اخلاق الامة نبراس كمالها ومعدن حيويتها وعلى الاخلاق تدور رحاها ولله در شاعر الكنانة في قوله :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وعلى هذا الاساس المتين والركن الركين بنى سيدنا الاعظم ورسولنا الاكرم ما جاء به من حكمة وتشريع كما يرشد اليه قوله (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)

ولا جرم فان من نظر نظرة جامعة في اصول الشريعة وفروعها وجدها تدور حول هذا المحور فهو قطب دائرتها وسر عظمتها الذي به دوامها وكونها الشريعة التي لا يعتريها نسخ ولا

اوج الكمال وقد سبق ان بلغته منها اسلافنا في عصمة بالدين القويم منها وأنارت به العالم النير منها اليوم عند ما كان يسبح في خضم ديجور الجهالة لكننا رسبنا ونحمد الله ان كان معنا الدين وان ضئيلا وتقدم هو في ميدان المادة لكن بدون حصانة دينية (كالاسلام عقيدة ودستورا) لذا طحنته فرزح تحت كلكلها مصعوقا ومجروفا الى هاوية لا يدري لها قرارا

فهذه الظاهرة المردية دفعت باركان حرب التفكير الغربي الى التعمق في الدرس والفحص والتحليل بمعامل الفلسفة الاجتماعية لاختراع ادوية ناجعة لتلقيح العناصر الغربية من مصلات اخلاق سامية لحصانتها من وباء تدهور الاخلاق وليد بؤر المادة الموبوءة ودفعت برؤساء الامم وكبار الناشئة الى تاسيس جمعية اممية يكون لها القول الفصل فيما تتصادم فيه منافعها فكانت جمعية جنيف وكانت هيكلا بدون روح لفقدان الرابطة العامة بين افرادها تلك الرابطة الروحية الا وهي الدين الاقوم .

(يتبع) محمد المهدي بن الناصر

تبديل ولو اردنا في هذه العجالة سرد ما جاء في الشريعة من نصوص تدل على اعتبار هذا الاصل الاصيل لضاق بنا نطاق هذا الجزء دون استيفائها ولنكتف هنا بالآية الجامعة لاصول مكارم الشيم وذروة سنامها فان فيها وحدها ما فيه لاولى الالباب عبرة وذكرى وما يعقلها الا العالمون قال تعالى

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » فان من وقف عند حدود هذه الآية وارتاضت نفسه بفهم معانيها علم لا محالة مقدار ارتباط الاخلاق بلب التشريع الاسلامي حتى ارجعت هذه الآية ما يامر به الشارع الى اصول الخير الثلاثة العدل والاحسان وايتاء ذي القربى وما ينهي عنه الى اصول الشر الفواحش والبغي والمنكر ولا شك ان الاوامر والنواهي ترجع اليهما جميع فصول الشريعة الاسلامية وتنتهي اليهما احكام الملة المحمدية ، لقد نوهت شريعتنا السمحة بامر الخلق الحسن ووضعته بالمكان اللائق به من عنايتها لذا ترى في نصوص الشريعة ما يفيد ان تكوين الاخلاق الطاهرة وبث التربية الصحيحة بين افراد الامة الاسلامية هو الهدف الذي ترمى اليه يظهر ذلك جليا بتتبع موارد الشريعة واستقصاء ابوابها سواء في ذلك ماكان متعلقا بالعقائد أوكان متعلقا بالعبادات اوكان متعلقا بانواع المعاملات ماكان من ذلك راجعا لنظام الفرد او لنظام الاسرة او لنظام المجتمع الاسلامي التي حرصت على تنظيم علاقاته على اساس الفضيلة والكمال. وسنتولى ان شاء الله درس ذلك وتتبع علاقات فصول الشريعة بالاخلاق وكونها الاساس الذي انبنى عليه التشريع والروح المرادة منه. ففي باب العقائد دعت الى عقيدة ثابتة تتحرر معها العقول من قيود التقليد الاعمى وتتخلص بها النفس الانسانية من اثقال دعت اليها عادات قديمة سيئة او اغراض انتفاعية يتحمل المجموع شرها لنفع فرد او قبيلة . دعت الكل للتخلص من داء الوساطة المعنوية واعتبار الشخص نفسه احقر من ان يواجه ربه ومولاه . بشخصه ومعناه. فهو لا يعبأ به ولا يسمع نداءه ما لم يتوجه اليه بمقرب اليه او وجيه عنده فنشأت عن ذلك بتطاول الازمان عقيدة الشرك والوثنية وانحطت بسببها امم الى دركات الجهل والهوان حتى كادت تلحق باحقر انواع الحيوان والحال ان الله قد فضل هذا النوع من المخلوقات بالعقل الذي به تحمل من الامانة ما عجز عن تحمله الارض والسموات . فجعلت العبد اهلا بذاته الى ان يتقدم الى ربه يسأل حاجاته ولا يحتاج الى من يقربه اليه زلفى وانما جعلت لذلك شرطا وهو الاخلاص في التوجه وتطهير النفس من ادران الشرك وملاحظة المنافع الشخصية قال تعالى « ادعوني استجب لكم » وقال (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وجعلت قضاء الاشياء وتدبيرها بيده وحده ليس له عليه معين او وزير بيده الامر وهو على كل شيء قدير وانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . فقررت بذلك اصلا من اصول الاستقلال الفردي والاعتماد على النفس وفي ذلك تقرير لخلق العزة وما

ادراك ما العزة. العزة هي الشعور بالاستغناء عن الخلق وان ليس لأحد حق التعاظم عليك واستصغارك لانك في حاجة اليه وقد وصف الله تعالى نفسه ووصف رسوله وعباده المؤمنين بهـذا الوصف العظيم تنويها بشأنه وتذكيرا لعباده قال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) وقد كان هذا حال المؤمنين الاولين وبه نشروا علم الاسلام خفاقا على اقطار المعمور وبانعدام هذا الوصف منهم صغروا وضعف شأنهم بين الامم وصاروا عبيدا اذلاء بعد ان كانوا ملوكا اعزاء . كما نشأت عن هذه العقيدة الخالدة معنى استواء الخلق امام عظمة الخالق وان ليس لاحد على آخر حـق الافضلية بغير التقوى والعمل النافع المفيد وان الجميع امام الحق سواء ومن اكبر مظاهر هذا الاستواء المسلمون وهم في المسجد يؤدون فريضة الصلاة او في مكة يحجون البيت الحرام . افتجد فيهم فاضلا ومفضولا ولا غرو فقد جعل الله المؤمنين اخوة لا تفاوت بينهم الا بقدر ما يتفاضلون به من الحق فلقد قال عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع : ايها الناس انما المؤمنون اخوة ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ان اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى : وقد روي عن ابن عباس ان احد الموالي خطب الى جماعة من بني بياضة . واشار عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بتزويجه فقالوا له : يا رسول الله انزوج بناتنا موالينا فنزل قوله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)

فتقرر بذلك مبدأ المساواة العامـة وبطلت الحواجز العنصرية والفوارق الارسقراطية والاعتبارات الطائفية من كل ما من شأنه تفكيك اجزاء الامة الواحدة وجعلها امما صغيرة تعمل كل واحـدة منها فناء امتها الكبيرة وفي فناء هذه قضاء على الجميع لو كانوا يعقلون والتاريخ شاهد عدل على ما ذكرنا .
وقد جرى سلفنا على هذا المبدأ الرشيد الذي ملكوا به امرة العالم مدة قرون وفي سيرة امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في رعيته ما فيه لاولى الالبـاب عبرة وذكرى فكان اذا امر بشيء او نهى عنه بدأ ذلك باهله فجمعهم وقال لهم : اني نهيت عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير واقسم بالله لا اجد احدا منكم فعله الا ضاعفت عليه العقوبة قال الطبري ج ٥ ص ٢١ (وهو يقصد بذلك ان الناس اذا رأت من اهل الامير وحاشيته تهاونا في امر اقتدوا بهم وامعنوا في الاستهتار به) وكان رضي الله عنه يفتح صدره لاي شكاية في احد عماله ويعلن ذلك لعامـة المسلمين في خطبه . روى الطبري ج ٥ ص ٢٠ انه خطب الناس يوما فقال : ايهـا النـاس اني والله ما ارسل اليكم عمالا ليضربوا ابشاركم (جلودكم) ولا لياخذوا اعشاركم (اموالكم) ولكن ارسلهم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الي فـالذي نفس عمر بيده لاقصنه منه) فوثب عمرو بن العاص اذ ذاك بعد هذا التصريح الخطير الذي اعلنه عمر على عامة الشعب وجمهوره . وقال : ارأيتك

يا أمير المؤمنين ان كان رجل من امراء المسلمين على رعية فادب بعض رعيته انك لتقصه ، قال عمر : اي والذي نفس عمر بيده اذا لاقصنه وكيف لا اقصه منه وقد رايت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ثم بين لعمرو ما يخشاه على الرعية من عنف الامراء وظلم الولاة فقال : الا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم (اي لا تتركوا الجنود في مواقفهم ازاء العدو امدا طويلا) فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم. ولن يغيب عن القارىء الكريم ما فعله عمر بولد عمرو بن العاص وجبلة بن الايهم حين حكم بالقصاص من كل واحد منهما لواحد من السوقة . وكذا في قول ابي بكر وهو على منبر الخلافة في خطبته القصيرة الجامعة التي اعلن فيها سياسته التي عول على انتهاجها (ايها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني الصدق امانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ان شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قـوم قط الاعمهم الله بالبلاء اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله »

كما ان في سيرة المشرع الاعظم صلى الله عليه وسلم الذي هو القدوة العظمى والمثـل الاعلى للكمال الانساني ما يبعث الدهشة ويحيي في النفوس معنى الانتباه واليقظة للاخذ بهذا المبدإ الانساني العظيم فقد بعث عليه السلام في قوم تأصل في نفوسهم مبدأ التفاخر بالانساب والاعتماد على فضل الآباء والاجداد مع اعتبار العصبية القبلية والدعوة بها للنصرة الحزبية فابطل عليه السلام ذلك وشدد النكير على من دعا بدعوى الجاهلية قال عليه السلام :

اذا رايتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا اخرجه السيوطي في الجامع الصغير عن الامام احمد وكذا في سنن النساءي فتوحدت بذلك صفوف الامة العربية وتهيأت لما اعدها له المصلح الاكبر من زعامة الامم ودعوتها للدخول في بودقة الاسلام الخالدة ولم يتم ذلك الا بازالة الفوارق الجنسية واعتبار كل من يدخل في الدين عضوا من الامة له حقوقه وعليه واجباته في الجامعة الاسلامية والكل امام الحق والواجب سواء وان شئت ان تلمس بيدك هذه الحقيقة العـالية في نصوص الشريعة الغراء فدونك قوله عليه السـلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم » وليس ادل على تكوين وحدة الامة وقوتها بالاجتماع والتكاتف والبعد عن اسباب الشقاق والتنافر من قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » وقوله عليه السلام: المسلم للمسلم كالبنيان يشد

بعضه بعضا وقوله: المسلمون كاعضاء الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى فانظر يا رعاك الله الى هذه الاسس الثابتة والاركان القائمة التي شيدها المشرع الاعظم لبناء دولة الامة الاسلامية على امتن الدعائم وارفع القوائم بما يضمن لها الدوام والانتشار ويرفعها لدست الزعامة وما هو مبلغ عنايتنا بها وتمسكنا بروحها وقايس بين المسلمين اليوم وما كان عليه سلفنا وكيف استقاموا وانحر فناوجروا في الطريق الذي عبده لهم رسولهم ونحن تنكبنا فبلغوا ما املوا وتزعموا حتى دانت لهم رقاب الجبابرة وخضعت اما عزتهم رؤوس الاكاسرة وبلغ من امرهم ان صاروا هداة معلمين ورؤساء مدبرين . ملكوا من اقطار الارض ما تقاصرت عن البلوغ اليه اكبر دولة اروبية اليوم وذلك مصداق قوله تعالى « وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا الآية) ونحن فرطناواضعناوبعدنا عن الوقوف مع مايراد منا فاهملنا التمسك بروح شريعتنا الطاهرة والزمنا انفسنا بتتبع القشور والظواهر وحسبنا ان ذلك هو المقصد الاسمى وغاية معاني التقوى . ولا احسبني مبالغا في شيء مما ذكرت وحال المسلمين في سائر اقطار الارض على ما شاهدت وليعذرني القارىء الكريم فيما طوح به القلم فان حالتنا الاسيفة مدعاة لبث الشكوى وابداء ما تتحمله النفس من حر الالم وفي الاعداد المقبلة نعود لتتميم ما شرعنا فيه من بحث الاخلاق ومبلغ ارتباطها بابواب التشريع الاسلامي ان شاء الله

محمد الهادي ابن القاضي

من المجلة الى قرائها

بهذا العدد قد تم للمجلة الزيتونية اربعة اشهر ٠ عملت في اثنائها هيئة المجلة ما راته صالحا بمشروعها موافقا لمشربها الذي اسست من اجله ولكن المجلة لا تريد ان تكون بمعزل عن قرائها بل ترغب رغبة اكيدة في الاطلاع على افكارهم نحوها ٠ والاستمداد ببعض ارشادات تظهر لهم مما قد تكون المجلة غفلت عنه

لذلك فهي ترغب من عموم قرائها ان يلاحظوا لها ما يعن لهم من الآراء المفيدة حتى تسعى جهدها لتحقيق مطالبهم واجابة مقترحاتهم هذا وقد اقترح علينا بعض القراء من اهل العلم والفضل ان ننشر بعض خطب جمعية من الخطب التي يهم نشرها بين عموم الناس ٠ ونحن تنفيذا لهذا الاقتراح سننشر ذلك مهما سنحت الفرصة واتسع النطاق ٠

التاريخ

صحيفة من تاريخ تونس

كرسي الملك الحسيني

كيف كانت نشاته – وتطوراته حول العصور

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد ابن الخوجه
المستشار لـدى الحكومة التونسيـة

اعلم ان كرسي الملك ويطلق عليه لفظ تخت واريكة وسرير وغير ذلك سنة قديمة من سنن الملوك قبل الاسلام ناهيك ان سليمان صلوات الله عليه كان له كرسي من عاج مغشى بالذهب يجلس عليه وكان عمرو بن العاص يجلس بقصره مع العرب وياتيه المقوقس عظيم القبط ومعه سرير من ذهب محمول على الايدي لجلوسه شان الملوك فيجلس عليه وهو امامه قال ولي الدين ابن خلدون ولا يغيرون عليه في ذلك وفاء له بما عقد معهم من الذمة واول من اتخذ اريكة في الاسلام معاوية بن ابي سفيان واقتدى به الخلفاء والملوك والسلاطين من بعده وعلى قياسهم كان عمل ملوك تونس ومنهم بنو الاغلب وبنو حفص الا انهم كانوا اقرب الى البساطة منها الى الفخامة والظهور فقد كان الامراء من بني الاغلب يجلسون على مصطبة موقعها فوق صهاريج اختزان الارزاق من حنطة وشعير وغير ذلك ومنه جاء لفظ المخزن في الاصطلاح الدولي بتونس وكان بنو حفص يجلسون على البسط واتخذ بعضهم لنفسه تاجا كان يظهر به بين الناس وهو راكب بغلا هكذا حكاه في المونس وقد اثبت التاريخ انه كان للسلطان محمد بن الحسن في ءاخر دولتهم كرسي خاص بجلوسه للحكم بالقصبة شاركه في الجلوس عليه الحاكم الاسباني فكان هذا يجلس يوما والسلطان يوما وابتدأ ظهور فخامة الملك بابهته الشرقية في عهد الدولة التركية فقد كان لديهم في جملة الانظمة التي سنوها بتونس بعد الفتح العثماني في سنة ٩٨١ كرسي خاص بجلوس الباشا بقصر باردو وءاخر لجلوس ءاغة القصبة بل كانت لديهم في الجملة سبعة كراسي اشتهرت بهامدينة تونس بين العامة في قولهم « بلاد السبعة كراسي » منها كرسي الداي بديوان دار الشريعة المطهرة وهذا الكرسي امسى شاغرا من عهد وفاة كشك محمد آخر دايات تونس لقبه المشير احمد باي الاول بوزير التنفيذ لتجريده عن الصبغة الملكية التي كانت بخطة الداي متلبسة والكراسي

المذكورة هي كرسي الباي وكرسي الداي وكرسي الباشا وكرسي آغة الكرسي وكرسي آغـة القصبة وكرسي كاهيةدار الباشا وكرسي اغة وجق الحوانب هكذا ذكرها بعض المعمرين من شيوخ الجيل الفائت

وقد اتفق لهم تربع بعضهم على جملة تلك الكراسي في وقت واحد كالامير ابراهيم الشريف قتيل غار الملح فانه كان باشا باي داي ترى ذلك عيانا بالوقوف على عبارة منـقوشة فوق سبيل له يعرف بعين بيطار على مقربة من مدينة بنزرت ونصها: (الحمد لله امر السيد الامير الباشا الداي الباي ابراهيم الشريف باحياء هذه العين واجرائها احتسابا لله تعلى سنة خمس عشرة ومائة والف اه اما ءال البيت الحسيني خلد الله بقاءهم فاول من اتخذ منهم كرسيـا فخماً لجلوسه بـاردو هو الباشا علي بن محمد الاول المتوفى سنة ١١٦٩ قال الوزير الشيـخ احمد بن ابي الضياف من آثار هذا الباشا محكمة باردو وقد تانق في بنائها وجعل فيها كرسيا كسرويا يشعر بالعظمة فلما خلفه في الملك ابن عمه محمد الرشيد باي(١) ازاله بدعوى انه من شعار الكبر واقام مكانه بمحكمة باردو كرسيا بسيطا من عـود الجوز وصنع البلاد وجلس عليه مدة حياته ثم اخوه من بعده واعقابهما حتى الباي العاشر وفي ايام الباي علي الثاني بن حسين بن علي لفظ البحر حوتا عظيما من السمك المسمى حوت العنبر بشاطي عـوينة الساحلين من عمل الساحل فاخذوا سنه وحملوه للباي فصنع منه كرسيا ملكيا لجلوسه وما زال هـذا الكرسي قائم الذات حتى الآن بسراية المرسى القديمة واما كرسي محمد الرشيد باي المصنوع من عود الجوز فان احمد باي الاول لما احدث البيت الكبير العلوي بسراية باردو ووافق ذلك تمييزه برتبة المشير من لدن الباب العالي في سنة ١٢٥٦ اتخذ لنفسه كرسيا اميريا لجلوسه وزهـد في كرسي عود الجوز المشار اليه ولم يدر كيف كان مصيره والغالب على الظن انه نفسه الكرسي الذي كان يجلس عليه الداي بديوان دار الشريعة المطهرة ولم ينقل التاريخ حصول تبديل بكرسي الملك الحسيني في عهد المشير الثاني محمد باي وكانت مدة ملكه قصيرة موسومة بالخصب في الزرع والضرع فلما ءالت نوبة الملك لاخيه المشير الثالث محمد الصادق باي جدد عمارة السرايات الملكية باجمعها فجعل كرسي بيت القبول الاكبر بباردو بشكل نصف دائرة منمق بالنقش والتذهيب ومغشى بالديباج يعرج له بدرج مغطاة بالموبر وحوله ستور حريرية ورسم براس الكرسي الطغراء الحسينية التي هي شعار النسب الملـوكي موشحة بسلوك الذهب والفضة وجعل تحتها بالطرز العالي صورة نيـشان آل البيت الحسيني وفـوقها شعاره الملوكي الذاتي وهو عبارة عن طغراء اخرى شكلها بيضي تحفها غصون من شجر الزيتون وسنابل الحنطة كما في سكة الذهب والفضة كتب بقلبها (الله ـ محمد) وبطوقها (ما شاء الله كان وما لم

(١) واليه تنسب الجمعية الرشيدية التي شنفت نغماتها اسماع مدينة تونس في عهدنا الحاضر

يشأ لم يكن) مذيلة بتاريخ سنة ١٢٧٧ التي وقع فيها انجاز هذا النظام الجديد الذي تم ايجاده بعد رجوع الباي من سفره للسلام على الامبراطور نابليون الثالث بعاصمة الجزائر وهو الذي اشار له شاعر تونس لعهده المفتي الشيخ محمود قابادو بقصيدته التي مطلعها :

ربيع مع جبينك قد اطلا ❁ على افق الجزائر فاستهلا

واما كرسي بيت البلور فانه وهذا البيت من محدثات الباشا محمود باي فقد كان يذيب سكة الذهب البندقي لتمويه سقوفه مما لم يزل اثره جليا لهذا اليوم رغم مرور قرن ونيف عليه نعم ان المشير محمد الصادق باي جدده بشكله الحاضر مع بقية كراسي الملك الموجودة بكل السرايات الملكية في سنة ١٢٧٧ واتخذ لنفسه لقب صاحب المملكة التونسية وكان المشير احمد باي يلقب نفسه بامير الايالة التونسية واسلافه يمضون مناشيرهم بلفظ باشا باي فحسب وعثر البحاثة هوكون على مكتوب لوالد هذا المشير مذيل بخط يده بقوله « مصطفى باي مير ميران تونس دار الجهاد » واعلم ان بيت البلور هذا هو الذي يقع به تنصيب سمو الباي يوم أيلولة الملك اليه في عصر الحماية وكان انتصابه عند الولاية في الدور القديم يقع ببيت الباشا عدا المشير محمد الصادق باي فان موكب جلوسه على العرش الحسيني اقيم بالبيت العلوي الكبير وفي اثنائه حلف اليمين القانونية بالامتثال لعهد الامان وبيت الباشا كان الامراء الحسينيون يرأسون المجلس الشرعي لفصل النوازل تحت انظارهم يوم الاحد من كل اسبوع ولم يكن هذا المجلس صوريا بل كانت تقع فيه المباحثات الفقهية بالاخذ والرد والباي يصغي لذلك بكمال الاهتمام ومن هذا القبيل نازلة الشيخ البحري قاضي تونس مع استاذه الشيخ ابراهيم الرياحي قدس سره وكرسي بيت الباشا جدده ايضا الباي محمد الصادق وبهذا البيت كانت خزانة الكتب المعتبرة التي احدثها الباشا علي بن محمد بمسجده اما كرسي سراية المملكة بالحاضرة فهو من محدثات المشير محمد الصادق باي احدثه في سنة ١٠٧٧ عند تاثيثه لبيت المجلس الاكبر وكانت كراسي اعضاء هذا المجلس موشى عليها بارقام عديدة مرسومة بالعاج وقد تلاشت كلها او جلها ورايت منها في هذه السنوات بقية ببيت مدير اشغال البلد بالمجاس البلدي بتونس فنبهته وان لها قيمة تاريخية توجب عليه الاحتفاظ بها فابتسم وقال نعم . هذا وقد كانت كراسي اخرى لديار الملك التي عفت رسومها ككرسي سراية المرناقية في عهد الباي حسين بن محمود باي وكرسي سراية المحمدية في عهد المشير احمد باي وكرسي سراية حلق الوادي في دولة المشيرين الثلاث وكلها تناولتها يد التلاشي والضياع واما كرسي بيت البحر بحلق الوادي فقد التهمته النار في جملة الاثاث والرياش التي دمرها الحريق في سنة ١٣٠٠ ثم اعلم ان الكرسي الحسيني الرفيع العماد لم يبت منذ تاسيسه ليلة واحدة بحال شغور وقد اتفق انه عند وفاة المقدس المولى علي باي الثالث في خامس ربيع الانور ١٣٢٠ اشار بعض اهل النظر بتاخير موكب

تنصيب الباي الجديد لليوم التالي ريثما تقوم الدولة بترتيب حفلة التقليد وتنظيم اساليبها فلم يوافق الشيخ محمد العزيز بو عتور الوزير الاكبر لعهده على ذلك قائلا « ان كرسيهم لم يبت ليلة شاغراً منذ تاسيسه » وتمت عقدة بيعة المولى محمد الهادي باي في نفس اليوم الذي ختمت فيه انفاس والده المبرور وعلى ذلك القياس جرى العمل عند ايلولة كرسي الملك للمولى محمد الناصر باي ولابن عمه المولى محمد الحبيب باي ولحضرة صاحب السمو الملكي ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني بلغه الله الاماني ببركة السبع المثاني وهذه القاعدة الصحيحة لها اعتبار عظيم في الانظمة الحسينية تشهد بذلك حادثة وفاة المرحوم الباي حمودة باشا عند غروب موفى رمضان سنة ١٢٢٩ وولاية اخيه عثمان باي ليلة عيد الفطر فلما اصبح الصباح بايعوه البيعة العامة وهنوه بالعيد وبالولاية في ءان واحد

ونختم هذه النبذة المباركة بالتعريف بلفظ باردو الذي تكرر ورود ذكره فيها فان كلمة (باردو) محرفة عن لفظ (برادو) في اللغة الاسبانية ومعناه مرج والمرج في كتب اللغة هو الارض الفسيحة ذات النبات الكثير ويجمع على مروج ومنه كتاب مروج الذهب للمسعودي يؤيد هذا الفهم ان باردو وهو من محدثات بني حفص كان عبارة عن حدائق ورياضات متصلة بعضها تتخللها البساتين والمساكن الحفصية واتفق ظهوره واشتهاره بهذا الاسم ايام قدوم اهل الجالية الاولى الاندلسية حوالي المائة الثامنة وفي الخلاصة النقية ان السلطان محمد المنتصر الحفصي ادركه اجله بسانيته بباردو في سنة ٨٣٩ وفي عهد الاتراك سكنه امراء الدولة المرادية قال في المؤنس وفي سنة ١٠٩٢ كان الختان في برج باردو لحفيد الباي (المرادي) وكانت تلك الايام تعد من الاعمار اه ولما آل امر الايالة التونسية لحكم البيت الحسيني اتخذوا منازل لهم بباردو ووسعوا في ابراجه والمسجد الجامع الموجود به من حسنات المولى حسين ابن علي طاب ثراه والمحكمة التي بقصر الملك من محدثات حفيده الباشا علي بن محمد كما سبقت الاشارة لذلك وممن زاد في فخامته وعمارته المشير احمد باي وبه اسس المشير الثاني محمد باي دار الحريم التي تحاكي في جمالها حمراء غرناطة وفيها انتصب المتحف العلوي سنة ١٣٠٥ وزيد في عمارته اثناء الدولة الصادقية من ذلك صرح على بابه اقيمت به منجانة زمنية على شكل منجانة بطحاء القصبة بتونس مسحتها يد الايام مع السوق الذي كان به والدور والدكاكين الكثيرة التي اقيم مقامها الحديقة الجميلة الموجودة هنالك لعهدنا الحاضر والخلاصة ان باردو كان عبارة عن بلد جامع بأهله نحو الثلاثة آلاف نفس به دار الامارة ودواوين الوزارة التونسية باجمعها وكان انتقالها لسراية المملكة بالحاضرة في منتصف ربيع الآخر سنة ١٣٠٠ وكان به قاض على المذهب المالكي وآخر من تولى هذه الخطة المفتي الشيخ عمر بن الشيخ المتوفى سنة ١٣٢٩ وكان لشيوخ البيت البارودي قدم السبق بين الفقهاء في ملازمة الامراء الحسينيين بباردو وهم اول من صاهروهم من بيوت العلم وشاركوهم بالانظار الفقهية اثناء الاجتماعات الشرعية الاسبوعية للنظر بحضرة الباي في مهمات النوازل والشئون وسبحان من امره بين الكاف والنون

محمد بن الخوجة

الأدب

مظاهر العيد عندنا

اقبل العيد والمواسم عود ... وعسى ان يكون بالعود احمد
فنرى شرد المنى طائعات ... ونرى جانب النهوض مؤيد
كلنا يرغب الحياة ولكن ... كان شمل الجهود منا مبدد
قدر الله في الخليقة جار ... ذا حليف الهنا وذاك منكد
امة تبتغي مع الخلف فوزا ... بمجال به الردى يتردد
امة حظها الحضيض واخرى ... نصبت فوق هامة النجم مقعد



ارجع الطرف للامور التي تجـ ... ـري جواليك ايها العيد واشهد
تلف منها مهازلا تؤلم النفـ ... ـس وتقذي طرف العلاء المسهد
معشر يرصد الهلال فان لا ... ح شدا بابنة الدنان وعربد
مستخفا بدينه مستحلا ... حرما رعيها عليه تأكد
باذلا رشده بحانة خما ... ربها مظهر الشقاء مجدد
بين زق وطاسة وقيان ... وشراك من البغاء ممدد
فاذا ما تقلصت شفتاه ... وتثنى قوامه وتأود
وهمت مقلتاه بالدمع سكرا ... وترامى على الثرى وتمدد
وغدا كيسه خليا واضحى ... عرضه مظلم الصحيفة اسود
طرحته اليد التي اسكرته ... بمهاوي النعال طرح المشرد



وفريق يرميه من لعب الميسر سهم من الخسار مسدد
كلما جمعت يداه نضارا اتلف المسير النضار وبدد
فترى عيشه وعيش ذويه مجتلى البؤس بالفناء مهدد
يلسع الجوع زوجه وبنيه وهو لاه يهيم في شر مقصد
ان شكاه البنون جوعا وعريا ابرق الفظ بالسباب وارعد

❀ ❀ ❀

وفريق يختال في الخز والديباج من رحمة الفقير مجرد
يبذل المال في لباس رفيع وطعام على الرفوف منضد
واذا ما دعاه للبر داع قال دعني فان عيشي منكد
لست قارون ذا الكنوز لاعطي انما المال بالعطية ينفد
لمتى الشح ! والزكاة نماء وثواب ونعمة تتجدد
ان في المال والنفوس حقوقا ولحق الفقير بالرعي اوكد
ذلكم مظهر المواسم فينا وعسى ان تكون بالعود احمد

الطاهر القصار

المكتبات

عناية الامم الحية بها وتفريطنا فيها

بقلم الاديب البحاثة الشيخ محمد بن الشاذلي العنابي
المتوظف بالاوقاف

من بين المظاهر العامة الدالة على سموق الامة ونزوعها نحو الكمال ، وتسنمها معارج الحضارة عنايتها حكومة وشعبا بالمكتبات لأنها الوسيلة الحقة لخدمة الثقافة العامة وترقية المستوى العلمي لافراد الشعب اذ لا يخفى ان اقوى ما تعتمد عليه الثقافة ليس هو المدرسة بل هو المطالعة المنظمة ، ذلك ان غاية ما تقوم به المدرسة هو تلقين المتعلم طرق الفهم والاستنباط وارشاده الى قواعد البحث وكيفية استغلالها وتربية ملكة النقد فيه ، اما توسيع المدارك وكسب المعرفة فسبيله المطالعة المنظمة المسايرة

للقواعد الفنية المقررة لذلك . ومن ثم ادركت الحكومات الراقية مبلغ ما تقدمه المكتبات العامة من ضروب المساعدة على ترقية مدارك الامة بتغذيتها بافانين المعرفة .

وهذه الظاهرة كما نشاهدها اليوم في البلاد المتمدنة كذلك نلمس آثارها فيما تحدثنا به المصادر التاريخية الوثيقة عن ازهر العصور العلمية في الشرق والغرب فما من امة كتب لها السمو في الفن والرقي في العلم الا كان سبب ذلك راجعا الى ما امتاحته على طريق المكتبة من افاويق الحكمة والعرفان فهذا عهد البطالسة بالاسكندرية كان من ابرز مظاهره العلمية المكتبة المشهورة التي اتهم العرب باحراقها عند فتحهم البلاد المصرية(١) وهذا العهد الاموي كان من ابرز شخصياته العلمية خالد بن يزيد الاموي الذي يرجع اليه الفضل الاكبر في وضع الحجر الاساسي للمكتبة الاسلامية بما جمعه من نفائس الكتب(٢) ومثله العهد العباسي الذي ظهرت فيه العناية بالمكتبة على ايدي المنصور والرشيد والمامون عناية بلغت بها الى الغاية ، وكذلك الحال بالاندلس فقد نشطت حركة تنظيم المكتبات باهم عواصمها على عهد عبد الرحمن الناصر والحكم الثاني(٣) والحاجب المنصور ابن ابي عامر والمظفر بن الافطس صاحب بطليموس(٤) ويوسف ابن تاشفين . ومثل هذه العناية التي ظهرت ببلاد الشرق كذلك ظهر مثلها ببلاد الغرب في عصور النهضة كعصر لويس الرابع عشر والكردينال ريشليو وغيرهما من انصار العلم .

وما تلك العناية الا اثر من آثار الاعتزاز بمجهودات الاسلاف وتقدير لنتاج قرائحهم الدائبة التي كانت تعمل لهداية الانسانية الحائرة من الشكوك والاوهام وقد اخذت هذه العناية تتضاعف ببلاد الغرب شيئا فشيئا من عهد ريشليو إلى يوم الناس هذا وظهر ذلك واضحا جليا بما تخصصه لها الحكومات من الاعتمادات الوافرة لتوسيع نطاق اعمالها التي تؤديها المجتمع من تثقيف وتهذيب ولا ادل على نجاحها في تاديتها لرسالة الثقافة العامة من ان الحكومات الراقية وسعت في دائرة اعمالها

(١) فند هذه الخرافة الاستاذ الفراد بتلر في كتابه فتح العرب لمعرض ٣٤٨ وسيديو في خلاصة تاريخ العرب ص ٨١

(٢) هو اول من ترجم الى العربية من اليونانية اه الفهرست لابن النديم ٢٤٢-٢٤٤ - واخبار الحكماء لابن القفطي ٢٨٦ لا المامون كما توهمه البعض نعم في عصر المامون نشطت حركة الترجمة

(٣) كانت خزائنه تشمل نحو ٤٠٠ الف مجلد

(٤) كان كثير الادب جم المعرفة محبا لاهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن في تاريخه في ملوك الاندلس من يفوقه في ادب ومعرفة وله الكتاب العظيم المترجم بالتذكرة والمشتهر بالمظفري وضعه في خمسين مجلدا يشتمل على علم جم وادب وفر وكل فنون الادب من مغاز وسير ومثل وخبر توفي سنة ٤٦٠

وعمدت الى تجربة كان لها النصيب الاوفى من النجاح وتلك التجربة هي احداث مكاتب سيارة تجوب القرى والمداشر ناشرة بين اهلها الذين حرمتهم الحياة الريفية من التمتع بالدرس والمطالعة — ما يفيدهم ويرتبط بحياتهم تلك ارتباطا وثيقا . تلك هي الحالة في بلاد الغرب اما الحالة في البلاد الشرقية في القرن التاسع عشر فتختلف باختلاف الاقطار فمصر مثلا لم تظهر عنايتها بالمكتبة الا في عهد عزيزها محمد علي الذي اولاها عناية نسبية دلت على مبلغ تقديره لهذه الناحية في حياة الامة وترقيها . وقد سلكت المكتبة الخديوية سبيل النشوء والارتقاء حتى بلغت الى شأو تغبط عليه في عهد المغفور له فؤاد الاول وهي الآن تعتبر اكبر مكتبة في الشرق الاسلامي وقد عهد اخيرا بادارتها لفيلسوف الكنانة الدكتور منصور فهمي وقد وقفنا على ما قام به وما اعتزم عليه من مظاهر البعث والتجديد مما جعلنا موقنين بنتيجة اعماله الطيبة لما عرف عنه من الكفاءة التامة والاخلاص في العمل

اما غير مصر ومن بينها تونس فقد كانت الاضطرابات الداخلية تصرفها عن ذلك وتقعد بها عن مسايرة التطور العلمي الذي ظهر باروبا فاصيبت من جراء ذلك المكتبة الاسلامية بتلك البلاد بضربات نالت منها في الصميم فتبعثرت مكنوناتها وذهبت شذر مذر وتوعرت بذلك المسالك على الباحثين وحيل بينهم وبين ما يشتهون

ان الضربات التي اصيبت بها المكتبة في هذه البلاد من جراء الاحداث التي منيت بها فاستبدلت أمنها خوفا واطمئنانها فوضى لتجل عن الحصر ولا نبعد كثيرا فهذه الحملة التي وجهها الاسبان على هذه البلاد في القرن العاشر الهجري قد مزقت سنابك خيلها التآليف التونسية واتت على محررات الاجداد تلك المحررات التي دبجتها يراعة ابطال تلك النهضات العلمية التي قامت بالشمال الافريقي وكانت تضاهي ما قام نيسابور ومرو وبغداد وقرطبة . وانك لو ناشدت كتب التاريخ عن ذلك التراث العلمي الحافل الذي طالما ذكرته كتب التراجم كاثر من آثار من ترجمهم لقصت عليك من انبائه عجبا ولرجعت حصر الصدر شرد الفكر تصاعد منك الزفرات تصاعدا تكاد تفارق معه الحياة (١) فهذا ابن الابار (٢)

(١) راجع ما كتب عن نكبات المكتبة الاسلامية في معجم البلدان لياقوت ج ٨ ص ٥٠ وذيول تذكرة الحفاظ ص ٢٤٥ وحاضر الاندلس وغابرها ص ٩٨-١٠٥

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله ابن ابي بكر ابن الابار البلنسي ورد على تونس موفدا من صاحب بلنسية زيان بن مردنيش لطلب المعونة من الخليفة ابي زكرياء الحفصي كان من مفاخر الاندلس له مشاركة في العلوم واختصاص في التاريخ ولما دخل على الخليفة الحفصي انشده قصيدته المشهورة :
❋ ادرك بخيلك ارض الله اندلسا ❋ وكان ذلك سنة ٦٣٦
وقد اعجب ابن الابار بتونس واطمأن اليها فرجع لبلده واستصحب عائلته ثم عاد لتونس فاقام بها واحكم علائقه مع رجال البلاط حتى اتصل بالخليفة فاكرم وفادته وعرف له منزلته فاستدناه منه

الوافد علينا من الاندلس يحدثنا عنه الزركشي في كتابه تاريخ الدولتين(١) فقد ذكر انه ذهب هو وتآليفه التي بلغت خمسة واربعين كتابا في التاريخ والتراجم (٢) من بينها ما هو موضوع في تاريخ هذا القطر ورجاله . ذهب الجميع ضحية الحمق والسعاية فقتل بامر المستنصر الحفصي وكزا بالرماح واحرقت تآليفه بموضع قتله كل ذلك سعاية ماكرة قام بها ضده عصريه الغساني نحو مولاه جنى بها على صاحبه بالجنب وارتكب نحو العلم جريمة لا يغفرها له العلم واهله وكأن ابن الابار قد نظر الى ما سيئول اليه حاله - والمؤمن ينظر بنور الله - فجاشت نفسه بقوله :

اذا ما رايت الرسوم انمحت ❁ ولم يرع حق لذي منصب

فخذ في التحول عن تونس ❁ وأترك معالمها واهرب

ولكن نفذ القضاء في ابن الابار وتآليفه نفاذاً لا يجدى معه التأوه والتحسر

ومن القضايا التي حفظها لنا التاريخ وتعتبر اصدق صورة لتلك الضربات التي اصيبت بها المكتبة التونسية وبها يمكن الاستدلال على مبلغ ما وصلت اليه هذه الامة من دركات الانحطاط والجهل ما يحدثنا به صاحب المشرع الملكي - على عاميته - عن بعض معاصريه انه بعد ما اصيب بما كان معهودا في ذلك العصر من هدر الدم وهتك العرض واستباحة المال دخل بعض الخدمة لمكتبته فاستباحها وحمل ما وقع عليه بصره من الكتب لداره وهل تدري ما صنع بها ذلك الغبي الغمر هل تظن انه انتفع بها او نفع كلا . . . بل باعها المسكين لبعض الباعة وهذا بدوره استعملها في لف بضاعته ! ! ؟

انها لحالة تحمل الاغيار على ان يبعثوا من ورائها ابتسامات السخرية والاستهزاء حقا انها لحالة

وعرف ابن الابار كيف يكتسب عطف الخليفة ورجال الدولة حتى انتظم في سلك ديوان الانشاء ولما توفي ابو عبد الله بن الجلاء اولاه الخليفة في خطته وهي صاحب العلامة وهي تشبه خطة صاحب الطابع اليوم فشغلها مدة يسيرة ثم اخر عنها لما ظهر عليه من الحمق واستنقاص بعض ذوي المكانة والاقدام على توقيع ما هو خارج عن دائرة عمله ثم اسندت خطته الى احمد بن ابراهيم الغساني فنشات بين الرجلين حزازات ونجح الغساني في تاثيراته على الخليفة اذ ذاك محمد ابن ابي زكرياء فاوغر صدره عليه حتى حبسه وامر بضربه بالسياط بمقصورة المحتسب ثم قتل وندم الخليفة على فعلته النكراء ولات ساعة مندم

(١) ٢٠-٢١-٢٧

(٢) لم يبق من تآليفه فيما نعلم سوى تكملة الصلة لابن بشكوال والحلة السيراء وفهرسته وقطعة من تحفة القادم وقد قام بطبع الاول الاستاذ ابن ابي الشنب وطبع الثاني ضمن المجموعة التي طبعها العلامة كوديرا الاسباني في ثمانية اجزاء بمدريد بين سنتي ١٨٨٣ و١٨٩٢ تحت اسم المكتبة العربية الاسبانية . اما الثالث والرابع فيوجد ان في مكتبة دير الاسكوريال

تدعو الواقف الى ان يندب رسوم المعارف والفنون ويجود بدمعة مهراقة على تلك العصور التي انتابت البلاد فاقحلت وصوح نبتها فاصبح هشيما تذروه الرياح ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار .

وهنا لا يجمل بنا أن نغفل ذكر ما لعبت به الايدي الاثيمة في الخزائن العامة كخزانة جامع الزيتونة وجامع القيروان وبقية المكتبات التي كان لا يخلو منها جامع او مدرسة كجامع حمودة باشا (١) وجامع صاحب الطابع وغيرهما فقد فقد من هذه المكتبات ما استأثرت بعضه المكتبات الخاصة وتلقفت بعضه الآخر خزائن الغرب بطريق بعض الخونة – مثل سليمان الحرايري – (٢) اولئك الذين باعوا ذمتهم وضمائرهم وما تركه لهم اجدادهم من التآليف بدراهم معدودة وكانوا فيها من الزاهدين

فنحن نرى كيف تظافرت العوامل على تشتيت تلك الاعلاق النفيسة واتلافها ويظهر ان أهم هاتيك العوامل هو التفريط والاهمال   يتبع   محمد العنابي

(١) كانت توجد به نسخة من صحيح البخاري هي آية في جمال الخط وبداعة الفن ولما نقلت الى مكتبة العبدلية فقد منها احد اجزائها وقد عثر عليه ذات يوم بيد الدلال بسوق الكتبية فاعلم بذلك القاضي العادل الشيخ الطاهر النيفر فاحضر الدلال واستعلمه عنه فاخبره بان فلانا ... احد ابناء الحاضرة قد كلفه ببيعه فما كان من الشيخ الا ان دفع للدلال المبلغ الذي انتهى اليه وامر بالحاقه بالمكتبة العبدلية .

(٢) اصله من عائلة فارسية قديمة نزحت من بلاد العجم الى تونس وهو ابو الربيع عبده سليمان بن علي الحرايري الحسني ولد بتونس سنة ١٨٢٤ قرأ العلوم الدينية اولا على علماء وطنه ثم اكب على درس الطب والطبيعيات والرياضيات واللغة الفرنسية حتى حذقها وفي ١٨٤٠ اولاه الباي رئاسة ديوان الانشاء وبعد ست سنين من ذلك العهد رحل الى باريس فانتدبته حكومتها للتدريس بمدرسة الالسن الشرقية واثناء اقامته بها تولى رئاسة تحرير جريدة (برجيس باريس) التي انشاها الشيخ رشيد الدحداح فنشر بها قسما من سيرة عنترة وقلائد العقيان ثم طبعهما على حدة وترجم كتبا غير ذلك كرسالة في الظواهر الجوية طبعها سنة ١٨٦٢ اودعها خلاصة هذا الفن وكان وضعها دليلا على سعة اللسان العربي وكفايته للمعارف العصرية ونهج المعربون بعد ذلك منهجه لا سيما المرسلون الاميريكان والف سنة ١٨٦٧ كتاب عرض البضايع العام في وصف معرض باريس وله القول المحقق في تحريم البن المحرق وترجم كتاب لومون في الاصول النحوية ونشر مقامات الشيخ احمد بن محمد الشهير بابن المعظم احد ادباء القرن الثالث عشر مسيحي وتوفي الحرايري وله من العمر نحو الخمسين عاما ويقال انه ارتد والعياذ بالله اهـ ملخصا من تاريخ آداب العربية لزيدان ج ٢ ص ٣٦ ، والصحافة العربية ج ١ ص ١١٩ وتاريخ الآداب العربية لشيخو ج ١ ص ٩٨

العالم الاسلامى

المسلمون في فينلاندا

بقلم الاستاذ عثمان الكعاك
المدرس بالمدرسة العليا للاداب

١ – البلاد الفينلاندية قطر من اقطار اوروبا الشمالية يحده شرقا الروسيا وغربا البحر البلطي (البلطيق) والسويد والنرويج وجنوبا خليج فينلاندا وشمالا البحر المنجمد الشمالي . تبلغ مساحتها ٣٨٨،٤٨٣ ميلا مربعا – اي ثلاثة اضعاف مساحة القطر التونسي – وبها من السكان اربعة ملايين .

هذه البلاد عبارة عن مائدة من حجر الجرانيت واسعة النطاق مترامية الاطراف قد خرمتها الثالج الكبرى وهي قليلة الارتفاع اذا استثنينا حدودها من جهة النرويج في الغرب فان تشعبات جبال الالب الاسكندينافية تبلغ هنالك ارتفاعا يتراوح بين ٧١٥ م. و ١١٢٠ م.

ومن المفروغ منه ان قربها من القطب الشمالي قد جعلها بلادا شديدة البرد طويلة الشتاء كثيرة الثلوج حتى ان معدل البرودة يبلغ عشرة تحت الصفر في الشتاء و ١٥ فوقه في المصيف . ومع ذلك فان اقليمها من اصفى اقاليم العالم واجملها واصلحها لسلامة الابدان . تمتد بسابس الثلوج الى ما لا نهاية له تتخللها غابات الصنوبر والبحيرات الكبيرة اللوعة السطح البديعة التقطيع .

يسكن هذا القطر شعب مغولي الاصل فطري الحضارة قد هاجر من اواسط اسيا الى اوروبا في القرن الثالث الهجري (٨ م.) كان يعيش قديما من صيد البر والبحر . ثم تحول من عهد المدنية الحجرية الى عصر المعادن وتدجين الحيوانات : وقد بقي على حالة بداوته الى القرن السادس الهجري (١٢ م.) . اما اليوم فقد دخلته الحضارة الاوروباوية فاهل المدن يعيشون عيشة سائر الاوروباويين واما اهل الارياف فيعيشون في ديار صغيرة مبنية من الخشب صغيرة النوافذ او في خيام مخروطة الشكل مؤلفة من اغصان الشجر وخز الارض . هؤلاء الاقوام منقسمون الى شعبتين جنسيتين الاولى شعبة « التافاست » الضاربة بغرب البلاد قصيرة القامة بيضاء اللون شقراء الشعر قصيرة الرأس مفلطحة الوجه واسعة الفم قليلة الاهتمام بالشعر والالحان. واما الشعبة الثانية فهي فرقة الكارليين سمراء اللون

قسطلية الشعر طويلة الانف متوسطة الفم معتدلة القامة محبة للالحان والاشعار فهي كثيرة الزجالين . هذا الشعب قد تفرق في بلاد فينلاندا على نسب مختلفة لا يزيد معدلها عن تسعة سكان في الميل المربع فمعظمها مكتض بالسواحل بحيث ان نسبة السكان في الجنوب تبلغ ٣٩ في الميل المربع بينما هي لا تتجاوز اثنين في الشمال .

اما الحكومة فهي عبارة عن جمهورية ومجلس امة يقع انتخابه بالاقتراع العام من الرجال والنساء.

والبلاد منقسمة الى تسع مقاطعات عاصمتها مدينة هلسنكفورس او هلسنكي وهي مدينة واقعة على خليج فينلاندا بها من السكان ٢٠٧،٩٥٠ نسمة وبها جامعة ومتاجر الخشب والمعادن واما المدن الاخرى فاهمها : تركو وتامرفورس وفيبورغ



في الكراس الاول والسنة ١٩٣٤ من مجلة المباحث الاسلامية التي يصدرها الاستاذ ماسينون بمدينة باريس مبحث دقيق عن احوال المسلمين بفينلاندا قد دبجه يراع السيد بشر فارس فراينا ان تنقله الى قراء هذه المجلة الغراء ليعلم المسلمون احوال بعضهم بعضا في مشارق الارض ومغاربهم وجنوبها وشمالها . واليك نص التعريب :

في تاريخ ٢٤ افريل ١٩٢٥ اعترفت حكومة فينلاندا رسميا بالديانة الاسلامية بمقتضى قرار اصدرته لفائدة المسلمين القاطنين بتلك الديار . اصل هؤلاء المسلمين من الاتراك التاتار الذين هاجروا الى الشمال على اثر الانقلاب البلشفي بالروسيا واستقروا بفينلاندا . على ان البعض منهم يعرفون الديار الفينلاندية جيداً بموجب ترويج سلعهم هنالك قبل الانقلاب الروسي بعهد طويل . هؤلاء المسلمون لا يتجاوز عددهم ٦٤٨ شخصا اي ما ينوف عن مائة عائلة بيسير وهم متفرقون بين ١٧ مدينة ولو ان معظمهم بهلسنكي العاصمة وتامرفورس وتركو . تتعاطى الجالية الاسلامية تجارة الفراء والانسجة حتى ان الكثير منها مياسير وقد اشتهرت بمسالمتها ونشاطها في العمل واقبالها على شؤونها باجتهاد .

تحول هؤلاء القوم من الرعاية الروسية الى الوطنية الفينلاندية . ولما كانت قوانين فينلاندا قد قررت حرية الضمائر والاديان فان المسلمين متمتعون بكامل الحقوق المخولة لكل فينلاندي مهما يكن جنسه او معتقده. فالمسلم يستطيع ان يشغل اي وظيف من الوظائف الدولية على ان هؤلاء المسلمين غير خاضعين لجميع احكام القانون المدني الفينلاندي فمسائل الانكحة بيد الامام الذي يتولى ايضا تقييد المواليد والوفيات ولا يعرف بها الدولة الا على راس السنة في صورة

احصائيــة رسمية . وفوق ذلك فهــم من الناحيــة الاجتماعيــة اوسع استقـلالا . فلا يتزوجون الا من بينهم وعلى مقتضى الشريعة الاسلاميــة . وقــد نقــل لي ان بعض المسلمين يتزوجون النصرانيات ولكن هؤلاء سرعان ما يعتنقن الديانة الاسلامية واذا لم يعتنقن فان الخــلاف يشجر فيما يتعلق بحالة الولد من حيث المعتقد لكن هذا الخلاف عجلان ما ينحسم فيرسم الامام المولود الجديد بدفتر الجالية الاسلامية ويقضي الامر بسلام . يعتنى المسلمون الفينلانديون عناية خاصة بتربية اولادهم تربية اسلامية صحيحة ووطنية ثابتة . وقد انشأوا مدارس لهذه الغاية يذهب اليها الاطفال ثلاث مرات في الاسبوع فيتعلمون بها اصول الدين الاسلامي وتاريخ الاسلام والامة التركية ويحفظون القرآن باللغة العربية . اما لغة التعليم فهي اللسان التركي ولا يتعلم الاطفال من العربية الا الحروف والتجويد لكن هذه المدارس قليلة العدد واهمها مدرستا هلسنكي وتامرفورس اللتان تشـتغلان التسعة الاشهر الدراسية اما بقية المدارس الموجــودة في الجهات التي بها اقلية اسلامية ضئيلة فانها تفتح بالتناوب ثلاثة اشهر في السنة ويتحول فيها الاساتذة من مدرسة الى اخرى . على ان المسلمين لا يكتــفون بالمدارس فحسب بل يــنظمون المسامرات المختلفة المواضيع فتارة تكون في المواضيع الدينية وتــارة في المسالة القومية التركية واخرى في التاريخ التركي الاسلامي . يقوم بهذه المسامرات اساتذة المدارس او بعض المسلمين الزائرين ـ وخاصة الاتراك ـ اما الطباعة فهي ناشطة ومن ذلك ان السيد ابراهيم عــارف الله الكاتب العام للجمعية الاسلامية الفينلاندية قد الف رسالة في الدعاية الوطنية »

. . . ثم قال :

« لا يوجد جامع كبير بفينلاندا ولكن هنالك ثلاثة مساجد احدها بهلسنكي والاخر بتامرفورس والثالث بتركو وهنالك حيث لا توجد مساجد يجتمع المسلمون رجالا ونساء ببعض المنازل لاداء صلاة الجمعة . اما النسوة فلا يــذهبن غالبا الى المساجد الا لتادية صلاة العيدين . ولا يوجد الا امام واحــد (وهو السيد والي احمد حكيم) يعيش على نفقة الجالية الاسلامية ويقيم بهلسنكي لكنه يتنقل بانتظام من بلد الى بلد . واذا غاب الامام تقدم للصلاة من حضر من المسلمين وكان افـقههم في الدين . واذا جاء المولد الشريف تلا المسلمون آي الذكر الكريم باصلها العربي وقام الامام خطيبا فالقى خطابا باللغة التركية بحسب ما تقتضيه الظروف وادب المياسر المآدب اكراما لصاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم)

ان مسلمي فينلاندا لا يتنــاولون الكحول في عمومهم بــالرغم عن شدة البرد ولا يقدمون المسكرات في اية حفلة من حفلاتهم الدينية او الوطنيــة . وقد اثبتوا لي انه لم يقع ايقــاف ولو مسلم واحد بتهمة سكر منذ عشرين سنة . والبعض من سكان فينلانــدا لا يصومون شهر رمضان اذا كان

في طوال ايام المصيف ولكنهم يرجؤونه الى شهر آخر من شهور السنة(١) وذلك انه في شهري يونية ويولية من السنة حينما يكون النهار طويلا جدا يعتقدون ان صوم رمضان في ذلك العهد غير اضطراري وانما على الانسان ان يقضي ذلك الشهر في غيره من شهور السنة بدون كفارة . اما الحج فقد حج مسلم واحد .

تتمتع المراة المسلمة بنفس الحرية التي تتمتع بها اختها الفينلاندية او تكاد . ولا يمكن للفتاة المسلمة ان تتزوج قبل السنة السابعة عشرة واما الاملاك فهو على نمط الاملاك عند الفينلانديين ولكني اجهل هل ان المسلمات قد بلغن اوج التطور المتناهي الذي بلغته الفينلانديات » اهـ بشر فارس



وقد انشا المسلمون الفينلاديون جمعية دينية تحت اسم « الجامعة الاسلامية الفينلاندية » وقد حرروا بالاجماع بيان القواعد الاساسية التي ترتكز عليها الديانة الاسلامية وبينوا احكامها كما يلي :

ا ـ واجبات كل مسلم ومسلمة :

١ ـ الديانة بالعقيدة الاسلامية

٢ ـ اقامة الصلاة خمس مرات في اليوم والاجتماع لصلاة الجمعة جماعة بالمسجد

٣ ـ الصيام « شهرا » في السنة

٤ ـ ايتاء الزكاة لمن استطاع الى ذلك سبيلا

٥ ـ الحج على من استطاع الى ذلك سبيلا

٦ ـ التعهد باحترام جميع الاحكام المقدسة والخضوع لها

٧ ـ الالتزام بتطهير الباطن والظاهر والروح والجسد

٨ ـ الاستقامة والعفاف

٩ ـ احترام كل البشر وعدم اذاية اي شخص

١٠ ـ ان يحب لاخيه ما يحبه لنفسه ويكره لاخيه ما يكرهه لنفسه »

هذه هي احوال المسلمين بفينلاندا . وفي العدد المقبل نتحدث عن قانونهم الاساسي واحوالهم الادبية ـ ان شاء الله تعلى ـ(٢)

عثمان الكعاك

(١) نلاحظ هنا ان نهار الصيف في القطب الشمالي يكاد يتصل بدون انقطاع من غير ظلمة حالكة بحيث ان الليل إعتباري لا غير

(٢) في عدد مقبل : المسلمون في بولونيا ورومانيا وبلغاريا من بلاد اوروبا

الحركة العلمية والادبية

مشكلة المرأة التونسية من حيث التربية والتعليم واراء المفكرين فيها

تجدد في الفكر العام التونسي هذه الايام الاشتغال بالمرأة التونسية والسعي للنهوض بها من جميع نواحيها . والبحث عن احسن الطرق الموصلة لذلك . فكان ذلك باعثا لجمعية قدماء الصادقية على اقامة منبر عام تعرض عليه آراء مختلفة في هذا الموضوع ليختار الاصلح منها . فطلبت من رئيس تحرير هذه المجلة الشيخ محمد المختار بن محمود ان يقوم بالقاء مسامرة تكون كتقرير عام يقام عليه اصل البحث في هذه القضية . واختارت افرادا من نبغاء المفكرين ليدلوا بآرائهم اثر تلك المسامرة .

وفي يوم الاربعاء ٢٤ رمضان المنصرم وقع اجتماع عظيم للغرض المذكور بقاعة الاجتماعات الفرنسوية حضره اعيان الامة واصحاب الرأي فيها من علماء وادباء ومختلف الطبقات

وفتحت الجلسة على الساعة التاسعة الا ربعا بالقاء خطاب وجيز من حضرة رئيس قدماء الصادقية السيد محمد علي العنابي . تعرض فيه لبيان الغرض من الاجتماع ولبرنامج ما سيقع فيه .

وبعد ذلك القى الشيخ ابن محمود مسامرته فكانت درسا وافيا لموضوع المرأة . من جميع ما يتعلق بها . فبسط نظرية الاسلام في معاملتها وترقية مستواها . وتقرير ما لها وما عليها من الحقوق التي منحها لها الاسلام من منذ اربعة عشر قرنا مما تفوق به المراة الغربية حتى في هذا الزمان . مستدلا في كل ما قاله بادلة من القرآن والحديث واقوال العلماء . ثم تعرض لحالة المراة التونسية في عصرها الحاضر ثم قدم برنامجا عمليا في كيفية النهوض بها في جميع اطوار حياتها بما يتناسب مع ما جاء به الاسلام . وتوجبه اصول التربية الدينية والاخلاقية مع الاقتصار في تعليمها على اللغة العربية لانه لا ضرورة تدعوها لتعلم غيرها .

وبعد انتهائه توالى على منبر الخطابة السادة الفضلاء : الشاذلي النيفر المدرس بجامع الزيتونة . محمود بيرم المصري صاحب جريدة (الشباب) . محمد المهدي بن الناصر الوكيل لدى المحاكم التونسية . احمد بن ميلاد الطبيب . الطاهر صفر المحامي . محمود المسعدي المدرس بمدرسة الليسي كارنو عبد الوهاب باكير المدرس بالمدرسة العلوية

فادلى كل واحد برأيه وكانت آراء الخمسة الاولين متقاربة . في مجموعها مع ما قرره المسامر الاصلي واما الخطيبان الاخيران فقد كان رايهما لا يخلو من تطرف وسير مع الخيال منشؤه حدوث عهدهما بالحياة الاجتماعية العامة وكونهما في بداية طور التجربة . وفي اعتقادنا انهما بعد ان يبلوا حلو الحياة ومرها . وبعد معاناة اطوار التجربة وقطع مراحلها يكون رايهما متقاربا مع راي من سبقهما في ذلك الميدان . اذ فرق بين من يتكلم بعد تجربة وطول اختبار . وبين من يتكلم وهو سابح في بحور الخيال التي لا ساحل لها . وقد كان من رايهما ان المراة يجب ان تعطى لها حرية مطلقة في سيرتها واعمالها وتعلمها وعدم اعتبارها مختصة بشؤون البيت ومقصورة عليها . الى غير ذلك من الاراء التي تضرب على هاته النغمة

وعلى كل حال فانهما قد قالا ما يعتقدانه صوابا . وعلى الناس ان يعملوا بما يرونه صالحا موافقا

لدين البلاد وعوائدها وآدابها وذلك لا يتحقق الا بتنفيذ الاقتراح الذي قدمه المسامر الاصلي في ءاخر مسامرته من وجوب عقد اجتماع عام لاخراج هذا الموضوع من الناحية الفكرية الضيقة . الى الناحية العملية الواسعة النطاق . وفي ذلك الاجتماع وعند تحاكك الانظار يعلم اي الرأيين اقرب للصواب . واصلح بهذه البلاد . فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

في دار الشريعة المطهرة

بناء على احالة جناب العلامة النحرير صاحب الفضيلة الشيخ سيدي حسين بن الخوجه المفتي الحنفي على الراحة نظرا لكبر سنه ولمرضه فقد اسند ملكنا المعظم ابقاه الله خطة الافتاء المنحلة عنه لاخيه جناب العلامة النحرير الشيخ سيدي علي بن الخوجه المدرس الحنفي من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة عمره الله . ووقعت ولايته بدار الملك في حمام الانف يوم الخميس في ٣ رمضان وفي ١٩ نوفمبر المنصرمين . واثرها وقع تنصيبه بالمحكمة الشرعية حيث ذهب اليها يصاحبه جناب شيخ المدينة طبق العادة المألوفة بتونس من الاعتناء العظيم بالخطط الشرعية وتنويه الملوك العظام بشانها .

وهذان الاخوان ابقاهما الله هما فرعان من الشجرة الخوجية التي رسا اصلها في الثرى ونما فرعها الى السماء . واقيمت دعائمها على تقوى ورضوان من الله . يتوارث افرادها العلم خلفا عن سلف من منذ زمن طويل . وذلك هو سبب مجدهم وارتفاع شانهم في بلادنا .

ولد جناب المفتي الجديد في جمادى الثانية سنة ١٢٩٨ وتربى في كنف والده شيخ الاسلام سيدي احمد بن الخوجه . الذي ملا ذكره الاسماع . في جميع البقاع . وتاهت به هذه البلاد فخرا . وجرت ذيولها كبرا . رحمه الله . ونشأ نشأة علمية دينية . فحفظ القرآن في صغره . ثم زاول الدروس بالمدرسة الصادقية . ثم انتظم في سلك تلامذة جامع الزيتونة المعمور . واحرز على شهادة التطويع في عام ١٣٢٣

وزاول الدروس على اعيان علماء العصر . منهم اخواه المفتيان الشيخ سيدي محمد والشيخ سيدي مصطفى . ومنهم عمه شيخ الاسلام سيدي محمود بن الخوجه . ومنهم الشيخ سيدي محمد النجار المفتي المالكي والشيخ سيدي مصطفى رضوان وابنه الشيخ سيدي محمد رضوان المفتي الحنفي . والشيخ سيدي محمد القصار المفتي المالكي والشيخ سيدي محمود بن محمود المفتي الحنفي . والشيخ محمد ابن القاضي القاضي الحنفي . وهؤلاء كلهم قد لحقوا بالدار الآخرة رحمة الله عليهم .

ومن مشائخه من الاحياء . العلامة المحقق الجليل الشيخ سيدي محمد بن يوسف شيخ الاسلام والشيخ سيدي احمد بن مراد . والشيخ سيدي حسين بن الخوجه .

وظائفه

تولى التدريس الحنفي من الرتبة الثانية في عام ١٣٢٦ واثرها باشر خطة كاتب النوازل بالدائرة الحنفية بالديوان المعمور . وباشر التدريس بالمدرسة الصادقية في عام ١٣٣٣

وتولى عضوا نائبا بالمجلس المختلط في عام ١٣٥٢ . وفي العام المذكور تولى خطة التدريس الحنفي من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة

ثم اسندت اليه خطة الافتاء في هذه الايام . جعلها الله خطة مباركة عليه ويسر له اسباب القيام بها على احسن وجه . والمجلة تعيدله تهنيتها . وتتمنى له حياة سعيدة بالعمل والانتاج ، مشمولة برضا الله ورسوله

المرجو من القراء اصلاح الاخطاء الآتية

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٦١	٩	يعد	لا يعد
١٧٠	١١	لقاعدة	القاعدة
١٧٠	٢٠	اليسبيح	التسبيح
١٧٠	٢٠	المعجرة	المعجزة
١٧١	١٣	انقوا	اتقوا
١٧٣	٢٥	مجذب	منجذب
١٧٥	٢٤	هوك	هواك
١٧٦	٣	دياكم	دنياكم
١٧٧	١٤	ولذا	ولهذا قد
١٧٧	١٥	الضلام	الظلام
١٧٧	١٦	مستبان	مستبانا
١٧٩	٣	جنسكم	انفسكم
١٧٩	٢١	باحسن	فاحسن
١٨١	١	أختار	اختار
١٨٤	٣	للمغرض	للمقرض
١٨٨	٨	اكتب	اكبت
١٨٩	٢١	ولا تسبوا	لا تسبوا
١٩٠	٤	الي	الى
١٩٠	١٨	مبادي	مباد
١٩٠	٢٥	الي	الى
١٩٣	٧	ينهي	ينهى
١٩٣	٩	ترمى	ترمي
١٩٤	١٧	فناء	لفناء
١٩٦	٧	اما	امام

تباع المجلة في الاماكن التالية



اماكن بيع المجلة بالحاضرة

المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢
مكتبة الاستقامة نهج سيدي ابن عروس رقم ٣٤
المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣
مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢
المكتبة الزيتونية سوق السرايرية
مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢
المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية
مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤
دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف رقم ٧٢
البشير وبلقاسم بن عمارة سوق السرايرية رقم ٣٠

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

السيد الحبيب الذوادي ببنزرت بنهج احمد باي
« احمد المرابط متعهد بيع المجلات ببنزرت
« عمر بن يدر بفريفيل
« علي المزي بماطر
« احمد بن الحاج عبد الرحمن العجالي بقلييه
« عبد القادر قربوج بنابل
« حموده الذكواني بمنزل جميل
السيد حمدان الشريف بسوسه
« محمد الصالح البكوش بباجه
« محمد العربي بالمكنين
« محمد زهره بالمنستير
« ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال
« الصادق بولايان بالقيروان
« سعد بن بلقاسم الصحراوي بسبيطلة
« علي بسباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس
« قدري قعيب بقفصه
« المكتبة الاسلامية بتوزر
« عمر اسكندر بنفطة
« شرف الدين الدقاشي بدقاش
« محمد بن علي امنجه بقابس
« حمزة شورو بميدون جربه

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

السيد محمود نسيم بشارع لالير رقم ٤٢ بالجزاير
« محمود باش طبجي بساحة شارتر بالجزائر
مكتبة النجاح بقسنطينة
« قندوز بنهج جنجراس بسطيف
« الاخضر بن مبارك ببسكره
« بن داود بساحة دي قرقولات بعنابة
« محمد الهادي جلال بتبسه
مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك ٤٢ بتلمسان

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي بجامع الزيتونة المعمور

المجلد الاول	تونس في ذي القعدة عام ١٣٥٥ وفي جانفي عام ١٩٣٧	الجزء الخامس

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

الجزء الخامس

فهرس العدد

المجلد الاول

صحيفة

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠

« بلاد شمال افريقيا « ٣٠

« في الخارج « ٤٠

يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي بجامع الزيتونة المعمور

الجزء الخامس	تونس في ذي القعدة عام ١٣٥٥ وفي جانفي عام ١٩٣٧	المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها .

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٩-٤٠-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحج اكبر مؤتمر ديني اسلامي

فهل فهم المسلمون مغزاه ؟

بقلم رئيس التحرير

ما من شيء جاءت به هذه الشريعة الاسلامية الا وفيه من الحكم والفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يقف عند حد .

فهي الشريعة التي لا تبلى جدتها . ولا ينفد معينها . ومهما بعد العهد وتقادم الزمان الا وتظهر للناس اياتها . وتبهرهم معجزاتها وتنكشف لهم اسرارها وتشرق انوارها

فتامل ايها الباحث الموفق في اي فرع من فروع الاسلام وفي اي جزئية من جزئياته واهتد بنور الله فيما تقدم عليه من البحث والتامل فانك لا محالة ترجع وقد ملىء قلبك اجلالا واكبارا لهذا الدين القويم الذي له من كل شيء اية .

وسنحدثك في هذا الفصل عن فريضة من فرائض الاسلام وهي الحج ونذكر لك ما يشتمل عليه من المصالح الدينية والدنيوية وفقنا الله جميعا لادائه : وسهل لنا سبيل الوصول اليه فنقول

الانسان في حياته مغمور في بحور الماديات . مشغول بها . صارف كل وقته وجهده في التحصيل عليها والمباهاة بها . والماديات تبعد الروح عن التلذذ باهم ما خلقت اه وهو التفكر في الحياة الاخرى والاتصال بالعوالم العلوية . والوصول الى الحقيقة الكبرى التي هي مطمح انظار العباد المقربين الى الله تلك الحقيقة التي هي الانقطاع الى الله . والاخلاص له في العبادة . والتقرب اليه بانواع الطاعات

والانصراف الى جانب الله · وقصر الرجاء عليه . تلك الحقيقة التي تضمنها الحديث القدسي وافصح عنها ايما افصاح وهي قوله كما في صحيح البخاري : (وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه . وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه . فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها · ورجله التي يمشي بها . ولئن سالني لاعطينه · ولئن استعاذني لاعيذنه)

فحياتنا المادية بجميع ما فيها من المظاهر تبعدنا عن هذه الحقيقة الكبرى · وتحول بيننا وبين الوصول اليها . مع انها اهم شيء يجب ان نسعى اليه . ونحرص على حصوله

فكان من عناية الله بعباده ان فرض عليهم امورا تحول بين النفس وبين الاندفاع في تيار الشهوات المادية وترجعها شيئا فشيئا الى منطقة تلك الحقيقة السامية حتى تكون متهيئة للرجوع الى الجادة المثلى · والاحراز على ذلك الشرف الاسمى

فرض الله الصلاة على عبده · وجعل الانسان في صلاته يناجي ربه . وجعله في سجوده اقرب ما يكون من ربه . فكانت الصلاة بصورتها وبمعناها من انفع ما يعالج به الانسان نفسه ويهيئها لقبول الفتوحات الالاهية ويقربها الى مراتب الكمال

ثم لما كانت الحياة المادية متغلبة عن النفس . وكانت شيئا محسوسا · وللمحسوسات تغلب وتطاول على المعنويات · فقد فرض الله تعالى على عباده شيئا اخر لمقاومتها . وجعله من جنسها . حتى يكون من مقاومة المثل بالمثل وذلك هو الحج الى بيت الله الحرام

فاذا كان الانسان في حياته قد تعود بالترف والبذخ في العيش والتفنن في انواع الملاذ . والتنويع في الملبس والمأكل والتطيب . والاشتغال بالامور التي فيها قضاء لشهواته وتنفيذ لاغراضه وتعود بالراحة وتباعد عن كل ما فيه تعب لنفسه فقد جاء الحج بمقاومة ذلك كله .

ففيه السفر وركوب البحار واقتحام الاخطار وبذلك تتعود النفس على تحمل الاتعاب . وعدم الاخلاد الى الراحة ·

وفيه ترك المخيط من الثياب والاقتصار على ثوبين للتستر بقدر الحاجة. والرضا

بما تيسر من الطعام والشراب . وبذلك تتعود النفس على مفارقة الحضارة التي تميت في النفس حاسية الاقدام والشجاعة وتألف خشونة العيش وقوة العزيمة .

وفيه البعد عن الوسط الذي يعيش فيه الانسان بمفارقة اقاربه واحبابه وعدم الاشتغال بتلك السفاسف التي كان يشغل بها اوقاته وبذلك يتعود الانسان الاستقلال في رأيه والاعتماد على نفسه

وفيه التباعد عن فتن الحياة ولهوها ومجونها والانصراف الى الله في مكان ليس فيه ما يشغل عن الله . ولا ما يلهي عن ذكره . وبذلك تتعود النفس الطاعة والاخلاص في العمل وصرف الاوقات فيما ينفع

وفيه ظهور الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم بمظهر واحد وعلى نمط واحد . وفي صعيد واحد وبذلك يمحى الغرور من النفس وتشفى من داء التعاظم والكبر والرياء .

فكان الحج بما اشتمل عليه من هذه الاعمال والتكاليف انجع دواء يعالج النفوس المريضة . ويصلح من شانها . ويقاوم ذلك التيار المادي الذي كانت لا تشتغل الابه . ويقربها من تلك الحقيقة العظمى

فهذا معنى ماذكرته من ان الحج فيه معالجة الداء بمثله . لانه عبادة ذات اعمال كل واحد منها يقابل ناحية من نواحي الاعمال المادية الشاغلة للنفوس فيقضي عليها او يهذبها

ومن اجل ما في الحج من هذه المعاني السامية التى قد اكون وقفت الى ذكر بعضها ولم اصل الى كثير منها . اعتنى الشارع بامره . ونوه بشانه . ورتب على فعله جزاء عظيما وجعله في صف واحد مع الجهاد في سبيل الله

ففي صحيح البخاري عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال (شدوا الرحال في الحج فانه احد الجهادين)

وفيه عن ابي هريرة قال : (سئل رسول صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل ؟

قال : ايمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور) (١)

وفيه ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (افضل الجهاد حج مبرور)

وفيه ايضا عن ابي هريرة قال سمعت النبيء صلى الله عليه وسلم يقول : (من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه) (٢)

هذه فوائد الحج الدينية

فاما فوائده الدنيوية ومقاصده الاجتماعية فالحج اعظم وسيلة لتعارف الشعوب الاسلامية واتصالها ببعضها .

فالمسلمون على تباعد اقطارهم . وتنائي ديارهم . وتشتتهم في جميع انحاء الارض هيأ الله تعلى لهم مؤتمرا دينيا عاما يجتمعون فيه . فيقع بينهم اولا التعارف الذي دعا اليه القرآن في قوله (وكذلك جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم)

---

(١) معنى قوله حج مبرور اي لم يخالطه اثم . او لم تقع فيه معصية . او لا رياء فيه . ووقع تفسير الحج المبرور في حديث جابر المروي في مسند احمد ونصه : قالوا يا رسول الله ما بر الحج . قال أطعام الطعام . وافشاء السلام . لكن هذا الحديث حكموا على اسناده بان فيه ضعفا

(٢) الرفث بتثليث العين في الماضي والمضارع وافصحها ان يكون من باب نصر معناه الفحش في القول . وقيل معناه اتيان النساء . والفسوق معناه المعصية . وبقي الجدال لم يذكر في الحديث وهو مذكور في قوله تعلى (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) ومعناه النزاع والتخاصم مع الرفقاء والمكارين . وقوله رجع (كيوم ولدته امه) اي رجع مشابها لنفسه في انه يخرج بلا ذنب كما خرج بالولادة . وهو يشمل الكبائر والصغائر والتبعات . قال ابن حجر وهذا الحديث من امتن الشواهد لحديث العباس بن مرداس الذي صرح فيه بتلك الامور . وله شاهد اخر من حديث ابن عمر في تفسير الطبري اه ويجب التنبيه هنا الى امرين الامر الاول ان المراد بالمعاصي التي تغفر بالحج المعاصي التي بين الله وبين العبد . اما التي تكون ما بين العباد فانها لا يغفرها الا ارجاع الحق او مسامحة المعتدى عليه . الامر الثاني ان المراد بمغفرة الذنوب التي بين العبد وربه العفو عن اثم تاخيرها لا اسقاطها بالمرة . لانها حقوق لا تسقط الا بالفعل فاثم تاخير العبادة المفروضة على العبد يسقط بالحج اما العبادة نفسها فلا تسقط الا بالفعل . حتى ان من كان مطالبا بصلاة مثلا ثم حج يجب عليه قضاءها اثر الحج فاذا اخرها بعده تجدد له اثم اخر . فالحج المبرور يسقط اثم المخالفة لا الحقوق . نبه على ذلك شراح البخاري

ثم بعد ذلك التعارف يقع التحدث عن حالة كل شعب من شعوب الاسلام و البحث في تحسينها و النهوض بها الى أعلى مراتب الكمال • وتبسط امال كل شعب وآلامه وتوضع البرامج لتحقيقها ويكون كل شعب متهيئا لاعانة بقية الشعوب بما في طوقه وبما يقدر عليه هذا هو الذي ينبغي ان يكون عليه المسلمون في الحج • وهذه هي الفرصة التي هيأها الله لهم • فهل انتفع المسلمون بذلك ؟ وهل فهموا هـذا المغزى العظيم ؟ وهل نظموا هذا المؤتمر الالاهي كما ينبغي ان ينظم حتى يقع استغلاله في الانتفاع به ؟ نستطيع ان نجيب بالنفي عن جميع ذلك • فالمسلمون لم ينتفعوا بهذا المؤتمر الانتفاع المطلوب. ولم يفهم هذا المغزى من الحج الا القليل النادر منهم • ولم يكن امر الحج في حالته الحاضرة منظما بصورة تمكن من استغلاله وتعين على الانتفاع به •

ويرجع ذلك لعدة اسباب • منها ان المسلمين اذا ذهبوا للحج يبقى كل فريق منهم بعيدا عن الفريق الآخر ولا يتمكن من الاجتماع به والتحدث معه بل ولا يقع حتى اصل التعارف • ومنها ان المسلمين لغاتهم مختلفة فمنهم من يتكلم بالعربية ومنهم من يتكلم بغيرها . والذين يتكلمون بالعربية لهم لهجات مختلفة • والفاظ دخيلة من لغات متعددة • فهم بذلك لا يمكن لهم التفاهم •

ولا نحتاج في اقامة الدليل على ذلك الى شيء بعيد • فهذه الممالك الاربعة التي تعرف بالشمال الافريقي (وهي تونس والجزائر وطرابلس الغرب والمغرب الاقصى) على تقاربها من بعضها وتلاصق حدودها لكل واحدة منها لهجة خاصة تخالف لهجة البقية • حتى ان التونسي والجزائري يعسر بينهما التفاهم اذا خرجا عن العربية الفصحى فمن اجل ذلك كان التفاهم بين الحجاج متعذرا او متعسرا • ولكن مقاومة ذلك في غاية السهولة • اذا صحت العزيمة على الانتفاع بهذا المؤتمر العظيم • وامر ذلك موكول الى الحكومة الحجازية التي على راسها ذلك الملك المتبصر العادل الامام عبد العزيز بن السعود • فهي اذا ارادت ذلك امكن لها تنفيذه من غير تعب ولا عناء •

وبما لكل مسلم من الحق في ابداء رأيه والاصداع بما يراه صوابا في تنظيم شؤون الحج • فاني ساتقدم باقتراح يتضمن برنامجا عمليا مختصرا يتكفل بتنظيم هذا المؤتمر

و تحقيق الاغراض السامية التي يمكن استغلالها منه • ويقع تنفيذه ابتداء من هذا العام حيث لا تزال في الوقت فسحة •

فنقول ينبغي ان تكلف حكومة الحجاز هيئة تشرف على الحجاج القادمين من جميع الاقطار • وهذه الهيئة تحصي عدد البلدان التي قدمت منها وفود بقصد الحج و تخاطب اهل كل بلد ليختاروا من بينهم اربعة يمثلون تلك البلاد • ويشترط في هؤلاء الاربعة ان يكونوا قادرين على التكلم بالعربية الفصحى - ان امكن ذلك - ثم تعلن بتعيين يوم لانعقاد ذلك المؤتمر ومكانه وساعته ويرأس هذا المؤتمر ملك الحجاز بنفسه فاذا انعقد المؤتمر نودي على كل وفد بانفراده فيبسط للحاضرين حالة المسلمين في بلاده من جميع النواحي ويعرض عليهم نقط الضعف التي عليها مسلمو تلك البلاد من ناحية الدين او الاجتماع حتى يقع السعي في تداركها كما يتعرض لحالة بلاده من ناحية الانتاج ويلفت نظر بقية الوفود الى بعض المنتجات التي قد يكون للاطلاع عليها اثر في تحسين الحالة التجارية • وتقوية الارتباط الاقتصادي بين مختلف بلدان الاسلام وليس في ذلك ما يخل بامر الحج من ناحية كونه عبادة فقد قال المفسرون في قوله تعلى (ليشهدوا منافع لهم) أن المراد بالمنافع الدينية والدنيوية واعتبر العلماء هذه الآية مرخصة للاتجار في الحج وعليه فيكون لهذا المؤتمر نتيجة دينية ودنيوية

ثم بعد انتهاء المؤتمر يجتمع كل وفد باهل بلاده ويعلمهم بخلاصة ما دار فيه من الابحاث

وبذلك تزداد الشعوب الاسلامية اتصالا وتقوى اواصر المودة والتعارف بينها ولا يبقى الاتصال بينها امرا صوريا ظاهريا بدون روح كما هو عليه الحال الآن

هذا رأيي في هذا الامر العظيم عرضته على عموم المسلمين • والذي اعتقد انه سينال رضا الجميع وسيسعى كل واحد منهم في تحقيقه بقدر طاقته لان الدافع الى عرضه عليهم هو المصلحة الكبرى التي اعتقد اننا نحصل عليها بتنظيم هذا المؤتمر على هذا الاسلوب ان شاء الله وان ظهر للبعض منهم مخالفة في بعض اجراءات في البرنامج الذي عرضته سابقا فليدل كل واحد برايه وليكن هدفنا جميعا خدمة الاسلام و ترفيع شان اهله بما بقي في طوقنا من الاعمال وعلى الله بلوغ الآمال

محمد المختار بن محمود

القرآن الكريم

دروس التفسير

لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

المقدمة الثالثة في التفسير

بغير المأثور وبالـرأي وبالبـاطن والاشـارة

-٢-

واما الجواب عن الشبهة التي نشأت من الآثار المروية في التحذير من تفسير القرآن بالرأي فمرجعه الى احد خمسة وجوه اولها ان المراد بالرأي هو القول عن مجرد خاطر دون استناد الى نظر في ادلة العربية ومقاصد الشريعة وتصاريفها وما لا بد منه من معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول فهذا لامحالة ان اصاب فقد اخطأ في تسوره بلا علم لانه لم يكن مضمون الصواب كقول المثل رمية من غير رام ٠ وهذا كمن فسر الم. ان الله أنزل جبريل على محمد بالقرآن فانه لا مستند لذلك واما ما روي عن الصديق رضي الله عنه فذلك من الورع خشية الوقوع في الخطأ في كل ما لم يقم له فيه دليل او في مواضع لم تدع الحاجة الى التفسير فيها الا ترى انه سئل عن الكلالة في آيـة النساء فقال: اقول فيها برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان الخ وعلى هذا المحمل ما روي عن الشعبي وسعيد رحمهما الله تعالى اي انهم تباعدوا عما يوقع في ذلك ولو على احتمال بعيد مبالغة في الورع ودفع الاحتمـال الضعيف والا فان الله تعالى ما تعبدنا في مثل هذا الا ببذل الوسع مع ظن الاصابة

ثانيها - ان لا يتدبر القرآن حق تدبره فيفسره بما يخطر له من بادىء الرأي دون احاطة بجوانب الآية ومواد التفسير مقتصراً على بعض الادلة دون بعض كان يعتمد على ما يبدو من وجه في العربية فقط كمن يفسر قوله تعلى «ما أصابك من حسنة فمن الله» الآية على ظاهر معناها فيقول ان الخير من الله والشر من فعل الانسان ويقطع النظر عن الادلة الشرعية التي تقتضي ان لا يقع الا ما أراد الله غافلا عما سبق من قوله تعلى «قل كل من عند الله» (١) وان يعتمد على ما يبدو له من حكم شرعي فيقطع النظر عن اللغة كتفسير بعض الفقهاء قوله تعلى «فصل لربك وانحر» انه وضع احدى اليدين على الاخرى في الصلاة تحت النحر فوق الصدر مع ان اللغة لا تساعد عليه والا لقيل صدر اذا وضع يده على صدره ورأس اذا وضعها على رأسه . او بما يبدو من ظاهر اللغة دون استعمال العرب كان يقول في قوله تعلى «وآتينا ثمود الناقة مبصرة» فيفسر مبصرة بانها ذات بصر لم تكن عمياء فهذا من الرأي المذموم لفساده

ثالثها - ان يكون له ميل الى نزعة اومذهب او نحلة فيتاول القرآن على وفق رأيه ويصرفه عن المراد ويرغمه على تحمله ما لا يساعد عليه المعنى المتعارف فيجر شهادة القرآن لتقرير رأيه ويمنعه عن فهم القرآن حق فهمه ما قيد عقله من التعصب عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير مذهبه حتى ان لمع له بارق حق وبدا له معنى يباين مذهبه حمل عليه شيطان التعصب حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقدك كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له ان معنى قوله تعلى «القدوس» انه المنزه عن كل صفات المحدثات حجبه تقليده عن ان يتقرر ذلك في نفسه ولو تقرر ما تواصل فهمه فيه الى كشف معنى ثان او ثالث ولكنه يسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته مذهبه وجمود الطبع على الظاهر مانع من التوصل

(١) هذا التمثيل للغزالي على احد تفسيرين والمثال يكفي فيه الفرض وأذكر ان ابن العربي في العواصم فسر قوله تعلى «ما اصابك من حسنة فمن الله» انه جرى على معنى التعليم للتادب مع الخالق وقوله «كل من عند الله» جرى مجرى بيان الحقيقة فانظره

للغور . مثال ذلك من فسر من الشيعة ان علينا للهدى . ان ذلك اسم علي مضاف لضمير الجلالة فهذا يمشي مع ما يصلح له الرسم دون النطق ، وكذا تفسير المعتزلة . الى ربها ناظرة ، بمعنى انها تنتظر نعمة ربها على ان ـ الى واحد الآلاء مع ما في ذلك من الخروج عن الظاهر وعن المأثور وعن المقصود من الآية ، وروي ان ابا عبد الله الشيعي داعية العبيديين لما كان انتصاره بمظاهرة قبيلة كتامه غير قوله تعلى « كنتم خير امة اخرجت للناس » كتامة خير امة اخرجت للناس وقالت البيانية في قوله تعلى « هذا بيان للناس » انه بيان ابن سمعان كبير مذهبهم ، وكانت المنصورية اصحاب ابي منصور الكسف يزعمون ان المراد من قوله تعلى « وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم » على معنى ان الكسف نزل من السماء ، وهذا ان صح عنهم ولم يكن من ملصقات اعدائهم فهو تبديل للقرآن ومروق

الرابع ـ ان يفسر القرآن برأي مستند الى ما يقتضيه اللفظ ثم يزعم ان ذلك هو المراد دون غيره لما في ذلك من التضييق على المتأولين

الخامس ـ ان يكون القصد من التحذير أخذ الحيطة في التدبر والتأويل ونبذ الشرع الى ذلك وهذا مقام تفاوتت العلماء فيه واشتد الغلو في الورع ببعضهم حتى كان لا يذكر تفسير شيء غير عازيه لغيره ، وكان الاصمعي لا يفسر كلمة من العربية اذا كانت واقعة في القرآن ، ذكر ذلك في المزهر ، فابى ان يتكلم في أن سرى واسرى بمعنى واحد لان اسرى ذكرت في القرآن ، ولا في ان عصفت الريح واعصفت بمعنى لانها في القرآن وقال الذي سمعت في معنى الخليل انه اصفى المودة واصمها ولا أزيد فيه شيئا لانه في القرآن اه

فهذا ضرب من الورع يعتري بعض الناس لخوف وانه قد يعتري كثيرا من اهل العلم والفضل وربما تطرق الى بعضهم في بعض أنواع الاحوال دون بعض فتجد من يعتريه ذلك في العلم ولا يعتريه في العمل وقد تجد العكس

واذ قد تقصينا مثارات التفسير بالرأي المذموم وبينا لكم الاشباه والامثال بما لا

يبقى معه للاشتباه من مجال فلا نجاوز هذا المقام ما لم ننبهكم الى طائفة التزمت تفسير القرآن بما يوافق هواها وصرفوا الفاظ القرآن عن ظواهرها بما سموه الباطن وزعموا ان القرءآن انما نزل متضمنا لكنايات ورموز عن اغراض واصل هؤلاء طائفة من غلاة الشيعة عرفوا عند اهل العلم بالباطنية فلقبوهم بالوصف الذي عرفوهم به وهم يعرفون عند المؤرخين بالاسماعيلية لانهم ينسبون مذهبهم الى جعفر بن اسماعيل الصادق ويعتقدون امامته وعصمته بعد ابيه بالوصاية ويرون ان لابد من امام هدى من آل البيت هو الذي يقيم الدين ويبين مراد رب العالمين ولما توقعوا ان يحاجهم العلماء بادلة القرآن والسنة ورأوا ان لا محيص لهم من تاويل تلك الحجج التي تقوم في وجه بدعتهم وانهم ان خصوها بالتاويل وصرف اللفظ الى الباطن اتهمهم الناس بالتعصب والتحكم فرأوا صرف جميع القرآن عن ظاهره بناء على ان القرآن رموز لمعان خفية في صورة الفاظ تفيد معاني ظاهرة ليشتغل بها عامة المسلمين وزعموا ان ذلك شأن الحكماء فمذهبهم مبني على قواعد الفلسفة السفسطائية ومذهب التناسخ والحلولية فهو خليط من ذلك ومن طقوس الديانات اليهودية والنصرانية وبعض طرائق الفلسفة ودين زرادشت وعندهم ان الله يحل في كل رسول وامام وفي الاماكن المقدسة وانه يشبه الخلق تعالى وتقدس وكل علوي يحل فيه الاله وتكلفوا لتفسير القرآن بما يساعد هاته الاصول التي أسسوها • ولهم في التفسير تكلفات ثقيلة منها قولهم ان قوله تعالى « وعلى الاعراف رجال » ان جبلا يقال له الاعراف هو مقر اهل المعارف الذين يعرفون كلا بسيماهم • وان قوله تعالى (وان منكم الا واردها) اي لا يصل احد الى الله الا بعد جوازه على الاراء الفاسدة اما في ايام صباه أو بعد ذلك ثم ينجي الله من يشاء وان قوله تعالى « اذهبا الى فرعون انه طغى » اراد بفرعون القلب • وقد تصدى للرد عليهم الغزالي في كتابه الملقب بالمستظهر • وقال اذا قلنا بالباطن فالباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر فيمكن تنزيل الآية على وجوه شتى يعني والذي يتخذونه حجة لهم يمكن ان نقلبه عليهم وندعي انه باطن القرآن لان المعنى الظاهر هو الذي لا يمكن اختلاف الناس فيه لاستناده للغة

الموضوعة من قبل واما الباطن فلا يقوم فهم احد فيه حجة على غيره اللهم الا اذا زعموا انه لايتلقى الامن الامام المعصوم ولا اخالهم الا قائلين ذلك ويؤيد هذا ما وقع في بعض قراطيسهم قالوا (انما ينتقل الى البدل مع عدم الاصل والنظر بدل من الخبر فان كلام الله هو الاصل فهو خلق الانسان وعلمه البيان والامام هو خليفته ومع وجود الخليفة الذي يبين قوله فلا ينتقل الى النظر اه) وبين ابن العربي في العواصم شيئا من فضائح مذهبهم بما لاحاجة الى التطويل به هنا فان قلت فقد روي : ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا وعن ابن عباس انه قال ان للقرآن ظهرا وبطنا قلت لم يصح ما روي عن النبيء صلى الله عليه وسلم بله المروي عن ابن عباس فمن هو المتصدي لروايته عنه ! على انهم ذكروا من بقية كلام ابن عباس انه قال : فظهره التلاوة وبطنه التاويل فقد اوضح مراده ان صح عنه بان الظهر هو اللفظ والبطن هو المعنى • ومن تفاسير الباطنية تفسير القاشاني وكثير من اقوالهم مبثوث في رسائل اخوان الصفاء • اما ما يتكلم به اهل الاشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لاتجري على الفاظ القرآن ظاهرا ولكن بتأويل ونحوه فينبغي ان تعلموا انهم ما كانوا يدعون ان كلامهم في ذلك تفسير للقرآن بل يعنون ان الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه وحسبكم في ذلك انهم سموها اشارات ولم يسموها معاني فبذلك فارق قولهم قول الباطنية ولعلماء الحق فيها مذهبان • فالغزالي يرى انها مقبولة قال في كتاب العلم من الاحياء : اذا قلنا في قوله صلى الله عليه وسلم « لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة » فهذا ظاهره واضح واشارته ان القلب بيت وهو مهبط الملائكة ومستقر آثارهم والصفات الرديئة كالغضب والشهوة والحسد والحقد والعجب كلاب نابحة في القلب فلا تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور الله لايقذفه في القلب الا بواسطة الملائكة فقلب كهذا لايقذف فيه النور . قال ولست اقول ان المراد من الحديث بلفظ البيت القلب وبالكلب الصفة المذمومة ولكن أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تغير الظاهر للباطن وبين التنبيه على البواطن من ذكر الظواهر فبهذه الدقيقة

فارق نزعة الباطنية ومثل هذا قريب من تفسير لفظ عام في آية بخاص من جزئياته كما وقع في كتاب المغازي من صحيح البخاري عن عمرو بن عطاء في قوله تعالى « الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا » قال هم كفار قريش ومحمد نعمة الله » واحلوا قومهم دار البوار » النار يوم بدر • وابن العربي في العواصم صرح بابطال هذه الاشارات كلها حتى انه بعد ان ذكر نحلة الباطنية وذكر رسائل اخوان الصفاء اطلق القول في ابطال ان يكون للقرآن باطن غير ظاهره وحتى انه بعد ان نوه بالثناء على الغزالي في تصديه للرد على الباطنية والفلاسفة قال « وقد كان ابو حامد بدرا في هالة الليالي • وعقدا في لبة المعالي • حتى اوغل في التصوف • واكثر معهم التصرف • فخرج عن الحقيقة وحاد في اكثر اقواله عن الطريقة •

وعندي انها لا تعدو واحدا من ثلاثة انحاء • الاول ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنى كما يقولون مثلا ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه• انه اشارة للقلوب لانها مواضع الخضوع لله تعالى اذ بها يعرف فتسجد له القلوب بفناء النفوس • ومنعها من ذكر اسمه هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية وسعي في خرابها بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى فهذا يشبه ضرب المثل لحال من لا يزكي نفسه بالمعرفة ويمنع قلبه ان تدخله صفات الكمال الناشئة عنها بحال مانع المساجد ان يذكر فيها اسم الله وذكر الآية عند تلك الحالة كالنطق بلفظ المثل في نحو . الصيف ضيعت اللبن . ومن هذا قولهم في حديث « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب » كما تقدم عن الغزالي. الثاني ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها الى السمع هو غير معناها المراد وذلك من باب إنصراف ذهن السامع الى ماهو المهم عنده والذي يجول به فكره وهذا كمن قال في قوله تعالى « من ذا الذي يشفع . من ذل ذي » اشارة للنفس يصير من المقربين الشفعاء فهذا ياخذ صدى موقع في السمع ويتاوله على ما شغل به قلبه ورأيت الشيخ محي الدين يسمي هذا النوع سماعا ولقد أبدع . الثالث عبر ومواعظ وشأن اهل النفوس اليقظى ان ينتفعوا من كل شيء ويأخذوا

الحكمة حيث وجدوها فما ظنك بهم اذا قرأوا القرآن وتدبروه فاتعظوا بمواعظه فاذا أخذوا من قوله تعالى « فعصى فرعون الرسول فأَخذناه أَخذا وبيلا » اقتبسوا ان القلب الذي لم يمتثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالا . ومن حكاياتهم في غير باب التفسير ان احداً مر برجل يقول لآخر : هذا العود لا ثمرة فيه فلم يبق صالحا الا للنار فجعل يبكي ويقول : اذاً فالقلب غير المثمر لا يصلح الا للنار . قالوا ورأى بعض الصوفية ثورين يمشيان فوقف احدهما يحك جلده فوقف الآخر فقال : هكذا تكون آداب الصحبة الى نحو ذلك . فنسبة الاشارة الى لفظ القرآن مجازية لانها انما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في حالة من الاحوال الثلاثة ولا ينتفع بها غير اولئك فلما كانت آيات القرآن قد أنارت تدبرهم وأثارت اعتبارهم نسبوا تلك الاشارة للاية فليست تلك الاشارة هي حق الدلالة اللفظية أو الاستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه كما قد تبين . وكل اشارة خرجت عن حد هذه الثلاثة الاحوال الى ما عداها فهي تقترب الى قول الباطنية رويداً رويداً الى أن تبلغ عين مقالاتهم وقد بصرناكم بالحد الفارق بينهما فاذا رأيتم اختلاطه فحققوا مناطه وفي ايديكم فيصل الحق فدونكم اختراطه . وليس من الاشارة ما يعرف في الاصول بدلالة الاشارة وفحوى الخطاب وفهم الاستغراق من لام التعريف في المقام الخطابي ودلالة التضمن و لالتزام . كما اخذ العلماء من تنبيهات القرآن استدلالا لمشرعية اشياء كاستدلالاهم على مشرعية الوكالة من قوله تعالى « فابعثوا احدكم بورقكم هذه » ومشروعية الضمان من قوله « و نا به زعيم » ومشروعية القياس من قوله « لتحكمَ بين الناس بما اراك الله » ولا ما هو بالمعنى المجازي نحو يا جبال اوبي معه . وقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين . ولا ما هو من تنزيل الحال منزلة المقال نحو وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم لان جميع هذا مما قامت فيه الدلالة العرفيّة مقام الوضعية واتحدت في إدراكه افهام اهل العربية فكان من المدلولات التبعية



الحديث الشريف

شرح حديث موسى والخضر المنشور نصه بالجزء الاول

بقلم العلامة الشيخ محمد البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة

-٣-

وقوله في الحديث : هو اعلم منك نلخص ما يتعلق به في مبحثين الاول في صفة الخضر عليه السلام من نبوة او غيرها والثاني في العلم الذي فضل به على رسول الله وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام . اما المبحث الاول فخلاصة القول فيه ان القاضي عياضا حكى اختلاف العلماء في نبوة الخضر وولايته ومن القائلين بنبوته كما في شرح النووي على صحيح مسلم القشيري وكثير من اهل العلم وعزاه القرطبي في تفسيره الى الجمهور وعلى ولايته اتفاق الصوفيه عدا الشيخ محيي الدين بن عربي . وحكاه الشيخ ابن المبارك في الابريز عن الشيخ الدباغ . وقيل انه ملك حكاه الماوردي قلت . وهو باطل قطعا ومن اظهر ما يرده ما جاء في حديث الباب « فمرت بهما سفينة فكلموهم ان يحملوهما فعرف الخضر فحملوهما بغير نول » وهل يعرف البشر الملائكة عليهم الصلاة والسلام الا ان يزيد هذا القائل الطين بلة بدعوى ان اهل السفينه ملائكة ايضا تصوروا بصورة البشر . ثم القائلون بنبوته اختلفوا في رسالته فيكون غاية ما فيه من الاقوال اربعة (١) انه نبي مرسل (٢) انه نبي غير مرسل (٣) انه ولي (٤) انه ملك . واجمع ما رايت في الاحتجاج لنبوته ما ذكره الرازي وحاصل قوله في ذلك يرجع الى ستة ادلة الاول قوله تعالى « آتيناه رحمة من عندنا » والرحمة هي النبوة لقوله تعالى « أهم يقسمون رحمة ربك » وقوله « وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك » والمراد من هذه الرحمة النبوة قال الرازي ولقائل ان يقول : نسلم ان كل نبوة رحمة

ولكن لا نسلم ان كل رحمة نبوة . قلت وهو كلام سديد ولو كانت كل رحمة نبوة لكانت النبوة في كل شيء فقد قال الله تعالى « ورحمتي وسعت كل شيء » وقال «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً » ولكان المؤمنون سألوا النبوة بسؤالهم الرحمة فيما حكاه الله عنهم بقوله « واعف عنا واغفر لنا وارحمنا » والحجج من هذا المعنى كثيرة. واني أرى ان من أكبر أسباب الغلط الذي يقع فيه بعض المفسرين أحياناً أن تجيء الكلمة في كتاب الله في آية من آياته لمعنى فيحملها من يحملها على ذلك المعنى حيثما وقعت . الدليل الثاني قوله تعالى « وعلمناه من لدنا علما » اذ هو يقتضي ان التعليم بدون واسطة معلم وذلك لا يكون الا بالوحي . ورد ايضا بان العلوم الضرورية تحصل ابتداء من عند الله وذلك لا يدل على النبوة . قلت . حكى الامام الرازي أثناء كلامه على هذه الآيات ان للغزالي رسالة في اثباته وددنا لو أتاح الله لنا الاطلاع عليها فوجدنا فيها ما يبرىء العلة . ويبرد الغلة . فالامام الغزالي من أهل العلم اللدني فيما نظن فهو يكتب ما يكتب عن وجدان . ويسطر ما يسطر عن مشاهدة وعيان . وقد يسر الله أن نرى فيه كلمات نافعة فدونكها وربنا الرحمان المستعان .

قال شيخ الاسلام الهروي في منازل السائرين في الكلام على تقسيم العلم إلى ثلاث درجات ما نصه : الدرجة الثالثة علم لدني إسناده وجوده وإدراكه عيانه ونعته حكمه ليس بينه وبين الغيب حجاب اهـ قال المحقق ابن القيم في شرحه : يشير القوم بالعلم اللدني الى ما حصل للعبد بغير واسطة بل الهام من الله تعالى وتعريف منه لعبده كما حصل للخضر عليه السلام بغير واسطة موسى قال الله تعالى « آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما » وفرق بين الرحمة والعلم وجعلهما من عنده ومن لدنه اذ لم ينلهما على يد بشر. وكأن من لدنه اخص وأقرب مما عنده. ولهذا قال تعالى « وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً » وهو نصره الذي أيده به . والذي من عنده نصره بالمؤمنين . قال تعالى « هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين » . والعلم اللدني ثمرة العبودية والمتابعة والصدق مع الله والاخلاص له وبذل

الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله من كتابه وسنة رسوله وكمال الانقياد له فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمر يخصه به كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس فقال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة . الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه . فهذا هو العلم اللدني الحقيقي . واما علم من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتقيد بهما فهو من لدن النفس والشيطان فهو لدني ولكن من لدن من ؟ وانما يعرف كون العلم لدنيا رحمانيا بموافقته لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل فالعلم اللدني نوعان . لدني رحماني . ولدني شيطاني والمحك هو الوحي ولا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . واما قصة الخضر مع موسى فالتعلق بها في جواز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر مخرج عن الاسلام موجب لاراقة الدم . والفرق ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ولو كان مأمورا بها لوجب عليه ان يهاجر مع موسى ويكون معه ولهذا قال له : انت موسى بني اسرائل . قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين برسالة عامة للجن والانس في كل زمان . فمن ادعى انه مع محمد صلى الله عليه وسلم كالخضر مع موسى او جوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه ويتشهد شهادة الحق فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اولياء الله وانما هو من اولياء الشيطان وخلفائه ونوابه . وهذا الموضع مقطع ومفرق بين زنادقة القوم وبين اهل الاستقامة منهم . الدليل الثالث . قول موسى عليه السلام هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا . والنبي لا يتبع غير النبي في التعليم قال الرازي وهذا ايضا ضعيف لان النبي لا يتبع غير النبي في العلوم التي صار باتباعها نبيا اما في غير تلك العلوم فلا . الرابع . ان ذلك العبد اظهر الترفع على موسى حيث قال له : وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . واما موسى فانه اظهر له التواضع حيث قال له لا عصي لك امرا وكل ذلك يدل على ان ذلك العالم كان فوق موسى ومن لا يكون نبيا لا يكون فوق النبي وهذا ايضا ضعيف لانه يجوز ان يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا تتوقف نبوته عليها . الخامس قوله في اثناء القصة « وما فعلته عن

امري » ومعناه فعلته بوحي من الله وهذا ايضا دليل ضعيف وضعفه ظاهر . قلت : ولعل وجه الضعف الذي يعنيه الرازي انه يجوز ان يكون فعله عن الهام ويشرحه ما جاء في الابريز ان الشيخ ابن المبارك قال للشيخ عبد العزيز : القائلون بنبوته يستدلون بقوله تعالى « وما فعلته عن امري » فقال والاولياء لايفعلون شيئا الا بامر الله وليس ذلك بنبوة ولا رسالة ... و لعله ينوي بامر الله الالهام ونحوه . ولكن الاولياء لايفعلون شيئا الهاما حتى يشهد له الشرع . والظن الذي يكاد يكون يقينا ان هذا مما لاتختلف الشرائع فيه

السادس ـ ما روي ان موسى عليه الصلاة والسلام لما وصل اليه قال السلام عليك قال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال موسى عليه السلام : من عرفك هذا ؟ قال : الذي بعثك الي . قالوا وهذا يدل على انه انما عرف ذلك بالوحي والوحي لا يكون الامع النبوة ... ولقائل ان يقول . لم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات والالهام . هذا ما اورده الامام الرازي من الادلة على نبوته . والذي يظهر لهذا العاجز ان أصح ما يتعلق به في نبوته قوله تعالى فيما حكاه عنه « وما فعلته عن امري » وكونه فعل ذلك عن الهام بعيد . فان الالهام ليس بحجة شرعية . واحتمال ان يكون حجة في الشريعة التي يتبعها الخضر حتى يتم القول بولايته بعيد . قال الشيخ الالوسي : والمنصور ما عليه الجمهور « اي من القول بولايته » وشواهده من الآيات والاخبار كثيرة وبمجموعها يكاد يحصل اليقين . ولله در الحافظ ابن حجر في اقتصاره على هذا الدليل ويليه قوة وظهورا خطاب الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام . اذ ليس هو خطاب واحد من آحاد البشر لكليم الله ورسوله . واما المبحث الثاني . فحاصل قولنا فيه ان الخضر عليه السلام اوحى الله في شأنه الى موسى صلى الله عليه وسلم انه أعلم منك . وليس ما ظهر في المسائل الثلاث هو غاية ما كان يعلمه الخضر لقوله صلى الله عليه السلام يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من امرهما . نعم ما ظهر من آيات علمه كان متعلقا بحقائق تلك الاشياء الثلاثة . ولم يكن موسى عليه الصلاة والسلام يعلم مثل ذلك ولذا كان ينكر على الخضر فعله وليس هو أعلم من موسى بكل شيء بدليل ما جاء في الحديث : يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه انت وانت على

علم علمكه الله لا اعامه . ولكن يبقى النظر بعد هذا في أي العلمين أفضل . قال شهاب الدين القرافي في الفرق الثالث عشر بعد المائة من فروقه المعقود لقاعدة التفضيل بين المعلومات : القاعدة العاشرة التفضيل بشرف المتعلق كتفضيل العلم المتعلق بذات الله تعلى وصفاته على غيره من العلوم وكتفضيل علم الفقه على الطب لتعلقه برسائل الله تعالى واحكامه انتهى المراد منه .

واذا كانت العلوم يفضل بعضها بعضا بشرف المتعلق وهي قضية ظاهرة معقولة فلننظر في متعلق علم موسى وعلم الخضر ايهما افضل . اما علم الخضر فقد تعلق بحقائق تلك الاشياء واما علم موسى فقد تعلق بظواهرها فحسب والتفاوت ظاهر بين ما تعلق بالظواهر وما تعلق بالحقائق ولكن هذا لا يثمر ان يكون الخضر أفضل من موسى . بل الذي يؤخذ من كتاب الله ان الفضل للكليم . ذلك ان الله أخبرنا في كتابه العزيز انه اصطفى موسى على الناس برسالته وبكلامه وانه كتب له في الالواح من كل شيء موعظة وتفضيلا لكل شيء وليس في كتاب الله تعالى إثبات شيء من هذا للخضر . واين المختلف في نبوته من المتفق على رسالته المعدود من اولي العزم من الرسل صلاة الله وتسليمه عليهم اجمعين . ثم ما انفرد الخضر بعلمه يقابله ما انفرد الكليم بعلمه حسبما اعترف به الخضر ونطق به الحديث .

وللشيخ عبد العزيز الدباغ كلام في هذا الموضوع نقله عنه الشيخ ابن المبارك في الابريز رايت من المناسب نقله واصله في تفضيل الولي العارف على الولي المكاشف قال : فالكبير يقوى في مشاهدة الحق سبحانه ويضعف في مشاهدة الخلق والصغير بالعكس . . . وعلى هذا يخرج ماوقع بين سيدنا الخضر وسيدنا موسى مما قصه الله تعالى في كتابه العزيز من امر السفينة والغلام والجدار فان علم ذلك انما غاب عن سيدنا موسى عليه السلام لانه في مشاهدة الحق فعدم علمه بذلك هو غاية الكمال ومثاله مع الخضر في ذلك كمثل عبدين للملك اما احدهما فجعله الملك جليساً له لا شغل له الا الوقوف بين يدي الملك اذا خرج خرج معه واذا دخل دخل معه واذا أكل أكل معه واذا شرب شرب معه واذا تحدث تحدث معه والعبد الآخر مكنه الملك من التصرف في رعيته فيخرج لرعيته وينفذ فيهم امر الملك ويتحدث معهم في امورهم وما يصلح احوالهم وربما غاب عن الملك الغيبة الطويلة لتنفيذ بعض الامور . فلا يشك ان العبد الاول اقرب الى الملك واعرف باسرار ذاته من الثاني اهـ باختصار

الفتاوى والاحكام

حكم ختان البالغ والمراهق

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط
المفتي المالكي والاستاذ بالجامع الاعظم

الحمد لله على هدايته وتوفيقه . والصلاة والسلام على رسوله الداعي الى الحق الموضح لطريقه . وعلى آله وصحبه الحافظين لدينه القائمين بنشره وتحقيقه .

وبعد فقد كان ورد علي من المجلة الزيتونية سؤال : فيما اقتضته فتوى فضيلة شيخ الازهر من جواز الختان للبالغين من الرجال. واستشكال ذلك بان الختان سنة وكشف العورة ممنوع. وعدم ارتكاب المحرم لفعل السنة مما اطبقت عليه كتب الاصول والفروع . فاجبت عنه بان نظر العورة للمصلحة مباح . ليس فيه من جناح . وألمعت الى ان الابي في شرح مسلم افصح به اي افصاح . فاثار هذا الجواب في بعض الاوساط العلمية لغطا . فتوقف بعض واعتقد اخر اني ارتكبت فيما اجبت غلطا . فراجعني بعض فضلاء الشيوخ المشهورين بالالمعية . ممن بيني وبينه اوثق الروابط الودية . وذكر لي ان الشيخ النفراوي في شرح الرسالة صرح بان البالغ يطلب منه الختان اذا قدر على مباشرته بنفسه والا سقط عنه الطلب لحرمة كشف عورته لغيره من الرجال . فاجبته بان اطباق علماء المذهب على الاطلاق في الطلب يقتضي رمي ذلك التقييد في فيافي الاهمال . ثم اطلعت بعد هذه المراجعة بـاربع ليال . على كتابة في جريدة الزهرة الغراء تحت عنوان حكم الختان بعد البلوغ جزم فيها صاحبها المفضال بصحة الاشكال . وبين ان الفتوى المدرجة في المجلة الزيتونية لا تصح بحال . اذ ما سطره العلماء النفراوي والصعيدي والصاوي بنادي على ما بها من الاخلال . وتعجب من الفتوى بغير ما جلبه من الانقال . وحق لهذا الفاضل ان يساوره العجب . اذ الكتب التي نقل منها تنظر الى الطلبة وينظرون اليها من كثب . فدعاني ذلك الى تحريك اليراع . واستبدال الاطناب بالايجاز والافصاح بالالماع . عسى ان اكشف عن المسالة القناع . بما يكون فيه لاخواننا الفضلاء وابنائنا الاعزاء ان شاء الله تمام الاقناع . وحررت في الغرض نظرات نافعة وشذرات من كلام الايمة جامعة لامعه . والله المسئول ان يعصمنا من الزلل . في القول والعمل . انه السميع المجيب

مقدمــة

ينبغي ان نصدر المسالة بمقدمة توضح المرام وترفع عن المسالة الابهام وهي ان الله تعالى وضع عنا في التكاليف لسابق لطفه وكامل رحمته الحرج الخارج عن المعتاد وهو الممتن علينا به في قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج وجعل، عروض هذا الحرج للتكاليف في بعض الاحوال مستتبعا للترخيص والتيسير واباحة ماهو محظور لولا العارض المذكور كالفطر في رمضان للمرض واكل الميتة للمضطر وبملاحظة هذه القاعدة الاصلية المسلمة نعلم ان الشارع لما كلف الناس بالاختتان كلفهم به على وجه لا يرهقهم فيه حرج خارج عن المعتاد في امثاله وذلك باباحة ان يتولى مباشرته غير المختتن وهو الختان اذ تكليف الانسان ان يباشر بيده ختن نفسه تكليف بمافيه حرج خارج عن المعتاد على ما يشهد به الوجدان فلا بدع اذا كان موردا للترخيص واباحة ختن الرجل غيره المستلزم الاطلاع على عورته ولا ينبغي ان يتوهم قصر الاباحة على ما قبل البلوغ ومراهقته لوجوه. الاول ان الشارع لما لم يجعل للختان غاية بسن محدود يسقط عنده الطلب علمنا انه مطلوب في جميع الاحوال لا يختص بما قبل البلوغ فلا يكون البلوغ موجبا للسقوط ولا مانعا من الترخيص الثاني امره صلى الله عليه وسلم الكافر الذي اسلم ولم يكن مختتنا بازالة شعر الكفر عنه والاختتان والحديث وان تكلم فيه من جهة السند لكن قد استدل به على وجوب الختان . الثالث ما روي عن سعيد ابن جبير قال سئل ابن عباس مثل من انت حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا يؤمئذ مختون وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك رواه البخاري والادراك البلوغ . الرابع ما ذكره الشيخ في النوادر قال روي ان ابراهيم ختن اسماعيل ابن ثلاث عشرة سنة واسحاق ابن سبعة ايام. الخامس نصوص ايمة المذاهب الشافعية والحنفية والمالكية فاما الشافعية القائلون بوجوب الختان فانهم لايسقطونه بحال ويرون ان وجوبه بعد البلوغ ويبيحون للرجل ان يختن غيره وان اطلع على عورته ففي شرح النووي على مسلم في كتاب الطهارة صفحة ١٤٨ من الطبعة المنيرية ج ٣ عند الكلام على حديث خمس من الفطرة ما نصه : اما تفصيلها فالختان واجب عند الشافعي وكثير من العلماء وسنة عند مالك واكثر العلماء وهو عند الشافعي واجب على الرجال والنساء جميعا والصحيح من مذهبنا الذي عليه جمهور اصحابنا ان الختان جائز في حال الصغر ليس بواجب ولنا وجه انه يجب على الولي ان يختن الصغير قبل بلوغه ووجه انه يحرم ختانه قبل عشر سنين واذا قلنا بالصحيح استحب ان يختن في اليوم السابع من ولادته ولو مات انسان غير مختون ففيه ثلاثة اوجه لاصحابنا الصحيح المشهور انه لا يختن صغيرا كان او كبيرا والثاني يختن الكبير دون الصغير اه فقد رايت مما جلبناه ان الشافعية يرون وجوبه بعد

البلوغ واما في حال الصغر فهو جائز لا واجب على الصحيح المشهور وان من مات غير مختتن فيه ثلاثة اقوال عندهم قيل يختن مطلقا صغيرا كان او كبيرا وقيل يختن الكبير خاصة وقيل يسقط الختان مطلقا بعد الموت وهو المشهور عندهم وهل يكون الختن بعد الموت الا من غير الميت وهل يكون الكبير الا بالغا على ان ابن شريح من أيمة الشافعية احتج لوجوبه بان النظر للعورة مباح وقد ابيح للخاتن فلولا ان الختان واجب لم يبح له محرم نقل ذلك عنه القاضي عياض ونقله الابي في شرح مسلم في شرح احاديث خصال الفطرة في صفحة ٣٥ من الجزء الثاني وهو نص فيما ذكرناه

واما الحنفية ففي حاشية الشيخ ابن عابدين على الدر المختار صفحة ٢٤٩ من الجزء الثالث في باب الشهادة على الزنا والرجوع عنها عند قول الشارح وان قال شهود الزنا تعمدنا النظر قبلت لاباحته لتحمل الشهادة ما نصه قوله لاباحته لتحمل الشهادة ومثله نظر القابلة والخافضة والختان والطبيب وزاد في الخلاصة من مواضع حل النظر للعورة عند الحاجة الاحتقان والبكارة في العنة والرد بالعيب اه فتح قلت وكذا لو ادعى الزاني بكارتها ونظمتها بقولي

ولا تنظر لعورة اجنبي بلا عذر كقابلة طبيب
وختان وخافضة وحقن شهود زنا بلاقصد مريب
وعلم بكارة في عنة او زنا او حين رد للمعيب

وفي الحاشية المذكورة صفحة ٣٦٥ من الجزء الخامس في فصل في النظر والمس عند قوله الشارح وكذا نظر قابلة وختان ما نصه قوله وختان كذا جزم به في الهداية والخانية وغيرهما وقيل ان الاختتان ليس بضرورة لانه يمكنه ان يتزوج امراة اويشتري امة تختنه ان لم يمكنه ان يختن نفسه وذكر في الهداية الخافضة ايضا لان الختان سنة للرجال من جملة الفطرة لايمكن تركها وهي مكرمة في حق النساء ايضا كما في الكفاية اه فانت ترى تصريحه بعدم امكان ترك الختان وتشهيره جواز نظر العورة لاجله

واما المالكية ففي النوادر للشيخ ابن ابي زيد ما نصه من سماع ابن وهب قال مالك الختان من الفطرة ولا ارى ان يختن المولود يوم السابع فانما ذلك من عمل اليهود ولم يكن من عمل الناس الا حديثا قال عنه اشهب ليس لختانه حد ينتهي اليه واحب الي اذا اثغر وان عجل قبل ذلك فلا بأس وكلما جعل ختانه بعد الاثغار فهو احسن الي اه فمقتضى رواية اشهب عن مالك ليس لختانه حد ينتهي اليه انه لايسقط بالبلوغ وعجز البالغ عن مباشرة الختن بنفسه وفي الرسالة والختان سنة في الذكور واجبة اه فاطلق ولم يقيد السنية بما قبل البلوغ وفي مختصر الشيخ ابن عرفة ما نصه والختان للذكور. الجلاب سنة . التلقين واجب بالسنة غير فرض ولم يحك المازرى غيره . الرسالة سنة واجبة . الصقلي سنة

مؤكدة وروى ابن حبيب هو من الفطرة لاتجوز امامة تاركه اختيارا ولا شهادته. الباجي لانها تبطل بترك المروءة ولو اسلم شيخ كبير يخاف على نفسه منه ففي تركه ولزومه نقلا ابي عمرو عن ابن عبد الحكم وسحنون قائلا أرايت ان وجب قطع سرقة أيترك للخوف على نفسه ولم يحك الباجي غير قول سحنون دون هذه المقالة قائلا مقتضاه تاكد وجوبه قلت في قطعه للسرقة مع الخوف على نفسه نظر واذا اسقط قصاص المامومة للخوف فاحرى القطع لحديث تدرأ الحدود بالشبهات ويكون كمن سرق ولا بد له يؤدب بما يليق ويطلق اهـ كلام ابن عرفة فقد رأيت نقله في الشيخ الكبير اذا اسلم وخاف على نفسه الهلاك قولين اولهما لمحمد بن عبد الحكم اباحة ترك الختان لذلك ثانيهما لسحنون عدم اباحة الترك للخوف على النفس وهو ظاهر في انه مطلوب بالختان اذا لم يخف على نفسه الهلاك اتفاقا ولم يتعرضوا لكون العجز عن مباشرته ختن نفسه موجبا للسقوط مع ان هذه الصورة اقرب الى الوقوع مما تعرضوا اليه وقد نقل ابن ناجي في شرحيه على المدونة والرسالة وجماعة من شراح المختصر الخليلي وشراح الرسالة القولين اللذين ذكرهما ابن عرفة ولم يقيد وهما بشيء ولاقيدوا مفهوميهما وفي شرح الحطاب للمختصر الخليلي عند قول خليل وختانه يومها ما نصه فاما وقت استحباب الختان فقال في المقدمات من سبع سنين الى عشر وذكره ابن عرفة ايضا من رواية ابن حبيب ونصه روى ابن حبيب كراهته يوم الولادة او سابعه لفعل اليهود الا لعلة يخاف على الصبي فلا باس واستحبابه من سبع سنين الى عشر وروى اللخمي يختن يوم يطيقه. الباجي اختار مالك وقت الاثغار وقيل عنه من سبع الى عشر وكلما عجل بعد الاثغار فهو احب الي اهـ وقال في جامع الكافي ولا حد في وقته الا انه قبل الاحتلام واذا اثغر فحسن ان ينظر له في ذلك ولا ينبغي ان يجاوز عشر سنين الا وهو مختون اهـ وقال في المقدمات ويستحب ختان الصبي اذا امر بالصلاة من سبع سنين الى العشر ويكره ان يختن في سابع ولادته كما يفعله اليهود اهـ ما نقله الحطاب وهو ظاهر في ان الطلب لايسقط بالبلوغ لان ما نقله في وقت الاستحباب وهو معنى قول الكافي ولاحد في وقته الا انه قبل الاحتلام اي لاحد في وقته المستحب الا انه قبل الاحتلام ولذا قال ولا ينبغي ان يجاوز عشر سنين اى ذلك مكروه او خلاف الاولى. وقد علمت مما جلبناه من الانقال ان اهل المذهب اطبقوا على اطلاق طلب الختان ولم يقيدوه بسن ولا قيدوا الطلب بعد البلوغ بالقدرة على مباشرته الختن بنفسه فعلم ان الاطلاق مقصود لهم ولا يصح التقييد حينئذ وقد راجعنا من شروح المختصر الخليلي الشرح الكبير لبهرام وشرح المواق وشرح الحطاب وشرح التتائي وشرح الاجهوري وشرح الخرشي وشرح الشبرخيتي وشرح الزرقاني وحاشية البناني عليه وحاشيتي الرهوني وقنون عليه فوجدنا جميع هؤلاء اطلق المسالة ولم يقيدها بشيء

وراجعنا من شروح الرسالة شرح ابن ناجي والقلشاني والتتائي والاجهوري والشيخ زروق فوجدناها مثل ما في شراح المختصر مطلقة غير مقيدة طلب الختان من الكبير بالقدرة على مباشرته الختن بنفسه وانما وجدنا تقييد طلب الختان بعد البلوغ بما اذا قدر المكلف ان يباشره بنفسه والا سقط الطلب لبعض المتاخرين من المصريين اعني الشيخ ابا الحسن شارح الرسالة فيما نقله عنه الشيخ الصعيدي في حاشية الكفاية والشيخ النفراوي في شرح الرسالة والشيخ الصاوي في حاشية اقرب المسالك ولم يستظهر هؤلاء الفضلاء فيما ذهبوا اليه بنقل يمكن التعويل عليه وهؤلاء من الفقهاء الذين لا يصح ان يفتى بما قالوه وانما يفتى بما نقلوه فاما الشيخ ابو الحسن فانت ترى انه استند في تفقهه الى ان السنة تترك للمحرم ولم ينتبه الى ان الموضع موضع ترخص كما اوضحناه في صدر المقال وعززناه بما رواه سعيد ابن جبير عن ابن عباس وبما ذكره الشيخ في النوادر ان ابراهيم عليه السلام ختن ابنه اسماعيل وهو ابن ثلاث عشرة سنة وهو في هذا السن مراهق دون ارتياب والمراهق مثل البالغ في حرمة الاطلاع على عورته لغير ضرورة عند المالكية كما للخمي وعند الحنفية كما في الدر المختار ووشحناه بنظر علماء الشافعية والحنفية وباعراض علماء المالكية عن اعتبار ما ذهب اليه باهمالهم له واغفالهم اياه ومما يؤيد سقوط ما ذهب اليه الشيخ ابو الحسن انتزاعا من القواعد العامة ان الابي ذكر في شرح مسلم ما نصه : عياض والختان قال مالك والاكثر هو سنة لهذا الحديث ولما روي انه قال الختان سنه واوجبه الشافعي وهو مقتضى قول سحنون واحتج ابن شريح للشافعي بان النظر للعوْرة مباح وقد ابيح للخاتن فلولا ان الختان واجب لم يبح له محرم ويجاب بانه ابيح ذلك للطبيب وليس الطب بواجب مع ان الطب لمصلحة الجسم والختان لمصلحة الدين اه فالقاضي عياض سلم ما ذكره ابن شريح من اباحة نظر العورة للخاتن ونازع في دلالة ذلك على الوجوب ولو كان النظر للعورة هنا غير مباح لمنع ما استدل به ابن شريح

واما الشيخ النفراوي فقد التبس عليه فهم كلام ابن ناجي وذلك ان الشيخ ابن ناجي ذكر في شرحيه على المدونة والرسالة ما نصه قال الفاكهاني هل يختتن الخنثى المشكل ام لا واذا قلنا يختتن ففي اي الفرجين او فيهما جميعا لم ار في ذلك لاصحابنا نقلا واختلف اصحاب الشافعي فقيل يجب ختانه في فرجيه بعد البلوغ وقيل لا يجوز حتى يتبين وهو الاظهر عندهم قلت الحق انه لا يختن لما علمت من تغليب قاعدة الحظر على الاباحة ومسائله تدل على ذلك قال ابن حبيب لا ينكح الخنثى ولا ينكح وفي بعض التعاليق ولا يحج الا مع ذي محرم لا مع جماعة رجال فقط ولا مع نساء فقط الى غير ذلك من مسائله ففهم الشيخ النفراوي ان معنى تغليب الحظر على الاباحة ان الختان سنة والنظر لعورة الكبير

المراهق او البالغ حرام ولا يرتكب محرم لفعل سنة وليس مراد ابن ناجي ذلك قطعا والا لقال لتغليب قاعدة الحظر على السنية وانما مراده ما ذكره الزرقاني بعد ان نقل كلام ابن ناجي السالف ونصه واعل وجه الحظر ان الذكر يختنه الرجال والانثى يخفضها النساء والخنثى ان اطلع عليه ذكر لزم رؤيته لفرج النساء وان اطلع عليه انثى لزم رؤيتها لذكر الرجال اهـ فكلام الزرقاني ظاهر او صريح في ان رؤية الخاتن لعورة المختون مباحة بشرط ان يكون الخاتن مساويا للمختون ذكورة وانوثة ممنوعة اذا اختلفا فيها فتردد الامر هنا بين الرؤية المباحة والمحظورة فغلب الحظر على القاعدة ومن هنا اعترض البناني كلام ابن ناجي بانه بقيت صورة يمكن فيها ختن الخنثى ولا يتعارض فيها الحظر والاباحة وهي ختنه رضيعا اذ يجوز في هذه الحالة رؤية الرجال والنساء لعورته فكتب على قول ابن ناجي الذي نقله الزرقاني ما نصه قوله عن ابن ناجي لا يختن لما علم من قاعدة تغليب الحظر على الاباحة الخ فيه نظر بل لا حظر فيه بجواز نظر كل اليه رضيعا اهـ وقد وضح لذي عينين فساد ما فهمه الشيخ النفراوي وبنى عليه قوله ويظهر لي انه يؤمر بختن نفسه لان المكلف مأمور بفعل ما يكمل به اسلامه وما علقناه على كلام الشيخين ابي الحسن والنفراوي يقال مثله في كلام الشيخ الصاوي وكاني بك ايها الناظر وقد احطت بالمسألة خبرا توسعنا في الاعراض عما ذكره هؤلاء الشيوخ عذرا ان لم تمنحنا على ذلك شكرا والله اسال ان يفتح بصائرنا بمعرفة الحق واتباع طريقه ويعصمنا من الخطل والزلل بمنه وتوفيقه وحرره الفقير الى ربه عبده محمد العزيز جعيط المفتى المالكي لطف الله به

سؤال وجوابه

ورد على ادارة المجلة السؤال الآتي :

(س) من المعلوم عند الناس ان الانسان مخلوق من الطين والجن مخلوق من النار وكثيرا ما نرى الانسان يغمى عليه ويصرع من الجن وياتي ءاخر فيقول اخرج من اصبعه او من انفه ولا يـاتيه شيء من النار (١) فما هو الجواب

(ج) ذهب بعض الفلاسفة الى انكار حلول الجني في الانسي ومسه له وعللوا ذلك بان الجن مخلوق من النار والانس من الطين فلو مسه الجني او دخل فيه لاحرقه . وتبعهم في ذلك المعتزلة ولهذا قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى « لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » وتخبط

(١) الظاهر ان مقصود السائل التعجب من مماسة الجني للادمي مع عدم احتراقه به والحال ان الجني مخلوق من النار والشأن ان النار اذا ماست الطين احرقته

الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع . والمس الجنون ورجل به مس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه فيختلط عقله ولهم في الجن قصص واخبار وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات اه والذي عليه اهل السنة والجماعة وهو معتقد السلف كما قال ابن المنير ان ذلك جائز وواقع وقد اشتهر اشتهارا لا مرد له وظواهر الشرع الكثيرة تشهد له فمن ذلك الآية المتقدمة وحديث الصحيحين ما من مولود يولد الا ويمسه الشيطان حين الولادة فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها . وقال الزمخشري في هذا الحديث الله اعلم بصحته وان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين منه وكذلك كل من كان على صفتهما واما ارادة المس باليد كما يتوهم اهل الحشو فكلا . ولو سلط ابليس على الناس يمسهم وينخسهم بيده لامتلات الدنيا صراخا وعياطا اه قال الشهاب الخفاجي اما تردده في صحة الحديث وقد رواه البخاري ومسلم فظاهر البطلان وتفسيره للمس بالطمع في الاغواء خروج عن الظاهر وقوله ولو سلط ابليس على الناس يمسهم بيده لامتلات الدنيا صراخا وعياطا مردود بانه لا يلزم من تمكنه حين الولادة تمكنه في كل وقت اه باختصار على ان الحديث روي برواية اخرى للبخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه . كل بني ءادم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب . اي الجلدة التي فيها الجنين . وظاهر استبعاد التأويل المذكور فيها . ومن ذلك حديث جابر رضي الله عنه اذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر حينئذ فاذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم واغلق بابك واذكر اسم الله وأوك سقاءك واذكر اسم الله الحديث رواه البخاري وروي ايضا عن صفية بنت حيي رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم .

والاثار في هذا الباب كثيرة وتاويلها مع كثرتها خروج عن الظاهر لغير داع . ودعوى ان الجني مخلوق من نار فلو مس الادمي لاحرقه اجيب عنها بان الجني قد تطور حتى زالت عنه صفة النارية كما تطور الانسان المخلوق من طين الى اطوار حتى زالت صفة الطينية . هذا ومن الغريب ما قاله امام الحرمين في كتابه الشامل ان للمعتزلة ينكرون وجود الجن اصلا وليس العجب من الملاحدة والزنادقة الذين ينكرون وجوده وانما العجب من طوائف تنتسب الى الاسلام كالقدرية تنكره مع تواتر الادلة الناطقة بوجوده اه والمشهور ما قدمناه . والله اعلم

محمد الحطاب بوشناق

الاسلام منقذ البشريـة

ومركبها الى شاطيء النجاة

بقلم الحقوقي البارع السيد المهدي بن الناصر المحامي بتونس

– ٢ –

قد ظهر مما سبق أن الاسلام دين المجتمع بحق : اتجه صوب العقيدة ذات السلطان الروحاني على العقل فوحد إتجاهها الى اله واحد مكون الكائنات (لا اله الا هو العزيز الجبار) وطهرها من وعبادة الاوثان والتعلق بالاوهام الزائفة ـ وحصن الانفس المؤمنة من الفواحش والمناكر ادران الشرك بحصن عبادة تتكرر بين لحظات الليل والنهار خمسا (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ـ (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) مع ما يترتب عليها من الفوائد الروحية والصحية « طهر روحاني وجثماني ورياضة » ـ وشرك على سبيل الوجوب الفرضي الفقراء والمساكين ومن اليهم في رؤوس اموال الاغنياء يؤتون انصبتهم عن طيب نفس وايمان راسخ وجعل ايتاء المال اعانة لمن لذعهم الفقر بنابه من مراتب البر العالية « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة » ـ ووطد المؤمنين على تحمل مشاق الجوع شهرا في السنة لتتذوق منهم الانفس الشرهــة ألم ما يقاسيه من الجـوع من مسه من اخوانهم المؤمنين فقر مدقع فتجتث تحت عوامل الروح الصمدانية اصول الشراهة وتحل محلها القناعة والرحمة والشفقة والحنان « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) ـ وفرض على من استطاع من المسلمين الحضـور ولو مرة واحدة في العمر لمؤتمر اسلامي عام يقام سنويا في البقاع المقدسة فيه تتعـارف العناصر الاسلامية على اختلاف بيئاتها وتباين السنتها والوانها وتباعد اوكارها من الشرق الاقصى الى تخوم اروبا وشواطي الاطلنتيك وجزر الاقيانوس . يقفون في صعيد واحد متجردين من الحلي والمزركشـات لا فـرق بين امير وصعلوك تجمعهم جامعة واحدة هي الاسلام وينادون بكلمة واحدة لبيك اللهم لبيك ويطوفون حول محور واحد هي الكعبة ويقبلون حجرا واحدا هو الاسود ويزورون روضة واحـدة هي

الاحمدية وفي هذا ما فيه من آيات الوحدة الاسلامية وربط اواصر امم ببعضها ربطا محكما فهذا المؤتمر السنوي العام مضت عليه ثلاثة عشر قرنا ونصف لم يتعطل انعقاده ولن يتعطل فبين مسعاه ومطافه تتجدد روح الاخوة سنويا « انما المؤمنون اخوة » وعلى قمة عرفاته المقدسة تتراءى في هيكل نوراني خطبته (صلعم) في حجة الوداع ومنها « تعلمن ان المسلم اخ للمسلم وان المسلمين اخوة »

فهذا الدين القويم قد عمد الى الاخلاق الفردية وقعد لها من قواعد الاخلاق الشماء ما يسمو بها الى اوج الكمال. اوجب عليها الرحمة والشفقة والحنان والعدل وحرمة الغير في ذاته وماله ومسكنه والنهي عن المنكر والامر بالمعروف والصدق والوفاء والبعد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن الخ اما الاخلاق العامة والروابط الاجتماعية والسياسية وما اليها من الانظمة فلها دستور غاية في الاتقان يجاري كل عصر ويبز أرقى الحضارات واسمى المدنيات وتتضاءل دون سموه واحكامه ما ابتكره الفكر البشري من الانظمة ولنأخذ لهذا دليلا ومثلا :

تمخض القرن العشرون بعد الحرب الكبرى عن مؤسسة امية عدوها معجزة هذا القرن والتأم تحت لوائها ما يزيد عن الستين دولة من اكبر الدول الى اصغرها والغرض منها فصل المشاكل التي تعرض اليها عند تصادم منافعها حتى لا تشب بينهم حرب تأتي على الاخضر واليابس وتعيد الى مرسح العالم كارثة عام ١٩١٤ فقيل حيى على خير عمل انساني وقال من له تعمق في اصول الاخلاق الاممية لن يتم منها شيء ولا يجني منها العالم اية فائدة فصح هذا القول وتحقق هذا التنبؤ وادل مايدل عليه كارثة الشرق الافريقي بين عضوين من اعضائها وخيبة مؤتمرات نزع السلاح التي حلت محلها المسابقة في التسليح والسبب في هذا الخذلان الاجتماعي هو فقدان روح دينية تسيطر عليها كالاسلام

فهذا الاس الذي اخترعته افكار الساسة في القرن العشرين بصورة مشوهة هو مبدأ اجتماعي اسلامي نزل به الوحي من ثلاثة عشر قرنا ونصف لكن بصورة هي المتانة والحكمة البالغة فاذا ما تناجرت امتان من الامم الاسلامية واشتعلت بينهما نار الحرب لسبب من الاسباب فيجب وجوبا حتميا على كافة الامم الاسلامية التداخل بينهما بالصلح فان تم فان الله غفور رحيم وان بغت احداهما على الاخرى ولم تنصاع الى الصلح فتتألب عليها كافة الامم الاسلامية وتقاتلها وجوبا الى ان تفيء الى امر الله فيقع بينهما الصلح بالعدل قال جل شانه (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) فترى ان الاسلام اوجب على اممه في هاته الحالة الشاذة بصيغة الامر (فأصلحوا فقاتلوا) التداخل في الصلح اولا وان لم ترعو الباغية فانها تقاتل من كافتهم

حتى تخضع لسلطان السيف البتار وعندها يعقد بينهما صلح عادل ـ فلو جرت جمعية جنيف على هذا المبدإ السماوي ونفذته قدما بقدم وشبرا بشبر لما تضعضع كيانها وانفرط عقد وحداتها الواحـدة تلو الاخرى ولما تناحر اعضاؤها تحت ضوئها وهى شاهمة

فالاسلام مبدؤه العام ربط كافة عناصره بروح واحدة هي الاخوة المنتجة للتعـاون في دائـرة الصالح العام بحيث كونهم اسرة واحدة تعمل لصالح واحد وما تألم منهم عضو الا عم الالم الجميع كما ان من مباديه قطع الاعضاء الفاسدة ولو بلغت النسبة الى الثلثين حتى لا يعم الفساد باقي الجثمان

ولو ان الساسة واساطين الاخلاق في العالم الغربي نحوا صوب المبادي الاسلامية لارتوى منهم الغليل ولكانت لهم الضالة المنشودة والدواء الانجع لكن ما هم ببالغيها ما لم يصدر اليهم من ابنائها تبليغا فتحمل اليهم صقيلة المرآة كما نزلت وبلغها الامين (صلعم) ونفذها وجرى على قدمه الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم ومن نحا نحوهم من خلفائهم فأنتج ايما انتاج في فجر الاسلام وضحـاه لا كما عليه اهلوه اليوم من تشويه بشوائب البدع التي يجب على رجال الاصلاح الديني محاربتها بتوجيه تيار كهرباء اشعة الاسلام صوب برك جراثيمها فتحرق وتذرو رمادها هوج العواصف في البيد المطلة يجب ان يوجه نور الاسلام الاسطع الى ضبابها الاقتم فتتبخر ذراته يحملها الاثير على اجنحة الفضاء الى عالم ما وراء المادة. وهذا التبليغ لا يكون بالمعنى الاتم الا اذا كان بلسان القوم وقد كان (صلعم) يخاطب كل قوم بما يفهمون (حسبما ذلك مصرح به في الشفاء) لان لهجات قبائل العرب كانت متباثنة في كثير من مفرداتها (الامر الذي ادى الى اتساع نطاق اللغة عند جمعها) ومن معجزاته (صلعم) الاحاطة بالكل وهو قريشي المنبت والبيئـة والنسب وبما ان رجال الاصلاح منا ملزمون بالتبليـغ فليكن بالطريقة الموصلة . وهذا ما حدا بالازهر الى تلقين ناشئته ورسل تبشيره كافة اللغات الحيـة ليحملوا بها صحف الرسالة المحمدية الى اطراف المعمور المظلم خلقيا والمتدهور اجتماعيا والمتصادم سياسيا فتضيء لرجال اصلاحه طرق العلاج وتفتح امام اعينهم كنوز الاسلام الثرية ولا بد ان ياتي يوم يعم فيه نور الاسلام اقطـار العالم المادي وما هذا التدلي العام والتبلبل الاجتماعي وكـدح الساسة ورجـال الاخلاق وراء ايجـاد ادوية ناجعة ونهضة الشرق الاصلاحية الدينية الا ظاهرة من مقدمـات ذلك اليوم ـ يوم يرفع فيه علم الاسلام خفـاقا على ربى الغرب والشرق الاقصـى والدنيـا الجديدة وينـادي منـاديه في الآفـاق بالصوت عـاليا مرتلا آية ختم الفرقـان (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) . فهـذا ما حدا بي الى التهجم على طرق هذا الموضـوع الجليل وان كنت لست من فرســان ميدانه عساي ان افتح مجـالا يتبارى فيه رجال الاصـلاح والدين حتى يتضح للملأ العالمـي ان الاسلام هو المركب الوحيد لتبليغهم الى شاطيء النجـاة والسلامة وبهـذا التمهيد قد صدرت وعلى الله الاتكال (يتبع) محمد المهدي بن الناصر

الأخلاق

ومبلغ عناية الشارع بها

- ٢ -

ذكرنا في العدد الماضي مبلغ عناية الشريعة بالاخلاق وانها لاحظتها فيماشرعته مما يتعلق باصول العقيدة . ولنتعرض الآن لبيان مقدار ارتباطها بانواع العبادات التي فرضتها على المسلم فنقول والله الموفق :

فرضت الشريعة الاسلامية على المؤمنين انواعا من الطاعات وجعلتها مبنى للدين واساسا لما وراءها من تعاليمه وعدت القائم بها مسلما كاملا ووسمته بسيماء الفلاح الذي هو عنوان الاستقامة والنجاح . وهاته الطاعات منها ما يحدد العلاقة التي بين العبد ومولاه ويعرفه طريقة مناجاته والوقوف بين يديه بحالة مرضية لديه مفكرا فيما اسدى له من نعم لا تحصى واسبغ عليه من الطاف حافة به آناء الليل واطراف النهار ذاكرا شاكرا معظما مكبرا خاضعا لربه مستسلما معتبرا تاليا كلامه القديم الذي نزله على خلقه ليتدبروا معانيه ويتفهموا مبانيه ويسترشدوا بمراشده ويقفوا عند حدوده ومواعظه يفتتح هاته الاعمال بكلمة التكبير وما ادراك ما كلمة التكبير كلمة التكبير « الله اكبر » الله اكبر راس الايمان . الله اكبر كمال الانسان . الله اكبر تحرير الانسان من عبودية اخيه الانسان . الله اكبر احتقار لشأن كل مخلوق أمام عظمة الخالق . الله اكبر تترجم عن حقيقة العبودية لله وحده . ثم يردفها بالقراءة قراءة الفاتحة فاتحة الكتاب ام القرآن والسبع المثاني . حمد الله والثناء عليه بما هو اهله فهو الرب الموجد للعالمين ثم الذي يمدهم بما يحتاجون اليه في كل وقت وحين مما به قوام حياتهم ونماؤهم فبرحمة منه وفضل وهو الرحمان الرحيم ثم خلقهم على اكمل الحالات متوفرة لديهم اسباب الكمال مفتحة امامهم ابواب السعادات خلق الانسان وجعل له لسانا وشفتين وجعل له السمع والبصر واليد والرجل ومن وراء ذلك هداه بالعقل لاستجلاب ما ينفعه ودرء كل ما يضره او يعطبه فأعظم به من اله كريم ورب رحيم مالك يوم الدين يوم توفى فيه كل نفس حقها ولا يظلم ربك

يومئذ احدا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا . حتى اذا وقف عند هذا الحد من القراءة توجه الى الله مخاطبا اياه بما قصده من ايقاع هذه العبادة « اياك نعبد واياك نستعين » فانصرف بكليته اليه . مستعينا به متوكلا عليه . وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين افرده بطلب المعونة ولا حول لغيره ولا قوة فهو المعين المأمول وبدون اعانته لا يتم لك شيء ولو حاولته الى يوم ينفخ في الصور ثم ختمت هذه المناجاة بالدعاء الذي هو مخ الاستسلام والعبادة فطلبت منه الهداية للطريق الاقوم والسبيل الاشد وذلك يفتح ابواب الخير لديك ويسهل طريق الوصول عليك حتى اذا ما ختمت هذه الفاتحة اردفتها باختها من آي الذكر الحكيم ثم ركعت وخضعت ونزهت معبودك ما استطعت . ثم بالغت في هذا الخنوع الى درجة وضع اشرف شيء عندك موضع الامتهان ودوس الارجل « وفي الحديث الصلاة تبأس تمسكن » مبالغة في معنى التعظيم والاجلال واظهار الحاجة للكبير المتعال . هذه هي الصلاة . الصلاة مناجاة الرب . الصلاة قرة عين الرسول . الصلاة طهارة الجسد والروح . الصلاة التي جاء في وصفها انها تنهى عن الفحشاء والمنكر اليس من يقف امام خالقه ومبدعه . بارئه ومربيه ممتلئة نفسه بهذه المعاني السامية مستشعرا في قرارة روحه مفصل ما اجملنا في هذه الاسطر حقيقا بان يبتعد عن كل فحش ومنكر ويتنزه عما من شانه أنه لا يليق بحال من يقف خمس مرات في اليوم بين يدي من لا يخفى عليه من امره شيء وانه محاسبه وسائله عن كل عمل ياتيه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم . عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ارأيتم لو ان نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه « اي وسخه » قالوا لا يبقي من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا فلينظر المصلون اليوم الى صلاتهم من هذه النافذة وليزنوها بهذا الميزان ليعلموا انهم مقيمونها على وجهها او انها تقام شبحا بدون روح وحركات خالية من المعنى التي اقيمت من اجله وليعلموا بان هذا هو السبب في ان صلاتهم لم تنههم عن فواحشهم وما هم غارقون فيه من المناكر وبهذا يفسر قوله عليه الصلاة والسلام للاعرابي الذي دخل المسجد فصلى فاخذ ينقر بصلاته نقر الديك : قم فصل فانك لم تصل « ثلاثا » لان الصلاة اذا كانت اشبه بنقر الديكة وكانت خالية من الاطمئنان اللازم للخاشع المتدبر كانت افعالا جوفاء ليس فيها من معنى العبادة كثير ولا قليل ولا يستحق صاحبها من وصف الطاعة وزن فتيل . وربما يقال للقائم بها انك اتعبت نفسك بدون كبير جدوى . ولا اصبت في فعلتك الهدف الاسمى . وفي البخاري عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : ان احدكم اذا صلى يناجي ربه عز وجل قال شارحه القسطلاني واعلم انه لاتتحقق المناجاة الا اذا كان اللسان معبرا عما في القلب ولا ريب ان المقصود من القراءة والاذكار مناجاته تبارك وتعالى

فاذا كان القلب محجوبا بحجاب الغفلة غافلا عن جلال الله عز وجل وكبريائه وكان اللسان يتحرك بحكم العادة فما ابعد ذلك عن القبول . وعن بشر الحافي مما نقله الغزالي من لم يخشع فسدت صلاته. وعن الحسن رحمة الله عليه كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع . سلمنا ان الفقهاء صححوها فهلا يأخذ بالاحتياط ليذوق لذة المناجاة اه وقد عد ايمتنا الحنفية الاطمئنان « وهو التعديل في الاركان اي تتميمها وتكميلها » من واجبات الصلاة وحكم الواجب عندنا استحقاق العقاب بتركه عمدا وان كان دون عقاب ترك الفرض مع عدم اكفار جاحده وقالوا فيمن ترك الاطمئنان في الصلاة : بلزوم سجود السهوان تركه سهوا واعادتها ما دام الوقت بتركه عمدا وان لم يعدها حتى خرج الوقت تسقط عن الذمة مع النقصان وكراهة التحريم ويعد فاسقا ءاثما وكذا الحكم في كل صلاة أديت مع كراهة التحريم

ومما يحسن التنبيه عليه في هذا المقام ويظهر مما قررناه انه من الخطأ الفاحش وضلال الاوهام رأي من يقول ان الصلاة لم تقصد لذاتها وانما المراد كونها ذريعة للتذكر بذات الاله والاستشعار بوجوده والتفكر بكمالاته والتنزه في بحر ملكوته وتقديسه وتمجيده وتنزيهه وتحميده قياما بواجب شكر المنعم والاعتراف به وبانعامه وهذا اذا حصل من العبد مباشرة بتوجه قلبه وروحه فلا حاجة لاقامتها بالجوارح الحسية وتنظيم ادائها على الكيفية المتعارفة الخارجية ، وبطلان هذا القول بديهي لان العباد وان كانت ارواحهم هي المقصودة بالعبادة والتكليف واستشعار هذه المعاني مقصود من الصلاة لا محالة لكنهم لم يخلقوا نورا مجردا حتى يلحقوا بالاصناف الذين عبادتهم معنوية محضة فان الارواح محجوبة وقد غطى عليها الجسم المادي بحجاب من الغفلة اي حجاب فلا بد من عمل الظاهر والباطن وفي حركة الظاهر تنبيه الباطن من سنة الغفلة والنسيان فجعلت هاته الاعمال الخارجية تحريكا للنفس وايقاضا لها وانشاطا لها من عقالها ولولاها لغرقت النفس الانسانية في اعماق بحور الذهول والطغيان ولتراكمت عليها ادران المادة الكثيفة حتى لا يبقى لها بصر بما وراء المادة ، من نور وحقيقة حاقة

هذا الى ما يكتنف الصلاة مما جعله الشارع شرطا اصليا او كماليا فيها كالطهارة وفيها من تنقية الجسد من الادران والاوضار ما يعرفنا مبلغ عناية الشارع الحكيم بامر النظافة التي هي اساس لسلامة الجسم مما يوجب له اختلالا انظر لقوله عليه السلام : لولا ان اشق على امتي لامرتهم عنه كل صلاة بوضوء وفي مسلم من حديث عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل (١) فجاءت نوبتي فروحتها (٢) بعشي (٣) فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فادركت من قوله : ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل (٤) عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة.

---

(١) يعني ابل الصدقة (٢) اي رددتها الى محل المبيت (٣) اي في آخر النهار (٤) قال النووي

قال فقلت ما اجود هذه فاذا قائل بين يدي يقول : والتي قبلها اجود . فنظرت فاذا عمر قال : اني قد رايتك جئت آنفا قال : ما منكم من احد يتوضأ فيبلغ او فيسبغ(١) الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء اه وفيه ايضا عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الطهور شطر الايمان) قال الابي في شرحه للحديث ووجهه بعضهم بان للايمان شطرين . تطهير السر من خبائث النفس وتطهير الجوارح فمن طهر ظاهره للوقوف بين يدي الله عز وجل جاء بنصف الايمان فاذا طهر سره كمل ايمانه . فالشارع يريد من الامة الاسلامية ان تكون امة طاهرة الظاهر والباطن وضاءة البشرة والسريرة وفي طهارة الظاهر سلامة الجسم من المعاطب وامكان الاجتماع والامتزاج والتآلف اذ لا جرم ان الوسخ تنفر منه الطباع السليمة . وتلفظه وتتحاشاه النفوس المستقيمة . وفي طهارة الباطن بخلوص النية وصفاء السريرة والامتلاء بما يستتبعه الايمان الخالص من انواع الكمال الانساني سمو النفس الانسانية ولحاقها بعباد الله الطاهرين واوليائه المقربين اولائك الذين لا سلطان للنفس الشريرة عليهم ولا يخالطهم الباطل مهما كان الباطل ملتحفا باستار شفافة من الحق المزيف .

ومن ذلك استقبال القبلة واتحاد الاتجاه . فان المقصود منه الاستشعار بوحدة المقصد واجتماع الكلمة وان الواجب ان تكون هذه الامة متكاتفة يشد بعضها أزر بعض قائمة على قلب رجل واحد صوب هدف اسمى تجتمع كل القلوب عليه وتتجه الانظار نحوه « ليس البر ان تولوا وجوهكم الآية

ومنه الاجتماع لاقامتها في محل واحد بعد اقامة اعلام لها يسمعه كل من كان حول موضع اقامتها ليستجيب لداعي الله ويرفض ما هو بصدده من شغل او عمل قد يكون مما يرضي وقد يكون مما لا يرضي حتى اذا سمعه تذكر خالقه ونهيه عنه او أمره به او سكوته عنه ورجع من صلاته ونفسه ممتلئة خشوعا ورهبة اقلع عما لا يرضي واقام على ما يرضي . كما ان بالاجتماع يحصل التعارف . والتعارف رأس كل خير والتنافر والتشاكس مدعاة كل شر وضير فالامة الاسلامية امة اجتماع وتعارف وباجتماع الكلمة تم للامة ما تم من نصر وفتح مبين وبضده حصل لها ما حصل في هذه الازمنة المتأخرة من تفرقها ايدي سبا وابتلاعها لقمة سائغة بغير كبير عناء

محمد الهادي ابن القاضي

هكذا هو في الاصول مقبل اي وهو مقبل قال وقد جمع صلى الله عليه وسلم بهاتين اللفظتين انواع الخضوع والخشوع لان الخضوع في الاعضاء والخشوع بالقلب على ما قاله جماعة من العلماء اه

(١) هما بمعنى واحد اي يتمه ويكمله فيوصله مواضعه على الوجه المسنون

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

الصرة

كيف كانت نشأتها وكيف استقر قرارها

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد ابن الخوجه
المستشار لدى الحكومة التونسية

اعلم ان الصرة في عرف المشارقة عبارة عن مال يتجمع من التجارة ونحوها بين شريكين يوجه منه احدهما للاخر فيعبر عنه تارة بالصرة وتارة بالامانة ولما كان هذا الاستعمال مما اعتاده اهل المشرق كانت تسمية المال الموجه باسم صرة من تونس للحجاز بمناسبة وقفة كل عام لاهالي الحرمين الشريفين اعتبارا لذلك العرف بالمشرق وغلب عليه هذا الاستعمال بالديار التونسية حتى صار لا يطلق الا عليه وقد تعرض الشيخ ابن عابدين من فقهاء الحنفية لحكم الامانات الواصلة لاهل مكة المشرفة والمدينة المنورة على وجه الصلة والمبرة ثم يموت المرسل اليه قبل بلوغها فانها تكون إرثا لولده وسئل العلامة الشيخ فخر الدين بن ظهيرة القرشي فيما اذا كان للميت شيء من الصر والحب وورد اليه عن السنين الماضية في حياته هل يستحقه بقسطه فافتى نعم وجاء في البزازية من كتب المذهب عن الامام محمد بن الحسن صاحب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان قوم امروا ان يكتبوا مساكين مسجدهم ويرفعوا اساميهم واخرجوا الدراهم على عددهم فمات احد المساكين قال يعطى لورائه بعد رفع اسمه هذا كله في الصلة فاحرى ان يكون في مال الوقف الذي يستحقه اهل البقاع الحجازيه المباركة بالنص الشرعي منذ عشرات الاجيال وقد اثبت التاريخ ان الصرة كانت موجودة في الدولة الحفصية واطول سلاطينها باعا في ذلك السبيل السلطان ابو فارس عبد العزيز الذي تولى ملك تونس سنة ٧٩٦ فقد بلغ من امره انه كان يتنوع في هاته الصلة ويوشحها بالحلي والحلى تقربا لآل البيت الاطهار واكراما لجيران النبيء المختار وجرى العمل بالدولة المرادية على ما درج عليه اسلافهم الحفصيون وكان من اكرمهم واسبقهم في ذلك الميدان الامير حموده باشا المرادي صاحب الجامع المشهور باسمه المجاور للزاوية العروسية ونسميه جامع الافراح لانه لو نطقت عرصاته لافادتنا بانها شهدت عقود

انكحة نصف اهل تونس وابقت النصف الآخر لبقية المساجد والاضرحة والزوايا بالمدينة والربضين هذا وقد نسج ملوك البيت الحسيني خلد الله دولتهم على منوال من تقدمهم من الحفصيين والمراديين وكان واسطة عقدهم الباي حمودة باشا بن علي باي الثاني يتولى بنفسه حفظ مال الوقف الراجع للحرمين الشريفين ويرى في ذلك خدمة لحرم الله ورسوله روى المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف انه كان يؤتى له بفواضل دخل اوقافهما فيحفظه بصندوق خاص بذلك في بيته ويباشر بنفسه وضع المال واخراجه منه وقد اتفق ان وزيره ابا المحاسن يوسف خوجه صاحب الطابع لزمه صرف مال في مصلحة دولية ولم يكن بصندوق بيت الخزندار ما يكفي لذلك فقال للباي تسلف ما يلزم من صندوق الحرمين ونرجعه لك بعد عشرة ايام فاقشعر بدنه وقال له سألتك بالله ان تزيل هذا الخاطر من فكرك وارجع في هذه المصلحة الضرورية التي اقدمتك على مد عينيك الى مال الحرمين الشريفين وذلك اهون علي من مس ارزاق اهل مكة والمدينة وانا اتحرج من سكنى الداي بالدريبة وهي من اوقاف الحرمين باجر معين لا يزيد وقد حالت الاسواق وارتفعت اسعار الكراء فكف الوزير عن ذلك اه هذا وقد كان لهم عناية في اختيار من يتوجه بذلك المال لتوزيعه على مستحقيه فينتخبون لذلك الافضل فالافضل من اهل العلم كشيخ الشيوخ وطود الرسوخ سيدي ابراهيم الرياحي او من اعيان اهل البلاد المعروفين بالثروة والعفة والديانة فقد حكوا ان المشير احمد باي لما لم يجد في بعض السنين من هو متوجه للحج من اعيان الحاضرة بسبب وجود مرض عام ليصحبه بالصرة انتخب لذلك احد اعيان التجار الموثوق بامانته وهو ابو عبد الله محمد بن الامين ووجه اليه يأذنه بالسفر بالصرة للبقاع المباركة وبذل له اعانة مالية معتبرة فقبل منه تلك المأمورية الشريفة ولكنه رفض قبول الاعانة قائلا انه بفضل الله في غنى عنها اللهم الا ان يتصدق بها هناك باسم الباي فرءاها منه حسنة وتحدث بنعمة الله عليه واغدق عليه بالاحسان بعد ايابه وممن تبرك بحمل الصرة للحجاز العلامة البركة الشيخ محمد النيفر الاكبر اختاره لذلك الباي المشير المومأ اليه في سنة ١٢٦٧ وفي الاعصر المتأخرة تشرف بحملها المدرس الشيخ احمد جمال الدين في سنة ١٣٠٢ بامر المرحوم المولى علي باي الثالث وأهدى بتلك المناسبة كتابه مناهج التعريف أصول التكليف للشريف عون الرفيق امير مكة المكرمة ولسادن البيت الحرام الشيخ عمر الشيبي كما نيط تبليغها بعهدة الفقيه الكاتب الشيخ احمد زروق في عهد الدولة العلوية ايضا واتفق ان عهد بتبليغها فيما بعد ذلك لغير اهل العلم فطرأ عليها في سنة ١٣١٠ ما استوجب جعل ارسالها بحوالة تجارية يقع تصريفها نقودا ذهبية بمرسى جدة على يد قنصلات فرنسا بها تامينا وتاكيدا لحفظها من التلاشي والاطماع . ولما وقع ترتيب ركب الحجاج

التونسيين في عهد الدولة الناصرية نيطت مأمورية تبليغ الصرة المباركة في سنة ١٣٣١ بعهدة رئيس الركب وهو المرحوم امير الامراء السيد العربي بسيس أحد اعضاء جمعية الاوقاف اذاك ثم في مدة الحرب العالمية ناطت الدولة التونسية مهمة رئاسة ركب الحجاج وتبليغ الصرة ببعض كبار العمال فكان رئيس الركب في سنة ١٣٣٤ امير الامراء السيد الشاذلي العقبي ومفتي الركب الفقيه الشيخ محمد الجودي مفتي القيروان وكان يومئذ امير مكة المشرفة هو المرحوم الشريف الحسين بن علي ولدينا نسخة حرفية من المكتوب الذي خاطب به الشريف المذكور صاحب السمو المرحوم المولى محمد الناصر باي بتلك المناسبة ننقله هنا اتماما للفائدة ونصه :

« الى المقام الذي تهتدي المعالي بطرقه وقد باهى النجوم ارتفاعا وتقتدي المكارم بخلقه وقد ضاهى الجو اتساعا ذي المجد الاثيل والفضل الجزيل اخينا في الله (سيدي) محمد الناصر باشا باي صاحب المملكة التونسية المحروسة ايد الله تعلى اعلامه وابد بالسؤدد ايامه وانار بلاده بنجوم سموه واعز اهلها بعزه ومجده السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصل الى هذا الجناب كتابكم الكريم مفتتحا بما هو ارق من النسيم فاتصل به ما كان منفصلا وسفر به ما كان منسدلا فحمدا لله ثم حمدا له وشكرا له ثم شكرا له في الاولى والآخرة . هذا وقد رأى نائب الجناب العالي الفاضل النبيل السيد الشاذلي العقبي ما بذله رجال دولتنا وكل سكان هذه البقاع الطاهرة من العناية الواجبة على اهل هذه البلاد الحجازية لبني عمومتهم سكان المملكة التونسية وان العزيمة متجهة الى بذل كل ما في الوسع واتخاذ كل ما يمكن من الوسائل لتسهيل طريق الحج لكافة المسلمين مدا السنين بحول الله وقوته حتى تكون هذه البلاد كما يجب ان تكون مثابة للناس وأمنا واني اسال المولى جل وعلا ان يمدكم بالعز والتايید في ملككم السعيد لا زلتم من خير انصار الحق واعظم الفاعلين للخير والمعينين عليه والسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته وحرر بمكة المكرمة في ١٦ ذي الحجة عام ١٣٣٤

شريف مكة المكرمة واميرها

الحسين بن علي

ثم في وقفة عام ١٣٣٦ كان تبليغ الصرة لمستحقيها بواسطة المرجوم الاميرالاي السيد المختار الجويني عامل تاجروين بصفته رئيسا للركب التونسي وكان في صحبته الفقيه المفتي الشيخ الطيب المرزوقي وفي مدة سيدنا ومولانا الملك الموجود متع الله ببقائه الوجود كلف احد ابناء بيوت المجد من أهل ثقته وهو الخير الشيخ عبد الرحمن بن ذاكور من المتشرفين بالانتساب للبلاط الملوكي بتبليغ الامانة الحجازية لاصحابها بالحرم المكي والحرم المدني وتكرر تكليفه بتلك المأمورية الشريفة سنين

متتابعة . هذا ولتعلم ان مقدار الصرة في القديم كان يختلف بالزيادة والنقص حسب مداخيل اوقاف الحرمين الشريفين فلما ءالت وزارة تونس لعهدة المصلح الامين الوزير خير الدين سعى لدى المشير محمد الصادق باي بجعل مبلغها قارا حسب متوسط تلك المداخيل ووقع الاتفاق على ان يكون ذلك ثمانون الف ريال اي خمسون الف فرنك في السنة تقسم نصفين احدهما بعنوان اهالي الحرم المكي والآخر بعنوان اهالي الحرم المدني وعلى هذا النظام جرى العمل حتى سنة ١٣٥٣ وفي سنة ١٣٥٤ الفارطة زيد في مال الصرة بمقدار الخمس بعناية سيدنا ومولانا احمد باشا باي كما سيأتي الكلام على ذلك بمحله ومن عناية الملوك الحسينيين بامرها ان يعقدوا لها موكبا فخما يحضره سمو الباي وءال بيته والوزراء ورجال الدائرة الملكية وكبار متوظفي الاوقاف وفي ضمنهم وكيل الحرمين الشريفين وبيده صندوق المال المقصود توجيهه للحجاز فيأذن الباي باحضار الرسول المكلف بتبليغ الامانة ويدفعها له بنفسه مصحوبة بمكتوب خطي من سموه لملك البلاد العربية المقدسة قائلا له « هذه امانة الله ورسوله تبلغ لاهلها ان شاء الله بواسطتك » فيتسلمها الرسول المذكور في ذلك المشهد العظيم ويشكر الله على تلك النعمة ويرطب لسانه بالدعاء لسمو المولى الامير هذا ملخص حديث الصرة حسبما جرى عليه العمل في هذه الازمان اما حديثها في الماضي فان تبليغها كان من حقوق رئيس الركب ويطلق عليه في التاريخ التونسي لقب شيخ الركب كما يطلق عليه بمصر لقب أمير الحج وممن تقدم لهذه المأمورية الشريفة في الدولة الحسينية الشريف الشيخ ابو عبد الله محمد بن عبد الملك العواني القيرواني كلفه بذلك الباي محمود بن الرشيد باي في سنة ١٢٣٨ وسافر قبله بتلك الصفة ابو الفلاح صالح زيد في عهد حمودة باشا وبصحبته الشيخ حمودة بن عبد العزيز بعنوان قاضي الركب وقبلهما خرج الشيخ ابو حفص عمر المرابط شيخ ركب في سنة ١١٨٠ على عهد الباي علي بن حسين بن علي وكانت اركاب الحج في القديم بالشمال الافريقي تنظم لبعضها بعضا وتقصد الحجاز على طريق البر قالوا ان غدوها عام ورواحها عام فيخرج الركب من طنجة الى السوس الاقصى فجهات توات فالصحراء الجزائرية فواد ريغ فنفزاوة وكانت طافحة بالعمران على ما حكاه الشيخ العياشي في رحلته وبعضهم يزعم ان اسمها محرف عن الف زاوية ولكنه كلام خال عن الصحة لان لفظ نفزاوة بربري ومتقدم على دخول الاسلام لافريقية ولا عربية بافريقية اتفاقا قبل انتشار نور الاسلام بها ومن نفزاوة يسير الركب لقابس وهنالك يلتحق به حجاج الديار التونسية ومن قابس يقصدون طرابلس فبرقة فالاسكندرية فمصر فالشام فالحجاز وليتصور القاري كيف كان تشكيل هاتيك الاركاب وكيف كان مسيرها ومصيرها عليه بمراجعة الرحلات الجامعة كرحلة الشيخ العياشي السالف الذكر ورحلة

العبدري ولا عيب فيها سوى تحرشه بمدينة القيروان لانها كانت فيما يقول خلوا من العلم في زمنه الى غير ذلك من الرحلات القيمة التي يستفيد القاري ضمن مطالعتها كيف كانت تنشر العلوم العربية بين المسلمين فقد كان العالم من اهل اركاب الحج ينتصب اثناء ارتحاله لاقراء العلم هنا وهناك ولا سيما علوم الدين كالفقه والحديث ويجيز غيره ويفيد ويستفيد وهذا الشيخ الفقيه جواب الارض ومخترق الاقاليم بالطول والعرض ابو عبد الله محمد بن بطوطة يحدثنا في رحلته كيف خرج من بلده طنجة حاجا في سنة ٧٢٥ وكيف وفد على تونس بعد مروره بتوات والجهات الصحراوية فتلمسان فالجزائر فقسنطينة وكان الامير بتونس يومئذ السلطان ابو يحيى بن ابي زكرياء الحفصي وقاضي الجماعة بها الشيخ ابو العباس احمد بن الغماز وخطيبها الشيخ ابو اسحق ابراهيم بن عبد الرفيع ثم يبسط لنا الكلام عن فخامة موكب السلطان عند خروجه لصلاة العيد وكيف قدموه قاضيا لركب الحجاج التونسيين وكان شيخ الركب ابو يعقوب السوسي فخرج واياهم مارين بسوسة ووصفها بالحسن فصفاقس ونقل في وصفها ابياتا بالمدح واخرى بضده فقابس وهي المركز الوسط لملتقى الاركاب الوافدة من المغرب الاقصى والمغرب الوسط مع الركب التونسي وكان يومئذ لقابس شهرة مطبقة بالشمال الافريقي وفيها يقول بعضهم

لهفي على طيب ليال خلت بجانب البطحاء من قابس
كأن قلبي عند تذكارها جذوة نار بيدي قابس

وبعد انضمام الاركاب بعضها لبعض في قابس يتقدم الركب العام نحو مدينة طرابلس وينعتونها في الكتب الجغرافية بطرابلس الغرب للميز بينها وبين طرابلس الشام وفي كتب الجغرافيا الحديثة سموها ليبيا باسمها الروماني القديم ولفظ ليبيا يدل في آن واحد على طرابلس وبرقة معا والله يحكم لا معقب لحكمه . وفي ضمن الحديث يعرفنا الشيخ ابن بطوطة بعقد نكاحه على ابنة احد الامناء بصفاقس ثم بمفارقته اياها لمشاجرة حصلت بينه وبين ابيها بطريق الاسكندرية وعلى انه بنى هنالك على ابنة اخرى لبعض طلبة فاس وزاد على ذلك قوله « واولمت وليمة حبست لها الركب يوما واطعمتهم » فلله دره ما احزمه وما اكرمه ! ! ولنرجع بك لحديث الصرة بالذات لاتمام التعريف بتطوراتها فنقول ان توجيه مال الصرة للحرمين الشريفين تناوله التعطيل في القديم وفي الحديث بحيث ان تبليغ ارياع اوقاف الحرمين لمستحقيها بالحجاز طرأ عليه غير مرة ما أوجب انقطاعه عن الموقوف عليهم كوقت تعطيل الحج اثناء الفتنة الوهابية اوائل القرن الثالث عشر وكمدة ثورة علي بن غذاهم حوالي سنة ١٢٨٠ وما بعدها ثم عادت لنظامها القديم بعد استتباب الراحة ورجوع الامن لنصابه وعاد انقطاعها في آواخر وزارة المرحوم مصطفى خزندار لاضطرار الحكومة وقتئذ بداعي العسر لاحالة التصرف في ارياع

الاوقاف العامة ومنها احباس الحرمين الشريفين للقائد نسيم شمامه قابض المالية بالدولة التونسية ولما آلت الوزارة لنوبة الوزير المصلح خير الدين باشا تدارك ذلك الخلل وعين مقدار الصرة بخمسين الف فرنك في العام كما سبقت الاشارة لذلك واستمر ارسالها واسترسالها الى استعار نار الحرب العالمية فتعطل توجيهها لمستحقيها في عامي ١٣٣٢-١٣٣٣ ثم استؤنف ارسالها صحبة اركاب الحجاج التى وقع ترتيبها في عام ١٣٣٤ وما بعده ثم عاد انقطاعها بعد انتهاء الحرب اثناء القلاقل التي حصلت بجزيرة العرب ودام نحو الخمسة عشر عاما حتى كاد ان ينسى ذكرها بين التونسيين الا ان المستحقين لها بالحجاز لم ينسوها وكرروا القول في طلبها وما ضاع حق وراءه طالب فتدخل في النازلة ملك البلاد العربية جلالة عبد العزيز بن السعود واعارته الدولة اذنا واعية ورغم الضائقة المالية المحيطة بجمعية الاوقاف منذ عشرة سنين فقد حصل الاتفاق بين الجانبين على نتيجة مرضية وعاد توجيه الصرة المباركة على قاعدتها الاصلية ابتداء من عام ١٣٥٢ بل وقد تبرع سيدنا ومولانا احمد باشا باي نضر الله وجهه بزيادة عشرة الاف فرنك علاوة على الخمسين الف فرنك المعتادة اعتبارا من سنة ١٣٥٤ ولقد رمق جلالة الملك ابن السعود هذه العناية الشريفة بعين الاعتبار والشكران واعرب لسمو مولانا الباي المعظم عن شواهد الامتنان واهدى لحضرته العلية اثراً شريفاً لا يقدر بمال الا وهو الحزام المصنوع من مقصب الذهب الشامل لاستار الكعبة المطهرة وقد تلقى سيدنا الملك المطاع هذه الهدية المباركة بمظاهر الاجلال والاعظام واحلها لديه بالمحل الارفع مما سيجده ان شاء الله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا

ونختم هذه النبذة بالاشارة لما افاده التاريخ من استنابة بعض الملوك الحسينيين لحاملي الصرة بالحج عنهم على ما جوزه المذهب الحنفي الزكي (١) فالمقدس الباي المولى حسين بن علي استناب للحج عنه مفتي دولته وبعضهم يزعم انه هو الشيخ حسن برناز وعندي ان ذلك غير صحيح لان هذا الفقيه كانت ولادته سنة ١١٤٠ وكان مفتيا على عهد الباي حمودة باشا وقد ترجم له الشيخ محمد بيرم الثاني في رسالة المفتين ولم يذكر انه حج البيت الحرام لا لنفسه ولا بالنيابة عن الباي حسين بن علي تركي على

(١) المنصوص عليه في المذهب الحنفي انه لا تجوز الانابة في الحج الا بشرط ان يكون المحجوج عنه عاجزا عجزا مستمرا الى وقت الوفاة. قال في الهداية : وتجزئ النيابة في النوع الثالث وهو الحج عند العجز للمعنى الثاني وهو المشقة بتنقيص المال ولا تجزي عند القدرة لعدم اتعاب النفس . والشرط العجز الدائم الى وقت الموت لان الحج فرض العمر اه صفحة ٦٦ جزء ٣ وقال في العناية فان لم يكن العجز دائما وقد احج عن نفسه ثم زال عنه العجز كان قادرا على اصله في وقته وذلك يبطل النيابة اه من الموضع المذكور « المجلة الزيتونية »

انه كان عمره لا يزيد عن ثمان سنين عند اغتصاب الباشا علي باي الملك من يد عمه حسين بن علي في سنة ١١٤٨ وفي ذلك دلالة على ان الفقيه الذي حج نيابة عن مؤسس البيت الحسيني هو غير الشيخ حسن برناز وانما الشيء المشهور بين رواة الاخبار هو ان الباي المشار اليه تقبل الله عمله اديت عنه فريضة الحج بطريقة النيابة وقياسا على صنيعه المشكور وعمله المأثور جرى عمل نسيلة المرحوم مصطفى باي بن محمود باي فانه استناب للحج عنه في سنة ١٢٥٢ بركة القطر وامامه الشيخ ابراهيم الرياحي قدس سره ووجه معه مكتوبا بالتوسل للروضة الشريفة وهو مكتوب في اعلى درجات البلاغة ناطق بما للباي المشار اليه من صدق التوكل والانقطاع والتعلق بالجانب الاقدس تقبل الله مسعاه وقد نقل عبارته الوزير المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف في تاريخه وعنه نقله حفيد الشيخ نفع الله به في كتاب تعطير النواحي فمن اراد زيادة البسط فعليه بالرجوع اليه واستناب المقدس المبرور المولى علي باي الثالث للحج عنه في سنة ١٣٠٢ الفقيه المدرس الشيخ احمد جمال الدين وحيث ان :

الابن ينشا على ما كان والده ان العروق عليها ينبت الشجر

فقد اضاف ابنه الكريم ملكنا الحالي بهجة الايام والليالي ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي منقبة شريفة لصحيفة حسناته بالسعي في اداء فريضة الحج كسلفه الصالح لذلك استناب الفقيه الخير الشيخ احمد البناني للحج عنه في وقفة عام ١٣٥٢ تقبل الله سعيه وادام ملكه وعزه ورعيه

محمد بن الخوجة

اعتذار

نعتذر عن تأخير بروز هذا العدد في موعده بما لا حول لنا فيه ولا قوة وهو اعتصاب عملة المطبعة التونسية الامر الذي اوجب تأخير عدة مطبوعات عن الظهور في اوقاتها كما نعتذر عن تأخير نشر بقية مقال المكتبات للاديب الشيخ محمد العنابي بضيق نطاق هذا الجزء وسيقع نشره في العدد المقبل ان شاء الله .

تنبيه

ترغب ادارة المجلة الزيتونية من كافة السادة الفضلاء المشتركين بها في الحاضرة والخارج ان لا يسلموا معلوم اشتراكهم لاحد الا اذا قدم لهم وصل الاشتراك ممضي من امين مال المجلة وعليها طابعها

الادب

التجديد في الادب

- ٣ -

التجديد والتقليد

الامة العربية كغيرها من الامم التي دالت عليها عصر وازمان ذاقت في اثنائها الحلو والمر ورمقها لحظ الصروف بالرضاء مرة وبالغضب أخرى . وتقاذفتها امواج الحياة المفعمة بالمكاره دهورا وآمادا حتى أضوت قواها وحطمت بناها ودفعت بها أشلاء ممزقة على سواحل المعمورة هنا وهناك فاخذت تلك البقايا بما بقي فيها من رمق تتحرك رويدا رويدا تحت تاثير انوار المدنية الغربية بعد ما جهلت من تاريخ نهضتها كل شيء او تصورت عزتها حطة ورفعتها سقوطا وبعد ما فصلتها يد العوادي عن عروبتها وقطعت بينهما اسباب اللغة والاداب والاخلاق والعقلية . وفصمت بينها وبين آبائها كل علاقة وصلة

تحركت تلك الاشلاء ويا ليتها بقيت هامدة الى اليوم المعلوم واول لفظ نطقت به قد كان فأفأة ساحر وهينمة كاهن لم تحو صيغته مدلولا ولم يتحمل نظمه بيانا او تأويلا

جالت بنظرها فيما وجدته حولها من آثار ورسوم ادبية لم يات عليها العفاء بعد ثم أشاحت عنها غاضبة منتقدة زاعمة ان ذلك دمن واطلال وكما زال اهلها يجب ان تزال لحظت بين دجية ووميض وسكون واضطراب منارة الاخلاق فاجهزت عليها بسافل الخلق وسيء الخلال فتركتها اثرا مندكا . وجهت عقلها للعمل ففهمت الطرد عكسا والطول عرضا هذه هي ظواهر حركة تلك البقايا لا اكثر ولا اقل وهي التي نسميها اليوم تجديدا وغدا أندماجا وبعده موتا ابديا

ولنزد القارىء في الموضوع بسطا وبالمقلم خبرا بتصوير ظاهرة الادب في الشمال الافريقي عامة وتونس خاصة حتى يدرك ما للادب من قيمة عندنا وما لمقدار التفكير فيه من حظ فنقول: ان ادباء اليوم ينقسمون الى قسمين . قسم محافظ ينسج في ادبه على منوال القدماء . فهذا يحتذي حذو امرىء القيس وهذا يقتفي اثر جرير وذاك يتبع خطى المتنبي والاخر يسلك مسلك ابن خفاجة او ينهج نهج الحسن ابن هاني وهم

غير موفقين يظهر على ادبهم تكلف التقليد الاعمى وسماجة التصنع البارد وذلك لعمري يفقد الادب تاثيره في النفوس ويسلبه حسنه وجماله . فهم بالرغم عن التكلف البادي على ادبهم في لفظه ومعناه من جراء عدم التصرف في التفكير ونظر الاشياء على حقيقتها ومراعاة تغايرها باختلاف العصر تجد اغراضهم الادبية لا تعدو المدح والرثاء . يمدحون فيسرفون ويأتون من ضروب المبالغة المزرية كذبا وبهتانا ويحملون الادب اثقال التشابيه السمجة المبتذلة يكيلونها كيلا ويكبلون لسان الضاد بقيود المجازات والاستعارات الخالية من روح البلاغة والعارية عن جوهر المناسبة يجمعون لممدوحهم ما علق باذهانهم من مثل شروح التلخيص وعبارات الجرجاني في التشبيه والمجاز والاستعارة زيادة عما يتجشمونه من تعب في افعام كلامهم بما عرفوه من محسنات بديعية يلصقونها به الصاقا برغم انف الجمال الفني . ويرثون كل من اغتالته المنية لمناسبة وغير مناسبة فيسرفون في خلق المآثر وانشاء المكارم اسرافا يحمل المرثي المسكين هوانا ويثير في روعه غضبا . وخطتهم في الرثاء لا تخالف خطتهم في المديح ..

وقد غفل هذا القسم عن الواجب وفهم التقليد جمودا مع ان المفروض ان يفهم ان تقليد المستعربين امثالنا للعرب في اي عصر من عصورهم هو امر اكيد لا بقاء للكيان العربي الا به . وهو تقليد في الاسلوب اللفظي والصناعة الكلامية فقط اما المدلولات فانه من الجمودان يتصورها العقل اللاحق بصورة العقل السابق فمشاهدات العصر الخالية غير مشاهداتنا اليوم وما فكر فيه القدماء لا تتصوره احلامنا الماخوذة بانوار المدنية الخلابة وزخرف التطور الجذاب على انه في جانب مراعاة الاسلوب العربي ينبغي الاحتفاظ على الروح الخاصة بلسان الضاد بقدر ممكن وذلك باكساء المعاني حلة تشاكل حلة ادباء العربية او تقاربها بمعنى جعل اللفظ تام الدلالة على المعنى من غير خفاء او تعقيد واما التفكير فمن الخطل ان يقصد اتحاده بين أقوام تباعدت الاماد بينها واختلفت مظاهر الحياة فيها . وقسم مقلد ايضا يزعم أن تقليده تجديد ولكنه يخالف قسيمه الاول في الوجهة فذاك يقلد العرب العرباء وهذا يقلد الامة الغربية في آدابها واخلاقها وهي تخالفه عنصرا وذاتية ولغة وتفكيرا . وهذا القسم كان اقرب طبقات الامة للاندماج واسرع جزء منها للفساد بما اوجدته فيه الثقافة الغربية او التعصب الممقوت لمن حرمها من ميل لها ورغبة عن الثقافة الاسلامية ولغة القرآن وآدابها الرائعة . ولو اردنا شرح حالة هؤلاء شرحا وافيا لنفد البحر قبل الوصول الى الغاية ولكن لنقتصر على بيان مبلغ تفهمهم للادب العربي وكيف يعتبرون الادب الحي وذلك لا يكلفنا اكثر من ان نقول: ان الادب العربي عند هؤلاء ادب جامد ميت في مجموعه خال من الجمال الفني في لفظه ومعناه وما الادب

الحي عندهم الا ما صيغت الفاظه على حسب الارادة وما تدعو اليه الحاجة ولو عاكس على خط مستقيم قواعد اللغة واصول الاشتقاق فتسمع في ادبهم الحي عقرة، وادهورا. وانتباغا. وكثيرا من هذه الالفاظ المنكرة وتجد تراكيبهم بريئة من الدلالة على اي معنى صحيح براءة الذئب من دم ابن يعقوب

واغراضهم التي نشعر بها من عناوين ادبهم اخلاط ركيكة لا تتجاوز مناجاة القمر والسماء والتفكر في اللانهاية والتسمع لزفرات الضمير المحزون والخوض في بحر الوجود الصاخب وما الى ذلك . ولا اكون مبالغا اذا قلت ان المفردات التي يعرفونها من العربية - فيستعملونها في كل تلك الاغراض لا تعدو بضع مئات ومن كانت هاته حاله فالواجب عليه ان يؤوب لرشده او يسكت الى الابد . على اننا لا نعدم نقطة اجتماع بين اولائك وهؤلاء فالجميع خلو من الشعور فيما يقول وهم متفقون في عدم اعتقاد ما يتكلفونه من المعاني . وكلهم يجري وراء الشهرة المزيفة ويسعى للهتاف له بالمجتمعات والمحافل. فذلك يغوص في خضم اللغة فيستخرج عقنقلها وثمامها. ويجوب فدافد الادب العربي فيقتنص اوابدها وآرامها . ويعرضها على انظار لم ير الاكثر منها آبدة او ريما ولم تشاهد قط عقنقلا او ثماما. وهذا يظهر للملا سابحا في بحر الحياة الباسمة تتقاذفه امواج الاثير الصاخبة متشبثا باذيال اللانهاية القاتمة يقذي عيون النظارة بحركاته المصطنعة المسرحية ويؤذي الاسماع باصوات من الشتائم موجهة تارة للازمان التي لم تسعفه بما يؤمله في الحياة وتارة للدنيا التي قابلته بوجه متجهم وآونة لشعبه آبائه وجدوده الذين لم يحلوه بمنزلته بين الجفون والمحاجر ولم يرفعوه الى المرتبة اللائقة بعبقريته وهو كما يعتقد حكيم الزمان والفرد الذي لا يختلف فيه اثنان . هذا هو نغم اليوم الحديث الذي يحوك وتره كل من حرم المادة الثقافية والفكر الصحيح وقعدت به الهمة في مجال السباق العلمي عن بلوغ الغاية. وهو لو انصف نفسه وادرك قيمة تفكيره لولى بوجهه عن الغرور لاعد عدة النهضة التي يصبو اليها وتزود لها بالعلم الصحيح والثقافة العالية .

والخلاصة ان كلا من القسمين لم يقم بالواجب عليه نحو امته ولغته . ولن يجني شعب من الشعوب شيئا في معترك هذه الحياة ما دامت افراده على مثل تلك الحالة الفكرية .

الطاهر القصار



البكاء في الشعر العربي

- ٣ -

واما الحوادث فهي لما كانت راجعة الى تحريك الذكريات وبعث الصور المذهول عنها الراكدة في اعماق الذاكرة استمدادا من حضور بعض ملابساتها لدى الحواس كانت غير داخلة تحت حصر لان النفس اذا تعلقت بالشيء تعلقا شديدا ملك عليها مشاعرها فاصبحت لا ترى حسنا ولا قبيحا الا من طريقه ولاتنظر شيئا في الكون الا ولا تزال جادة تبحث في خفاياه حتى تؤلف بينه وبين متعلقها جامعا خياليا يكون طريقها لاستحضار محبوبها من باب الملابسة الموهومة وهي طريقة مولدة بها تاتي لكثير من الشعراء تخلصات بديعة من التشبيب الى الاغراض الاخرى وبفقدها شاعت عند الجاهليين طريقة الاقتضاب

فلذلك كانت الحوادث المذكرة غير متناهية ولا داخلة تحت حصر الا ان هناك اشياء كثر دورانها على السنة الشعراء لكونها مذكرات طبيعية بسيطة يشترك الناس في الاحساس بتاثيرها فمنها خفوق البرق من الجهة التي فيها الحبيب المفارق وللعرب لاسيما اهل البادية عناية بنسبة البروق الى جهاتها فتذكر الحبيب بها لارشادها الى جهته امر قريب

ومن ابدع آيات هذا الباب قصة اوردها ابو علي القالي في اماليه وابو هلال العسكري في ديوان المعاني عن ابي بكر بن دريد قال حدثنا الفضل بن محمد العلاف قال لما قدم بغاة بني نمير اسرى كنت كثيرا ما اذهب اليهم فاسمع منهم وكنت لا اعدم ان القى الفصيح منهم فاتيتهم يوما في عقب مطر واذا فتى حسن الوجه قد نهكه المرض ينشد

ألا يا سنا برق على قلل الحمى   لهنك (١) من برق علي كريم
لمعت اقتذاء الطير والقوم هجع   فهيجت أسقاما وانت سليم
فهل من معير طرف عين خلية   فانسان عين العامري كليم
رما قلبه البرق اليماني رمية   بذكر الحمى وهنا فبات يهيم (٢)

فقلت له يا هذا انك لفي شغل عن هذا فقال صدقت ولكني انطقني البرق ثم اضطجع فما زاد ساعة حتى دفناه . وللمولدين في البكاء للبرق مقاطيع فائقة تضمنها الباب الحادي والثلاثون من كتاب

(١) الهاء منقلبة عن همزة
(٢) اعتمدنا في هذه الابيات رواية ابي هلال وهي اوضح

الزهرة لمحمد بن داود الظاهري ومن ابدع ما لهم في ذلك معنى وادقة صنعة مما لم يتضمنه كتاب الزهرة قول شاعرة الاندلس حفصة الركونية

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن   اظل باحبابي يذكرنا وهنا
لعمري لقد اهدى لقلبي خفقة   وامطرني منهل عارضه الجفنا

ومثل البرق في هذا الريح الهابة من نحو ارض الحبيب ولا خصوصية في ذلك لريح الصبا وان قال به كثير من الادباء ومال اليه الجد قدس سره في شفاء القلب الجريح وقد تضمن الباب الثلاثون من كتاب الزهرة مثلا من الحنين ارياح مختلفة المهاب باختلاف منازل الاحباب واصرح ما عرفت في الافصاح عن هذا المعنى قول ذي الرمة

اذا هبت الارياح من نحو جانب   به اهل مي هاج شوقي هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما   هوى كل نفس حيث حل حبيبها

وما اجدر الحنين لريح الصبا آتية من غير جهة الحبيب بقول ابي العلاء

سفاه لوعة النجدي لما   تنسم من حيال الشام ريحا

وكخفوق البرق وهبوب الريح بدو النيران الموقدة في ارض الحبيب لنظر المحب وهي طريقة قديمة في الشعر سار عليها امرؤ القيس في قوله

تنورتها من اذرعات واهلها   بيثرب ادنى دارها نظر عالي

ومن البكاء للنار قول الاحوص

امن خليدة وهنا شبت النار   ودونها من ظلام الليل استار
باتت تشب وبتنا الليل نرقبها   تعنى قلوب بها مرضى وابصار (١)

والبكاء لهذه المذكرات الثلاث راجع الى باب البكاء على المنازل لانه حنين الى منازل الاحباب يثيره ما يتعلق بها مما يرشد اليها من الرياح والبروق وهناك مذاكرات من غير هذا الباب ترجع الى ما فيها من اثارة العواطف وبعث الاشجان وليس لها من التعلق الخاص بارض الحبيب ما للمذكرات الماضية فمنها صوت الحمام وهو اذيعها ذكرا عند العرب وقد قال فيه حميد بن ثور الهلالي وهو من البدائع

وما هاج هذا الشوق الا حمامة   دعت ساق حر (٢) نزهة وترنما
مطوقة غراء تسجع كلما   دنا الصيف وانحال الربيع فانجما
محلاة طوق لم تكن من تميمة   ولا ضرب صواغ بكفيه درهما

(١) على حذف الصفة اي ابصار مرضى يعني من شدة البكاء
(٢) ساق حر ذكر القماري وهو من التسمية بما يحكي الصوت

تغنت على غصن عشاء فلم تدع ... لنائحة من نوحها متألما
اذا حركته الريح او مال ميلة ... تغنت عليه مائلا ومقوما
عجبت لها انى يكون غناؤها ... فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
فلم ار مثلي شاقه صوت مثلها ... ولا عربيا شاقه صوت اعجما

ومن اشتهار الحنين له وانبعاث الشوق به نشأت عقائد خرافية دخلت في اوابد العرب وتصرفات خيالية ظهرت في استعمالات اللغة

فقد زعموا ان صوت الحمام بكاء سببه ان فرخا كان على عهد نوح عليه السلام اسمه هديل صاده جارح من الطير فاقام الحمام يبكيه الى يوم القيامة(١) وعلى هذا المزعم قال النابغة :

بكاء حمامة تدعو هديلا ... مفجعة على فنن تغني

وقال نصيب

فقلت اتبكي ذات طوق تذكرت ... هديلا وقد اودى وما كان تبع

وقال كعب الغنوي

كداعي هديل لا يجاب اذا دعى ... ولا هو يسلو عن دعاء هديل

ومن هنا سموا ذلك الصوت نوحا على الاستعارة(٢)

ولم ينشأ لهم هذا الاعتقاد الا لما يتوهمه العاشقون من شمول احزانهم وكآبتهم لكل ما حولهم ولما كان صوت الحمام من محركات عواطفهم الكئيبة افاضوا مما في نفوسهم عليه فتخيلوه باكيا واغرقوا فجعلوا بكاءه نسبا بينه وبينهم نسب الكئيب بالكئيب ، وفرعوا على ذلك التعجب من بكائها بلا داع فقارنوه بسلوهم مع دواعي الجزع كما قال ابو فراس في الروميات

اقول وقد ناحت بقربي حمامة ... ايا جارتا لو تعلمين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة الهوى ... ولا خطرت منك الهموم ببال
ايحمل محزون الفؤاد قوادم ... على غصن نائي المسافة عال
تعالي تري روحا لدي ضعيفة ... تردد في جسم يعذب بال
ايضحك مأسور وتبكي طليقة ... ويسكت محزون ويندب سال
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة ... ولكن دمعي في الحوادث غال

وقد ضعف عند المولدين اثر سجع الحمام نظرا لانتقال الشعر الى الحواضر التي تضعف فيها العناية

---

(١) انظر حياة الحيوان للدميري وادب الكتاب لابن قتيبة (باب معرفة الطير)
(٢) انظر لسان العرب

بامثال هذه الملاحظات الطبيعية البدوية واعتاضوا عن التذكر بسجع الحمام التذكر بامر آخر يشبه سجع الحمام في تحريك السواكن وتهييج الكوامن وهو سماع الاوتار في مجالس الانس كما قال صلاح الدين الصفدي

ذكرتكمو وكاسات الندامى ... تدور علي مثل بدور شمس
واضواء الشموع نجوم افق ... قضت بالانس فيه لكل نفس
واصوات المثالث والثماني ... علت ولها خفضنا كل حس
وقد رق النسيم وراق حتى ... يكاد يفوق لطفا كل لمس
وقد غنى النديم على الحميا ... بكاس مراشف كالشهد لعس
فنغص كل ما انا فيه ذكري ... لكم فمضى السرور وغاب انسي

وكما تفعل اسباب السرور في النفس تفعل اسباب الجزع والخوف لذلك ذاع في الشعر تذكر الحبيب في المضائق والحنين اليه في الشدائد خصوصا في ساعات الياس من الحياة واليقين بالاشراف على الموت وهو موقف يدفع الى شدة التمسك بالحياة والحرص عليها والحنين الى دواعي اللذة والانس منها – كما اسلفنا في الحديث على ليلة الفراق – واذا كانت تلك الدواعي عند المحب منحصرة في ذات حبه فلا جرم ان ذكراه الكئيبة لا تتوجه في ساعة الخطر الا اليه وروحه المعذبة لا ترفرف الا عليه فتنقلب نحوه ببواعث الصبر والثبات وتخفف عنه وقع الملمات كما قال ابن رشيق القيرواني

ولقد ذكرتك في السفينة والردى ... متوقع بتلاطم الامواج
والجو يهطل والرياح عواصف ... والليل مسود الذوائب داج
وعلى السواحل للاعادي عسكر ... يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة ... وانا وذكرك في الذ تناج

ولعل اصل هذا المعنى الذي شاع التصرف فيه قول ابي عطاء السندي

ذكرتك والخطي يخطر بيننا ... وقد نهلت مني المثقفة السمر
فوالله ما ادري واني لصادق ... اداء عراني من خيالك ام سحر

لان ما ينسب الى عنترة في هذا المعنى غير صحيح النسبة اليه وهذا آخر موقف من مواقف الفراق المرتوية بما انهمر عليها من مدامع العشاق ولقد ابدع ذو الرمة في حكاية ما يلزم المحب من الاتعاب وتصوير ما بين الدمع والمحبة من متين الاسباب اذ سمى الدمع ماء الهوى في قوله

ادارا بحزوى هجت للعين عبرة ... فماء الهوى يرفض او يترقرق

وقال : اذا كانت الدنيا علي كما ارى ... تباريح من مي فللموت اروح

(يتبع) محمد الفاضل ابن عاشور

ماضينا وتباشير مستقبلنا

جلا البرق مصقول الغرارين ماضيا … فمزق جلباب الدجى وفؤاديا
بدا في سواد الليل يقدح زنده … فاضرم زندا في الجوانح واريا
وفاح به من عنبر الدجن ما غدا … يذكر ايام الصبا والليا ليا
سما لي خفاق الجناحين ينتمي … الى الشرق في جنح من الليل داجيا
فيا عجبا اعدى فؤادي خفقه … وما للبروق الخافقات وماليا
بلى هاج لي ذكرا لعهد قد انقضى … ولا وذمام الحب ما كنت ناسيا
يذكرني ايام مجد تصرمت … لقومي ما ألفى لها الدهر ثانيا
سلوا كتب التاريخ عنها لتعلموا … حقائق عن ايامهم هي ما هيا
فما غمص التاريخ حقا لامة … ولا هو أولاها ثناء محابيا
وهب نكبت عن مهيع الحق ثلة … أيخفي عمود الصبح ابلج باديا
سلوها تنبئكم بما تنجلي به الـ … حقيقة عن عصر لهم كان زاهيا
فقد أثلوا مجدا يعز نظيره … وقد خلدوا فخرا مدى الدهر باقيا
لعمري لقد أربوا على كل امة … بما احرزوا من سؤدد كان عاليا
وقد سبقوا في حلبة الفخر كل من … جرى لمداها محرزين المعاليا
ودانت لهم من كل امر صعابه … فنالوا على رغم العداة الامانيا
بحزم يريك الصعب في الحال هينا … وعزم كما اشهرت سيفا يمانيا
وبذل اجتهاد في الامور ودربة … بها يغتدي ليل الحوادث ضاحيا
الى همم تعلو السماك وأنفس … بت ان تري للضيم منها تدانيا
شروا عزها نقدا بكل نفيسة … له ارخصوا منها الذي كان غاليا
وجدوا له في الفة وتعاون … فكانوا كبنيان يفوق الرواسيا
باقدام ليث في اناة مجرب … وفكر له نور يبذ الدراريا
تمخض عن شورى بها يسعد الورى … ويدنو من الآمال ما كان قاصيا
بها يتجلى الحق من غيهب الهوى … فيظهر للعينين ما كان خافيا
حدتها الى ربع النجاح معارف … يضيء بها ما كان من قبل داجيا
بها أحرزوا التبريز في حلبة العلى … بها حمدوا مسراهم والمساعيا
وكم لهم من شيمة عبقرية … غدا صيتها العالي يعم النواحيا
يكل يراعي ما أحاول عدها … وان كان مشحوذ الغرارين ماضيا
حذا حذوها قوم وفير عديدهم … فنالوا بها عيشا لعمرك راضيا
ونحن اضعناها فصرنا بحالة … كغصن غدا بعد النضارة ذاويا
شرينا بها خلقا يقود الى الردى … به بلغت منا النفوس التراقيا
خلائق سوء يخجل المرء ذكرها … وتترك افلاذ القلوب دواميا

الحركة العلمية والادبية

جمعيـة الزيتونيـون

يحق للزيتونيين ان يعدوا هذا العام من ابرك الاعوام عليهم. حيث سهل الله لهم فيه تنفيذ عدة اغراض كانوا في اشد الاحتياج اليها. وكانوا يسعون ويجدون في التحصيل عليها. وكانت تحول بينهم وبينها عدة عقبات. ولكنهم صبروا وثبتوا حتى حانت لهم الفرصة في هذا العام فاغتنموها. واخذوا في تنفيذ تلك الاغراض واظهار ما فطروا عليه من النشاط وحب العمل. وكان من اهم ما قاموا به اصدار هذه (المجلة الزيتونية) التي ستكون بحول الله اللسان المعبر عن ارائهم وافكارهم من الناحية العلمية والدينية. ثم وقع بعد ذلك ظهور عدة جمعيات. منها (جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وفروعه) و(جمعية الزيتونيين) و(جمعية الرابطة الزيتونية) و(جمعية الشبيبة الزيتونية) ويضيق بنا النطاق اذا اردنا ان نتحدث الآن عن جميعها لذلك سنكتفي بالحديث عن جمعية الزيتونيين ونرجى الحديث عن بقيتها الى فرصة اخرى.

تأسست (جمعية الزيتونيين) لغرض شريف افصح عنه الفصل الثاني من قانونها الاساسي وهو: (العمل لتوطيد الروابط العلمية والادبية بين جميع اعضائها بالنشريات والمسامرات وانشاء المكتبات.

وتركب مجلسها الاداري من بعض مدرسي الجامع وقدماء متخرجيه. وهم المشايخ السادة: محمد المؤدب الحاكم بمجلس الوزارة (رئيس) العربي الكابادي (نائبه) الشاذلي النيفر المدرس بجامع الزيتونة (كاتب) محمد الصالح الحامي المعلم بادارة المعارف (نائبه) البشير بن يوسف المتطوع بجامع الزيتونة (امين مال) محمد بن الشاذلي العنابي (حافظ المكتبة) الحاج علي بن الخوجه مدرس بجامع الزيتونة الحطاب بوشناق مثله علي بن مراد مثله بلحسن بن شعبان مدرس بمدرسة ترشيح المعلمين الصادق الجزيري نائب وكيل الدولة بمحكمة الوزارة محمد ماضور كاتب بجمعية الاوقاف (اعضاء).

والجمعية تعمل في هاته الايام مجتهدة لتحقيق الاغراض التي انشئت لاجلها وقد بلغنا انها ستبدأ

بلى قد ارى فينا تباشير نهضة ... تجدد من ربع المفاخر عافيا
فان تدأبوا سعيا وراء نموها ... قطفتم من الآمال غضا ودانيا
وشدتم بها للخالفين معاقلا ... من المجد قد تعلوا النجوم العواليا
واوردتموهم غير رنق مصرد ... من العز والفخر المخلد صافيا
وان تكن الاخرى فجودوا بأدمع ... على امة اودت ولم تبق باقيا
أعيذكم يا معشر العرب ان يرى ... لمجدكم خسفا وقد كان عاليا
ردوا مورد العرفان تشروا حياتكم ... وجدوا فيا خسران من كان وانيا
وسيروا لمنهاج الهدى وتعاونوا ... وكونوا كبنيان يرد العواديا
تنالوا به فخرا وتحيوا اعزة ... وتجنوا من السعي الجميل الامانيا

علي النيفر

اعمالها بتنظيم مسامرات علمية وادبية . وستكون باكورة اعمالها المسامرة الكبرى التي يتهيأ لالقائها العلامة الكبير الشيخ محمد البشير النيفر في موضوع لم تعلن الجمعية عنه الى الآن .

ونحن نؤمل لهذه الجمعية نجاحا مطردا . وتوفيقا من الله يمكنها من القيام باعباء المسئولية التي تحملتها وان يكون شعارها العمل الصالح لما يعلي شان العلم والادب بهاته الديار .

اقتبال المجلة الزيتونية للشيخ عبد الحميد بن باديس

حل بتونس في اوائل شهر شوال المنصرم حضرة العالم العامل الفاضل الشيخ عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر . ومنشىء مجلة الشهاب الغراء . فاقتبل بما يليق به من التعظيم والتبجيل . لاسيما من علماء جامع الزيتونة الذين لهم به اتصال متين . وارتباط تكون من عهد مباشرة الشيخ بن باديس للتعلم والتعليم بجامع الزيتونة . وناهيك بروابط كونتها حلق الدروس في جامعنا المعمور . تلك الروابط التي لا يزيدها مرور الايام الا قوة واحكاما

وقد اقيمت له عدة احتفالات من طرف عدة هيئات علمية وادبية . واغتنمها الشيخ فرصة ليعبر عن حنينه لجامع الزيتونة واشتياقه للبلاد التونسية . وتصريحه في كل تلك المواطن بان منبع السعادة والهداية في هذا الشمال الافريقي هو جامع الزيتونة عمره الله . وانه المنبع الفياض الذي تصدر عنه كل حركة علمية او اصلاحية . حيث يتخرج منه رجال اتقنوا علوم الدين والدنيا . وساروا في اعمالهم على منهاج الشريعة الاسلامية . التي لا يمكن ان تنجح في اي عمل تقوم به الا اذا سرنا على ضوئها . ذلك المنهاج الذي لا يمكن ان يقود هذه الامة او يتزعمها الا من حافظ عليه . وسار في سبيله . وكل من انحرف عنه قيد شبر وجب ان ينبذه المسلمون بالعراء . وان لا يتركوا له حق التصرف في اي شان من شؤونهم ولو كان حقيرا . ومما يزيد في قيمة هاته التصريحات انه جاهر بها بعد ما اختبر الناس وشاهد ما ينطوي عليه الكثير ممن يتزعمون الحركات العامة وليس لهم رسوخ في الدين من التلاعب والعبث وبيع الذمم بابخس الاثمان .

وقد اغتنمت هيئة المجلة الزيتونية فرصة قدوم الشيخ لتونس . فارادت ـ تنفيذا لما اسست له من تقوية اواصر المودة بين اقطار الشمال الافريقي ـ ان تحتفل بالقطر الجزائري الشقيق في شخص الشيخ . فاقامت له حفلة تكريم بادارة المجلة عشية يوم الاحد ١٣ شوال حضرها بعض اعيان علماء جامع الزيتونة . ثم اقامت له بمشاركة جمعية الزيتونيين من الغد عشاء في اكبر مطعم من مطاعم الحاضرة . ووقع في اثناء ذلك الخوض في عدة مواضيع تحوم حول تقوية الروابط العلمية بين الجزائر وتونس . والاكثار من تبادل الزيارات بين هذين القطرين الشقيقين وغيرهما من بقية اقطار الشمال الافريقي (المغرب وطرابلس) كما وقع التحدث عن مناهج الاصلاح الديني وواجب العلماء نحوه . والفوارق الموجودة بين الجزائر وتونس في ميدان هذا الاصلاح . مع التنبيه الى ان واجب العلماء هو الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة . حتى لا تعود تلك الحركة على موضوعها بالنقض . ويفضي التشدد في السنة الى اهمال الفرض . وفي يوم الثلاثاء ١٥ شوال رجع الشيخ الى الجزائر صاحبته السلامة في الظعن والاقامة اهـ

تم طبع هذا العدد في يوم الاثنين ١٢ قعدة ١٣٥٥ وفي ٢٥ جانفي ١٩٣٧

تباع المجلة في الاماكن التالية

اماكن بيع المجلة بالحاضرة

المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢

مكتبة الاستقامة نهج سيدي ابن عروس رقم ٣٤

المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣

مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢

المكتبة الزيتونية سوق السرايرية

مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢

المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية

مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤

دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف رقم ٧٢

البشير وبلقاسم بن عماره سوق السرايرية رقم ٣٠

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

السيد الحبيب الذوادي ببنزرت بنهج احمد باي

« احمد المرابط متعهد ببيع المجلات ببنزرت

« عمر بن يدر بفريفيل

« علي المزي بماطر

« احمد بن الحاج عبد الرحمن العجالي بقليبيه

« عبد القادر قربوج بنابل

« حموده الذكواني بمنزل جميل

السيد حمدان الشريف بسوسه

« محمد الصالح البكوش بباجه

« محمد العربي بالمكنين

« محمد زهره بالمنستير

« ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال

« الصادق بوزيان بالقيروان

« سعد بن بلقاسم الصحراوي بسبيطلة

« علي بسباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس

« قدري قعيب بقفصه

« المكتبة الاسلامية بتوزر

« عمر اسكندر بنفطة

« شرف الدين الدقاشي بدقاش

« محمد بن علي امنجه بقابس

« حمزه شورو بميدون جربه

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

السيد محمود نسيم بشارع لالير رقم ٤٢ بالجزاير

« محمود باش طبجي بساحة شارتر بالجزائر

مكتبة النجاح بقسنطينة

« قندوز بنهج جنجراس بسطيف

« الاخضر بن مبارك ببسكره

« بن داود بساحة دي قرقولات بعنابة

« محمد الهادي جلال بتبسه

مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك ٤٢ بتلمسان

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء السادس	تونس في ذي الحجة عام ١٣٥٥ وفي فيفري عام ١٩٣٧	المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئس تحريرها .

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٠٤٩

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

ذكرى ابن رشيق القيرواني

اعتزمت الرابطة الادبية بتونس احياء ذكرى الشاعر الحسن ابن رشيق بمناسبة مضي تسعمائة سنة على وفاته وستقيم لذلك مهرجانا ادبيا عظيما يدوم اسبوعا كاملا ويكون محل افتتاح المهرجان بجامع الصحابي عقبة بن نافع بمدينة القيروان عاصمة الاغالبة وذلك يوم المولد النبوي ١٣٥٦ وبقية الاسبوع بقصر الجمعيات بالعاصمة فالى سائر ادباء وشعراء العالم العربي وانصار العروبة توجه الرابطة الادبية نداءها للمشاركة في هذه الذكرى اما بالحضور او بارسال ما تجود بـه قرائحهم والمراسلات تكون باسم مدير الرابطة الادبية مصطفى مهذب الجد - نهج الذهب عدد ٥ بتونس -

اصلاح آيـة

وقع في المقال الافتتاحي من العدد الماضي بصفحة ٢١٧ سطر ١١ سهو في الآية المستشهد بها وصوابها هكذا (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل) الآية

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

المجلد الاول	تونس في ذي الحجة عام ١٣٥٥ وفي فيفري عام ١٩٣٧	الجزء السادس

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

١٠١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

على هامش الاحتفال بذكرى الشيخ رشيد رضا

اهتمام تونس بكل ما يقع في الشرق وجهل الشرق بكل ما يقع في تونس

وجوب اهتمام التونسيين بشأن عظمائهم

بعض مآخذ على الشيخ رشيد رضا لا بد من تسجيلها

بقلم رئيس التحرير

في اوائل شهر ذي القعدة المنصرم وقع بحاضرة تونس احتفال كبير لتأبين العلامة الجليل الشيخ رشيد رضا رحمه الله . بمناسبة مرور عام على وفاته – سيشاهد القراء تفاصيله في غير هذا المكان – وقد كان احتفالا بهيجا هرع اليه الناس على اختلاف الطبقات . وتكلم فيه الخطباء على اختلاف المقاصد والنزعات .

وقد كان لهذا الاحتفال من اصله وللصورة التي وقع عليها تأثير كبير على من يقدرون ما لارتباط الشرق ببعضه من الفوائد الجليلة . والمعاني السامية لاسيما اذا قارنا بين ما تسعى اليه الدول الغربية من الاتصال وتمتين الروابط رغما عما هي عليه من القوة والمنعة . وبين ما عليه الشرقيون من الانفصال وتشتت الكلمة وانحلال اواصر المودة والاخاء . رغما عما عليه الشرق من الضعف والهزال واجتهاده في الاخذ باسباب الانقراض والاضمحلال فكان تاثير هذه الحفلة في ذاتها ابلغ من تاثيرها في موضوعها – رغما عن شرف موضوعها – لانها تدل على ان الشرق قد دخل في طور جديد من حياته . وهو طور (الاحساس المشترك) الذي دعا اليه رجال الاصلاح الاسلامي من منذ زمن طويل . والذي لا يمكن للشرق ان يبعث من جديد الا بعد نمو هذا الاحساس فيه وتحققه في كافة شعوبه

وهنا يحق لتونس ان تفتخر بانها اشد الامم الشرقية حبا في الرابطة الشرقية . وعملا لتحقيقها وسعيا لتنفيذها . فما من حادثة تقع في المشرق وما من مصاب يناله وما من مسرات تدخل عليه الا وتجد لها من الصدى والاهتمام في تونس ما لا تجده في كثير من الاحيان بالنسبة لحوادثها الخاصة . وكوارثها الهامة .

وللتونسيين من الاخلاص في حب الشرق . والتهافت على إستطلاع اخباره . والتنقيب على آثاره الشيء العجيب حتى انك تجد من عموم الاوساط التونسية معرفة تفصيلية عن احوال الشرق مما يقنعك بهذا الاهتمام .

فالتونسي يعرف عن الحجاز وعن الشام وعن العراق وعن مصر وعن ايران وعن الافغان وعن بقية ممالك الشرق تفاصيل تدهشك بدقتها واحاطتها . فهو لا يعرف الحوادث فقط بل يعرف الرجال باعيانهم . والبلدان باوصافها . بما يخيل اليك انه قد رحل اليها واجتمع برجالها . مع أنه لم يرحل ولم يجتمع وانما جذوة الرابطة الشرقية المتأججة في حناياه تدفعه الى البحث والاستطلاع . حتى يصير كانه من سكان تلك البقاع .

اما معرفته بالبلدان التي تشملها منطقة (الشمال الافريقي) وهي طرابلس الغرب والجزائر والمغرب الاقصى . فهي معرفة الانسان بمغناه ودار سكناه .

فاحتفال تونس بذكرى عظيم من عظماء الشرق ليس حديث عهد فيها . فقد احتفلت تونس بتأبين شاعري مصر الخالدين حافظ ابراهيم واحمد شوقي كما احتفلت من قبل بتأبين المويلحي وجبران . وبغيرهما .

وما بالعهد من قدم فمنذ اشهر قريبة عندما حلت النكبة الكبرى بفلسطين قام التونسيون قومة رجل واحد . ولم يقتصروا على المشاركة في التألم والتوجع بل شاركوا مشاركة مادية فجمعوا من الاعانات ما تسعه طاقتهم ووجهوها لاخوانهم بفلسطين . ولا نذكر هذا بقصد المن لاننا نعد هذا العمل واجبا ولا يقع المن بالشي الواجب . وانما نذكره تسجيلا لمبدإ (الاحساس المشترك) الموجود بتونس .

واذا كان هناك ما ينتقد على تونس في هذه الناحية.. فهو عدم وجود مثل هذا الاحساس في ابنائها بالنسبة لعظمائهم وأفذاذهم . فهم - والحق يقال - مفرطون تفريطا مزريا . في حقوق كبرائهم وقادة الرأي فيهم . ومن يحق ان يفتخر بهم . ويتاه بفضلهم وما ذلك عن قلة أمثال هؤلاء الناس عندنا. وانما التهاون وعدم تقدير الانسان لقريبه . والاستنكاف عن الاقرار بفضله . هو الذي صير التونسيين لا يشتغلون بالتنويه بمن يستحق التنويه من ابناء البلاد . فكأن تلك الحكمة البليغة التي تقول (أزهد الناس في الرجل الصالح أهله وعشيرته) والتي بمعناها ذلك المثل المشهور وهو قولهم (ما ساد نبي في قومه قط) ليس لها موضع تنطبق عليه تمام الانطباق مثل البلاد التونسية

فترى التونسي يكبر غيره . ويعلي شأنه . ويكيل له اوصاف المدح والتعظيم بالجزاف . فاذا اراد ان يثني على تونسي من ابناء جلدته يستعصي عليه لسانه . ويجمد بنانه . ويجحف في بيان مزاياه مهما بلغت منزلته وارتفع شأنه .

ويحسن هنا ان نقص على القراء الاذكياء مقارنة بين أمرين وقعا منذ عهد قريب ، ونترك الحكم فيهما لاحساسهم الشريف لعلهم يتحاشون في المستقبل وقوع مثل هذا التفريط الفاحش .

توفي شاعر الكنانة المرحوم احمد شوقي في يوم ١٤ جمادى الثانية عام ١٣٥١ . وتوفي العالم التونسي الجليل الشيخ عثمان بن الخوجة المدرس بجامع الزيتونة في يوم ٢٥ جمادى الثانية عام ١٣٥٢ . وأقيمت لكل واحد منهما حفلة تابين في مكان واحد وهو مقر الجمعية الخلدونية ، (١) فكيف وقعت هاتان الحفلتان ؟. اما حفلة احمد شوقي فقد بلغت من الضخامة والابهة الى اقصى حد وشارك فيها عدد وافر من الخطباء والشعراء . فتباروا فيها وأتى كل واحد منهم بابلغ ما يقدر عليه واخذت الحفلة صبغة رسمية . وشارك فيها رجال الدولة وأرسل من تعذر عليه الحضور منهم نائبا عنه .

وأما حفلة الشيخ عثمان بن الخوجه فقد كانت متواضعة تواضعا مخجلا . فلم يحضر بها أحد من الكبراء ولا من العلماء . ولم يتكلم فيها احد الا كاتب هذه المقالة حيث ألقيت خطابا نوهت فيه بشأن الشيخ وما ميزه الله به من الكمالات وما أتاه من البسطة في العلم والعقل . وكان عدد الحاضرين في بداية الاجتماع خمسة . وانتهى الاجتماع ولم يتجاوز العشرة

هذا موقف تونس نحو الشرق . فهل للشرق نحو تونس مثل هذه العاطفة ؟ وهل لهمثل هذا الاعتناء ؟ وهل يعرف عن احوال تونس ورجالها مثل ما تعرفه تونس عنه ؟

نستطيع ان نجيب بالسلب عن ذلك كله . ولك ان تحادث من شئت من الشرقيين عن تونس ولك ان تفتح ما شئت من كتب الشرقيين وجرائدهم ومجلاتهم . فلن تجد من يعرف عن تونس لا قليلا ولا كثيرا . ولا تجد فيها تعرضا لتونس واخبارها وشؤونها . ولا تحدثا عما يجري فيها . واذا فرضنا انك تعثر على حديث عن تونس فانك تجده مملوءاً بالاغلاط والحقائق المقلوبة . التي لا تخلو عن جهل او سوء نية .

فمجلة تضع صورة الجامع الكبير بالقيروان وتكتب تحته انه من جوامع المغرب الاقصى . وكاتب يضع في كتابه احصائية عن عدد التونسيين فيقول ان عددهم خمسة ملايين وهم لم يبلغوا حتى في الاحصائية الاخيرة الى مليونين ونصف . وكاتب آخر يتعرض لجغرافية تونس فيسمي البلدان باسمائها الافرنجية فيسمي بنزرت (بزرته) ويسمي صفاقس (سفاكس) وكاتب آخر يكتب عن

(١) وقعت حفلة التأبين لشوقي بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته . في يوم الجمعة ٢٦ رجب سنة ١٣٥١ وفي ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣٢ ووقعت حفلة التأبين للشيخ عثمان بن الخوجة بمناسبة مرور عام على وفاته في يوم الجمعة ١٠ شعبان سنة ١٣٥٣ وفي ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٤

اللغة العربية والادب في تونس فيقول إن اللغة العربية لا أثر لها في تونس والتونسيون يكتبون بلغة عامية بربرية . ويقيم الدليل على جهله وسوء نيته بنقله لبعض فقرات من رسائل تجارية موجهة من تاجر لشريكه مثلا كلاهما عامي مطبق . فيجعل ذلك هو المثل الاعلى للانشاء التونسي . ثم يحكم بانحطاطه وسخافته . وهو في الحقيقة دليل على انحطاط المستدل به وعلى سخافته . والا ففي كل بلاد يوجد الجهال الذين يشبهون الاميين وكتابتهم لا بد ان تكون كحالتهم . فكيف تجعل دليلا على حالة عموم الامة . على ان مصر رغما عما هي عليه من التقدم والنهضة العلمية والادبية فكثير من مجلاتها وجرائدها تصدر بانشاء ساقط مبتذل بل منها ما تحرر فيها المقالات باللغة العامية فهل يصح ان يكون ذلك دليلا على سقوط الانشاء العربي في مصر ؟ كلا . وانما هو الطيش ونزق الرأي يدع صاحبه يهرف بما لا يعرف . ويقول ما لا يعقل .

ولا يمكن لاخواننا الشرقيين ان يعترضوا علينا بأننا لم نظهر أنفسنا لهم . ولم نطلعهم على ما عندنا من الاثار . وعلى ما نحن عليه من القيمة العلمية والادبية . وذلك لانهم هم المطالبون بالبحث والتعرف عنا . كما بحثنا عنهم وتعرفنا احوالهم . اذ لو تعلق غرضهم بذلك لسعوا في تكوين مكاتيب لهم من تونس . ولسعوا في الإطلاع على ما ينشر عندنا من الجرائد الراقية والمجلات العلمية ولسعوا في الاطلاع على التآليف التونسية التي هي وان كانت قليلة لكنها تكسب المطالع فكرة عامة عن البلاد التونسية وما لها من القيمة . وما لعلمائها من الاثار .

واذا كان هذا الاهمال وهذا التغافل يمكن ان يعذر فيهما بعض الشرقيين بصفة عامة فاني لا أجد عذرا يبررهما بالنسبة لبعض الحذاق من الادباء المشهود لهم بغزارة العلم وسعة الاطلاع مثل الشيخ احمد الزيات فان هذا الكاتب العظيم لما ألف كتابه (تاريخ الادب العربي) تعرض للادب في مختلف اطواره وبلدانه ثم انتقل من المشرق الى اقصى المغرب مارا فوق سماء البلاد التونسية الى بلاد الاندلس . من غير ان يقف ولو قليلا بواديها . ويتغلغل في مجامعها ونواديها . مع ان الاندلس في ايام ازدهارها كانت بينها وبين البلاد التونسية وجوه شبه كثيرة . وعلاقات علمية متعددة . ورحلات وزيارات متبادلة بين علماء القطرين . فاذا أمكن لمثل الاستاذ الزيات ان يتغافل عن التعرض للادب التونسي في عصرنا الحاضر . فلا اقل من ان يجعل من مشمولات العنوان العام الذي اختاره لكتابه فقرات تشير الى حالة الادب بتونس في الزمان الغابر .

على انه ذكر في ترجمة الشيخ حمزة فتح الله (صفحة ٤٥١) وترجمة احمد فارس الشدياق (صفحة ٤٦٢) انهما أقاما بتونس مدة طويلة وانهما شاركا في تحرير الرائد التونسي . وذلك من شأنه ان يدعوه

للتعرض لشيء من تاريخ هذه البلاد التي انشئت فيها جريدة كبرى في بداية النهضة الشرقية الحديثة وقام باعبائها أعيان من الكتاب والادباء التونسيين وشاركهم فيها العالمان المذكوران على جلالة قدرهما

فبلاد هاته صفتها لا يمكن بحال لاديب فاضل متعقل ان لا يتعرض لها بالمرة مع ان لها من العلماء والادباء والتواريخ والدواوين الشعرية ما يوجب على كل مؤرخ عام ان يتعرض لذكرها ، واذاعة عبيق نشرها .

على ان الاستاذ الزيات عندما يقدم كتابه في خطبته يقدمه (لشباب العربية في العراق ومصر والشام) ولا يضم اليها البلاد التونسية حتى على سبيل المجاملة

على أني لما وجدته وضع اعتذارا في آخر كتابه المذكور خلت انه سيعتذر بضيق الوقت وضيق نطاق الكتاب عن التعرض لتاريخ الادب بتونس ، والتحدث عن مشاهير الرجال التونسيين . فلما قرأته تبين لي أنه يعتذر عن عدم التعرض لرجال من أشهر مشاهير الشرق تغني شهرتهم عن التعريف بهم كالأفغاني واليازجي والمنفلوطي . ثم يعتذر عن عدم التعرض لرجال من أشهر مشاهير الغرب شاع ذكرهم في جميع الاقطار مثل دي ساسي - وادوارد قلازر - وقلازهير - وجويدي - ولم يعتذر بحال عن عدم تعرضه لتونس وعن عدم تعرضه لرجالها مثل الشيخ محمود قابادو - والشيخ احمد بن ابي الضياف - والشيخ سالم بوحاجب وأضرابهم من مشاهير التونسيين ، الذين إن كان لا يعرفهم فذلك نقص كبير في دائرة اطلاعه ، وان كان يعرفهم وأهمل التعرض لهم ثم الاعتذار عنه فذلك مخل بالمشروع الكبير الذي قام باضطلاعه .

ومثل ما يقال عن مصر يقال عن الشام وبقية الممالك الشرقية ومنذ ايام قريبة كتب الينا احد اصدقائنا الزيتونيين المقيمين بالشام كتابا مطولا في التنويه بهذه المجلة الزيتونية ، وبالدور الذي ستقوم به ان شاء الله من الدفاع عن سمعة تونس بالشرق ، ونشر ذكرها بين اقطاره ، ومن جملة ما ذكره لنا في معرض التنديد على جهل الشرق بالبلاد التونسية : أنه دخل الشام فوجد سكانها من العلماء والمفكرين لا يعرفون شيئا عن تونس ولا عن كليتها العلمية الكبرى وهي (جامع الزيتونة) الذي لا يضاهيه في شكله وموضوعه وآثاره في خدمة الدين واللغة العربية الا الجامع الازهر بمصر .

فهذا وما قبله انموذج نعرضه على اخواننا بالمشرق ليكون باعثا لنفوسهم العالية على معرفة تونس والتطلع الى ما فيها من المفاخر والمآثر والنهضة الكبرى التي ترمي الى احياء ما فيها من مجد داثر ، مع استثناء العدد القليل من الشرقيين الذين لهم من الاعتناء بهذه البلاد وبقية البلدان الشرقية ما يستحقون عليه وافر الشكر .

القرآن الكريم

شرف الكعبة *

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعلى « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا » سورة ءال عمران

الغرض من هذه الآية بيان شرف الكعبة لوقوع هذه الآية عقب قوله تعلى « قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » وقبل قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فعلمنا انها مسوقة مساق الدليل لما قبلها لان شان الدليل ان يقع عقب المطلوب ومساق المقدمة لما بعدها وكلاهما موذن بالتعليل والعلة أوضح دلالة من المعلول فكان ذلك موذنا بتقرير شرف الكعبة وكل من الدليل والمقدمة طريقان في صناعة الخطابة لاثبات مقصود الخطيب . والاستدلال يكون بطريق

والنتيجة التي تفضي اليها هذه المقارنة الوجيزة هي ان تونس قد بزت الشرق من هذه الناحية. وقامت بواجبها نحو العمل لتنمية الرابطة الشرقية واعتقد انه لو عينت جائزة لمن يجيب عن : اي البلدان اكثر عملا في تقوية الرابطة الشرقية ؟ لاحرز عليها من يجيب بانها البلاد التونسية . وسواء أقر الشرق بهذه المزية لتونس ام جحدها فتونس لا تزال سائرة على هذا المنوال . لا يبطرها الاقرار ولا يصدها الجحود عن البلوغ الى اقصى درجات الكمال . وقديما قال الشاعر .

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وسنتحدث في مقال العدد الآتي عن بقية ما اشرنا اليه في عنوان هذا الفصل

محمد المختار بن محمود

---

* آثرنا نشر هذا الدرس من دروس التفسير على بقية المقدمات لمناسبة شهر الحج وسنوالي في الاعداد المقبلة نشر باقي مقدمات التفسير ان شاء الله

التذييل والمقدمة بطريق التصدير والتقديم فالجمع في موقع هذه الآية بين الطريقين من بلاغة القرآن واعجازه الذي لم أر من نبه عليه. وتصدير الآية بحرف التأكيد من دون تقدم انكار منكر ولا تردد متردد تاكيد مقصود منه الاهتمام بالخبر ومن شأن إن إذا جاءت لمجرد الاهتمام ان تغني غناء فاء العطف وتفيد من التعليل والربط شيئا عجيبا فيكون الكلام بها مستأنفا غير مستأنف مقطوعا موصولا معا كما فعله الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز ومثله بقول بشار بن برد

بكرا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير

وذكر قصة خلف الاحمر وابي عمرو بن العلاء مع بشار في شأن هذا البيت(١) وإيقاع إن في أول هذه الآية ادخل في الاعجاز بحيث نجد وقوعها متعينا في بلوغ الكلام حد الاعجاز لإنها مفيدة لتعليل ما قبلها اذ هي بمنزلة فاء التفريع كما تقدم وهي ايضا مفيدة مفاد اداة الاستفتاح لما فيها من معنى الاهتمام الذي يناسبه صدر الكلام ولذلك قال الشيخ عبد القاهر فترى الكلام معها مستأنفا غير مستأنف مقطوعا موصولا معا ولو وقعت الفاء في أول الآية لما صلحت إلا لتكون تفريعا عما قبلها فتفيد التعليل ولا تفيد الاهتمام ولا تصلح الجملة حينئذ لان تكون مقدمة لما بعدها. هذا وجه افادة الآية شرف الكعبة على وجه الاجمال وسنجيئك بتفصيله من بعد بيان معنى الآية. قوله تعلى « إن أول بيت » الاول اسم يدل على السابق في حال من الاحوال فاذا أطلق فهو الاول المطلق وذلك كما في اسمه تعلى الاول واذا أضيف الى اسم جنس ظاهر او مقدر فهو الاول في ذلك الجنس كقوله تعلى من اول يوم وقول الفرزدق : « ومهلهل الشعراء ذاك الاول » اي أول الشعراء وقد يطلق الاول ويراد به السابق في الفضل والكمال في احوال ما اضيف اليه كقوله صلى الله عليه وسلم « نحن الاولون السابقون يوم القيامة بيد أنهم اوتوا الكتاب من قبلنا » والاولية عند العرب من شعار التفضيل فيما يتنافس فيه المتنافسون كما قال حسان في رثاء ابي بكر الصديق « وأول الناس حقا صدق الرسلا » ومن ذلك إطلاق العتيق عندهم على الشريف اذ العتيق عندهم في الحقيقة هو القديم والقديم شيء اول وقد فسر به قوله تعلى وليطوفوا بالبيت العتيق (والبيت) محتجر من الارض بحجارة او نسيج من ثياب الشعر يتخذ للايواء والسكنى فان كان من أدم فهو القبة وقد يطلق البيت على المسجد بتقدير انه بيت الله أو بيت الصلاة قال تعلى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وقال حكاية عن إبراهيم عليه السلام ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم وسموا المسجد الاقصى بيت المقدس ومعنى « وضع للناس » أقيم واتخذ واصل الوضع في كلام العرب ضد الرفع يقولون وضعت لك الشيء

(١) انظر صفحة ١٩٧ من دلائل الاعجاز بمطبعة مجلة المنار بمصر

في محل كذا اي قربته لك وهيأته ثم استعمل بمعنى مطلق الجعل والاقامة « والناس » اسم جمع لطائفة من البشر لا واحد له من لفظه في كلام العرب فاذا دخل عليه حرف التعريف دل غالبا على الاستغراق الحقيقي نحو قل اعوذ برب الناس ويكون التعريف فيه للعهد ايضا نحو قول الخطيب ايها الناس يعني سامعيه وقوله تعلى إن الناس قد جمعوا لكم يعني قريشا . وقوله تعلى « للذي ببكة » جاء بالموصولية دون أن يقول الكعبة الذي هو علم البيت الحرام لزيادة الايضاح اذ قد اتخذت الحبش الكعبة اليمانية في صنعاء فحجت اليها خثعم وبعض قبائل العرب « وبكة » اسم البلد الذي به الكعبة وهو مكة فهو بالباء وبالميم في اوله وقد ورد الاستعمالان معا في القرآن قال تعلى ببطن مكة والعرب يبدلون الباء ميما وعكسه إبدالا غير قياسي ولا سيما مازن يقولون با اسمك اي ما اسمك وقد نبه على هذا الابدال ابو علي القالي في اماليه (١) كقولهم لازب ولازم وقولهم أربد وأرمد وفي سماع ابن القاسم من العتبية ان مالكا رحمه الله تعلى قال بكة بالباء اسم موضع الكعبة وبالميم اسم بقية البلاد . وقد اقتضت الآية ان الكعبة أول بيت وضع للناس وظاهر هذا التركيب انها أول بيت بني للبشر وقد تناولت افهام المفسرين هذه الآية بتفاسير مختلفة ونحن نشير الى مجمل اقوالهم ثم نتبعها بما نختاره في تفسيرها

حمل قتادة ومجاهد والسدي وقليل من المفسرين الآية على ظاهرها بجعل الاولية حقيقية والناس على عمومه فأما مجاهد وغيره فقد أحسوا بأن في بنى ءادم مباني سابقة الكعبة فقالوا إن اول من بنى الكعبة آدم وكانت تسمى الضراح بضم الضاد المعجمة وانه رفع الى السماء في وقت الطوفان فصارت الملائكة تطوف به وتسكنه في السماء ثم بني إبراهيم الكعبة في موضعه ولهم في ذلك احاديث وقصص قال الشيخ ابن عطية في تفسيره وقد رويت في ذلك اقاصيص ضعيفة الاسناد تركت ذكرها وقال الفخر أنكر ذلك الباقلاني وعلى هذه القصة بنى المعري قوله

وقد بلغ الضراح وساكنيه ثناك وزار من سكن الضريحا

واما السدي فقال كانت الكعبة أول بناء في الارض ولم يلتفت الى ما كان قبل ذلك من البنيان وهذا القول غير مستقيم فقد كانت قبل إبراهيم مبان كثيرة منها صرح بابل بني بعد الطوفان ومنها بيت الاصنام في بلد الكلدان وهو البيت الذي دخله ابراهيم وكسر الاصنام التي فيه كما اشار اليه القرآن وورد بيانه في الحديث الصحيح وروي عن علي رضي الله عنه انه سئل عن هذه الآية أكانت الكعبة أول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين ومن دخله كان آمنا فجعل الاولية المقصودة هي المقيدة بالحالين مباركا وهدى وانا أستبعد صحة هذه الرواية عنه اذ هو

(١) انظر صفحة ٥٢ جزء ٢ من امالي القالي طبع دار الكتب المصرية

عربي بليغ وهذه الاحوال غير صالحة لتقييد الاولية اذليست هي احوالامن المضاف اليه . وفي رواية عنه انه أول بيت وضع لعبادة الله وهذا أحسن . ومن المفسرين من جعل الاول هنا بمعنى الشرف أي كقوله البيت العتيق ومنهم من حمل الناس على خصوص العرب . وعن مجاهد ما يقتضي جعله اول بالنسبة الى خصوص بيت المقدس وهذه الاقوال راجعة الى التأويل اما بتاويل لفظ اول او بتأويل معنى البيت او بتأويل معنى الوضع او بتأويل المراد بالناس او بتأويل نظم الآية ولاحاجة بنا الا استيعابها استدلالا وردا اذ ليس ذلك من غرضنا .

والذي أراه وأجزم به في معنى الآية ان القرآن كتاب شريعة وهدي وليس من أغراضه تاريخ المباني ولا تاريخ أطوار مساكن البشر . وان الآية مسوقة كما بيناه انفا للاستدلال على وجوب اتباع ملة إبراهيم معنيا بها الاسلام ووجوب الحج فتعين ان يكون المراد من الاول الاول في نوعه وبالبيوت بيوت العبادة الحقة والهدى الى الحق وذلك ان الله تعالى بعث الرسل قبل إبراهيم فدعوا إلى عبادة الله وتوحيده وكانت الامم في ضلالتهم إذا اشركوا بالله اقاموا لمعبوداتهم ولشركائهم تماثيل وهياكل كما فعل قوم نوح وقوم ابراهيم الكلدانيون وقامت الرسل تدعو إلى التوحيد بالقول ولكنهم لم يؤمر أحد منهم بأن يقيم هيكلا ينادي فيه لعبادة الله ولتوحيده ويناغي بذلك تماثيل المشركين ويردد ذلك على مسامع الناس فلما بعث الله إبراهيم أمره باقامة هيكل لعبادة الرب الحق الواحد ليدافع بذلك تظاهر المشركين قال تعلى : واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج . فكان بناء الكعبة رمزا للتوحيد ولذلك قال ان لا تشرك بي شيئا ثم قال وأذن في الناس بالحج اي بالحج لله فاتخذ ابراهيم الكعبة ودعا الناس الى الحج لعبادة الله خالصا واقام ولده فيها داعيا بعده وجعل من ذريته سدنة لذلك البيت وأوصاهم بكلمة التوحيد وبها قال تعلى وأوصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون . وقال وجعلها باقية في عقبه لعلهم يرجعون . وبهذا المعنى يظهر وجه وصف البيت بانه هدى للعالمين كما سياتي فالكعبة أول بيت توحيد وضع للناس اي البشر لان رافع معابد الوحدانية هو إبراهيم عليه السلام والكعبة أول مسجد وضعه ابراهيم ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم قال المسجد الاقصى قلت كم كان بينهما قال أربعون سنة اهـ. ولا شك ان مراد رسول الله بالمسجد الاقصى المسجد الذي بناه إبراهيم هنالك لا المسجد المعروف الذي بناه سليمان بن داوود ويكون مسجد سليمان مبنيا على موضع مسجد إبراهيم فيندفع الاشكال عن الحديث إذ قد ثبت في التوراة ان ابراهيم بنى مذابح أي مساجد في كثير من البلاد

التي مر عليها وحقيق من بينها بذلك البلد الذي أراد الله ووعده انه يعطيه ذريته بني اسرائيل وإذ قد كان إسماعيل بكر اولاد ابراهيم كان الوعد باعطاء ذريته بلاد العرب سابقا على الوعد باعطاء بني إسرائيل بلاد الشام فظهر معنى الحديث أتم الظهور . وهذا الوجه فيه بقاء الاولية على ظاهرها وبقاء لفظ الناس على ظاهر عمومه وإبقاء نظم القرآن على ظاهره دون صرف الاولية الى أولية مقيدة بالحال أو بالنسبة الى بيت المقدس وليس فيه الا تأويل البيت بانه بيت العبادة الحقة وذلك تأويل قريب لشيوع إطلاق البيت على بيت العبادة ولان قرينة السياق تقرب هذا التأويل ويكون مناط التشريف والثناء هو الخبر بان الكعبة اول بيت إذ الخبر هو محط الفائدة ويكون الحالان في قوله مباركا وهدى للعالمين زيادة في تمجيده وتشريفه وليس هما غرض المخبر اذ ليست الحال عمدة الكلام وكذلك ما بعدها من الصفات

فكانت الكعبة بهذا أفضل المساجد وانما كانت أولية السبق مقتضية التفضيل لان هذا المسجد كان أصلا للبقية فكل فضل لغيره بعده يكون له منه حظ فلا يزال فضله يتزايد ولان مواضع العبادة لا تتفاضل من جهة وقوع العبادة فيها اذ هي في ذلك سواء وانما تتفاضل بما يحف بها من طول الزمان في عمرانها بالانوار الملكية وباخلاص مؤسسها في تأسيسها وأي اخلاص اعظم من إخلاص تأسيس معابد التوحيد الذي كانت المعابد بعده تقليدا له محاكاة لغرضه وإذ قد تبينت ان مساق الآية مساق الاستدلال على علة الامر باتباع ملة ابراهيم فكانك قد استشرفت الى بيان وجه هذا الدليل وكيف تمام التقريب فيه(١) ووجهه ان الكعبة لما كانت أول هيكل اقيم لاعلان توحيد الله وهو مبدأ الحنيفية فقد ثبتت لهذا البيت أفضلية على كل مسجد تقام فيه دلائل التوحيد وهذا الاثر اقامه ابراهيم عليه السلام كما دل عليه آخر الآية وإبراهيم هو رسول الحنيفية الاول فاذا استقرت فضيلة هذا الاثر على بقية الاثار الدينية الحقة ثبتت الفضيلة لا محالة للملة التي أقيم هذا الاثر دليلا عليها ومناديا بها على ممر الاحقاب لكونه دليلها وفيه ظهرت فتكون أشرف الملل وهذا الاستدلال جار على طريق دلالة الالتزام فهو استدلال بطريقة الكناية بشرف المحل على شرف الحال فيه كقول زياد الاعجم (شاعر اموي)

ان السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج(٢)

وهذه الطريقة في صناعة البلاغة كاثبات الشيء بحجة ولها تأثير على المخاطبين فكانت الحنيفية بذلك أفضل الملل لانها أقامت للتوحيد اول معبد ومسجد ولانها جمعت للدعوة للحق بالقول الدعوة له

(١) التقريب كلمة اصطلاحية في علم اداب البحث وهو استلزام الدليل للمدعى (٢) هو عبد الله ابن الحشرج القيسي امير خراسان لبني امية

بالمشاهدة ولان الملل التي تقدمتها كانت تنسى بوفاة رسلها وانقطاع اقوالهم . والحنيفية بقي أثرها ناطقا فاذا كان اول مسجد بناه ابراهيم للتوحيد هو الكعبة تكون الملة التي نبعت منه وظهرت فيه أفضل الملل بحكم اعطاء شرف القرين لقرينه

وقوله تعلى مباركا حال من اسم الموصول الصادق على البيت اي مجعولا ذا بركة والبركة كثرة الخير ونماؤه من جانب الله تعالى دون سبب عادي ووصف البيت بذلك باعتبار ذاته إذ كان قد باشر بناءه رسول الله إبراهيم وابنه اسماعيل رسول الله فلامست ايديهما حجارته وطينه ثم اعان فيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بنته قريش ثم كان هو الواضع للحجر الاسود منه بيده لما اختلفت بطون قريش في الذي يتولى وضعه في موضعه فقد توالى على بنائه ثلاثة رسل وذلك لم يكن لبناء غيره وذلك الحجر الاسود الذي وضعته ايدي ثلاثة رسل هو هو لم يزل قائما ماثلا للناس

وقوله وهدى للعالمين حال ثانية من الموصول ويجيء الحال مصدرا كالوصف بالمصدر وكالاخبار بالمصدر لقصد المبالغة اي هاديا للعالمين فجعل كانه نفس الهدى ووصف البيت بذلك لان وضعه كان للدلالة على توحيد الله كما علمت فكل من يراه يسأل عنه وعن سبب وضعه وعن واضعه فيخبر بذلك فينظر فيهتدي الى التوحيد ولان سدنته وحفظته وهم ذرية واضعه قد وكلت اليهم الدعوة الى ذلك الهدى الذي اراده جدهم وفي هذا تعريض بالمشركين اذ جعلوا مصدر الهدى مصدر إشراك ولذلك لما ازال النبيء صلى الله عليه وسلم الاصنام من الكعبة يوم الفتح قرأ « جاء الحق وزهق الباطل » ولم يأمر بذلك في ازالة الاصنام الاخرى لان وضع الاصنام في هيكل التوحيد من أعظم الباطل والاعتداء زيادة على كون مجرد اتخاذ الاصنام هو من الباطل . وقوله تعلى فيه آيات بينات يجوز ان يكون استيناف كلام ويجوز ان يكون حالا ثالثة وكيفما كان فهو من تفصيل التفضيل و« الآيات » جمع آية وهي العلامة المصدقة للدعوى فالمراد هنا آيات على كونه مباركا وهدى سواء اشترك في الاهتداء بها سائر الناس ام اختص بها البعض على تفاوتهم في الاختصاص بها بحسب ما يفتح الله لهم من ابواب الارشاد الالهي والفتح النوراني وقد اقتضى الكلام ان الآيات كائنة في البيت فان كانت الظرفية المستفادة من في ظرفية حقيقية فالمراد من الآيات آيات ظاهرة كائنة في المسجد الحرام وهي عدة منها الحجر الاسود فالمتواتر انه نزل من السماء رآه ابراهيم حين نزل على جبل ابي قبيس فأخذه وجعله في ركن الكعبة زيادة في تشريفها اذ كان من حجارة جدرانها حجارة نزلت من السماء ومعنى ذلك ان يكون الحجر الاسود من الحجارة التي ترمي بها النجوم فتصادف ظهر الارض تارات وتكون هذه خصوصية له لثبوت نزوله برؤية الرسول إبراهيم اياه حين نزوله ولتواتر ذلك عن خبره في العرب . والآية الثانية

أقـدام إبراهيم في الحجر الذي كان يقف عليه وذلك متواتر عند الناس الى اليوم ومن المأثور عند العرب قول ابي طالب من قصيدته

وموطىء إبراهيم في الصخر قائما على قدميه حـافيـا غير نـاعل

ومنها بئر زمزم الذي تواتر عند العرب ان الله فجره لهاجر لما ضمئت وضميء ولدها اسماعيل . ومنها ان البيت هو الاثر الوحيد المقطوع بان ابراهيم أقامه هنالك لانه لما اقامه أقام له اهله شهداء عليه وتناقلته الاجيال بالتواتر وهذا لا يوجد في اثر آخر من اثار ابراهيم عليه السلام بل كلها قد اندثر وما تعين موضع بيت المقدس الا بوحي وخبر . وان كانت الظرفية مجـازية فالمعنى انه يشتمل على دلائل الوحدانية والرسالة بالدلائل المحسوسة التي ذكرناها وبما علمناه مما حدث فيه من المعجزات لابراهيم وإسماعيل عليهما السلام ومعجـزات محمد صلى الله عليه وسلم مثل شق صدره والاسراء به ونـزول الوحي عليه وعصمة الله تعلى إياه من اعدائـه كل ذلك كائن فيه وحواليه وبما لم نعلمـه من المعجزات والاسرار الواقعة فيه بين الله ورسله مما لا يعلمه الا الله ومن أطلعه من خاصـة عباده . ومن ءاياته ما جعل له من الحرمة في نفـوس الخلق من العرب وغيرهم من سائر الملل منذ حجته الجبابرة من الملوك والاكاسرة وكسته التبابعة وقدسته سائر العرب واحترموا قريشا لانهم سدنتـه وذرية مؤسسه وقد قال ابو طالب في خطبته « وجعلنا حضنة بيته . وسواس حرمه وجعلنا الحكام على الناس » ومنها ما يسر الله لسكانه من الارزاق بسببه وذلك بمجيء الناس للحج من كل فج عميق قال الله تعلى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلمـوا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم . وان من أكبر الآيات فيه للمهتدي انه مصدر التوحيد والحنيفية ثم انشقت منه جداول الشرائع والهدي اشتقاق الجـداول من النهر ثم اجتمعت وآوت اليه في شريعة الاسلام فعاد النهر الى مجراه وفي ذلك رمز الهي الى ان الدين عند الله هو الاسلام وانه ابتـدأ على يد ابراهيم في مكة كالحبة المزروعة الى ان آن اوان جناه فظهر من حيث بـدىء ليدل على ان الزرع قد نضج وان الغرس قد أثمر .

وقـوله تعلى (مقام ابراهيم) المقام اسم على وزن المفعل مشتق من القيام مراد بـه مكان القيام والقيام يطلق ايضا على الوقوف للدعاء والعبادة كالصلاة فمقام ابراهيم يصح ان يكون المراد منه مسجد إبراهيم ومصالحه ومحل وقوفه بين يدي ربه كما قال زيد بن عمرو بن نفيل

عذت بما عـاذ بـه إبراهم مستقبل الكعبـة وهو قـائم

وعليه فمقام إبراهيم هو البيت فيكون قوله مقام إبراهيم مرفوعا على الاستيناف كالنعت المقطوع

أي هو مسجد إبراهيم والغرض من الاضافة لهذا الاسم التنويه بالمضاف لزيادة تشريف المضاف ويصح أن يكون المقام مشتقا من مطلق القيام اي محل قيام ابراهيم لبناء الكعبة كقول ابي طالب المتقدم « وموطيء ابراهيم في الصخر قائما » (البيت) فيكون المراد بالمقام الحجر الذي فيه اثر قدمي إبراهيم عليه السلام وهو مما اطلق عليه المقام من عهد الجاهلية وفي الاسلام وقد قيل إنه المراد في قوله تعلى « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » وقال الفرزدق

الم ترني عاهدت ربي وانني لبين رتاج قائما ومقام

فيكون رفعه على انه بدل من آيات بدل مفصل من مجمل غير ان المبدل منه جمع والبدل مفرد فلم يذكر بقية المفصل اكتفاء بالمهم من الآيات وعلى هذا المعنى فسر الزجاج وتبعه الزمخشري ، وزاد فجعل مقام ابراهيم بمنزلة آيات كثيرة لقوة دلالته او لانه يشتمل على آيات لان بقاء أثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية اه

وقوله تعلى ومن دخله كان آمنا لفظه لفظ الخبر والظاهر ان معناه كذلك فيكون من جملة صفات البيت ويكون هذا من دلائل عناية الله به إذ سخر الامم والهمم لاحترامه وتأمين داخله فقد كان العرب مع شدة حنقهم على اعدائهم يلقى الرجل في المسجد الحرام قاتل ابنه او ابيه فلا يتعرض له ويكون هذا المعنى آية ثانية فيكون البدل من الجمع قد وقع باثنين وسكت عن الثالث ونظره في الكشاف بقول جرير

كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها

ولم يذكر الثلث الثالث ثم يبقى على هذا الوجه ان بقية الآيات ترك ذكرها اكتفاء بهذين الآيتين العظيمتين او بما يتضمنه قوله ومن دخله كان آمنا من آيات كثيرة منها تيسير الارزاق ولذلك جمع إبراهيم في دعوته للبلد الحرام ملاك الخيرات اذ قال فيما حكى الله عنه : وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات . ويجوز ان تكون الآية الثالثة هي مضمون قوله : ولله على الناس حج البيت الخ لما يقتضيه الحج من الخيرات لاهل مكة

وقيل ان معنى هذا الخبر الامر اي آمنوا من دخله كقوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من دخل دار بني سفيان فهو آمن اي فأمنوه وهو لا يفيت المقصود من التشريف ولكنه لا يدل على تشريف مقرر قديم والحمل على الاول اولى . ولا يرد عليه انه قد انتهكت حرمة أمنه في بعض الازمنة مثل ما فعله القرامطة لان الآيات هي أمنه فيما مضى يسره الله لهم ليكون ملجأ قائما مقام العدل ثم أغنى الله عن ذلك بالاسلام ولان القضايا النادرة لا تقدح في الشرف الاثيل

الحديث الشريف

باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه

وقال الربيع بن خثيم من كل ما ضاق على الناس

عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (رواه البخاري)

البيان

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز
جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

التوكل على الله تعالى خصلة من خصال الايمان ومرقاة من مراقي التقرب وثمرة المعرفة بالله ونتيجة صدق التوحيد لذلك ندب الله عباده اليه في آيات كثيرة فقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وفي ربط التوكل بالايمان من المبالغة في الحث عليه ما لا يخفى لاشعاره بانه من توابعه ومقتضياته

واعلم ان مغزى هذه الآية مع سابقتها هو التنويه بملة الاسلام وبيان انها هي الحنيفية التي فضلها الله تعلى والتي بعث ابراهيم بأصولها وانها دعوة ابراهيم فيما حكى الله عنه من قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . فكانت ملة الاسلام هي كمال الحنيفية وتفصيلها وقد نصب الله على ذلك آية خفية تظهر للمهتدي وهي ان إبراهيم أظهر الحنيفية في مكة وأقام لذلك علما وهو المسجد الحرام وأقام ابنه اسماعيل داعيا لها هنالك ثم لم يبعث الله رسولا بعد إبراهيم وابنه في ذلك البلد فتطوحت الشرائع في بلاد الله حتى جاء الدين الذي اراده الله لاظهار الشريعة الجامعة . وفي بقاء هذا الاثر المبارك من آثار ابراهيم واندثار غيره معجزة خفية وإشارة آلهية الى ان جميع الشرائع التي تفرعت عن ملة ابراهيم من شريعة موسى وغيره شرائع زائلة وان الشريعة الخالدة هي الشريعة التي تظهر مرة اخرى من جانب هذا الاثر فبعث الله من مكة رسولا يلم بدعوته اشتات الامم ويزجي بهم الى الانضواء تحت ذلك العلم وبذلك حق مراد الله تعلى وتم .

محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

وقال جل ذكره ومن يتوكل على الله فهو حسبه وفي هذا الوعد غاية الترغيب في الاقبال على التوكل والاخذ بتلابيبه اذ من جعله الله في كنف كفايته لم يذق لباس الحاجة وأمن مكاره الاهمال وقال الله تعالى ان الله يحب المتوكلين وفي هذا الخبر بشارة بان لا يمس المتوكل عذاب الآخرة لان المحبة والتعذيب لا يجتمعان في فرد وهذا رد الله على المفترين القائلين نحن ابناء الله وأحباؤه بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم. وإذا كان التوكل بهذه المنزلة العظيمة تعين الاهتمام بالكشف عن معناه والاسباب المفضية اليه والنتائج المترتبة عليه. فاما معناه فلا يمكن أن يكون من المستعجمات التي تستعصي على أفهام الدهماء كما يدعيه بعض أهل الباطن ومنهم حجة الاسلام الغزالي فقد قال في كتابه التوحيد والتوكل من الاحياء ما نصه وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء إلا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا اهـ. فنزعم مثل هذا في المطلوبات الشرعية لا ينبغي سلوكه ولا اعتقاده إذ الشريعة عامة معالمها لاحبة ومناهجها واضحة لا تطلب من الناس شيئا يدق فهمه عليهم وتستتر حقيقته دونهم وقد اجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان المطلوبات قولا وفعلا ولم يبق في كنانة الايضاح نبلا فجزاه الله عنا احسن ما جازى به نبيا عن امته وكل ما يغمض ويدق فهمه لا يقع التكليف به اذ ذلك من قبيل الحرج وما جعل عليكم في الدين من حرج ومن اجل هذا ينبغي القطع بان كثيرا من المسائل الكلامية التي هتك المتكلمون حجابها وخاضوا عبابها لم يقع التكليف به والناس من جهله في سعة ولله در الشيخ الذي أتي به مقيدا في ايام فتنة القول بخلق القرآن فقال له ابن ابي دؤاد يا شيخ ما تقول في القرآن أمخلوق هو فقال له الشيخ لم تنصفني المسألة انا اسألك قبل الجواب هذا الذي تقوله يا ابن ابي دؤاد من خلق القرآن شيء علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أو جهلوه فقال بل علموه فقال فهل دعوا اليه الناس كما دعوتهم انت او سكتوا قال بل سكتوا قال فهل وسعك ما وسعهم من السكوت فسكت ابن ابي دؤاد وأعجب الواثق كلامه وأمر باطلاق سبيله وقام الواثق من مجلسه وهو يقول هلا وسعك ما وسعهم يكرر هذه الكلمة وكان ذلك من الاسباب في خمود الفتنة وإن كان تمام تقويضها انما حصل على يد المتوكل

فمعرفة التوكل بمعرفة معناه اللغوي اذ القرآن عربي لفظا ونظما ودلالة فيجب حمل الفاظه على معانيها اللغوية حتى يثبت النقل والتصرف من الشارع. والمعنى اللغوي للتوكل هو الاستسلام واظهار العجز والاعتماد على الغير ففي القاموس وكل بالله يكل وتوكل على الله وأوكل واتكل استسلم اليه ووكل

اليه الامر وكلا ووكولا سلمه وتركه والتوكل اظهار العجز والاعتماد على الغير والاسم التكلان اه ومن هنا نفهم من قول الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ان المعنى اعتمدوا عليه ولا تعتمدوا على غيره ومن قول الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان المعنى من يعتمد عليه يكفه ولما حذف متعلق الكفاية وحذف المتعلق مؤذن بالعموم قال الربيع بن خثيم من كل مـا ضاق على الناس اي ان الكفاية لا تختص بناحية بل تجري في عموم الاشياء واذا كان التوكل على الله بمعنى اعتماد القلب عليه فهل هذا الاعتماد يستلزم الاعراض عن التاخذ في الاسباب أولا وعلى الثاني فهل الاحسن إهمـال الاسباب او ملابستها وعلى الثاني فهل يلزم القصد الى المسبب او الاعراض عنه هذه مباحث ثلاثة مترتبة يلزم تقصيها وقطع فيافيها

اما المبحث الاول فالجواب عنه انه تبين من معنى التوكل ان ليس فيه ما يقتضي نبـذ التسبب أو ملابسته لان الاعتماد على الله في حصول المرام يجامع التسبب وضده ولهـذا قـال الشهاب القـرافي في فروقه الصحيح ان لا ملازمة بين التوكل وترك الاسباب لان التوكل هو اعتماد القلب على الله تعـالى فيما يجلبه من خير او يدفعه من ضر

واما المبحث الثاني فالجواب عنه ان الاحسن ملابسة الاسباب مع التوكل لان الله تعالى أمـر بالاستعداد فقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل مع الامر بالتوكل في قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وأمر بالتحرز من الشيطان فقال ان الشيطـان لكم عدو فاتخذوه عدوا اي تحرزوا منه وامر بملابسة اسباب الاحتياط والحذر في غير ما موضع من كتابه العزيز ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد المتوكلين كان يطوف على القبائـل ويقول من يعصمني حتى ابلغ رسالة ربي وكان له جماعة يحرسونه من العدو حتى نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس ودخل مكة مظاهرا بين درعين ولبس على راسه المغفر وأقعد الرماة على فم الشعب وخندق حول المدينـة وأذن في الهجرة الى الحبشة والى المدينة وهاجر هو وقال للذي سأله أيعقل ناقته أو يتوكل أعقلها وتوكل وكان في آخر عمره وأكمل احواله مع ربه تعـالى يدخر قوت سنـة لعياله ولان وجـوه اصحابه من المهاجرين والانصار كانوا يشتغلون بأسباب الارتزاق ففي حديث ابي هريرة ان اخوتي من المهاجـرين كان يشغلهم صفق بالاسواق وكان يشغل اخوتي من الانصار عمل اموالهم وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم لما آخى بين المهاجرين والانصار وانقلب عبد الرحمان بن عوف الى اخيه الانصاري اراد الانصاري ان ينزل له عن احدى زوجتيه وان يقاسمه ماله فـأبى عبد الرحمان بن عوف ودعا لـه بالبركة في اهله وماله وقال دلني على السوق فدله عليها وأخذ في البيع والشراء الى ان استفاد ما مكنه

من التزوج وفي الصحيح ان ابابكر رضي الله عنه قال لما استخلف لقد علم قومي ان حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة اهلي وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل ابي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين فيه فتمالؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه اصحابه على التسبب دليل على رجحانه وشاهد لكونه غير مناف للتوكل

واما المبحث الثالث فالجواب عنه ان القصد الى المسبب موكول الى خيرة المكلف فان شاء قصده وان شاء ترك القصد اليه واما جواز قصد المسبب وقت التسبب فيدل عليه انه التفات الى العادات الجارية لا ينافي مقصدا شرعيا فيكون في دائرة الاباحة وإذا قصد المتسبب ان يهيء الله له بهذا السبب مسببا يقوم به امره ويصلح به حاله فقد رجع الى الاعتماد على الله والالتجا اليه في ذلك على ان قصد المنفعة مساير لما وضعت له الشريعة فانها شرعت لمصالح العباد وقد اوما كثير من الآيات القرآنية الى صحة هذا القصد قال الله تعالى الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله . وقال فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله . فعبر عن الاكتساب والاتجار بالقصد الى الفضل وسيق مساق الامتنان واشعر بصحة هذا القصد

واما جواز ترك الالتفات الى المسببات والقصد اليها فالدليل عليه ان المسببات راجعة الى الله تعالى وليست من كسب المكلف فمراعاة ما هو راجع لكسبه هو اللازم ومراعاة ما ليس من كسبه لا يلزمه فله ان يكتسب لمعاشه بالزراعة او التجارة او غيرها لان الله ندبه الى القيام بتلك الاعمال كما يصلي ويصوم ويزكي من غير ملاحظة ما يترتب عليها . ويزيد هذا ايضاحا ان السبب غير مؤثر بنفسه وانما يقع المسبب عنده لا به كما يدل عليه حديث العدوى وقوله عليه الصلاة والسلام فمن أعدى الاول وقول عمر في حديث الطاعون نفر من قدر الله الى قدر الله حين قال له ابو عبيدة ابن الجراح أفرارا من قدر الله . وحديث جف القلم بما هو كائن فلو اجتمع الخلق على ان يعطوك شيئا لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه وعلى ان يمنعوك شيئا كتبه الله لك لم يقدروا عليه والمسألة قطعية واذا كان الامر على هذا الشان فالالتفات الى المسبب في فعل السبب لا يؤثر شيئا لان المسبب في دائرة الامكان قد يكون وقد لا يكون وهب ان مجاري العادات تقتضي وجوده فكونه تحت نفوذ القدرة يقتضي جواز حصوله وعدم حصوله ونقض مجاري العادات دليل على ذلك

ولا يلزم من قصد الشارع الى المسببات والتفاته اليها قصد المكلف اليها لان الشارع لم يقصد وقوع المسبئات بالتكليف بها كما قصد ذلك بالاسباب بدليل ان المسببات خارجة عن دائرة المقدور فلا يقع التكليف بها وانما قصد وقوع المسببات بحسب ارتباط العادة الجارية في الخلق وهو ان يكون خلق

المسببات وايجادها على اثر ايقاع المكلف للاسباب يسعد من سعد ويشقى من شقي فلا ارتباط لقصد الشارع لوقوع المسببات بالقصد التكليفي

واما اسباب التوكل فقد بينها الله تعالى عجز هذه الآية حيث قال ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا اذ معنى الجملة الاولى على ما قاله المفسرون ان الله منفذ امره بالغ مراده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب ومعنى الجملة الثانية قد جعل الله لكل شيء قدرا اي تقديرا وتوقيتا او مقدارا قال الكلبي ومقاتل لكل شيء من الشدة والرخاء اجل ينتهي اليه قدر الله تعالى ذلك كله لا يقدم ولا يؤخر فاذا علم العبد ان الله يبلغ أمره وينفذ مراده فيما يريد من خلقه وان كل شيء من الخفض والرفع والاعزاز والاذلال والخير والشر من الله تعالى وبتقديره لم يبق الا الاستسلام له والتوجه اليه والاعتماد عليه ولهذا قيل ان التوكل ثمرة المعرفة بالله تعالى ونتيجة صدق التوحيد اي استمرار الجزم واستصحاب اليقين بان لا ورد ولا صدر ولا خير ولا ضر الا بقضاء الله وقدره

فان قيل الايمان بالقضاء والقدر عقيدة كافة اهل السنة التي جرت في دمائهم وامتزجت بالبابهم فيلزم ان يكون جميعهم من المتوكلين ويلزم ان يغني الامر بالايمان عن الامر بالتوكل لانه لازمه الذي لا ينفك عنه . قلت التوكل من الافعال القلبية وهو سكون القلب وطمأنينته واعتماده على الله تعالى ولا يلزم من ايقان القلب بشيء حصول الطمأنينة معه والسكون اذ قد يضعف القلب بمساورة الجبن له وينزعج للاوهام الغالبة عليه فيتبع القلب الوهم ويطيعه من غير نقصان في اليقين كحال المتناول عسلا ليشربه فيشبه بين يديه بما ينفر منه طبعه فربما تأثر من ذلك حتى يتعذر عليه تناوله مع جزمه بانه عسل ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في فراش نفر طبعه وان تيقن أنه جماد في الحال وان سنة الله مطردة ان لا يحشره الآن ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة ان لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش وذلك جبن في القلب ونوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل . فالتوكل لا يتم الا بقوة القلب وقوة اليقين اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته والموجود في عامة المؤمنين الايقان اما قوة القلب فمختلفون فيها ولهذا نجد الناس في هذا المقام منقسمين الى ثلاثة اقسام قسم عاملوا الله تعالى باعتماد قلوبهم على قدرته مع اهمال الاسباب والعوائد العامة فحصل لهم التوكل لكن لم يجروا على الطريق السابلة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهتدون وما التزم هؤلاء هذا السلوك الالمعان انقدحت في نفوسهم واحوال حصلت لهم جروا بمقتضاها على مقاصد صحيحة شرعية بيد ان هذه المعاني والاحوال لما اختصت بهم ولم يشاركهم الجمهور فيها لم يصح لمن لم يكن على سبيلهم ان يتأسى بهم فيما فعلوا وانتهجوا

تحقيق خبر من احاديث شمائله صلى الله عليه وسلم

بقلم العلامة النظار الشيخ سيدي بلحسن
النجار المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

الحمد لله كنت وقفت على سؤال اورده الشهاب احمد ابن حجر الهيتمى المكي في فتاويه الحديثية عما ذكره الدميري في شرح المنهاج في الكلام على قوله : ويرسل مسبحته ان سبابته صلى الله عليه وسلم اطول من الوسطى والوسطى اطول من البنصر والبنصر اطول من الخنصر واورد فيه حديثا هل ذكره غيره واجاب عنه بقوله ذكره شيخ الاسلام ابن حجر في أسد الغابة والقرطبي في تفسير سورة البقرة (١) .

فظهر لي لاول نظرة ان الحديث الذي اورده الدميري شاذ غير مقبول وذلك لوجوه :

الاول - ان الصحابة الذين رويت عنهم احاديث شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم لم يهملوا في بيانها ذكر الجلي منها والخفي ولاحظوا اوضاع اعضائه الشريفة واشكالها ووصفوها وصفا دقيقا تناول كل ما يتعلق الغرض بمعرفته فقالوا في وصف يديه الكريمتين انه ضخم الذراعين عريضهما اشعرهما

ولا ينبغي التغبير في وجوه هؤلاء السادة ووصفهم بإساءة الادب مع الله تعالى كما زعمه الشهاب القرافي بل يلتمس لهم احسن المخارج كما فعل حجة الاسلام الغزالي وابو اسحاق الشاطبي اذ عند اعمال النظر نجدهم قد سلكوا اسبابا غريبة غير عامة فلنتركهم وشأنهم

القسم الثاني من لاحظ الاسباب وأعرض عن التوكل وهم عامة الخلق وشر الاقسام وربما وضلوا بملاحظة الاسباب والاعراض عن المسبب الى الكفر والعياذ بالله تعالى لاعتقاد تأثيرها وقد ورد في الحديث أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بنوء كذا فهو كافر بي مؤمن بالكوكب الحديث

والقسم الثالث من اعتمدت قلوبهم على قدرة الله تعالى فطلبوا فضله في عوائده ملاحظين في تلك الاسباب مسببها وميسرها فجمعوا بين التوكل والادب في التماس فضل الله تعالى في عوائده العامة وهذا الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه واكثر العارفين به تعالى وبه يتبين انه الحق الابلج والطريق الانهج (يتبع)

---

(١) ج ١ ص ٢٠٤

سبط القصب من العضدين والذراعين اي ممتدهما طويلهما ليس فيهما تعقد ولا نتو رحب الراحة أي واسعها شثن الكفين اي لحيمهما سائل الاطراف اي ممتد الاصابع وان كفه الين من الحرير وابرد من الثلج واطيب من ريح المسك وبينوا حركات يده صلى الله عليه وسلم في حال كلامه وانه يضرب بابهام يده اليمنى في كف اليسرى -

أفبعد هذا البيان ووراء هذا التفصيل يقال ان سبابة يده صلى الله عليه وسلم أطول من الوسطى إذ لو كانت كما قيل لما أهمل بيان حالها من تهمم من الصحابة ببيان شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم كعلي وابن عباس وعائشة وهند بن ابي هالة وابي بكر وابي هريرة وجرير بن عبد الله البجلي وابي الطفيل وجابر بن سمرة رضوان الله تعلى عليهم وهم هم خبرة وضبطا وعناية واتقان حديثه مع مكانتهم عنده عليه الصلاة والسلام وشدة اتصالهم به ومعرفتهم لاحواله . كيف ومنهم زوجته وابن عمه وربيبه وكلهم ملازمون له صلى الله عليه وسلم

ثانيا - ان ما ذكره الدميري من أن سبابة يده صلى الله عليه وسلم اطول من الوسطى هو من الشذوذ في الخلقة والحالات النادرة التي تلفت الانظار وتتعلق العناية بالتنبيه عليه بحيث تتوفر الدواعي على نقله فإهمال اولئك الصحابة الاعلام وغيرهم التعرض لبيانه دليل على عدم وجوده وقد عد علماء الاثر والاصول من علامات كذب خبر الاحاد ان لا يتواتر مع عدم قيام غيره مقامه فيما شانه ان يكون متواترا وقد رد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حديث ابي موسى الاشعري وحده في الاستئذان لحصول الريبة فيه عنده لان الاستئذان امر يتكرر فلو لم يعرفه الا واحد لكان ذلك ريبة توجب الرد

ثالثا - ان كفه صلى الله عليه وسلم لم تكن خافية على اصحابه والناس اجمعين بل كانت مجلوة لهم بارزة في مناسبات كثيرة وجموع حافلة كواقعة بيعة الرضوان وحادث معجزة نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم والناس ينظرون اليها وهم في عدد عظيم وجيش كثيف ولو كان الامر كما رواه الدميري للاحظه من حضر هذه الوقائع وعاين يده الكريمة عند البيعة او حين نبع الماء من بين اصابعها لانه شكل غريب نادر في الناس

رابعا - ان ما ذكره الدميري يخل بجمال الكف وانتظام أصابعه صلى الله عليه وسلم وتناسب انامله والحسن تناسب . والخروج عن المعتاد في الخلق يعد شينا مخلا بالاعتدال وقد اتفق واصفوه على انه عليه الصلاة والسلام معتدل الخلق اي الصورة الظاهرة بمعنى ان اعضاءه متناسبة وكل متناسب معتدل وكل متوسط في الكم والكيف معتدل فهب ان اولياءه كتموه فان اعداءه يذيعونه

وقد أنكر الرواة من حديث جابر ابن سمرة قوله ان خنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

من رجله كانت متظاهرة وقالوا ان في سنده سلمة بن حفص السعدي وقد قال ابن حبان في حقه انه كان يضع الحديث فلا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه وحديثه هذا باطل لا اصل لـه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معتدل الخلق اهـ .

ولم يقر المحدثون الزيادة في شمائله اذا وردت من طريق ضعيف قال ابن ابي حاتم الرازي في كتابه علل الحديث سألت ابي عن حديث رواه محمد بن القاسم الاسدي عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن انس بن مالك قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جمة (١) جعدة فقال هذا حديث منكر لم يروه غير محمد بن القاسم (٢)

كل هذه الاعتبارات تحملنا على القول بان الحديث الذي اورده الدميري من الشذوذ بمكان او هو باطل لا أصل له كما قيل في نظيره وتدعنا نهمل أمر البحث عن جلية حاله غير ان الشيخ الهيتمي قد نقل ان غير الدميرى قد ذكره واذ قد دعا لاحضار ممكن ومراجعة ميسور فلا محيص عن التفتيش عنه في كتابي « أسد الغابة » و « الجامع لاحكام القرءان » للقرطبي اما الشيخ القرطبي فقال عند الكلام على تفسير قوله تعالى « وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين » الآية ما نصه وروي عن اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المشيرة منها كانت اطول من الوسطى ثم البنصر اقصر من الوسطى وروى يزيد بن هارون قال اخبرني عبد الله بن مقسم الطائني قال حدثتني عمتي سارة بنت مقسم انها سمعت ميمونة بنت كردم قالت خرجت في حجة حجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وسأله ابي عن اشياء فلقد رايتني اتعجب وانا جارية من طول إصبعه التي تلي الابهام على سائر اصابعه (٣)

استدل الشيخ القرطبي بحديث ميمونة على ما ذكره من ان المشيرة من اصابعه وهي سبابة الكف اطول من وسطاه مع ما فيه من الاجمال حيث لم تبين به الاصبع التي تعنيها ميمونة وهل هي من كفه صلى الله عليه وسلم او من قدمه وهو والحال ما ذكر لا يتم بـه الاستدلال

وقد انتقده الشيخ محمد طاهر الهندي الفتني المتوفى سنة ٩٦٦ قال في كتابه تذكرة الحفاظ ما نصه حديث ان سبابة النبيء صلى الله عليه وسلم كانت اطول من الوسطى اشتهر كثيرا وهو خطأ بسئل شيخنا عن قول القرطبي في طول مسبحته فأجاب بانه غلط منه وانما كان ذلك في اصابع رجله اهـ(٤)

أخذت الحقيقة تتجلى واستبان ان السبابة المتحدث عنها هي سبابة قدمه الشريفة صلى الله عليه

(١) مجتمع شعر الرأس وهي اكثر من الوفرة ودون اللمة في الطول (٢) ص ٣٩١ ج ٢ (٣) ص ١٠ ج ٦ طبع دار الكتب المصرية (٤) ص ٨٨

وسلم وطول سبابة القدم امر متعارف وغالب في الناس لا شين فيه ولا غرابة تعتريه ولا يلفت الانظار اليه ولذا اهمل ذكره رواة شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم وانما عجبت منه ميمونه بنت كردم لانها كانت وقتئذ جارية كما قالت معتذرة فعلق بذهنها ما راته من قدمه صلى الله عليه وسلم في حال التزام ابيها لها فحدثت به كما علق بذهن محمود بن الربيع بن سراقة الانصاري الخزرجي رضي الله تعلى عنه مجة مجها في وجهه النبيء صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين من دلو (١)

واما ما عزاه الشيخ الهيتمي لابن حجر في أسد الغابة فقد غلط للشيخ في اسم مؤلف كتاب اسد الغابه والصواب انه لعز الدين ابي الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابن الاثير صاحب التاريخ الكامل المتوفي سنة ٦٣٣ وهو احد ثلاثة اخوة لهم ذكر جميل بين اهل العلم نتجاوز للشيخ الهيتمي هذا الغلط البين بيد ان المذكور في أسد الغابة مخالف لما قاله ونصه روى يزيد بن هارون عن عبد الله بن يزيد بن مقسم عن عمته سارة بنت مقسم عن ميمونة بنت كردم قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقته وانا مع ابي ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم درة (٢) كدرة الكتاب والناس يقولون الطبطبية الطبطبية(٣) فدنا منه ابي فاخذ بقدمه فاقر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فما نسيت طول اصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه (٤) عجبا للشيخ الهيتمي كيف عزا لاسد الغابة حديثا على غير ما هو فيه اذ المذكور فيه حديث طول سبابة قدمه صلى الله عليه وسلم لا سبابة يده

وإذ قد أبلج الحق وظهر الصبح لذي عينين نقول ان حديث ان سبابة قدمه صلى الله عليه وسلم اطول من سائر اصابعها يدور على ميمونة بنت كردم (٥) بن سفيان بن ابان بن أنمار بن حطيط بن جشم الثقفي(٦) ويقال لها اليسارية قال ابن حبان لها صحبة وقال ابن منده لها رؤية روت عن النبيء صلى الله عليه وسلم وعنها يزيد بن مقسم وقيل عنه عن سارة عنها وفي اسناد حديثها خلاف(٧) قال في الاستيعاب روى عنها يزيد بن مقسم حديثها عن اهل البصرة وليس يزيد هذا بمعروف (٨) قال في الاصابة كذا في بعض نسخ الاستيعاب ولم يقع في نسخة ابن الاثير وفي كلام ابي عمر نظر لأنه قال حديثها عند اهل البصرة وانما هو عند اهل الطائف أخرجه ابو داود في كتاب الايمان والنذور من السنن من طريق عبد الله بن يزيد بن مقسم عن ابيه عن عمته عنها ومنهم من أسقط سارة من السند ومنهم من أسقط عبد الله وأخرج حديثها ابن ماجة ايضاً ووقع لنا بعلو في المعرفة لابن منده واخرجه

---

(١) صحيح البخاري كتاب العلم (٢) سوط (٣) درة (٤) ص ٢٣٤ ج ٤ (٥) كردم كجعفر تقريب التهذيب ص ٣٤٣ طبع الهند (٦) الاصابة ص ٢٩٦ ج ٥ (٧) تهذيب التهذيب ص ٤٥٤ ج ١٢ (٨) ص ٤٠٨ ج ٥

من طريق أبي نعيم عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن يزيد بن مقسم عن ميمونة انها كانت رديفة أبيها فسمعت أباها يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت ان انحر ببوانة(١) قال هل بها وثن او طاغية قال لا قال فأوف بنذرك حيث نذرت واخرجه احمد بن حنبل عن يزيد بن هارون عن عبيد الله بن يزيد بن مقسم عن عمته سارة بنت مقسم عن ميمونة بنت كردم مطولا وقد ذكرت بعضه في ترجمة طارق بن المرقع وفيه عن ميمونة قالت وبيد رسول الله صلى الله عليه وسلم درة كدرة الكتاب فسمعت الاعراب يقولون الطبطبية فدنا منه أبي فأخذ بقدمه فاقر له قالت فما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه(٢) قلت اما الامام احمد فقد خرج حديث ميمونة في مسنده من طريق يزيد بن هارون عن ميمونة بنت كردم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقته وانا مع ابي وبيد رسول الله صلى الله عليه وسلم درة كدرة الكتاب فسمعت الاعراب والناس يقولون الطبطبية فدنا منه ابي فاخذ بقدمه فاقر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فما نسيت فيما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه وخرج لها من طريق أبي أحمد قال حدثنا عبد الله يعني ابا عبد الرحمن بن يعلى الطائفي عن يزيد بن مقسم عن مولاته ميمونة بنت كردم قالت كنت ردف ابي فسمعته يسال النبيء صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني نذرت ان أنحر ببوانة فقال أبها وثن أم طاغية فقال لا قال أوف بنذرك (٣) واما ابن ماجة فخرج حديثها عن سؤال ابيها وهي رديفة له للنبيء صلى الله عليه وسلم عن نذره من طريق ابي بكر بن ابي شيبة عن مروان ابن معاوية عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي وعن ابن دكين عن عبد الله بن عبد الرحمن عن يزيد بن مقسم عن ميمونة بنت كردم(٤) واما ابو داود فلم يخرج الحديث عن ميمونة ولفظه حدثنا داود ابن رشيد قال حدثنا شعيب بن اسحاق عن الاوزاعي قال حدثنا يحي ابن ابي كثير قال حدثني ابو قلابة قال حدثني ثابت بن الضحاك قال نذر رجل على عهد النبيء صلى الله عليه وسلم ان ينحر ابلا ببوانة فاتى النبيء صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت ان انحر ابلا ببوانة فقال النبيء صلى الله عليه وسلم هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال هل كان فيها عيد من اعيادهم قالوا لا قال النبيء صلى الله عليه وسلم أوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم قال في شرحه « بذل المجهود » لعل الرجل كردم ابن سفيان ابن أبان او كردم بن قيسر بن ابي السائب(٥) وخرج حديث النذر الشيخ ابو البركات عبد السلام بن تيمية في منتقى الاخبار قال في نيل الاوطار حديث ميمونة

---

(١) بالضم وتخفيف الواو هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر معجم البلدان ص ٣٠٠ ج ١ (٢) ج ٨ ص ١٩٥ (٣) ص ٣٦٦ ج ٦ (٤) ص ٣٣٤ ج ١ (٥) ص ٢٣١ ج ٤

بنت كردم رجال اسناده في سنن ابن ماجة رجال الصحيح وعبد الله بن عبد الرحمن الطايفي قد اخرج له مسلم(١)

وقال فيه يحي بن معين صالح وقال ابو حاتم ليس بالقوي وقال في التقريب صدوق يخطيء وقد اخرجه ابن ماجة من طريق اخرى من طريق ابن عباس (٢)

وقد تعرض من كتب من المتأخرين في شمائله صلى الله عليه وسلم وسيرته لخبر طول سبابة قدمه على سائر اصابعه وبينوا غلط من قال انها سبابة يده الشريفة قال المحدث الشيخ عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٠٢ في شرحه للشمائل عند الكلام على قدميه صلى الله عليه وسلم ما نصه روى احمد وغيره ان سبابتيهما كانتا اطول من بقية اصابعهما (٣) وقال الشيخ محمد المهدي بن احمد بن علي بن يوسف الفاسي في كتابه «سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبيء الاول والآخر» المتوفى سنة ١١٠٩ (٤) وما يذكر من ان سبابته صلى الله عليه وسلم كانت اطول من الوسطى فانما ذلك في اصابع رجليه ومن حمله على اصابع يديه فقد غلط والحديث رواه احمد والطبراني والبيهقي في الدلائل عن ميمونة بنت كردم الثقفية وبينته رواية احمد والبيهقي ففيهما انها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه (٥)

وبهذا ظهر ان ما ذكره الشيخ الدميري من ان سبابة يده صلى الله عليه وسلم اطول من الوسطى لا اصل له وان الحديث الذي اورده إن صرح فيه بذلك فهو منكر وان ما ايده به الشيخ الهيتمي لا حجة فيه لان حديث ميمونة الوارد في أسد الغابة وتفسير الشيخ القرطبي انما هو في سبابة قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم لا سبابة يده وانه قد استفيد من روايات حديث ميمونة ان رجاله لا باس بهم وانه روي مطولا ومختصرا وان بعض الرواة زاد في روايته حديثها على سبابة قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم فتجري زيادته على حكم زيادة العدل في روايته على غيره ومنه تحققنا ان اصابعه الشريفة لم تكن خارجة عن المعتاد في الترتيب والانتظام وان يده الكريمة في اعلى طبقات الحسن اللائق بالرجال واسمى درجات الكمال ناهيك بكف أتى فيها «إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم» وفي ذلك نهاية التفضيل وغاية المدحة ليده الشريفة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) هو من أفراد مسلم «الجمع بين رجال الصحيحين» ص ٢٧٤ ج ١ (٢) ص ٣٣٤ ج ١
(٣) ص ٥١ (٤) شجرة النور الزكية ص ٣٢٨ ج ١ (٥) الورقة ٢٦٧

الفتاوى والاحكام

الاضحية وما يتعلق بها من الاحكام

نظرا لورود اسئلة كثيرة على المجلة عن حكم الاضحية وعن شروطها ، وبيان ما يجزي في التضحية وما لا يجزي . حررنا الجواب الآتي شاملا لبيان ذلك كله . مع تفصيلات وافية في هذا الموضوع فنقول وبالله التوفيق :

الاضحية من المناسك التي شرعها الله في الملة الحنيفية . وهي سنة ابراهيم الخليل عليه السلام واستقر حكمها في الشريعة المحمدية . شرعت في السنة الثانية من هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة قال الله تعالى « فصل لربك وانحر » وروى مسلم في صحيحه من طريق انس رضي الله عنه قال ضحى النبيء صلى الله عليه وسلم بكبشين (١) املحين (٢) أقرنين . ذبحهما بيده . وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما (٣)

صفة الاضحية

لعلماء الاسلام مذاهب في صفة الاضحية . فذهب ابو حنيفة ومحمد الى انها واجبة . فهي ليست بفرض عنده . وذهب ابو يوسف الى انها سنة . والى هذا القول ذهب امام دار الهجرة رضي الله عنه

من تجب عليه الاضحية

انما تجب التضحية على المسلم . القادر . المقيم . البالغ . بنية التضحية . قال في البدائع: لا تجزي التضحية بدون نية . فلا تجب على غير المسلم ولا على العاجز . وفسر الحنفية القادر بانه الذي يملك مائتي درهم زائدة على حاجته الاصلية بان تكون زائدة على مسكنه وثيابه ومتاع منزله الذي يحتاجه ومن الزائد ما اذا كان له عقار او ارض معدة للاستغلال ودخله من ذلك يفي بقوت عامه . او كان

---

(١) الاملح . قيل في تفسيره الابيض الخالص . وقيل الذي بياضه اكثر من سواده . وقيل الذي ينظر في سواد ويأكل في سواد ويمشي في سواد ويبرك في سواد بمعنى أن مواضع هذه منه سواد وما عداه أبيض (٢) الاقرن . الذي له قرنان معتدلان (٣) صفحة العنق جانبه

يستحق من غلة وقف وبلغ منابه النصاب المتقدم . واستحقه في ايام النحر فانه يعد في كلتا الصورتين قادرا وعليه الاضحية كذا في البحر . او يكون له ما يساوي مائتي درهم من العروض او النقود

وفسر المالكية القادر بانه الذي لا يحتاج الى ثمنها لامر ضروري . في عامه . حتى لو احتاج في تلك السنة لا تسن في حقه الاضحية كذا في خليل وشرحه

ومن هنا نعلم انها لا تجب على الفقير الذي ليس له نصاب . وما نرى عليه الفقراء من الحرج في القيام بهاته الشعيرة هم في غنى عنه لا سيما والبعض يبلغ به الامر الى بيع بعض ضرورياته او رهنها والشارع لم يطالبه بهذا . والاشد من هذا ان يرهن بعض ما يملك بفائض ليتوصل لشراء اضحيته فرارا من العار وتعمية على جيرانه . وهو بهذا الصنيع قد ارتكب كبيرة وذنبا عظيما

ولا تجب على المسافر الاضحية واذا تطوع بها أجزأته . والاقامة المعتبرة اعم من ان تكون في مدينة او قرية او في البادية

ولا تجب على الصبي من ماله . قال في الكافي وليس للاب ان يفعله من مال طفله . قال في الدر وهو المعتمد وعليه الفتوى قال الكمال وكذا الجد والوصي . كما انه لا يجب على الاب ان يضحي عنه . قال قاضي خان في فتاويه . في ظاهر الرواية انه يستحب ولا يجب بخلاف صدقة الفطر . فيستحب للاب ان يضحي عن طفله .

وقال المالكية تسن الاضحية للصبي القادر عليها . ويضحي عنه وليه ولو كان الصبي يتيما . قال خليل : سن لحر غير حاج بمنى ضحية لا تجحف وان يتيما . قال الزرقاني ويخاطب وليه بفعلها عنه من مال اليتيم.

انواع ما تصح به التضحية

الاضحية تتنوع الى اربعة اصناف من النعم وهي الضأن والمعز والابل والبقر . وفي حكم البقر الجاموس . اما الضان والمعز فانه يضحى بواحد منهما عن فرد واحد . واما الابل والبقر والجاموس فتجزي عن سبعة . ويضحي بالثني من هاته فما فوق . والثني هو ابن خمس من الابل وابن سنتين من البقر والجاموس وابن حول من المعز والضان . ويجزي اذا ضحى بالجذع من الضان وهو ابن ستة اشهر فما فوق اذا كان بحيث لو اختلط بالثنايا عدمنها . وقال قاضي خان في فتاويه الجذع هو الذي اتى عليه ستة اشهر وشيء

ولا يجزئ الجذع من الابل وهو ابن اربع ولا الجذع من البقر وهو الذي لم يتم السنتين ولا من المعز وهو الذي لم يات عليه حول حكى في المبسوط الاتفاق على عدم جواز الجذع من هاته فلو ضحى بواحد منها لا تكون اضحية . فليتنبه الناس الى ذلك فان كثيرا من الناس يلتبس عليهم

الامر فيظنون ان الجذع يجزي عند ابي حنيفة رضي الله عنه في الاصناف كلها مع انـه لا يجزي الا في الضأن خاصة وقوفا عند النص . روى النسائي من طريق عقبة بن عامر قال رضي الله عنه : ضحينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجذع من الضأن

شروط صحة الاضحيـة

يشترط لصحة الاضحية . سلامتها من العيوب . اخرج النسائي من طريق عبيد بن فيروز مولى بني شيبان قال قلت للبراء حدثني عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاضاحي قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدي اقصر من يده فقال اربع لايجزن. العوراء البين عورها. والمريضة البين مرضها. والعرجاء البين ظلعها. والكسيرة التي لا تنقي. وفي رواية اخرى والعجفاء . بدل الكسيرة. فلا تصح الاضحية بالعوراء التي لا ترى بعينها وأحرى اذا كانت عمياء . ولا بالمريضة التي ظهر مرضها للعيان . والجرباء اذا كانت هازلة لا يضحى بها وان كانت سمينة يصح ولا يعبأ بمرض الجلد والصوف. والسعال ليس من الامراض المانعة . ولا بالعرجاء التي لا تستطيع المشي على جميع قوائمها اما التي تمشي على ثلاثة وتضع الرابعة على الارض لتستعين بها فانها تجزي . وبذلك فسر الفقهاء الظلع المانع . ولا بالكسيرة التي لا تنقي وهي التي ليس لها مخ في عظمها من شدة الهزال بان تكون غايـة في الضعف . واخرج النسائي من طريق الامام علي كرم الله وجهه قال : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستشرف العين والاذن . وان لا نضحي بمقابلة ولا مدابرة ولا بتراء ولا خرقاء. فالامر باستشراف العين والاذن بمعنى طلب البحث عنهما حتى لا يكون فيهما عيب . ولا تصح الاضحية بالمقابلة وهـي التي قطع مقدم اذنها . ولا بالمدابرة وهي التي قطع مؤخر اذنها . وبين الفقهاء ان العبرة بالاكثر فـان كان المقطوع زائدا على النصف لا تجزي وان كان الاقل تجزي وعليـه الفتوى . ولا تصح بالبتراء وهي المقطوعة الذنب او الالية والعبرة بالغالب ايضا . ولا تصح بالخرقاء وهي التي في اذنها ثقب وفسر الفقهاء الثقب المانع بالبالغ اكثر الاذن ولا تصح بالهتماء وهي التي لا اسنان لها او ذهب اكثر اسنانهـا ولا تصح بالتي لا أذن لها خلقة قال الزيلعي إذا كانت لها اذن صغيرة خلقة تجزي ولا تصح بالجذاء وهي المقطوع رأس ضرعها او يابسته ولا بالجذعاء وهي التي قطع أنفهـا ولا بالتي عولجت حتى انقطع لبنها ولا تصح بالجلالة التي تأكل العذرة ولا تأكل غيرها . ولا فرق في ذلك بين العيب الموجود فيها وقت الشراء والعيب الطارىء حتى انه لو كانت سليمة من العيوب ثم تعيبت بعـد ان اشتراها بواحد من العيوب المتقدمة يلزمه ان يقيم غيرها مقامها اذا كان غنيا وان كان فقيرا اجزأه ذلك واما إذا تعيبت من اضطرابها وقت الذبح فلا يضر وتجزئه

متى تصح التضحية

تصح التضحية اذا نوى القربة قال في البدائع فلا تجزي التضحية بدون نية لان الذبح قد يكون لغير التضحية وقد يكون للقربة . والفعل لا يقع قربة بدون نية ولا يشترط ان يقول بلسانه ما نوى بقلبه كما في الصلاة اه ويسمي ويكبر عند الذبح روى النسائي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحي بكبشين أملحين أقرنين وكان يسمي ويكبر . الحديث

وقت التضحية

التضحية تجب وجوبا موسعا في سائر وقتها ويبتدىء وقتها من فجر يوم النحر وهو يوم العيد الى غروب اليوم الثالث ويشمل وقتها الليل والنهار والنهار أفضل . قال المولى ابن عابدين: الليل في كل وقت تابع لنهار مستقبل . الا في ايام الاضحية فانه تابع لنهار ماض اه وعليه فالليلة الاولى التي تصح فيها التضحية هي التالية لليوم الاول والليلة الثانية هي التالية لليوم الثاني . وينتهي وقت الذبح عند غروب اليوم الثالث .

وذهب المالكية الى عدم الاجزاء اذا ذبح ليلا . قال خليل : والنهار شرط . ثم ان الوقت لا يختلف في ذاته ولكن يجب على من يذبح في المدن ان يؤخر الذبح الى ما بعد صلاة العيد والمعتبر أسبق صلاة عيد أديت ولو قبل الخطبة الا ان الافضل تاخير الذبح الى ما بعد الخطبة . فلو ذبح في المصر قبل صلاة العيد فلا تصح أضحيته وتكون لحما لا نسكا وإن تأخرت الصلاة ترقب الى الزوال ثم بعد ذلك يسعه أن يذبح هذا في الذبح في اليوم الاول وأما إذا ذبح في اليوم الثاني أو الثالث فلا يتقيد بشيء . والعبرة بمكان الاضحية لامكان من وجبت عليه وقال المالكية لا تجزي الا بعد أن يذبح الامام في اليوم الاول ولو تعمد السبق لا تجزئه وعليه الاعادة واذا تحرى أقرب إمام وظن انه ذبح فتبين انه ذبح قبل الامام أجزأته قال خليل . وأعاد سابقه الا المتحري اقرب امام اه . وإذا تأخر الامام لعذر شرعي ترقبه الى قرب الزوال . قال خليل : وبه انتظر للزوال قال الزرقاني اي لقرب الزوال بحيث يبقى قدر ما يذبح فيه قبله لئلا يفوت الوقت الافضل في اليوم الاول .

وكثير من الناس لا يتحرون إنتهاء الصلاة فيذبحون قبل صلاة العيد وهم بصنيعهم هذا قد ضيعوا نسكهم من فرط العجلة وعدم العلم بما تفضي به عجلتهم. وكان عليهم ان لا يقدموا على امر حتى يعلموا حكم الله فيه والله يقول : فاسالوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .

وأما سكان القرى والبوادي فلا يتقيدون بانتهاء صلاة العيد في المدن بل يسعهم الذبح من بعد طلوع الفجر .

ما يندب في الاضحية

ندب ان يذبح المكلف بيده إن كان يحسن الذبح والا شهدها بنفسه وامر غيره بالذبح وندب أن يتصدق من لحم الاضحية بالثلث وله أن يدخر الثلث ويأكل الثلث ويطعم منه أهلهُوضيفه ولو جعل الكل لنفسه صح لان النسك حصل باراقة الدم . وهذا إذا لم تكن منذورة او وجب التصدق بها بعد أيام النحر فيما إذا أخر الذبح عن وقته . ومن كان ذا عيال لا يندب في حقه التصدق منها .

والشاة أفضل من سبع البقر والكبش أفضل من النعجة والانثى من المعز أفضل من التيس وكذلك في الابل والبقر كل ذلك إذا استويا في القيمة والسمن .

ما يكره في الاضحية

يكره بيع جلد الاضحية واعطاء أجرة الجزار منها . قال عليه الصلاة والسلام : يا علي تصدق بجلدها وخطامها ولا تعط أجر الجزار منها شيئا . وجاز ان يستعمل جلدها في مصالحه او يستبد له بشيء ينتفع به انتفاعا باقيا . ويكره ان يستبدله بشيء يستهلك كلحم ونقود وان فعل شيئا من ذلك يتصدق به ويكره الانتفاع بلبنها قبل الذبح فاما ان يتركه في الضرع او يحلبه ويتصدق به . وكره جز صوفها قبل الذبح لينتفع به . ويكره لمن عين اضحيته ان يبدل بها غيرها . ويكره ان يكون المباشر للذبح كتابياً لانها قربة ولا ينبغي أن يستعان بالكافر في أمور الدين . وأما المجوسي ومن لا يدين بدين فيحرم ذبحه لانه ليس من أهل الذبح . وصحت الاضحية عن الميت ونقل الكراهة بعض مشائخنا الا إذا أوصى بها . ثم إن كانت بإذنه يتصدق بجميعها . وإن ضحى عنه الوارث متبرعا بغير وصية منه سابقة فانه يصنع فيها كما يصنع في أضحية نفسه فله ان ياكل ويتصدق . والاجر يكون للميت . والملك يكون للذابح عنه .

وتسقط الاضحية بالفقر الطاري في أيام النحر لان العبرة بآخر الوقت كما تسقط عنه اذا مات في ايام العيد قبل أن يضحي . وإذا أدى المكلف الواجب الذي عليه وضحى بأضحية مستكملة للشروط على الوجه الاتم خرج من عهدة الواجب في الدنيا ويرجى له الثواب بفضل الله سبحانه يوم الجزاء حقق الله رجاءنا وختم لجميع المسلمين بالسعادة إنه قريب مجيب

محمد الشاذلي بن القاضي

اسئلــة واجـوبتهـــا

ورد على ادارة المجلة السؤالان الآتي نصهما ، فاجاب عنهما العالم
الشيخ الخطاب بوشناق المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

(١) – ما هو حكم سجود التلاوة وهل يتكرر بتكرر آية السجدة

(٢) – رجل تشاجر مع زوجته فقال لها انت على ذمة نفسك ولم يرد الثلاث ومضى ثم رجع بعد ساعة وقال لها انت طالق ثلاثا ثم اراد مراجعتها فهل تمضي عليه الثلاث ام تبين منه بواحدة ويحل له ان يراجعها بعقد جديد

الجواب عن الاول : ان حكم سجود التلاوة في مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه الوجوب على التالي والسامع سواء قصد سماع القرآن ام لم يقصد وذهب مالك رضي الله عنه الى انه سنة وأخرج في الموطا بسنده عن عمر رضي الله عنه انه قرأ سجدة وهو على المنبر يوم الجمعة فنزل فسجد وسجد الناس معه ثم قرأها يوم الجمعة الاخرى فتهيأ الناس للسجود فقال على رسلكم ان الله لم يكتبها علينا الا ان نشاء فلم يسجد ومنعهم وهذا ظاهر في عدم الوجوب. ولابي حنيفة ما روي عن ابن عمر انه قال السجدة على من سمعها اخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه وفي البخاري تعليقا وقال عثمان انما السجود على من استمع. وكلمة على تدل على الوجوب مع ان الآيات التي تشتمل على السجود تفيد الوجوب أيضا لانها ثلاثة اقسام قسم فيه الامر الصريح به كآية النجم وحم فصلت . وقسم تضمن حكاية استنكاف الكفار حيث امروا به كآية سورة الانشقاق . وقسم فيه حكاية فعل الانبياء السجود كآية صٓ وكل من الامتثال ومخالفة الكفرة والاقتداء بالانبياء واجب لكن دلالتها فيه ظنية فكان الثابت الوجوب لا الفرض . ثم قيل تجب على الفور وقيل على التراخي وهو الاصح لكن يكره تاخيرها كراهة تنزيه هذا في غير الصلاتية اما الصلاتية فواجبة على الفور ويكره تحريما تاخيرها كما في الشرنبلالية ، واما تكرر السجود بتكرر الآية فنقول فيه تفصيل فان كررها في مجلس واحد كفته سجدة واحدة فالمعلم مثلا اذا املى الآيـة على تلميذه مرارا في مجلس واحد سجد مرة واحدة وكذا المستملي اذا كررها ليحفظها كفته سجدة واحدة اذ لو تكرر السجود لزم الحرج وهو مرفوع بالنص . وان تلاها في مجلس ثم انتقل منه الى مجلس آخر واعادها فيه لزمه سجدتان لتبدل المجلس ومثله تشميت العاطس اذا تكرر عطاسه فيجب مرة واحدة وما زاد فمندوب ذكره منلا علي القاري وفي امداد الفتاح الاصح انه اذا زاد على الثلاث لا يشمت والله الموفق ،

الجواب عن الثاني : الصحيح الذي عليه الفتوى انه تمضي عليه الثلاث ولا يحل له مراجعتها الا بعد زوج آخر وهذه الصورة تعرف عند الفقهاء بواقعة حلب حيث حدث في تلك المدينة ان رجلا طلق

التاريخ

صفحـة من تاريـخ تونس

كيف نشأت الارباض حول مدينة تونس

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد ابن الخوجة
المستشار لدى الحكومة التونسية

في البدء كانت مدينة تونس عبارة عن بلد يعرف في التاريخ باسم ترشيش وهو لفظ محرف عن طرشيش في اللغة العبرية ومعلوم ان اليهود استوطنوا افريقية قبل ان شرق عليها نور الاسلام باحقاب . نزحوا اليها من سواحل الشام وسكنوا بها واتخذوا لهم معابد ومتاجر كانت سوقها نافقة حوالي العصور التي ابتدأ فيها ظهور النصرانية بالشمال الافريقي والنصرانية اعقبها دخول الاسلام لهذه البلاد المباركة سنة ٢٩ للهجرة (٦٤٩ للميلاد) وكانت تونس تعرف في عهد الدولة الرومانية باسم توناس (Tunès) ومنه جاء لفظ تونس وانتحلوا له ما شاءوا من التآويل حتى ان ياقوت صاحب معجم البلدان حشره في المثلثات فقال ان نون تونس تضم وتفتح وتكسر وقد ساعدهم على ذلك جواز اعتبار لفظ تونس من مشتقات الانس الامر الذي تفاءلوا منه خيرا ونوه به المؤرخون والادباء السابقون واللاحقون من ذلك الابيات المعروفة التي مطلعها :

زوجته طلقة بائنة بلفظ الكناية ثم طلقها ثلاثا في العدة فأفتى بعض الفقهاء بوقوع طلقة واحدة بائنة والغى الثلاث لانه يفيد البينونة والبائن لا يلحق البائن وأفتى بعضهم بوقوع الثلاث وهو الصحيح كما تقدم لانه طلاق صريح في اللفظ والصريح يلحق البائن قالوا ولهذا لو طلقها على مال بعد ما ابانها وقع الطلاق كما في الخلاصة فالمعتبر فيه اللفظ لا المعنى وفي الخلاصة والبزازية والمحيط لو قال للمبانة انت طالق بائن تقع اخرى مع ان الثانية بائنة في المعنى فالحاصل ان العبرة باللفظ وطلاق الثلاث صريح في اللفظ فيلحق البائن . والبائن الذي لا يلحق البائن هو ما كان بلفظ الكناية وهذا ما اعتمده الكمال في الفتح وتبعه صاحب البحر والنهر والمنح وغيرهم وايده صاحب الدرر والغرر والشرنبلالي وخاتمة المحققين الشيخ محمد امين ابن عابدين والله اعلم

فتونس تونس من جاءها ❁ وتدركه حسرة حيث سار

ومنه قول الآخر في ضد الانس المستفاد من اسمها

لعمرك ما الفيت تونس كاسمها ❁ ولكنني الفيتها وهي توحش

وممن افاض القول عن نشأتها ومبادي عمارتها وذكر خيراتها وبركاتها الشريف الادريسي في كتابه نزهة المشتاق ألفه سنة ٥٤٨ هـ . للملك روجير صاحب صقلية ولكن يستفاد من عبارة ابي عبيد الله البكري في جغرافيته وهو من رجال المائة الخامسة ان تونس كانت متمصرة في القرن الرابع لاشتمالها على مميزات المدن الجامعة كالمصانع والاسواق والاسوار والارباض من ذلك ربض باب الجزيرة الذي سياتي الكلام عليه وكانت الارباض واقعة حول سور المدينه واشهرها ربض باب سويقة وربض باب الجزيرة المذكور ءانفا وكان لهم ربض آخر خارج سور القصبة يسمى ربض حومة العلوج وموقعه بالجهة المعروفة اليوم بباب العلوج حيث كانت مساكن النصارى من اهل الذمة في عهد الدولة الحفصية قال الوزير السراج في الحلل السندسية عند الكلام على دولة السلطان أبي عمرو عثمان الحفصي ان امه كانت من العلوج اسمها مريم فلما بويع ورد عليه اخواله فاسكنهم بالربض الملاصق للقصبة وعرف بحومة العلوج من يومئذ . واعتبر ما في طيات هذا الخبر البسيط من دلائل حذقهم في سياسة الدولة الخارجية لعهدهم لانه يبرهن عما كان لهم من المعاملة الحسنة مع معارفهم وخلطائهم الاروبيين ويلوح ان ام السلطان الحفصي المتحدث عنه كانت من ثمرة تلك المغانم الكثيرة التي كانت تقع بايدي الغزاة المسلمين في الغدو وفي الرواح اثناء مفاجأتهم لبعض جزر البحر المتوسط الغربية من البلاد التونسية ولدينا مجموعة معاهدات بنصها العربي فيما كان لبني حفص من العلائق السياسية والتجاريةمع بعض الدول الاروبية ولا سيما في عهد السلطان ابي فارس عبد العزيز واسطة عقدهم ولولا خوف الاطالة والابتعاد عن موضوع الحديث لتوسعنا في هذا المقام ونقلنا بعضها للقاري مما لم يسبق نشره بتونس .

واعلم ان الربض في اللغة من معانيه سور المدينة وما حوله من بيوت ومساكن ومأوى للاغنام وبهذا المعنى عرفت الارباض في اصطلاح اهل تونس وهي اي الارباض في الزمن الحاضر ربضان ربض باب السويقة وربض باب الجزيرة ولا ثالث لهما بل هما نفسهما لم يبق منطبقاً عليهما في الحقيقة لفظ ربض لان منطقة حاضرة تونس توسعت جدا في هذا الجيل بحيث إن أسوار المدينة وما حولها من المساكن صارت كلها او جلها داخلة ضمن تلك المنطقة بفضل التوسع في المباني والمساكن الانيقة المحدثة على الطراز الجديد حوالي مدينة تونس وأرباضها هذا وقد كان اهل الحاضرة في القديم

منقسمين اداريا لثلاثة أقسام قسم المدينة وعلى رأسه شيخ المدينة الذي هو عميد السكان وقسما ربضي باب السويقة وباب الجزيرة ولكل منهما شيخ مستقل بامره وكان اعيان كل قسم يتقدم بهم شيخهم عند دخولهم على امير البلاد في مواكبه الرسمية هكذا كان نظامهم في عهد الدولة الحفصية وفي عهد المراديين وفي مدة هذه الدولة السعيدة منذ زمن المولى حسين بن علي مؤسس بيت الملك الحسيني خلد الله بقاءه ولم يعدل عن هذه الطريقة الا في اواسط دولة المقدس المولى علي باي الثالث فكان شيخ المدينة امير اللواء السيد محمد العصفوري عميداً لعامة السكان المسلمين في حاضرة تونس بدخول شيخي الربضين المشار اليهما وصارت خطتهما باثر ذلك اسما بلا مسمى وصاحباها حشرا في زمرة رجال الحاشية السنية ويستفاد من كتب التاريخ ان شيخ ربض باب السويقة كان من اصحاب الحول والطول في عهد الدولة الحفصية قال في المونس ان الامير ابا عبد الله محمد بن ابي محمد الحسن الحفصي بعث محمدا الغريبي رسولا الى السلطان الغوري صاحب مصر فارسل له الغوري هدية منها الزرافة وكان الغريبي شاخ بباب السويقة فخافه محمد فقتله غدرا اهـ

بقي علينا التعريف بمسميات الربضين المشار اليهما اعلاه يعني باب السويقة وباب الجزيرة فباب السويقة كان عبارة عن باب كبير فاصل بين سوق يعرف اليوم بالسوق المسقف وبين سور المدينة واما لفظ سويقة فقد جاء ذكره في مواضع كثيرة من التاريخ الاسلامي قال ياقوت في كتابه « المشترك وصفا والمفترق صقعاً » سويقه سبعة عشر موضعا وهي بضم السين وفتح الواو بلفظ التصغير لها معنيان احدهما ان تكون تصغير سوق البيع والشراء والاخر أن تكون تصغير الساق وهي القارة المستطيلة تشبه ساق الانسان فما كان من ذلك في البوادي فهو من هذا وما كان في المدن فهو من الاول اهـ . ثم ذكر السبعة عشر موضعا منها سويقة حجاج وسويقة خالد بن برمك وسويقة العباسة اخت الرشيد الى اخر العدد فكان منها عشر سويقات ببغداد وقد وقفت في بعض أسفاري للمغرب الاقصى على أماكن باسم سويقة كما بتونس والمشرق ومن التعريف الذي ذكره ياقوت ينجلي صبح الحقيقة في فهم اسم باب السويقة بتونس فلفظ باب واضح وفعلا كان هنالك باب من خشب كما قدمنا وهذا الباب مسحته يد الزمان في جملة ابواب الحارات الكثيرة التي كانت داخل احياء الحاضرة وكان ذلك في عهد الدولة الصادقية بعد تأسيس المجلس البلدي بسنوات ومعلوم ان المجلس البلدي حدثه المشير محمد باي في سنة ١٢٧٥ وكانت وفاته في العام بعده واما لفظ سويقة فانه تصغير سوق بما لا شك فيه وقد ورد في كتاب « ابتسام الغروس » انهم كانو يسمونه في الدولة الحفصية سويقة عساكر ومما يؤيد ان سويقة مصغر سوق كونهم كانوا ينعتونه ايضا بباب السواقين في المائة الرابعة ولفظ

سواقين جمع سواق الرجل الذي يرد على السوق ساعة ارتسامه للتزود منه ومـا زال هذا الاستعمال معروفا حتى اليـوم في اسواق البوادي ويستفاد من عبـارة مرسوم ملكي صدر من المعز بن باديس سنة ٤١٠ في الوصاية برعاية حرم ولي الله الشيخ المربي سيدي محرز بن خلف ان في جملة ما اوصى به ذلك الامير الصنهاجي احترام سويقة الشيخ رضى الله عنه واليك محل الحاجة منه قال : بعد مقدمة فاخرة « فاقتضى النظر بهذا الظهير لجماعتكم وحفظكم ورعايتكم وحمايتكم ووو ... وحرم دياركم وسويقتكم الخ » ومما تقدم يظهر وان السويقة المضافة للباب ليس هي الا السوق المسقف الموجود الان بين بطحاء باب السويقة والزاوية المحرزية ويكون هذا السوق من أقدم اسواق تـونس ان لم يكن اقدمها كلها وان المهيمن عليه في اوائل المائة الخامسة هو سيدي محـرز بن خلف الذي كان من رجال الصلاح الشرعي والاصلاح الاجتماعي في زمنه ناهيك انه الذي سعى في اتمام اسوار مدينـة تونس وكان إحداثها على عهد بني الاغلب امراء القيروان كما انه هو الذي سمح لليهود بسكنى الحاضرة وكانوا يسكنون الملاسين يدخلون لتونس للاشتغال بها في النهار ويبارحونها عند الغروب للمبيت خارجها . واما باب الجزيرة فانه كان معروفا بهذا الاسم حـوالي المائـة الثالثة على ما يستفاد من بعض تواريخ تونس قال ياقوت باب الجزيرة خمسة عشر موضعا سماها بمواقعها الجغرافية وقال في عاشرها باب جزيرة شريك (بفتح الشين وكسر الراء) بافريقية بين سوسة وتونس فهذه الجزيرة التي هي في الحقيقة الجغرافية شبه جزيرة ليس هي الا دخلة المعاويين وتعرف في الاصطلاح الاداري باسم الوطن القبلي وقاعدتها نابل وفيها يقول الاديب الشيخ محمد التطاوني المتوفى سنة ١٢٩٦ ضمن قصيدة فريدة

تجمعت الاهواء فيها فحيثمـا حللت تلقـاك الهوى بقبـول

ومنها في الاشارة لواد السحير وحسن مناخه

فيـاوادي السحير رواك صيب كدمع لذي شوق اليك طويل

هذا ومعلوم ان باب الجزيرة هو الذي كانوا يعبرون منه لجهة الوطن القبلي اي جزيرة شريك قبل حدوث باب علاوة في اواخر الدولة المرادية كما كانـوا يعبرون من بـاب قرطجنة لجهة قرطجنة والمرسى وحلق الوادي وكان اسمه في القديم فم الوادي . وليس بين الفم والحلق غير اللها فاحذر اللها . وكان موقع باب الجزيرة فيما نقلـه بعض الشيوخ المعمرين بمنتهى نهج الصباغين حيث قهوة اللوح الموجودة لهذا اليوم وخارج الباب كان سور المدينة وحولـه مساكن الربض المنسوب اليه ويستفاد من حديث المؤرخ الشيخ ابن ابي دينار ان هذا الربض كان متلاوح الاطراف في اواخر الدولـة الحفصية واشتهر امره بحدوث معركات وملاحم حصلت اثناء الاحتلال الاسباني لتونس وفي تلك الايام كان ظهور

تراجم عظمائنا

الشيخ احمد كريم

نسبه

هو شيخ الاسلام احمد بن محمود بن عبد الكريم المشتهر بكريم - بصيغة التصغير - وهو من سلائل الجنود الاتراك المثبتة أسماؤهم في دفاتر الانكشارية بتونس . وكان والده من اواسط الناس يشتغل بالتجارة في الزبيب . وأمه ابنت الحاج مصطفى بن عبد الكبير ابن شيخ الاسلام يوسف درغوث الثاني .

نشأته الاولى

ولد رحمه الله ليلة السابع والعشرين من صفر سنة ١٢٤٣ كما هو مثبت بخطه وكانت ولادته بدار والده بحومة بير الحجار (نهج الباشا) وتربى بين يدي والديه الى ان بلغ سنه خمسة اعوام فصار يتردد على مكتب القرآن الواقع قرب جامع قدوار حيث ابتدأ حفظ القرآن الكريم على مؤدبه المرحوم الحاج محمد بن المهدي ثم انتقل الى الاخذ عن المرحوم الشيخ محمد ذهب بدار خاله المرحوم محمود درغوث وعليه أتم حفظ ما تيسر له من القرآن الكريم والمتون التي يبتدأ بها في طلب العلم .

طلبه العلم

شرع في طلب العلم سنة ١٢٥٨ وكان في مبتدأ امره ياخذ مبادي النحو والفقه الحنفي بجامع الزيتونة عن الشيخ حسن ابن الخوجه ومبادي التجويد عن الشيخ محمد الستاري بمحله بالحفصية

باب الفله نسبة لفلة كانت بسور البلد وفي باب الجزيرة يقول امام البلاغة الورغي وهي خاتمة الحديث

سقاك الغيث يا باب الجزيره ... فكم جازتك من حورا عطيره
تميل إذا مشت كالسرو هبت ... عليها الريح من ارض مطيره
ويرجع كل ذي عين رءاها ... بكف عن تناولها قصيره
إذا ما قال ذو طمع لمن ذا ... تقول ... لمن دراهمه كثيره

محمد بن الخوجه

والفرائض عن الشيخ حسن فرشيش والتوحيد عن الشيخ محمد القسنطيني بجامع سيدي نصر بن عالية ثم أخذ النحو بشرح الاشموني على الخلاصة والبلاغة بشرح السعد المختصر على التلخيص عن الشيخ محمد ابن عاشور والمطول على اخيه الشيخ محمد الطاهر بحاشية عبد الحكيم وحاشيته عليه المسماة بالغيث الافريقي كما أخذ عنه الاصول بشرح المحلي على جمع الجوامع وحاشيته عليه والفقه المالكي بشرح الخرشي على المختصر الخليلي ونبذة من صحيح مسلم وأخذ الدرر عن الشيخ محمد معاوية ثم عن الشيخ محمد بن الخوجه واخذ عنه صحيح البخاري مع اجازته فيه مشافهة بجامع محمد باي المرادي قبالة مقام الشيخ محرز وحضر درس الموطا على الشيخ ابراهيم الرياحي بداره والبيضاوي على الشيخ محمد بن سلامة بحاشيته على خطبته وروى عن العدل الشيخ عثمان الحشايشي الشريف كتاب الامداد لعبد الله بن سالم البصري من طريق الشيخ محمد صالح الرضوي البخاري كما يروي الصحيحين من طريق هذا الشيخ بالسند الجامع بينهما عن الفربري بالاجازة المؤرخة بشوال سنة ١٢٧١ . ولم ينقطع عن دروس شيوخه الا بعد سنة ١٢٧٧ وكان اكثر تحصيله واعتماده على شيخيه سيدي محمد ابن الخوجه وسيدي محمد الطاهر ابن عاشور وهما اللذان لهج بذكرهما في كتبه وتحاريره وكان يلقب اولهما بشيخنا الاكبر وثانيهما بشيخنا القاضي الشريف .

تدريسه

انتصب للتدريس بالجامع الاعظم بصفة مدرس من الطبقة الثانية في ربيع الاول سنة ١٢٦٥ وارتقى الى خطة التدريس من الطبقة الاولى في جمادى الاولى سنة ١٢٦٧

واقرأ في مدة تدريسه كتبا مهمة كفتح القدير ومنظومة المحبي المسماة بعمدة الحكام وشرح السعد المختصر على تلخيص المفتاح وقصيدة بانت سعاد بشرحه عليها .

واستمر على التدريس بعد ولاية الفتيا واقرأ في هذا الطور تفسير البيضاوي والدرر والتنقيح لصدر الشريعة والمغني والاشموني وشرح القسطلاني على البخاري وهو آخر دروسه . وقد تخرجت عليه من هذه الدروس طبقات عديدة ممن وصفهم رحمه الله بقوله

« جهابذة نحارير وتلامذة فحول في المعقول والمنقول » فمن اقدم هذه الطبقات العلامة المفتي الشيخ محمود بيرم رحمه الله ومن اوسطها العلامة المفتي سيدي محمود بن محمود رحمه الله وهو من اوثقهم صلة بالمترجم واشدهم تاثرا به وشيخنا الاستاذ الاعظم شيخ الاسلام سيدي محمد بن يوسف أمتع الله ببقائه والعلامة القاضي الشيخ اسماعيل الصفايحي والعلامة المفتي الشيخ محمد جعيط والعالم الكاتب الشيخ محمد السنوسي والعالم الكاتب الشيخ حمودة تاج واخوه العالم الكاتب الشيخ عبدالعزيز

رحم الله جميعهم ومن احدث هذه الطبقات استاذنا الجليل العلامة المفتي سيدي ابو الحسن النجار حفظه الله

حياتـه العائلية

تزوج في حدود سنة ١٢٧٣ بابنة خاله المرحوم محمود ابن الحاج مصطفى درغوث وولد له فيما بين سنة ١٢٧٤ وسنة ١٢٨٧ تسعة اولاد بين ابناء وبنات وماتوا جميعا وما بلغ احدهم الحلم

حياتـه العامـة

كان من اكثر علماء عصره اشتراكا في الحياة العامة فباشر خطة العدالة منذ سنة ١٢٦٣ وفي ١٤ شوال سنة ١٢٧٧ انتخب للمشاركة بصفة نائب رئيس في مجلس الجنايات والاحكام العرفية عند تاسيسه بمقتضى قانون عهد الامان للحكم في غير نوازل الاستحقاق والحالـة الشخصية التي استثناها الفصل الحادي والعشرون من قانون تاسيسه وابقاها للمجلس الشرعي

وقد اقتضى الفصل الثاني من قانونه ان (من شروط الانتخاب العلم والوجاهة »

وقد اظهر في مباشرة وظيفه من اليقظة وسمو المدارك وسعة المعلومات مـا جعله عمدة من عمد ذلك الطور الاصلاحي الزاهر وألفت نحوه نظر الدولة فقلدتـه في شوال سنة ١٢٨٠ خطـة الفتيا على المذهب الحنفي مع ترقيته الى رئاسة مجلس الجنايات واستمر عليها الى ابطال المجلس سنة ١٢٨١ بعد الحوادث الشهيرة . فتفرغ لمنصب الافتاء العظيم الشان وباشره بسعة نظر وتحقيق للمناط ونزوع الى المدارك والانظار الاصولية وطالما ستأنس لما يعتمده أو يرجحه من فروع الفقه الحنفي بما جرت عليه فتاوى المحققين من المالكية لا سيما شيخه القاضي الشريف الذي درس عليه الفقه المالكي لذلـك كان رحمه الله مرجع المستفتين في الصور الغريبة والمسائل الحادثة التي قضى بهـا تطور البـلاد يومئذ وكان معتمد الدولة في كثير مما جرى عليه عملها من التصرفات الشرعية وسن القوانين وله فتاوى كثيرة مهمة في الارشاد الى صور اعمال الكتائب التوثيقية المحررة على اصول المذهب المالكـي في سير النوازل لدى القضاء الحنفي وفي ثامن ذي الحجة سنة ١٣١٣ تقلد مشيخة الاسلام خلفا عن العلامة شيخ الاسلام احمد ابن الخوجه وكان اول من لقب في نص ظهير ولايتـه بشيخ الاسلام فباشرها بمقدرة فائقة وتدقيق للاجراءات الحكمية والبراعة في تطبيق احكامها وجمع كلمـة رجال الفتـوى بخلقه العظيم . وقد اعان رحمه الله بحيثيته السامية على تنشيط الحركة الفكرية فكان من المنشطين للجمعية الخلدونية وتفضل بالانخراط فيها بصفة عضو مؤسس . وقد شارك رحمه الله في الحياة العامة واعظا كما شارك فيها مفتيا فقد أولاه المشير الثالث قدس الله روحه خطيبا بـالجامع الحسيني المعروف

بالجامع الجديد في رمضان سنة ١٢٨٤ فقام على منبره بالوعظ البالغ والقول الرشيق وتناول بخطبه الوجيزة البديعة وقائع الاحوال الجارية يومئذ بالبلاد

وفاتـه

لم يكد يمضي العام على ولايته مشيخة الاسلام حتى امتدت يد المنية تهدم بموته علما من اعلام الدين فقد اصيب رحمه الله فجأة بداء السكت يوم الخميس ٣ محرم سنة ١٣١٥ بمحل اقامته الربيعي بمنوبة . وفي ضحى يوم الاحد السادس من المحرم الموافق للسادس من جوان ١٨٩٧ خمدت أنفاسه الزكية . وفي مساء ذلك اليوم نقل جثمانه الطاهر الى منزله بتونس حيث احتفل بجنازته صباح الاثنين في موكب مشهود شهده ملك البلاد المولى المقدس علي باشا الثالث وكان دفنه بمقبرة الجلاز

اخلاقه وادبـه

كان عالي الهمة واسع الصدر طلق المحيا عظيم المهابة سمحا كريما قريب النجدة رقيق الذوق طاهر الذيل بعيدا عن التكلف ميالا الى مجالس الادب والانس يعد من اعيان ادباء عصره شعرا وترسلا وأبدع آثاره الشعرية مقاطيع في وقائع احوال تغلب عليها النزعة الغزلية وتدور فيها اسماء الاشخاص الاحياء والاماكن الماثلة بما يناسب الاغراض بطرق التصريح والتلميح والتورية والتطريز

فمن بديع شعره قوله موريا :

قالـوا بك الحـولا التي عن حبها لم تعدل
قلت اعذروا او فاعذلوا لا حول لي في الاحـول

ومن ألطف شعره وأسيره القطعة المطرزة المشهورة عند المنشدين وطالعها

تمتع بها واخلع عذارك في الهوى ودونك من ثغر المليحة ما حوى

ومن بديع نثره قوله في خطبة شرحه على بانت سعاد (هذه سواجع الحاني بالثناء عليك صادحة وهواجع اجفاني اسماء نيلك طامحة وبوارق عرفاني بالتقرب اليك طافحة وسوابق آمالي بريف تهتانك غادية رائحة)

تآليفه

كان من اكثر رجال عصره انتاجا واميلهم الى التدوين فخلف تراثا طيبا من تحاريره العلمية في التفسير والحديث والفقه والمواعظ والبلاغة والنحو والأدب . فله في التفسير نسيم السحر في تفسير ما اعرب الازهري من السور وله في الحديث نحو العشرين تعليقا على احاديث من صحيح البخاري القاها بدروس الاختام الرمضانية بالجامع الجديد وله في الفقه الكنوز الفقهية على متن المحبية وسماه

الادب

يا نشء باجة★

المسلمون مع النوى قرباء والمسلمون اخوة وولاء
المسلمون بناة كل فضيلة والمسلمون أعزة كرماء
شادت بمدحهم العصور فاطربت وتحدثت بعلاهم الآناء
وعنت لعرشهم الملوك أذلة وتمسحت بحماهم العظماء
خفقت على الغربين راية ملكهم فهمت على اهليهما الآلاء
بالعدل رف لواؤهم فوق السها فأوت لوارف ظله العلياء
هذا الاديم محدث بفخارهم والخافقان وتلكم الزرقاء
آثارهم درر على جيد الدنا وخلالهم من بينهن سناء
هم في المفاخر أنجم وضاءة تنجاب من لالائها الظلماء
نعم الحديث حديثهم ولنعم ما شادت به الاخبار والانباء
قوم على الايمان شادوا ملكهم وبنوا على أسس الهدى ما شاءوا

ايضا عدة الاحكام على عمدة الحكام في جزأين شرع فيه على عهد المشير الاول وأتمه بعد الثلاثمائة ومجموع فتاواه قبل مشيخة الاسلام سماه الفتاوى الاحمدية ورسالة في المحاكمة بين الشيخ لطف الله والشيخ البارودي في مسالة قضاء الفوائت وله في المواعظ مجموع خطبه وله في النحو مزاهر المواكب على زواهر الكواكب وهي حاشية على حاشية الشيخ ابن سعيد على الاشموني جمع فيها تقريرات شيخه سيدي محمد ابن عاشور واخيه سيدي محمد الطاهر وله في البلاغة حاشية على خطبة مختصر السعد وله في الادب شرح بانت سعاد واسمه حامي الحمى بشرح قصيدة كعب بن زهير بن ابي سلمى وديوانان لشعره سمى احدهما السحر الحلال وديوان لاشعار شيوخه واكثر هذه الكتب مبيضة بخطه الجميل رحمه الله رحمة واسعة وتقبله قبول الرجل الذي اوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس

محمد الفاضل ابن عاشور

★ هذه القصيدة التي خاطب بها مدير هذه المجلة شباب باجة الناهض في الاحتفال الذي اقامه فرع الشبان المسلمين بتلك المدينة يوم ٢٣ من الشهر المنصرم .

ساروا على المثلى بسيرة واحد ... والاتحاد سعادة وهناء
حتى اذا حم القضا وتفرقت ... كلماتهم وتخاذل الامراء
واريع دين الله في حرمانه ... وتبدلت في فضله الآراء
ذهب الآله بملكهم وتمزقت ... من أجل ذاك الراية السوداء
ذكراهم تذر المحاجر هطلا ... لكن أينفع في المصاب بكاء
إن الزمان زمان إنتاج وهل ... يجدي بكاء او يفيد رثاء

***

سعيا بني الاسلام نحو سعادة ... تسمو بها الابناء والآباء
سعيا الى مسعى الفلاح بعزمة ... اولاكموها الاعرب العرباء

***

يا أيها الشبان يا نسل الاولى ... بعلائهم عرفتهم الغبراء
يا نشء باجة يا شباب بناتها ... هل همة عربية قعساء
هل هبة لمكارم تشفي الضنى ... هل نهضة تسمو بها الخضراء
اني أحس برجة قومية ... يجتث منها الرأس والاعضاء
همم الشباب عن الهدى مصروفة ... فكانهم ببلادهم غرباء
للغرب تتجه السفائن شرعا ... وبها بنات العرب والابناء
حمر الحواصل ما لهم من عدة ... ترعى بها الطفرات والاهواء
حرموا علوم الدين واللغة التي ... بهتت بسحر بيانها البلغاء
لم يعرفوا الاسلام الا نسبة ... تعزى لها الالقاب والاسماء
جهلوا سجاياه الكريمة فانثنوا ... وهم لها ولحزبها اعداء
ويح الذي فقد المروءة والحجا ... فتشاكلت من حوله الاشياء
ينبو عن المثلى فيحسب ان ما ... يسعى له مدنية غراء
مدنية لكنها موت لمن ... ملكت عنان اموره الاحياء
من للعقول بمصلح يسمو بها ... من قبل ان تستفحل الادواء
من للشباب بنهلة علمية ... من معهد هطلت به الانواء
فزهت بازهار العلوم رياضه ... وتعطرت باريجها الارجاء
يبدو جلال الدين فوق قبابه ... وتلوح من محرابه الاضواء

***

يا ايها الشبان عوا قولي ففي ... كلمي برور خالص وولاء
والله يسعف تونسا ويحفها ... برضائه ما دامت الاشياء

الطاهر القصار

المكتبات

عناية الامم الحية بها وتفريطنا فيها

- ٢ -

دعانا لتحرير ما تقدم ما عليه المكتبة الصادقية - العبدلية - ومكتبة الجامع من التأخر المزري والانحطاط المشين . ذلك ان كلا هتين المكتبتين كانتا من تاريخ تأسيسهما الى ما قبل عهد الاحتلال الفرنسي بقليل في نمو مطرد بفضل عناية بعض الملوك والوزراء وثلة من أهل النبالة والفضل .

ويرجع الفضل في المكتبة الاولى الى مؤسسها المولى ابي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد السعيد الحفصي المتولي سنة ٨٩٩ هـ وهو الذي تنسب اليه فأعمرها بنفائس العلوم وجليل المحررات وأوقف عليها أوقافا جليلة وجعل لها نظارا يقومون بتسهيل الانتفاع بها وأوكل امرها لامام الجامع الاعظم يومئذ ابي البركات ابن عصفور واظن انه ضم اليها محتويات المقصورة الشرقية بالجامع المذكور(١) التي بناها ابو عمرو عثمان ابن محمد ابن منصور ابن ابي فارس المتولى سنة ٨٣٩ فقد اوقف بها شيئا كثيرا من الكتب القيمة ثم أوقفت عليها في القرن العاشر كتب اخرى اوقفها بعض من كان لهم عطف على ذلك المشروع وفي ظني ان ما أخرج من هذه المكتبة بعد تاسيسها اكثر بكثير مما دخل اليها ناهيك انها بلغت في عهد المولى ابي فارس مفخرة بني حفص الى ما يقارب الثلاثين الف مجلد كانت مكدسة بعضها فوق بعض (٢) اما اليوم فلا تحوي اكثر من سبعة ءالاف مجلد وفي زمن المشير الثالث محمد الصادق باي حبس المصلح الكبير والوزير الخطير خير الدين شيئا كثيرا مما وصلت اليه يده من نفائس الكتب ولما توفي المنعم المبرور الشيخ بيرم الرابع اشترى اهم كتبه الوزير مصطفى بن اسماعيل وحبسها على مكتبة العبدلية كما وضع فيها الكثير من كتب محمد خزندار والقائد عصمان . ومن ذلك التاريخ الى الآن لم تتقدم المكتبة المذكورة تقدما يليق بها كمكتبة كبرى وانما يوجد بها من النزر اليسير من بعض الكتب التي أخرجتها المطابع الشرقية يرجع الفضل فيه لاثنين او ثلاثة من اهل العلم قد ادركوا احاجتها لذلك فأولوها من عنايتهم — وصل الله سعيهم — ما امكن كما ان الوزارة الكبرى كانت بين الآونة والاخرى — بعد جهود ومساعي — تشتري بعض الكتب المطبعية القليلة او بعض نوادر المخطوطات وهذا اقل من القليل

(١) تنسب الى الشيخ محرز بن خلف فرغ من بنائها في رجب سنة ٨٥٤ اهـ من الزركشي ص ١٢٨ (٢) أوقف ابو فارس هذه الخزانة سنة ٧٩٦ جوفي الجامع وجمع فيها أنفس الكتب المدونة في العلوم الشرعية والعربية واللغة والطب والحساب والتاريخ والادب وغير ذلك وفي سنة ٨٢٢ امر بعمل بيت الكتب بمجنبة الهلال تحت الصومعة وفرغ منها في اواخر ربيع من العام المذكور ووضع جميع ما عنده فيها من الكتب وجعل لها خدمة وامر أن تفتح كل يوم من اذان الظهر الى صلاة العصر وحبس عليها احباسا لما تحتاج اليه اهـ من الزركشي ص ١٠١ — ١٠٩

العالم الاسلامي

المسلمون في فينلاندا
٢

بقلم الاستاذ عثمان الكعاك
المدرس بالمدرسة العليا للاداب

القانون الاساسي للامة الاسلامية في فينلاندا

١ – ان الاشخاص الذين يدينون بالديانة الاسلامية ويسكنون القطر الفينلاندي ويخضعون في حياتهم العملية للاصول المقررة سابقا (انظر العدد الرابع من هذه المجلة) يكونون امة (جالية) مستقلة على حدة.

٢ – تتركب هذه الامة من اعضاء عاملين ومن اعضاء لم يبلغوا بعد سن الرشد .

٣ – الشرط الاساسي للانخراط في سلك العضوية ان يكون الشخص مسلما مؤمنا . وعلى كل عضو ان يساعد الامة على تحقيق الغايات التي تسعى اليها. وتقع تسمية العضو باقتراح من لجنة الامة التنفيذية

٤ – يبلغ الاحداث سن الرشد حينما يدركون الثامنة عشر من العمر . ولا يصيرون اعضاء

حقا انه لامر مخجل مزر بكرامة المكتبة اذ كيف يعقل ان مكتبة مثل العبدلية في نفاستها لا يدخلها في العام سوى اعداد لاتتجاوز العشرة تصل على يد اهل المبرة والفضل اذ كيف يعقل ان مثل تلك المكتبة لايوجد بها معجم لغوي مثل المخصص لابن سيدة، اذ كيف يتصور ان مكتبة كهذه ليس بها نسخة مطبعية من شرح ابن حجر على البخاري بل كيف يجيز الفكر ان مؤسسة علمية هي قبلة العصر الباحثين في هذه الديار لاتوجد بها دوائر المعارف العامة والمراجع التاريخية التي لا غنى عنها في هذا انظار.

تلك هي حال المكتبة العبدلية أما المكتبة الثانية مكتبة الجامع فمن تأسيسات المشير الاول احمد باشا فقد كانت لهذا الامير عناية بحركة التعليم ظهرت في تنظيمه التدريس وعطفه على اهل العلم واهتمامه بتاسيس مكتبة تليق بمثل جامع الزيتونة فجمع ما كان متفرقا في الجوامع الاخرى والمدارس داخل الحاضرة وخارجها وجعل مقرها جامع الزيتونة وضم اليها مكتبة مسجد بيت الباشا المكونة مما جمعه الامير علي باشا واستنسخه من نفائس مكتبات الشرق ـ كما ضم اليها كتب حسين خوجه وغيره من رجال العلم والسياسة وأوكل نظرها الى وكيلين يرجع نظرهما لامام الجامع . وفي سنة ١٢٩١ اضيف اليها بعد محاسبة الوزير خزنة دار نحو الست خزائن من نفائس ما جمعه ذلك الوزير برسم خزانته الخاصة كما اضيف اليها الكثير من كتب آل بيرم ولا اعلم بعد ذلك ان هنالك من اوقف جملة صالحة من الكتب على هذه الخزانة سوى المرحوم الشيخ بيرم السلامي الذي اوقف خزانتين هما جملة ما بقي من خزانة نادرة ، او بعض افراد من اهل المبرة . (يتبع) محمد الشاذلي العنابي

عاملين الا عند بلوغ هذه السن فقط . وقبل الانخراط في سلك الامة بصفتهم اعضاء عاملين ينبغي ان يختبرهم الامام في معارفهم الدينية وهل هي كافية ام لا .

٥ – الاعضاء العاملون فقط لهم الحق في المشاركة في تسيير شؤون الامة .

٦ – للامة الحق في اقصاء احد الاعضاء اذا اتضح انه غير مرغوب فيه . ويتم هـذا الاقصاء بالثلثين من اغلبية اصوات الاعضاء العاملين الحاضرين . ويبلغ قرار الاقصاء برسالة . وللعضو المبعد حق الاستئناف لدى اللجنة التنفيذية في اجل ذي ثلاثين يوما ابتداء من تاريخ وصول الرسالة . وقرار اللجنة يكون دائما نهائيا .

٧ – ينتخب للجنة التنفيذية والمؤسسات الادارية الاعضاء العاملون الجديرون بالثقة . ولا يقوم بخطتي الامامة والتدريس الا من رشحته اللجنة التنفيذية لذلك .

٨ – على الامة ان تؤدي فريضة صلاة الجمعة . واللجنة هي التي تعين ايام الاعياد الاسلامية والقومية

٩ – تسيير شؤون الامة موكول الى اهلية الجلسة العامة . وتجتمع اللجنة كلما دعت الحاجة الى ذلك او باقتراح ممضى من خمسة اعضاء ويقع استدعاء الاعضاء المقيمين خارج هلسنكي (العاصمة) برسالة مضمونة الوصول باجل قدره ١٤ يوما على الاقل قبل انعقاد الجلسة العامة . امـا الاعضاء المقيمون بمدينة هلسنكي فانهم يستدعون في ظرف ثمانية ايام على الاقـل سالف تاريخ الاجتماع بواسطة اعلام ملصق بمائدة خاصة موجودة بقاعة الاجتماع .

١٠ – تنعقد الجلسة العامة مرة في السنة في شهر فيفري .

١١ – لكل عضو صوت واحد وتتخذ القرارات بالاغلبية البسيطة . وفي صورة ما اذا تساوت الاصوات يكون صوت الرئيس مرجحا . اما القرارات المتعلقة بالمسائل الدينية فانها لا تتم الا باغلبية الثلثين من الاصوات . والاقتراحات المرسومة بمحضر الجلسة والمتعلقة بالمسائل الدينية يجب ان تقدم للجنة في ظرف اجل يقدر بشهر قبل التاريخ المعين لانعقاد الجلسة العامة .

١٢ – ان القرار المتعلق بحل هيأة الامة لا يمكن اتخاذه الا باغلبية خمسة اسداس الاصوات وفي صورة ما اذا تم انحلال فان جملة ممتلكاتها ترجع الى الجمعية الخيرية .

١٣ يفتتح الجلسة العامة رئيس اللجنة . وتدوم خطة هذه اللجنة ثلاث سنوات . ويعين افرادها من بينهم رئيسا وكاتبا عاما على مدة سنة .

١٤ – تجتمع اللجنة باستدعاء من الرئيس ويمكن لها اتخاذ القرارات لمجرد حضور ثلاثة اعضاء . ويجب التثبت من محضر الاجتماع في كل جلسة يعينها .

اللجنة مكلفة بتدبير شئون الامة مع مراعاة مصالحها كل المراعاة وبدون ان تحيد عنها قيد انملة وهي مكلفة ايضا بتدبير شؤونها المالية كما انه موكول اليها ان تنفذ قرارات الجلسة العامة .

١٥ — رئيس اللجنة هو الذي يمثل الامة قانونيا واذا غاب فينوبه الامـام . ولهما وحـدهما الحق دون غيرهما في وضع امضائهما باسم الامة

١٦ — كل عضو من اعضاء اللجنة يقع اتهامه في قضية من مشمولات انظـار المحاكم الجنائيـة يقع طرده من اللجنة في الحال . ثم يقع اتخاذ قرار في هذا الشان . ولذلـك العضو المبعد ان يستانف لدى الجلسة العامة الذي يجب استدعاؤها بدون ادنى تأخير . وهي تستطيع ان تبطل قرار اللجنـة باغلبية الاصوات . وكل عضو من اعضاء اللجنة اخل بواجباته او سار سيرة غير مرضية يمكن رفته من اللجنة باغلبية ثلاثة ارباع الاصوات .

١٧ — مصاريف الامة غير الاعتيادية يقع تسديدها بتبرعات اختياريـة . واذا اقتضت الحـال فتوظف ضريبة على نسبة قابلية كل فرد .

١٨ — تكلف لجنة مراجعة بتحقيقات حسابات التصرف في مدة قدرها ١٥ يوما .

١٩ — الزواج بين افراد الامة يقع الاحتفال به على مقتضى السنه المحمدية . وكذلك كل ماله مساس بالمؤسسات الدينية .

٢٠ — ويقع الدفن بحسب ما تأمر به مقتضيات الدين الاسلامي ويدفن الموتى بالمقابر الـتي يختارها اهل الهالك وهى المقابر الاسلامية بصفة عامة .

٢١ — يجب اعلام الامام بدون ادنى تأخير بما يحدث من ولادات ووفيات .

٢٢ — قد اوكلت وزارة المعارف الى عناية الامة شؤون تعليم ابنائها . وعليه فان اولياء التلاميذ مطالبون بالامتثال للقوانين التي تقررها الامة وبتسديد مصاريف التعليم كل بحسب استطاعته .

٢٣ — لغة الامة الرسمية هي اللغة الفينلاندية ولكن يجوز استعمال اللغة الوطنية ـ وهي التركية ـ في الجلسات .

٢٤ — في صورة ما اذا يشجر خلاف بين الافراد فان كل شق يعين عنه نائبا . وهؤلاء النواب يسعون في تسوية الخلاف بتاليف لجنة ينضم اليها شخص آخر بصفته رئيسا . وعلى الاعضاء المتخاصمين ان يخضعوا لقرارات هذه اللجنة فاذا لم يعين الاعضاء النواب في ظرف ثلاثين يوما او اذا لـم يتفق الاعضاء المنوبون على اختيار رئيس فان اللجنة تعين النواب والرئيس .

٢٥ — الصور والفقرات التي لم يأت بها هذا القانون الاساسي يقع فضها بمقتضى القانـون الصادر في حرية الاديان المؤرخ في ١٠ نوفمبر ١٩٢٢ (للبحث بقية)

حرر بمدينة هلسنكي في ٢٤ افريل ١٩٢٥

وزير المعارف العمومية

الحركة العلمية والادبية

الاحتفال بذكرى الشيخ رشيد رضا

لما توفي العلامة الجليل المرحوم الشيخ رشيد رضا في العام الماضي ارادت جمعية الشبان المسلمين بتونس ان تقيم حفلة لتأبينه . فدعت الى ذلك . واتصل رئيسها السابق الشيخ الصادق بسيس ببعض مشاهير الشرقيين كتابيا ورغب منهم ان يشاركوا في الحفلة التي ستقام بتونس بارسال كلمات تلقى على لسانهم في حفلة التأبين . فاجاب دعوته لذلك حضرة امير البيان شكيب ارسلان . وحضرة السيد محب الدين الخطيب صاحب جريدة الفتح . وحضرة الدكتور يحيى الدرديري رئيس تحرير مجلة الشبان المسلمين بمصر . ثم قامت موانع حالت دون وقوع تلك الحفلة . ثم لما زالت تلك الموانع عزمت الجمعية على اقامة تلك الحفلة في هذا العام . ودعت اليها وهيأت لها اسبابها . وفي يوم الجمعة ٩ قعدة و٢٢ جانفي المنصرمين اقيمت الحفلة المذكورة بقاعة الاجتماعات الكبرى في قصر (بوضربة) (قصر الاجتماعات الفرنسوية الآن) واقبل الناس على حضورها افواجا حتى غصت بهم القاعة على اتساع ارجائها .وقد كانت الحفلة تحت الرآسة الشرفية لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي صالح المالقي شيخ الجامع الاعظم وفروعه. ولكنه اعتذر عن الحضور في اخر وقت بسبب مانع طرأ عليه . فترأس الحفلة نائبه الشيخ سيدي محمد العزيز النيفر .ابتدات الحفلة على الساعة الرابعة ونصف.وافتتحت بتلاوة ربع من القرءان من أول سورة مريم.وبعد انتهاء التلاوة اعطيت الكلمات للخطباء المشاركين في الحفلة فالقى كل واحد منهم خطبة في ناحية من النواحي التي اختار الحديث عنها . فكانوا على الترتيب الاتي :

١ السيد عبد الرحمان الكعاك رئيس الجمعية الخلدونية ـ تعرض باختصار لتأبين الشيخ رشيد رضا ثم تعرض لاعمال جمعية الشبان المسلمين . وشكر صاحب الفضيلة شيخ الجامع على قبوله رآسة هذا الاحتفال وشكر نائبه الذي راس الحفلة عوضا عنه

٢ ـ السيد خميس الشامخ رئيس جمعية الشبان المسلمين ـ القى خطابا تعرض فيه للسبب الباعث على أقامة هذا الاحتفال . وشكر الحاضرين . وتحدث باختصار عن ترجمة المحتفل بتأبينه

٣ ـ الشيخ محمد الصالح النيفر المدرس من الرتبة الثالثة بجامع الزيتونة ـ القى خطابا بسط فيه تاريخ حياة الشيخ رشيد رضا من ولادته الى ان تلاقى بالشيخ محمد عبده في مصر . وكيف انتسب اليه . ودافع عن مباديه . ثم تعرض لجمعية الوعظ والارشاد التي كان أسسها الفقيد .كما تعرض لعلاقته بالشيخ البشير النيفر وما اثنى به عليه في مجلة المنار .ونقل فقرات من بعض رسائل كانت تبودلت بينهما

٤ ـ الشيخ الفاضل ابن عاشور المدرس من الرتبة الاولى بالجامع الاعظم ـ القى خطابا تعرض

فيه لعلاقة الشيخ رشيد بتونس وبكثير من التونسيين لا سيما بعد زيارة الشيخ محمد عبده لتونس ورجوعه لمصر . وبسط بعض نقط تاريخية حكى فيها عن موقف الزيتونيين نحو مجلة المنار وانهم كانوا بين مانع ومجيز . والخلف بين الناس غير عزيز . ومن اعجب ما ذكره ان الوزير الاكبر الشيخ محمد العزيز بوعتور كان من انصارها مع اننا نعلم انه رحمه الله كان من غلاة المحافظين الذين ينكرون على صاحب المنار كل ما كان من آرائه مخالفا لما عليه السلف المتقدمون من اهل العلم . ولعل ما ذكره الشيخ الفاضل اصح مما نعلمه لان قرابته منه ربما تهيء له ان يطلع على بعض افكاره يجهلها كثير من الناس وبعد ما انتهى من خطابه أعلن الرئيس بتعطيل الحفلة حصة وجيزة لاجل الراحة والقيت في اثنائها اناشيد من جماعة الكشافة ثم استونفت والقى بقية الخطباء ما عندهم

٥ — الشيخ الشاذلي النيفر المدرس من الرتبة الثالثة بالجامع الاعظم . القى قصيدة في تابين الفقيد

٦ — السيد محمد الغربي . ألقى خطابا تعرض فيه لنواح عامة من حياة الفقيد

٧ — السيد علي البلهوان المدرس بالمدرسة الصادقية . القى خطابا اقتصر فيه على نقل مواضع اختارها من كلام الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا وكانت كلها تحوم حول ما قالاه في الطعن على علماء الازهر وما قدحا به في عموم الفقهاء وذمهم وانهم الذين كانوا حجر عثرة في رقي العالم الاسلامي وقد انتقدنا عليه اختياره لهذه الناحية من كلامهما لانها اضعف واسخف ما في حياة الشيخين ولانها من اقوى الاسباب في اثارة الشكوك والظنون حولهما ولا ندري هل اختياره كان عن اعتقاد ان ذلك مما ينبغي ان يمدحا به وهذه غفلة وذهول . ام اراد بنقل ذلك ان يشهر بهما ويسيء لسمعتهما وهذا ينبغي ان يقال في غير هذا المقام

٨ — ثم وقف السيد خميس الشامخ وقال : (الكلمة الآن للسيد ابن العربي) وهو يعني به حضرة العالم الفاضل الاديب الشيخ الطاهر ابن العربي المنشي بجمعية الاوقاف . فاذا به قد بارح القاعة من زمان وحرمنا من سماعه يخطب في مجتمع عام حيث لم نشاهده فيما سبق يشارك في المجتمعات العامة بالحضور . فضلا عن ان يكون خطيبا فيها

٩ — ثم تكلم الشيخ محمد شاكر المدرس بالجامع الكبير بصفاقس فتحدث عن علاقته بصاحب المنار من عام ١٣١٩ عند ما وقع اضطهاده بمناسبة تعرضه في درسه لزيارة القبور ولانكار بعض البدع وختم خطابه بقصيدة نظمها في تحية الشبان المسلمين ورثاء الشيخ رشيد رضا

١٠ — ثم القيت كلمة الامير شكيب ارسلان وناب عنه في القائها السيد محمد الغربي بصوته الرنان

١١ — ثم القى السيد المختار بن عثمان كلمة السيد محب الدين الخطيب ولم تلق في الحفلة خطبتان وهما خطبة الدكتور يحيى الدرديري واعتذر عنها بانها بقيت عند السيد الصادق بسيس وخطبة السيدة الفاضلة بشيرة الزهار . وكنا نود ان لا نحرم من سماعهما لا سيما الاخيرة لانها اول امراة تلقى لها كلمة في حفل عظيم مثل هذا واتنهت الحفلة على الساعة التاسعة الا ربع

رجال المجلة الزيتونية بمدينة باجة

اربع محاضرات متتابعات

اقام مجلس جمعية الشبان المسلمين بباجة حفلة كبرى ودعى اليها اعضاء مجلس المجلة الزيتونية ليقوموا بمحاضرات دينية علمية فكانت ظاهرة جديدة في الحياة العامة. ويمم الوفد مدينة باجة في اليوم الموعود وهو يوم الجمعة ٢٣ ذي القعدة وكان متركبا من المشايخ السادة : محمد الشاذلي ابن القاضي صاحب المجلة ـ محمد المختار بن محمود رئيس قلم تحريرها محمد الهادي ابن القاضي امين مالها ـ الطاهر القصار مديرها ـ محمود بن الطاهر العضو بمجلسها . محمد الصالح النيفر المدرس من الرتبة الثالثة بالجامع الاعظم وتلقاه مجلس جمعية الشبان عند جسر باجه وبعد تبادل التحية امتطى الوفدان القادم والمستقبل السيارات وقصدا المدينة فوصلاها على الساعة الحادية عشرة فوقع استقبال الوفد من طرف الشيخ القاضي الشيخ محمد الامين السعيد ثم من طرف العامل السيد محمد الزواري ثم وقع الطواف بالاسواق وكلما مر الوفد بجهة الا وانضم اليه اهلها وسار الجميع بعد ذلك الى الجامع لحضور صلاة الجمعة وكان من مقررات الاحتفال ان يتولى خطبة الجمعة الشيخ محمد الهادي ابن القاضي فخطب بالجامع المالكي الكبير وكان موضوع الخطبة الاولى التي خطب بها دعوة الامة الى الاهتمام بخطر المجاعة ومد يد الاعانة لاخواننا البائسين وموضوع الخطبة الثانية الدعوة الى الاعتناء بمجاراة الامم الحية فيما هو من ضروريات الحياة اليوم ولا يتنافى مع قواعد الاسلام وبالانتهاء من الصلاة اجاب الوفد دعوة جناب العامل للغداء فكانت ساعة انس ومباسطة وبعد اداء فريضة العصر قصد الجميع قاعة المحاضرات التي امتلات ارجاؤها وحضرها من كل الطبقات فاعتلى المنصة رئيس الجمعية الشيخ عبد العزيز العسكري مصاحبا للسيد العامل فالقى الرئيس الشرفي للحفلة كلمة الترحاب بالوفد وشكر الحاضرين وبعدها جاء دور الخطباء فالقى الشيخ المختار بن محمود خطبة شكر فيها اهل باجه على ما اظهروه من الاكرام وخصص بالشكر جمعية الشبان المسلمين التي وضعت برنامج هذه الحفلة على احسن الوجوه ثم القى مسامرته في الزبا ومضاره وشرح الامراض التي فتكت بهاته الامة ـ وتلاه الشيخ الشاذلي ابن القاضي فالقى مسامرة عن الاخوة الاسلامية كيف نشات وما لابسها في عصور الاسلام وما اعتراها من الاعتزاز بالجنسية في هاته العصور ، ثم تلاه الشيخ القصار وانشد قصيدته التي يطالعها القراء في باب الادب من هذا العدد ثم تلاه الشيخ صالح النيفر والقى كلمته في المهور والشوار وما تنتج عن الغلو فيهما ودعى الى اقامة لجان تبحث عن طرق تنفيذ الفكرة التي اشتمل عليها خطابه

ثم تلاه الشيخ الشاذلي النيفر والقي خطابا اجتماعيا نبه فيه الامة على عدة اخطار اجتماعية ، ثم اعطيت الكلمة للطبيب السيد احمد بن ميلاد فالقى على الحاضرين درسا تطبيقيا في مضار الزنا حاثا الحاضرين على الاهتمام بالزواج وانتهى الاحتفال على الساعة السادسة ونصف ثم اخذت صورة لهيئة الوفد ومجلس الجمعية ، ثم ذهب الوفد لدار الشيخ القاضي وتعشوا عنده تلبية لدعوته واجتمع على مائدة العشاء اعيان البلاد وفضلاؤها الذين وقع الاجتماع بهم في الصباح على مائدة العامل ، فكان مجلس انس وسمر ، ومطارحات ادبية وعلمية ، ثم اثر العشاء بارح الوفد باجة قاصدا العاصمة وهم مبتهجون غاية الابتهاج بما لاقوه من الحفاوة والاكرام من عموم اهل باجة ويخصون بالثناء جمعية الشبان المسلمين بباجة ورجال السلطة فيها الذين التفوا حول الوفد الى اللحظة الاخيرة التي خرج فيها من البلاد ،

ونحن نتمنى ان يتكرر مثل هذا العمل العلمي . وان تتابع هذه الاحتفالات الدينية في سائر البلدان بما فيها من بث الارشادات الدينية التي جميع الناس متعطشون اليها تعطش الظمآن الى الماء الزلال

فهرس العدد

الجزء السادس — المجلد الاول

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠

« ببلاد شمال افريقيا « ٣٠

« في الخارج « ٤٠

يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لا تكون الا معه

تباع المجلة في الاماكن التالية



اماكن بيع المجلة بالحاضرة

المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢

مكتبة الاستقامة نهج سيدي ابن عروس رقم ٣٤

المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣

مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢

المكتبة الزيتونية سوق السرايرية

مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢

المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية

مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤

دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف رقم ٧٢ .

البشير وبلقاسم بن عمارة سوق السرايرية رقم ٣٠

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

السيد الحبيب الذوادي ببنزرت بنهج احمد باي

« احمد المرابط متعهد ببيع المجلات ببنزرت

« عمر بن يدر بفريفيل

« علي المزي بماطر

« احمد بن الحاج عبد الرحمن العجالي بتلبيه

« عبد القادر قربوج بنابل

« حمودة الذكواني بمنزل جميل

السيد حمدلين الشريف بسوسه

« محمد الصالح البكوش بباجه

« محمد العربي بالمكنين

« محمد زهرة بالمنستير

« ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال

« الصادق بوزيان بالقيروان

« سعد بن بلقاسم الصحراوي بسبيطلة

« علي بسباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس

« قدري قعيب بقفصه

« المكتبة الاسلامية بتوزر

« عمر اسكندر بنفطة

« شرف الدين الدقاشي بدقاش

« محمد بن علي امنجه بقابس

« حمزة شورو بميدون جربه

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

السيد محمود نسيم بشارع لالير رقم ٤٢ بالجزاير

« محمود باش طبجي بساحة شارتر بالجزائر

مكتبة النجاح بقسنطينة

« قندوز بنهج جنجراس بسطيف

« الاخضر بن مبارك ببسكرة

« بن داود بساحة دي قرقولات بعنابة

« محمد الهادي جلال بتبسه

مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك ٤٢ بتلمسان

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء السابع	تونس في محرم الحرام عام ١٣٥٦ وفي مارس عام ١٩٣٧	المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

فهرس العدد

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠
« بلاد شمال افريقيا « ٣٠
« في الخارج « ٤٠
يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء السابع	تونس في محرم الحرام عام ١٣٥٦ وفي مارس عام ١٩٣٧	المجلد الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

أقبل عام وأدبر عام

بقلم رئيس التحرير

سيكون هذا العدد من المجلة بين يدي قرائه وهم مستبشرون بدخول العام السادس والخمسين من القرن الرابع عشر من الهجرة . يتبادلون التهاني بطلوع هلاله . ويعلقون عليه آمالا فسيحه واماني متعددة . وما الحياة الا اماني واحلام . لولاهما لضاقت سبل الحياة . ولوقف الانسان حيث هو لايزيد ولا ينقص . ولتعطلت حركة النمو والعمران . فالمريض يحس بالراحة اذا كان له أمل في الشفاء . والفقير المعدم يشعر بالسعادة اذا كان يترقب الغناء . والمكروب العاني يستفزه الطرب ما دام يترقب زوال ما احاط به من البلاء . وهذا هو السر الذي يكشف لك عن التناقض الذي يظهر على كثير من الناس . عند ما تقارن بين ما يبدو عليهم من السرور والابتهاج . وبين ما هم عليه في نفس الامر والواقع من التعاسة والشقاء . فالامل حينئذ هو مفتاح السعادة . وقائد الناس الى كل خير وفلاح وهو الذي يبعث الهمم من مرقدها . ويزرع في النفوس روح الحياة والنشاط . وينسيها بعض ما تعانيه من الآلام .

والامل شعبة من شعب الايمان بالله . لان صدق الايمان يجعل صاحبه حسن الظن في الله . وحسن الظن هو الامل الذي يقاوم به المؤمن كل ما يصادمه في حياته من الاخطار وكل ما يلاقيه من المصائب ومن اجل ذلك نهانا الله تعالى عن اليأس وأمرنا بحسن الظن . فقال الله تعالى حكاية لما قاله يعقوب عليه الصلاة والسلام لابنائه عندما ارادوا اقناعه بانه لم يبق له امل في مشاهدة ابنيه يوسف واخيه (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) (١) . فقد جعل اليأس من رحمة الله مقصورا على الكافرين . وقال الله تعلى في الحديث القدسي - انا عند ظن عندي بي فليظن بي ما شاء) وفي الرواية الاخرى (فليظن بي خيراً) فالمؤمن الصادق هو الذي لا تزيده الحوادث الا ثباتا . ولا تكسبه الخطوب والمصائب الا اقداماً لان باب الامل مفتوح في وجهه . وفضل الله اوسع من أمله وللّه در اسماعيل الطغرائى (المتوفى عام ٥١٣) في قوله

اعلل النفس بالآمال ارقبها ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

وتعليل النفس بالآمال هو الذي عبر عنه بعض الحذاق من الشعراء الاقدمين بالكذب على النفس في قوله :

واكذب النفس إذا حدثتها ان صدق النفس يزري بالامل

ولا يخفى على اللبيب انه ليس المراد من مدح الامل والتمسك به والاعتماد عليه . أن يخلد الانسان الى البطالة والكسل وترك الاخذ بالاسباب الموصلة الى الرقي ثم يعتمد على الاماني والاحلام والخيال الذي لا حد له فمثل هذا أمل زائل . وحلم باطل لا يصح للعاقل أن يعتمد عليه وانما الامل الذي نريده مما تقدم هو الامل الذي تهيأ له الاسباب . ويبذل صاحبه ما في طوقه من الاعمال للوصول اليه . ولولا هذا الاحتراز لكان لكل متكاسل بطال عذر يقدمه لمن يحثه على النشاط والعمل بان له ما يغنيه عنهما وهو اتساع الامل . وحيث كنا الآن في موقف توديع لعام راحل واستقبال لعام قادم فمن الواجب على كل واحد منا ان يحاسب نفسه حسابا مدققا عما فعله في صالح نفسه وعما فعله في صالح امته وبلاده . وان نستعرض بصفة عامة مجملة حالتنا في العام المنصرم . وان نعرض ما لنا من الآمال في العام الجديد . فليس من التعقل وحسن التدبير ان يعيش الانسان في هذه الحياة

---

(١) قوله فتحسسوا من يوسف واخيه أي ابحثوا عنهما وتطلبوا خبرهما . وقوله ولاتيأسوا من روح الله أي من فرجه وتنفيسه . وهذا على قراءته بفتح الراء . وهي قراءة الجمهور . واما على قراءته بضم الراء وهي قراءة الحسن وقتادة فالمعنى لا تياسوا من رحمة الله التي يحيا بها العباد . اشار الى ذلك في الكشاف صفحة ٣٩٩ جزء ١

كالحيوانات السائمة فالرجل العاقل هو الذي يكون شاعرا بالواجبات المفروض عليه ان يقوم بها وان لا يهنأ له عيش ولا يطيب له مقام الا اذا قام باداء تلك الواجبات وسعى في تحقيقها لا سيما في بلاد مثل بلادنا التونسية التي هي من أحوج البلدان الى اعتناء ابنائها بها وتوجههم جميعا الى العمل في صالحها وبذل الجهد في النهوض بها وايصالها الى اقصى درجات الرقي والكمال ونحن اذا نظرنا الى العام الراحل نجده – والحمد لله – من أبرك الاعوام واسعدها على الحركة الفكرية والنهوض العلمي ، فقد كان لحرية القول والاجتماع اللذين منحتهما الحكومة لهذه البلاد اثر ظاهر في نهضتها . فالحركة الفكرية قد نشطت من عقالها ، وظهرت آثار القرائح التي كانت خامدة . واستعد الناس للتعبير عن مقاصدهم واغراضهم في أمان واطمئنان ، ودليل ذلك هو الحركة الصحفية الكبرى التي وقعت في خلاله ، فقد رجعت الصحف المعطلة للظهور وانشئت نحو عشرين جريدة وخمس مجلات باللغة العربية والفرنسية منها هاته المجلة التي نرجو من الله ان يوفقنا للسير بها الى ارقى ما تصل اليه المجلات العلمية . وليس هناك شيء يعين على النهوض ويعد الافكار والنفوس للعمل مثل صفاء الجو الذي يحس فيه الانسان براحة عند ما يعبر عن خوالج نفسه من غير خوف ولا وجل . وحرية القول لا تعود على الحكومات والافراد الا بكل خير . لانها تكون الحكومة مطلعة على حقيقة افكار رعاياها من غير احتياج الى الافتراضات والظنون فتلك الحرية يعبر الشعب عن آماله وامانيه . والحكومة بعدلها وانصافها تنظر في تلك الآمال وتحقق منها ما كان سهل الانجاز . وتهيء الاسباب لتحقيق ما كان منها محتاجا الى التأمل وامعان النظر . وهكذا يعيش الناس كلهم في راحة وصفاء وتوادد . واني لا افهم من حرية القول الا هذا ، اما تمزيق جلباب الحياء والخروج عن الآداب العامة والتراشق بسهام السباب والشتم وهتك الحرمات والكشف عن العورات والتعرض للشخصيات والتحدث بما يقع وراء الابواب والجدران . فهذا هو الحماقة بعينها ولان يكون الناس محرومين من القول بتاتا خير عندي من ان تكون لهم حرية يصلون بها الى هاته الدرجة . اذا فالواجب علينا معشر التونسيين أن نعتبر بهذه النعمة الكبرى . وأن نعدها فرصة سانحة لما نريد ان نقوم به من الاعمال الصالحة . وان لا نتركها تمر من غير ان نستغلها وننتفع بها ، كفرص اخرى سنحت في بعض الاوقات فعبثت بها الاغراض والشهوات ، وهيهات ما فات . ويعجبني في هذا المعنى قول تقي الدين بن حجة الحموي (المتوفى سنة ٨٣٧) في ارجوزته التي استخلصها من كتاب الصادح والباغم

وانتهز الفرصة ان الفرصه   تعود ان لم تغتنمها غصه

وعليه فاننا نتوجه بهذا النداء لابناء بلادنا الاعزاء وهو ان الواجب عليهم ان يكونوا يدا واحدة وعلى قلب رجل واحد وان تكون للجميع غاية واحدة ومقصد متحد يكون السعي اليه والعمل على تحصيله . واذا كان هناك خلاف في الطرق والوسائل فينبغي ان لا يتجاوزها الى المقاصد الاصلية والمعاني الجوهرية ، فان اعظم داء أهلك الامم وافناها وأضاع مصالحها وشتت شملها وصيرها العوبة وسخرية امام غيرها من الامم هو داء التفرق والاختلاف الذي يصاب بـه قادتها وزعماؤها واصحاب الرأي فيها . واذا كان النجاح مشكوكا فيـه مع الاتحاد ، فهو مع التخالف وتفرق الكلمة مستحيل . وكفانا عبرة ما وقع لنا فيما مضى وما وقع لغيرنا من الامم . وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون . فهذا عام جديد نستقبله . فلنستقبله بوجوه باسمة ، وقلوب متموادة ، ونفوس متراحمة . وليكن هدف الجميع هو النهوض ببلادنا ، ورفعة شأنها واعلاء مكانها .

واعظم الناس في نظري هو أقدرهم على تسوية المشاكل وقطع اسباب الخلاف واقتلاع جذور الاحقاد والضغائن الكامنة في النفوس . فاقصى ما نرجوه هو ان لا يكون هناك خلاف لا في المقاصد ولا في الوسائل . فان كان ولابد فليقصر الخلاف على الطرق والوسائل من غير ان يكون ذلك مفضيا الى ان يعمل الرجل ضد اخيه . واذا كان هناك خلاف حقيقي فليسع العقلاء لازالته بالمفاهمات الخاصة وبسط النظريات من غير احتياج الى التشهير . فان ذلك ادعى للوفاق واقرب للنجاح فاذا كنا كذلك امكن لنا ان ننتظر بحول الله من العام الجديد خيرا كثيرا ونجاحا كبيرا ولنا أمل وطيد في تحقق ذلك . فاهل هذه البلاد يغلب عليهم التعقل والمسالمة والاستعداد للرجوع الى الصواب والاخذ بالتي هي أحسن واذا كانت النفوس متهيئة والقلوب متصافية وسعى العقلاء في التوفيق نجحت الاعمال وبلغنا الى اقصى ما نرجوه من مراتب الكمال . هذا وبقدر ما كان للعام الراحل من الفوائد والمحاسن بالنسبة للحالة الفكرية والعلمية فانه كان على عكس ذلك بالنسبة للحالة الاقتصادية . فقد كان العام الماضي والعياذ بالله من اشد الاعوام على سكان المملكة التونسية . فقد أمحل فيه الزرع والضرع . وابتلانا الله تعالى بنقص في الاموال والثمرات فضاقت النفوس ذرعا وأشرف الناس على الهلاك من الجوع والعراء . ولولا ان الشعب قد تيقض لذلك فأسس الجمعيات لاعانة الفقراء والمحتاجين واعانته الحكومة على هذا العمل إعانة فعلية تذكر فتشكر ، لافضى الحال بالتونسيين الى ما لا تحمد عقباه . ولكن الله بفضله ورحمته سخر الناس لمد يد المساعدة فبذل كل انسان ما يقدر عليه وتكون من مجموع ذلك ما يؤمل معه ان لا يفضي الحال لاكثر مما أفضى . ورجاؤنا في الله تبارك وتعلى ان ينظر الينا بعين الرحمة والرضا وان يتجاوز عن اعمالنا وان لا يؤاخذنا بما

القرآن الكريم

المقدمة الرابعة في غاية المفسر من التفسير

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

كأني بكم وقد مر على اسماعكم ووعت ألبابكم ما قررته من استمداد علم التفسير ومن صحة تفسير القرآن بغير المأثور ومن الانحاء على من يفسر القرآن بما يدعيه باطنا ينافي مقصود القرآن ومن التفرقة بين ذلك وبين الاشارات تطلعون بعد الى الافصاح عن غاية المفسر من التفسير وعن معرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانها حتى يستبين لكم اكمل الاستبانة غاية المفسرين من التفسير مع اختلاف طرائقهم وحتى تعلموا عند مطالعة التفاسير مقادير اتصال ما تشتمل عليه بالغاية التي يرمي اليها المفسر فتزنوا بذلك مقدار ما اوفى به من المقصد ومقدار ما تجاوزه ثم ينعطف القول الى التفرقة بين من يفسر القرآن بما يخرج عن الاغراض المرادة منه وبين من يفصل معانيه تفصيلا ثم ينعطف القول الى نموذج مما استخرجه العلماء من مستنبطات القرآن في كثير من العلوم

ليس بنا ان نستدل على ان القرآن انزله الله تعالى كتابا لصلاح امر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله تعالى منهم قال تعالى : وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى

يفعله السفهاء منا وان يجعل هذا العام الجديد عام خصب ورخاء وراحة وهناء وان يغدق علينا من الخيرات والبركات ما نكون به عبيد امتنان لا عبيد ابتلاء وان يجعله عاما مباركا سعيدا على عموم الناس في جميع الاقطار والامصار ولا سيما على الشعوب الاسلامية التي تلاقي من الفاقة والذل والهوان الوانا واشكالا وان يديم لنا صاحب الجلالة ملكنا المعظم وان يجعل هذا العام مباركا عليه وعلى كل من لاذ بجنابه وانتسب اليه وان يحقق لهذا القطر ما يصبو اليه من سعادة وان يختم لنا جميعا بالحسنى وزيادة . انه الرؤوف الرحيم . الجواد الكريم

محمد المختار بن محمود

للمسلمين(١) فكان المقصد الاعلى منه صلاح الاحوال الفردية والاجتماعية والعمرانية فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها ورأس الامر فيه صلاح الاعتقاد لان الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير ثم صلاح السريرة الخاصة وهي العبادات الظاهرة كالصلاة والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر. واما الصلاح الاجتماعي فيحصل اولا من الصلاح الفردي اذ الافراد اجزاء المجتمع ولا يصلح الكل الا بصلاح اجزائه ومن شيء زائد على ذلك وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية وهذا هو علم المعاملات ويعبر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية. واما الصلاح العمراني فهو اوسع من ذلك اذ هو حفظ نظام العالم الاسلامي وضبط تصرف الجماعات والاقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع ورعي المصالح الكلية الاسلامية وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع. فمراد الله تعالى من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع الى حفظ مقاصده وقد اودع مراده في الفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطابا واضحا بينا وتعبدنا بمعرفة مراده والاطلاع عليه فقال: «كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا ءاياته وليتذكر اولوا الالباب» سواء قلنا انه يمكن الاطلاع على تمام مراد الله تعالى وهو قول علمائنا والمشايخي والسكاكي كلاهما من المعتزلة ام قال قائل بقول بقية المعتزلة ان الاطلاع على تمام مراد الله تعالى غير ممكن اذ القصد هو الامكان الوقوعي لا العقلي فلا مانع من التكليف باستقصاء البحث عنه بحسب الطاقة ومبلغ العلم مع تعذر الاطلاع على تمامه

وقد اختار الله تعالى ان يكون اللسان العربي مظهرا لوحيه ومستودعا لمراده وان يكون العرب هم المتلقين اولا لشرعه وابلاغ مراده لحكم علمها منها كون لسانهم افصح الالسن واسهلها انتشارا واكثرها تحملا للمعاني مع ايجاز لفظه. ولتكون الامة المتلقية للتشريع والناشرة له امة قدسلمت من إفن الرأي عند المجادلة ولم تقعد بها عن النهوض اغلال التكالب على الرفاهية ولا عن تلقي الكمال الحقيقي او يسبب لها خلطة بما يجر الى اضمحلاله (٢) على حد قول المثل ارسل حكيما ولا توصه فيجب ان تعلموا قطعا ان ليس المراد من خطاب العرب بالقرآن ان يكون التشريع قاصرا عليهم او مراعيا لخاصة

(١) المراد من كل شيء باتفاق المفسرين انما هو كليات الاشياء واصولها فيما يرجع الى ما جاء القرآن لاجله غير ان ظاهر كلام الشاطبي وغيره ان ذلك فيما يرجع للاحكام وانا لا اري تخصيص ذلك بذلك بل ارى انه ما فرط شيئا مما جاء القرءان لاجله والبقية مشار اليها بطرق الاستدلال من دلالة اشارة وفحوى ودليل خطاب وقياس وغير ذلك وليس خاصا بالاحكام. اما الهدى فهو الارشاد الى ما فيه صلاح الناس. والرحمة لهم بما يعود عليهم من اقامة مصالحهم وهناء عيشتهم والبشرى لهم بالفوز عاجلا وآجلا مثل قوله في العاجل وعد الله الذين آمنوا الآية وهذه المعطوفات مرتبة الحصول كما ترى

(٢) يعني ان الاحوال التي رسخت في الامم المعاصرة للعرب كالفرس والروم كانت تعوقهم عن تلقي الكمال الحقيقي لعسر انخلاعهم عنها بخلاف العرب فكانوا على الفطرة وما عرض لهم من التغير انما هو شيء قليل كعبادة الاوثان وبعض العوائد الا ان سلامة ادراكهم وبقاءهم على الفطرة يغلب على قليل تلك العوائد ولو شئنا لبسطنا كيف كانت احوال الامم المعاصرة للعرب يومئذ

احوالهم بل ان عموم الشريعة ودوامها وكون القرآن معجزة دائمة مستمرة على تعاقب السنين ينافي ذلك . نعم ان من مقاصده تصفية نفوس العرب الذين اختارهم كما قلنا لتلقي شريعته وبثها ونشرها فهم المخاطبون ابتداء قبل بقية امة الدعوة فكانت احوالهم مرعية لا محالة وكان كثير من القرآن مقصودا به خطابهم خاصة واصلاح احوالهم قال تعالى ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وقال ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين الآية لكن ليس ذلك يوجه الاقتصار على احوالهم فما ابتكره الشيخ ابو اسحاق الشاطبي في الفصل الثاني من المسالة الرابعة إذ قال (انما يصح في مسلك الافهام والفهم ما يكون عاما لجميع العرب فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه بحسب الالفاظ والمعاني فان الناس في الفهم وتأتي التكليف فيه ليسوا على وزان واحد ولا متقارب الا انهم يتقاربون في الامور الجمهوريه وما والاها الخ) هذا رأي يناكد عموم التشريع لكافة الامم اذا اخذ على ظاهره لكني ادين أن ابا اسحاق يعني انهم لا يخاطبون بما لا تطيقه افهامهم ولا سيما ما كان مقصودا منه الاحتجاج عليهم ولا يمنع ان يخاطبوا بما ياخذون منه على قدر افهامهم مع تحمله لما يتجاوز ذلك كما جاء في الحديث رب حامل فقه الى من هو افقه منه وكما قال الشاعر

ولكن تاخذ الافهام منه على قدر القرائح والعلوم

فان هو قصد خلاف ما ظنناه به فقد صار الكلام حقيقا بالتزييف

اليس قد وجب على الآخذ في هذا الفن ان يعلم المقاصد الاصلية التي جاء القرآن لتبيانها فلنلم بها الآن بحسب ما بلغ اليه استقراؤنا وهي ثمانية امور . اولها اصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح وهذا اعظم سبب لاصلاح الخلق لانه يزيل عن النفس عادة الاذعان لغير ما قام عليه الدليل ويطهر القلب من الاوهام الناشئة عن الاشراك والدهرية وما بينهما وقد اشار الى هذا المعنى قوله تعالى فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب » فاسند لآلهتهم زيادة تتبيبهم وليس هو من فعل الآلهة ولكنه من ءاثار الاعتقاد بهم ولو اردنا ان نبسط القول بذكر ما يحدثه الاشراك في النفس من الانخذال والذبذبة وكذلك الالحاد بالخالق لاملينا في ذلك دروسا طويلة تخرج عن غرضنا . الثاني تهذيب الاخلاق قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وفسرت عايشة رضي الله تعالى عنها لما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وفي الحديث بعثت لا تمم مكارم الاخلاق وهذا المقصد قد فهمه عامة العرب بله خاصة الصحابة وقال ابو خراش الهذلي(١) مشيرا الى ما دخل على العرب من احكام الاسلام باحسن تعبير اذ قال

فليس كعهد الدار يا ام مالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

---

(١) ابو خراش بكسر الخاء المعجمة وبالشين المعجمة خويلد بن مرة الهذلي شاعر مخضرم توفي في مدة عمر بن الخطاب ولم ير النبيء صلى الله عليه وسلم

وعـاد الفتى كالكهـل ليس بقائـل سوى العدل شيئا فاستراح العواذل

اراد باحاطة السلاسل بالرقاب احكام الاسلام . الثالث التشريـع وهو الاحكام خاصة وعـامة قال تعالى : انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله » ولقـد جمـع القـرآن جميع الاحكام جمعا كليا في الغالب وجزئيا في المهم فقوله : تبيانا لكم شيء . وقوله اليوم أكملت لكم دينكم المراد بهما إكمال الكليات التي منها الامر بالاستنباط والقياس قال تعال « فاتقوا الله ما استطعتم » قال الشاطبي لانه على اختصاره جامع والشريعة تمت بتمامه ولا يكون جامعا لتمام الدين الا والمجموع فيه امور كلية. الرابع سياسة الامة وهو باب عظيم في القرءان القصد منه صلاح الامة وحفظ نظامها كالارشاد الى تكوين الجامعة لقوله « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » وقوله إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء . وقوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . وقوله : وأمرهم شورى بينهم (١) . الخامس القصص واخبار الامم السالفة للتـأسي بصالح احـوالهم « نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين . اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» وللتحذير من مساويهم «و نبين لكم كيف فعلنا بهم» وفي خلالها تعليم وقد كنا اشرنا اليها في المقدمة الثانية وسنبسطه في مقدمة ءاتية . السادس التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم الى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الاخبار وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من اهل الكتاب وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الجدل في افانين مجادلاته للضالين وفي دعوته الى النظر ثم نوه بشأن الحكمة فقال « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا » وهذا اوسع باب انبجست منه عيون المعارف وانفتحت به عيون الاميين الى العلم وقد لحق به التنبيه المتكرر على فائدة العلم وذلك شيء لم يطرق اسماع العرب من قبل إنما قصارى علومهم امور تجريبية وكان حكماؤهم افردا اختصوا بفرط ذكاء تنظم اليه تجربة وهم العرفاء فجاء القرءان بقوله « وما يعقلها الا العالمون » هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» وقال ن والقلم: فنبه الى مزية الكتابة . السابـع : المواعظ والانـذار والتحذير والتبشير وهذا يجمـع جميع ءايات الوعد والوعيـد وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين وهذا باب الترغيب والترهيب . الثامن : الإعجاز بالقرءان ليكون ءاية دالة على صدق الرسول اذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي والقرءان جمع كونه معجزة بلفظه ومتحدى لاجله بمعناه والتحدي وقـع فيه « قل فأتوا بسورة مثله » ولمعرفـة اسباب النزول مدخل في ظهور مقتضى الحال ووضوحه . هذا ما بلغ اليه استقرائي واحسب انه اجمع واضبط مما ذكره الغزالي في الاحياء.

(يتبع)

(١) قد خصصت لهذا النوع من مقاصد القرآن سلسلة مقالات نشرت وتنشر في مجلة هدى الاسلام التي تصدر بالقاهرة

الحديث الشريف

باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه

— ٢ —

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز
جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

واما ما يترتب على التوكل فالشجاعة وعزة النفس والبعد عن الطمع . والصبر على فوت المحبوب والشكر على حصول المرغوب. فاما الشجاعة فلان النفس اذا اشربت الاعتماد على الله تعالى ولم يزايلها الثقة به ومهدت الاسباب التي يحصل المطلوب عندها من غير ان تركن اليها وتعتمد عليها لا تجبن في طلباتها ولا ترتد على اعقابها في سبيل رغباتها وتستسهل الصعاب وتثبت في مواقع الاضطراب الامر الذي اتصف به الانبياء عليهم الصلاة والسلام واتباعهم المؤمنون المصطفون فقد كان ثباتهم فوق ثبات الرواسي ولم يبالوا بشغب المخالفين ولا بتجمعهم على الاذاية وفيما قصه الله علينا في كتابه من حال الانبياء وألهم البلغة الشافية والعضة البالغة قال تعلى وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » وقال تعلى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » واما عزة النفس والبعد عن الطمع فمن حيث ان المتوكل على الله تعلى لا يزايله اعتقاد ان ما يصيبه من الخيرات او الشرور على ايدي العباد هو من الله تعلى كما قال تعلى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » وقوله بيدك الخير من باب الاكتفاء اي والشر واختير الاكتفاء هنا تعليما للعباد طريقة الادب في مخاطبة الله تعلى ودعائه فالعباد عند المتوكل مظاهر لتلك النعم فيعتبرهم اعتبار محل تمنح فيه الجوائز والعطايا والتذلل لا يكون للمحل والطمع لا يتوجه اليه وانما يكون التذلل للمانح والطمع فيه . واما الصبر على فوت المطلوب والشكر على حصول المرغوب فلان الركون الى الاسباب هو المنسي لواجب الشكر عند حصول النعمة وهو المفضي الى الجزع والسخط ورفع العقيرة بالشكوى اذا تخلف المطلوب اما اذا وثق العبد بالله تعلى نسب فوات المطلوب الى القضاء والقدر وعلم ان

لارادلهما فهان عليه الامر وقابل القضاء بالرضى ونسب حصول المرغوب الى فعل الله تعلى وكرمه وعلم ان السبب لا تاثير له في شيء من حصول مطلوب فضلا عن استقلاله به فيجري في حلبة شكر الله تعلى قلبه وجوارحه ولسانه . وقد تجلى بما قررناه ان التوكل من اعظم خصال الايمان الموجبة لتزكية النفوس وتحليها بالكمالات والفضائل وهكذا شان الايمان وما يترتب عليه يطهر النفوس من أدران الرذائل ويصبغها بصبغ الكمالات فالحمد لله الذي هدانا له وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

وقد ساق البخاري في بيان فضل التوكل ما رواه حبر الامة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وقد ساق البخاري هذا الحديث في احاديث الانبياء مختصراً وفي كتاب الطب مطولا بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي الامم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه احد حتى رفع لي سواد عظيم قلت ما هذا امتي هذه قيل هذا موسى وقومه قيل انظر الى الافق فاذا سواد يملا الافق ثم قيل لي انظر هاهنا وهاهنا في آفاق السماء فاذا سواد قد ملا الافق قيل هذه امتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون الفا بغير حساب ثم دخل ولم يبين لهم فافاض القوم وقالوا نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم او اولادنا الذين ولدوا في الاسلام فانا ولدنا في الجاهلية فبلغ النبيء صلى الله عليه وسلم فخرج فقال هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة ابن محصن أمنهم انا يا رسول الله قال نعم فقام آخر فقال أمنهم انا قال سبقك بها عكاشة . واخرج هذا الحديث مسلم عن عمران بن حصين وابي هريرة وابن عباس بطرق مختلفة بالزيادة والنقص والبيان والاجمال وقد اتسع مجال القول في هذا الحديث وتشعبت الاراء فيه لاختلاف الاحاديث الواردة في الاسترقاء والاكتواء . فاما الاسترقاء اي طلب الرقية فقد جاء في النهي عنه حديث عبد الله ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرقى والتمائم والتولة شرك لكن قال المنذري في رواته مجهول . والرقى جمع رقية وهي الكلام الذي يستشفى به والتمائم جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على اولادهم يمنعون بها العين في زعمهم فابطلها الاسلام والتولة هو تحبيب المراة الى زوجها قاله الاصمعي وقال الخليل شبيه بالسحر وجاء تفسيرها عن ابن مسعود فيما اخرجه الحاكم قال شيء يصنعه النساء ليتحببن الى ازواجهن يعني من السحر قيل هي خيط يقرأ فيه من السحر او قرطاس يكتب فيه شيء منه يتحبب به النساء الى قلوب الرجال وبتفسير كون ذلك من السحر نعلم ان كتب بعض الآيات القرآنية أو الكلام المباح للتحبيب مع عدم اعتقاد التاثير ليس من التولة المحرمة وجعل الحديث هذه الثلاثة من الشرك لاعتقادهم ان ذلك يؤثر بنفسه .

وجاء في جواز الاسترقاء احاديث كثيرة منها حديث ابي سعيد الخدري في رقيته سيد الحي بفاتحة الكتاب واخذه على ذلك اجرا وهو مشهور اتفق عليه الشيخان ومنها حديث انس قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من العين والحمة والنحلة والحمة اسم والنحلة قروح تخرج من الجنب او الجنبين ومنها حديث الشفا بنت عبد الله قالت دخل علي النبيء صلى الله عليه وسلم وانا عند حفصة فقال الا تعلمين هذه رقية النحلة كما علمتها الكتابة وفي قوله كما علمتها الكتابة دليل على جواز تعليم النساء الكتابة وان ام المؤمنين حفصة كانت تحسنها ومنها حديث عوف بن مالك قال كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال أعرضوا علي رقاكم لا باس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ومنها حديث جابر قال نهى رسول الله صلى الله علية وسلم عن الرقى فجاء ءال عمرو بن حزم فقالوا يا رسول الله انها كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب وانك نهيتَ عن الرقى قال فعرضوها عليه فقال ما ارى بأسا من استطاع منكم ان ينفع اخاه فليفعل . ومنها حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت انفث عليه وامسحه بيد نفسه لانها اعظم بركة من يدي رواه الشيخان

ومن تأمل في احاديث النهي والجواز تبين له ان لا تعارض بينها وان النهي مقصور على ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه ولا يتناول ماكان بالقرآن واسماء الله والكلام الحسن ولهذا قال الشيخ ابن ابي زيد في الرسالة ولا باس بالرقى بكتاب الله وبالكلام الطيب وقال ابن التين الرقى بالمعوذات وغيرها من اسماء الله تعالى هو الطب الروحاني اذا كان على لسان الاحرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله فلما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فياتي بامور مشبهة مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله واسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بمردتهم. وقال القرطبي الرقى ثلاثة اقسام احدهما ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك او يؤدي الى الشرك الثاني ماكان بكلام الله او اسمائه فيجوز فان كان ماثورا فيستحب الثالث ما كان باسماء غير الله من ملك او صالح او معظم من المخلوقات كالعرش فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء الى الله تعالى والتبرك باسمائه فيكون تركه اولى الا ان يتضمن تعظيم المرقي به فينبغي ان يجتنب كالحلف بغير الله انتهى وهو تحقيق بالغ (يتبع)

اصلاح خطأ في آيتين

بصفحة ١٨٦ سطر ١٣ من العدد الرابع وردت الآية هكذا (اولئك هم الفائزون) وصوابها (واولئك) بزيادة الواو

وبالصفحة المذكورة سطر ١٨ وردت الآية هكذا (ولا يجدون في نفوسهم حاجة) وصوابها (في صدورهم)

الفتاوى والاحكام

فتوى قيمة في الحلف باللازمة والحرام مع الجمع بينهما

كما هي العادة المتفشية بين اهل تونس

بقلم شيخ الشيوخ وطود الرسوخ شيخ
الاسلام الحنفي سيدي محمد بن يوسف ابقاه الله

السؤال : اذا قال الشخص المتزوج باللازمة والحرام لا أفعل كذا مثلا ثم فعله فهل يلزمه الطلاق اولا وعلى تقدير لزوم الطلاق فهل هو بائن او رجعي وهل الواقع طلقة واحدة او ثنتان أفيدونا بما ينثلج له الصدر .

الجواب : الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم وبعد فالجواب على الطرفين الاول والثاني ان لفظ اللازمة كلفظ الحرام كلاهما من الفاظ الطلاق البائن الصريح عرفا وقد تمالات كلمة القوم على ان قول القائل انت علي حرام او محرمة أو انت معي في الحرام وما اشبه ذلك من البائن الصريح بمقتضى العرف الشائع في الاستعمال ووجهه المحقق ابن عابدين بان لفظ الحرام معناه عدم حل الوطء ودواعيه وذلك يكره بالايلاء وهو غير متعارف بينهم ويكون بالطلاق لكن الرجعي غير محرم للوطء فتعين البائن بعرف الاستعمال والصريح ما استعمل غالبا في الطلاق وهذا كذلك فلا يحتاج الى نيه الطلاق وتصح فيه كامثاله نية الثلاث فيدين الحالف به بالنسبة لنية الثلاث اي يحلفه المفتي بانه لم ينو الثلاث ثم يفتيه بما يقتضيه كلامه واحدة او اكثر وقد شاع استعماله في ديارنا التونسية بهذا المعنى تارة على سبيل التعليق واخرى لا على سبيل التعليق كما شاع عندنا ايضا الحلف باللازمة على سبيل التعليق مجردة عن لفظ الحرام ومقرونة به فيقولون باللازمة او باللازمة والحرام لا أفعل أو افعل كذا يريدون الحلف بطلاق اشد من الرجعي وقد اشتهر هذا المعنى بين الحالفين به فلا يقصدون في الاستعمال سواه ولهذا لا يحلف به الا الرجال لاظهار المبالغة في الامتناع من الفعل او المبالغة في العزم عليه ويجمعون تارة بينه وبين لفظ الحرام عند ارادة مزيد المبالغة في الطلاق وليس للمتقدمين من علمائنا نص في ذلك لعدم تعارف الحلف بلفظ اللازمة عندهم ولكن مشائخ لاسلام البيرميون قدس الله ارواحهم كانوا يفتون في يمين اللازمة بالطلاق البائن كاليمين بالحرام وافق

بمثل ذلك شيخ الاسلام سيدي احمد كريم ونقل في مجموع فتاواه المسمى بالفتاوى الاحمدية عن محرارات الشيخ سيدي محمد المناعي من اكابر الفقهاء المالكية رحمه الله ان الحكم اذا كان له مدرك من علة او عرف فانه يدور مع مدركه كاللازمة فمن كانت في عرفه يمينا فيمين والا فلا وعلى الاول فمن كان يراد بها في عرفه جميع الايمان فانها تلزمه ومن كان عرفه يراد بها الطلاق يلزمه على ما يراد في العرف من الواحدة او الثنتين او الثلاثة وان كان العرف جرى بغير ذلك فانه يلزمه ما يراد في العرف كالمشي لبيت الله الحرام وصوم شهر مثلا وهلم جرا ولذلك تجد العلماء يقول كل واحد منهم بما يوافق عرفه وليست اقوالا لهم كما يوهمه نظم العاصمية وشارحوها وان المدار على ما ذكرنا اهـ وذيله الشيخ كريم بان ما ذكره الشيخ المناعي اشار اليه الشيخ التاودي واوضح المقام العلامة الشيخ علي التسولي في شرحه فارجع اليه انتهى ما في الفتاوى الاحمدية ولا يخفى ان المقصود من ذلك هو الاشارة الى ان لزوم الطلاق البائن في يمين اللازمة عندنا مبني على العرف وفي (١) فتاوى الشيخ عبد الرحمان المرشدي عند الكلام على ءاداب الفتوى ما نصه ينبغي للمفتي اذا ورد عليه مستفت لا يعلم انه من اهل البلد الذي منه المفتي فلا يفتيه بما عادته يفتي به حتى يساله عن بلده وهل جرى لهم عرف في هذا اللفظ اللغوي ام لا وان كان اللفظ عرفيا فهل عرف ذلك البلد موافق لهذا البلد في عرفه ام لا وهذا امر متعين واجب لا يختلف فيه العلماء اهـ وفي معين الحكام من الباب الثامن والعشرين ان المعتبر فيمن حلف بالايمان اللازمة عرف الحالف لا عرف المفتي فلو دخل المفتي بلدا لا يكون عرفهم فيه انه يراد به طلاق الثلاث لم يجز له ان يفتي بذلك ولا يحل للمفتي ان يفتي بما يتوقف على العرف الا بعد معرفة العرف وهذا من الامر المهم معرفته اهـ واستتباعا لما حرره ابن عابدين في بيان وجه العرف الواقع في لفظ الحرام الذي نقلناه آنفا نقول لما كان المقصود من اللازمة بحكم العرف في هذا القطر هو الطلاق الاشد من الرجعي تعين حمله على الباقي المحرم للوطء او ان وصف الاشدية ضمنا كوصف الاشدية صريحا والطلاق الموصوف بما ينبيء عن الشدة والزيادة يوجب البينونة فلا جرم ان يكون التعليق بلفظ اللازمة تعليقا للبائن الصريح بالعرف كالتعليق بلفظ الحرام فلا يحتاج الى نية الطلاق وتصح فيه نية الغاية فيدين الحالف به بالنسبة للثلاث وخلاصة القول ان الحلف باللازمة في القطر التونسي كالحلف بالحرام والى ذلك اشرت في المنظومة الفقهية بقولي :

ولفظة الحرام او باللازمه بائنة بالعرف فيها لازمه

---

(١) من كتب الفتاوى المعتبرة نقل عنها ابن عابدين في اوائل باب التعليق من حاشية الدر بما نصه تنبيه في فتاوى الكازروني عن فتاوى المحقق عبد الرحمن المرشدي

هذا ما يتعلق بالجواب عن الطرفين الاولين اما الجواب عن الطرف الثالث فهو ان الواقع بالحنث في قول الحالف المحكي في السؤال طلقتان بائنتان لان قوله باللازمة والحرام لا أفعل كذا تعليق للازمة والحرام على الفعل المحلوف عليه بمنزلة قوله ان فعلت كذا وقعت اللازمة والحرام على وزان ما قرره ابن الهمام في الحلف بقولهم الطلاق يلزمني لا افعل كذا فهو تعليق معنوي تقدم فيه الجزاء على الشرط وكل من اللازمة والحرام طلاق بائن بالعرف فيقع كل منهما عند وجود الشرط لما تقرر في الاصول ان تقديم الاجزئة على الشرط يقتضي توقف كل منهما عليه فاذ وجد الشرط تقع دفعة واحدة وقد صرح الفقهاء بانه اذا قال للمدخول بها انت طالق واحدة وواحدة او قال انت طالق وطالق وطالق ان دخلت الدار ودخلت وقع الثلاث اتفاقا قالوا وكذا اذا تقدم الشرط . وفي الاشباه من كتاب الطلاق ما نصه كرر الشرط ثلاثا والجزاء واحد فوجد الشرط مرة طلقت واحدة ولو تعدد الجزاء تعدد الوقوع كما في الخانية . ولا يهولنك ان الطلاق الواقع بلفظ الحرام ولفظ اللازمة طلاق بائن والبائن لا يلحق البائن لان البائن الثاني هنا معلق قبل وقوع المعلق الاول وقد صرحوا بان البائن في مثله يلحق البائن لتعذر جعل الثاني اخبارا عن الاول لان الاول لم يقع حتى يخبر عنه كالبائن المعلق قبل وجود المنجز فانه يلحق لعدم امكان جعله اخبارا لتاخر المنجز فكيف يجعل المعلق المتقدم خبرا عن المنجز المتاخر والاصل في اللحاق وعدمه انه متى امكن جعل الثاني خبرا عن الاول لا يلحق ويلحق ان تعذر جعله خبرا عنه ولذلك قلت في المنظومة الفقهية :

والاصل في مسائل اللحاق مع كونه في عدة الطلاق
تعذر الاخبار بالثاني لحق اوصح فاعلم انه لا يلتحق

وان اردت زيادة البسط واقامة الوزن بالقسط فاسمع لما نمليه عليك . ذلك ان مما يكثر السؤال عنه تكرير لفظ الحرام من غير تعليق كانت حرام انت حرام او بالتعليق نحو باللازمة او بالحرام لا يفعل كذا مع تكرير جملة التعليق بطرفيها مرتين او ثلاثا او مع تكرير المعلق فقط نحو بالحرام بالحرام او باللازمة والحرام لا يفعل كذا اما الصورة الاولى اعني التكرير بدون تعليق فلا يتكرر فيها الطلاق وان كرر لفظ الحرام الفا لما في الدرقبيل الخلع انت علي حرام الف مرة تقع واحدة ومثله في الذخيرة والبزازية قال ابن عابدين لان البائن لا يلحق البائن حيث يمكن جعله اخباراً وأما الصورة الثانية وهي تكرير التعليق بطرفيه فانه يلزم فيها تكرير الطلاق على حسب تكرر التعليق مرتين او ثلاثا لان التعليق على الاول وقع قبل حصول المعلق الاول فيتعذر فيه الاخبار ويتعين الانشاء واللحاق وفي الدر من ذلك المحل ما نصه قال ثلاث مرات حلال الله علي حرام ان فعلت

زكاة الاموال

تحرير جامع لاحكام زكاة الاموال بقلم شيخ الاسلام المالكي ابقاه الله

اصطلح اهل تونس على ان جعلوا يوم عاشوراء هو يوم اخراج زكاة اموالهم والظاهر انهم اعتبروا في ذلك ان المحرم هو مبدأ السنة العربية الاسلامية الهجرية ولعلهم كانوا في هذه الاقطار يبتدئون في المحرم عقد شركات التجارة وتنتهي عنده المحاسبات بين الشركاء وتقويم سلع التجارة ولعلهم في تعيينهم شهرا لاخراج زكاة الاموال تابعون لاصطلاح سابق في صدر الاسلام يشير اليه ما رواه الامام مالك رحمه الله في الموطا في باب الزكاة في الدين ان عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يخطب فيقول هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فليؤد دينه حتى تحصل اموالكم فتؤدون منها الزكاة قال شراحه وذلك في شهر رجب ولم يتكلم شراح الموطا في هذا الاثر بكلام شاف

ووجد الشرط وقع الثلاث قال ابن عابدين لان البائن يلحق البائن اذا كان معلقا قبل وجود المعلق الاول . واما الصورة الثالثة وهي تكرير المعلق فقط كما هو موضوع السؤال فانها كالصورة الثانية يكرر فيها الطلاق بالحنث لتعذر الاخبار ايضا وقد اسلفنا بيان ذلك بما لا مزيد عليه نعم تصح في الصورة الثانية والثالثة نية التوكيد ويصدق ديانه اي فيما بينه وبين ربه تعالى لانه نوى ما يتحمله لفظه فيفتيه المفتي بعدم تكرر الطلاق بعد تحليفه، لاقضاء اي لا يصدقه القاضي ويقضي عليه بتكرر الطلاق لانه لا يعلم منه الا الظاهر والمتبادر من التكرر هو التاسيس اي انشاء الطلاق وفاقا لما قالوه في فروع كثيرة لكن صرح الزيلعي وغيره بان المراة كالقاضي فلا تصدق الرجل في نية التوكيد لانها لا تعلم منه الا الظاهر ايضا وبذلك يتضيق الحال على المفتي في الافتاء بتصديقه وعدم تكرر الطلاق لان المراة في الغالب لا تعلم الحكم المتعلق بها وتعتمد على ما افتى به المفتي ورايت في البحر عن الاوزجندي ان المرأة ترفع الامر الى القاضي فاذا لم تكن لها بينة تحلفه فاذا حلف فالاثم عليه اه وانت خبير بان المرأة اذا اكتفت منه بالحلف لدى القاضي فالمرأة والقاضي قد صدقاه قضاء وذلك مخالف لقولهم لا يصادقانه قضاء على ان تصديقه بعد اليمين وظيفة المفتي ولعل كلام الاوزجندي مبني على ان هناك رواية في تصديقه بعد اليمين ديانه وقضاء لم نقف عليها والأحوط ان يقتصر المفتي في مثل ذلك على الافتاء بما يقضي به القاضي وهو تكرر الطلاق ولا يلتفت لنية التوكيد ان ادعاها الرجل كي لاتغتر المرأة بالفتوى ولئلا ينتقص عدد الطلاق بالنسبة اليها خصوصا اذا بلغ التكرير الغاية والسلام

فمنهم من سكت ومنهم من اجمل وذلك دليل حيرتهم فيه وذكر ابو الوليد الباجي في المنتقى احتمالات في المراد منه كلها مدخولة وكلام الموطا صريح في ان هذا الكلام كان يتكرر من عثمان في هذا الشهر من كل عام لقول الراوي كان يقول ، فقول عثمان فمن كان عليه دين الخ يعين ان يكون مراد عثمان بقوله « زكاتكم » زكاة النقدين وما في معناهما من التجارة والديون فيدلنا ذلك على ان المسلمين كانوا قد جعلوا شهر رجب مبدأ العام التجاري ففيه يعقدون عقود القراضات ويتحاسبون على الديون وهذا من المعروف في كل قطر ان يكون لهم شهر يعتبرونه مبدأ سنة نوع من المعاملات نظير ما عندنا بتونس في اكرية الرباع وفي اكرية الارضين فمن لم يكن ضابطا لمبدأ حول النقدين عنده (ويكثر عدم الضبط في ذلك) يصير الى الحول المعين عند اصحاب المعاملات فيزول الاشكال الذي عرض لشراح الموطا في هذا الاثر ولولا ان اهل تونس في القديم اعتبروا هذا المعنى كما اعتبره الذين خاطبهم الخليفة الثالث لما جاز لاحد تاخير زكاته الى وقت معين اذا كان قد مضى على النصاب عنده عام فان مرور الحول على نصاب زكاة المال المقتنى يختلف باختلاف احوال اجتماع نصب الاموال عند اربابها والامر سهل اذا عسر ضبط مبادي الاعوام بالنسبة لغالب الناس فنجعل يوم عاشوراء هو وقت زكاة النقدين والتجارة : فاما زكاة النقدين فهي في الذهب والفضة المسكوكين وفي قطع الذهب والفضة غير المعدة للباس المأذون فيه شرعا اذا مر عليها حول وهي في ملك صاحبها فاما الذهب فتجب فيه الزكاة اذا بلغ منه مقدار عشرين دينارا شرعيا فصاعدا مضى عليها الحول والدينار الشرعي وزنه اربعة قرامات وعشرون صانتقرام من الذهب الخالص غير المخلوط وحيث كانت السكة الذهبية في ممالك العالم المتمدن مخلوطة على نسبة تسعة اعشار ذهبا وعشر نحاسا فيكون نصاب سكة الذهب اثنين وتسعين قراما واربعين صانتقرام من سكة الذهب المعروفة اعني مقدار اربع عشرة قطعة وخمسي قطعة من قطع اللويز وذلك صرف الف وتسعمائة وخمسين فرنكا فصاعدا بحساب رواج اللويز اليوم في صرفه بسكة الفضة او بكوارط البنك واذا كان الذهب اكثر خلطا بالنحاس كذهب تونس المصوغ المعبر عنه بذوق تسعة يكون النصاب منه ضعف هذا المقدار تقريبا ويخرج المزكي على جملة ما عنده من الذهب ربع العشر اعني اثنين ونصفا في المائة . واما الفضة فنصابها مائتا درهم والدرهم وزنه ثلاثة قرامات من الفضة الخالصة وحيث كانت الفضة المسكوكة في الممالك المتمدنة مخلوطة بنسبة ٨٣ جزءا ونصف في المائة من الفضة وستة عشر جزءا ونصف في المائة من النحاس فنصاب الفضة ستمائة قرام فضة خالصة فاذا زيد عليها ما يعادل ما في الفضة من الخلط يكون نصاب الفضة ٧٠٠ قرام من سكة الفضة وذلك مقدار سبعمائة فرنك فصاعدا من سكة فرنسا

وتونس الفضية الراجحة الآن بالمملكة التونسية وعلى هذا التقدير يجري العمل في بلاد الاسلام بنسبة صرف القرام من الفضة ويخرج المزكي عن ذلك ربع العشر

واعلم ان المرجع في تقدير نصاب الزكاة للدرهم الشرعي وهو الذي يساوي ثلاثة قرامات من الفضة الخالصة وهذا الدرهم هو المسمى بدرهم الكيل وانما سمي بدرهم الكيل لان الخليفة عبد الملك بن مروان رحمه الله جعل الدرهم الشرعي هو وحدة المكاييل قال فقهاؤنا الدرهم الشرعي هو المسمى بدرهم الكيل وهو خمسون حبة وخمسا حبة من مطلق الشعير وسمي درهم الكيل لانه بتكييل عبد الملك بن مروان اي بتحقيقه ولانه تقدر به المكاييل الشرعية من اوقية ورطل وصاع ومد اهـ اما درهم النقد فاصناف شتى في العصور المختلفة من عصور الاسلام كما هو الحال في المكاييل . والدرهم الشرعي هو درهم من دارهم النقد في عصر الدولة الاموية والدولة العباسية والعبرة بالدرهم الشرعي الذي بينته . واما تذاكر البانكة المعبر عنها بالكوارط فانها تعتبر مقاديرها المرسرمة عليها فالنصاب من كوارط بنك فرانسا والجزائر هو مقدار سبعمائة فرنك فأكثر ويخرج عنها ربع العشر اعني اثنين ونصفا في المائة وذلك لان الكوارط هي في الاصل بمنزلة ديون وامانات عند شركات البنوك مع امكان قبض مقدار ما يرسم بها فبذلك كان لها حكم المال الناض على قول ابن القاسم رحمه الله في مثل هذا النوع من الديون حسب تحقيق تحارير المذهب كابن عبد البر وابن رشد وخليل وابن عاشر ثم ان هذه الديون المعبر عنها بكوارط البانكة بلغت بسبب قوة الثقة بالشركات المدينة بها وضمان الحكومات فيها الى ان صار لها من الرواج بين الناس مثل ما للنقدين فكانت جديرة بان تاخذ احكام النقدين اذ الاحكام منوطة بالمعاني لا بالالفاظ

واما زكاة التجارة فالتجارة قسمان ادارة واحتكار اما الادارة فهي غالب انواع التجارة التي يقرر اصحابها ارباحا مناسبة لاقامة تجارتهم بحيث يكثر عندهم البيع وتجديد السلعة فهؤلاء يقومون سلعهم في مبدأ كل عام فاذا بلغت قيمتها حد النصاب باحد النقدين وهو في تونس الفرنك لانه الرائج في التعاقد فيخرجون زكاتها ربع العشر وكذلك ارباحهم الناضة بايديهم او المؤمنة في البنوك يزكونها أذا مضى حول على رأس المال وكذلك الديون التي لهم على الناس اذا كانت في محل ثقة وامانة مع امكان استخلاصها ويطرحون الديون التي عليهم من جملة اموالهم ويزكون ما فضل بعد طرح الديون . واما الاحتكار فهو المعبر عنه في اصطلاح التجار بالتجارة الميتة التي يطلب اصحابها ارباحا عظيمة حيث لا لا يبيعون الا قليلا فهؤلاء لا يزكون الا اذا باعوا السلعة بعد حول فاكثر من اليوم الذي زكوا فيه اثمانها فيكون عام كل واحد من هؤلاء متعددا فلكل سلعة نصاب عامها الخاص بها فيجب عليهم ضبط

ذلك بالتحرير لئلا يؤخروا زكاة كل سلعة باعوها عن وقت وجوب زكاتها . ومصارف الزكاة مجموعة في قوله تعلى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها) وهم الذين يبعثهم الامير لاستخلاص الزكاة وكتابة مقاديرها ونحو ذلك فياخذون اجورهم على خدمتهم من اموال الزكاة (والمؤلفة قلوبهم) وهم الذين دخلوا في الاسلام حديثا (وفي الرقاب) اي عتق العبيد (والغارمين) وهم الذين عليهم ديون في غير معصية او في معصية وثبتت توبتهم منها ولم تكن لهم اموال فاضلة تدفع منها ديونهم ولو كانت لهم عروض تكفي عيالهم (وفي سبيل الله وابن السبيل) وهو الغريب اذا لم يجد مالا في بلد غربته وفي طريق سفره .

واعلم انه يجوز للانسان ان يعطي زكاته الى اقاربه الذين لا تجب عليه نفقتهم ويجوز للمراة ان تعطي زكاة مالها لزوجها الفقير او المدين . ويعطى لكل واحد من مصارفها ما يكفيه لدفع السبب الذي لاجله استحق الزكاة وان زكاة النقدين توزع في البلد الذي فيه المالك والمراد بالبلاد هو الموضع الذي ينضبط بالعرف بانه بلد اذ قد تكون الارضون شاسعة لا سكان فيها وهي تابعة لمدينة او قرية كالهناشير التابعة للبلدان او تكون حولها وعن بعد منها احياء او بيوت فموضع الوجوب ما كان بلدا او قرية او قرى متجاورة او احياء هي اقرب لموضع المزكي . واما نقلة الزكاة الى موضع غير الموضع الذي وجبت فيه ففيه صور . الصورة الاولى ان يكون اهل الموضع اغنياء او يكون المحتاجون فيهم جدا قال مالك يجوز ان تنقل الزكاة الى البلد الذي فيه المساكين وينقل ما فضل عن فقراء البلد الى فقراء البلد الآخر . الصورة الثانية ان يكون في بلد الوجوب فقراء ويكون في بلد آخر مجاعة او حاجة فيجوز نقل الزكاة الى البلد الذي فيه المجاعة حتى يستغني فقراؤه ولا يعطى منها فقراء البلد الذي وجبت فيه الزكاة اذا كان فقرهم لم يبلغ مبلغ الحاجة او المجاعة . الصورة الثالثة ان يفضل من مقدار الزكاة ما هو زائد على حاجة فقراء البلد الذي وجبت فيه الزكاة فهذا ينقل الى فقراء بلد آخر ثم ان المزكي اذا دفع زكاته لفقراء بلد غير البلد الذي وجبت فيه الزكاة في الصورة التي لم يؤذن له فيها بنقل الزكاة اجزأه ذلك ولكنه فعل مكروها وهو قول ابن القاسم رحمه الله . حرره الفقير الى ربه محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي لطف الله به في ٣٠ ذي الحجة وفي ٣ مارس سنة ١٣٥٥ - ١٩٣٧ .



الوعظ والارشاد

احببنا نشر الخطبة المنبرية التي القاها الشيخ محمد الهادي ابن القاضي يوم الجمعة ٢٣ ذي القعدة المنصرم بالجامع الكبير بمدينة باجه بمناسبة الحفل الذي قام به جماعة الشبان المسلمين في تلك المدينة نظرا لمناسبتها للوقت والحال وما اشتملت عليه من الدعوة الى مد يد الاعانة لاخواننا البائسين من الجائعين والعراة

الحمد لله المتفضل بالعفو عمن اناب ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، احمده على السراء والضراء ، واشكره طلبا للمزيد من النعماء وأتوب اليه واستغفره واساله اللطف في القضاء واشهد ان لا الاه الا الله الذي اختص برحمته من يرحمون. واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي عنه تعلم الرحمة الراحمون. صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه الذين اقتفوا اثره فحيوا حياة طيبة . واتبعوا سبيله فعاشوا عيشة راضية. اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم

اما بعد فيايها المسلمون ان المؤمن الصادق من بذل في سبيل الدين نفسه التي بين جنبيه . وفي اعلاء شان امته ماله الذي هو حريص عليه . وعلم ان الرحمة بالخلق عمل صالح ذو درجة ممتازة بين صالحات الاعمال. وتفهم ان القسوة على الخلق عمل منكر يتبرأ منه عقلاء الرجال. فلم يتاخر عن اداء ما توجبه الرحمة عليه للاخوان . وظهرت آثار ذلك للعيان . فان كل شيء لا تترتب عليه آثاره لا يستحق شيئا من الاعتبار .

لكن ويا للاسف هل اتصف بهاته الصفات اليوم المسلمون . ام هل تركوا التباغض والتحاسد وهم الموحدون . ام هل ربطوا قلوبهم على الاخوة الاسلامية . فتعاطفوا وتراحموا كما امرهم بذلك رب البرية .

عباد الله ان رسول الله مثل المؤمنين بالجسد الواحد اذ يقول. ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. فكما ان الجسد اذا مرض منه عضو تالم له الباقي فلم يذق راحة ولا نوما . وسرت اليه فآلمته الحمى . كذلك المؤمنون حقا اذا ناب واحدا منهم نائبة شعر بألمها الباقون فسعوا بما في طوقهم لاعانته وتخفيف ألمه وهم على ذلك حريصون . وانتم ايها الاخوان . ايجدر بكم ان لا تكونوا من الذين وصفهم رسول الرحمان

ايحسن بكم ان لا تلبوا داعي الله وتطعموا الجيعان . تسابقوا عباد الله لاغاثة المحتاجين فرجوا كربهم خففوا آلامهم واسوا فقيرهم والمسكين . ارشدوا حائرهم وانصروا عادم الناصرين أعينوهم على ما استصعب عليم . ارحموهم ما استطعتم فبقدر رحمتكم بالخلق يرحمكم ارحم الراحمين . عباد الله ان هذا العام اشتدت وطأته على فقراء المسلمين . وظهرا احتياج ما يعد بالآلاف من المحاويج الجائعين . فراشهم الارض وسقفهم السماء . يسترون عوراتهم بورق الشجر وباقي الجسد في عراء . يستغيثون ولا من مغيث يتطلبون رغيفا من الخبز فلا يجدون من به يغيث بكت الصغار فسقت الارض كما سقاها السحاب . وعجز الاباء والامهات عن الصبر كما عجزوا عن الاكتساب . ايا امة الاسلام يا اهل الشهامة المحمدية ايا اهل الغيرة الانسانية . اخواننا تفتت اكبادهم الحوادث . ونحن لا نبالي بما اصابهم من الكوارث . نمرح في اثواب الزينة بين الانام . واخواننا عجزوا من ألم الجوع عن القيام . ننتقي المآكل وأطيب الغلال . واخواننا لم يجدوا ما يسدون به رمق العيال . نتدثر ونحكم غلق الابواب خوفا من الريح . وصغار اخواننا من ألم البرد على اديم الارض تصيح .

فهبوا يا عباد الله الى الصدقة ان الصدقة تطفىء غضب الرحمان فيعفو ويرحم . وتدفع البلاء عن العبد وهو لا يعلم . فارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وهو الرحمان الرحيم

اخرج البخاري ومسلم من طريق ابي هريرة رضي الله عنه عن النبيء صلى الله عليه وسلم انه قال من لا يرحم لا يرحم . وفي صحيحه من طريق ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني (اي الاسير) وفي صحيحه عن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة

جعلني الله وإياكم من الراحمين المرحومين ووفقني واياكم لنصرة المؤمنين واجارني واياكم من سخطه على الطاغين . الا ان انفع ما به توعظون . وابلغ حديث وعاه السامعون . كلام من يقول للشيء كن فيكون . « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » اهـ

تنبيـه

ترد على المجلة اسئلة كثيرة قد يتأخر نشر الاجابة عنها بسبب كثرة مواد المجلة ونغفل منها ما كان غير ممضى

الدعـوة الى الاصـلاح

التجـديـد

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظـة
« الحسنة وجـادلهم بالتي هي احسن »

اراء المجـددين في الاحكام الشرعية ومقايسة بين بعض نظريـات في القانون الشرعي والقانون الوضعـي

رمنا في مقالنا السابق الكشف عن شيء من النزعات التي تلابس بعض النفوس ولربما تكون عقبة في سبيل المرشد تطيل عليه مراحله التي عزم على قطعها مرحلة تلو اخرى وتظهر له كظاهرة جديدة اذا هي لم تكن في حسبانه فيدعوه واجبه الاصلاحي ان يعدها بعد من مشمولات مراحله وليس هـذا من صنيع الحذاق والخطر كل الخطر اذا لم يهتم بها وباهلها ويتركهم يعبثون في الارض فسادا حتى اذا تمكنت نزعاتهم من النفوس وجد المصلح نفسه امام امر مقضي ولا تنفعه التاوهـات ويتجشم المخاطر اذا حاول اقناعها وتصوير المفاسد التي تترتب على ما هم سائرون نحوه . وكان الامر عليه هينا لو تبصر سوء العاقبة عند ما تعترضه تلك العقبة في بدء نشوئها سيما ودعات التجديد يلبسون على العموم وبعض الخواص ويتخذون من حججهم سلاحا يواجهون به كل من لا يقارعهـم بالحجة والبرهان اذ بمجرد الدعاوي التي لم يقم عليها اصحابهـا البراهين والرمي بالمروق والضـلال لا تجدي فتيـلا فعلى هـذا النحو في المجادلـة نعمد الى دعوى المجـددين ونسبرها ونحـذر الكافة من الاصغاء اليها بعد اقامة الحجة على بطلانها . نعلم كثرة خـوضهم في الاحكام الشرعيـة وهم في ذلك على صنفين . متطرف ومعتدل امـا المتطرفون فنسمعهم بين آونة واخرى يطعنون في احكام الشريعة ويخطئون المجتهدين في استنباطاتهم محكمين عقولهم بحجة ان لنا عقولا كما لهم عقول نقدر بها ان نفهم كتاب الله وسنة رسوله كما يقدرون . فيتأولون النصوص بما تمليه عليهم شهواتهم وكل من رام محاجتهم يغالطونه بان نصوص الشريعة تـؤول على حسب تطورات العصـور وينبغي ان نراعي في ذلك احوال الامم في حياتها العامة ولا تتقيد بافهام المجتهدين ومداركهم العلمية التي خولت لهم ان يتمسكوا بظواهر النصوص من غير تاويل وتبعهم في اقوالهم من جاء بعدهم من الفقهاء . وهنا نسأل هذا الفريق عن مبلغه من العلم حتى يصح لنا ان ناخذ اقوالهم في التاويل وما هي قيمة ادراكاتهم التي

وصلوا اليها بعقول ليس لها من المدارك ما يؤهلها للتفقه في آي الاحكام وعلى اي قاعدة يكون الحكم بصحة ما أولوا به النصوص دون ما فهمه اولئك المجتهدون منها. واذا كان ذلك منطقهم الذي يحاجون به فلماذا يشنون الغارة على كل من ينكر على احد الفلاسفة بعض نظرياته واذا قال مثل مقالتهم (لنا عقول وللفلاسفة عقول) يرمونه بالخطل في الراي وانه لم يبلغ به علمه الى حد تخطئة من مارس علم الفلسفة حتى صار من المبرزين فيه واذا هو لم يرجع الى الجادة اعتبروا كلامه نوعا من الهذيان. وهنا ناخذك بلازم قولك يا من تغار على نظريات الفلاسفة فيما لا يترتب عليه كبير خطر بالنسبة الى الانظار الاجتهادية في تفهم نصوص الشريعة. وما ينجر من اخطار في تسويغهم تفهمها لغير اصحاب المدارك التي لم يحصلوا عليها الا بعد ممارستهم لها واين مبلغك من العلم بالنسبة الى اولئك الذين علموا مقيد النصوص من مطلقها وعامها من خاصها ومنسوخها من محكمها وضبطوا صحيح السنة وتراجم رجال الحديث وخبروا طرق الاقيسة وعللها صحيحها من فاسدها من قبل. اليس من الحكمة ان لا يتكلم الانسان في علم اذا لم يكن من اهله ولا ينتقد على صانع في صناعته اذا لم يكن من اربابها والا لاصبح المهندس خبيرا في علم الطب والحداد معلما للسفار وهكذا وكان هذا مدعاة للفوضى التي لا يقرها كل من له مسكة من عقل

هذا ما نذكره في دحض مزاعم الفريق الاول من المجددين وهم المتطرفون اما الفريق الثاني وهم اهل الاعتدال كما يصفون انفسهم فهؤلاء يتحرون في طرق الطعن وينسبون التقصير الى العلماء المتاخرين في عدم مجاراتهم للظروف واعتبار الاحوال التي تعرض للبشر في هاته العصور المتأخرة فيقولون ان الفقهاء قد عكفوا على نصوص من سبقهم وهي وان صلحت لعصر من عصور الاسلام فكيف يصح لنا ان نسير على مقتضاها والناس اليوم يتعاملون مع امم لها نظم وضعية ولنا مصالح تدعون لمسايرتها. ويذكرون من انواع التشريع التي غايرت فيه نصوص شريعتنا نظرية مشرعيهم امورا نتعرض الآن الى نوع منها وهو المعاملات مع المصارف (البنوك) بفائض نسبي فنسمعهم يقولون ان فقهاءنا شددوا النكير على كل من رام هاته المعاملة حتى بقيت الامة على نحو ما نشاهد من قلة المال الذي لوراج بين الناس لاحدث نموا في الإقتصاد العام. ويعتبر الواحد منهم ان هذا التشريع لم يبق مسايرا لمدنية هذا العصر وهو من الاسباب الرئيسية التي تترك الامة الاسلامية لا يتسنى لها ان تتعامل مع أية دولة من دول العالم ما دام هذا التشريع وما دام العلماء لم يفسحوا لانفسهم المجال ويتفقهوا في فهم الكتاب المجيد ويستنبطوا مباشرة ما يلائم مصالح المسلمين مع بعضهم ومع غيرهم من امم الارض ويتأولوا ظواهر النصوص على نحو ما تقتضيه روح العصر. ونحن نبحث مع هذا الفريق في دعواه

هاته مبينين له ان الاحكام الشرعية منها ما هو ثابت بالنص الصريح الذي لا مجال للمجتهد في استنباط غير الحكم الذي دل عليه هذا النص ولذلك تجد الفقهاء لا تختلف اقوالهم في الحكم الذي من هذا القبيل ومن ذلك ما ذكر من المعاملات مع المصارف التي هي من المعاملات الربوية التي نص الشارع على حكمها ولا تجد بين المجتهدين خلافا في القول بالتحريم المستند على نص صريح يعتبر الاقدام على تاويله تهجما على نصوص الشريعة وتبديلا بالتشهي وفي ذلك من الزيغ ما لا يخفى

انظر ايها المجدد الى صريح حكم الربا في قوله تعالى : (الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يآيها الذين آمنوا أتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) ، ترى ان هاته الآيات صريحة في حكم المعاملات الربوية الذي هو الحرمة وهي من آخر ما نزل من القرآن فلم يكن هذا الحكم خاصا بوقت دون وقت وقد افصحت السنة عن بيان المراد من الربا المحرم في الآية قال عليه الصلاة والسلم (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد ، فمن زاد او استزاد فقد اربى ، الآخذ والمعطى فيه سواء ، فقوله مثلا بمثل يدا بيد بيان للصور المباحة وعلم منه ان الاقتراض بالزيادة كيفما كانت نسبتها من المال المقترض لا تحل ولا يطيب اخذها كما لا يطيب اعطاؤها ولا أبين في هذا المقام من قوله عليه السلام : فمن زاد او استزاد فقد اربى . من غير فرق بين الزيادة مع نقد الثمن والزيادة مع النساء وتأخير الدفع ، كل هذا يوضح لنا أن الآية كالحديث يفيدان حرمة المعاملات الربوية على اختلاف انواعها بدون فرق بين الزيادة الفاحشة واليسيرة وبه قال الصحابة الاعلام فكيف يسوغ بعد هذا ان يقف المجتهد متأولا ويستنبط لنا حكما يخالف الحكم الوارد بالكتاب والسنة والاجماع ونسيغ لانفسنا تخطئته لعدم تجويزه هذا التعامل ونتطلب من العلماء ان ينظروا الى نصوص الشريعة بحسب ما يوافق الاهواء واما دعوى ان هاته المعاملات صارت ضرورية لكل امة تريد ان تضرب بسهم في مدنية العصر الحاضر ولا تتمكن امة من جلب الاموال من الخارج الا اذا أباحت لنفسها المعاملات مع المصارف ، فنقول في دفع هاته الشبهة ان الشرع الاسلامي لم يكن حجر عثرة في سبيل حياة الامم وتقدمها وراعى في كل اصناف التشريع ما هو

الاصلح بالبشر وان قصر ادراك حكمها على بعض الاذهان او تخيل اليها انها شرعت لبعض الازمان وليس الامر على نحو ما يظن ونحن اذا تفهمنا واعدنا النظر في مدلولات الشريعة تجلى لنا وما على الصبح قناع ان هذا التشريع اقيم على أساس متين فنظر الى هاته المعاملة نظر الصواب ولم يراع جانب رب راس المال فقط وهم اصحاب المصارف والمساهمون فيها في موضوعنا من غير التفات الى المستقرض كما هو الحال في جانب التشريع الوضعي المشار اليه بل راعى جانب المستقرض ايضا فمنع المعاملات الربوية بجميع اصنافها

وحرصا على مصالح الناس حيث ان طبقاتهم ليست على نسبة واحدة فمنهم ذو المال العاجز عن التكسب به ومنهم القادر على التكسب الفاقد للمال شرع لهم القراض الذي روعي فيه جانب المتمولين من جهة ومصلحة العمال من جهة اخرى على ان يكون ربح الملي موقوفا على ربح من يعمل فيه وهو الآخذ للمال مضاربة من غير تغريمه بشيء من الخسارة اذا لم تكن له يد فيما تلف ولا هو يطالبه بفائض في مقابلة ماله وتكون الارباح بينهما على قدر مشاع يتفقان عليه حسما للنزاع . فانت ترى ان هذا النوع من التشريع جاء مطابقا لقواعد العمران واعتبر الاجادة في الاعمال وحصول النفع لا مظنته من غير تعلق بالاماني الكاذبة والآمال الضعيفة وبتحصيل المرافق وتيسير المنافع يستحق اصحابها ان ياخذوا في مقابلتها ما ينتفع به ويطيب لهم حينئذ اكتسابه .

فقانون الارتزاق الشرعي يفي بالغرض المقصود من استعمال الاموال المعطلة واستغلالها لكن بوجه يضمن المصالح ويعم نفعه الطبقتين المتمولة والعاملة . ولا علينا في الاموال الاجنبية التي لا يدخلها اصحابها في اقتصاد البلاد الا اذا كان الربح محققا لهم لان خطرها لا يخفى على لبيب . ونحن لا نعدم امثالها اذا أقمنا حركتنا الاقتصادية على الشركات وهنا نلاحظ للمجددين خاصة ولا متنا عامة . ان النمو المتواصل في الحركة الاقتصادية عند غيرنا من امم العالم لم يكن مقاما على مال المصارف فقط بل هو مقام على التضامن المالي الذي تتمتع به الشركات والثقة المتبادلة بين المساهمين فيها والامانة التي ارتكزت في نفوس المسيرين لدواليبها اللهم الا ما قل وهو لا ينقض به حتى انك لا تكاد تجد نوعا من انواع الاقتصاد الا وتحف به الشركات من جميع وجوهه فخير لمن يرغب في ادخال امثال ذلك النوع من التشريع في الممالك الاسلامية ويزدري بالنصوص والقائمين عليها ان يتبصر في العواقب ويبحث عن اسباب انتعاش اوجه الاقتصاد في الممالك الاروبية وغيرها في عصورها الاولى والحاضرة ليتجلى له صدق ما قلنا ويسعى بين افراد امته في بث روح التعاون والصدق والامانة التي عليها قوام الشركات . وما احجم الناس عن تكوين الشركات الا من اجل فقدان هاته الصفات او ضعفها والمشاهدة اقوى

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

هل لتونس نواب سياسيون يمثلونها بالخارج

قبل عصر الحمايــة

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد ابن الخوجة
المستشــار لــدى الحكومــة التونسية

اعلم ان النواب الذين يمثلون دولهم بالخارج هم القناصل في عرف اهل السياسة والقناصل جمع قنصل ومعنى هذا اللفظ نلخصه لك مما جاء بحرف القاف في كتابنا « حيش الدخيل » وفي اللسان التونسي الاصيل « واليك ذلك: لفظ قنصل استعارته اللغة الفرنسوية من امها اللاطينية ونظامه في اصله يتصل باوائل التاريخ المسيحي بل كان موجودا قبله عند الرومان وهم الذين ابتكروه ووظيفة القنصل عندهم اذ ذاك هي الحكم المطلق وتعيينه يكون بطريقة الانتخاب مع رفيق له بمثل لقبه ليباشرا الشئون العامة مـدة عام ويكون لهما من السلطة ما للملوك المتوفين ومن هذا النظـام اقتبس الفرنسويون في آواخر القرن الثـامن عشر لقب قنصل لنابليون بونـابرت قبل استبداده بالحكم فيهم امـا القنصل بالصفة السياسية المعروفة لعهدنا الحاضر فان خطته تكونت بايطاليا حوالي القرن الثـاني عشر

دليل ولسنا في مقام تعداد الشركات التي تاسست في هاتها البلاد وغيرها وما طرأ عليها بعد حتى اسقطها قبل ان تنتج .

ومراعـاة التشريع الاسلامي للطبقتين المتمولة والعاملة هو اضمن للمصـالح العامة لو تبصره المتبصرون وعلى عكس ذلك كان النظـام الذي يرغبـون فيه فهذا قد فرض على المستقرض ان يدفع جانبا من المال للمقترض منه فياخذه هـذا لا في مقابلة شيء ظلما منه وجورا وبه تستمر ارباح طبقة الماليـين مضمونة وثرواتهم في نمو وعلى عكس ذلك المستقرضون الذين وان يحصل لهم ربح مرة تفنه الخسارة اخرى ولربما لا يجد الواحد منهم ما يسدد به طلبات مقرضه المالي فيعيش حياته كلها مدينا له . وما اسباب الازمة التي شملت الفلاحين والتجار وارباب الصنائع وغيرهم الا تلك الفوائض التي تزداد كل ساعة ولم يجد المستقرضون للخلاص منها سبيلا فبيعت عليهم مكاسبهم بابخس الاثمان وهم ينظرون ولا حول لهم ولا قوة .

محمد الشاذلي بن القاضي

للميلاد ونحن اليوم في القرن العشرين وايطاليا هي اول دولة اقامت قناصل لها بالبلاد الشرقية ثم انتشر استعمال هذه الخطة شيئا فشيئا بين بقية الدول فكان لفرنسا قناصل بالخارج في عهد الملك لويز التاسع يعني سان لويز الذي غزا تونس على عهد المستنصر الحفصي وهذه الغزوة هي آخرة الحروب الصليبية وهي الثالثة في العدد. والرتب القنصلية درجات في اعلاها القنصل جنرال يتلوه القنصل فالقنصل النائب فالنصف قنصل وتلتحق بها خطة مترجم القنصلية وخطة الكنشلير وللقنصل حق التمتع بما يسمونه « العصمة » في الاصطلاح السياسي (Immunité diplomatique) يعني لا يجوز بحال مسه بسوء وهو ملتبس بخطة القنصلية لان اهانته يعدونها اهانة لمجموع الامة الممثل لها بالبلاد المنتصب بها ولولا اعتداء حسين داي صاحب الجزائر على قنصل فرنسا عند حضوره لديه للتهنئة بيوم العيد وضربه اياه بمنشة الذباب التي كانت بيده لما جاءت فرنسا بخيلها ورجلها لغزو عمالة الجزائر والاستيلاء عليها باجمعها من قاف الى قاف ولكن التاريخ حفظ ايضا اعتداء كهذا في عهد مولاي الحسن سلطان المغرب اوائل هذا القرن الهجري حيث اوفد بعثة رسمية لاسبانيا فتقدم الماريشال كمبوس احد عظماء اسبانيا نحو المبعوث السلطاني في موكبه وصفعه بكف يده على وجهه ولقد اهتز العالم المتمدن يومئذ لهذا الحادث الشنيع المخل بشرف الامة الاسبانية ولكن النازلة انتهت بمجرد اعتذار من دولة اسبانيا للدولة المغربية وان شئت قلت تمت القضية بتغلب القوي على الضعيف عملا بالقاعدة البسماركية من ان (القوة تغلب الحق) والليالي حبالى يلدن كل عجيبة . واعلم ان القنصل لا تتم ولايته الا بعد اعلام الدولة المعين للنيابة لديها وموافقتها على ذلك ولا يجوز بحال ارغام الغير على قبول قنصل لديه بدون رضاه وقد اتفق ان دولة النمسا كانت بعثت لتونس قنصلا على عهد المشير احمد باي الاول قبل التفاهم معه في شانه فرفض الباي قبوله ورجع من حيث اتى. ووظيفة القنصل هي المناضلة عن مصالح امته وبني جلدته القارين بالبلاد المقيم بها ولا سيما الوقوف على حركة التجارة بها ليسهل لامته الاستفادة من ذلك بالاخذ والعطاء ومن اشهر قناصل اوربا بتونس في النصف الثاني من القرن الهجري الماضي قنصل فرنسا المستعرب ليون روش وكان يعرف باسم الحاج بين التونسيين لانه حج واعتكف وطاف بالبيت العتيق وهو رجل سياسي حنكته التجارب والاختلاط ببني الاسلام في الشرق والغرب وصفه المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف وكان من معاصريه بقوله « ركض في كل ميدان وهب مع كل ريح » ومنهم ايضا معاصره المستشرق وود قنصل انكلتيرة ويعرف في تونس باسم هود وقد كانت له علاقة وداد مع بعض مشيخة العلم بجامع الزيتونة كما يستفاد ذلك من رسالة له حررها بالقلم العربي لا تخلو عنها مكتبات بعض بيوت العلم بتونس ومنهم القنصل ماتشو ممثل دولة ايطاليا بالحاضرة في عهد انتصاب الحماية وكان

دائما ابدا على نقيض مع زميله القنصل تيودور رسطان نائب الدولة الجمهورية الفرنساوية تعارفا اولا بالشام ثم التحقا بعضهما في تونس واجتهدا في المنافسة السياسية وكانت الغلبة بالآخرة لممثل فرنسا وعلى يده تمت عقدة الحماية في ٢٨ جمادى الاخرة ١٢٩٨م(١٢ ماي ١٨٨١) وكان يوم خميس وفي غده رقته دولته لمنصب وزير مقيم بتونس وفقا لنص معاهدة الحماية فيكون هو آخر قنصل فرنساوي بقنصلات فرنسا بتونس قبل تحويلها لسفارة واول قنصل لفرنسا بها هو القبطان لويز درياس من اعيان مرسيليا تولاها في سنة ١٥٧٧ وفيما بين ذلك اسندت الخطة القنصلية الفرنساوية بتونس لثمانين رجلا بين قنصل ونائب قنصل ونصف قنصل

وفي الوقت الحاضر يوجد بتونس خمسة وعشرون قنصلا اجنبيا معترف بهم كلهم من لندن الوزارة الخارجية بفرنسا وهم : ١ ـ فعن اروبا قنصل انكلتيره وقنصل ايطاليا وقنصل المانيا وقنصل البلجيك وقنصل اسبانيا وقنصل السويد وقنصل النرويج وقنصل هولانده وقنصل اليونان وقنصل تشكوسلفاكيا وقنصل البرتغال وقنصل يغوسلافيا وقنصل فلانده وقنصل مونوكو وقنصل بولـونيا وقنصل رومانيا وقنصل النمسا وقنصل سويسره وهذا مركزه بالجزائر : ٢ ـ وعن امريـكا قنصل الدول المتحدة وقنصل هايتي وقنصل البرازيل وقنصل شيلي وقنصل ارجنتين وعاصمتها بونس ايرس حيث مركز السفير مسيو بيرطون المقيم العام السابق بتونس ٣ ـ وعن آسيا قنصـل الجابون وهـو حبيبنا المستعرب برات المراقب المدني كان بتونس ٤ ـ وعن افريقيـا قنصل مصر ومركزه بمرسيليا واسمه حسن زكي افندي وهو الممثل لدولته بالثغر المذكور ونظره شامل في ءان واحد للمصـالح المصرية بجهة مرسيليا وبالمملكة التونسية . وكل هؤلاء القناصل لا علاقة لهم بالدولة التـونسية الا من طريق فخامة المقيم العام الجامع في شخصه بين خطته الفرنساوية وبين خطة الوزارة الخارجية التونسية اما المملكة التونسية فليس لها نواب يمثلونها بالذات لدى هاتيك الدول لان رعاياها ومصالحها بالخارج في كفالة الدولة الفرنساوية طبقا لنص صك الحماية على انهـا اي تونس لم يمكن لها نواب او قنـاصل باروبا قبل عهد الحماية فان صبغتها الدولية في عهد استقلالها النوعي لم تبلغ بها لدرجة الاستنابة السياسية في المجتمع الاروباوي ضرورة أنها في حال تابعيتها للباب العـالي مدى القـرن الحادى عشـر للهجرة كانت مكتنفة بالسيادة العثمانية التي لها حق ايفاد السفراء والقناصل لتمثيل كافة الممالك العثمـانية وفي ضمنها الايالة التونسية وبالتالي استمر الحال بمثله رغما عن تدرجها في مدارج الاستقلال الداخلي والخارجي كاتخاذ راية خصوصية غير الراية العثمانية في عهد حسين بن محمود باي وكسفر المشير احمد باي الاول لباريس وزيارته لحبيبه لويز فيليب ملك الفرنساويين بدون وساطة السفير العثمـاني

وكضرب السكة باسم الباي في عهد خلفه المشير الثاني وكعقد المعاهدات العمومية مع الدول بدون مراجعة الباب العالي الى غير ذلك من دلائل الاستقلال مما يطول ذكره والتوسع في هذا الموضوع يجرنا للكلام عما اصطلحت عليه بعض دول اروبا من نحو ثلاثة قرون من ان تونس ليس لها انفاذ رسول للخارج بلقب سفير وانما لها الحق بتوجيه رسل بعنوان مبعوثين عندما تدعوها الحاجة لذلك تنتهي ماموريتهم بانتهاء النازلة او النوازل الموفدين من اجلها حيث ان خطة المبعوث في نظر اهل السياسة غير خطة السفير لان المبعوث خطته في الغالب موقتة كما سبقت الاشارة لذلك وخطة السفير سياسية قارة وهذا الاصطلاح من قبيل الافهام الدقيقة واين هو من فهم شاعر تونس الشيخ محمود قابادو حيث يقول :

وامضى وزير البحر لله دره سفيرا الاسلانبول يستحكم الربطا

فلفظ سفير في هذا البيت وان كان صحيحا بالوجه اللغوي لا يؤدي في عرف اهل السياسة غير معنى مبعوث فحسب على ان كتاب العربية وشعراء الدور القديم بتونس كانوا اكثر تشبثا ببلاغة التركيب ورقة الشعر منه بكنه الشيء المتحدث عنه على عكس اهل النظم والنثر في هذا الزمان الذي كثر فيه احتكاك الافكار ونقدها وانت تعلم ان الحقيقة بنت النقد

بعد هذه المقدمة نقول ان المملكة التونسية لم يكن لها كما رايت نواب رسميون قارون بالبلاد الاروباوية ولكنها كانت كما لم تزل توجه المبعوثين بالماموريات الهامة لمختلف البلدان باروبا وغيرها من الاقطار ولقد تكلفنا لضبط عدد المبعوثين التونسيين الذين اوفدتهم تونس لفرنسا في عهد العصر الحسيني ابتداء من دولة المولى حسين بن علي تركي الى انتهاء دولة المشير محمد الصادق باي فكانوا اثنين وخمسين مبعوثا بين امراء ووزراء وكبراء في الدولة منهم المشير احمد باي الاول والمشير محمد الصادق باي (للجزائر) والامير الامين باي والامير المامون باي والامير الطيب باي (للجزائر) ومن الوزراء يوسف خوجه صاحب الطابع ومحمد خوجه ومصطفى خزندار وخير الدين ومصطفى آغه ومصطفى بن اسماعيل وحسين (للجزائر) ومن الكبراء في الدولة محمود كاهية ومحمد بن عياد وجوزايين رافو وابنه فليكس ومحمود عزيز وامير الامراء رشيد المملوك (للجزائر) وحسونه متالي وحسن المقرون وغيرهم وزيادة على ذلك فقد كان للمملكة التونسية وكلاء بالخارج ولكنهم غير معترف بهم رسميا من لدن حكومات العواصم المستقرين بها بيد انه كان لهم الاذن من سمو الباي في احاطته علما بماجريات الاحوال التي تهم بلاده فكان لتونس في عهد الدولة الصادقية وكيل بباريس وهو البارون جول دي لسابس واليه ينسب الشارع الجديد المحدث بحي البلفيدير الاعلى وهو اخو فرديناند دي لسابس

مبتكر قنال السويس بمصر. كما كان لها وكيل بقسنطينة وعنابة وهو يوسف الايقرو عامل الاعراض وامير الامراء فيما بعد ووكلاء بايطاليا في مـدن نابلي وفرينسة والقرنه وكلياري وبليرم وطرابنـية ووكيل بمالطة من ابناء هذه الجزيرة وقفت له على مكتوب من انشائه بالقلم العربي خاطب به الوزير مصطفى بن اسماعيل عبارته تضحك الثكلى ووكيل بجبل طارق وكان يهوديا ووكيل بالمونكو ولعمري ما هي المصالح التونسية التي استوجبت اذ ذاك اقامة وكيل بتلك الناحية التي هي عبارة عن دار للمقامرة فحسب ووكيل باشبونه ووكيل باصطخولم كذلك كان لتونس في العصر المذكور عدة وكلاء بـالبلاد الشرقية فبالمدينة المنورة كان وكيلها الشيخ حمزة ظـافر من اقـارب الشيخ محمد ظافر المشهـور معتقد السلطان عبد الحميد خان وبالاستانة عمر ارواي اصيل جزيرة جربة وبالقاهرة سعيد الشماخي الجربي ايضا وبالاسكندرية الحاج علي القيزاني ثم صالح بن دحمان وبطرابلس الغرب الحاج قاسم البقار وبنغاري الحاج احمد المهداوي وفي صدر الدولة العلوية سمي عبد الرحمن برهـان الزمزمي وكيلا للتوانسة (لا لتونس بمكة المشرقة وماتت هذه الخطة بموت صاحبها واتفق انه نقـل عنـه للشريف عون الرفيق امير مكة المكرمة اتخاذه للقب قنصل تونس فلما حضر لديه في مـوسم الحج وتقـدم لتقبيل راحته دفعه بجمع يده انكارا لما بلغه عنه . هكذا سمعت من بعض ثقاة الحجاج ممن حضر وقفة ذلك الموسم والعهدة عليه واعلم ان جميع اولئك الوكلاء من اروباويين ومسلمين انتهت ماموريتهم يوم انتصاب الحماية وكان من اشهرهم واوفرهم اخلاصا للملكة التونسية البـارون جول ده لسـابس وكيلها بباريس والمرحوم عمر ارواي وكيلها بالاستانة وهذا كان ابوه وكيلا لها من قبله والتحق عمر ارواي بالوزير خير الدين باشا اثناء اقامته بالاستانة وكان يعرفه من قبل ويعتمده في المهمات ناهيك انه جعله احد اوصيائه على بنيه من بعده ومات عمر ارواي عن تسعين سنه في عام ١٣٣٥ ومن احـبابه بتونس المرحوم العربي بسيس وعنه اخذنا هذه الافادات في حقه مع كثير غيرها مما لا محل لذكره بهذه النبذة .

ونختم هذا الباب بحديث غريب لم يتقدم نشره باللغة العربية بتونس وصورته ملخصا عما جاء في بعض اجزاء مجلة المشيخة القرطاجنية ان الوزير مصطفى خزندار اقام في سنة ١٢٧٧ وكيلا لسمو الباي بمدينة جنوة من اعمال ايطاليا وهو الكونت فاندوني واعطاه لقب قنصل جنرال فلم تعترف به الحكومة الطليانية ولكنه لم يعبـا برفضها وتمادى على احداثه المشاكل بين تـونس وايطاليا وكتب في الجرائد فصولا اثارت الخواطر بلندرة والاستانة كان يمضي عليها باسمه مذيلا بلقب « قنصل جنرال صاحب الجلالة باشا باي تونس » واستدراموالا طائلة من الوزارة التونسية في مقابلة مايكتبه من الفصول

ولك ان تقول الفضول ثم تدرج في تهافته ومساعيه بايهام الوزير المذكور انه سيحصل له على العضوية باحد المجامع العلمية بفضل ما ينشره في حقه من الاطراء والثناء بالجرائد الاروباوية ويستزيد من استدرار الاموال مع الحصول على رتبة الكمندور في نيشان الافتخار وفيما بين ذلك يختلق النوازل ويكاتب الوزير بما لا وجود له ويستاذنه في القيام بالماموريات التي يهيىء اسبابها ويتهافت بين البلدان فبينما يكون بجنوة يكاتبه بانه على سفر لسويسرة ثم يعلمه بانه انتقل لباريس ومنها الى لندرة لمصالح دولة جلالة الباشا باي » ثم يغرب عليه بالاخبار والحوادث المختلفة يستدر منه المال وبالآخر اضطرت الحكومة الطليانية للتحجير عليه بالاقامة في بلادها فانتقل بقنصليته لمدينة لندرة وطلب من الوزير ٦٧٠٠٠ فرنكا عن مصاريف انتصابه في السنة الاولى وكان يحيل سندات مطالبه المالية على البنوك فعجزت الخزينة التونسية عن دفعها ومن ذلك مبلغ قدره ١٦٨١٣٨ فرنك دفعه له الوزير بسرايته بقرطجنه بتذاكر مالية تونسية بعنوان تصفية حساباته معه وانتهاء ماموريته فقبض المال وسخر من البقية واستمر على تقلباته واعماله باروبا ساعيا لعقد قروض باسم الدولة التونسية وتعرف ببعض قرابة الوزير بتونس وغيرهم منهم الصحافي علي فارس الشدياق وهذا الرجل الذي عرفناه بالذات في ءاخر عمره كان يمثل الفطنة الشرقية باكمل معانيها وكان ملحقا بقسم المترجين بالوزارة الخارجية بحلق الوادي وبهذا الثغر اقام ابوه من قبله اثر اعتناقه للاسلام في سنة ١٢٦٤ وكان اسلامه على يد الشيخ الجد قدس سره والواسطة في ذلك الوزير حسين مستشار المعارف ولكن الخطة التي نيطت بعهدته كانت دون مواهبه واطماعه فكتب في ذلك قصيدته التي يقول في مطلعها :

ماذا جنيت وما جنت اجدادي حتى غدا حبسي بحلق الوادي

ويلوح ان مقامه بحلق الوادي لم يهنأ له فيه عيش فقد قال في ذلك ايضا :

مجاورة اليهود غدت نصيبي بحلق الوادي والسكنى اضطرار
وقالوا هل ترى فينا خيارا فقلت خياركم فيه الخيار

وكان من حظه الارتحال عن تونس ومن حظ ابنه الترجمة بالوزارة الخارجية ثم الالتحاق بابيه بعد تأسيسه لجريدة الجوائب في عام ١٢٧٧ اما الكونت فاندوني موضوع الحديث فانه لما اعيت مذاهبه وتحقق غلق الابواب الخزندارية دونه فقد قام بقضية على الدولة التونسية طالبا من خزينتها بقية اجوره في مقابلة خدماته ... الجليلة التي اجهدته في سبيل مصالح البلاد التونسية باروبا وكانت تلك البقية مقدرة في حسابه بثلاثة ملايين ولاذ بحكومة بلاده فتدخلت الدولة الطليانية في النازلة وركن الشقان لتشكيل لجنة من بعض حكام محكمة النقض والابرام بروما لتصفية مطالب فاندوني فحكمت هذه

الادب

ننشر تحت هذا القسم نص الفرائد الثلاث التي القيت يوم الحفل العظيم الذي اقامته (الجمعية الزيتونية) في الشهر المنصرم لتسجيل تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة ونشر فضائله

بقلم امير شعراء الخضراء السيد الشاذلي خزندار

الفريدة الاولى

الا لبيك يا ثاني القرون حديثك والحديث لذو شجون
تمثل بيننا الماضي فكدنا نشاهد ما تقصه بالعيون
هنا الحبحاب عبد الله خطت يداه البيت تخطيط الحصون
تذكرنا المعاهد من بناها فتدعونا لمعرفة اليقين
هنا الزيتونة الهادي سناها بنور الله لا نور الغصون
فلا شرقية بلغت علاها ولا غربية في اي حين
لها في نسبة البيت افتخار تابد بالشروح وبالمتون
فبات المعهد العلمي بحرا يفيض عليك بالدر الثمين
اذا استمطرت راحا من ذويه جرت كالسيل من ماء معين
تسلسلت الفحول به هداة تمشت بين سهله والحزون
تصفح دفتر الملوين تصفح عن الكشاف للسر المصون
فلولا الدهر حركنا لاودت بنا الاحلام في ذاك السكون



اللجنة برفض اكثر تلك المطالب وبقبول البقية منها مرتبه عن خمس سنوات واشترطوا على ان يكون الدفع نقدا ذهبا برومة . فهذه القصة الغريبة ليست هي بالاولى في بابها وضروب النصب والاحتيال كانت كثيرة في الزمن الماضي والماضي وصفه الشاعر الحكيم بقوله :

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي انت فيها

محمد بن الخوجه

الفريدة الثانية

لمدير المجلة

كفى العلم ان اعيى اللسانين حمده ... وناء بفرسان البرية حده
وليست يد الانسان مهما تطاولت ... ببالغة من امره ما توده
فحظ الورى من صيب العلم قطرة ... وسلواهم من طيفه اللدن وعده
يزيد جلال العلم ما ازداد منعة ... ويحلو عذاب النفس ما ازداد صده
وكل امرىء تصبو الى العز نفسه ... يهون لدى غول المعارج جهده
جرى قلم الرحمان بالعلم فاستقى ... بموردة الاسماء آدم عبده
فشعت على الاكوان لالآء شمسه ... وطوق لبات الخلائف عقده
واودع في روع النهى بعض سره ... فهب لها في عدة الفتح جنده
فسبحان من اعطى وسبحان من هدى ... وسبحان من قد هل بالعلم رفده
واطلع بدر الدين من خير مطلع ... يضوع به بان الجنان ورنده
حمى الكعبة الغراء والموئل الذي ... يقرب آمال القواصد بعده
ديار بني عدنان ءاباء هاشم ... واسرة من بذ الاكارم مجده

بني الزيتونة الخضرا هلموا ... بهمتكم لتحقيق الظنون
وكونوا الروضة الغناء تزهو ... بانوار المعارف واليقين
لئن عدموا فما عدمت بنوهم ... ولا الاحرار راضية بدون
فما من حازم الا ونادى ... « متى اضع العمامة تعرفوني »
فبثوا في نفوس القوم روحا ... مؤيدة باخلاص ودين
فما للجامعات ولست اطري ... سواكم في البلاد فصادقوني
ومدوا للاخاء يدا فانتم ... احق الناس بالحق المبين
تغذيتم لبان العلم فاشفوا ... به غلا من الداء الدفين
وذودوا عن حماه بكل حزم ... تكونوا منه في الحصن الحصين
ويحسن بعد ذلك ان ينادي ... فتى الخضراء وضاء الجبين
« اذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين »

محمد الشاذلي خزنة دار

جلاه لنا بدرا يؤيده الهدى وبحرا ممدا بالمعارف مده
يفيض على الغبراء علما وحكمة ويطمو بيانا نيط بالغيب حده
وينثر من آي الكتاب فريدها فيعجز اقطاب البلاغة نقده
فرائد عرفان وخرد حكمة تحلى بها قطب الزمان وفرده
وسار على مثلاه من فاز واهتدى وولى به عن مهمه الزيغ رشده
فشيدت صروح العلم في خير موضع يعمره حزب الآله وجنده
تيممها القصاد تحدوهم المنى لاعلاء دين شرف الناس عهده



معاهد للاسلام جازت قبابها مدى الفلك الدوار فانجاب سعده
مبان على التقوى اقيمت بهمة يسيل لها رضوى وينساب صلده
لتونس منها معهد غير أنه به در من يرجو الفلاح ومهده
ترد له الابصار وهي خواشع لفرط جلال معدم المثل نده
تنضد عقد المتقين دعاته بصوت محا هزل الضلالة جده
تجمع طلاب العلا حلقاته كاشبال خيس عرست فيه اسده
يفوح بازهار المعارف روضه ويزكو بباقات العوارف رفده
تهادى به الاعلام من كل جهبذ يضم التقى والعلم والفضل برده
اذا قال قولا زال للشك غيهب وان رام حقا فالردى لا يصده
بذاك حكى التاريخ عن امسه للذي تولى وما ولى عن القلب وده
تذكرنا الذكرى بايام عزه فنشتاق عهدا ناء بالنفس صده
وما السن التاريخ عن امر يومه بغافلة فليستق الله ولده
فمن نكد الايام ادمان شعبنا على عد فضل الناس فيما يعده



اقوم الهدى لا يصلح الله امرنا وشمل بني الخضرا تناثر عقده
سلام على ايام مجد تصرمت وفي القلب منها مرهفات تقده
سلام ورضوان على خير معقل وقوم بحق هم ذووه وجنده

الطاهر القصار

الفريدة الثالثة

للاديب العالم الشيخ علي النيفر المدرس
من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

بماضي بني الخضراء كم مثل سارا ... وكم اثر تعنوله النفس اكبارا
تبارك من اولى بني تونس العلى ... وخولهم صيتا بذا الكون قد طارا
وشاد بهم بنيان كل فضيلة ... وابقى لهم في ساحة المجد آثارا
خوالد ما أودت بهن يد البلى ... وإن كن قد أبلين دهرا وأعصارا
مآثر قد أنسين ما أثر الاولى ... تساموا نهى من آل قيصر او دارا
تراث به نعتز أصبح بيننا ... مضاعا وما تلفي لنا فيه أعذارا
مظاهر فخر يبهر العين حسنها ... وليدة علم صرحه قط ما انهارا
اولئك قوم اثلوا مجد تونس ... ولاحوا بها قدما شموسا وأقمارا
ونالوا كما شاء المنى كل مفخر ... نأى بالذي باراهم فيه أو جارى
بكل مجال للحياة وحلبة ... ترى الجياد القوم ركضا وإحضارا
وفي كل علم نافع أو صناعة ... يطيلون إيرادا لعمري وإصدارا
لقد خلدوا للقطر ذكرا معطرا ... به قد سما بين الممالك مقدارا
وكائن لهذا المصر من تالد العلى ... وطارفها ما فيهما بذ أمصارا
علا صيته دهرا فأخمل ذكرها ... وغادرها في مهجة الدهر اسرارا
واشرف ماجلى به المعهد الذي ... ارق بنات المجد عونا وأبكارا
هو المعهد العلمي والمعلم الذي ... يباهي هلال الافق أدرك إبدارا
تبارك منشاه لذلك ما انتمى ... لزيتونة باليمن تؤذن إشعارا
له مفخر بين المعاهد طائر ... يعم بقاع الارض سهلا وأوعارا
تسير به الركبان شرقا ومغربا ... ويجتاب آفاقا صداه واقطارا
قرارة عرفان ومنبع حكمة ... ومبزغ آيات تملأن انوارا
أضاءت على الدنيا ففي كل بقعة ... ترى أثرا منها وتسمع اخبارا
أعار بها الآفاق حسنا وبهجة ... وزان بها التاريخ كتبا وأسفارا

لدى كل صقع مسحة من جمالها … وعرف شذي يزدري الروض معطارا
فكم لاح من آفاقه جهبذ له … أمال بغاة الرشد قصدا واسفارا
وألقوا عصا التسيار في عرصاته … وكم اكرمت في الدهر وفدا وزوارا
فاحيى نفوسا منهم سيب هديه … واجرى لهم من صوبه العذب تيارا
به بسقت افنان اغصان علمهم … وادنت من الجاني ثمارا وازهارا
وآبوا الى اوطانهم وقد اغتدوا … لذا المعهد الزاهي دعاة وانصارا
يذيعون من علياه ما لم يجنه الز … زمان على طول العهود ولا وارى
ويتلون آيات الثناء على الاولى … به وضعوا مما جنى الجهل آصارا
فمن عالم بالدين يسفر عن حجى … اصيل بعيد الغور كالصبح اسفارا
ينير دياجير الضلال لخابط … ويمحو بتيار الهداية اوضارا
وآخر قد القت له العربية الـ … ـقياد فلم يخط السبيل ولا جارا
جرى لمداها فاستقل بخصلها … وأكرم بمضمار المعارف مضمارا
وذي ادب مستملح عز ان ترى … له مشبها من حاكة القول ديارا
يوشي برود القول تحسب انها … حدائق قد راقت نفوسا وابصارا
مطارف من نسج اليراعة احكمت … لبابا غدت من جيد الشعر مختارا
بدائع من سحر البيان روائع … عقائل تأبى بالجوائز امهارا
اوانس الا انهن شوارد … دوان وقد جاوزن نجدا واغوارا
وكم غرست في ارض طرس يراعه … بواسق قول جادها الفكر مدرارا
وفتح من روض الفصاحة نوره … وفجر ينبوع البلاغة انهارا
وابدع ما ولى المصاقع دونه … حيارى وما ان ادركوا منه معشارا
وفي كل فن قادة يحذقونه … تراهم به ادرى واوسع انظارا
كمثل ابن خلدون ومثل ابن عرفة … ومن منهما اسمى واشرف اخطارا
وغيرهم من كل حبر معمم … على كرم لا لؤم فيه ولا عارا
ولا برحت والحمد لله ثلة … تنير به سبلا وتبلغ اوطارا
كذا العيلم السامي المدارك من سبى … بتبيانه الراقي عقولا وافكارا
فلولا هم لا نقض صرح فخارنا … الى هوة سوداء يا قوم وانهارا

المكتبات

عناية الامم الحية بها وتفريطنا فيها

- ٣ -

وبعد فالشيء الذي يؤسف له ويبعث في النفوس حسرة ممضة وألما مستمرا هو حالة المكتبتين اللتين كان يجب علينا ان نوليهما من العناية اقصى ما يمكن تقديمه في سبيل ترقيتهما والنهوض بهما نحو الكمال فقبيح بنا وأيم الحق ان نضجع في الامر ونغمض جفوننا على ما تغمرنا به مطابع الشرق والغرب من قديم التآليف وجديدها ونترك مكتباتنا في تراجع مزري وانحطاط مشين

اني اعتقد - وحقا ما اعتقد - ان منشأ هذه الحال هو اسناد القيام بشؤون المكتبتين لاناس لا خبرة لهم بالنظم التي تسير عليها المكتبات الراقية وغاية ما يمكن ان يقوموا به تمكين المطالعين والمستعيرين من طلباتهم . وفرق بين من يتولى التوزيع وبين من يتولى وظيفة حافظ مكتبة ذلك ان ما يتطلبه وظيف موزع كتب غير ما تتطلبه وظيفة حافظ مكتبة وكفى دليلا على ذلك ان هذه الوظيفة في بلاد الغرب وبعض البلاد الشرقية الراقية - كمصر - لا يعهد بها الا لرجال العلم والدراية بهذا الفن وممن لهم تخصص فيه وانتساب الى المعاهد المعدة لذلك . ومن اتيحت له زيارة المكتبات الاروبية استيقن ذلك وآمن بخطارة هذه المناصب التي تساهلنا فيها الى ابعد حدود التساهل

إن وظيفة حافظ مكتبة يتحتم اسنادها لمن له معرفة بالخطوط وتطوراتها الفنية وقيمتها الاثرية واطلاع على حركات النشر وارتباط بشركاته في اطراف المعمورة وإلمام بمحتويات المكاتب العالمية حتى تنتفع المكتبة بخبرته ويتسنى له بذلك ان يقدم لاداراته التقارير الفنية فيما تتطلبه حالة المكتبة

وفوا دينكم حفظا وصانوا لسانكم ... وما هو من عاداتكم لم يكن ضارا
ثلاث عرا لا عيش يبقى لامة ... اذا فصمتها بل تحل العفا دارا
فكونوا بها مستمسكين ولا تنوا ... لقد خاب مرء عزمه في العلى خارا
وكونوا حماة المعهد الفذ ترشدوا ... وكونوا بمن فيه ايـ قوام ابرارا
تشيدوا بـه مجدا لاسلافكم وهي ... وتحيوا بما تجنوا من الحمد اعمارا

علي النيفر

التي لنظره ووجوه الاصلاح التي يراها لازمة لنهوضهـا وترقيتها وجعلها وافية بحاجـة الثقافة العامة بتوفير مصادرها

فهل ان القائمين على المكتبتين هم على ما وصفنا ؟ كلا والف كلا اذاً كيف نؤمل منهم رقي المكتبة والاسترباع بشؤونها ومتى يستقيم الظل والعود اعوج ؟

ليس من الحق ان ننقم على اولئك المتوظفين حالة المكتبة وما هي فيه من تراجع اذ ليس لهم من الامر شيء ولا وجه لتحميلهم وزر هذه النقصية وهم - والحق يقال - قائمون بوظائفهم وهي توزيع الكتب وتمكين المستعيرين من طلباتهم خير قيام ممثلين في سلوكهم كرم الخلق ولطافة المعشر . ولكن المسئول عن ذلك هم من تداولوا الاشراف على الجامع في القديم والحديث فهؤلاء هم الذين كان عليهم ان يقوموا حالتها ويتداخلوا في اسناد وظائفهـا لاهل المعرفة المتخرجين من الجامع ممن لهم المثافنة التامة لهذا الفن والاطلاع الواسع على النظم التي يستدعيها وان يبذلوا جهودا صادقة لتوفير الاعتمادات اللازمة لتنميتها وتغيير نظامها العتيق الذي لا يتمشى مع ما تقتضيه الاصول الفنية التي تسير عليها المكتبات الراقية اليوم ، ومن المهازل التي يقف امامها المرء في هذا الموضوع ان المقدر السنوي لكلا المكتبتين نحو ١٤٠٠ فرنكا فاي شيء يا ترى يمكن ان يسدد بهذا المقدار ؟ ربما يقـال انه ارصد برسم تجليد الكتب وإصلاحها ولكن هل هو كاف لما أرصد اليه ؟ لاشك انه دون الكفاية ثم اين هي الاعتمادات اللازمة لتنمية المكتبة وتوسيع دائرتها ؟الجواب .... رب يسر ؟؟!

اذكر اني اجتمعت مرة مع احد ممن لهم اتصال مباشر بتسيير ادارة الجامع . وكانت حالة المكتبة تؤلمني وتبعث في نفسي الحسرة على مصيرها الذي تسير اليه . فكنت لا آلو جهدا في تعرف احوالها ما سمحت لي بذلك الفرصة فجرى حديث بيني وبين تلك الشخصية بمناسبة صدور قانـون الاصلاح الاخير وتدرجت معها للحديث عن المكتبة وكيف لم يقع الالتفات اليها والسعي في رفع مستواها رغما عما هي عليه من ضيق الموارد ونضوبها مما اخرجته لنا مطابع الشرق والغرب وو... فاجابني بمـا معناه « ان الناس لم يطالعوا الموجود فأي حاجة للزيادة » فذكرته ان حاجـة الباحثين لا تتمشى مع هذا الجواب وان القانون الاخير قد جاء في عدة فصول منه ما يرمي لتنمية حركة التأليف وترويجها وان الشرط الاساسي لذلك هو المكتبة المنظمة الغنية بالمراجع فاجابني عن ذلك بانه لا توجد مخصصات كافية من ميزانية الجامع للمكتبة وانه على فرض وجودها فان ضيق المحل الحالي يحول دون تنميتها

لم ذا ايها القوم لم توجد المخصصات الكافية لتوسيع نطاق المكتبة ؟ هل تطمعون من الحكومة ان تمكنكم من القدر الكافي دون طلب والحاح ؟

اما الجواب بضيق المحل فقد حرت في فهمه ولم اهتد لوجه الحل فيه. واجب على كل مريد للاصلاح ان يهيب بكل زيتوني ليطالب باصلاح المكتبة اصلاحا تتبوأ به المكان اللائق بها كاول مكتبة عربيه بالشمال الافريقي اذ قبيح بنا معشر الزيتونيين ان نطرف العيون على القذى و نستنيم لمثل ذلك الركود الفاضح لاسيما وقد قامت لجانب مكتبتنا العريقة مكتبة العطارين الحديثة الناشئة التي زخزت بمحتوياتها وشمخت عليها بنوادرها القيمة وليس لذلك سبب سوى ان هذه غربية وتلك شرقية . ايها الزيتونيون افتحوا ابصاركم على ذلك الشعاع الذي يضيء بقبس من بين كتب التاريخ الحافز وارهفوا اسماعكم للصدى المرن لبيت الحكمة ببغداد ودار العلم بطرابلس الشام(١) وخزائن الحكم الثاني بقرطبة(٢) واقبلوها دعوة خالصة فاني لا اريد الا الاصلاح ما استطعت . ان المكتبة لم تبلغ الى هذه الحال من السقوط والتاخر الا من جراء السكوت الذي فرضته اعتبارات وهمية كانت تحول بين خايري العزائم وبين ان يصدعوا بكلمة الحق المرة او ينبسوا ببنت شفة في تذكير القائمين بالامر والاهابة بهم الى بعث روح التجديد ، وما تلك الاعتبارات الا التخوف من غضب بكر وسخط زيد ونقمة خالد ، ولكن فاتهم انهم بسكوتهم ذلك قد فرطوا في تراث اسلافهم واعانوا على اتلافه وضياعه فعاثت فيه الارضة واتت على ما به من آثار الفن الخالد المنكود فبقينا عالة على ما بخزائن الغرب حتى ان احدنا ليقف مدهوشا امام ما يعرض عليه من آثار اسلافه ويعجب من عناية القوم بها وتفريطنا فيها . وأرى ان تجديد المكتبة لا يتم الا على هذه الاصول :

(أ) - انتداب شخصية شرقية لها الخبرة التامة للاشراف على تجديد المكتبة ويكون ذلك بمقتضى عقد لمدة يمكن فيها تخريج من يضطلع بالمهمة من الزيتونيين خاصة ولنا في ذلك اسوة حسنة بمصر فقد انتدبت عندما رأت الضرورة قاضية بذلك شخصيات علمية كبرى من علماء الالمان والطليان. وفي زعمنا ان انتداب من يقوم بهذه المهمة اجدى من انتداب من يقوم بتدريس الموسيقى بمدرسة العطارين

(١) كانت تحتوي على ٤٠٠ الف مجلد بلغت فهارسها اربعة واربعين مجلدا ـ ص ٨٨ ـ من حاضر الاندلس وغابرها . (٢) ولما ولي بعده ابنه هشام المؤيد وهو غلام لم يحتلم بعد تغلب على مهام الدولة حاجبه ابن ابي عامر المشهور فعمد الى خزائن الحكم المذكورة بمحضر خواص اهل العلم بالدين وامر باخراج ما فيها من الكتب القديمة في المنطق والنجوم والفلسفة عدا كتب الطب والحساب واللغة والنحو والاشعار والاخبار والفقه والحديث فاحرق منها الكثير والقى البعض منها في ابار القصر وهيل عليها التراب وغيرت بضروب التغايير وفعل ذلك تحببا الى عوام الاندلس وتقبيحا لمذهب الخليفة الحكم عندهم اذ كان كل من قرأها متهما عندهم بالخروج من الملة ومظنون به الالحاد في الشريعة اه طبقات الامم لصاعد الاندلسي ص ٦٦ . (٢) كان عدد ما بها من الكتب عند ما احرقها الصليبيون سنة ٥٠٣ هجرية ثلاثة ملايين مجلد . راجع مجلة الزهراء ص ٤٤١ ج ٧ م ٣

(ب) ـ طلب ارصاد اعتماد مالي يوازي ما هو مخصص لمكتبة العطارين يجعل تحت تصرف هيئة من رجال لهم خبرة بالكتب واطلاع على ما تصدره ديار النشر بالشرق والغرب

(ج) ـ تكوين لجنة ممن يعطف على المكتبة التونسية مهمتها الدعاية لفائدة المكتبتين وفتح اكتتاب عام لمشروع المكتبة

(د) توسيع دايرة عملها وعدم الاقتصار على الكتب العربية حتى تكون جامعة لاهم ما تصدره المطابع في اشهر اللغات سيما ماله ارتباط بتاريخ الشمال الافريقي والتشريع الاسلامي والادب العربي واظن ان حضرات المحافظين لا يمانعون في ذلك فقد وجدنا لهم في ذلك وجها يمكن الاستناد اليه واعتباره كدليل للجواز وهو وجود عدة كتب باللغة التركية والفارسية وحتى الايطالية والفرنسية فرجاؤنا الا يرتاعوا لهذا الطلب والا يحولوا دون تنفيذه ان قدر له التنفيذ

(هـ) توحيد المكتبتين ومنع اعارة المخطوطات على الاطلاق والمطبوعات النادرة مع تمكين الراغبين من مطالعتها تحت الرقابة اليقظة وذلك احتفاظا بالباقي من عبث المستعيرين الانانيين فهناك من يدعى منهم الضياع ويتقدم لدفع العوض

(و) السعي في ايجاد محل مناسب للمكتبة تضم فيه محتويات المكتبتين

وهناك امور اخرى تتطلبها المكتبة كاحداث متحف للخطوط وقسم للنسخ وآخر للتصوير الشمسي وتخصيص مكان للجرايد والمجلات والخرايط وغير ذلك

***

بقيت لنا كلمة عن مكتبتي الخلدونية وقدماء الصادقية نضعها هنا اتماما للبحث

اما المكتبة الاولى فعلى صغرها فانها تقوم بدور لا باس به في اداء المهمة الثقافية والاقبال عليها متزايد بفضل حزم رئيسها القائم عليها وعنايته بها

واما المكتبة الثانية فهي مع كل الاسف في اهمال لم نكن نتوقعه من القائمين عليها الذين عرفنا فيهم النشاط والغيرة على مؤسساتهم القومية ناهيك ان العناكب قد مدت انسجتها على خزاينها الموصدة منذ ثلاثة اعوام او تزيد والانكى من ذلك ان هناك شائعات تروج بين جماعة قدماء الصادقية حول محتوياتها النفيسة واستئثار بعض الشخصيات بنفائسها فرجاؤنا من هيئة القدماء ان تقف وقفتها الحازمة وتبعث مكتبتها من جديد وتحتفظ بذلك التراث الذي أوتمنت عليه

هذه نفثة قد املتها علينا الرغبة في حفظ كرامة مكتبتنا من ان تذال والحرص على الذماء الباقي نأمل ان يكون لها اثرها في تقويم حالة المكتبة التونسية والسير بها نحو الكمال على ايدي ابنائها المخلصين

محمد بن الشاذلي العنابي

العالم الاسلامي

المسلمون في فينلاندا

٣

بقلم الاستاذ عثمان الكعاك
المدرس بالمدرسة العليا للاداب

الآداب الفينلاندية

قد وعدنا بالتحدث عن الاداب الفيلاندية كملحق لهذا البحث . فاليك بعض البيانات عن تلك الآداب :

ان اللغة الفينلاندية احدى لغات العائلة المعروفة « بالفينلاندية الاوغرية » وهي جملة لغات مبعثرة شذر مذر من القطب الشمالي الى فينلاندا الى بلاد المجر عينها (هنغاريا) . وقد حاول بعض العلماء ان يضيفوا اليها اللغة التركية ولهجات التتار والمغول وحتى اللغة اليابانية بنفسها . وقد لا حظ علماء الالسن منذ عصور قديمة القرابة اللغوية الموجودة بين اللغات الآرية او المسماة في عرف اليوم بالهندية الاروباوية وبين اللغات الفينلاندية الاوغرية . واللغة الفينلاندية عبارة عن لغة موسقية جميلة يتكلم بها مليونان من السكان ولها لهجات ثانوية نحو الست او السبع .

واما الآداب الفينلاندية فانها نشأت بنشوء المذهب البروتستاني الذي نشره المصلح الالماني لوثر والفيلسوف الفرنساوي كالفين في القرن السادس عشر . فلما ظهر هذا المذهب المقاوم لنفوذ البابا اولا وبالذات خرج احد الفينلانديين المسمى « بطرس سير كيلاهتي » وقصد جامعة ويتمبيرغ فاخذ المذهت الجديد عن لوثر نفسه واستمد تعاليمه من ينابيعه الاصلية . وبعد ان تحصل على الشهادات اللازمة رجع الى مسقط راسه فسمي راهبا قانونيا سنة ١٥٢٥ وتعين للرئاسة الدينية بكاتدرائية توركو وقد قصر عمله على هذه المدينة لكنه كان عملا خصيبا مثمرا . لا سيما وانه كان يرمي الى احياء اللغة الوطنية ومقاومة النفوذ الاجنبي باسم الدين . فاخذت عنه نخبة قليلة اصول اللغة الوطنية وقواعدها وفي الآن نفسه اصول المذهب الجديد الذي هو في الحقيقة مقاوم لكاتوليكية البابا وللمذهب الارثوذوكس اي مذهب الامة الروسية المستولية على فينلاندا يومئذ . وقد كان الملك غوستاف

قليل الاهتمام بالنتائج الفكرية والدينية المتولدة عن اصلاح لوثر وحسبه ان يجد فيه ثمرة سياسية ومالية . فاقر الوعظ الديني بالانجيل المترجم ترجمة حديثة على يد لوثر . ثم لما سمي الراهب ميكائيل اغريقولا اقبل اقبالا جديا على احداث الاداب الوطنية واقامة دعائم الآداب الدينية على لغة الوطن . كان اصله ابنا لاحد المساكين الفقراء . فدرس بجامعة ويطمبيرغ وترأس مدرسة توركو الدينية . وقد كان عمله الاساسي الذي كرس عليه حياته هو احداث آداب دينية باللغة الوطنية . فنشر سنة ١٥٤٣ كتابا في اصول الدين على مذهب لوثر ونشر سنة ١٥٤٤ كتاب ادعية وكان اخذ في ترجمة التوراة منذ كان طالبا بجامعة ويطمبيرغ فظهر العهد الجديد سنة ١٥٤٨ بمدينة اسطوخولم . وطبع كتاب المعمودية سنة ١٥٤٩ وبدأت تظهر ترجمة العهد القديم سنة ١٥٥١ ثم نشر كتاب مزامير داود عليه السلام وسفر الانبياء . لكن اغريقولا مات سنة ١٥٥٤ بعد ان قام بعمل ماجد وهو احياء الآداب الوطنية التي لا توجد نهضة قومية بدونها ولا يتيسر انتشال البلاد الا بانتشالها . فلم يحك لنا التاريخ ان امة من الامم نهضت قبل نهوض ادابها القومية او بدونها وهكذا تكونت الاداب الفينلاندية الدينية وغير الدينية ويمكن اعتباره اباها كما يمكن اعتبار هذه النهضة الادبية الخطوة الاولى والرئيسية في نهضة الوطن الفينلاندي .

خرجت فينلاندا في القرن الثامن عشر من ربقة الروس ودخلت تحت سيادة السويديين . فبلغت الحضارة الجديدة التي هي مزيج من حضارتي الامتين الفينلاندية والسويدية اوج علاها يومئذ . فشعرت الامة الفينلاندية بذاتيتها وبمقدار نبوغها وبان لها الحق في تبوؤ مقعدها من الحضارة ومركزها من الشمس . ومع ان اللغة السويدية كانت اللغة الرسمية فان الفينلاندية كانت شرطا في تسمية الموظفين منذ سنة ١٧٣٩ ونقلت مجلة القوانين السويدية الى اللسان الفينلاندي في نحو ذلك التاريخ وقد ظهر يومئذ نبوغ الفينلانديين الفكري . فكانت الاداب مشتملة على ثلاث لغات . وهي اللاطينية والسويدية والفينلاندية . ولو ان هذه الاخيرة كانت صاحبة المقام الاسمى والظاهرة على اختيها لانها اللسان الوطني الذي يجب ان يتبرز على غيره من الالسنة . وكانت هذه الاداب مشتملة على جميع الفنون العقلية من ادب التخيل الى ادب التعمق العلمي الى الادب العلمي المستوعب للرياضيات والفلك والطبيعة والتاريخ الطبيعي والاقتصاد السياسي والطب والفلسفة والتاريخ وفلسفة الالسن . وما جاءت سنة ١٧٧١ حتى نشأت صحافة باللسان السويدي وفي سنة ١٧٧٦ ظهرت اوليات الصحف باللغة الفينلاندية . وكان مركز كل هذا النشاط الفكري جامعة توركو .

وكلما توغل العلماء في البحث عن التاريخ الفينلاندي كلما زادت الامة اعتصاما بتاريخها الوطني

وآدابها القومية وكلما زادت هذه الروح في الطبقات الشعبية انتشارا بحيث لم يات القرن التاسع عشر الا ومليونان من الفينلانديين يتكلمون بلغتهم الوطنية مقابل اربعمائة الف يتحدثون عادة بالسويدية. وكانت اللغة السويدية لسان الطبقة البورجوازية الحرة. وهي طبقة متوسط المتوظفين و « البلدية » من ارباب الصنائع والتجارات والمزارع . ومن جهة اخرى لم تكن اللغة الفينلاندية لسان اهل البادية وسكان الغابات فحسب بل كانت لسان رجال الكنيسة والارسطوقراطية المالكة للارضين الشاسعة. لانها كانت ترى فيها الوسيلة الوحيدة لحفظ التقاليد الاجتماعية والدينية . فنهضت ثلة من العلماء واقتفت اثر العلامة بورثان الذي احيى دراسة الاداب الوطنية في القرن الثامن عشر. وظهرت نشأة جديدة ضاعفت جهودها في هذه السبيل نخص بالذكر منها غوستاف رنفال الذي نشر معجم اللغة الفينلاندية سنة ١٨٢٦ وفي سنة ١٨٣١ تأسست « جمعية احياء الاداب الوطنية الفينلاندية » التي سرعان ما صارت مركزا كبيرا لهذا النوع من المباحث . وكان كاتب هذه الجمعية العام الاستاذ لوقروت الذي ولد سنة ١٨٠٢ وكان ينوي اولا تعاطي الطب ثم عدل عن ذلك لتكريس حياته على احياء الاداب الوطنية وجمع الاشعار الشعبية فجمع ديوانا اودع فيه اغاني الشعب واشعاره ونشره تحت اسم « كاليفالا» وقد بين جبرائيل راين مقصد هذه الجمعية في الكلمات الاتية التي القاها يوم ١٦ مارس ١٨٤٢ :

« ان واجب كل فينلاندي ان يسعى قولا وفعلا وكتابة في سبيل تحقيق غاية هذه الجمعية وهي احياء ادبنا القومي وان يبذل كل ما في وسعه لنشر الثقافة الوطنية وتوسيع نطاقها والرقي بها من طور الى طور . ومن واجب كل فينلاندي ان يكرس جهوده لفائدة الشعب الذي خرج منه ولفائدة آداب بلاده . فاذا فعل كل واحد منا ذلك لا بد ان ياتي يوم طال الزمان ام قصر تصير فيه اللغة الفينلاندية من اكبر اللغات وتتبوأ مقعدها الشريف الى جانب لغات المدنية العالمية »

لم يكن هذا البرنامج الا مرحلة اولى تجاوزها بكثير الاستاذ يوحنا ولهلم سنيلمان (١٨٠٦ - ١٨٨١) الذي كان تلميذ الفيلسوف الالماني هيجل والفيلسوف فيخت . فكان يرى ان الامة كوحدة وعنوان سياسيين تجد في لغتها الوطنية وسيلة تعبيرها الطبيعية والطريقة الفطرية التي يمكن للامة التي قد توحد شعورها وتقاليدها ان تفصح بها عن مقاصدها ولا يمكن ان توجد وسيلة اخرى بين افراد تلك الامة للاعراب عما يجول بخواطرهم . وبناء عليه فان وجود لغتين راقيتين في ضمن امة واحدة هو شيء مخالف لاوضاع الطبيعة وفلتة من الفلتات . فاداه هذا التفكير الى الطعن في اللغة السويدية مع كونها هي اللغة التي كان يعبر بها عن هذه الافكار . وفي ذلك الوقت نفسه قام الادباء بمجهود جبار لتحقيق احياء آدابهم واخراجها من حيز القوة الى حيز الفعل فحاولت جمعية احياء

الحركة العلمية والادبية

في جامع الزيتونة

اضرب تلامذة جامع الزيتونة وفروعه بالحاضرة عن القراءة ابتداء من يوم الاربعاء ٢٠ حجة المنصرم و ٣٠ مارس الجاري وسبب هذا الاضراب هو ان الطلبة قدموا مطالب للحكومة وقابلوا من اجلها رجال الحل والعقد ولما لم تقع اجابتهم عنها اعلنوا الاعتصاب وتنحصر مطالب التلامذة في خمسة امور اصلية :

(١) اصلاح مدارس السكنى بصورة تلايم قواعد الصحة والنظام حيث انها الآن خالية من جميع المرافق وطلبة الزيتونة عند ما يقايسون بين حالة مساكن طلبة المدارس الدولية وبين حالة مساكنهم يجدون البون شاسعا والفرق عظيما . فمن اجل ذلك الحوا في اصلاح حالة مدارسهم بايجاد منافذ للهواء وتزويدها بالكهرباء وماء زغوان واحداث بيوت للعلاج الوقتي فيها

(٢) بناء مدارس جديدة لايواء العدد الوافر من الطلبة الذين ضاقت عن ايوائهم المدارس القديمة

(٣) اصدار الاوامر العلية لحاملي شهادة التطويع او التحصيل طبق النظام الجاري من قديم الزمان

الآداب الفينلاندية ايجاد آداب عصرية . فنقلت عدة تآليف اجنبية الى اللسان الفينلاندي . لان احياء الآداب لا يكون اولا الا بالترجمة . اما ترى ان الآداب العربية ما نهضت الا بالتراجم الفارسية والهندية واليونانية وان آداب اوروبا ما نهضت الا عند ما اسس الفنش العاشر ملك اسبانيا جمعية لنقل الكتب العربية الى اللسان اللاطيني ؟ وفي نحو ذلك العصر اشتهر الاستاذ آلكويست استاذ الآداب الفنلاندية بجامعة هلسنكي بما نشره من الاشعار النفيسة باللسان الفينلاندي . وظهرت يومئذ عدة صحف باللغة الوطنية مثل صديق الفلاح وغيره . وبالرغم عن العراقيل المختلفة فان هذه الحركة المباركة ما زادت الا نموا وانتشارا . وقد تأسست حركة انصار اللغة الفينلاندية ازاء انصار اللغة السويدية فآلت سنة ١٨٨٢ الى تساوي اللغتين في المعاملة . اما اشهر الكتاب الفينلانديين فالشاعران آلكويست وكروهن والكاتب الروائي بايفارينستا المشهور برواياته البدوية وخصوصا الكاتب الكبير يوحنا آهو صاحب الصيت العالمي . واما من ناحية التعليم العمومي فان العدد العظيم من المدارس جعل فينلاندا محرومة من امي واحد « يذهب عنها العين ويطير النفس » وقد اصبحت جامعة هلسنكي من اكبر الجامعات العلمية في العالم باسره »

عثمان الكعاك

في العدد المقبل المسلمون في بولونيا وورمانيا وبلغاريا

(٤) فتح ابواب الوظائف الدولية في وجه الزيتونيين ولا سيما التعليم بالمكاتب الدولية

(٥) اعفاء المحرزين على شهادة الاهلية من الخدمة العسكرية قياسا على الشهادة الابتدائية الفرنسية

وقد علمنا من المكتوب الذي خاطبت به الحكومة مشيخة الجامع ونشرتـه المشيخة بالصحف اليومية ان المطالب الثلاثة الاول نفذ منها الثالث وشرع في تنفيذ الاولين واما المطلبان الاخيران اللذان هما بيت القصيد فلا يزالان محل نظر وتفاهم بين دواوين الحكومـة ونحن نرجو من الله تعلى ان ينظر الى كليتنا بعين اللطف وان يحقق مطالبنا وآمالنا . ونرغب من الحكومة التي تعودنا منها رعاية جانب الجامع وبنيه ان تعمل لتحقيق مطالب الزيتونيين وانجاز رغباتهم حتى تهـدأ الافكار ويستقر الاطمئنان في النفوس . ونغتنم هذا الفرصة لتكذيب ما اشارت اليه بعض النشريات من اتهام المجلة الزيتونية بوقوفها موقفا غير لائق . ونتسلى عن هذا الاتهام بما نعتقده من ان ناشره ومروجه يعلم انه قد افترى على المجلة كذبا . وانه قد استغل حسن نية بعض الناس فيه فدس عليهم ما لو تدبـروه لردوا كيده في نحره . ولما مكنوه من التستر بهم لاشفاء غلته . ولولا مراعـاة حسن نية الجماعة لما اقدمت المجلة على هذا التكذيب

جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وفروعه

اشرنا في عدد مضى الى ما ظهر في جامع الزيتونة من الحركات العلمية والمشاريع المفيدة ، وتكلمنا على (جمعية الزيتونيين) ونـريد الآن اتمام الحـديث عن بقية ما ظهر من الحركات التي تفجرت من ذلك الينبوع العظيم الـذي هو مصدر كل خير وبركة بهذه البلاد من ذلك جمعية ضعفاء التلامذة .

فهذه الجمعية هي اهم مشروع زيتوني ظهر في هذه البلاد . نظـرا لشرف موضوعها ولما له من الاهمية . وهو (مد يد الاعانة للضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وفروعه من حيث المأكل والملبس والسكنى والحالة الصحية ومن كل ما يمكن ان يطرأ مما يحتاج للاعانة وتجد الجمعية استعدادا للقيام به)

وقد شرعت الجمعية في تحقيق ما اسست من اجله ابتداء من غرة شهر جانفي المنصرم الموافـق ليوم الجمعـة ١٨ شوال المنصرم . حيث نظـم في ذلك اليوم إطعام ما يزيد على المائة تلميذ بمطعم وقع اختياره لذلك . ووقع الاتفاق مع صاحبه على شروط مراعى فيها المصلحة التامة للتلامذة ، من الناحيتين المادية والادبية ثم زادت في عدد التلامـذة الذين تمنح لهم الاعانة على الوجه المذكـور خمسة وسبعين تلميذا ابتداء من غرة فيفري المنصرم الموافق ليوم الاثنين ١٩ قعدة فصار عدد التلامـذة المحرزين على المنحة المذكورة مائة وخمسة وسبعين . والمؤمل ان يتسع نطاق العمل في وقت قريب حتى تتمكن الجمعية من ترضية جميع المحتاجين من تلامذة الجامع .

ونريد بهاته المناسبة ان نذكر لمحة تاريخية عن هذه الجمعيـة وتاسيسها وما مر بها من الاطـوار باختصار حتى نصل بها الى حالتها الحاضرة :

في عام ١٣٥٠ فكر حضرة العالم الفاضل الشيخ سيدي محمد العزيز النيفر نائب الدولة لدى النظارة العلمية في ذلك العهد وكاهية شيخ الجامع الآن . في تاسيس جمعية لاعانة فقراء التلامذة وعرض ذلك على النظارة العلمية فوجد منها اذنا صاغية وتاييدا لما عرضه . ولا سيما من جناب رئيسها العلامة الجليل الشيخ سيدي احمد بيرم شيخ الاسلام السابق رحمه الله . وإثـر ذلك اذنت النظـارة كاتبها بتحرير مكتوب على لسان المدرسين في طلب تأسيس هاته الجمعية . فحرر بتاريخ ذي الحجة ١٣٥٠ الموافق لافريل ١٩٣٢ وامضى عليه غالب المشايخ بالجامع . وكان مكتوبا بليغا مؤثرا ننقل منه الفقرات الآتية : (وبعد فلا يخفى على الجناب ما يقاسيه كثيرون من تلامذة الجامع ابناء الجميع من عسر الحال وشدة الاحتياج . . . . ومن اجل هاته الحالة الاسيفة رأى المصححون أسفل هذا ان يتقدموا لجنابكم باقتراح نؤمل ان يخفف عنهم من الوقر الذي احنى ظهورهم ويريحهم ولو شيئا ما من عناء غربتهم وان كانوا بين اهلهم وذويهم

وقرابة الادبـاء يقصر دونهـا   عند اللبيب قرابـة الارحـام

نظرا لهاته الحالة المزعجة فقد رأى كل منا ان يلتزم بدفع ما لا يقل عن خمسة فرنكات شهريا ويصرف ما يتجمع من ذلك في سبيل اعانة التلامذة الخ . .) . ثم ورد من الوزارة الكبرى مكتوب مؤرخ في حجة ١٣٥١ وفي افريل ١٩٣٣ مخاطب به شيخ الجامع (بعد ان ابطلت النظـارة العلميـة) تضمن الاذن للمشائخ المدرسين بوضع قانون اساسي للجمعية . وفي يوم الاحد ٢١ و١٦ من الشهرين المذكورين اجتمع المشائخ المدرسون بمسجد الجمعية الخلدونية لانتخاب هيئة تضع القانون الاساسي . فانتخب لذلك اربعة مشائخ وهم المرحوم الشيخ عثمان بن الخوجه . والمشايخ السادة : محمد العزيز النيفر والبشير النيفر ومحمد المختار بن محمود . وبعد ما فرغت هذه اللجنة من وضع القانون الاساسي انعقدت جلسة عامة بالمكتبة العبدلية في يوم الاثنين ١ شعبان ١٣٥٢ و ٢٠ نوفمبر ١٩٣٣ عرض فيها القانون وبعد عرضه وقع انتخاب الشيخ محمد العزيز النيفر رئيسا للجمعية ثم وقع انتخاب اعضاء الجمعية . وبعد ايام اجتمع الاعضاء وكونوا مجلس الجمعية على الصورة الاتية : المشايخ السادة : محمد العزيز النيفر (رئيس) محمد البشير النيفر (كاهيته) محمد الهادي بن القاضي (أمين مـال) الحاج علي ابن الخوجه (كاهيته) محمد المختار بن محمود (كاتب) علي النيفر (كاهيته) ابراهيم النيفر . محمد الزغواني . الناصر الصدام . الحطاب بوشناق . العربي الماجري . الشاذلي بن القاضي (اعضاء)

فتقدم المجلس المذكور للدولة بالقانون الاساسي . وبعد مفاهمات ومحاورات صادقت الدولة عليه بمقتضى قرار صادر من جناب المولى الوزير الاكبر بتاريخ ٢٨ محرم ١٣٥٤ و٢ ماي ١٩٣٥ ثم حدثت امور منعت هذه الجمعية من الظهور الى امد اراده ثم ظهرت عناية الله بها .. فزالت تلك الموانع وتهيأت الاسباب فظهر الحق وبطل عمل المفسدين والله ولي المصلحين

وقد تشرف وفد من مجلس الجمعية متركب من المشايخ السادة محمد العزيز النيفر محمد البشير النيفر محمد الهادي ابن القاضي محمد المختار بن محمود بمقابلة صاحب الجلالة ملكنا المعظم ابقاه الله في يوم الخميس ٣٠ جمادى الثانية و ١٧ نوفمبر سنة ١٣٥٥ - ١٩٣٦ بقصره الصيفي بشاطىء المرسى فاقتبلهم في مجلسه الفخيم بحضور وزرائه ورجال دولته . واظهر لهم من العناية والتأييد ما عهد منه في مثل هذه الاعمال الصالحة . والقى بين يديه رئيس الجمعية خطابا بين فيه الغرض من الجمعية وبرنامج اعمالها وطلب منه مد يد الاعانة اليها وجعلها تحت اشرافه فتأثر ابقاه الله من ذلك وقال لرجال الوفد مشافهة ما نصه : (بارك الله فيكم وربنا يعينكم) . فودعه الوفد وخرج مبتهجا من هذا الاقتبال العظيم والتاييد السامي . ومن ذلك الوقت اخذ المجلس يعد المعدات اللازمة لتنفيذ ما وضعت الجمعية لاجله . فطلب من عموم الامة مد يد الاعانة للجمعية . كما طلب ذلك من الحكومة فاجيبت دعوته وانهالت عليه العطايا من الامة حتى تمكن من الشروع في تنفيذ اعماله ابتداء من غرة جانفي المنصرم كما اشرنا اليه سابقا جزى الله المحسنين خير جزاء . واعان مجلس الجمعية على القيام باعباء ما كلف به احسن قيام . و لله ولي الاعانة والتوفيق .

محمد عثمان باشا داي الجزائر

اسم كتاب الفه الكاتب المؤرخ السيد احمد توفيق المدني تكلم فيه عن تاريخ الجزائر في العصر التركي وتراجم علماء ذلك العصر رتبه على مقدمة كتمهيد لدراسة التاريخ التركي في الجزائر وخمسة اقسام تضمن القسم الاول خلاصة وافية عن تاريخ الحكم التركي في الجزائر واشتمل القسم الثاني على بيان الحالة العلمية في ذلك العهد واشتمل القسم الثالث على سيرة (محمد عثمان باشا) واشتمل القسم الرابع على تعريب قسم من دفتر التشريفات والقسم الخامس على مقتطفات عن مذاكرات احد كبار المستشرقين ممن عاش في الجزائر ايام الباشا . وقد جعل بدل الاشتراك فيه ١٠ فرنكا فعلى الراغبين فيه ان يقدموا بدل اشتراكهم ليصل لهم الكتاب يوم انجاز طبعه . وعنوان المكاتبة السيد احمد توفيق المدني - زنقة باربريجير عدد ١ - الجزائر .

بريـد المجلة

ترد على المجلة رسائل كثيرة يطلب مرسلوها نشرها ولكن نطاق المجلة يضيق عن نشرها جميعا لذلك سنقتصر على نشر الرسائل التي تشتمل على اغراض اجتماعية او انتقادية لانها بذلك تتجاوز منطقة ادارة المجلة وتصير حقا مشاعا لعموم قرائها ومن الواجب اطـلاعهم عليها لذلك سننشر تحت هذا العنوان الرسائل التي ترد الينا من هذا القبيل معتذرين لمرسليها الافاضل بان ما يقع من التاخير في نشرها سببه ضيق نطاق المجلة . وتراكم المواد عليها :

رسالة الجزائر

وردت الينا من الجزائر رسالة من صديقنا العالم الفاضل الاديب الشيخ مبارك الميلي عضو جمعية العلماء بالجزائر في التنويه بشان الرابطة الكبرى التي يقوم بها جامع الزيتونة عمره الله بين القطرين الشقيقين الجزائر وتونس وبالمهمة التي ستقوم بها المجلة الزيتونية في هذا الشان . مع ابداء ملاحظات املاها عليه اخلاصه لهذه المجلة ولهيئتها . بارك الله فيه واليك الرسالة بنصها :

المجلة الزيـتونيـة

جامع الزيتونة أقدم الكليات الاسلامية الثلاث . ومنه انبعث الضوء نحو المغرب ، فتأسس بفاس جامع القرويين ، ثم انفصل منه نور نحو المشرق ازدهر بالقاهرة ، فكان الجامع الازهر ، فلجامع الزيتونة الفضل العام على العالم الاسلامي في حياته الفكرية ، ثم له علينا الفضل بصفة خاصـة ، فبه انتفعنا فيما كتب لنا من علوم الدين ووسائلها . لذلك تجدنا نهوى جامع الزيتونة ونعرف له منزلته . فيسوءنا ويضعنا كل ما ينتابه من خلل ، ويسرنا ويشرفنا كل ما يدركه من شرف ، وان هوانا له لهوى عاقل ، وان معرفتنا لمنزلته لمعرفة سالمة من التعصب ، فلا هوانا يمنعنا ان ندرك ما به من ضعف ، ولا هو يحملنا على اكبار ما يتصل به فنكون من المغرورين ، نكتب هذا وبين ايـدينا اثر من آثار ذلك الجامع المعمور هو « المجلة الزيتونية » المتعة يحمل عرشها اربعة من شيوخه المدرسين وفتيانه الاقوياء ، فقد حمل الي البريد الجزء الثالث من هذه المجلة . ولا ادري اضاع به العددان قبله ايام اقامتي بمدينة الجزائر فقد ضاعت علي يومئذ اجزاء من مجلات اخر (١) ولا أنتقل قبل ان أبدي شكري لرجال ادارة المجلة واعجابي بهمتهم لنهوضهم بهذا العمل الجميل الجليل ولحفظهم لذلك العهد عهد اجتماعنا في الطلب وان تطـاولت عليه حقب ، ثم لنعد الى مجلتنا فلننظرها بعين ذلك الهـوى العاقل في غير تعصب او احتقار . فانا نجدها روضة باسقة الاغصان وارفة الظلال متنوعة الاشجار ناضجة الثمار واذا كان فيها نقص فبا لقياس الى مجد ذلك الجامع التالد اذ هي لسانه المعرب عن مبلغ حياته الفكريـة وبيانه العربي ، وعلى تلك الحياة وذلك البيان يقوم مجد جامعنا الطريف وكل مـا يخشى الهائم بحب جامع الزيتونة ان يقصر طريفه عن تالده بل ان لا يفوق حاضره ماضيه حتى لا يخرج عن سنة النشوء والارتقاء

(١) نعم ارسلا اليكم

ان الذي سرني جدا وملأني ثقة بحسن مستقبل مجلتنا وتحسين سمعة جامعنا هو اشتباك امضاآت فتية ناشطين بامضاآت شيب متبصرين . وان تعاون فتوة الفتيان وحنكة الشيوخ على الاخذ بيد هذه المجلة لمما يبشر بثبوت قدمها في سلم الكمال ويضمن لها السير في طريق الاستقامة والاعتدال ويربي النشء على احترام الكبار . ويدعو الكبار الى مشاركة الشبان . وفي امتزاج هاتين الطبقتين قضاء على الجمود وسلامة من التطرف .

وليسمح لي رجال ادارة مجلتنا بابداء ملاحظة مجملة هي من باب النظر الى مجلتنا بعين ذلك الهوى العاقل . فأقول :

ان القواعد العلمية الاصطلاحية ينبغي ان يستعان بها على الفهم ولا تستعمل في التفهيم بهذه الصحف السيارة التي يخاطب بها كل الطبقات ويقصد فيها الى تقريب المعاني من أذهان لم ترتض بالدرس ودقائق عبد الحكيم والخيالي وتمكين العظات من القلوب القاسيات . وادخال القواعد الاصطلاحية في مخاطبة كل الطبقات قد يكون عائقا للكتاب من اجتناء ثمرات أقلامهم وعقبة تصد القراء عن الانتفاع بنصح النصحاء . وقد جاء الكتاب المبين هداية عامة . فكان خاليا من الاوضاع الخاصة والاصطلاحات العلمية . وعلى قدر الاعتراف من بيان الكتاب العزيز يحصل الارتواء للقراء والتأثير من الكتاب . وتلك غاية العاملين المخلصين .

وكتب بميلة خامس رمضان ١٣٥٥
مبارك بن محمد الميلي

(المجلة الزيتونية) تشكر حضرة الصديق الفاضل على ما ابداه في هذه الرسالة اللطيفة من التنوية بالكلية الزيتونية التي هي اقدم الكليات العلمية الاسلامية . ثم على تنويهه بهذه المجلة وافراد هيئتها الذين اسسوها متحلية باسم الكلية التي تصدر عنها . معتمدين على الله ان يوفقهم الى ان يسيروا بها في طريق التقدم والارتقاء حتى يصلوا بها الى ارقى درجات الكمال . ثم تلفت نظر حضرة كاتبها الفاضل الى ان ملاحظته التي تتعلق باسلوب المجلة والتي نشكره على ابدائها كما نشكر كل كاتب يتقدم الينا بما يراه من الملاحظات كنا قد اجبنا عنها في صدر العدد الثاني جوابا كافيا نقتصر الآن على اعادة ذكر محل الحاجة منه : فقد قلنا ما نصه : واننا نغتنم هذه الفرصة لابداء ملاحظة تتعلق بتحديد مبدأ المجلة الذي ستسير عليه بحول الله ليكون في ذلك جواب عن بعض ملاحظات يدفع الى ابدائها حسن نية اصحابها مع غفلتهم عن المبدأ : ان (المجلة الزيتونية) انما اسست لخدمة العلم والدين وليست خاصة بطبقة معينة من الناس تسايرهم وتماشيهم وتعرض عن سواهم . اذن فهي تنشر المباحث العلمية الدقيقة التي قد لا تهم الا طبقات معينة من الناس . وتنشر المباحث الدينية والاجتماعية التي تهم عموم الناس فتحصل بها للعالم الذكرى . ويتعلم بها غيره ما لم يحط به خبرا . ومن طبيعة هذا الازدواج ان تنشر فيها مقالات تكون محررة على ما تقتضيه المباحث العلمية من دقة في التحرير . وسمو في التعبير . ولا يكون في ذلك غضاضة في نظر الناقد البصير . هذا ما قلناه سابقا وفيه الكفاية في الجواب عما ابداه الاخ الفاضل

اصلاح خطـأ

وقع في مقال شرف الكعبة من الجزء السادس من السنة الاولى من المجلة الزيتونية

صفحة	سطر	خطـأ	صـواب
٢٧٠	١	والتذييل والمقدمة	والتذييل والتعقيب والمقدمة
«	٥	فعله	فصله
«	٢٠	العتيق عندهم في	العتيق في
٢٧١	٥	الحبش	الحبشة
٢٧٢	١٣	ينادي	ينادى
«	٢١	رافع	واضع
٢٧٣	١٣	تاسيس معابد	تاسيس اصل معابد
٢٧٥	١	اقدام	اثر اقدام
«	١٢	منذ	فقد
«	٢٤	ثقيل	نفيل
٢٧٦	٢٢	ءآمنوا	أمنوا
«	٢٥	الآيات	الآية

اعتـذار

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر تقريظ المجـلات والجرائد والكتب التي وردت لادارة المجلة وعن نشر سير المسامرات العلمية والادبية في الشهر المنصرم وموعدنا بذلك العدد المقبل ان شاء الله

تباع المجلة في الاماكن التالية

اماكن بيع المجلة بالحاضرة

المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢
مكتبة الاستقامة سوق العطارين
المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣
مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢
المكتبة الزيتونية سوق السرايرية
مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢
المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية
مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤
دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف رقم ٧٢
البشير وبلقاسم بن عمارة سوق السرايرية رقم ٣٠

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

السيد الحبيب الذوادي ببنزرت بنهج احمد باي
« احمد المرابط متعهد بيع المجلات ببنزرت
« محمد حويشي القلعة الكبرى
« علي المزي بماطر
« صالح ابن الشيخ بقليبيه
« عبد القادر قربوج بنابل
« حمودة الذكواني بمنزل جميل
السيد حمدان الشريف بسوسه
« محمد الصالح البكوش بباجه
« محمد العربي بالمكنين
« محمد زهرة بالمنستير
« ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال
« الصادق بوزيان بالقيروان
« سعد بن بلقاسم الصحراوي بسبيطلة
« علي بسباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس
« قدري قعيب بقفصه
« المكتبة الاسلامية بتوزر
« عمر اسكندر بنفطة
« شرف الدين الدقاشي بدقاش
« محمد بن علي امنجه بقابس
« حمزة شورو بميدون جربه

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

السيد محمود نسيم بشارع لالير رقم ٤٢ بالجزاير
« محمود باش طبجي بساحة شارتر بالجزائر مكتبة النجاح بقسنطينة
« قندوز بنهج جنجراس بسطيف
« الاخضر بن مبارك ببسكرة
« بن داود بساحة دي قرقولات بعنابة
« محمد الهادي جلال بتبسه
مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك ٢٤ بتلمسان

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء الثامن	تونس في صفر عام ١٣٥٦ وفي افريل عام ١٩٣٧	المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

الجزء الثامن | المجلد الاول

فهرس العدد

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠
« بلاد شمال افريقيا « ٣٠
« في الخارج « ٤٠
يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء الثامن	تونس في صفر عام ١٣٥٦ وفي افريل عام ١٩٣٧	المجلد الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

سيف الاسلام يعطى لحامي الاسلام

فما هو هذا السيف ؟ ومن هو هذا الحامي ؟

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

بقلم رئيس التحرير

ان المسلمين مهما ضعف سلطانهم . وتضعضعت شوكتهم . وقل نفوذهم فان قوة الاسلام لا تزال مبثوثة في نفوسهم . وعزته لا تزال شعارا لهم . وروحه التي بعثها فيهم لا تزال حية نامية لا تزيدها الحوادث والمصائب الا قوة وصلابة . ولا تكسبها تقلبات الدهر ونوائبه الا شدة أمل فيما وعد الله به عباده المؤمنين . فكل من يحاول اطفاء هذا النور وطمس هذا الشعور فانما يحاول العبث الذي لا يرجع منه بطائل . ومن اجل ذلك ترى المسلم الصادق في ايمانه وعقيدته يتسامح في كل شيء الا في العبث بدينه

والاستهزاء به ٠ فهو عند ذلك ينقلب اسداً هصوراً لا يصده ضاد عن مقاومة من يريد العبث والاستهزاء بدينه مهما كان سلاحه ومهما كانت قوته ٠ فلا يتعجب حينئذ من اهتزاز المسلمين في جميع اقطار الارض مما وقع في مدينة طرابلس الغرب عند ما زارها زعيم ايطاليا السنيور موسوليني في اوائل شهر المحرم المنصرم من العبث والاستهزاء بكلمة الاسلام ٠ فقد علم القراء تفاصيل تلك الرحلة وماجرى فيها من مظاهر الاجلال والتعظيم المتجاوزين حد الوصف ٠ وما كان لنا ان نتعرض لهذه المظاهر التي من شانها ان تقع لكل رجل عظيم يزور بلاداً تحت امرته ونفوذه ٠ ويتسيطر عليها تسيطر الامير على رعيته فذلك امر معتاد لاغرابة فيه ٠ وانما الذي دعانا للتعرض لهذه الرحلة هو الناحية الدينية الاسلامية فقد كان من جملة ماوقع في ذلك الاحتفال ان اهدي للدوتشي سيف اطلقوا عليه (سيف الاسلام) ثم لقبوه بعد ذلك او لقب نفسه بـ(حامي الاسلام) فيالله لهذا الاسلام الذي وصل به ضعف بنيه وتغلب الغير عليهم الى ان يعبث به الى هذا الحد ٠ تخرج عائلة قرملي بطرابلس سيفا من مخلفات أجدادها لم يشهر ولايوما واحداً في سبيل الدفاع عن الحق واعلاء كلمة الله ٠ ولم يستعمل ولامرة واحدة في أسترداد ما اغتصب من حقوق المسلمين ٠ ورد غائلة العدوان عنهم ٠ وليست له ادنى قيمة تاريخية اكثر من كونه سيفا كسائر السيوف التي يملكها الافراد او تباع في محلات التجارة ٠ ثم يوصف لمحض الرياء والتزلف بانه (سيف الاسلام) ثم يقدم للدوتشي في محفل رهيب فيحمله بيده ويلوح به في الفضاء متفاخراً مختالا ٠ متظاهراً بان الاسلام قد صار في قبضته ٠ مهلا ايها المسلمون ان الاسلام اليوم لا سيف له ـ نقول هذا والاسف يغمرنا من كل جانب ـ اذ لو كان للاسلام سيف لكان له من القوة والعزة مايكون حافظا له عن ان يقع في ايدي من لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ٠ ولا يحملون لابنائه رحمة ولا عطفا ٠ ولو وقع الاكتفاء بهذا لكان في الامر بعض تسلية ولكن وقع التجاوز الى ما هو اشد وانكى وهو وصف الدوتشي بانه (حامي الاسلام) فيالله لهذا الاسلام الذي وصل به ضعف بنيه وتغلب الغير عليهم الى ان يعبث به الى هذا الحد ٠ أين المؤسس الاعظم لهذه الشريعة صلى الله عليه وسلم ؟ أين خلفاؤه الراشدون؟ أين الخلفاء من بني امية وبني العباس في المشرق والمغرب؟ أين ملوك الاسلام على اختلاف العصور والازمان؟ أينكم يا خلفاء بني عثمان ٠ يامن رفعتم شأن الاسلام قرونا متطاولة ودافعتم عنه باموالكم وجنودكم وكنتم

في صراع متواصل ونزاع لاينقطع مع دول تألبت عليكم واحكمت ضع البرامج لمحق اسمكم من الوجود . فكنتم متغلبين حينا ومغلوبين احياناً . ثم جاء رجل من صغار جندكم واتباعكم تربى في نعمائكم . وارتفع ذكره تحت لوائكم . فشفى صدور اعدائكم . ونكل بكم اشد تنكيل . وانكر جميلكم . وطمس مآثركم وشتت شملكم وشرد خليفتكم وخلفكم في انحاء الارض فانهار بذلك آخر معقل من معاقل الاسلام . واندك آخر حصن من حصونه . واضمحلت تلك القوة المعنوية . وذلك الجلال الالاهي العظيم الذي كان يحس به كل مسلم وكان يتجدد ذكره في كل يوم جمعة عند ما تضج جوامع المسلمين بدعاء الايمة للخليفة الاعظم . أين هؤلاء جميعا ؟

اتى على الكل امر لا مرد له حتى قضوا فكان القوم ما كانوا!
وصار ماكان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان
فجائع الدهر انواع منوعة وللزمان مسرات واحزان
وللحوادث سلوان يسهلها وما لما حل بالاسلام سلوان

اللهم لا حامي للاسلام الا انت تباركت قدرتك وجلت عظمتك .

ما اكبره من وصف . وما اروعها من كلمة: (حماية الاسلام) . ان للاسلام ربا يحميه . وابناء لوعملوا بما وضعه لهم الاسلام من قواعد . وماسنه لهم من شرائع ولو دخل الاسلام في قلوبهم حقيقة وتغلغل في ضمائرهم لبقيت للاسلام صولته ومهابته . ولبقي اسمه تخر له الجبابرة وتهتز عند ذكره القياصرة . ولكنهم فرطوا في جميع ماجاء به الاسلام من قواعد لتنظيم الحياة . واهملوا ما احتوى عليه من المبادي التي تكفل سعادة الحياة بنوعيها وتعلقوا بالاسلام من ناحية العقيدة . وتباعدوا عنه من ناحية العمل . فحقت عليهم كلمة العذاب (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) . ان المسلمين لم يبلغ عددهم في وقت من الاوقات مثلما بلغ في زماننا هذا . وانهم لم يصلوا فيماسبق الى درجة من الضعف والانحلال مثل التي وصلوا اليها اليوم . فماهو السر في ذلك؟ السر في ذلك ظاهر . وهو ان الرقي الذي وصل اليه المسلمون فيما سبق . والعزة القعساء التي رفعوا بها رؤوسهم الى السماء ودوخوا بها العوالم لم يكن سببها كثرة عددهم ولا قوة عددهم . وانما سببها قوة العقيدة ورسوخ الايمان . والسير في كل الحركات والاعمال على مقتضى شريعة الاسلام . فسادوا بسبب ذلك . ورفعوا كلمة الله في جميع الاقطار

وملؤا الدنيا عدلا وامانا . وفتحوا من الممالك بذلك العدد القليل وفي ذلك الزمن القصير ماترك افكار الباحثين عن التاريخ في حيرة للوصول الى سبب ذلك وعلته . ثم خلف من بعدهم خلف ضعفت فيهم قوة الايمان وتركوا العمل بتعاليمه الباهرة و تفشت فيهم المناكر . وانقادوا للشهوات . واستفحلت فيهم الاغراض والاحقاد . وتوجهوا لغير الله . وكفروا بانعم الله . فوصلوا الى ماهم عليه من المذلة والهوان . والتقاطع والتدابر والخذلان . وصاروا عبيداً بعد ان كانوا سادة . ومنقادين بعد ان كانوا قادة :

ورثنا المجد عن اباء صدق اسأنا في ديارهم الصنيعا
اذا الحسب الرفيع تواكلته بناة السوء اوشك أن يضيعا

نعم اوشك ان يضيع حقيقة والا فبماذا نفسر خلع لقب (حامي الاسلام) على زعيم ايطاليا الفاشيستية . ذلك اللقب الذي كنا نعد من المبالغة اطلاقه على خلفاء الاسلام وامرائه ثم نطلقه على رجل بطبيعة عقيدته وجنسيته ومباديه السياسية لايمكن ان يكون حاميا للاسلام . لو كان غرضنا من هذه المقالة ان نتعرض للناحية السياسية لذكرنا القراء بحوادث (الجبل الاخضر) واجلاء الطرابلسيين عن ديارهم وتشريدهم عن اوطانهم . وحشر ثمانين الفا منهم في حضيرة مسيجة بالاسلاك الشائكة . وهتك حرمة الاسلام ودوس المصاحف في المساجد والزوايا فان التاريخ لا ينسى . ولكن ما لنا ولهذه المآسي والتذكير بها . فلعل الدوتشي قد أدرك اليوم خطأ تلك السياسة الهوجاء . وذلك المركب الوعر الذي ركبه من قبل . وأراد ان يتدارك مامضى بالاحسان لاهل طرابلس اولئك العرب الامجاد . وأراد ان يمد لهم يد المساعدة وياخذهم بالرفق واللين . بعد ما رأى ان سياسة الضغط والشدة لا تنتج شيئا . وبعد ما رأى ان الدول الاستعمارية الكبرى قد غيرت سياستها مع الشعوب الاسلامية التي تحت كفالتها وابدت نحوها من العطف والمجاملة وصدق اللهجة ما اقتضته طبيعة الاحوال . بعد ما افادتها تجربة الاعوام الطويلة التي قضتها مع الشعوب الاسلامية : أن المسلمين امة لها من مجادة التاريخ . ورفعة العقيدة وسمو الافكار . والاعتزاز بالنفس ما يستحيل معه اخذهم بالشدة والعنف والقهر والغلبة . وان تلك السياسة لا تجلب الا سوء النية . واستعجال الاحقاد . ونمو البغض في النفوس . بخلاف سياسة الرفق واللين . وفتح ابواب المفاهمة . وحسن الاصغاء لما يقدم من المطالب والاقتراحات . فان ذلك من شانه

أن يزيل تلك الاحقاد كلها • و يجعل تلك الامم تعيش مع الشعوب الاسلامية في هناء و رغد عيش

ومراد النفوس احقر من أن تتعادى فيه وان تتفانى

قلنا لعل الدوتشي بعد ما شاهد ذلك كله - وهو من دهاة السياسة - اراد ان يسلك ذلك مع الشعب الطرابلسي المجيد • ويؤيد ذلك التصريحات التي أجاب بها زميلنا الاستاذ تيسير ظبيان الكيلاني صاحب مجلة (الجزيرة) التي تصدر بدمشق عن الاسئلة التي القاها عليه • فقد كان من جملة تلك التصريحات :(ان الدوتشي سيصدر عفوا عاما عن المبعدين الطرابلسيين و السماح لهم بالعودة الى طرابلس و اعادة ممتلكاتهم الا الممتلكات التى حجزت وقدمت للبلديات لتوزيع ايراداتها على الاعمال الانسانية و الخيرية •

ومن جملتها قوله (لقد اعطينا للمسلمين في الحبشة الحرية الدينية الكاملة) و الدوتشي بهذا الصنيع الجميل • وبهذه السياسة الرشيدة التي أراد ان يسلكها جدير بان يثنى عليه ويشكر كما يشكر كل من كان ظالما فكف عن الظلم • او مخطئا فرجع الى الصواب • اما كونه يستحق بذلك ان يخلع عليه وصف (حامي الاسلام) • فلا • فان للاسلام ربا يحميه ويذود عن حماه ويحفظ بنيه • وواجب على كل من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ان لا يتلاعب بدينه لى هذا الحد وان يكون له من المروءة وعزة النفس ما يحول بينه وبين جعل الدين ءالة يتوصل بها لنيل اغراضه • وقضاء شهواته • ثم ان استياءنا مما جرى في هذا الاحتفال لم يقف عند هذا • ولم ينته بهذه المهزلة • بل قد وقفنا على شيء آخر زادنا كمدا وحزنا وهو تصريحات رجال الشرع في طرابلس بخطب تخجل منها المروءة والانسانية والدين • فقد وقفنا على خطبتين القى احداهما قاضي طرابلس الشيخ محمود بورخيص • والقى الاخرى قاضي زليطن[٢] • فاما قاضي طرابلس فانه القى خطبته بين يدي الدوتشي عند ما ذهب الى جامع فرجي بمحضر الايمة والمدرسين ورجال الشرع

وقد افتتحها بقوله (انني بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن رجال الشرع الشريف اقدم لكم خير تحية وقلوبنا مفصحة بالولاء والاخلاص • والسنتنا لاهجة بالدعاء • وعيوننا

(٢) نشرت الخطبتان بنصهما الاصلي في جريدة (الزهرة) الغراء في عددها المؤرخ بيوم ١٤ محرم سنة ١٣٥٦

مقصور نظرها عليك لا تبصر غيرك) • فاي شرف واي ايمان يبقـى لرجل يصرح بصيغة النصر التي لم يكتف فيها بالمفهـوم بل أكدها بالمنطوق فانه قد صرف نظرة عن الله• ولم يبق له فيه امل ولا رجاء . وانه حصر امله ورجاءة في عبد من عبادة ولو كان من اقوى المسلمين ايمانا واكثرهم نفعا . ثم لم يكتف الشيخ بذلك بل زاد ما هو ابلغ في النكاية فقال (. . . • بحيث حق لنا ان نعد انفسنا من السعداء ان نعيش في ظل العلم المثلث اللون المجيد . وتحت حاكم الفاشيزم المبجل السعيد) • ونحن ليس لنا الا ان نقدم تهنئتنا لهذا الشيخ على السعادة التي احاطت به من كل جانب و كان سببها استظلاله بالعلم المثلث • ورضوخه لسيطرة حاكم الفاشيزم)• ثم زاد بعد ذلك قوله :(و انى لنا ان ننسى كل ما ايدت به الاسلام من قول وفعل في عدة مواقفك السياسية الدولية المشهورة فحزت بذلك اجماع اربعمائـة مليون من المسلمين على تحبـيذ عملك هـذا ونلت عطفهم الشديد)• وهذا يعد من الشيخ ازدراء واستهزاء بعموم المسلمين و تقول عليهم ما لم يقولوة وحاشاهم ان يقولوة• وهل من الامانة وحسن الايمان ان تعبر عن فكر اربعمائة مليون فتحكي اجماعهم على تاييدك فيما قلته مع اننا نعلم ان الكثير من مواطنيك ناقمون عليك منتقدون سلوكك • فكيف تبيح لنفسك ان تعبر عن فكرة الف مسلم فضلا عن اربعمائة مليون ثم تذكر الشيخ قول الله تعلى (ادعوني استجب لكم) فختم خطبته ـ وهو في بيت من بيوت الله لا ينقصه الا الوقوف على المنبر ـ بالدعاء والابتهال الى الله فقال (فما لنا الا ان نرفع اكف الدعاء الى الله عز وجل ان يديم ايامك نصراً واعتزازاً • وان يزيد على الدوام ايطاليا الفاشيستية قوة وشوكة في العالم)•

ثم توسل الى الله برحمته ان يجيب دعواته فقال: (اللهم استجب دعاءنا هذا برحمتك يا ارحم الراحمين)• ونحن نستعيذ بالله من هذا التلاعب بالدين ومن هذا العبث الذي لم تقع اعيننا على مثله لا من المتقدمين ولا من المتأخرين•

واما قاضي زليطن فانه القى خطبته عند ما زار الدوتشي زاوية سيدي عبد السلام الاسمر رضي الله عنه وكان ذلك بمحضر مشايخ الزاوية وغيرهم• ولم يفته ان يـفتتح خطابه بالبسملة لانه من الامور ذات الشان • ثم نوة بشان زيـارة الدوتشي لطرابلس وانها تنورت بقدومه وطوق جيدها بشرف تباهي به مدى الازمان• ثم استنتج من زيارته

لهذا الضريح المقدس انه يدل (على مشاركته للمسلمين في تعظيم صاحبه)٠ ولسنا ندري بعد هذا التعظيم هل دخل الدوتشي في الطريقة ووقف قليلا في حلقة الذكر والانشاد وشارك في الميعاد . ولعل الشيخ وقع له سهو عن ذكر ذلك ٠ ثم نوه بشأن (الثريا البديعة التي اراد الدوتشي تقديمها لتنوير مقام شيخنا وقدوتنا سيدي عبد السلام الاسمر بها) ثم قال (وبوسعي ان أؤكد لك ان اثرها سيتعدى هذه الحجرة وانها ستنير دائما قلوبنا المملوءة بمحبتك لنا وبالاخلاص لايطاليا التي جدد مجدها الباذخ بفكرتك النيرة٠ وعزيمتك الماضية). ونحن نقول ان الشيخ عبد السلام رضي الله عنه لو كان يعلم ان مثل هذا الكلام سيقال عند ضريحه٠ وسينطق به واحد من اتباعه ومريديه لهاجر من بلاد طرابلس واختار ان يموت غريقا في البحر. او غريبا في الصحراء. مايلهج احد بذكره. ولا يهتدي احد الى قبره ثم ختم الشيخ خطابه بكبيرة الكبائر. ووقع في عثرة لا لعالها[1] حيث قال (ونسال الله ان ياخذ بيدك لا تمام هذا الصرح الشامخ. ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) . فكان الشيخ لم يكتف بما وقع فيه سابقا من الترهات والاباطيل. فاراد ان يسجل افظع نوع من انواع الضلال. وهو العبث بكتاب الله فهو يتضرع الى الله ان ياخذ بيد الدوتشي. ثم يطبق عليه آية من القرآن مدعيا انه مما يدخل في عمومها. وهي قوله تعلى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

ونحن نقول: ماكان اغنى هذا الشيخ عن الدخول في هذا المأزق الحرج. وما كان اغناه عن الوقوف هذا الموقف الشائن الذي يحط من كرامة العلم والعلماء ويصيرهم سخرية بين الناس ٠ والا فأي داع لتطبيق آيات القرآن في هذا المقام. وتحريفها عن موضعها، وحملها على معنى يعتقد الشيخ نفسه انها مناقضة له، وواردة في نقيضه ، أغفل عما ورد من الايات في انذار من يحرفون الكلم عن مواضعه. وعما أعده الله من العقاب لمن يتلاعب بدينه ويتخذه هزؤا وسخرية ؟ وبعد فان هذين الشيخين ـ غفر الله لهما ـ قد اساءا للاربعمائة مليون مسلم بصفة عامة، ولعلماء الدين منهم بصفة خاصة بخروجهما عن الجادة وركوبهما متن الشطط وعدم التأمل في العواقب، والا فانهما قد كانا في حل مما وقعا فيه لو اقتصرا على الترحيب بالضيف وتقديم التحية اليه، من غير هذه المبالغات الفاحشة والاستشهادات

(١) يقال عثرة لالعالها اي عثرة لا مخلص منها ولا يقال صاحبها وهو مثل

القرآن الكريم

المقدمة الرابعة في غاية المفسر من التفسير

(٢)

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

فغرض المفسر بيان ما يصل اليه او ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن او يتوقف عليه فهمه اكمل فهم او يخدم المقصد تفصيلا وتفريعا كما اشرنا اليه في المقدمة الاولى مع اقامة الحجة على ذلك ان كان به خفاء او لتوقع مكابرة من معاند او جاهل. فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك ان يعرف على الاجمال مقاصد القرآن مما جاء لاجله ويعرف اصطلاحه في اطلاق الالفاظ وللتنزيل اصطلاح وعادات وتعرض صاحب الكشاف الى شيء من عادات القرآن في متناثر كلامه في تفسيره. فطرايق المفسرين للقرآن ثلاثة اما الاقتصار على الظاهر من المعنى الاصلي للتركيب مع بيانه وايضاحه وهذا هو الاصل . واما استنباط معان من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ او المقام ولا يجافيها الاستعمال ولا مقصد القرآن وتلك هي مستنبعات

المخجلة. والتساهل بالدين والعبث به . والترفع به عن الابتذال والامتهان، فان للمجاملة عند العقلاء حداً لا تتعداه، ومنطقة لا تتجاوزها، والله تعلى قد جعل العزة لنفسه ولرسوله وللمؤمنين بنص كتابه المبين فكيف يحل لمؤمن ان يتنازل عن هاته المنزلة الرفيعة التى كتبها الله له، وجعله اهلا لها، اللهم انا نسئلك هداية تهدي بها قلوبنا، وتفتح بها بصائرنا، وان تملا نفوسنا من خشيتك ورهبتك، وتعفو عنا بلطفك ورحمتك، اللهم انا لا ننظر الا اليك ، ولا نترقب الخير الا منك، ولا نقف الا ببابك. فحقق رجاءنا واسمع نداءنا

(وجعلوا لله شركاء قل سموهم، ام تنبؤنه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول، بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد)

محمد المختار بن محمود

التراكيب وهي من خصائص اللغة العربية المبحوث عنها في علم البلاغة ككون التاكيد يدل على انكار المخاطب وكفحوى الخطاب ودلالة الاشارة واحتمال المجاز مع الحقيقة . واما ان يجلب المسايل ويبسطها لمناسبة بينها وبين المعنى اولان زيادة فهم المعنى متوقف عليها او للتوفيق بين المعنى القرآني وبين بعض العلوم مما له تعلق بمقصد من مقاصد التشريع لزيادة تنبيه اليه او لرد مطاعن من يزعم انه ينافيه لا على انها مما هو مراد الله من الآية بل القصد التوسع كما اشرنا اليه في المقدمة الثانية ففي الطريقة الثانية قد فرع العلماء وفصلوا في الاحكام وخصوها بالتاليف الواسعة وكذلك تفاريع الاخلاق والآداب التي اكثر منها حجة الاسلام الغزالي في كتاب الاحياء، فلا يلام المفسر اذا اتى بشيء من تفاريع العلوم مما له خدمة للمقاصد القرآنية وله مزيد تعلق بالامور الاسلامية . كما نفرض ان يفسر قوله تعالى « وكلم الله موسى تكليما » بماذكره المتكلمون في اثبات الكلام النفسي والحجج لذلك والقول في القرآن وما قاله اهل المذاهب في ذلك وكذا ان يفسر قوله تعالى في قصة موسى مع الخضر بكثير من آداب المعلم والمتعلم كما فعل الغزالي وقد قال ابن العربي أنه أملى على هاته القصة ثمانمائة مسألة وكذلك تقرير مسائل من علم التشريح لزيادة بيان قوله تعالى في خلق الانسان « من نطفة ثم من علقة » الآيات فانه راجع الى المقصد وهو مزيد تقرير عظمة القدرة الآلهية . وفي الطريقة الثالثة تجلب مسائل علمية من علوم لها مناسبة بمقصد الآية اما على ان بعضها يومي اليه معنى الآية ولو بتلويح ما كما يفسر احد قوله تعالى « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » فيذكر تقسيم علوم الحكمة ومنافعها مدخلا ذلك تحت قوله خيرا كثيرا فالحكمة وان كانت علما اصطلاحيا وليس هو تمام المعنى للاية الا ان معنى الآية الاصلي لا يفوت وتفاريع الحكمة تعين عليه وكذلك ان ناخذ من قوله تعالى « كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » تفاصيل من علم الاقتصاد السياسي وتوزيع الثروة العامة ويعلل بذلك مشروعية الزكاة والمواريث والمعاملات المركبة من رأس مال وعمل على ان ذلك تومي اليه الآية ايماء وان بعض مسائل العلوم قد تكون اشد تعلقا بتفسير اي القرآن كما نفرض مسألة كلامية لتقرير دليل قرآني مثل برهان التمانع لتقرير معنى قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » وكتقرير مسالة المتشابه لتحقيق معنى نحو قوله تعالى « والسماء بنيناها بأيد » فهذا كونه من غايات التفسير واضح وكذا قوله تعالى « او لم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » فان القصد منه الاعتبار بالحالة المشاهدة فلو زاد المفسر ففصل تلك الحالة وبين اسرارها وعللها بما هو مبين في علم الهيئة كان قد زاد المقصد خدمة واما على وجه التوفيق بين المعنى القرآني وبين المسائل الصحيحة من العلم حيث يمكن الجمع واما على وجه الاسترواح من الآية كما يؤخذ من قوله تعالى « ويوم نسير الجبال » ان فناء العالم يكون بالزلازل ومن قوله « اذا الشمس كورت الآية ان نظام الجاذبية يختل عند فناء العالم وشرط كون ذلك مقبولا ان يسلك صاحبه

مسلك الايجاز فلا يجلب الا الخلاصة من ذلك العلم ولا يصير الاستطراد كالغرض المقصود له لئلا يكون كقولهم الشيء بالشيء يذكر . وللعلماء في سلوك هذه الطريقة الثالثة على الاجمال آراء فاما جماعة منهم فيرون من الحسن التوفيق بين العلوم غير الدينية وءالاتها وبين المعاني القرآنية ويرون القرآن مشيرا الى كثير منها قال ابن رشد الحفيد في فصل المقال « اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل والسبب في ورود الشرع بظاهر وباطن هو اختلاف نظر الناس وتباين قرائحهم في التصديق . وتخلص الى القول بان بين العلوم الشرعية والفلسفية اتصالا . والى مثل ذلك ذهب قطب الدين محمود الشيرازي في شرح حكمة الاشراق وهذا الغزالي والامام الرازي وجمهور المحققين صنيعهم يقتضي التبسط وتوفيق المسائل العلمية بشرط ان تخرج عن الصلاحية اللفظية فقد ملاوا كتبهم من الاستدلال على المعاني القرآنية بقواعد العلوم الحكمية وغيرها وكذلك فعل الفقهاء في كتب احكام القرآن . وكذلك كان ابن جني والزجاج وابو حيان قد اشبعوا تفاسيرهم من الاستدلال على القواعد العربية ولا شك أن الكلام الصادر من علام الغيوب تعلى وتقدس لا تبنى معانيه على فهم طائفة واحدة ولكن معانية تطابق الحقائق وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكانت الآية لها اعتلاق بذلك فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت اليه افهام البشر وبمقدار ما ستبلغ اليه ذلك يختلف باختلاف المقامات ويبنى على توفر ءالات الفهم وشرطه ان لا يخرج عما يصلح له اللفظ عربية ولا يبعد عن الظاهر الا بدليل ولا يكون تكلفا بينا ولا خروجا عن المعنى الاصلي حتى لا يكون في ذلك كتفاسير الباطنية واقوال المهوسين

وذهب جماعة منهم الشاطبي انه لا يصح في مسلك الفهم والافهام الا ما يكون عاما بجميع العرب فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه . وقال في المسألة الرابعة من النوع الثاني : ما تقرر من امية الشريعة وانها جارية على مذاهب اهلها وهم العرب تنبني عليه قواعد منها ان كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فاضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين او المتأخرين من علوم الطبيعات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف واشباهها وهذا اذا عرضناه على ما تقدم لم يصح فان السلف الصالح كانوا اعلم بالقرآن وبعلومه وما اودع فيه ولم يبلغنا انه تكلم احد منهم في شيء من هذا سوى ما ثبت فيه من احكام التكاليف واحكام الآخرة نعم تضمن علوما من جنس علوم العرب وما هو على معهودها مما يتعجب منه أولو الالباب ولا تبلغه ادراكات العقول الراجحة الخ » وهذا مبني على ما اسسه من كون القرآن لما كان خطابا للاميين وهم العرب فانما يعتمد في مسلك فهمه وافهامه على مقدرتهم وطاقتهم وان الشريعة امية وهو اساس واه وباطل لوجوه احدها ان ما بناه عليه يقتضي ان القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال الى حال وهذا باطل لما قدمناه قال تعالى « فتلك من انباء

الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا » الثاني ان مقاصد القرآن راجعة لعموم الدعوة وهو معجزة باقية فلا بد ان يكون فيه ما يصلح لان تتناوله افهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم العالية . الثالث ان السلف قالوا انه لا تنقضي عجائبه يعنون معانيه ولو كان كما قال الشاطبي لانقضت عجائبه بانحصار انواع معانيه . الرابع ان من تمام اعجازه ان يتضمن من المعاني مع ايجاز لفظه ما لم تف به الاسفار المتكاثرة . الخامس ان مقدار افهام المخاطبين به ابتداء لا يقتضي الا ان يكون المعنى الاصلي مفهوما لديهم . فاما ما زاد على المعاني الاساسية فقد يتهيأ لفهمه اقوام وتحجب عنه اقوام . السادس ان عدم تكلم السلف ان كان فيما ليس راجعا لمقاصده فنحن نساعد عليه وان كان فيما يرجع لمقاصده فلا نسلم وقوفهم فيها عند ظواهر الآيات بل قد بينوا وفصلوا وفرعوا فكان ذلك في بعض علوم عنوا بها ولا يمنع ذلك ان نقفي على آثارهم في علوم اخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية او لبيان سعة العلوم الاسلامية اما ما وراء ذلك فان كان ذكره لايضاح المعنى فذلك تابع للتفسير ايضا لان العلوم العقلية انما تبحث عن احوال الاشياء على ما هي عليه وان كان فيما زاد على ذلك فذلك ليس من التفسير ولكنه تكملة للمباحث العلمية واستطراد في العلم لمناسبة التفسير ليكون متعاطي التفسير اوسع قريحة في العلوم

وذهب ابن العربي في العواصم الى انكار التوفيق بين العلوم الفلسفية والمعاني القرآنية ولم يتكلم على غير هاته العلوم وذلك على عادته في تحقيرها لاجل ماخولطت به من الضلالات وهو مفرط في ذلك مستخف بالحكماء والعقلاء وكذلك كان شان فقهاء الاندلس في عصره . وسكت عن غيرها وذكر في مواضع انه أملى خمسمائة مسألة على سورة نوح وثمانمائة على قصة موسى والخضر فدل على انه لا يمنع التفريع والتوفيق في غير العلوم الفلسفية . وأنا انصر اهل الرأي الاول واقول ان علاقة العلوم بالقرآن على اربعة مراتب الاولى علوم تضمنها القرآن كاخبار الانبياء والامم وتهذيب الاخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة . الثانية علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيئة وخواص المخلوقات . الثالثة علوم اشار اليها او جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الارض والطب والمنطق . الرابعة علوم لا علاقة لها به اما لبطلانها كالزجر والعيافة والميثولوجيا . واما لانها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي .



الزكاة

قال الله تعلى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

نزلت الآية الكريمة في السنة الثانية من الهجرة النبوية وهي السنة التي شعشع فيها نور الاسلام بما تتابع فيها من نزول ءايات الاحكام وذكر المفسرون في سبب نزولها وارتباطها بالآية التي قبلها وهي قوله تعلى(وءاخرون اعترفوا بذنبهم خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) ان ثلاثة من الانفار الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهم ابو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة ابن حزام لما ندموا عما وقع منهم أوثقوا انفسهم على سواري المسجد وأقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قدم النبيء صلى الله عليه وسلم من غزوته الى المدينة ودخل المسجد ورءاهم على تلك الحالة سأل عنهم واخبر بخبرهم فقال وانا أقسم اني لا احلهم حتى أومر فيهم فنزل قوله تعلى وآخرون اعترفوا بذنبهم الآية فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق بها وطهرنا فقال صلى الله عليه وسلم ما أمرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزل قوله تعلى خذمن اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها الآية فاخذ منهم صلى الله عليه وسلم بعض اموالهم وتصدق بها واستدل اكثر الفقهاء بالاية المذكورة على ايجاب الزكاة ولا منافات بين عموم الحكم وخصوص السبب وسميت هاته الصدقة في لسان الشرع بالزكاة التي هي في اللغة النمو ترغيبا في القيام بها اذ الانفس البشرية مجبولة على حب المال وما ينميه وهي من النظم الجليلة التي تدفع عن الاغنياء رذيلة الشح وتعين على ابواب من البر في مصلحة مجموع الامة ومن نظر في تعدد مصارفها استيقن بانها الحبل المتين والساعد المعين لربط الجامعة الاسلامية والوحدة القومية وقدكان للعرب في جاهليتهم نظام فيما ينتج لهم من الحرث والانعام فيجعلون منه نصيبا لله يوزع على الفقراء ونصيبا للاوثان يصرف لسدنتها والقائمين بأمرها ولكن كان اهتمامهم بالمحافظة على ما جعلوه للاوثان اشد واعتناؤهم به اتم مما يجعلونه لله كما خبر الله تعلى عنهم بقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون فجاءت الشريعة السمحة في الزكاة بهذا النظام الحكيم المرتكز على دعائم البر مبينة بالقرءان العظيم مقدار الزكاة وهو البعض وما تجب فيه ووقته اجمالا على ما تشير اليه آية خذ من اموالهم صدقة

وقوله تعلى كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده وتفصيلا بالسنة النبوية قولا وفعلا قال تعلى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ولو جاء القرآن بتفصيل كل شيء لضاقت به الصدور والسطور. ولما كان الخطاب بأخذ الزكاة في الآية الكريمة متوجها اليه صلى الله عليه وسلم تولى بنفسه أخذها من الاموال الظاهرة كالانعام والحرث ومن الاموال الخفية كالنقود وعروض التجارة فياتون بها اليه ويدعو لاربابها كما ورد في الحديث أن بني ابي اوفى لما أتوه بالصدقة قال اللهم صل على ءال ابي اوفى عملا بقوله تعلى وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم اي تسكن اليها نفوسهم وتطيب بها قلوبهم ومن هنا كان ينبغي للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق كما ورد فيقول ءاجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت . ويضعها صلى الله عليه وسلم في مصارفها التي جاء بها قوله تعلى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم. ويوزعها عليهم باجتهاده المصيب صلى الله عليه وسلم ولما انتشر الاسلام في السنة التاسعة ارسل صلى الله عليه وسلم السعاة لاخذها رفقا بامته وقال لمعاذ ابن جبل رضي الله عنه لما ارسله واليا على اليمن خذها من اغنيائهم واقسمها على فقرائهم واستنبط ابو حنيفة من هذا الحديث ان الفقير الذي يكون مصرفا للزكاة هو من لا يملك نصابا وهو مائتا درهم او قيمتها فاضلا عن قوته وقوة اهله زائدا عن حوائجه الاصلية لانه صلى الله عليه وسلم جعل في الحديث الناس على قسمين اغنياء وفقراء والغني من يملك النصاب والفقير من لا يملكه ولا واسطة بينهما وكره اخراج زكاة اهل بلدة فيها فقراء واعطاءها لفقراء بلد آخر الا اذا كان فيهم ذو قرابة للمتصدق كما كره ان يعطى نصاب لفقير واحد لانه يصير به غنيا الا في خلاص دين عليه. واستمر عمل الولاة في خلاص الزكاة عن الاموال الظاهرة والخفية في مدته صلى الله عليه وسلم ومدة خليفتيه ابي بكر وعمر وصدرا من خلافة عثمان رضي الله عنهم ولما كثرت الاموال واتسعت الارزاق بما فتح الله به على المسلمين من الممالك رأى سيدنا عثمان ان في تتبع الاموال الخفية حرجا على اربابها اذ من شانها ان تكون مخبوءة في الدور والحوانيت وربما تنشا عن تتبعها مفاسد درؤها اولى وكان عمر بن الخطاب يقول لعماله لا تنبشوا على الناس اموالهم فاوكل عثمان صدقتها لاربابها وخطب في الناس وقال ان هذا الشهر شهر زكاتكم فمن كان منكم عليه دين فليقضه ثم يؤد زكاة ما بقي ان كان نصابا وذلك بعد مفاوضة الصحابة واجماعهم على ما رأى رضي الله عنه فكانت ارباب الاموال الخفية كالوكلاء عن الامام في ذلك القدر وبما ان الوكالة لا تبطل حق الموكل في المطالبة قال ابو حنيفة رضي الله عنه اذا علم الامام بأناس لا يؤدون الزكاة طالبهم بها واذا انتفت تهمة الترك فليس له حق المطالبة لمخالفته لما انعقد عليه الاجماع واما زكاة الاموال الظاهرة كالانعام والحرث فبقي الحق في خلاصها وصرفها في مصارفها للامام خاصة حتى لا يصدق من وجبت عليه في ادعاء اخراجها لغير الامام هذا

ولا تجب الزكاة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانهم لا ملك لهم مع الله تعلى وما في ايديهم ودائع يبذلونها في اوان بذلها ويمنعونها عن غير محلها والى هذا يشير حديث نحن معاشر الانبياء لا نورث وما تركناه صدقه وتحمل عليه معارضة سيدنا ابي بكر رضي الله عنه لسيدتنا فاطمة لما طلبت ميراثها مم تركه صلى الله عليه وسلم من الحيطان بالمدينة وان الخليفة الثاني لما سلمها الى سيدنا علي رضي الله عنهما امره بان يتولى صدقتها فيما يراه. واما قوله تعلى في حق عيسى عليه السلام واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا فالمراد منه والله اعلم زكاة النفس من الرذائل التي لا تليق بمقام الانبياء عليهم السلام لا زكاة الاموال وعليه فتكون الوصية جامعة بين عبادة الله المرادة من الصلاة وصيانة النفس عما يشينها. هذا وقد اختلف مالك وابو حنيفة رضي الله عنهما في سبب ايجاب الزكاة فذهب الامام مالك الى ان السبب الموجب هو ملك النصاب الحولي وذهب ابو حنيفة الى ان السبب هو ملك النصاب فقط والحول تاجيل لوجوب الاداء وكأن السر في ذلك ان يكون ما يدفعه المزكي مما يستفيده لا من رأس المال ويتفرع على قول ابي حنيفة رضي الله عنه صحة تعجيل الزكاة ممن يملك النصاب قبل مضي الحول بشرط النية عند الدفع للفقير او عزل ما يريد اعطاءه للفقراء عن ماله ودفعه لهم شيئا فشيئا بقدر الحاجة قال في الهداية وان قدم الزكاة على الحول وهو مالك للنصاب جاز ويجوز التعجيل لاكثر من سنة وقال ابن الهمام في شرحها ويجوز لنصب ان كان في ملكه نصاب واحد لان النصاب الاول هو الاصل في السببية والزائد عليه تابع له انتهى وهي رخصة عظيمة في سد خلة الفقراء في سني المجاعة التي تعتريها احكام لا تكون لغيرها فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا قطع في عذق ولا عام سنة اي شدة لشبهة المجاعة والحدود تدرأ بالشبهات. وقد بنى صاحب المحبية على صحة تعجيل الزكاة قبل تمام الحول قوله :

اجرى على قريبه المحتاج ما يكفيه كل العام قال العلما

يجزيه ان من الزكاة دفعه وانه اوقع ذاك موقعه

والقريب من ليس باصل ولا فرع كالاخ وابن العم فيصح اجراء النفقة عليه من الزكاة المعجلة ولو مياومة بشرط ملكية المنفق للنصاب والنية عند الدفع او عزل ما يريد انفاقه عليه وتمليكه له ولا يكفي اباحة الطعام له وان لا يقضي القاضي بوجوب نفقته عليه الا ان يكون ما يدفعه له زائدا عما قدر له ولا يلزم اعلام المتصدق عليه بانه من الزكاة واشار بقوله وانه اوقع ذاك موقعه الى ان التصدق عليه افضل من التصدق على غيره لانه صدقة وصلة رحم وقال النبيء صلى الله عليه وسلم في حديث زينب امراة عبد الله حين سالته عن صدقتها على عبد الله وايتام بني اخ لها في حجرها فقال لك أجران اجر الصدقة واجر القرابة . ومما ورد في فضيلة الزكاة ما حدث به بشير ابن الخصاصية رضي الله عنه قال اتيت النبيء صلى الله عليه وسلم ابايعه فقلت له غلام تبايعني يا رسول الله فمد رسول الله يده

فقال علي ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله وتصلي الصلوات الخمس المكتوبات لوقتها وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم وتحج البيت وتجاهد في سبيل الله فقلت يا رسول الله كلا لا اطيق أما إيتاء الزكاة فما لي الا حمولة اهلي وما يقومون به واما الجهاد فاني رجل جبان فاخاف ان تخشع نفسي فافر فأبوء بغضب من الله فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال يا بشير لا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة فقلت يا رسول الله ابسط يدك فبسط يده فبايعته عليهن . هذا وان الشارع كما حث على الصدقة الواجبة وبين فضيلتها في ايما آية وفي ايما حديث حث على صدقة التطوع وبين فضيلتها فقال تعلى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون . لما نزلت الآية الكريمة انقسم الخلق بحكمة الله ومشيئته حين سمعوا هاته الآية اقساما فتفرقوا فرقا ثلاثة الاولى الرذلى قالوا ان رب محمد محتاج فقير الينا ونحن اغنياء فهذه جهالة لا تخفى على ذي لب فرد الله عليهم بقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء والفرقة الثانية آثرت الشح والبخل وقدمت الرغبة في المال فما انفقت في سبيل الله ولا اعانت احدا تكاسلا عن الطاعة وركونا الى هذه الدار ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم والفرقة الثالثة لما سمعت هاته الآية بادرت الى الامتثال بسرعة كابي الدحداح فقد روي عن زيد ابن سلم رضي الله عنه قال لما نزل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال ابو الدحداح فداك ابي وامي يا رسول الله ان الله يستقرض وهو غني عن القرض قال نعم يريد ان يدخلكم الجنة به قال فانا ان اقرضت ربي قرضا يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة قال نعم قال ناولني يدك فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال ان لي حديقتين احداهما بالسافلة والاخرى بالعالية والله لا املك غيرهما قد جعلتهما قرضا لله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل احداهما لله والاخرى دعها معيشة لك ولعيالك فقال اشهد يا رسول الله اني جعلت خيرهما لله تعلى وهو حائط فيه ستمائة نخلة قال اذا يجزيك الله به الجنة فانطلق ابو الدحداح حتى جاء ام الدحداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل فانشد يقول

هداك ربي سبل الرشاد — الى سبيل الخير والسداد
بيني من الحائط بالوداد — فقدمضى قرضا الى التنادي
اقرضته الله على اعتماد — بالطوع لامن ولا ارتداد
إلارجاء الضعف في الميعاد — فارتحلي بالنفس والاولاد
والبر لا شك خير زاد — قدمه المرء الى المعاد

قالت ام الدحداح ربح بيعك بارك الله لك فيما اشتريت واجابته ام الدحداح وانشدت تقول

بشرك الله بخير وفرح — مثلك ادى ما لديه ونصح
قد متع الله عيالي ومنح — بالعجوةالسوداءوالزهو البلح
والعبديسعىولهماقدكدح — طول الليالي وعليهمااجترح

ثم أقبلت ام الدحداح على صبيانها تخرج من افواههم وتنفض اكمامهم حتى افضت الى الحائط الآخر فقال النبيء صلى الله عليه وسلم كم في الجنة من عذق رداح ودار فياح لابي الدحداح .

(محمد الصادق المحرزي) الاستاذ بجامع الزيتونة

الحديث الشريف

باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه

— ٣ —

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز
جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

واما الاكتواء فثبت ان النبيء صلى الله عليه وسلم كوى سعد ابن معاذ في اكحله وكوى سعد بن زرارة وبعث الى ابي بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه وجاء عنه. من اكتوى او استرقى فقد بريء من التوكل(١) وجاء عنه. الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم او شربة عسل او كية بنار وأنهى امتي عن الكي. وجاء في حديث الصحيحين وما احب ان اكتوي وقد تضمنت هذه الاحاديث مع حديث الباب اربعة اشياء احدها فعله ثانيها عدم محبته ثالثها الثناء على من تركه رابعها النهي عنه ولا تعارض فيها بحمد الله ففعله يدل على الجواز وعدم محبته لا يدل على المنع والثناء على تاركيه يدل على ان تركه افضل والنهي عنه اما على سبيل الاختيار من دون علة او عن النوع الذي لا يحتاج معه الى كي . وقيل في الجمع ان المنهي عنه هو الاكتواء ابتداء قبل حدوث العلة والمباح هو الاكتواء بعد حدوث العلة . اذا علمنا ماورد في الرقية والكي فللعلماء في حمل حديث الباب المفيد مرجوحية الرقية والكي والمشعر بمنافاتهما للتوكل افهام وفي معنى الاسترقاء والاكتواء سائر انواع التداوي فحكى المازري عن الاقلين كراهة التداوي مطلقا لحديث الباب لكن غمز حجة الاسلام الغزالي هذا القول وعابه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى ولا يكون لغيره من الرسوخ في التوكل ما له قال وليس اعراض من اعرض من السلف عن التداوي لكون الترك أفضل بل لخواطر علقت بهم كالاشتغال بالعبادة عن العلاج او رؤية ان العلة مزمنة او توهم عدم نفع الادوية لقلة التجربة او فقدها او لنيل ثواب المرض او لخوف آفة الصحة او غير ذلك . والاكثر من العلماء على الجواز او عدم منافاة العلاج بجميع انواعه للتوكل وعليه ففي محمل الحديث اقوال الاول الرقى المذمومة واما الرقى بكتاب الله وبالكلام الطيب فليس مرجوحا بل سنة الثاني الرقى المأذون فيها فتركها افضل والحديث خارج لبيان اعلا درجات التوكل واحاديث فعل الرقى

---

(١) اخرجه احمد والترمذي وصححه

لبيان الجواز وهذا وان ذهب اليه الخطابي واختاره عياض فيظهر انه لا يستقيم مع تكرر الرقية من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشعر به حديث عائشة المتقدم اذ بيان الجواز لا يكون مع التكرر وانما يكون مع القلة وقد رقى جبريل عليه السلام رسول الله ورقته عائشة رضي الله عنها ولو كان مرجوحا لاشعرها وقد استشعر ابن الاثير ما اوردناه فتمحل لدفعه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اعلا مقامات العرفان ودرجات التوكل فكان ذلك منه للتشريع وبيان الجواز ومع ذلك فلا ينقص من توكله لانه كان كامل التوكل يقينا فلا يؤثر فيه تعاطي الاسباب شيئا بخلاف غيره ولو كان كثير التوكل فكان من ترك الاسباب وفوض واخلص ارفع مقاما. قلت يبعده حديث من استرقى او اكتوى فقد برىء من التوكل فانه يفيد المضادة لاصل التوكل لا للمراتب العلية منه. القول الثالث في الحديث حمله على من اعتقد نفع الادوية بطبعها كما كان اهل الجاهلية يعتقدون وقد ذهب الى هذا القول المازري والطبري وطائفة ورده القاضي عياض بان للسبعين الفا مزية على غيرهم وفضيلة انفردوا بها عمن يشاركهم في اصل الفضل والديانة ولو كان الامر على ما ذهب اليه المازري لم يبق لهم اختصاص لان عدم اعتقاد ذلك عند كل مسلم ومن اعتقد خلافه كفر. وقدسلم اعتراضه شراح مسلم ويظهر للعبد ان الاعتراض غير وجيه لان المزية في توكلهم ولهذا قيل وعلى ربهم يتوكلون ويكون الكلام على سبيل الترقي فيصير الحديث بمعنى لا يعتقدون تاثير الاسباب ولا يركنون اليها وانما ذكر الاسترقاء والاكتواء من بين سائر الادوية اهتماما بشانهما لما تاصل في نفوس الجاهلية من اعتقاد تاثيرهما ومما يرشح هذا ويرد اعتراض القاضي ذكر الطيرة معهما مع انها دائرة بين الكفر والحرمة على ما سياتي ان شاء الله

القول الرابع في الحديث حمله على من يجتنب فعل ذلك في الصحة خشية وقوع الداء واما من يستعمل الدواء بعد وقوع الداء فلا واليه ذهب الداودي. قلت ان سلم ظهور هذا الحمل في الاكتواء لما فيه من الاذاية ولما ينشأ عنه من الامر الفاحش فلايظهر في الاسترقاء لانه في معنى الدعاء الذي يشرع لدفع المكاره الحاصلة او المتوقعة . هذا ما يتعلق بالاسترقاء والاكتواء واما التطير فهو مصدر تطير وجاء المصدر على طيرة كتخير خيرة ولم يرد في المصادر على هذا الوزن غيرهما وجاء في الاسماء حرفان شيء طيبة اي طيب وتولة لضرب من السحر وقد تقدم تفسيرها قال الزجاج واشتقاق الطيرة اما من الطيران لان الانسان اذا تشاءم بشيء وكرهه تباعد عنه فشبه سرعة اعراضه عنه بالطيران او من الطير لانهم كانوا يتشاءمون ببعضها ويزجرونها فكانوا ينفرون الطير والظباء فان اخذت ذات اليمين تبركوا ومضوا لحاجتهم وان اخذت ذات الشمال نكصوا وتولوا عن سفرهم وحوائجهم ولما كان ذلك يصدهم في كثير من الاوقات عن المضي في مقاصدهم ابطل الشارع ذلك بقوله لا طيرة واخبر ان ذلك لا يجلب نفعا ولا يدفع ضرا وجاء في بعض الاحاديث الطيرة شرك اى اعتقاد انها تنفع او تضر بذاتها

شرك اذ لا فاعل الا الله تعلى وجاء في مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله اموراً كنا نصنعها في الجاهلية كنا ناتي الكهان قال فلا تأتوا الكهان قال قلت كنا نتطير قال ذلك شيء يجده احدكم في نفسه فلا يصدنكم قال الابي هذا نفي وابطال للطيرة بالبرهان وهو ابلغ فالمعنى لا تطيروا فان الطيرة لا وجود لها وانما هو شيء يوجد من قبل الظنون من غير ان يكون له اصل . وقد ظهر بما سقناه من الاحاديث ان اعتقاد التاثير بالذات فيما يتطير منه شرك وان التطير مع عدم اعتقاد التاثير بالذات حرام وعلل الشهاب القرافي الحرمة بانها سوء ظن بالله تعلى وحكى عن بعض العلماء انه سئل عن المتطير من شيء يفعله فيصيبه المكروه وغير المتطير يفعله فلا يصيبه اذى هل لذلك اصل في الشريعة فاجاب أصله قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وفي بعض الطرق فليظن بي خيرا والمتطير ظن الله يؤذيه عند فعل ما تطير منه واساء الظن بالله فقابله الله على سوء ظنه باذايته بما تطير به بخلاف غيره قال القرافي وضابط التطير المنهي عنه خوف الاذاية من فعل ما لم تجر العادة بانه سبب موذ سواء كانت العادة مطردة او اكثرية ويدل لهذا الضابط قوله في الحديث ذلك شيء يجده احدكم في نفسه اي ولا حقيقة له كما تقدم تفسيره

ومن تعليل الطيرة بما تقدم نعلم وجه مفارقة الفال لها وكراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم للطيرة وحبه للفال وقد فسره عليه الصلاة والسلام لما سئل عنه بقوله الكلمة الصالحة يسمعها احدكم قال القرطبي الفال تنشرح له النفس وتستبشر له بقضاء الحاجة فيحسن الظن بالله تعلى بخلاف الطيرة . وفي الترمذي من حديث صحيح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج لحاجة يعجبه ان يسمع ياراشد يانجيح وروى قاسم ابن اصبغ ان بريدة الاسلمي من بني سهم خرج في سبعين راكبا في اهله يتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقال من انت فقال بريدة فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر وقال برد امرنا وصلح ثم قال ممن قال من اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر سلمنا ثم قال ممن قال من بنى سهم قال خرج سهمنا . قلت يظهر في الفرق بين الطيرة المكروهة والفال المحبوب زيادة على ما ذكروه ان الطيرة تبعث الفشل والخور في النفوس وتثبطها عن المضي في مطالبها فكرهت لئلا يحصل ضعف العزيمة والانقياد الى الاوهام الباطلة واما الفال فانه يقوي العزيمة ويبعث النشاط ويغري بالاقدام المعقود بناصيته النجاح فلذلك أحبه وأعجبه وليست الاستخارة المشروعة على وزان الطيرة لان الطيرة تبعث على الاحجام لغير سبب معتبر واما الاستخارة ففي المشاريع المجهولة العاقبة وليس فيها ما يبعث على الاحجام وانما هي عبارة عن التجاء العبد الى الله تعلى في ابعاده عن ذلك المشروع ان كان يفضي الى مكروه وشر وتوفيقه له وتيسيره عليه ان كان يسفر عن نجاح وخير فهي دعاء محض والدعاء مشروع في كل مهم قال تعلى : ادعوني استجب لكم .

الفتاوى والاحكام

الجواب عن بعض الاسئلة الواردة على المجلة

س (١) ما قولكم ابقاكم الله في رجل توفي وترك والدين فقيرين عاجزين وزوجة وسبع بنات قاصرات وخلف تركة تقدر بمليون فرنك ولكن هاته التركة مرهونة في دين قدره ثلاثمائة الف فرنك وبما ان قيمة الملك في هاته الظروف منحطة كثيرا فلا يمكن بيع شيء من المخلف المذكور لسداد الدين نظرا للمصلحة في عدم تفويت ملك له قيمة ولذلك باشر المقدم على هذا الملك دفع الدين المذكور من مدخول كرائه وبقي الورثة في حالة سيئة من الضيق والاحتياج فالمطلوب منكم بيان حكم الله فيما يخص النفقة على من ذكر لكل فرد من الوارثين وكيف تكون القسمة بعد خلاص الدين جازاكم الله عن الاسلام خير الجزاء الحاج محمد بن سليمان الدو — (بنزرت)

س (٢) رجل ذو ثروة وله اولاد وبنت وقد اراد ان يخصص قدرا من ثروته لابنته بعد وفاته ويترك الباقي على الشياع بين جميع الابناء مع ان الابناء متساوون في الصلاح وضده فهل يجوز له ذلك وهل يصح شرعا . محمد الشهيد — (تونس)

ج (١) اما بعد فالجواب عن المسألة الاولى . اما يخص الرشداء من الورثة فانهم ينظرون لانفسهم اي الامرين اصلح لهم اما البقاء على الاعاشة مع المولى عليهم ويجري امر الجميع على ما فيه المصلحة المشتركة التي يراها القاضي كما سياتي واما ان ياخذوا حظهم بالقسمة اذا قبلت التركة القسمة فيتصرفوا في منابهم بما يظهر لهم . واما المولى عليهم فالقاضي ينظر لهم اي الامرين اصلح اما الاستمرار على خلاص الدين من ريع التركة وهو اولى اذا تيسر بدون اضرار بالمولى عليهم في ابدانهم ولا في تربيتهم فان كان في ذلك ضرر عليهم من هذين الجانبين فالبيع بقدر الحاجة اولى لان المال انما جعله الله لقوام الحياة ويجري القاضي في ذلك على قاعدة ارتكاب اخف الضررين فهذا هو حكم الله فيما يخص النفقة على الورثة من مالهم الموروث . واما قسمة التركة فان الورثة المذكورين كلهم أصحاب فروض ومقادير فروضهم اكثر مما يحمله تكسير المال الى كسوره فيصار في هذه التركة الى العول فاصل هذه الفريضة ان تتجزأ الى اربعة وعشرين لانه اقل عدد فيه ثمن وسدس وثلث ولما كانت الفرائض في قضية الحال ثمنا وسدسين وثلثين وتلك كسور لا تتحملها الاربعة والعشرون تصير بالعول الى سبعة وعشرين لانها تعول بمثل ثمن الاربعة والعشرين وهو ثلاثة وهذه

الفريضة هي التي تلقب في الفرايض بالمنبرية (نسبة الى منبر الخليفة علي رضي الله عنه اذ اجاب عنها وهو يخطب على المنبر فقال صار ثمنها تسعا) وعليه فيكون للزوجة من ذلك ثلاثة ولكل من الابوين اربعة وللبنات ستة عشر فتلك سبعة وعشرون جزءا .

ج (٢) واما المسألة الثانية فالجواب عنها ان تخصيص بعض الولد بمال كثير دون بقية الاولاد قد اختلف فيه ايمة الاسلام ومشهور مذهب مالك رحمه الله ان ذلك مكروه وانه اذا وقع صح ومضى كسائر الهبات بشروطها افتيت بذلك وانا محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي في ٢٦ محرم و ٧ افريل سنة ١٣٥٦ — ١٩٣٧



وورد على ادارة المجلة السؤالان الآتيان :

(١) موظف له مرتب شهري ينفق منه ما يسدد حاجته ويدخر الباقي في صندوق وهكذا دواليك حتى تجمع له من النقود المدخرة مايكون نصابا ثم وفقه الله الى اداء الزكاة فمن اي تاريخ يبتدىء الحول بالنسبة له ايستقبل بذلك المال المدخر حولا كاملا ام يجب عليه اخراج الزكاة حالا اذا فرضنا ان اول شيء وضعه في الصندوق مضى عليه حول ام كيف الحال

(٢) أنسان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ويحفظ القرآن الكريم ولا يعمل بما فيه فهل يعتبر كارها للقرآن ام لا

جواب السؤال الاول ان هذا الموظف الذي يوفر من مرتبه كل شهر مقدارا لا يبلغ نصاب الزكاة ثم يدخره حتى تجمع لديه ماكمل به نصابها حكمه على مقتضى المذهب المالكي ان يستقبل الحول من يوم قبض المقدار المكمل للنصاب وادخاره ولا يعتبر يوم قبض المقادير الاخرى السابقة عنه مبدا الحول لنقصانها حينئذ عن النصاب ولنبسط ذلك موضحا بادلته فنقول

اقتضت حكمة الله البالغة ونعمته السابغة ان جعل للفقراء حظا في اموال الاغنياء متى بلغت مقدارا خاصا وهو المسمى بالنصاب رحمة منه تعلى بالفريقين معا اذ ان في الزكاة التي أوجبها الباري جل وعلا على الاغنياء في اموالهم للسائل والمحروم وجعلها احدى دعائم الاسلام الخمس رفقا بالفقير بدفع غائلة الفقر عنه وهي في الوقت نفسه تتضمن الرفق بالغني ايضا بدفع غائلة الفقراء عنه زيادة عن موافقتها ما تقتضيه المروءة الانسانية وما تستدعيه الاخوة الاسلاميه من انتشال الفقراء والمساكين من وهدة البؤس والشقاء ولزيادة الرفق بالاغنياء في اداء هذا الواجب الانساني العظيم وتخفيفا لوقع اخراج المال من يد ربه الذي يرى انه الاحق به لانه الذي كدح وأجهد نفسه في سبيل الحصول عليه في الاعم الاغلب جعل الشارع الحكيم الزكاة واجبة في فضول الاموال وعفوها قال تعالى خطابا

لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو فكان وجوبها مختصا بالاموال التي يقصد بها النماء واستثمار الربح الا ما ورد نص الشارع على عدم وجوبها فيه كالعبيد والخيل قال عليه الصلاة والسلام ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة اه فاوضحت السنة النبوية الشريفة اصناف المال الواجبة فيها الزكاة مما توفر فيه المقصد الآنف ولذا وقع اتفاق الايمة على وجوب الزكاة في ثلاثة اصناف من المال الاول الحرث ونعني به الحبوب والثمار المقتاتة اي التي تستقيم بها البنية لانها تسد خلة الفقير دون غيرها لانتفاء العلة المذكورة فيه الثاني الماشية وهي النعم من ابل وبقر وغنم الثالث النقد من ذهب وفضة وفي معناهما ما يتولدان عنه من عروض التجارة أماما سبيله القنية والانتفاع به مباشرة ولا يقصد به التنمية فلا تجب فيه الزكاة، ومراعاة لهذا المعنى شرط فقهاؤنا في المال الواجبة فيه الزكاة القدرة على انمائه قال ابن الحاجب في مختصره الفرعي في باب الزكاة فشرط العين غير المعدن والركاز ان يكون نصابا مملوكا حولا كاملا غير معجوز عن انمائه اه قال صاحب التوضيح تعليقا على قوله غير معجوز عن انمائه احترز به من العين المغصوبة ومن المدفون والموروث اذا لم يعلم اه

ولكون الزكاة انما تجب في فضل المال وعفوه كما اوضحناه بينت السنة الغراء ان وجوبها منوط بشرط هو مظنة حصول النماء في المال الا وهو مرور الحول كما في النقدين غير المعدن او ما يتنزل منزلة مرور الحول كما في المعشرات وهي الحبوب والثمار فقد نزل ما بين وقت الزراعة والحصاد في الزرع وما بين اول اطوار الثمرة حين تكون نورا وجذاذها بالنسبة للثمرة منزلة مرور الحول حيث اوجب الله دفع زكاة ذلك يوم الحصاد قال تعلى وآتوا حقه يوم حصاده . وألحق المعدن بالزرع في عدم اشتراط مضي الحول لانهما معا خارجان من الارض ومما اعتبر فيه مرور الحول تقديرا ما تولد عما تجب فيه الزكاة فان حوله حول اصله نتاجا كان او ربحا لتقدير كمونه في اصله المتولد هو عنه. اذا تمهد هذا فالموظف الوارد في السؤال يستقبل الحول من تاريخ تمام النصاب ولا يضم ما كمل به النصاب الى ما وفره اولا بحيث يكون مبدأ حولهما يوم قبض الموفر اولا لان المال حينئذ لم يبلغ نصابا وايضاحا لذلك اقول

ان المرتب ونحوه من العين التي لم تتولد عن مال او تولدت عن مال غير مزكى يسمى في عرف فقهائنا فائدة وقد عرفها ابن عرفة في باب الزكاة بقوله ما ملك لا عن عوض ملك لتجر اه وابن الحاجب بقوله ما يتجدد لا عن مال مزكى اه وهو اوضح من تعريف ابن عرفة وعرفها خليل بقوله ما تجدد لا عن مال او غير مزكى اه اي ما تجدد عن غير مال او عن مال غير مزكى وحكم الفائدة في الزكاة ان كانت نصابا ان يستقبل بها الحول من يوم قبضها قال خليل واستقبل بفائدة اه اي ان كانت نصابا كما أفصح عنه شارحه عبد الباقي ومثل لها بما يقبض من وظائف وقال العدوي في حاشيته

على شرح الخرشي على المختصر الخليلي تعليقا على عبارة خ المذكورة ومن الفوائد ما يحصل للانسان من عمل كاجرة كتابة او صنعة او امامة ونحو ذلك اه

فان طرأت فائدة على فائدة كما في واقعة السؤال فذلك يتصور باربع صور . اما ان تطرأ كاملة النصاب على كاملته . او ناقصته على ناقصته . او كاملته على ناقصته . او ناقصته على كاملته فمتى كانت الفائدة الاولى كاملة النصاب سواء أكانت الثانية كاملته ام ناقصته لم تضم احداهما للاخرى بل تزكى كل واحدة منهما عند مرور حولها ومتى كانت الفائدة الاولى ناقصة النصاب ضمت الى الثانية كاملة النصاب كانت او ناقصته فتكون زكاتهما معا عند دوران حول الثانية قال خ - نذكر لفظه ممزوجا بمحل الحاجة من عبارة شارحه عبد الباقي - قالا : وتضم الفائدة الاولى في حال كونها ناقصة عن نصاب لثانية فيها نصاب او دونه وحصل من مجموعهما نصاب فيصيران كالشيء الواحد او لثالثة ان لم يحصل من مجموع الاولين نصاب وهكذا اه فقوله وتضم الفائدة الاولى الخ هو بمعنى استقبال الحول من يوم حصول الفائدة الثانية او الثالثة التي بها كمل النصاب وهي عين مسألتنا الوارد عنها السؤال والله اعلم

اما السؤال الثاني فأقول في الجواب عنه : ان السائل وقع له اجمال فيه اذ ان كراهية القرآن المسؤول عن صحة اتصاف المؤمن بها اذا كان تاركا العمل بما في الكتاب العزيز او عدمها لم يوضح السائل مراده منها هل هو كون الشيء ثقيلا على النفس شاقا وهو احد معانيها او تسخط الشيء ومقته وهو الشائع من معانيها في استعمالنا ولعل السائل يريده فان كان يعني من الكراهية هذا الاخير فالجواب ان المؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر لا يتصف بها قطعا والا لم يكن مؤمنا وان كان مراده من كراهية القرآن معناها الاول وهو ثقله على النفس وكونه شاقا عليها مع تمام ايمانها به ورضاها كان المؤمن التارك للعمل بالقرآن متصفا بها قطعا اذان تركه للعمل بالكتاب العزيز مع ايمانه به لا يكون الا ناشئا عن الكسل وضعف العزيمة واتباع وساوس الشيطان وما تسوله النفس الامارة بالسوء

ولنزد المقام ايضاحا بنقل عبارة الامام فخر الدين الرازي عند تفسيره قوله تعالى . كتب عليكم القتال وهو كره لكم الآية قال ما نصه المسألة الثانية قوله كره لكم فيه اشكال وهو ان الظاهر من قوله كتب عليكم ان هذا الخطاب مع المؤمنين والعقل يدل عليه ايضا لان الكافر لا يؤمر بقتال الكافر واذا كان كذلك فكيف قال وهو كره لكم فان هذا يشعر بكون المؤمن كارها لحكم الله وتكليفه وذلك غير جائز لان المؤمن لا يكون ساخطا لاوامر الله تعالى وتكاليفه بل يرضى بذلك ويحبه ويتمسك به ويعلم انه صلاحه وفي تركه فساده والجواب من وجهين الاول ان المراد من الكره كونه شاقا على النفس والمكلف وان علم ان ما امره الله به فهو صلاحه لكن لا يخرج بذلك عن كونه ثقيلا شاقا على النفس لان التكليف عبارة عن الزام ما في فعله كلفة ومشقة اه المراد منه والى الله يرد العلم كله

علي النيفر



س – ما قولكم في رجل اقر في قائم حياته لزوجة كان مشغوفا بحبها وقت الاقرار وسجل ذلك

الوعظ والارشاد

لا صفر

جبل الانسان على تطلب المعرفة والاتسام بميسم العلم فهو متعلم وعالم ومعلم بطبعه لذلك ترى الطفل يسأل عن كل ما يراه ويسمعه ويحاول ان يري رفيقه كل ما يلوح له من امر مستغرب ويعرفه بكل ما وصل اليه علمه وادراكه . وشأن الامم في جهالتها الاولى او العارضة لها عن تدهور من اوج الهداية الى حضيض الضلالة ان تنتحل لانفسها معارف مخلوطة بين حق وباطل تعلل بها تعطشها الى العلم وغالب ذلك هو من وضع اهل الذكاء منهم الذين لم يقدر لهم صقل ذكائهم بالمعارف الحقة فهم بذكائهم الفكري تنعكس حركة عقولهم على نفسها فتخترع من تخيلاتها واوهامها ما يحسبونه علما ويشيعونه في دهماء القوم عن غرور وغفلة او عن دهاء وحيلة ليقتعدوا بذلك مراقي القيادة والزعامة . لذلك لا تجد امة يخلو تاريخ علومها من الابتداء بعلوم وهمية وخرافية تكون هي قصارى علومها قبل نهوض حضارتها ويتفاوتون في تنظيمها تفاوت عقولهم في الاختراع . فقد كان للكلدان خرافات من عبادة الكواكب وارواحها وكان للمصريين خرافات في احوال الموتى والموجودات

بحجة عادلة وادعى ورثته بعد موته ان ذلك الاقرار صدر منه مصدر المحاباة وان لهم بينة تصدقهم في دعوى الشغف فهل يصدق الوارث في دعواه ويبطل الاقرار ام لا

ج – اعلم ان الزوج اذا أقر لزوجته فاما ان يكون اقراره لها في حال صحته أوفي مرضه فان كان الاقرار في حال الصحة فاقراره نافذ عليه مطلقا سواء علم ميله لها ام لا ورث كلالة ام لا قال ابن عبد البر وكل من اقر لوارث او لغير وارث في صحته بشيء من المال او الدين او البراآت او قبض اثمان المبيعات فاقراره عليه جائز لا تلحقه فيه تهمة ولا يظن فيه توليج والاجنبي والوارث في ذلك سواء وكذا القريب والبعيد والعدو والصديق في الاقرار في الصحة سواء ولا يحتاج من أقر على نفسه في الصحة ببيع شيء وقبضه ثمنه الى معاينة قبض الثمن وهذا القول هو المشهور وهو قول ابن القاسم في المدونة والعتبية قال المتيطي وعليه العمل : واما اذا كان اقراره لزوجته في حال مرضه فان علم ان الاقرار له سبب فالاقرار نافذ معمول به وان لم يعلم لذلك سبب فان ثبت انه مشغوف بها يبطل اقراره ويكون غير نافذ لاتهامه بمحاباتها الا اذا اجازه الورثة فعطية منهم لها . وان ثبت انه مبغض لها فاقراره ماض معمول به وللورثة الحق في القيام بابطال ذلك الاقرار ان شاءوا قال خليل كزوج علم بغضه لها

محمود بن الطاهر المدرس بجامع الزيتونة

المقدسة وكان لليونان خرافات في احوال الآلهة والابطال . فاذا ارتقت تلك الامم وتواضعت العلوم الصحيحة بقيت بقايا من العلوم الوهمية عالقة بعقول الطائفة التي حظها من المعارف الحقة قليل او معدوم . الا ترى ان المصريين مع ما كان في كهنتهم من العلوم الحكمية لم تخل عامتهم من الايمان باوهام خرافية وكذلك الحال في اليونان اذ لم يكن لغالب اساطين العلم في هؤلاء واولائك دعوة الى اصلاح التفكير والاعتقاد في العامة الا نادرا مثل ما كان من سقراط بطريقته الوعظية والتمثيلية وديوجينوس بطريقته التهكمية (١) بل كان غالبهم يقتصر من علمه على التعليم الخاص . على هذا السنن كان شأن العرب في جاهليتهم فقد تعلقوا باوهام باطلة ابتكرتها تخيلاتهم او وضعها لهم اهل الدهاء من المتطلعين الى التفوق والزعامة في القبائل فيرسمون لهم رسوما ويخيلون لهم انها معارف استأثروا بها ليجعلوا انفسهم مرجعا يرجع اليه الاقوام فانطوت بهم عصور في ضلالة حتى اذا استيقظوا منها في القيامة قالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا . وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر عن عمرو بن لحي جد خزاعة انه يجر قصبه في النار لانه اول من بحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي ووصل الوصيلة(٢) ودعا الناس الى عبادة الاصنام . كان العرب قد ادعوا لانفسهم علوما وهمية منها الطيرة - والفال - والزجر - والعيافة - والرقى - والسلوات - وكذبوا تكاذيب اشاعوها بين الناس من دعوى تعرض الغول لهم في اسفارهم وخروج طائر من دم قتيل يسمى الهامة ومحادثتهم مع الجن وغير ذلك

وحاصل هذه العلوم انها استخراج معان دالة على وقوع حوادث مستقبلة للعامة او الخاصة تستخرج من احوال تبدو من حركات الطير او الوحش ومرورها ونزولها او من اقوال تقرع السمع على غير ترقب او من مقارنات بين الاشياء وملازمات للاشياء يجعلونها كالمقصود من تلك الاشياء مثل تشاؤمهم بالهام وهو ذكر البوم لانه يألف الخراب والمقابر ويصيح كالناعي فجعلوه علامة على الخلاء وان دلت عندهم على معان حسنة تفاءلوا بها مثل ان يمر بالمسافر من جانبه الايمن بقرة وحشية سليمة القرن . وبعض هذه المعلومات تبلغ من الشهرة عندهم الى حد ان يستوي الناس في استطلاعها وبعضها يتركب من احوال كثيرة او يحتاج الى دقائق فيحتاج العامة الى عرضها على اهل المعرفة والعارف بدقائق ذلك يدعى العراف وقد اشتهر اهل اليمامة واهل نجد بعرافيهم (٣) واشتهرت بنو لهب قبيلة من الازد بالزجر والعيافة

---

(١) كان سقراط اشهر فلاسفة اثينا يدعو العامة جهرا الى واجبهم ويضرب الامثال بوضع حكايات على السنة الحيوان وكان ديوجينوس زاهدا من حكماء اثينا وكان يلقي الوعظ والتربية بالتهكم على احوال قومه التي لا يرضاها

(٢) المشار اليها في قوله تعلى « ما جعل الله من بحيرة » الآية في سورة المائدة

(٣) قال عروة بن حزام « بذلت لعراف اليمامة حكمه . وعراف نجد ان هما شفياني »

اضاء على العرب وهم في ظلمات الجاهلية نور بزغ وفجر سطع وهو نور الاسلام الذي جاء لانقاذ البشر كلهم من ظلمات الاوهام والزيغ فطلعت شمسه على العرب مثل كل الامم فانحى على عقائد العرب الضالة . وحسبك ان الله تعلى وصف الاعتقاد الباطل بانه اعتقاد الجاهلية اذ قال « يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية » فكان اول ما دعاهم الاسلام اليه صحة الاعتقاد المستتبع تصحيح التفكير فدعاهم الى صحة الاعتقاد في ذات الله وصفاته ثم الى نبذ سفاهة الاحلام في هذه الاوهام وقد تكرر ذلك في القرآن « قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين » (١) وارشدهم الى ان ما لا دليل عليه من وحي او عقل يقبح تقلده فقال القرآن فيهم « ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون »

ومن الضلالات التي اعتقدها العرب اعتقاد أن شهر صفر شهر مشؤوم واصل هذا الاعتقاد نشأ من استخراج معنى مما يقارن هذا الشهر من الاحوال في الغالب عندهم وهو ما يكثر فيه من الرزايا بالقتال والقتل ذلك ان شهر صفر يقع بعد ثلاثة اشهر حرم نسقا وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وكان العرب يتجنبون القتال والقتل في الاشهر الحرم لانها أشهر أمن قال الله تعلى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » الآية فكانوا يقضون الاشهر الحرم على احن من تطلب الثارات والغزوات وتشتت حاجتهم في تلك الاشهر فاذا جاء صفر بادر كل من في نفسه حنق على عدوه فثاوره فيكثر القتل والقتال ولذلك قيل انه سمي صفرا لانهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوه صفرا من المتاع والمال اي خلوا منهما قال الذبياني يحذر قومه من التعرض لبلاد النعمان بن الحارث ملك الشام في شهر صفر

لقد نهيت بني ذبيان عن أقر وعن تربعهم في كل اصفار (٢)

ولذلك كان من يريد العمرة منهم لا يعتمر في صفر اذ لا يأمن على نفسه فكان من قواعدهم في العمرة ان يقولوا « اذا برأ الدبر وعفا الاثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر » (٣) على احد تفسيرين في المراد من صفر وهو التأويل الظاهر ، وقيل ارادوا به شهر المحرم وانه كان في الجاهلية

(١) اشارت الآية الى وأد البنات والى تحريمهم بعض الانعام على انفسهم كما قال تعلى « وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم » الآية في سورة الانعام

(٢) أقر بضم الهمزة وضم القاف اسم جبل وبجانبه واد يقال له ذو أقر وهو مراد النابغة فحذف ذو وهو واد لبني مرة وكانت ذبيان نزلت به بعد اغارتهم على بلاد الشام ، والتربع الاقامة في الربيع لاجل المرعى ومراده بكل اصفار في كل شهر صفر من كل عام لانهم يتعرضون لاغارة النعمان بن الحارث

(٣) وكانوا لا يعتمرون في اشهر الحج بل يرجعون الى آفاقهم ثم يخرجون معتمرين

يسمى صفرا الاول وان تسميته محرما من اصطلاح الاسلام وقد ذهب الى هـذا بعض ائمة اللغة واحسب انه اشتباه لان تغيير الاسماء في الامـور العامة يدخل على الناس تلبيسا لا يقصده الشارع ألا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبة حجة الوداع فقال اي شهر هذا . قال الراوي فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس ذا الحجة . ثم ذكر في اثناء الخطبة الا شهر الحرم فقال : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان . فلو كان اسم المحرم اسما جديدا لوضحه للحاضرين الـواردين من الآفاق القاصية . على ان حادثا مثل هـذا لو حدث لتناقله الناس وانما كانوا يطلقون عليه وصفر لفظ الصفرين تغليبا

فنهى النبيء صلى الله عليه وسلم عن التشاؤم بصفر . روى مسلم من حديث جابر بن عبد الله وابي هريرة والسائب بن يزيد رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا عدوى ولا صفر . اتفق هؤلاء الاصحاب الثلاثة على هذا اللفظ وفي رواية بعضهم زيادة : ولا هامة ولا غول ولا طيرة ولا نوء . وقد اختلف العلماء في المراد من صفر في هذا الحديث فقيل اراد الشهر وهو الصحيح وبه قال مالك وابـو عبيدة معمر بن المثنى وقيل اراد مرضا في البطن سمي الصفر كانت العرب يعتقـدونه معديا وبه قـال ابن وهب ومطرف وابو عبيد القاسم بن سلام وفيه بعد . لان قوله لا عدوى يغني عن قوله ولا صفر . وعلى انه اراد الشهر فقيل اراد ابطـال النسيء وقيل اراد ابطـال التشاؤم بشهر صفر وهذا الاخير هو الظاهر عندي (١)

ووجه الدلالة فيه انه قد علم من استعمـال العرب انه اذا نفي اسم الجنس ولم يذكر الخبر ان يقدر الخبر بما يدل عليه المقام فالمعنى هنا لا صفر مشئوم اذ هذا الوصف هو الوصف الذي يختص به صفر من بين الاشهر وهكذا يقدر لكل منفي في هذا الحديث على اختلاف رواياته بما يناسب معتقد أهل الجاهلية فيه . وسواء كان هذا هو المراد من هذا الحديث ام غيره فقد اتفق علماء الاسلام على ان اعتقاد نحس هذا الشهر اعتقاد باطل في نظر الاسلام وانه من بقايا الجاهلية التي انقذ الله منها بنعمة الاسلام

قد ابطل الاسلام عوائد الجاهلية فزالت من عقـول جمهور المؤمنين وبقيت بقاياهـا في عقول الجهلة من الاعراب البعداء عن التوغل في تعاليم الاسلام فلصقت. تلك العقائد بالمسلمين شيئا فشيئا مع تخييم الجهل بالدين بينهم ومنها التشاؤم بشهر صفر حتى صار كثير من الناس يتجنب السفر في شهر صفر اقتباسا من حذر الجاهلية السفر فيه خوفا من تعرض الاعـداء ويتجنبون فيه ابتداء الاعمال خشية ان لا تكون مباركة وقد شاع بين المسلمين ان يصفوا شهر صفر بقولهم صفر الخير فـلا ادري

(١) وجه كونه الظاهر انه لو اريد ابطال النسيء لكان الا ظهر ان يقول لا نسيء لانه اشهر ولان النسيء لا يختص بشهر صفر بل يقع بين صفر ومحرم لانه جعل صفر محرما او العكس

هل ارادوا به الرد على من يتشآءم به او ارادوا التفاؤل لتلطيف شره كما يقال للملدوغ السليم وايا ما كان فذلك الوصف مؤذن بتاصل عقيدة التشاؤم بهذا الشهر عندهم

ولاهل تونس حظ عظيم من اعتقاد التشاؤم بصفر لا سيما النساء وضعاف النفوس فالنساء يسمينه (ريب العاشوراء) ليجعلوا له حظا من الحزن فيه وتجنب الاعراس والتنقلات

ومن الناس من يزيد ضغطا على إبالة فيضم الى عقيدة الجاهلية عقيدة أجهل منها وهي اعتقاد ان يوم الاربعاء الاخير من صفر هو انحس ايام العام ومن العجب انهم ينسبون ذلك الى الدين الذي اوصاهم بابطال عقائد الجاهلية فتكون هذه النسبة ضلالة مضاعفة يستندون الى حديث موضوع يروى عن ابن عباس ان رسول الله قال « ءاخر اربعاء في الشهر يوم نحس مستمر » وقد نص الأئمة على ان هذا حديث موضوع فاذا ضم ذلك الى التشاؤم بشهر صفر من بين الاشهر انتجت هذه المقدمات الباطلة نتيجة مثلها وهي ان ءاخر اربعاء من شهر صفر أشأم ايام العام . واهل تونس يسمونها (الاربعاء الكحلاء) اي السوداء كناية عن نحسها لان السواد شعار الحزن والمصائب عكس البياض قال ابو الطيب في الشيب

أبعد بعدت بياضا لا بياض له … لانت اسود في عيني من الظلم

وهو اعتقاد باطل اذ ليس في الايام نحس قال مالك رحمه الله « الايام كلها ايام الله وانما يفضل بعض الايام بعضا بما جعل الله له من الفضل فيما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ولاجل هذا الاعتقاد الباطل قد اخترع بعض الجهلة المركبين صلاة تصلى صباح يوم الاربعاء الاخير من صفر وهي صلاة ذات اربع ركعات متواليات تقرأ في كل ركعة منها سور من القرءان مكررة متعددة وتعاد في كل ركعة ويدعى عقب الصلاة بدعاء معين . وهي بدعة وضلالة اذ لا تتلقى الصلوات ذوات الهيئات الخاصة الا من قبل الشرع ولم يرد في هذه الصلاة من جهة الشرع اثر قوي ولا ضعيف فهي موضوعة . وليست من قبيل مطلق النوافل لانها غير جارية على صفات الصلوات النوافل فليحذر المسلمون من فعلها ولا سيما من لهم حظ من العلم . ونعوذ بالله من علم لا ينفع . وهوى متبع

حرره محمد الطاهر ابن عاشور



الأخلاق

ومبلغ عناية الشارع بها

آداب الزوجية وحكمها

كما ظهرت عناية الشارع الحكيم بالاخلاق فيما شرعه للبشر من عقائد وعبادات كذلك ظهرت آثار ذلك فيما وضعه من اصول لبناء الاسرة ونظام المجتمع فنظم الاسرة ورتب علاقات العائلة على اساس المحبة والسلام .

تتكون العائلة من الزوجين قال تعالى « انا خلقناكم من ذكر وانثى » فلا بد من تقرير اصول هذا الازدواج ليثمر الثمرة المطلوبة على أكمل وجوهها وياتي بالغاية المنشودة في اجمل صورها فحث الشارع على الزواج اولا ورغب فيه واتى في هذا الباب باساليب مختلفة في التنويه بشانه وبيان فضائله وتحريك الدواعي المثيرة للاخذ باسبابه حتى جعله افضل من التخلي لنوافل العبادات (١) زيادة على ما هو مركب في النفس البشرية من الميل الجبلي والطبع الغريزي الدافع له ليقتلع بذلك ما قد يظن به من ان ليس فيه سوى قضاء الشهوة البهيمية واللذة الجسمانية وان ذلك مناف للكمال الروحاني الذي يجب ان يجعل مطمح انظار الكمل من البشر وان الاشتغال به قد يعوق الانسان عن بلوغ رتبة اهل الكمال ويحول دون صرف الهمة الى معالي الامور . رمى الشارع هذه الاعتبارات في فيافي الاهمال ولم يقم لها وزنا من الاعتبار وجعل التزوج من اهم مقاصده اذ به تتكون العائلة وتتحقق المقاصد الهائلة فيسعى الانسان ويجتهد في تحصيل كسبه وكسب من يعوله من افراد بيته وتحصل الالفة المرادة ويتم التعاون على العمران وترتبط اجزاء المجتمع البشري على اصل المحبة والنفع العام . فمن العائلة المبنية على الزوجين تتفرع اغصان شجرة الاقارب من ابناء و بنات واعمام وعمات واخوال

---

(١) جاء في البخاري عن انس ابن مالك رضي الله عنه جاء ثلاثة رهط الي بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسالون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما اخبروا كانهم تقالوها « اي عدوها قليلة » فقالوا واين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال احدهم اما انا فاني اصلي الليل ابداً وقال آخر انا اصوم الدهر ولا افطر وقال آخر انا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انتم الذين قلتم كذا وكذا اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له لكني اصوم وافطر واصلي وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني

وخالات واجداد وجدات الى اصهار واخدان ثم كل اسرة تكون كاللبنة في بناء الامة فتتكون الامة من مجموع عائلات ومهما كثرت العائلات وافرادها ازداد شان الامة قوة وتماسكا وعلا صيتها بين الامم

ثم ان الشارع وراء هذا الترغيب في النكاح احاطه بقوانين وآداب يجب على المسلم مراعاتها والاخذ بها ليكون زواجه زواجا شرعيا كاملا والعمدة في هذا الباب ما جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة مما له تعلق بآداب الزوجية واحكامها وما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في زواجه فهو المثل الاعلى للكمال الانساني في جميع احواله العامة والخاصة وقد أمرنا باتباعه في جميع ما جاء به صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا . ولنجعل حديثنا في هذا الباب مبنيا على ثلاث شعب . الشعبة الاولى في بيان الآداب المتعلقة بكيفية انعقاد رابطة الزوجية بين الزوجين . الشعبة الثانية في بيان الآداب التي يجب ان يتحلى بها الزوجان بعد انعقاد رابطة الزوجية بينهما لتثمر ثمرتها المطلوبة . الشعبة الثالثة في بيان آداب المفارقة حيث لم يتيسر للزوجين إقامة حدود الزوجية بينهما ولنستضيء في جميع ذلك بالكتاب والسنة فهما النبراس المضيء لظلمات المسالك الوعرة والشمس المشرقة في سماء الباحثين عن طرق السعادة البشرية الحقة

آداب التزوج

على المسلم اذا تاقت نفسه للمرأة قضاء لحق شهوته الحيوانية وبدافع التآلف الجنسي والتعاون على قضاء شؤون الحياة ان يطلب المرأة الصالحة ليحصن بها فرجه ويكف بصره كما جاء في الحديث ومن وراء ذلك يستكثر بها سواد المسلمين فتزداد بذلك قوتهم وتتم منعتهم في عين عدوهم . والمرأة الصالحة هي المسلمة المتدينة القادرة على العمل النافع لها ولزوجها من حيث هي ربة منزل وراعيته كما يؤخذ من حديث كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الى ان قال عليه السلام والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ويجب ان لا يجعل همه البحث عن فائقة الجمال او الحسب او الغنية المترفة فان هذه المرأة قد تزهو عليه بجمالها او بفائق حسبها او بكثرة مالها فيكون ذلك حائلا دون المقصد الاهم من النكاح وهو التآلف والتعاون على قضاء مصالح الحياة والاشتراك في القيام على شؤون المنزل الداخلية والخارجية وقد روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك اي فاطلب ذات الدين وفز بنكاحها فقد جعل صلى الله عليه وسلم ذات الدين افضل النساء الاربع وجعل المحصل عليها ظافرا وفائزا بمرغوبه . وفي مسلم ايضا من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة

واذا كانت المرأة مسؤولة عن رعي بيتها فالواجب اعدادها لهذا المهم حتى تؤدي رسالتها احسن

تأدية وتقوم بما هي مسؤولة عن ادائه كما يجب ولا يتم هذا الاعداد الا بالتربية والتعليم المناسب لما سيناط بعهدتها من شؤون الحياة وما هو امس بوظيفتها في المجتمع البشري من حمل وإرضاع وتربية ولد تربية صحيحة كافلة باعداده لان يكون رجلا صالحا او امراة صالحة ونعني بالصلاح هنا معناه اللغوي وهو النفع والافادة بحيث لا يكون كلا على المجتمع البشري وعضوا أشل فيه لا ترجى منه فائدة ولا تدفع به نائبة . ومن ذلك ان تكون قادرة على تدبير امور منزلها من شؤون طبخ واصلاح ثياب وتنظيم اثاث بيت وتنظيفها وتلقين اخلاق عالية هذا الى ما يجب من معرفة ما يلزم لحفظ دينها والقيام بما يفترض عليها ديانة ومبادي حفظ صحة وأدب وافر ولطافة معشر وكل هذا لابد له من التلقين والدرس المنظم . ولذا فاني ارى المدرسة للبنت ضربة لازب وليس لنا ان ندعي ان هذا امر سهل يمكن ان تأخذه البنت في البيت تلقينا من امها واقاربها . أجل وان كان للبيت دخل وأي دخل في تكوين شخصية البنت واعدادها لما يراد منها في مستقبل حياتها ولكن البيت وحدها لا تكفي لذلك بل لابد من ان تتعاون البيت والمدرسة على تلقين البنت ما تحتاجه اذا صارت ربة منزل . ففي البيت تلقن مبادي الاخلاق السامية من صدق الحديث والوفاء بالعهد وحسن المعاشرة والعطف على الضعيف واعانة ذي الحاجة وتعظيم الكبير ورحمة الصغير وتعود القيام بشؤون البيت وتحمل مسؤولية ما يلزم من تكاليف العائلة الداخلية وتنظيم اثاث المنزل كما تلقن اصول العقيدة الاسلامية الصحيحة كل ذلك على طريق الدرس التطبيقي العلمي . وفي المدرسة تلقن الكتابة والقراءة بلغة دينها وعشيرتها وهي العربية وتدرس مع ذلك ما تتوقف عليه قدرتها على المطالعة المفيدة من اصول قواعد الاعراب والتصريف واللغة بطريقة سهلة قريبة ممزوجة بشيء من الادب الراقي الذي لا مجون فيه .كما تلقن شيئا من القرآن الحكيم والسنة النبوية خصوصا ما يتعلق من ذلك بآداب الصحبة والمعاشرة وما يتعلق بحقوق الزوجية والاحكام النسائية . كما تلقن قواعد اصول الدين وقواعد فقه العبادات بطريقة مختصرة سهلة تحصينا لعقيدتها من جهة ولتكون من جهة اخرى قادرة على تلقين ابنائها عقيدة اسلامية مصفاة من ادران الخرافات الزائفة والعادات القبيحة التي يظن الكثير من جاهلات نسائنا انها من الدين وليست من الدين في شيء بل ربما تكون خطرا على الدين واهله . كما يجب ان تلقن مجملا عن تاريخ الاسلام والمسلمين بوجه عام وتاريخ فضليات نساء الاسلام بالمعنى الاتم الاوفى ليكن لها قدوة صالحة ومثلا اعلا

هذا من جهة الفنون النظرية واما من جهة الفنون التطبيقية فيجب ان تدرس الحساب ومبادي الجغرافيا والصحة وتدبير المنزل والتربية وكل ما له علاقة بالبيت فاذا تعاونت البيت والمدرسة على تكوين هذه الثقافة للبنت امكننا ان نفتخر بوجود المرأة الصالحة التي هي الضالة المنشودة لنا والتي امرتنا شريعتنا بالبحث عنها عند ارادة التزوج وأمكننا ان نثق بمستقبل ابنائنا في جو هذا البيت الذي

تديره امرأة من هذا الطراز . فلنعمل جهد طاقتنا لتكوين امهات لابنائنا يمكن الاعتماد عليهن في تربية رجال مستقبلنا وليكن عملنا على هذا البرنامج الذي سطرت ولنثق بالمستقبل . والامر بايدينا ولا يتوقف الا على شيء من الحزم والاعتماد على النفس وترك التواكل وانتظار ما تتحفنا به الحكومة من تعليم قد لا يتفق مع مشاربنا واتجاهنا في هذه الحياة وسبيل ذلك عندي هين وهو ان نجتمع ونشكل جمعية باسم « جمعية تعليم البنت المسلمة » ثم ان هذه الجمعية تعمل على جمع اشتراكات منظمة من اهل البلاد وتقرر برنامجا محكما لفتح مدرسة قرآنية للبنات المسلمات ويكون برنامج التعليم بهذه المدرسة على نحو ما قررت آنفا أو بتعديل خفيف على حسب ما يقترح عليه اعضاء الجمعية ثم تتقدم هذه الجمعية بمطلب الترخيص لهذه المدرسة من الحكومة ولا إخال الحكومة الا ملبية طلب الامة خصوصا اذا تظافرت افرادها على هذا الطلب بل ولا إخالها الا مقررة إعانة مناسبة لهذه المدرسة خصوصا ونحن في جو اصلاح عام ومن ناحية التعليم على الاخص .

ولنفرض ان الاسباب تهيأت وان الخناصر تعاقدت ووجدت المرأة الصالحة بهذا المعنى وما ذلك على همة امتنا التواقة للكمال بعزيز ولا صعب التحقق . وعلى كل فان اصل الصلاح والعفة والتدين موجود الآن في كثير من بناتنا ولله الحمد فعلى الزوج ان يطلبها من وليها بالخطبة الشرعية وعلى الولي ان يسهل امر زواجها ولا يعضلها بمنعها من التزوج ما دام الزوج كفئا لها بان يكون في درجة قومها ديانة ونسبا وحرفة (١) وانما اعتبر الشارع الكفاءة والمناسبة بين الزوجين لان ذلك اكفل بدوام العشرة وحصول الازدواج المطلوب من التزوج الذي يرغب الشارع في دوامه وعدم انفصام حبله بالطلاق المبغوض له ولا سبيل لحصول هذا الازدواج الدائم إلا بانتظام امر العشرة وتوافق الطبائع مع ان في اتصال الزوجين بعضهما ذلك الاتصال الشديد ما يوجب في كثير من الاحيان حصول التشاجر والتشاقق من كل ما يوجب فصم عقدته فاذا كانت الطبائع متقاربة واساليب حياة الزوجين قبل الدخول في عقدة الزوجية متشابهة كان ذلك لا محالة اضمن لدوام العشرة وحصول الالفة المرادة وعلى فرض حصول شيء من النفرة احيانا فانه سرعان ما يزول وتعود المياه لمجاريها . فاذا حصل التراضي من الجانبين ووشما في المستقبل خيرا فعليهما ان يتمما العقد على الوجه الشرعي ولا يجعلا المهر مقصدا اصليا لهما فان المهر ما جعل الا تنويها بشان استحلال الفروج التي حرم الله وتشريفا للمرأة باظهار عزتها قال تعلى : واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم الآية لكن لا على معنى التباهي والتفاخر به لان ذلك مما يعوق عنه ويجعله في حيز الامور الصعبة

(١) جاء عن النبيء صلعم اذا اتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير وعن عمر رضي الله عنه قال لا منعن تزوج ذوات الاحساب الا من الاكفاء

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

دار الباي بتونس

نظرا لما عزمت عليه الحكومة التونسية في هذا العام من ادخال اصلاحات على دار الباي التي هي مقر الوزارة الكبرى والكتابة العامة في هذا العهد بقصد تجديد ما تهدم من ذلك القصر العظيم وتمتين الموجود منه فقد رايناها فرصة مناسبة لان نبسط على صفحات هاته المجلة تاريخ تاسيس هذا القصر وما مر به من الاطوار وما تداولت عليه من الحوادث على مر الاعصار . فرغبنا من حضرة العلامة المفضال القائم بتحرير قسم التاريخ بالمجلة السيد محمد بن الخوجة ومن استاذ نحرير من كبار متوظفي الدولة له تضلع في التاريخ التونسي ان يكتبا لنا في هذا الموضوع . فكتب كل واحد منهما مقالة مفيدة جدا في هذا الباب . وسننشر كل واحدة تحت عنوانها ـ شاكرين حضرة الكاتبين الفاضلين على ما لهما من العناية والتنقيب عن نواحي التاريخ التونسي فالى قرائنا الافاضل اولى المقالتين :

متى كان تاسيس دار الباي ومن احدثها ومتى لقبوها بسراية المملكة

استفيد من بعض الصكوك العتيقة ان الجهة التي منها البقعة الموجودة بها سراية المملكة كانت في المائة التاسعة مشتملة على فنادق شتى منتشرة هنا وهناك وجاء في كتاب ابتسام الغروس ان احد الفنادق بتلك الجهة انتزعه السلطان الحفصي ممن كان بيده وبنى مكانه زاوية للشيخ سيدي احمد بن عروس

البعيدة المنال وذلك ينافي ما قصده الشارع من تسهيله حتى تحصل مقاصده الشريفة باطراد وقد جاء في الحديث التحذير من التغالي في المهور ففيه ان من شؤم المرأة غلاء مهرها . والاولى ان لا تباشر المرأة العقد بنفسها بل توكله لوليها لان مباشرة المرأة العقد بنفسها مما وقع في صحته خلاف بين الائمة فالاولى ان يباشر عقدها وليها ليكون هذا العقد صحيحا باجماع ولا باس بالاحتياط في امر الفروج لما لها من كبير الشان في نظر الشارع مع ان في مباشرة المرأة بنفسها عقد نكاحها تقليل من معنى الحشمة والحياء المطلوبين شرعا وخصوصا من النساء زد على ذلك ما في مداخلة الولي في الامر من توطيد لدعائم عقدة النكاح حيث يمنع بعد ذلك من الاعتراض عليها في اختيار هذا الزوج دون رايه ورضاه ولا باس باعلان النكاح وإقامة وليمة شرعية عند البناء تشهيرا لامره وتعريفا به والدعاء للزوج والزوجة بالبركة كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم بارك لهم وبارك عليهم

(للبحث بقية)

محمد الهادي ابن القاضي

ووقفها عليه وعلى اقاربه ثم لما توفي رضي الله عنه في عام ٨٦٨ على عهد السلطان ابي عمرو الحفصي دفن بها

وكان مركز الامارة على عهد بني حفص بالقصبة وبها مساكنهم ولم يبق بها شيء من ءاثارهم سوى الجامع الحفصي وصومعته الجميلة وهذه قام باحكام صنعها (علي بن محمد بن قاسم عريف البناء) في سنة ٦٣٠ وبعد سقوط الدولة الحفصية في المائة العاشرة وقيام الدولة المرادية في ظل ءال عثمان جعل الامراء المراديون مساكنهم خارج القصبة على مقربة منها فكان موقعها بالبقعة التي بها سراية المملكة كما سياتي الكلام عليه وابقوا مركز الامارة بالقصبة والاخبار في ذلك مستفيضة والتواريخ على اتفاق فيها وفي عهدهم تعددت اسواق الشاشية وكان بعضها واقعا حيث بطحاء القصبة اليوم فوقع حريق قضى عليه بما فيه ولما دخلت الايالة التونسية في حكم البيت الحسيني خلد الله بقاءه سكن المولى حسين بن علي تركي بدار حمودة باشا المرادي اولا وسكنها قبله المرحوم ابراهيم الشريف وهو آخر من تولى حكم تونس في منتهى الدولة المرادية . ثم انتقل المولى حسين الى قصور باردو . ومن هذا التاريخ جعل الامراء الحسينيون كرسي ملكهم ومساكنهم بباردو وباردو من بقايا الدولة الحفصية ولما ءالت نوبة الملك للباي حمودة باشا الحسيني وجه مهجته نحو عمارة الحاضرة التونسية فبنى داخلها وخارجها الثكنات والحصون والمساجد والاسبلة وغير ذلك من اعمال البر وفي جملة ذلك انه اسس سوق الباي وباشر احياء دار الامراء المرادين قال في مسامرات الظريف في ترجمة المشير « محمد الصادق باي » وبنى (اي الباي) سوق القصبة والعلو الباذخ الذي قبالته على دار المولى حمودة باشا المرادي التي عاوضها حمودة باشا المشير الحسيني في غرة شوال ١٢١٩ وجدد بنائها على الوجه الاتقن فكان هذا العلو الصادقي كالتاج على جبهة ذلك الجمال وتسمى اليوم سراية المملكة اه فحمودة باشا الحسيني هو الذي انشأ سراية المملكة فوق اطلال دار المراديين وبنى علوه البديع المشتمل على مساكنه ومساكن حاشيته ومن اجملها ترصيعا وتزويقا وتنميقا قاعة الانتظار ذات البهو العجيب والسقيف المموه بالذهب الوهاج وبيت القبة ذات النقوش الاندلسية الجميلة وبه يجلس في هذا العهد سمو الملك ابقاه الله في حفلة يوم رابع العيد كما يجتمع به مجلس الوزراء في موفى كل شهر وفي مجاري العادة هو بيت صدر الوزارة

وقد قدمنا لك ان هذا العلو اجتهد الباي حمودة باشا في تنسيقه وتهذيب اساليبه كما تشهد بذلك عرصاته وجدرانه وسقوفه ولا سيما صحنه الفسيح الذي هو عبارة عن نموذج حي مما حفظه الذوق العربي الصميم لاهل الاندلس بقرطبة وغرناطة وقد جعل النظر على تلك الاشغال لوكيل مرمته الحاج العربي زروق وكان شاهد المرمة الشيخ اسماعيل التميمي الذي قدمه لخطة القضاء بعد حين اما المباشرون للبناء فكانوا جماعة من مهرة البنائين بعصرهم منهم الامين محمد توسه والامين حميدة النيفرو جد المرحوم سليمان النيفرو المهندس البلدي وهذا الحفيد شارك في بناء باب البحر سنة ١٢٦٤ والابيات التي على واجهة الباب من نظم المدرس الشيخ احمد بن محمد بيرم المتوفى سنة ١٢٨٠

ومن البديهي ان اشغال النقش حديدة) والتطريز الفسيفساءي المحلاة به جدران بيوت ذلك العلو كان انجازه بمشاركة معلمين من المغاربة وفدوا على تونس وعنهم حفظ تلك الصناعة جماعة من ابناء البلاد ظهر حذقهم فيها بما انجزوه من الاشغال الساحرة كما تـراه بمعالم كثيرة منها زاوية سيدي حسن بن مسكه بسيدي المشرف بناها المرحوم مصطفى بن محمود باي في حدود سنة ١٢٥٢ ودار الاصارمة بنهج التريبونال ودار العشرة المعروفة بدار حسين حيث مساكن ودواوين الجنـرال القائد الاعلى للجيوش الفرنساوية بتونس ولسوء الحظ ان هذه الصناعة الجميلة طوى حديثها الزمـان وآخر من اشتهر فيها الامين الحاج يونس النقاش المتوفي سنة ١٢٩٠ ومن تلاميذه المرحوم قاره مصطفى الذي باشر اشغـال (النقش حديدة) الموجودة بواجهة المحكمة العدلية الفرنساوية بشارع باب البنات

وسمعنا من الثقاة ومن المرحوم الاميرالاي محمد بروطه وهو رجل ولد على عهد الباي حمودة باشا ومات في سنة ١٣٣١ عن مائة واربع سنين ان الباي المذكور لما باشر بنـاء السراية التي نحن بصددها وافق ذلك عام مسغبة فكان يستقدم المحتاجين من العامة للتوسيع عليهم والانتفـاع بيدهم العاملة في مرمتها ويمونهم في مقابلة ذلك فالصـانع الكبير بخبزتين والصانع الصغير بخبـزة واحدة وهذا مما حمل بعض معاصريه على وصفه بالشح على انه ندم على بناء هذه السراية وقال ان الاموال التي انفقها من اجلها لم ترجع بفائدة على اهل البلاد

وفي هذا العهد جدد الامير المذكور عمارة المسجد المجـاور لسرايته ووقـف على امـامه دارا لسكناه ابتلعتها ادارة الاشغـال العامة بطريق المعاوضة في جملة الابنية من اسواق ودور وحوانيت الحقوها الادارة المذكورة لنحو ربع قرن فائت

وفي عهد المرحوم المولى حسين بن محمود باي تولى هذا الامير انجاز ما لم يتم من الاشغال بالطاق السفلي من السراية في عهد خاله حمودة باشا فباشر اتمام سقيفتها مع ما يتبعه من البيوت واضاف لذلك جريا على عادة اسلافه في التسابق لاعمال البر سبيلا عموميا موقعه ببيت العسة الموجـود في هذا الزمان بسقيف السراية وما زال اثره حيا لهذا اليوم بشهادة الابيات المنقوشة فوق شبـاك ذلك البيت ومطلعها

هذا سبيـل الفضـل والاحسـان ومورد عذب لدى الضمئـان

وجاء عصر المشير احمد باي الاول وهو صاحب المواهب العالية والاطماع الواسعة فاعتنى بهذه السراية ايما اعتناء وجدد رياشها واثاثها وزاد في زخرفتها وكان كثير التردد عليها لانه يقصدهـا كلمـا جاء لتعاهد الثكنات والعساكر المشغوف بهم وكانت في ايامه كما في ايام سلفه معدة لنزول ضيوف الدولة كالامراء والمبعوثين الوافدين على تونس من اروبا ومن الاستانة وممن سكنها في عهده الدوك

منبانسي اصغر ابناء الملك لويز فيليب في سنة ١٢٦١ قال في تاريخ تونس للحكيم فرانك طبيب الباي ما معناه في شأن هذه الزيارة ان الباي الذي هو امير مسلم خصص منذ عدة ايام قصره الجميل المسمى دار الباي لقبول ضيفه المسيحي والاحتفاء به بتلك الدار التي احكم تأثيثها بابداع على النمط الاروباوي مع الاحتفاظ في جميع كلياتها وجزئياتها بالبذخ والفخامة العجيبة التي لا يناسبها في الوصف الا اعاجيب قصص الف ليلة وليلة « ثم قال » ومن حسن مصارفة الباي ونحريريته ان زين جدران تلك السراية بصور تمثل اشهر الوقايع الحربية التي كللت جبين فرنسا بالفخر مدا هذه الخمسين سنة الاخيرة يعني من انتصارات الجمهورية الاولى بايطاليا حتى الاستيلاء على مدينة قسنطينة وقدم بعد الدوك منبانسي المذكور اخواه البرنس جوانفيل والدوك دومال ونزلا ايضا بسراية المملكة في ضيافة المشير احمد باي وقلدهما نيشان البيت الحسيني وكتب لهما في ذلك ظهيرا عظيما من انشاء كاتبه الشيخ احمد ابن ابي الضياف تضمن ما لهذا الباي من المودة والتعلق بفرنسا فقد جاء فيه قوله « فانه حصل لنا بقدومكم فرح وسرور لا ينسى مدا الاعصار والدهور حيث تفضلتم بزيارتنا ووضحتم وثيق الربط في صحبتنا ومزيد الاعتناء بدولتنا وصداقة عيلتنا (ومنه ايضا قوله « وقبولكم له (اي للنيشان الحسيني) زيادة في سرورنا وايضاح لنورنا وتقوية لصدورنا وتزداد الرفعة والشان لهذا النيشان ومن هذا رأيت الدارين واحدة والقلوب على الصفا متعاضدة وهي اعظم فائدة حصلها عمري واكبر سرور ساعدني به دهري واقوى كنز اعددته لذخري » وهذا الظهير لم نقف عليه بتاريخ الشيخ ابن ابي الضياف ولكن عبارته باكملها نشر ترجمتها البحاثة هوقون بكتابه المتعلق بالبايات الحسينيين . اما الاثاثات والمعلقات الكثيرة والغريبة المشار اليها في كلام الحكيم فرانك السالف الذكر فقد تناولها التلاشي على توالي السنين وما بقي منها بيع بالمزاد العمومي في جملة الاشياء القديمة التي وقع تجديدها في سنة ١٣٢٠ بعد الفترة التي خيمت على السراية مدا الاربعة اعوام قبلها

وفي اواخر سنة ١٢٧٧ نزل ضيفا بدار الباي البرنس نابليون ابن عم الامبراطور نابليون الثالث مصحوبا بزوجته البرنسيسة كلوتيلد ابنة ملك ايطاليا فيكتور عمانويل الثاني ولما توجه لزيارة سمو الباي في قصر باردو اهداه سموه سيفا دمشقيا مرصعا وقلده النيشان الحسيني في موكب حفيل ورد له الزيارة بنفسه في يومه بسراية المملكة والوثائق التاريخية التي لدينا بشان هذه الزيارة تضمنت افادات شتى منها ان زوجة البرنس لما كان زوجها في حضرة الباي دخلت هي لزيارة الحريم حيث جلست ساعة زمانية في حضرة سمو الباية ومن حولها من نساء الاعيان وانه في اليوم الثاني من سكناه بالسراية اخلوا له حمام دار الجلد ليستحم فيه مع رجال حاشيته وكان المكلف بموانسته مدة اقامته بسراية المملكة امير اللواء فرحات مستشار الوزارة الخارجية وان الذي تلقاه عند وصوله ونزوله بحلق الوادي هو وزير البحر خير الدين

وفي العام المذكور اجريت اصلاحات معتبرة وتوسيعات وتاثيثات بسراية المملكة منها بيت المجلس الاكبر لاجتماعه بعد الاعلان بقانون عهد الامان وكان عدد اعضاء هذا المجلس ستين من العلماء والاعيان ومن رجال الدولة وكان بصدر بيت المجلس كرسي ملوكي يجلس عليه سمو الباي عند افتتاح المجلس وبه كانوا يعقدون الحفلة السنوية لختم امتحانات تلامذة المدرسة الصادقية يحضرها سمو الباي ووزراؤه ورجال دولته والعلماء والقناصل والاعيان وكانت دواوين الدولة قبل عصر الحماية تنتصب موقتا في شهر رمضان بسراية المملكة بالبيت الذي به اليوم رئيس القسم الاول ومعتمده وبيت المجلس الاكبر المذكور ءانفا هو الذي قسموه اقساما لنصب دواوين الحكومة عند انتقالها من باردو لتونس في عام ١٣٠٠

وفي ذي القعدة ١٢٧٨ وفد على الحاضرة مبعوث عثماني اسمه سعيد باشا اوفده السلطان عبد العزيز خان مع النيشان العثماني المرصع للمشير محمد الصادق باي فاسكنه الباي في ضيافته بسراية المملكة مدة اقامته بتونس وفي العام التالي نزل بها البرنس دي ڤال ولي عهد بريطانيا العظمى والبرنس فريدريك ولي عهد المانيا وقدم بعدهما في العام نفسه البرنس همبرت ولي عهد ايطاليا وكان قدوم هؤلاء الامراء ومن تقدمهم من اقرانهم عنوانا على ابتهاج دولهم بما توفق له سمو الباي من الاعلان بقانون عهد الامان وهذا الصنيع نفسه هو الذي كان باعثا على اتحاف الباي بجملة من الاوسمة العالية وبرسوم بعض ملوك اروبا كرسم الامبراطور نابليون الثالث والامبراطور فرانسوا جوزاف والملك فيكتور عمانويل الثاني مما هو موجود لهذا اليوم في جملة المجموعة النادرة والثمينة من الرسوم الملكية التي منها صورة الملك لويز فيليب المصنوعة من نسيج قوبلان اهداها صاحبها لحبيبه المشير احمد باي في سنة ١٢٦٢ قدروا قيمتها لستين سنة فارطة بمائة الف فرنك فتكون قيمتها في الزمن الحاضر قريبة من المليون

ولما ابتليت العمالة التونسية بثورة علي بن غذاهم قدمت الاساطيل الاروباوية للمياه التونسية كما حضر بحلق الوادي في ذلك الوقت قسم من الاسطول العثماني ومعه حيدر افندي الموفود من لدن الباب العالي لاستكشاف الحال فهذا المبعوث نزل ايضا ضيفا بسراية المملكة اثناء تلك الايام العصيبه (حجة ١٢٨٠) ولقد وقعت بيدي ورقة في جملة اوراق وتقاييد لبعض رجال الدور القديم ممن كان لهم المام باحوال الدولة فاذا بها بيان ما صرفوه على البرنس فريدريك شارل في كامل المدة التي نزل خلالها ضيفا بسراية المملكة في اوائل ١٢٨٩ وقدر ذلك ٦٩٨٥ ريالا على يد مستشار الوزارة الخارجية ومقتضى ورقة اخرى بلغ ثمن فطور رتبوه بسراية المملكة في رجب ١٢٩٢ اكراما لاميرال عثماني الى ٦٢٤ ريالا وممن حضر هذا الفطور امير لواء العسة حسن الزاوش وصالح افندي مترجم اللغة التركية بالوزارة الخارجية واتفق ان قدمت لتونس في العام قبله البرنسيسة دة هيس

من قرابة امبراطور المانيا مصحوبة بولديها البرنس ارنست والبرنس البير وكان وصولهم ليلة المولد الشريف فحال ذلك دون انزالهم بسراية المملكة لقدوم سمو الباي بنية المبيت بها للاحتفال بذلك الموسم ولكن سموه انزلها وولديها وحاشيتها على نفقته بدار الكفلين طابيا بحومة باب البحر ولم يسمح بنزولها في احد الخانات وخرجت وولداها للتفرج على زينة الاسواق في الليل وفي صبيحة يوم المولد أقتبلها سمو الباي مع ولديها بسراية المملكة بعد رجوعه من الجامع وقلد كلا من الولدين الصنف الاكبر من نيشان الافتخار ثم بعد انصرافها وجه الباي حفيده البرنس حسين باي لرد الزيارة لها بدار قنصلات المانيا هكذا وقفت عليه بمجموعة الرائد التونسي لعام ١٢٩١ ونظير هذه الضيافة الرسمية خارج دار الباي وقعت مرة اخرى في عهد المشير احمد باي فانه لما قدم عليه عمر جمال افندي في سنة ١٢٥٩ من قبل الباب العالي لتسوية الخلاف الحاصل بينه وبين دولة سردانية انزله الباي بالكرم ببستان صهره ابي النخبة مصطفى ءاغة وزير الحرب .

وفي اواسط عام ١٢٩١ شرع المشير محمد الصادق باي في بناء العلو الجديد المطل على بطحاء القصبة الذي سبقت الاشارة الية وسيأتي الكلام على سبب هدمه اما اتمام بنائه فقد كان في شعبان ١٢٩٢ وافتتحوه عن اذن الباي بتلاوة ءايات الذكر الحكيم هكذا سمعت من والدي رحمه الله واول موكب رسمي اقيم به كان لتلقي زيارة اميرال الاسطول الفرنساوي الذي قدم لتونس آواخر الشهر المذكور وتسابقت اقلام البلغاء والشعراء لتهنئة المولى الامير بما احدث من الابنية الجميلة التي اعادت على سراية القصبة شبابها من ذلك قصيدة عصماء للمفتي الشيخ احمد كريم (١) جاء فيها قوله :

وانظر الى تونس الخضراء قصبتها عـاد الشباب اليـها وانتفى الهرم

وقد وقفت على تقييد لبعض الاعيان تضمن تفصيل المصاريف الناتجة عن بناء العلو المتحدث عنه مع ما يتبعه من البطاح والسوق المواجهة لدار الباي حيث محلات ادارتي المال والاشغال العامة في التاريخ الحاضر فاذا به ريالات

٨٩٠٠٠	مصروف بناء العلو بواسطة الحاج الطاهر بن عمر امين البناء والحاج عمر بوعشير امين النجارة على يد امير اللواء العربي زروق رئيس المجلس البلدي
١٥٨٧٥	مصروف الدرج والدربوز والواجهة
٦٩٧٠	تحسينات الحاقية لم تشملها وفقة البناء
٦٤١٠	مصروف دهن شامل لمحلات العلو الجديد ولحوانيت السوق
٣٥٠٠٠	مصروف اتمام بناء السوق بعد عجز الجمعية التي احدثته
٣٢٣٦٠	مصروف تهيئة بطحاء القصبة وجلب ماء زغوان لها وتنويرها بستة فوانس غازية
١٨٥٦١٥	

(١) انظر ترجمته في الجزء السادس من المجلة صحيفة ٢٩٨

واصلاح حائط مقبرة السلسلة وتمهيد الطريق بينها وبين باب المنارة مراعاة للباب الذي فتحته جمعية الاوقاف في تلك الاثناء بالجامع الحفصي على الطريق المذكور وكان بابه بداخل القصبة فيما تقدم من القرون وهذه الحسنة الخالدة عززتها الجمعية يومئذاك بحسنة اعظم منها ألا وهي احياء جامع الحلق الذي اسسته اميرة حفصية حوالي المائة الثامنة للهجرة وكانت هـذه المآثر هي فاتحة السعي في عمارة بيوت الله بعد احداث جمعية الاوقاف بهمة المصلح الكبير الوزير خيرالدين وكان بوسط بطحاء القصبة خصة عظيمة وسط حوض حوله دكاكين لجلوس العموم وبصحن زاوية الشيخ سيدي الشريف المجاورة للسراية كانت هنالك نخلة عالية كادت تناطح السحاب قضت عليها زوبعة شديدة في سنة ١٣١٦

هذا وقد رأيت ان السوق المسامت لسراية المملكة كان في عهـدة جمعية تونسية عجزت عن اتمامه وصورة الخبر ان هذه السوق اقيم بعضها فوق مقبرة الترك الدارسة وبعضها على طلـل معصرة قديمة كانت بجوار ديوان المدافعية في عهد الترك وحديثها طويل ملخصه تشكيل جمعية رجالها اربعة من كبار الموظفين ولا حاجة لذكر اسمائهم اقطعتهم الدولة مساحة من الارض ليتولوا بنـاء اسواق للتجارة بطريق المساهمة ولما شرعوا في ذلك تداخل بينهم بعض شياطين الانس وتعطل اتمام المشروع فتولى انجازه بطريقة حاسمة رجل الحزم والعزم الوزير خير الدين اذ كلف المجلس البلـدي بامره وهذا بدوره ناط بناءه مقاطعة بعهدة من تحمل بذلك من لزامة البناء الاروباويين ولما تم بنـاء السوق انتصب به جماعة من اعيان التجار المسلمين ليوازنوا به تجارة سوق الباي التي كانت حوانيتها بيد اليهود فكانت متاجرهم في البداية دالجةولكنهم ما لبثوا حتى رجعـوا القهقرى لاسباب مالية يطول شرحهـا فمدت الخيبة جناحها على ذلك المشروع الاهلي وغلقت السوق وحوانيتهـا الى ان جاءت دولة الحمايـة واقامت مقامها ادارتي الاشغال العامة والمالية اثر انتقال دواوين الحكومة من باردو للحاضرة

وفيما بين عام ١٢٩٢ وعام ١٢٩٤ تكرر نزول الضيوف من الامراء الاروباويين بدار الباي تارة بالسكنى وتارة بحضور مادبات اكرام اقيمت لهم بها عن اذن سمو الباي

وفي شوال ١٢٩٥ وفد على تونس شريف وزان مولاي عبد السلام بن مـولاي الحاج العربي من ذرية مولاي الطيب صاحب الطريقة المشهورة فانزله الباي في ضيافته بسراية المملكة وقلده الصنف الاكبر من نيشان الافتخار وفي مدة اقامته بالسراية زاره قنصل فرانسا وغيره من نواب الدول بتونس مما قامت بنشره مفصلا صحيفة الرائد التونسي ووقفت بالصحيفة ٧١ من كناش للشيخ الوالدعلى نص مكتوب خصوصي من السلطان عبد الحميد خان مؤرخ في ١٠ قعـدة ١٢٩٥ خاطب بـه المشير محمد الصادق باي في اعلامه بتوجيه باخرة عثمانية مع الاميرالاي سليمان بك لحمل عائلة الوزير خير الدين من تونس للاستانة وان الرسول المذكور انزله سمو الباي بسراية المملكة مـدة اسبوع وكان المصاحب له اثناء اقامته بدار الباي المعين الاميرالاي ابراهم باش بلهوان

ولم يقع العثور بعد هذه الضيافة على اسماء من نزل بالسراية من الضيوف في الثلاثة الاعوام التالية اللهم الا سكنى الجنرال لمبير بها في اواخر حجة ١٢٩٨ كما سيأتي الكلام عليه

وقد ورد فيما تقدم ذكر زاوية سيدي الشريف المجاورة لخزنة المكاتيب المنتصبة بالطابق السفلي من السراية فهذه الزاوية فيما يقال اشار المكلف اذ ذاك بالوقوف على اشغال بطحاء القصبة بازالتها ونقل رفاتها لمقبرة السلسلة واتفق ان ذلك المامور ادركه اجله في تلك الاثناء بحادث عرضي فتشاءم الناس من ذلك وراوه عقابا للمساعي المبذولة في محو الزاوية المشار اليها ولم يمسها بعد احد بسوء وما أشبه هذه القصة بنظيرتها قرينة العهد المتعلقة بقبر الفرعون المصري توت انخ أمون الذي كشف عنه احد علماء الآثار من الانكليز بوادي الملوك في سنة ١٣٤١ (١٩٢٢ للميلاد) واتفق ان لسعته ذبابة عند دخوله للرمس الفرعوني فسم دمه ومات بعد يومين من تلك اللسعة والتاريخ يعيد نفسه كما هو مقرر معلوم . وفي الشهور الاولى من انتصاب الحماية سكن بسراية المملكة الجنرال لمبير حاكم قلعة تونس وهو اول من مثل الدولة الحامية بالمشاركة في موكب المولد الشريف حيث صاحب سمو الباي محمد الصادق في ١٢ ربيع الانور ١٢٩٩ من السراية الى جامع الزيتونة وابتداء من العام التالي صارت هذه المشاركة من متعلقات الوزير المقيم فكان المسيو كمبون هو المصاحب للمولى علي باي عند خروجه لمولد عام ١٣٠٠ وعلى هذه القاعدة استمر العمل بها الى اليوم ولما وقع احداث الكتابة العامة لاجراء الرقابة الفرنساوية على الادارة التونسية باشروا في منتصف ربيع الاخر سنة ١٣٠٠ نقل دواوين الحكومة التونسية من باردو للحاضرة لنصبها بصفة قارة بسراية حلق الوادي التي احدثها احمد باي آخر مدته وفي رمضان بسراية المملكة بالحاضرة حيث هي الآن وعنها تفرعت بقية الادارات الموجودة لهذا العهد منها ادارة الحرب وادارة الامور العدلية ومجالسها والمطبعة الرسمية التي كانت نفسها اسطبلا تابعا للسراية في العهد القديم وادارة المحافظة وكان مكانها قهوة الاتراك في عهد الدولة المرادية وزيد على ذلك ابنية الكتابة العامة وكان حولها بئر عميقة من عمل الاقدمين فجعلوا دار الطباعة خزنة عمومية لمحفوظات الدولة وبنوا فوقها وفوق البئر وما حولها اقسام الكتابة العامة الشامل نظرها للقسم الاول الذي ابقي مركزه بمحلات السراية الملكية حيث كان هو صلة الوصل بين الكتابة العامة وبين الوزارة الكبرى وهذه مركزها بالسراية العامرة ومن وقت هذا الازدواج بين القديم والجديد نزعت من سراية المملكة صبغة الضيافة التي كانت متلبسة بها في الدور القديم ولم يبق من مظاهرها الا المادبة الملكية التي كان سمو الباي يقيمها ليلة المولد الشريف وليلة ٢٧ رمضان ويلوح ان هذه المادبة من محدثات المشير احمد باي لانه هو اول من رتب الاحتفال بموسم المولد النبوي ولم يكونوا يحتفلون به قبله اللهم الا ما اعتادوه من عهد

الدولة الحفصية من قراءة بردة الشيخ البوصيري بكتاتيب تعليم القرآن الكريم فرتب المشير احمد باي في عام ١٢٥٧ حفلة عسكرية نهار المولد كما هو جار لهذا العهد ورتب المبيت بسراية المملكة لاحياء تلك الليلة اما المادبة التي تقام ليلتئذ بالسراية فان اغلب الوانها كان يوتى بها من ديار الوزراء واهل الدائرة الملكية يتنافسون في ذلك ومن يحرز منهم قصب السبق يحتفظ بحساب ايام العام ولياليه ليتدارك ما فاته في الموسم التالي ولا خلاف في ان المشير محمد الصادق باي هو الذي وسع في حفلة ليلة المولد وليلة ٢٧ رمضان وكساها حلة الفخامة والجلال فقد رايت في بعض التقاييد ان مصروف مادبة عشائه ليلة مولد ١٢٨٩ بلغ الى ٦٩٠٠ ريالا وهو مبلغ عظيم بالنسبة لذلك الزمان

وكان كاسلافه يقضي تلك الليلة بسراية المملكة ومبيته بالبيت المطل على القصبة وعلى قياسه جرى عمل اخيه المولى علي باي في مبادي ملكه وكان يعقد مواكبه الهامة بالبيت المشار اليه وبه تلقى زيارة مالك البلجيك ليوبلد الثاني وزيارة الكثيرين من وزراء فرنسا منهم وزير المعارف مسيو بوانكاري الذي تقدم فيما بعد لرءاسة الجمهورية وكان قدومه للمشاركة في حفلة فتح مرسى تونس لسير السفن (١٣١٠)

ولما قدم على التوالي لزيارة تونس اصحاب الفخامة رؤساء الجمهورية الفرنسوية اقيمت لكل منهم مادبة ملوكية فاخرة بسراية المملكة آخرتها الوليمة السنية التي اقامها سيدنا ومولانا الملك الموجود متع الله بقائه الوجود بمناسبة قبوله لفخامة مسيو دومرق في عام ١٣٥٠ وفي سنة ١٣٣٠ اكتشفوا على تداعي بسقف صحن العلو الجديد واستقر الراي على هدمه ولما شرعوا في ذلك وجدوا ان بقية السقوف كانت متداعية ايضا فاضطروا لهدمها وفي جملتها سقف البيت المطل على بطحاء القصبة والبيت نفسه لظهور سقوط في جدار الطاق السفلي القديم المقام عليه البيت المذكور وهذا البيت هو الذي كانت تقام به امتحانات الجامع الاعظم في صائفة كل عام وكان مناخها جامع الزيتونة في الدور القديم فلما تولى المستعرب مسيو ماشويل مديرا للمعارف سعى في نقل الامتحانات المشار اليها من الجامع لدار الباي ظنا منه فيما يقال ان جعلها خارج الجامع يسهل له الحضور لجانب المشائخ النظار بمجلس الامتحان وفعلا قدم ذات يوم لمجلس الامتحان وكان المشائخ في الاختبار والجميع بحال جلوس فوق فرش ارضية (جزاري) فوجم المدير عن خلع نعاله واكتفى بـاشارة السلام على الشيوخ بيده وهو واقف بالباب وحضراتهم حيوه بالمثل من مكانهم ولم يزيدوا على ذلك شيئا فكان هذا الحادث هو المانع لفتح باب مشاركة مسيو ماشويل في امتحانات جامع الزيتونة عمره الله

وفي خلال هذه العشرين سنة الاخيرة دار الحديث مرارا في شأن تجديد ما وقع هدمه من سراية المملكة واصلاح ما بقي منها متداعيا للسقوط وكلما عزموا على انجاز تلك الاشغال الا وكانت حالة الميزانية عثرة في ذلك السبيل وبقي بمحفوظي ان الاشغال المذكورة كان وقع تقديرها بنحو ثلاثة ملايين في مدة الحرب ولا شك انها اليوم اكثر من ذلك بكثير ويلوح ان دار الباي سيطلع نجم شبابها من جديد في الاجل

تراجم عظمائنا

الشيخ صالح الكواش

بقلم العالم النحرير الشيخ سيدي ابراهيم النيفر
المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

للتاريخ نواح متعددة وجهات كثيرة . وقد اختلفت اتجاهات المؤرخين فمن مؤرخ جعل همه حياة الملوك بضبط اوقات ولاداتهم وولاياتهم ووفياتهم وأهم ما وقع في زمانهم من الحوادث العظيمة من حرب وصلح وبيان سيرتهم واسماء وزرائهم وقضاتهم وغير ذلك . ومن مؤرخ همه في حياة الامم الاجتماعية والسياسية والعلمية وبيان اطوارها ارتقاء وانحطاطا وما بلغت اليه من المدنية . ومن مؤرخ بذل جهده للتنقيب عن حياة العظماء والنوابغ في السياسة والعلم وبيان آثارهم واعمالهم وفضلهم على الحياة العامة . من ملك اقام قسطاس العدل بين الرعية واعان على نشر العلوم وتعمير البلدان وخلق من امة ميتة شعبا حيا فتيا وفتح ممالك وامصارا جعلها مجالا فسيحا لانتشار شعبه وتعمير ارضها وبث المدنية بين ربوعها . ومن عالم نفع الناس بعلمه وبثه في صدور الرجال عامل بما علمه الله قوام بحقوق الله لا تأخذه في الحق لومة لائم آمر بالمعروف ناه عن المنكر لا يضره من خالفه حتى ياتيه اليقين . ومن مخترع كان له على الانسانية الفضل العظيم والمزية الكبرى باختراع نفع بـه الهياة الاجتماعية وأدى به خدمة نحو البشرية . ومن اديب كبير أيقظ شعورا وأثار احساسا فبعث امة من مرقـدها وبث فيها روحا بعد موتها . ومن كاتب بليغ وخطيب مصقع كان لنفثات قلمه الاثر الفعال والصدى الذي تتجاوب به الاصقاع واهم هذه البحوث التاريخية البحث عن حياة الامم ارتقاء وانحطاطا بالكشف عن حياتها الاجتماعية وحياتها السياسية وحياتها العلمية ومبلغ ما وصلت اليه في جميع ادوارها واسباب ارتفاعها

القريب لانهم اعتبروا لها في ميزانية العام الفارط مبلغا معتبرا من المال لفحص ابنيتها الموجودة باجمعها مع تحرير خريطة هندسية لما تحتاج اليه من التجديد وقد استغرقت هذه الاشغال التحضيرية عدة اشهر وتمت على الـوجه الاكمل ويقال ان تلك الاشغال لما كانت ذات اهمية عظيمة لا بد من تقسيمها على عدة سنين لان ميزانية عام واحد ليس في وسعها التحمل بتلك الاكلاف المعتبرة دفعة واحدة ولاجل ذلك خصصوا قسطا اولا بمقدار مليون بميزانية هذا العام للشروع في البناء المرغوب ليتم انجازه في الاجل المحسوب

ونختم هذه النبذة بذكر الاسماء التي عرفت بها هذه السراية في ادوار حياتها المديدة فقد كانت في مباديها تسمى دار حمودة بـاشا ثم اطلقوا عليها اسماء اخرى منها دار القصبة ودار الباي ودار الضيوف ودار المملكة وسراية المملكة وهذا التعريف الاخير هو اسمها في النصوص الرسمية الحديثة واول ما استعملوه في عهد المشير محمد باي اثناء حوادث عهد الامان واما عند الافرنج فانها لا تعرف بغير اسم دار الباي، وهذا مسك الختام وعلى القاري السلام

محمد بن الخوجة

وسقوطها ولكن البحث عن حياة الرجال وما لهم من الآثار والمناقب هو النور الذي يضيء طريق الباحث عن تاريخ الامم . فما عظمة الامة الا برجالها النوابغ في العلوم والسياسة والحروب . وقد اشتهر في تاريخ تونس كثير من رجال العلم والادب والاجتماع والسياسة يجب على كل مريد للبحث عن تراثنا العظيم وتالدنا القديم أن يتتبع ويستقصي اخبارهم ويستنتج من جميع ذلك ما كان عليه سلفنا في كل طور من اطواره من عظمة وضدها وارتقاء وانحطاط . ولذلك عزمت على امداد المجلة الزيتونية المباركة بحياة بعض عظمائنا الذين كانت لهم مزية خاصة حفظها لهم التاريخ كانت هذه الفكرة تختمر في نفسي فزارني بعض افاضل الادباء الباحثين وجرى بيننا حديث ذو شجون انتهى بنا الى ذكر العلامة الكبير الشيخ صالح الكواش فذكرت له شيئا من اخباره وما كان له من الصراحة في القول والقيام بواجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم تهيبه لاصحاب الولايات والنفوذ . فرغب في ان انشر شيئا من ترجمته في المجلة الزيتونية فوعدته بذلك ولكن الشواغل الكثيرة حالت دون تحقيق هذه الامنية في وقتها ولما سنحت الفرصة بادرت الى كتابة هذه الكلمة وان كانت دون مقداره . لا تفي باستقصاء جميع اخباره . فاقول مستعينا بالله

صله ونشأته

هو الشيخ صالح بن حسن شهر الكواش . ولد بتونس سنة ١١٣٧ واصل جده من الكاف يتصل نسبه بالشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش المغربي الذي يتصل نسبه بسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما . وولد ابوه بالحاضرة وكان يشتغل بالفلاحة وكان فرانا ايضا قرب زاوية سيدي المشرف . والكواش بلسان اهل تونس هو الفران ولا ادري المناسبة بين المعنى الوضعي للكواش والمعنى المتعارف . فالكواش لغة هو كثير الفزع . من كاش بمعنى فزع

طلبه للعلم

حفظ القرآن صغيرا وتعلقت همته بطلب العلم وكان ابوه يمنعه من ذلك ويريد ان يرغمه على الاشتغال معه بالفرن وربما اوكل اليه رعايته فيترك الفرن ويذهب لقراءة العلم فإذا جاء وبخه وربما ضربه وحجر عليه العود للقراءة فلا يلبث ان يعود حتى سئم ابوه من ذلك فتركه ونفسه ومات ابوه وعمره اربع عشرة سنة فاقبل على طلب العلم بشغف متناه وتلهف شديد . ووجد بغيته من أعلام ذلك العصر فقرأ على العلامة الكبير الشيخ محمد الغرياني والعلامة الصالح الشيخ عبد الكبير الشريف والقاضي العادل الشيخ حمودة الريكلي والشيخ احمد اللعلاع والعلامة الطائر الصيت الشيخ محمد بيرم الاول وغيرهم من اعلام ذلك العصر ولم يمض على ابتداء طلبه للعلم الا بضع سنوات حتى برز على اقرانه وشاع ذكره مع صغر سنه

تـدريسـه

انتصب للتدريس بجامع الزيتونة فهرع اليه الطلاب وانتفعوا به أيما انتفاع وتخرج عليه جماعة من العلماء كالعلامة الكبير الشيخ اسماعيل التميمي والعلامة الصالح الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي وغيرهما ممن يطول بنا تعدادهم، وكان ءاية الله في التحقيق والحفظ مع ذكاء وقاد ، كاد ان يحفظ كل ما قرأه حتى انه كان يقرئى المطول وشرح الزرقاني على المختصر يمر على محل الدرس بدكان بعض الكتبيين مرورا خفيفا ثم يدخل جامع الزيتونة فيأتي بتحقيقات عجيبة وينقل من حواشي المطول ما مر على رؤيته له السنون العديدة وكان إخصائيا في المطول لا يقدر أحد من علماء عصره على مجاراته فيه

امتحـانه

امتحن الشيخ رضي الله عنه محنتين . اولاهما : اضطراره للخروج من تونس مختفيا خوفا على نفسه وذلك أن البلاد التونسية كانت تعيش مدة الباشا علي مغتصب الملك من عمه المولى حسين بن علي تحت كابوس شديد من الضغط بحيث إن الناس كانوا لا يأمنون على انفسهم ويكفي الامير أن يتهم عنده الانسان بورود مكتوب عليه أو سلام من أبناء عمه الملتجئين الى قسنطينة فيأمر بشنقه أو نفيه أو سجنه دون تبين . وقد وشي بالشيخ الى الباشا بأن له علاقة بأبناء عمه فعزم على الانتقام منه فعلم الشيخ بذلك فلاذ بالاختفاء وخرج متنكرا ينتقل من بلد الى بلد حتى وصل طرابلس ثم ذهب الى ازمير فالقسطنطينية واستقر بها ولقي بها حظوة كبرى واجتمع بشيخ الاسلام بها وبعلمائها وجرت بينهم مذاكرات علمية ظهر فيها فضله واستقر بها زمانا لقي فيه من أهلها كرامة موفورة وحصلت يده على ثروة وعزم على الاستقرار بها نهائيا ولما دالت دولة الباشا علي وقدم الحاضرة ابناء المولى حسين بن علي وولي الامر أكبرهما المولى محمد الرشيد بعث الى الشيخ باسلامبول يستقدمه ويشوقه الى وطنه فحن اليه. وحب الوطن من الأيمان) فقدم تونس عن كره من علماء اسلامبول واكرم مقدمه المولى محمد الرشيد وانتفع به خلق كثير

اما محنته الثانية فهي ان بعض الفسقة وشي به الى المولى علي باي ابن المولى حسين بن علي مـدة ولايته ونسب اليه امورا هو منها بريء فنفاه الباي الى منزل تميم ثم ندم على ما فرط منه وتبين كذب الوشاية فأسرع الى استقدامه بعد شهر من نفيه ولما وصل الحاضرة استقدمه لداره وعظمه وطلب منه أن يعفو عنه معتذراً بان بعض الافاكين نقل اليه ما غير قلبه عليه فامتنع من مسامحته وقال له إن الله ولاك امرنا فعليك بالتثبت والله تعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وأنت لم تتبين فلم يزل يلاطفه ويستعطفه حتى عفا عنه

تـآليـفـه

شرح الصلاة المشيشية بـاقتراح من شيخ الاسلام بـاسلامبول شرحا عجيبا أعجب به علماء الترك غاية الاعجاب ، وشرح قصيدة الامير محمد الرشيد باي القافية التي مطلعها :

امولاي إن النفس لما تعودت جميلك راحت بالفواضل تنطق

شرحا مطولا أتى فيه بالعجب العجاب من التحقيق اختصره العلامة المرحوم الشيخ احمد بن حسين كبير اهل الشورى المالكية

شعره

كان رحمه الله يقول الشعر الجد لكنه من الشعراء المقلين . ومن شعره يهني الامير علي باي بموت يونس باي :

راحة الصب غيبة الرقباء حين زال الرقيب زال عنائي
فاذا أسعد الزمان محبا نزه القلب في رياض الهناء

الى أن يقول :

تونس الانس زال نقطك من اسـ ـفل فاحو علامة العلياء
ليس للغاصب الظلوم قرار بل يزال تحتما بالقضاء
ألوراثه سبيل الى الاخـ ـذ نعم هو ضامن للتواء
يا سليلا لغاصب رد منه مستحق لوارث الملكاء
فالذي منكم يعيش قليلا منشد الحال قولة الاشقياء
« ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء »
يا أميرا سما بحسن خصال ورقى همة على الجوزاء
هكذا تنقضي الاعادي بمحض الـ ـفضل لا بتكلف وعناء
خلد الله دولة الملك فيكم بالغا فضلكم عنان السماء

اخلاقه

كان رحمه الله شديدا في الحق لا تأخذه فيه لومة لائم لا يهاب اميرا ولا وزيرا ولا صاحب شوكة يجاهر برأيه ولو أدى ذلك الى ما أدى . ولذلك امتحن . قال له الامير علي باي مرة يا ايها الشيخ : انك جمعت من العلم والدين ما تفرق في غيرك ولكنك لا تحسن السياسة . فقال إنا اعلم الناس بالسياسة ولكنك تريد ان تخالف الشرع وأجاريك على ذلك فاذا لم أجارك قلت اني لا احسن السياسة . ويروى انه دخل يوما على المولى حمودة باشا وقد مات ولده فوجده شديد الجزع عديم الصبر فقال له : ان الله ما بولدك ابتدا . ولا عليك اعتدى . فان رضيت فياحبذا . والا فعليك بذا او بذا . واشار الى جداري البيت فمري عنه وصبر واحتسب

ومن شدته في تغيير المنكر انه حضر يوما ختم بعض التلامذة لتجويد القرآن على العالم الشيخ حمادة ابن الامين استاذ علم القراءات في عصره فقرأ قوله تعالى : ما أغنى عنه ماله وما كسب . ولما اعاد الآية لاستيعاب اوجه القراءات اقتصر على قوله أغنى عنه ماله وما كسب . فصاح به الشيخ صالح وقال له : ان الله يقول : ما أغنى وانت تقول أغنى فقال له الشيخ حمادة ان اصطلاحنا اننا لا نعيد من الآية الا محل الحاجة في اختلاف القراء فشدد الشيخ صالح عليه النكير واصر الشيخ حمادة على رأيه واشتد بينهما النزاع وافترق المجلس على غير طائل . ورفع الشيخ حمادة امره الى الامير حمودة باشا فلم ينفعه ولم يجد من العلماء من يؤيده فانقطع الشيخ حمادة عن التدريس من ذلك الوقت ولم يعد اليه وانكر يوما على ايمة جامع الزيتونة التزام تاخير صلاة الظهر فلما علم بدلك العلامة الشيخ

عمر المحجوب امام الخمس قال : كيف ينكر الشيخ ذلك وقد نص الشاطبي على جوازه . فلما سمع الشيخ صالح قال : قولوا له يقلب الورقة يجد فيها ان ذلك جائز ما لم يتخذ عادة .

وقد كان رحمه الله زاهدا في الدنيا راغبا عما في ايدي الناس لا يميل الى البذاخة في المأكل والملبس والمسكن . ولي مشيخة المدرسة المنتصرية والتدريس بها وكان من اوقافها دار حبس على شيخها فسكنها الشيخ مدة فتداعت للسقوط فذهب الى المولى حمودة باشا وقال له : ان الدار تداعت للسقوط وليس في مال الوقف ما يكفي لاصلاحها وطلب منه ان يصلحها من بيت المال . فقال له الامير : اشتري لك دارا تسكنها وتبقى لذريتك من بعدك والدار يصلحها وكيل الوقف من الفواضل فقال له الشيخ ليس من مكارم الاخلاق أن اسكن دارا زمنا فاذا تداعت اتركها واما ولدي فالله له من بعدي . وكان الامر كذلك وانتقل مدة الاصلاح الى دار تلميذه الشيخ محمد المسعودي ثم رجع اليها . وكان الوزير يوسف صاحب الطابع يحضر كل يوم بنفسه لمعاينة الترميم عناية بالشيخ . ولما توفي وولي مشيخة المدرسة تلميذه الشيخ محمد السنوسي الكافي صاحب نظم لفظ الدرر ضايق ولد الشيخ في سكنى الدار حتى انه طلب منه ان يمهله اياما ريثما يجد دارا يسكنها فلم يسعفه الشيخ السنوسي بذلك ولم يراع حق شيخه ولعله كان مضطرا لسكناها . وكان الشيخ شديد الحب لولده الشيخ محمد الذي اعتنى بتعليمه حتى صارت له رتبة علمية وولي العدالة . ومن شدة حبه له انه كان لا ينطق باسمه الا مقرونا بالسيادة فلا يقول الا سيدي محمد حتى جرى ذلك على ألسنة تلامذته فكانوا لا يذكرون اسمه الا كما يذكره الشيخ . ولكنه امتحن بعد أبيه واخر عن العدالة وضاق به الامر حتى سعى له الشيخ محمد بيرم الثاني في ارجاع امر العدالة له

وفاته

توفي الشيخ رحمه الله مساء يوم الاثنين سابع عشر شوال ودفن صبيحه يوم الاربعاء تاسع عشر عام ١٢١٨ . ورثاه كثير من الشعراء ومنهم العلامة الكبير تلميذه الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي بقصيدة كتبت على قبره ودفن قرب ضريح الامام ابن عرفه جوار المغارة الشاذلية بالجلاز ونصها :

لمثلك من خطب تنوح النوائح ... وترتاع في اغمادهن الصفائح
أريقت له دون الدموع دماؤنا ... وشقت له دون الجيوب الجوارح
هو القدر المحتوم يلقاه سائح ... ويرمي به في غامض الميم سابح
وأما وقد أودى الحمام بصالح ... وقد عم ثلم في علا الدين واضح
هو العلم العلامة الفرد من غدا ... ولا فرد في ادنى معاليه طامح
هو المنهل الفياض ينبوع علمه ... بماء حياة بحره العذب طافح
امام الورى الشيخ الهمام الذي له ... مآثر راقت في علاها المدائح
فتى كان اما فكره فهو معجز ... ذكاء واما علمه فهو فاضح
حوى فكره كل العلوم بنقلها ... ومعقولها نقل له وهو شارح
فمن لعلوم الدين من بعد صالح ... إذا نابها خطب من الغير فادح
كوى مصرع الكواش اكباد اهله ... ففي كل قلب من جوى الحزن قادح
حوى قبره مع ضيقه من علومه ... رواسي قد ضاقت بهن الاباطح
حوى جامع العلم الذي انقاد لاسمه ... اذا ما تلى من مشكل معلم جامح
فما غاب حتى ادبرت أنجم الهدى ... وصاح بادبار المعارف صائح
وقال الورى قد مات علامة الورى ... فأرخ (يموت العلم ان مات صالح)

الأدب

ذكرى المتنبي

حياة تنقضي والذكر حي لعمري ذلك الامل العصي
فما كل النفوس تعيش ذكرا ولا كل المدارك احمدي
فكم من أنفس نعيت وفاتت وقد نسيت وما سكت النعي
حياة المرء في عطل ممات وموت اخي الحجى عيش رضي
تمجده الروائح والغوادي وتكبره الصبائح والعشي

❁ ❁ ❁

أأودى ذكر أحمد بعد الف تقضى او خبا الاثر السني
وغيد قريضه تختال عجبا بقد أين منه السمهري
والحاض مراض فاتكات يحاذر هول طعنتها الكمي
شدت ببهائها الدنيا وغنى بها القمران والنجم العلي
فمال الدهر من طرب وأشجى حلوم رجاله النغم الشجي
وحملت العهاد لها التحايا فبلغها لروضتها الولي
ولاحت في سماء الشعر نورا به يستوضح السبل الغوي
وعم المشرقين سنا فاضحى لها في كل ناحية نجي
بدائعها لآل الضاد وشي وروعتها لمنطقهم حلي
ومعناها لاهل الشعر وحي وسحر بيانها لهم رئي
معين بلاغة غدق روي وروض فصاحة عبق شذي
ودأماء بها الشعراء غاصت وهل غير اليتيم هناك شي
محاسن نسجها غرر غوالي يكللها الجلال اليعربي
تلألأ مثل ازهار الروابي على وجناتها در ندي

❁ ❁ ❁

لاحمد منطق في الشعر فرد عصامي البلاغة بابلي
جراءته لها القدح المعلى وحكمته لها الشان العلي

ترى ممدوحه يهتز عجبا — كمن قد ناله مس خفي
وقد مدح الغطارف فاعتلاهم — جلال من مدائحه سني
يطول على الملوك اذا أتاهم — فيعصمه حجاه العبقري
وهل غير الحجى كنف ومنجى — اذا فلق الظلام المشرفي
وهل ان السيوف تفيد شيئا — اذا قدح الزناد الالمعي
تلمس شعر احمد كل سمح — تناخ بضل مغناه المطي
اتى حمدان ممتدحا فوافى — فتى برا له الخلق الرضي
تصان بسيف دولته المعالي — ويخشى بأسه الحدث القسي
لسان المدح في علياه طلق — وصوت الشعر من نعماه حي
تزاحم منهما ملك همام — وتواق الى العليا أبي
فذا كلف بنيل الملك صب — وذاك بما سوى حلب سخي
فغادر أحمد حلبا وولى — وبين ضلوعه قلب وفي
وام النيل تسرعه الاماني — ويغريه المعين الكوثري
فالفى ملك كافور عظيما — أريكته الكنائن والقسي
وألفى مصر باسمة المحيا — تتوجها السعادة والرقي
فزاد طموحه للعز طولا — واغراه الدهاء الاعجمي
وظن بوعد كافور وفاء — وذلك لو درى ظن فري
اما قد اوجس الاستاذ خوفا — ومادحه بمزعمه نبي
تحدى بالمدائح مادحيه — وبين غضونها شتم خفي
قضى بالنيل اياما ولما — جفاه الحظ والعيش الهني
ولاقى من لدن كافور مطلا — وأضوى لبه الامل القصي
هجا مصرا وصاحبها بشعر — له جفن العلي هطل دمي
وغادر ساحة الهرمين يحدو — ركائبه الحسام المشرفي
كذاك قضى الحياة مع الاماني — مجد في تطلبها جري
يكلل هامة الدنيا بشعر — يبذ به النظام الجوهري
ومن قد خلف الآيات تتلى — على سمع البرية فهو حي

الطاهر القصار

الحركة العلمية والادبية

الاحتفال برأس العام الهجري

اقيمت حفلة كبرى بمناسبة دخول العام الهجري الجديد شارك في القيام بها جمعية الشبان المسلمين وجمعية الشبيبة الزيتونية وجمعية الرابطة الادبية . وكانت تحت رئاسة الشيخ محمد المختار بن محمود رئيس تحرير المجلة الزيتونية . وقد وقعت اثر صلاة العشاء من يوم السبت في ٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٥٥ (الموافق ليوم ١٣ مارس سنة ١٩٣٧) بجامع ابي الخيرات يوسف صاحب الطابع .

افتتحت الحفلة بتلاوة القرآن العظيم . ثم وقف رئيس الحفلة فالقى مسامرة بسط فيها القول عن تاريخ الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام . وتعرض لما لاقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشدائد في تبليغ دعوة الاسلام من مشركي العرب وكفار قريش الذين قابلوا تلك الدعوة بالمقاومة الشديدة . والاصرار على الكفر . والتفنن في اساليب المقاومة . فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك كله . وقابله بصدر رحب وعزيمة صادقة في التوكل على الله . والاعتماد عليه . حتى صدق الله وعده . ونصر عبده . ونشرت كلمة الله في جميع البقاع . وانتشر دين الاسلام . ودخل الناس فيه افواجا . ثم بعد هذا الاستعراض التاريخي تعرض لما ينبغي ان يستفاد من ذلك من العبر . التي من اهمها استصغار المسلم لكل ما يلاقيه من الاذى في سبيل الدفاع عن دين الاسلام . مع بذل الجهد في نشره وبيان فضائله للناس ولو ضحى المسلم في سبيل ذلك بنفسه وما له وولده . (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) . وبعدما انتهى من مسامرته اعطيت الكلمة لبقية السادة الخطباء والشعراء فالقى كل واحد منهم ما يناسب المقام مع الاجادة وحسن الاختيار وكانوا على الترتيب الآتي : محمد الصادق بسيس (خطبة) محمد الغربي (خطبة) رشيد ادريس (خطبة) الصادق ابن عبد الحميد (خطبة) علي البلهوان (خطبة) الاخضر السائحي (قصيدة) الطيب بن عيسى (خطبة) الطاهر الباجي (خطبة) . ولما انتهى الخطباء وقع التوجه الى الله والتضرع اليه في بيت من بيوته ان يجعل هذا العام الجديد عام رغد ورخاء وسرور وهناء . وان يكشف عنا هذه الضائقة الكبرى التي اناخت بكلكلها على البلاد التونسية وان ينظر الى هذا القطر والى سائر اقطار المسلمين بعين لطفه ورحمته . انه هو الجواد الكريم الرؤوف الرحيم .

احتفال جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بالهجرة

ثم ان جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين اقامت احتفالا آخر بالهجرة في يوم الخميس ١٢ محرم (الموافق ليوم ٢٥ مارس بمقر الجمعية الخلدونية . وقد كانت حفلة رائقة حضرها بعض المشائخ المدرسين بالجامع الاعظم وكثير من طلبته وغيرهم من الفضلاء والادباء . وقد تداول فيها الخطابة نجباء من تلامذة الجامع الاعظم الجزائريين فاجادوا وأحسنوا وشارك فيها بعض علماء الجزائر بارسال كلمات القيت في تلك الحفلة بالنيابة عنهم ووقف في آخر الحفلة الشيخ محمد المختار بن محمود فارتجل خطابا اظهر فيه ابتهاجه بهاته الحفلة وببراعة الذين تداولوا القول فيها . واثنى على الطلبة الجزائريين لما تحلوا به من الحزم والعزم وحسن التربية . وقد علمنا ان الجمعية ستطبع جميع ما القي في هاته الحفلة في نشرة خاصة تخليدا لهذه الذكرى وتسجيلا لما قامت به من الاعمال . ونحن نشكر الجمعية المذكورة و نثني على اعضائها وعلى رئيسها الشاب النجيب السيد الشاذلي المكي . ونرجو لهم من الله الاعانة والتوفيق .

مجلة شمس الاسلام

تعزز جانب المجلة الزيتونية بمجلة اخرى من نوعها تعمل لبث الفضائل ومكارم الاخلاق . وتنشر محاسن الدين الاسلامي وفضائله . وتنير حركة النهوض الفكري مع التقيد بقواعد الدين والسير على ضوء مباديه . وتعمل لمقاومة كل حركة يظهر منها الزيغ والالحاد والتمشي مع الهوى

تلك هي مجلة (شمس الاسلام) لصاحبها ورئيس تحريرها حضرة العالم الجليل الشيخ محمد الصالح بن مراد الاستاذ بجامع الزيتونة

ومن يعرف هذا الشيخ المفضال وما جبل عليه من الصراحة والاستقلال بالرأي وصدق العزيمة وواسع النظر يحصل له اليقين بما ستكون عليه مجلته من الرقي في اسلوبها وانتقاء مواضيعها وجمال تبويبها .

وقد صدر العدد الاول منها في غرة شهر المحرم المنصرم واطلعنا عليه فوجدناه مطابقا لما توقعنا ان يكون قبل صدره . فهو مفعم بالمواضيع المفيدة التي تهم كل من يطلع عليه . فنحث عموم القراء على الاقبال على هاته المجلة الراقية والحرص على مطالعتها . ونرجو لصاحبها العلامة الكبير مزيد الاعانة ووافر النشاط .

جريدة (الشورى) ترتدي ثوب (الشباب)

كانت جريدة الشورى تقوم بعمل عظيم لا تكاد تضاهيها فيه أية جريدة اخرى . فقد كانت منبراً حراً . ومجالا واسعا لخدمة القضية العربية والدفاع عن العرب في مختلف الاقطار والامصار . فكنت اذا تقرأها لا تشعر بانها جريدة تصدر عن بلاد خاصة . بل يمكنك ان تنسبها لاي بلاد شئت من البلدان العربية . والمسائرون للحركة التونسية يعلمون ذلك اكثر من غيرهم . فقد كانت جريدة الشورى تنشر عن تونس اكثر مما كان يمكن نشره في الجرائد التونسية في بعض الاوقات . حتى ان التونسيين لم يطلعوا على كتاب الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي الفه عن تونس الا فيها

وما ذلك الا لما جبل عليه صاحبها ومؤسسها حضرة الكاتب الاديب السيد محمد علي الطاهر من التفاني في خدمة القضية العربية والاخلاص في الدفاع عنها . فمن اجل ذلك استاء الناس وضاقت منهم الصدور . عند ما تعطلت جريدة (الشورى) عن الصدور . وذلك في عام ١٣٥٠ واضطر صاحبها الى التباعد شيئا ما عن ميدان الصحافة . ولكن ها هو اليوم يرجع لاصدار جريدته من جديد . متحلية باسم (الشباب) الذي استعاره من صديقه الكاتب الشهير محمود عزمي . ونحن نتفاءل بهذا الاسم خيراً لانه يشعر بان جريدة الشورى سيعود لها شبابها . وتكون كما كانت عليه من قبل او احسن . وفعلا قد صدر العدد الاول من هذه الجريدة مؤرخا بيوم الاربعاء ٦ حجة سنة ١٣٥٥ وفي ١٧ فيفري سنة ١٩٣٧ واتصلنا به . وبعد ما اجلنا فيه الطرف وجدناه مفعما بالمقالات المفيدة . والتحارير الرفيعة . وموشح الصدر بمقالة لامير البيان شكيب ارسلان عالج فيها مسالة الاسكندرونة وخسران صفقة العرب والترك فيها . ونحن نرجو لهاته الجريدة توفر اسباب الحياة . وان يتسع مجالها كما اتسع من قبل . لخدمة القضية العربية ونحرض قراءنا على الاعتناء بمطالعتها . والمسارعة الى الاشتراك فيها . وعنوانها لا يزال هو العنوان القديم :

(شارع عبد العزيز رقم ٣٠ بالعتبة الخضراء بالقاهرة)

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي بجامع الزيتونة المعمور

عدد خاص

بالمولد النبوي الشريف

لعام ١٣٥٦

ثمن هذا العدد ٤ فرنكات

المطبعة التونسية

عددنا الخاص

بذكرى المولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام

سارت المجلات الدينية في هذه الاعوام الاخيرة على سنة حسنة وهي اغتنام فرصة حلول المواسم الاسلامية فتصدر اعدادا خاصة تتعلق بتلك المواسم ويشارك في تحريرها اعيان العلماء والفضلاء، فيبسط فيها القول . ولكنها تتخذ طريقة عامة فتحشر فيما تنشره من الاعداد الخاصة كل ما يمت الى موضوعها الخاص ولو بنسب بعيد

وقد رات (المجلة الزيتونية) ان تصدر عدد شهر ربيع الاول خاصا بذكرى المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام وارادت ان تبتكر طريقة لم تسبق اليها من قبل وهي ان يكون العدد خاصا بالمولد وما يتعلق به بحيث تكون جميع الفصول المنشورة به خاصة بهاته النقطة من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم

يفتح القارىء هذا العدد . فيطالع اولا (ذكرى منقذ البشرية الاعظم صلى الله عليه وسلم . وما هي العبرة من اقامة الذكريات . وما الذي ينبغي ان يستفيده المسلمون منها بصفة خاصة .) ثم يطالع بحثا يتعلق (بالاسم الشريف) ثم بحثا في (النسب الطاهر) وما يتعلق به ثم قصة (زواج الابوين الكريمين) ثم ذكر ما توالى من البشائر بالنبيء صلى الله عليه وسلم ثم بحثا يتعلق (بموضع الحمل والولادة) ثم بحثا في (تحقيق تاريخ الولادة) ثم بحثا يتعلق بالوليمة والختان ثم (ترجمة القابلة) التي لها الشرف العظيم باشراق محياه عليه الصلاة والسلام على يديها ثم (وصف الذات الشريفة) ثم بحثا تاريخيا يتعلق (بتاريخ الاحتفال بالمولد عند المسلمين بصفة عامة) يليه بحث عن (الاحتفال بالمولد بتونس) ثم بعد ذلك بحثا مستفيضا عن (الموالد) التي الفها المسلمون في مختلف الاعصار وعلى اختلاف الاقطار والامصار وقد اشتمل على ٦٥ مؤلفا من التآليف المولدية ويتخلل ذلك قصائد نبوية وضعت كل واحدة منها في المكان اللائق بها

وقد راعينا في ترتيب فصول هذا العدد الوضع الطبيعي محافظة على انسجام المواضيع . وتمشيا مع الحوادث كما وقعت

هذا هو عددنا الممتاز نقدمه كتحفة فنية لعموم قرائنا راغبين منهم ان يقدروا قيمة هذا العمل العظيم الذي اقدمنا عليه ولنا من كرم اخلاقهم ومن دقة هذا المسلك الذي ابتكرناه ما يكون عذرا عما وقع لنا فيه من سهو او تقصير .

والمرجو من الله سبحانه تعلى ان يجعل هذا المولد مباركا على صاحب الجلالة ملكنا المعظم سيدنا احمد باشا باي وعلى جميع الامم في مختلف انحاء الارض .

وان يكون فاتحة خير وسعادة . وان يعمنا بنفحات صاحبه عليه الصلاة والسلام . حتى يعود للنفوس اطمئنانها . ويقوى ايمانها ويرجع للحكومات اعتدالها واتزانها . بفضله وكرمه .

(لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي بجامع الزيتونة المعمور

الجزء التاسع	تونس في ربيع الانور عام ١٣٥٦ وفي ماي عام ١٩٣٧	المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

عدد خاص بالمولد

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرى ولادة منقذ البشرية الاعظم

صلى الله عليه وسلم

العبرة من الذكريات — ما يجب ان يستفيده المسلمون من ذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقلم رئيس التحرير

لكل امة من امم الارض ايام مشهودة • ورجال ابطال • وحوادث كبرى تفاخر بها وتحتفظ بتاريخها • وتحرص على اشهارها حتى يعرفها الناس فيقروا لها بالمجد واسبقية الفضل • وحتى تبقى منتقشة على قلوب الناشئين من ابنائها فيشبوا معتزين بانفسهم • مفاخرين بقوميتهم • عاملين على احياء ما اندثر من مجدهم • او انطمس من مآثرهم •

وللامة العربية من غرر الايام • واعاظم الرجال • ومهمات الحوادث ما يجعلها تتبوأ بحق مقعد العز والشرف بين سائر امم الارض • وما يخول لها بحق ان تفتخر وترفع راسها عاليا الى عنان السماء • ولا يضيرها ما وصلت اليه في بعض الاحيان من تاخر واستعباد • وتخاذل وانحلال • فالدنيا دول • ولا بد ان ياتي يوم - يرونه بعيدا ونراه قريبا - تفتك فيه الامة العربية ما اغتصب من حقوقها • وانتهك من حرماتها • وابتزز من مآثرها •

ولا نريد ان نتحدث الآن عن تفصيل ما للعرب من المآثر الخالدة • والتاريخ المجيد فذلك له وقته وله مقامه • وانما الذي يهمنا الآن - ونحن في شهر المولد - ان نتحدث عن معجزة العرب الكبرى • وهي النبي العربي سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم • فنقول

شاعت الظلالة • وعمت الجهالة • وطغت القوة على الحق • وفشت عبادة الاوثان

ونمى الشرك وتعددت الاديان • وتعزز الناس بالعصبية • والنزعة الطائفية وتهافت الناس على القتال • وزال الاطمئنان من النفوس • وانتهكت الحرمات • وتنوعت المعاصي والموبقات • فصار العالم كليل دامس تراكمت ظلمته حتى كاد لا يرجى له اصباح او كبحر لجي تلاطمت امواجه فلا يؤمل راكبه النجاة •

هذه هي الحالة التي وصل اليها البشر • وهي حالة منذرة بالخطر العظيم والخطب الجسيم فاراد الله تعالى ان ينقذ البشرية مما آلت اليه • واختار ان يكون انقاذها على طريق الامة العربية • وعلى يد رجل عربي من ارفع العرب بيتا واعلاهم مقاما • واشرفهم عنصرا ومحتدا • فظهر الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم فاشرقت العوالم • بعد ظلامها وتبسم الزمان بعد عبوسه • فكانت الساعة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة الفصل بين الحق والباطل • والانتقال من الظلمة الى النور • والتحول من الشقاء الى السعادة ورغد العيش لا بالنسبة للعرب وحدهم بل لجميع الامم على اختلاف الاجناس والاديان والاقاليم • اذ من خصائص هذا الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ان الله قد جعله رحمة للعالمين • وما من احد على وجه الارض الا وقد استفاد من بركاته وفيضه عليه الصلاة والسلام : فجدير بمولده ان يكون عيدا من الاعياد العالمية التي تتشارك جميع الامم في الابتهاج بها • والتنويه بشانها

ثم ان الاحتفال بذكرى ولادته صلى الله عليه وسلم ينبغي ان لا يجعل مقصورا على مظاهر الابتهاج والفرح • بل يجب ان يضم الى ذلك ما يستفاد منه من العبر وما يستخلص منه من المواعظ وان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبرا يجب على المسلمين ان يستفيدوا منها ويسيروا على منوالها حتى تتهيأ لهم الاسباب لاسترجاع بعض ما لهم من عز ضائع وشرف مداس

ومواضع العبرة من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة متعددة • يعسر على الباحث استقصاءها : والبلوغ الى نهايتها

وان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

ونرى من المناسب ان نقتصر هنا على واحدة من تلك العبر لما لها من **الاهمية الكبرى** • ولما لها من التعلق بحياتنا الحاضرة • وهي **(الوحدة الاسلامية)**

ان من يتتبع سير رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقواله واعماله يتجلى له ان من اهم الاغراض التي كان يسعى اليها • ويجتهد فيها تكوين الوحدة الاسلامية • بقطع دابر الخلاف بين المسلمين • وايجاد اسباب التوادد والتراحم بينهم •

ومعلوم ان افتك الامراض بالامم هو مرض التخاذل والانقسام . فالامة التي تبتلى بهذا المرض تكون عرضة للفناء • ولقمة سائغة لكل فم يريد ابتلاعها • فمن اجل ذلك جاء دين الاسلام بالحث على تقوية روابط المودة • والاجتهاد في اجتثاث بذور الخلاف وكان اول مظهر عملي قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الغرض ما وضعه من التآخي بين المهاجرين والانصار حتى صار الانصاري يتنازل للمهاجر عن ماله وداره • وعن احدى زوجتيه •

ثم جاءت اقوال الشارع مؤكدة لذلك . فقال الله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وقال صلى الله عليه وسلم (المسلمون تتكافأ دماءهم ويأخذ بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم) وقال صلى الله عليه وسلم (مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) الى غير ذلك من الاقوال البليغة في هذا الباب

فنشا المسلمون في الصدر الاول على هذا النظام المحكم من المودة والمحبة • فسادوا وشادوا وبلغوا الغاية القصوى في العز والشرف ونفوذ الكلمة •

ثم اخذ داء الانقسام يظهر بينهم • فتضعضعت كلمتهم • وتشتت شملهم • وضعف سلطانهم • وبعد ان كان الادنى ياخذ بالذمة صار اعلاهم لا ذمة له • وبعد ان كانت الامة تتالم لالم الفرد صار الفرد يسخر من ألم الامة • وهكذا اخذ هذا الداء ينمو شيئا فشيئا • حتى استفحل امره • وصار خطرا من اكبر الاخطار التي يعسر علاجها •

ولا نريد في هذا المقام ان نستشهد على ذلك بغير ما نحن عليه في بلادنا التونسية حتى لا ينطبق علينا قوله تعالى (اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم)

اننا اذا نظرنا الى حالتنا في بلادنا نجد اننا قد احرزنا على اوفر نصيب من هذا الداء العضال حتى كاد يكون كل فرد عدوا لصاحبه . فمن تنابز بالالقاب . ومن تحكك على الاعراض . ومن تراشق بسهام التشاتم والطعن . ومن اتهام بالخيانة او

بالجبن او بالتملق . الى غير ذلك من انواع القدح والطعن . في وقت توجب علينا فيه الظروف والحوادث وتقلبات الزمان ان نغض الطرف عن النقائص وان نلتمس لبعضنا الاعذار . وان نجتهد في تكوين وحدة متراصة الصفوف . متساندة القوى علنا نتقدم بعض خطوات الى الامام . ونسترجع مجدا ضاع مع الايام . فكأننا لم نكتف بما اصابنا بل اردنا ان نكون عونا للايام على انفسنا . وءالة نقضي بها على ارواحنا . فضاعت بسبب ذلك اعمال نافعة . ومجهودات صالحة . وتلاشت نتائج كدنا نقضي عليها بايدينا . ولا ارى من اليسير - ما دمنا على هاته الحالة - انه يمكننا ان نتقدم ولو خطوة واحدة الى الامام .

وانك ليبلغ بك العجب الى اقصاه عند ما ترى هذا الخلق الذميم متفشيا بين المعدودين في صف العقلاء . والمرموقين بعين الاعتبار . فيقوى عند ذلك يأسك من حصول الشفاء • واقتلاع بذور هذا الداء فنحن اذا اردنا ان نحتفل حقيقة بذكرى المولد وجب علينا ان نحاسب انفسنا على مقدار ما نحن عليه من الاهتداء بهدي هذا الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم . اذ اقامة الاحتفالات الصورية • والتفنن في المظاهر التي لا روح لها شيء لا معنى له •

وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسره ابتعادنا عن خلق واحد ذميم من لاخلاق التي نهانا عنها اكثر من سروره بالف احتفال • نقيمه لذكرى مولده مع التلبس بما نهانا عنه •

وعليه فالعبرة التي يجب ان يستفيدها المسلمون من ذكرى الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم هي الاجتهاد في السير على منوال ما شرعه لهم من الاحكام • وما سنه لهم من الاخلاق • اذ تلك هي فائدة الذكريات • واقامة الاحتفالات • والا فانها تكون شبحا بدون روح • وجسما بدون قلب • والله ينظر الى القلوب لا الى الصور • وفي ذلك عبرة بالغة لمن القى السمع واعتبر ••

محمد المختار بن محمود



تسميته صلى الله عليه وسلم محمدا

بقلم صاحب الفضيلة العلم الاشهر الشيخ
سيدي محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي

هذا الاسم الشريف هو اشهر اسمائه صلى الله عليه وسلم واجلها قدرا ويلية في الاشتهار والمزية اسم احمد وكل منهما علم منقول من الصفة المشتقة من الحمد منبيء عن الذات مع ما هو من خصائصه صلى الله عليه وسلم دون غيره ممن يسمى بذلك وهو اعتبار اتصافه صلى الله عليه وسلم بمبدأ الاشتقاق البالغ في طرفي الحامدية والمحمودية الى الغاية التي ليس لمخلوق بعدها منتهى ولا وراءها مرمى وفاقا لبناء احد الاسمين على صيغة افعل التفضيل المشعرة بالتعظيم وبناء ثانيهما على صيغة المفعول من التفعيل المقتضي للتكثير ووقوع الحمد عليه مرة بعد اخرى كالمعظم والممجد وإعلاما بوصف نبوته ومنشور رسالته من مبدأ وجوده وذلك بظهور مطابقة الاسم للمسمى واللفظ للمعنى فهو صلى الله عليه وسلم أفضل الناس حامدا وأوفرهم محمودا في الدنيا لمبالغته صلى الله عليه وسلم في حمده لمولاه حتى قال عليه الصلاة والسلام لا احصي ثناء عليك كما اثنيت على نفسك وكثرة حمد الناس له لما جاء به من العلم والحكمة والنور المبين الذي اضاء العالم وازاح ظلمات الجهالة — والشمس عن مدح المادح غنية — وفي الآخرة فانه يفتح عليه في مقام الشفاعة العظمى بمحامد لم يفتح بها على احد قبله فيحمد بها ربه وذلك المقام هو المقام المحمود الذي يحمده فيه الاولون والآخرون

وقد سماه تعالى محمداً فكتب في الذكر وهو ام الكتاب قبل ان يخلق السموات والارض ان محمداً خاتم النبئين كما في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص . وروى الحاكم في صحيحه ان آدم عليه الصلاة والسلام رأى اسم محمد مكتوبا باعلى العرش وفي بعض الروايات وعلى كل موضع في الجنة مقرونا باسم الله تعالى . كما سماه احمد في الكتب المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى لسان عيسى المحكي بقوله تعالى ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وعلى لسان موسى في حديث المناجاة الذي رواه الحافظ ابو نعيم عن انس بن مالك ثم الهم الله تعالى جده عبد المطلب الى تسميته محمدا برؤيا رءاها وعبرت بمولود له يتبعه اهل المشرق واهل المغرب ويحمده اهل السماء والارض مع ما اخبرته به امه آمنة مما رأت من عجائب حمله وهو ما قيل لها وهي نائمة او بين النائمة واليقضى انك حملت بخير العالمين او بسيد هذه الامة فاذا ولدته فسميه محمداً واكتمي شأنك وقيل لجده كيف سميته باسم ليس لاحد من ابائك اي وعادة العرب تسمية المولود باسم احد ابائه احياء لذكره فقال لاني ارجو ان يحمده اهل الارض كلهم وفي رواية اردت ان يحمده الله في السماء ويحمده الناس في

الارض وحسبك تشريفا لهذا الاسم وتنويها بشانه اختصاصه بكلمة الشهادة وبالاذان والتشهد في الصلاة ورضي الله عن حسان ابن ثابت المؤيد بروح القدس اذ يقول :

وضم الالاه اسم النبيء الى اسمه   اذا قال في الخمس المؤذن اشهد

ولم يعرف في العرب من تسمى محمداً صيانة من الله تعالى لهذا الاسم الى ان حان وقت ظهوره صلى الله عليه وسلم في عالم الوجود وبشر بعض اهل الكتاب باسمه وقرب زمانه في ظروف مختلفة ومناسبات متعددة فسمى جماعة من العرب اولادهم بذلك رجاء ان يكون المسمى هو النبيء المبشر به والله اعلم حيث يجعل رسالاته .

ما كل من زار الحمى سمع الندا   من اهله اهلا بذاك الزائر

وذكر القاضي عياض ان الذي تسمى بذلك ستة وهم (محمد بن احيحة) بضم الهمزة وفتح الحاء بن الجلاح بضم الجيم وتخفيف اللام الاوسي وحكي ان سبب تسميته بذلك ان احد ملوك اليمن كان حاصر المدينة قبل ميلاد النبيء صلى الله عليه وسلم فخرج له احيحة ومعه الحبر الذي عندهم فاخبره الحبر بان هذا بلد نبيء يبعث يسمي محمداً فسمى احيحة ابنه محمداً لذلك ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن البراء بن طريف بن عتواره بضم العين وكسرها ومحمد بن سفيان بن مجاشع التميمي ومحمد بن حمران بن ربيعة بن مالك الجعفي المعروف بالشويعر لقبه بذلك امرؤ القيس لبيت قاله ومحمد بن خزاعي بضم الخاء وفتح الزاي وياء في آخره مشددة وهو اسم على صيغة النسب . وعده لمحمد ابن مسلمة الانصاري وهو الصحابي المشهور ليس بجيد لانه ولد بعد ميلاد النبيء صلى الله عليه وسلم بنحو عشرين سنة والكلام فيمن تسمى قبل ولادة النبيء صلى الله عليه وسلم وجمع الحافظ ابن حجر في جزء مفرد عشرين ولكن بعد طرح المكرر والموهوم بقي خمسة عشر خمسة مما ذكره عياض وهم غير محمد بن مسلمة وعشرة مما زاده ابن حجر اشهرهم محمد بن عدي بن ربيعه بن سوادة بضم السين على وزن حذافة من بني تميم ومنهم محمد بن اسامة بن مالك بن حبيب ابن العنبر التميمي ومحمد بن الحارث بن حديج بمهملتين وباء وجيم على وزن التصغير من المعمرين في الجاهلية ومحمد ابن حرماز بكسر الحاء وسكون الراء وآخره زاي اليعمري ومحمد بن خولي الهمداني ومحمد بن اليحمد بضم الياء وكسر الميم الازدي ومحمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة ومحمد بن الاسيدي بضم الهمزة وفتح السين وكسر الياء المشددة اللتي قبل الدال ومحمد الفقيمي بضم الفاء وفتح القاف وسكون الياء ومحمد بن عمرو بن مغفل بضم الميم وسكون المعجمة وكسر الفاء وهؤلاء الخمسة عشر كلهم ماتوا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ولم يدركوا الاسلام الا محمد بن عدي بن سوادة ففي سياق خبره ما يشعر بادراكه الاسلام وذلك انه سئل كيف سماك ابوك في الجاهلية محمداً فقال للسائل سالت ابي عما

سالتني فقال خرجت رابع اربعة من تميم انا أحدهم فنزلنا على غدير فاشرف علينا الديراني فقال لنا انه يبعث منكم وشيكا نبيء فسارعوا اليه فقلنا ما اسمه قال محمد فلما انصرفنا ولد لكل منا ولد فسماه محمدا لذلك ومن كمال صيانة اسمه وحماية رسالته صلى الله عليه وسلم ان كل من تسمى باسمه في الجاهلية لم يدع النبوة ولا ادعاها احد له ولم يظهر عليه ما يدعو الى التوهم في امره

هذا وقد سمى الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم في القرآن وفي الكتب المنزلة باسماء كثيرة وورد في الحديث كذلك عدة اسماء وكلها اوصاف مدح والموضوع وضع الاعلام هو اسم محمد واسم احمد وقد اعتنى فريق من العلماء بجمع ما جاء من ذلك بين مستوعب ومقتصر على نوع منها ونحن نذكر في هذا الملخص جملة منها على وجه الاختصار تبركا بذكر اسمائه الشريفة ونعوته الكريمة

فهو صلى الله عليه وسلم (النبيء والرسول) خاطبه الله بقوله في القرءان يا ايها النبيء يا ايها الرسول ولم يخاطبه باسمه خصوصية له صلى الله عليه وسلم كما جزم به عياض وغيره (الآمر والناهي) كما قال تعالى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر (الامين) بذلك سماه الله تعالى في قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين على احد القولين وعليه اكثر المفسرين وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد مرفوعا الا تأمنوني وانا أمين من في السماء ياتيني خبر من في السماء صباحا ومساء . وقد كان عليه الصلاة والسلام يعرف بالامين قبل النبوة وبعدها ويكفي شاهدا قول قريش في قصة بناء البيت هذا الامين رضينا وكانت توضع عنده الودائع ولما هاجر خلف عليا ليؤدي عنه الودائع والامانات (البشير النذير) قال تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا (السراج المنير) سماه تعالى بذلك في قوله وسراجا منيرا (خاتم النبيئين) وصفه بذلك في قوله ولكن رسول الله وخاتم النبئين (الداعي الى الله) قال تعالى وداعيا الى الله باذنه (ذو الخلق العظيم) ففي القرءان وانك لعلى خلق عظيم وحيث وصف خلقه بالعظيم فهو صلى الله عليه وسلم عظيم اي جليل شانه وقد وقع في التوراة في حق نبي الله اسماعيل عليه السلام وسيلد عظيما لامة عظيمة (الامي) قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبيء الامي والامي هو الذي لا يكتب كما في الحديث نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب نسبة الى الام كانه على الحالة التي ولدته امه وهذا الوصف في حقه صلى الله عليه وسلم معجزة وفي غيره تعجزة (عبد الله) سماه تعالى بذلك في آيات كثيرة ومقامات متعددة وناهيك بتشريفه باسم العبودية في مقام الاسراء فقال سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وقال فاوحى الى عبده ما اوحى ولما خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيئا ملكا ونبيئا عبدا اختار ان يكون نبيئا عبدا تواضعا وخضوعا لله تبارك وتعالى وفي حديث مسلم ان احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمان واما ما يذكر على الالسنة خير الاسماء ما حمد وما عبد قال الحافظ السخاوي ما علمته

(الرءوف الرحيم) ففي القرءان الكريم لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم (الفارقليط) وقعت تسميته بذلك في الانجيل بفتح الراء وسكون القاف وبسكون الراء مع فتح القاف واصله الفارقليطا بباء مشوبة بفاء وءاخره الف مقصورة ثم عرب بالباء او الفاء وحذفت الالف من ءاخره ومعناه الذي يفرّق بين الحق والباطل (رماذ ماذ) بميم مفتوحة ثم الف ثم ذال معجمة منونة ثم ميم ثم الف ثم ذال معجمة ومعناه طيب طيب ولا ريب انه صلى الله عليه وسلم طيب الطيبين وحسبك انه كان يؤخذ من عرقه ليتطيب به (بشرى عيسى) عليه السلام وبشرى فعلى من البشارة وهي الخبر السار اي المبشر به في قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد (طاب طاب) من اسمائه في التوراة ومعناه طيب (دعوة ابراهيم) عليه السلام كما قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابراهيم يعنى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية (اتقى الناس) روى مسلم عن جابر مرفوعا قد علمتم اني اتقاكم وابركم واصدقكم حديثا وجماع القول في معنى التقوى قول علي رضي الله عنه الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل ولا شك انه صلى الله عليه وسلم سيد المتقين (الاعلم بالله) قال صلى الله عليه وسلم انا اتقاكم واعلمكم بالله رواه البخاري (اجود الناس) روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس (الازهر) وهو النير المشرق الوجه روى مسلم عن انس انه كان صلى الله عليه وسلم ازهر اللون اي ابيض مستنيرا فهو بمعنى حديث عايشة رضي الله تعالى عنها انه كان ابيض (سيف الله المسلول) روى الحاكم في صحيحه ان كعب بن زهير لما انشد النبيء صلى الله عليه وسلم قصيدته بانت سعاد وانتهى الى قوله

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الهند مسلول

قال له النبيء صلى الله عليه وسلم من سيوف الله (الصالح) وهو وصف جامع لمعاني الخير وفي حديث الاسراء قول الملائكة له مرحبا بالاخ الصالح والنبيء الصالح (المتوكل) من اسمائه في التوراة ففي البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفاته في القرآن يا ايها النبيء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل وفي التنزيل وتوكل على الله (مدينة العلم) جاء في الحديث ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال انا مدينة العلم وعلي بابها رواه الترمذي وصححه الحاكم ايضا عن علي ورواه الحاكم والطبراني وابو الشيخ وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما والصواب انه حديث حسن كما قال ابن حجر لا موضوع كما زعم ابن الجوزي ولا صحيح كما قال الحاكم ولكن من المحدثين من يسمي الحسن صحيحا (قائد الغر المحجلين) روى الشيخان ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال ان امتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين

نسب الرسول عليه السلام

ومناسبته لعلي ذلك المقام

سلسلة النسب النبوي ـ شرفه ـ طهارته ـ زكاؤه

بقلم صاحب الفضيله الاستاذ الكبير الشيخ سيدي
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم (ويلقب بكلاب) بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وينتهي نسب عدنان الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام باتفاق علماء الانساب في الاسلام والجاهلية وبالتواتر عند العرب وغيرهم من الامم السامية . وبنصوص القرآن والسنة قال الله تعلى مخاطبا اهل مكة « ملة ابيكم ابراهيم » وقال حكاية عن ابراهيم « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم الى قوله : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم » وقد ثبت في السنة ان النبيء

من آثار الوضوء (سيد بني آدم وحامل لواء الحمد) لقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ءادم يوم القيامة رواه مسلم وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال انا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانما وصف نفسه بتلك الاوصاف وامثالها تحدثا بالنعمة لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث كما يرشد اليه قوله في حديث الترمذي ولا فخر ولان ذلك من البيان الذي يجب تبليغه لامته ليعرفوه ويعتقدوه (الماحي والحاشر والعاقب) هذه الاوصاف الثلاثة وردت في حديث محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب رواه الشيخان وقد فسر الماحي في الحديث بانه الذي يمحوا الله به الكفر قال القاضي عياض اي من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد بانه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى ظهور ما جاء به من الحجج والبراهين الواضحة الدالة على بطلان ما ينتحله ارباب الملل والنحل من الضلالات والاعتقادات الفاسدة وفسر الحاشر بانه الذي يحشر الناس على قدمه اي يقدمهم وهم خلفه لقوله في رواية اخرى يحشر الناس على عقبي ولحديث انا اول من تنشق عنه الارض ومعنى العاقب لغه هو الآخر والمراد به في الحديث انه الذي ليس بعده نبي ولا شك ان سيدنا ومولانا محمدا هو خاتم النبيين وامام المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله الطاهرين واصحابه الطيبين والحمد لله رب العالمين .

محمد بن يوسف

عليه السلام انتسب (اي ذكر ءاباءه) فبلغ مرة الى كنانة ولم يزد وبلغ مرة الى عدنان ولم يزد وزاد مرة فذكر عدنان بن أدد ثم امسك وروى عنه ابن عباس انه لما بلغ عدنان قال كذب النسابون مرتين او ثلاثا اي لا تحقيق عند العارفين بالانساب بمن فوق عدنان او بمن فوق أدد قال السهيلي والاصح ان قوله كذب النسابون من كلام عبد الله بن مسعود وان عمر بن الخطاب ايضا قال انما ننتسب الى عدنان وفوق ذلك لا ندري ما هو اه

وام رسول الله هي ءامنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم فزهرة اخو قصي وهي تلتقي مع رسول الله في حكيم هذا العقد النفيس ما انتظم في سمطيه الا جوهر لم يشنه وكت ولم تنخره قادحة فكانت كل فرائده في الاجيال نيرة واضحة ، وما هو الا نسب شريف العنصر ، وكفاه برهانا ان يسمع واع ويرى مبصر ، وان الله تعلى كما قدر لمحمد ان يكون افضل رسله ، وان يكون مبعوثا بما يوصل اليه من اقوم سبله ، كذلك قدر له اكمال الفضائل في ذاته وما يحف به ، وجعل اول مظهر لذلك ان قدر له طهارة نسبه . حتى لا توضع تلك الجوهرة الفذة في غير صدف امثالها ولا تزن بنقيصة تتطرق اليها او الى مثالها ، فاذا نحن غصنا في بحر الانساب روم استخراجها ، ملئت نفوسنا عجبا من صفائها وابتهاجها ، فمثلنا حينئذ كمثل قوله :

او درة صدفية غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد

شرف هذا النسب

ان شرف العنصر والنسب معدود في الفضائل الذاتية ولكن ليس عده في الفضائل من حيث هو كاف في تحصيل فضائل الذات اذ قد يخلف للفرع مخيلة الاصل ، وينبت في منابت النخيل شجر الاثل وانما يعد فضيلة من حيث هو وسيلة الى نماء الفضائل في النفس المطبوعة على الفضيلة ، وقدوة للخلف يأتسون بها ءاثار اسلافهم في مرتقى الكمال فيحصل من ذلك كمالان كمال الذات وكمال القدوة ، ومن حيث هو قاطع لألسنة الحاسدين الذين يحسدون اهل الكمال على كمالهم ، والمعاندين لكل من يدعوهم الى خلع ذميم اعمالهم فاذا لم يجدوا مغمزا فيمن حسدوه وعاندوه التمسوا له ما يحف به من العوارض ولا شيء يحف بالمرء اشد به تعلقا من حال ءابائه فمن اجل ذلك شرف الله قدر نبيه بان قدر له في الازل ، ءاباء كانوا في مرتبة السؤدد واجل ، وقد قال الله تعلى « لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم » وقال « لقد جاءكم رسول من انفسكم » قرىء في الآيتين بضم الفاء في لفظ انفس على انه جمع نفس فيكون معناه من نسبهم لان لفظ النفس متعين في هذا المقام لهذا المعنى ويفهم منه ان المقصود به نسب خاص وهو النسب الرفيع اي من خير انسابهم بقرينة مقام المدح والمن . وقرىء بفتح الفاء من انفس ففسر بانه اسم تفضيل مشتق من النفاسة اي من اشرفهم والمراد

شرف النسب روي عن علي بن ابي طالب يأثره الى رسول الله انه قال من انفسكم نسبا وصهرا وفي صحيح البخاري عن ابي سفيان في حديث هرقل انه كان من كلامه مع ابي سفيان ان قال له : « وسالتك عن نسبه (يعني النبيء صلى الله عليه وسلم) فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها »

ان شرف النسب يتقوم من شرف القوم وشرف العشيرة ومن نزاهة سلسلة الآباء والامهات عن ان يلتصق بهما ما يثلم ذلك الشرف ، ويعود نقصه بغضاضة في شرف الخلف ،

فاما شرف القوم وشرف العشيرة فحاصل في شرف العرب من بين الامم وفي شرف قريش وفي شرف بني هاشم ولست الآن بصدد تفصيل الكلام فيهما لان ذلك يطول وأقتنع هنا بما رواه مسلم في صحيحه والترمذي عن واثلة بن الاسقع (١) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم »

واما نزاهة سلسلة الآباء والامهات فنزاهة سلسلة الآباء هي السؤدد ونزاهة سلسلة الامهات هي الصيانة فاما سؤدد ءابائه صلى الله عليه وسلم فاولهم ابراهيم رسول الله ثم ابنه اسماعيل رسول ابن رسول وهو افضل اولاد ابراهيم على الصحيح ثم ان جميع ءاباء رسول الله الذين حفظت اسماؤهم الى عدنان كانوا افضل احيالهم في اقوامهم وجمع مكارمهم مرموقين بعين الوقار والتعظيم . فابوه عبد الله فضله الله بمنقبة نذر عبد المطلب ابيه ان يذبحه قربانا لله شكرا على ان جعله عاشر عشرة ذكور من ابنائه والهم الله قريشا فاشاروا بفدائه بمائة من الابل فكان ذلك الهاما آلهيا ليكون ءاخر ءاباء رسول الله في ذراية ابراهيم ذبيحا مفدى كما كان اولهم من تلك الذرية ذبيحا مفدى ولذلك وصف رسول الله بانه ابن الذبيحين . وابوه عبد المطلب كان افضل قريش وسيد اهل البطحاء ومظهر بئر زمزم كما ظهرت لاسماعيل . وابوه هاشم واسمه عمرو كان سيد قريش ومطعم الناس في المجاعة قال عبد الله ابن جدعان :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه قوم بمكة مسنتين عجاف

وابوه عبد مناف كانت قريش تلقبه قمر البطحاء، وابوه قصي هو سيد قريش ومعيد مجدهم وجامع شتاتهم وهو الذي استرد ولاية الكعبة من خزاعة . ولم يحفظ لنا التاريخ ما كان من السيادة لحكيم ومرة على قومهما . وكعب كان من اعظم سادة قريش والعرب قاطبة وهو اول من سمى يوم

(١) واثلة بالثاء المثلثة والاسقع بقاف وهو من بني كنانة صحابي خدم النبيء ثلاث سنين وتوفي سنة ٨٢

العروبة بالجمعة لانه كان يجمع فيه قريشا ويخطبهم وقد أرخت قريش بعام موته (١) ولم يحفظ لنا التاريخ مما كان من مجد لؤي وغالب وفهر الملقب بقريش لانه كان يقرش عن خلة المحتاج فيسدها بماله . ومالك والنظر طوي مجدهما في منسي التاريخ . وكنانة كان عظيم القدر اعز من دفعت اليه المطي . وخزيمة لم يحظ التاريخ بذكر مجده . ومدركة كان في وجهه نور فكانوا يعلمون به انه يؤذن بني يخرج من نسله والياس اول من اهدى البدن الى الكعبة وهو الذي ظفر بالحجر الذي قام عليه ابراهيم لبناء الكعبة وهو المسمى بمقام ابراهيم . وابوه مضر كان افضل قومه وقد روي (٢) ان رسول الله قال لا تسبوا مضر فانه كان قد اسلم . وابوه نزار كان في وجهه نور وكان واضع الكتابة العربية في احد الاقوال . وابوه معد كان قائد قومه وكان يحارب بني اسراءيل يدفع غاراتهم عن بلاد العرب . وابوه عدنان كان اشرف العرب وكان بختنصر لما غزا بلاد العرب وغزا ارشيلم حمل معه عدنان ومعه النبيء ارميا الى بابل . وبين عدنان واسماعيل اربعون ابا او سبعة وثلاثون اسدلت العصور على مجدهم ستور القدم فحجبت عنا مجدا يملا ذكره السمع والفم .

وهل ينبت الخطي الا وشيجه   وتنبت الا في منابتها النخل

طهارة هذا النسب

طهارة النسب هي خلوصه من الشكوك والامشاج وهذا النسب النبوي قد كان اباؤه في شرف محتدهم وحسن سمعتهم ورءاستهم لافضل مكان في بلاد العرب وفي العالم اجمع وهو بيت ابراهيم وتسلسلهم من ابراهيم ما كانوا ليجعلوا اقترانهم بالنساء الا على طريقة العقد المسمى بالنكاح الذي تتقوم حقيقته من وصفين وهما الاختصاص والشهرة الذين هما اوثق ضمان لصحة النسب فالاختصاص هو حقيقة النكاح اي ان تختص المراة برجل لا يقربها غيره ما دامت في عصمته لم تنفصل عنه بطلاق او موت وبذلك الاختصاص لا يتطرق الاحتمال في الابوة والبنوة . والشهرة ان يخطب الرجل المراة بواسطة اوليائها او ذوي قرابتها من رجال قبيلتها فترضى ويرضون ويدفع اليها صداقا وتزف اليه علنا بذلك يسلم النسب من الخفاء والادعاء قال محمد بن السايب الكلبي النسابة « كتبت للنبيء صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيها سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية غير النكاح »

---

(١) كان موت كعب قبل عام الفيل بخمسمائة وستين سنة .

(٢) رواه ابن سعد عن عبد الله بن خالد مرسلا . وفي الروض الانف للسهيلي ان الزبير بن بكار روى في مسنده لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مؤمنين وكلا الحديثين بين مرتبتي الحسن والضعف .

فتنزيه الله نسب رسوله من ذلك ليس لكون تلك العقود محرمة اذ لم يكن يومئذ شرع يميز الحلال من الحرام ولكن لان ما عدا النكاح يعتريه الشك في صحة النسب المتولد منه

زكاء هذا النسب

اردت بزكاء النسب سلامة السادة ءاباء رسول الله من وصمة الخزي يوم عرض الامم وحسابها وهذا فضيلة دينية ليس اليها كبير التفات في شرف الابن لان النقائص الجثمانية اذا اعترت الاصول كان من شانها ان تجر للفرع نقصا يتطرق خلقته لان الفرع سلالة من الاصل او يتطرق عرضه او رمق عيون القوم اياه اذا كانت نقائص الاصول مما يذم به الاصل في عرف البشر او عرف القبيلة كعدم الحصانة في الامهات وخسة الفعال في الآباء كما اشرنا اليه ءانفا . واما الاغلاط الاعتقادية والعلمية فهي اشياء تتعلق بالتفكير وهو حركة النفس في المعقولات وتلك من الانفعالات النفسية المتجددة والمتغيرة وليست من اصل الخلقة الاترى انها تقبل الايجاد والاضمحلال والزيارة والنقصان بحسب البيئة والتعليم وحسن التلقي وصحة العلوم والانكباب على التمحيص وبحسب اضداد تلك فربما صدئت عقول نابهة ذكية بسبب الاعراض عن استعمال ذكاءها وربما ثقفت عقول بطيئة بقوة الكد والانكباب فعلمنا من ذلك ان الاعراض الفكرية لا ينجر مفعولها من الاصل الى فرعه ولا يثبت حكمها الا لصاحبها خاصة . فالنظر الى الحالة الاعتقادية في ازمان الجاهلية ان كان من توقع تطرق النبز للمتصف بها فاهل الجاهلية كانوا يعدون الذين اعتقدوا اعتقادهم من كمل سادتهم فلا يتوقع منهم ان ينبزوا الرسول عليه السلام بتقدير كون بعض ءابائه كانوا يعتقدون اعتقاد الجاهلية . وان كان من جانب توقع غض نظر المسلمين فالمسلمون قد تقرر في قلوبهم من جلالة قدر الرسول عليه السلام وفضله ما لا يخالجهم معه خاطر من خواطر التنقيص

واما من جانب الحقائق فتنقيص المرء لاحوال اصوله تنقيص وهمي اذ الحقيقة لا تسمح بان يوصف احد الا بما فيه والامور الوهمية انما تظهر آثارها في العالم الدنيوي واما العالم الاخروي فهو عالم الحقائق فلا ينتقص المرء فيه بالاحوال الاضافية المنجرة من غيره « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » فالزكاء الاخروي لا يؤثر وجوده ولا عدمه شرفا في الدنيا والآخرة قبل مجيء الشريعة اذ التدين بدين باطل او بالكفر والشرك لا ينافي كرم العنصر ولا شعار السؤدد فكم من سادة وكرام وقادة امم كانوا في العرب وغيرهم بلغوا من شرف المحتد ومرتقى السؤدد مبلغا بعيدا ولم يكونوا متقلدين دينا صحيحا وكم من صالحي قوم وطلاب نجاة كانوا ضعفاء لا يؤبه بهم وقد قال قوم شعيب له « لولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز » وكان حاتم الطائي وهرم بن سنان وعبد الله بن جدعان من اكبر سادة العرب من المشركين وفي الحديث « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية

خيارهم في الاسلام » فلو كان آباء رسول الله او بعضهم على دين العرب في الجاهلية كما كان ءاباء افاضل المسلمين من الصحابة لما كان ذلك مخلا بما يثبت لهم من كرم العنصر وشرف السؤدد ولا منقصا من قدر الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن عظم قدر الرسول وكرامته على ربه زوت له من عند ربه الكريم جميع ما به التفاضل والاعتبار فضم الى كرم عنصره في الدنيا شرف آبائه في الآخرة

والشرف الاخروي يتقوم بالنجاة من العذاب وبرفع الدرجات في دار الثواب ولعلماء الاسلام في تحقيق مقام آبائه صلى الله عليه وسلم من هذا الشرف اقوال فكأن جماعة قليلة نظرت الى مايقتضي ان هذا الشرف لا ينتفع به غير صاحبه وليس هو كالشرف في الدنيا يعد عدمه او الضعف فيه نقصا بين اهلها فمن اجل ذلك لم يغوصوا بالنظر واتبعوا ادلة ظاهرية فقالوا ان آباء رسول الله الذين كانوا على دين قومهم غير ناجين يوم القيامة وهذا قول من يرى ان الايمان بالله ووحدانيته واجب بالعقل لا بالشرع وهو قول جمهور الماتريدية وكافة المعتزلة ورأوا ان شان العرب كلهم في تلك العصور هو الشرك وان احاديث كثيرة دلت على عقوبة مشركي العرب على شركهم في الآخرة وان رسول الله قال لاعرابي سأله عن ابيه قال في النار وانا اجيب عن هذا بانا لو سلمنا ان الايمان واجب على الناس بدلالة العقل فمن انبأنا بأن ابوي رسول الله وءاباءه كانوا على دين قومهم ولم لا يكونون ممن رفض عبادة الاصنام وتوخى الحنيفية ما استطاع وانهم لم يكونوا يتظاهرون بذلك اذ لا موجب للتظاهر به اذ لم تكن لهم قدرة على تقويم دين قومهم ولا شريعة توجب عليهم تغيير المنكر وربما كان التظاهر به يوجب نفور قومهم منهم فيضيع بذلك كثير من مساعيهم لخير قومهم وعمارة كعبتهم وليس وجود احد في امة تدين بالشرك يقتضي ان يكون الموجود بينهم هو على ملتهم واما الحديث الذي رواه مسلم عن حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان اعرابيا سأل رسول الله عن ابيه فقال له في النار فقال له واين ابوك يا رسول الله قال في النارفقد اجاب عنه العلماء بوجوه احسنها ان الراوي وهو حماد بن سلمة رواه بالمعنى فغلط فيه لانه قد رواه معمر بن ثابت عن انس انه لما قال له اين ابوك يا رسول الله قال له رسول الله حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار قالوا ومعمر اثبت من حماد فان حماداً تكلم في حفظه وله احاديث منكرة ولذلك لم يخرج له البخاري في الصحيح شيئا وكذلك روى الحديث ابن ماجة عن الزهري عن عامر بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه بمثل ما رواه معمر عن ثابت عن انس فيكون جواب رسول الله جرى على الاسلوب الحكيم على خلاف مقتضى الظاهر فلا علاقة له بالمسئول عنه فظنه حماد جاريا على مقتضى الظاهر ولم ير له وجه اتصال بالسؤال الا ان يكون على معنى افادة الحكم الخاص بوجه العموم فعبر عنه بما اقتضى انه اخبار بأن المسؤول عنه في النار واعلم ان الحال الذي اقتضى اخراج جواب رسول الله على طريقة الاسلوب الحكيم وعدوله عن صريح الجواب

انه رأى في جواب سؤاله ما يوجب انكسار نفسه لان شأن الذي يصيبه ما يكره ان يشتد عليه اذا كان غيره ممن يظنه قد شاركه في المصيبة سالما من تلك المصيبة . وقيل في الجواب ان السائل عنى بقوله اين ابوك ابا طالب فانه الذي يعرفه الناس وكان النبيء صلى الله عليه وسلم ينسب اليه لانه كافله الا ترى ان قريشا قالوا لابي طالب « قل لابنك يرجع عن شتم آبائنا » وقالوا له حين كتبوا صحيفة القطيعة « أسلم الينا ابنك ونحن نعوضك عنه بأحد ابنائنا » وذهب جماعة الى ان الحديث منسوخ بما دل على عدم مؤاخذة اهل الفترة وهو بعيد لان النسخ لا يدخل الاخبار والرسول على مقتضى تلك الرواية أخبر بان المسئول عنه في النار فكيف ينسخ ما اخبر به فلا يستقيم هذا الجواب الا بتكلف . فاما جمهور علماء الامة ونحن في زمرتهم فقد اثبتوا لابوي رسول الله وآبائه الشرف الاخروي ولهم في ذلك ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى انه شرف النجاة من خزي يوم القيامة بان يكونو ناجين من عذاب النار وذلك بأنهم كانوا على دين قومهم او بعضه ولكنهم غير مؤاخذين على ذلك لانهم لم يأتهم رسول بشرع فيكفروا به حتى يحق عليهم عذاب الكافرين بالرسل لان الله تعلى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والمراد بالرسول هو معناه المعروف في اللغة ومن تأوله بما يشمل دلالة العقل فقد خرج عن مهيع اللغة على انه يصادمه قوله نبعث اذ العقل لا يبعث ومما نوقن به ان آباء رسول الله وامهاته كانوا كلهم من اهل الفترة اذ لم يقم في العرب العدنانية رسول بعد اسماعيل عليه السلام فان الرسل الذين جاءوا من بعده في العرب هم هود وصالح ارسلا الى عاد وثمود من العرب القحطانيين وشعيب ارسل لاهل الرس وهم بقية من ثمود وخالد بن سنان العبسي ارسل الى عبس خاصة من العدنانيين وقيل هو نبي وليس برسول فمن كان يعد من آباء رسول الله بعد الذين ادركوا اسماعيل فهم أهل فترة وقد قال جمهور علماء السنة والائمة الثلاثة مالك والشافعي واحمد والا شاعرة كلهم واهل بخارى من الماتردية ان اهل الفترة غير مؤاخذين على الجهل بالله وبوحدانيته لقوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وردوا او تأولوا جميع الآثار الدالة على خلاف هذا الاصل وقال المالكية انها اخبار آحاد لا تعارض قواطع الاعتقاد واذا بطل استحقاق العذاب لم يتحقق الوعيد في شانهم فقيل انهم غير معذبين ولا مثابين وهو ظاهر كلام المحدثين ثم يقع امتحانهم فيدخلون الجنة وقيل يدخلون الجنة دون امتحان وهو منسوب لاهل الاصول من الاشاعرة وللشافعي في الام . المرتبة الثانية ان شرفهم الاخروي شرف الثواب على الايمان بالله الواحد على حكم ما ثبت لمن خلع الشرك من اهل الفترة مثل امية بن ابي الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل فاذا كانوا كذلك ثبتت لهم النجاة والثواب على قول جميع علماء الاسلام وبهذا قال الامام فخر الدين الرازي وجماعة من العلماء منهم جلال الدين

السيوطي والقسطلاني وهو قول الشيعة . وانا استروح لهذا دليلا من قوله تعالى « واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهديني وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين » فاثبت ان كلمة التوحيد بقيت في عقب ابراهيم اي لم تنقطع فلم تزل يحفظها حافظ من عقبه وقوله لعلهم يرجعون اي رجاء ان يرجع من لا يعلمها الى من يعلمها فلا ينقطع ذلك من عقب ابراهيم . والاشارة والضمير عائدان الى العرب بقرينة السياق وبقرينة قوله « ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » وهذه كلها مقالة العرب وآباء العرب يشمل جميع آباء جميعهم ما عدا آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه غير داخل في الاشارة ومعنى تمتيعهم وآبائهم تمتيعهم بكف العذاب عنهم في الدنيا وفي الآخرة عمن اشركوا في مدة الفترة حتى جاءهم محمد فحقت يومئذ مؤاخذتهم فيؤخذ من عرض هذا الكلام وفحواه ان آباء محمد صلى الله عليه وسلم من العقب الذين بقيت فيهم كلمة التوحيد فكانوا مؤمنين في مدة الفترة ولم يكونوا ممتعين ولا يقال لعل الذين بقيت فيهم كلمة التوحيد هم بنو اسرائيل لانا نقول : هذا القول ينافي سياق توبيخ العرب والتعريض بهم والتعليل . وهذا الدليل احسن واقرب من احتجاج بعض العلماء بقوله تعالى « وتقلبك في الساجدين » على احد تفسيرين وهو تفسير بعيد ولا حاجة الى بيان ذلك فراجعه . ويعضد هذا المسلك في هذه المرتبة ما ورد من الآثار المتظافرة التي يقوي بعضها بعضا بان عبد المطلب وهاشما وعبد مناف وقصيا وكعبا وكنانة وخزيمة ومدركة والياس ومضرا وعدنان كانوا مؤمنين على دين ابراهيم وان عبد المطلب وقصيا حرما الخمر على انفسهما واوصى قصي ابناءه بترك شربها وترك عبادة ما سوى الله تعالى فهؤلاء ثبت فيهم آثار رواها السهيلي وغيره والمسكوت عنهم من سلسلة الآباء لا يظن بهم الا انهم كانوا على دين ابراهيم لا سيما من تجاوز عدنان فان قربهم الى اسماعيل وابراهيم يقوي الظن بايمانهم بدين ابويهم

المرتبة الثالثة ان يكون شرفهم في الآخرة بنيل فضيلة صالحي المسلمين من أتباع هذا الدين المحمدي . وهذه المرتبة لم يدل عليها دليل من صحاح الآثار وانما روي فيها حديث عن عائشة رضي الله عنها خاص بان الله احيى لرسول الله ابويه حتى ءامنا به رواه الخطيب البغدادي والسهيلي وابن عساكر والقرطبي وابن شاهين وابن المنير والطبري وابن كثير واتفق معظمهم على ان سنده ضعيف فيه مجاهيل ومال بعضهم الى تصحيحه ووقع للبعض في هذا المقام تخليط وخروج عن دائرة مجاري البحث . ونحن على ما عاهدنا عليه من ترك التكلف وصون العلم عن التحريف ويقيننا بان الله اغنى اهل هذا الدين بصحيحه عن الضعيف نقول الحق ان هذا الحديث ضعيف وان نوال ابوي رسول الله فضيلة الايمان لا تكون رهنا على حالة احياء ابويه الاقربين بحيث اذا صح الحديث

زواج عبد الله بآمنة

ونبذة من تاريخ حياته

قالت :

لك مثل الابل التي نحرت عنك اذا اجبت طلبي يا عبد الله

قال لها عبد الله كيف السبيل لذلك وابي لا اعصي له امرا وهو الراغب في تزويجي وله وحده حق الاختيار وان اخلاقي تحول دون مكاشفته امرك وتقاليد عشيرتي تصدني عن ان اتجاسر واغامر بكرامتي في سبيل ما تطلبين واما الحرام وانشد :

اما الحرام فالممات دونه　　والحل لا حل فاستبينه

يحمي الكريم عرضه ودينه　　فكيف بالامر الذي تبغينه

وسار في طريقه معرضا عنها ولم يحتفل بما عرضت عليه من مائة النعم كما كان يصنع من قبل مع اللواتي كن يتحببن اليه من فتيات مكة وقد كلفن به من شدة ما كساه الله من حلة الجمال فقد كان عبد الله مستقيم القد معتدل القامة جميل الطلعة مشرق المحيا

قال ابن اسحاق يزعمون ان المرأة التي تعرضت لعبد الله هي من بني اسد اخت ورقة بن نوفل اهـ. واسمها ام قتال (١ وورقة هذا هو الراهب الذي له موقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما اخبرته السيدة خديجة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم بما حصل له عليه الصلاة والسلام في غار حراء فقال : لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان ينزل على موسى وعيسى وانه لنبي هذه الامة فقولي له فليثبت .

حقت واذا ضعف بطلت فانا اذا جزمنا بانهم كانوا على بقية من ملة ابراهيم كان ذلك محصلا لاستحقاقهما الثواب بفضل الله تعلى وثبتت لهم فضيلة قل أن شاركهم فيها مشارك واذا انفتح باب الفضل لم يبق الا رفع الدرجات فللّه الاختيار في اكرامهم باحسن ما يكرم به صالحوا المؤمنين فاذا كان الله قد اكرم من نصر رسول الله وايده وهم اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم أفلا يكرم من كان سببا في ظهور رسوله وهم آباؤه وامهاته فان كل الاسباب الخاصة بالرسول مظاهر لعناية الله تعالى به وكلها من عند الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولقد قال تعلى لرسوله (ولسوف يعطيك ربك فترضى)

---

(١) وفي رواية اخرى قتيلة ولا يبعد ان ترجع الرواية الثانية للاولى وتكون قتيلة تصغير قتال

ويصح لنا ان نضم الى هذا الموقف موقفه الثاني الذي استفادته منه اخته فانه اعلمها انه سيظهر فى أمد غير بعيد نبي تظهر على محيا ابيه انوار الرسالة فيا سعادة من كانت وعاء لذلك النور فما تفرست في شباب مكة حتى دار في خلدها انه النور الذي يبدو على محيا الذبيح . وما أقدمت على مكاشفته واباحت عرضها لشابات مكة الا لتنال الشرف الاسمى الذي كان يحدثها عنه اخوها الراهب

وفي رواية ابن الكلبي انها تسمى فاطمة بنت مر ووصفت بانها كانت كاهنة قرأت الكتب المتقدمة وعلمت منها مثل ما تقدم عن ورقة

فمن هو هذا الذبيح ؟

وما هي المائة من الابل ؟

الذبيح هو وصف عبد الله الذي اشتهر به بين اهل مكة منذ قدمه ابوه للوفاء بنذره

وذلك ان عبد المطلب وفق للكشف عن مكان زمزم البئر التي تفجرت عيونها تحت قدمي جده اسماعيل عليه السلام وقد كان مضاض بن عمرو أخو جرهم القبيلة العربية لما عبث قومه ولم يراعوا حقوق الحرم عمد الى غزالتين من ذهب ودروع وأسياف كان جميعها داخل الكعبة فاخذها ودفنها في بئر زمزم وطم البئر واعتزل قومه من ذلك الحين ثم كانت حروب بين جرهم وخزاعة كانت العاقبة لخزاعة واجلوا جرهم عن مكة وبقيت البئر مطمومة كل ايام خزاعة وايام قريش الى ان جاء عصر عبد المطلب فهتف به هاتف في منامه يرشده الى مكان البئر بين اساف ونائله (١) فعند ذلك جاء بالمعول يصحبه ابنه الحرث ليعينه على ما هو قادم عليه ولم يكن له في ذلك العهد سواه ، وما زال عبد المطلب يتعمق في الحفر حتى ظهرت له بوادر صدق الامل بظهور الغزالتين والدروع والاسياف فرفع صوته مكبرا . هنالك اقبلت عليه قريش ولما شاهدوا ما عثر عليه عبد المطلب من الكنز دب في نفوسهم داء الحسد وترافعت الاصوات وكثر الصخب حول عبد المطلب لمن سيكون هذا الكنز العظيم وعبد المطلب واجم في سكون عميق لا ينطق ببنت شفة وهو لا يريد من قومه ان يتنازعوا في امر خص به دونهم فخاطبه احد رجالات قريش ما لك لا تجيب يا شيبة (٢) وانت الذي عثر على الكنز

(١) هما صنمان تذبح عندهما النسك ونقل ابن الكلبي مزاعم للعرب في امرهما من ذلك ان العرب تزعم ان اساف اسم رجل من جرهم ونائلة بنت من جرهم أيضا مسخا لارتكابهما امرا منكرا في الحرم اهـ وهذا المكان حيث البئر كانا فيه بعد ان نقلهما عمرو بن لحي من جوف الكعبة ثم نقل اساف الى الصفا ونائلة الى المروة بعد وبقيا هنالك الى أن ظهر الاسلام وكسرا مع ما كسر من الاصنام

(٢) هو اسم عبد المطلب الذي سمي به اولا ولما مات ابوه وبقي عند اخواله بني النجار بالمدينة قدم عليه المطلب واخرجه ردفه على ناقته الى مكة ولما رأته قريش قالوا هذا المطلب وبصحبته عبده ولم يكونوا يعرفونه قبل ذلك الحين فغلب عليه عبد المطلب وعرف به من تاريخه وقليل من يخاطبه بشيبة

ورأيك أحق ان يتبع وعلم عبد المطلب ما عليه القوم من التأثر حيث فاتتهم مزية المبادرة فلا يفوتهم نصيبهم من الغنيمة ، وما هم بالمستضعفين حتى إذا آثر به نفسه يتركونه وما رزق من بطن الارض ويرجعون عنه راضين ،كل ذلك دار في خلده حين لازمه الصمت فاستعجله القوم قبل الجواب وقالوا له يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق ايضا هنالك تبين له ما هم راغبون فيه ولكن عبد المطلب اخذته العزة بنفسه وأبى ان يقاسمهم الكنز فيعد ذلك منه ضعفا وهو الحريص على حفظ كرامته من ان تداس ويغلب على امره قسرا لا تفضلا منه فكان جوابه لا هلموا الى امر نصف بيني وبينكم تعالوا الى التحكيم فما كان من قريش الا انها انقادت لرأيه والكل في نفوسهم شيء ولكن كيف السبيل وشيبة يدعو الى أمر مشروع

ثم كان الرأي على ان يضرب على الكنز بالقداح (١) فيكون للكعبة قدحان اصفران ولقريش قدحان ابيضان ولعبد المطلب قدحان اسودان ومن خرج قدحاه على شيء من الكنز كان له ومن تخلف قدحاه لا يكون له نصيب وسلمت القداح لمن هو موكل بها يضرب بها عند هبل (٢) فخرجت الغزالتان للكعبة وخرجت الاسياف والدروع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش لم يخرجا على شيء

ولكن النفس الكريمة ابت ان تستأثر بشيء ولو عن حق ولو كانت في أشد الحاجة اليه فابى عبد المطلب الا ان يكون الكنز كله للكعبة عن طوعية لا بمفعول الارهاق فعمد الى الاسياف التي خرجت له وضرب منها بابا للكعبة وجعل احدى الغزالتين صفائح وجعل الاخرى في الكعبة وعد اهل السير انه اول ذهب حليت به الكعبة فكانت مبرة من شيبة قدر له اهل مكة قدرها

ولم تقف بقريش المنافسة عند هذا الحد بل نازعوه ايضا في تفرده باتمام حفر زمزم كما نازعوه فيمن تكون له السقاية حتى قام له عدي بن نوفل بن عبد مناف وسار اليه منتفخ الاوداج من شدة ما يحس به من وجد وكذلك كل ذي نعمة محسود وقال له : يا عبد المطلب تستطيل علينا وانت فذ لا ولد لك يعني بذلك انه لم تتعدد ابناؤه فاخفاها عبد المطلب في نفسه ولما تم له حفر البئر وسلم له في السقاية دعا ربه ونذر ان لو يرزق عشرة بنين يشد بهم عضده ويقوي بهم ساعده على منافسيه في الزعامة ويتفاخر بهم على عدي واضرابه لينحرن احدهم قربانا عند الكعبة

ولما تكامل بنوه عشرة وقرعينا بهم أعلمهم بنذره ودعاهم الى الوفاء فلبوا نداءه وتقدموا اليه طائعين ولم يعصوا له امرا فحكم فيهم القداح وكذلك كانت قريش كلما اشتدت بها الحيرة في امر لجأت الى تحكيم الآلهة المزعومة عن طريق القداح فامر بنيه ان يأخذ كل واحد منهم قدحا ليكتب

---

(١) القداح بكسر القاف جمع قدح وهو السهم قبل ان يراش وينصل

(٢) اسم صنم كان في جوف الكعبة وهو الذي يعنيه ابوسفيان بن حرب يوم احد حين انتهت الواقعة حيث نادى باعلى صوته اعل هبل اي اظهر دينك

عليه اسمه ثم تقدم بها الى هبل وسلمها الى القيم ليضرب بها على الابناء فخرج القدح على عبد الدار (١) الابن الاصغر من كانت لابيه نحوه مزيد شفقة ورحمة وكذلك شان الاب مع اصغر بنيه ولكن ما حيلة عبد المطلب والامر ليس له منه بد في زعمه فاخذ الشاب من يده وسار به نحو أساف ونائلة الصنمين حيث المذبح بينهما وامسك بيده الشفرة وتله للجبين هنالك تعالت الاصوات من كل جانب وما هي الا اصوات اشراف قريش قد قدموا عليه يمانعونه فيما عزم عليه ويقيمون عليه الحجة بان لا يتركها سنة بعده وخاطبوه ان فعلت هذا لا يزال الواحد منا يأتي بابنه حتى يذبحه

ثم هذا المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم يناشده الله ان لا يذبح ابنه حتى يعذر فيه ثم يقول له لان كان فداؤه باموالنا فديناه . فما وسع الاب الشفوق الا ان ينزل عند ارادتهم من استفتاء الكاهنة التي بالحجر عند يثرب (مدينة الرسول بعد) وحضروا عندها وقد احضر عبد المطلب ابنه الذبيح معه فاستفتاها في حادثة ابنه فافتتهم بعد ان امهلتهم مدة استعلامها من تابعها كما تزعم ويزعمون ان ارجعوا الى بلادكم حتى اذا حضرتم عند الحرم قربوا صاحبكم الذي خرج قدحه الى مكان ضرب القداح ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعلى الابل القداح فان خرج القدح على صاحبكم فزيدوا في الابل عشرة اخرى وهكذا حتى يرضى ربكم ويخلص صاحبكم فاذا خرجت على الابل فانحروها قد رضي ربكم ونجى صاحبكم

هنالك وجد عبد المطلب المخلص لابنه بما بينته لهم الكاهنة من وجه الاعذار وما كان اهل الشرك يلتجئون الى امثال هاته الكاهنة الا ليتحللوا من اثم عظيم . ويتقبلون ما يفتونهم به بكامل الانقياد وحسن الاعتقاد مؤولين ذلك انه لا يكون الا من طريق آلهتهم المزعومة فلا حرج عليهم بعد ان ياتوا بما جاءهم به الكهان وكذلك كان غالب حالهم بقطع النظر عن خصوص هاته الحادثة فما كانوا يلتجئون الا الى امثال هاته الاباطيل التي ما انزل الله بها من سلطان وقد جاء الاسلام بعد بمقاومة امثال هاته الترهات وان الحكم الا لله (فان اختلفتم في شيء فردوه الى الله والرسول) والرجوع به الى الله والرسول هو الرجوع به الى الشرع الاسلامي القويم الذي اختاره الله للناس كافة وما ربك بظلام للعبيد ولما باشر عبد المطلب ما اشارت به الكاهنة وضربت القداح على الذبيح والابل خرج القدح الاول على عبد الله فزاد عبد المطلب عشرة من الابل واستمر في كل مرة يخرج القدح على الذبيح والاب يزيد عشرة من الابل الى ان بلغت مائة فخرج القدح على الابل هنالك رفع الاب صوته مقسما انه لا تطمئن نفسه الا اذا تكرر ذلك ثلاثا وفي كل مرة تخرج على الابل حينئذ اطمأن

(١) هو الاسم الاول الذي سمي به عبد الله بن عبد المطلب وما كان يعرف الا به ثم لما وقع الفداء اطلق عليه ابوه عبد الله وسماه به فصار من يومئذ يعرف به

فؤاده وفدى ابنه فنحرت الابل وتركت لا يصد عنها انسان ولا حيوان . فذلك الابن هو الذبيح الذي فداه ابوه عبد المطلب بمائة من الابل وسماه من بعد الفداء بعبد الله وتلك هي المائة من الابل التي عرضتها ام قتال اخت ورقة ابن نوفل على شاب قريش وثاني الذبيحين

يروي لنا الحاكم : ان اعرابيا قال للنبيء صلى الله عليه وسلم يا بن الذبيحين فتبسم عليه الصلاة والسلام ولم ينكر عليه.

وكان من راي عبد المطلب بعد ان نجى ابنه عبد الله وقدم الفداء عنه ان يزوجه فخرج يخطب له من بني زهرة فاتى عبد المطلب الى وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا وخطبه آمنة ابنت اخيه وهب لابنه عبد الله وكانت يومئذ في حجره لموت ابيها فاستبشر وهيب لهاته الخطبة واجاب طلب عبد المطلب فيما يرغب فيه لابنه كما اجابه لما خطبه في ابنته هالة لنفسه التي استولدها حمزة ضريب رسول الله وصفية ، وهل من سبب في اختيار عبد المطلب زوجة ابنه عبد الله من بني زهرة دون سواهم من بيوتات العرب وبطون قريش وعلى الخصوص آمنة من بين نساء بني زهرة ؟

يذهب رواة اخبار العرب في ذلك كل مذهب فهذا ابن دحية يروي عن البرقي ان سبب اختياره لها من بني زهرة هو ان عبد المطلب كان ياتي اليمن وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم فنزل في هاته المرة عليه فاذا عنده رجل ممن قرأ الكتب فقال له ائذن لي ان افتش منخرك فقال دونك فانظر فقال ارى نبوة وملكا واراهما في المنافين عبد مناف بن قصي وعبد مناف بن زهرة فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله الى بني زهرة فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب فولدت له حمزة وزوج ابنه عبد الله آمنة فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروي غير ابن دحية عن ابن عباس ما حدثه به ابوه نفسه عن سبب الاختيار وهو قريب مما تقدم ويحق لنا ان نبحث في هاته الرواية من جهة ان عبد المطلب لماذا وقع اختياره في سليلة عبد مناف بن زهرة دون سليلة عبد مناف بن قصي ولو راعى هاته الرواية لتزوج هو من احدى القبيلتين وابنه من الاخرى وفي ذلك من الحيطة ما لا يخفى

واما اختيار الزوجة خصوص آمنة من بين شابات بني زهرة فيروي لنا بعض الرواة ان كاهنة قالت يا بني زهرة ان فيكم من تلد نذيرا فاعرضوا علي بناتكن فعرضن عليها فقالت في كل واحدة منهن قولا حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه تلد نذيرا له شان وبرهان منير فيكون عبد المطلب علم بقصة الكاهنة فكانت بشارتها هي الحامل له على ان يختارها لابنه زوجة بقي انه اذا علم ذلك فلم اختار لنفسه هالة سيما بعد ما اعلمه الكاهن من امر النبوة والملك

وتم نكاح عبد الله بآمنة يوم الاثنين على طريقة انكحتهم فقد كان الرجل اذا اراد ان يتزوج يقول هو او قريبه خطب ويقول اهل الزوجة نكح ويتم بذلك النكاح بعد ان يتواطآ على مقدار من

المال يقدمه الزوج للزوجة ويسمونه الملاك وربما عبروا على النكاح بالاملاك وهذا النكاح هو الذي اقيمت عليه انساب العرب وهو الشائع في قبائلهم وهو المعني في قوله عليه الصلاة والسلام فيما خرجه البيهقي في دلائل النبوة عن انس رضي الله عنه : ما افترق الناس فرقتين الا جعلني الله من خيرهما فاخرجت من بين ابوي فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية وخرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت الى ابي وامي فانا خيركم نفسا وخيركم ابا

وهذا الشيء الذي كان في عهد الجاهلية مختلف الاساليب احدها السفاح وهو المنفي في الحديث وهو ان تسافح المراة رجلا ويزني بها ثم اذا توافقا على النكاح بعد يجري على الصورة الاولى الثاني جماع البغايا بان يدخل على المراة جماعة حتى اذا حملت ووضعت حملها الحقته بمن يغلب عليه شبهه ممن وطئها الثالث الاستبضاع وهو ان يستبضعها زوجها اذا طهرت من حيضتها من اجنبي ثم يعتزلها حتى يستبين حملها من ذلك الرجل الذي استبضعت منه ثم ان احب زوجها ان يصيبها بعده اصابها الرابع الجمع وهو ان يجتمع ما دون العشرة من الرجال ويدخلون على ذات الراية من البغايا يطؤونها ثم اذا مضت عليها ليال من وضع حملها ترسل لهم ولا يستطيع رجل منهم ان يمتنع عن الحضور ثم اذا اجتمعوا تقول لهم قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت ثم تلحقه باحدهم الذي تختاره منهم وهاته الانواع الثلاثة مع النوع الاول وهو النكاح هي الواردة في البخاري عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان النكاح في الجاهلية كان على اربعة انحاء نكاح كنكاح الناس اليوم تعني المشروع في الاسلام وانما يختلفان هو بلفظ خطب ونكح والمشروع بلفظ الايجاب والقبول ونكاح البغايا ونكاح الاستبضاع ونكاح الجمع

ويذكر المؤرخون انواعا أخر السفاح وهو المتقدم . والمقت وهو الذي نزل فيه قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف) على ما ذكره البخاري قال كان في الجاهلية وصدر الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها فالقى ثوبه على تلك المرأة وصار احق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء ان يتزوجها تزوجها من غير صداق الا الصداق الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها شيئا وان شاء عضلها وضارها لتفتدي منه فمات بعض الانصار عن زوجة فجاء ولد لهمن غيرها وطرح ثوبه عليها ثم تركها لم يقربها ولم ينفق عليها ليضارها لتفتدي منه فاتت تلك المراة وشكت حالها للنبيء صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى : ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم الآية

ويظهر من سيرة العرب أن جميع الانواع ما عدا الاول ليست من السنة المثلى التي يتخذها اشراف العرب وانما يعمد اليها اهل الخلع والمجون وهم في ذلك غير مرتضين منهم صنيعهم ذاك ويعده اهل المروءة من العرب انه اتباع للهوى ولربما اعتقدوا حرمته كما يدلنا على ذلك تسمية بعض

مكان حمل رسول الله

صلى الله عليه وسلم وبلد الولادة ومكانها

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز
جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

اقترح علي بمناسبة استهلال شهر المولد الشريف ان ألم باطراف هذا الموضوع الاثري مكان حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلد الولادة ومكانها فاخذت اتقصى المصادر التي يستقى منها ويستند اليها فالفيت الروايات مضطربة والخلاف متسع المجال في هذا الموضوع وفي عامة الاطوار والحوادث السابقة على النبوة فحدا بي ذلك الى البحث عن اسباب اضطراب الروايات وتعدد الاقوال المبسوطة في كتب المواليد والسير وقد انتهى بي قطع مراحل البحث والتفكير الى اعتقاد ان الاضطراب نتيجة امور

احدها اعتماد العرب في الحوادث على الحفظ والرواية واهمال تقييدها بالكتابة لقلة انتشارها يومئذ فتتوارى الحقيقة مع مرور الزمان بحجب الاوهام والنسيان

ثانيها ابتداع الخراصين وتلفيق الافاكين حكايات بعيدة عن الحقيقة ظنا منهم ان كل ما يفضي الى مقصد نبيل وغرض شريف كتنمية حب الرسول وتعظيمه يباح ابتداعه فيتلقف من لا تحقيق عنده صنيعهم بالقبول فيتسع مجال الخلاف والاضطراب

اقسامه بالمقت وقول عبد الله للمراة التى عرضت عليه نفسها اما الحرام فالممات دونه : اذا صحت الواقعة) وماكان شائعا الا النوع الاول . وهذا ابن الكلبي يحدثنا انه كتب للنبيء صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجد فيها سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية في بعض احوالهم . ونحن ان شككنا في صحة كل ما يدعيه من خيث علمه باشخاص الامهات وازواجهن فلنا شواهد اخرى على شيوع النكاح حتى من الحديث المتقدم في ثبوت النكاح في كافة سلسلة النسب الشريف

وكان دخول عبد الله على آمنه يوم الاثنين من شهر جمادى الثانية قبل قدوم الفيل ببضعة اشهر عند اهلها في منازل بني زهرة بعد ان املكها وهو نفس اليوم الذي دخل فيه ابوه عبد المطلب على هالة بعد ان اولما على الطريقة التي كانت تتخذها العرب في اعراسهم من ضرب الدفوف واشهار الاسنة والسيوف وينثر الزوج على الحاضرين عند الزوجة النثار وقد كان نثارهم اذ ذاك التمر وانتهت ايام العرس بعد مضي ثلاثة ايام من الزفاف

محمد الشاذلي ابن القاضي

الثالث طريان الاهتمام بتحقيق تلك الاحوال بعد عهد حدوثها بزمن بعيد ينزل في اثنائه نازل الحمام فيودي بمشاهديها ولذلك اسباب

الاول ان العناية باحوال الرسول لا تتوجه الا بعد تقرر الارسال ورسوخ دعائمه وتأصله في نفوس المؤمنين به فاذ ذاك تبعث الرغبات في ارتياد الاحوال السابقة للنبوة انقيادا لعامل المحبة والتعظيم فيكون بين الزمنين زمن الحوادث وزمن البحث أمد طويل، تستتر معه الحقيقة

الثاني ان الاستشراف لاستجلاء احوال ما قبل النبوة لا يحدث الا بعد تمام استقصاء احوال ما بعد النبوة لتاثير الاحوال الثانية في التشريع دون الاحوال الاولى فلا تمت الى التشريع بسبب ولا يتعلق بها غرض لولا مكانة صاحبها في النفوس وذلك يشغل الفئة المعاصرة للنبوة والشاهدة ما قبلها عن تتبع الاحوال الاولى

الثالث ان موارد الاهتمام ومسارح البحث تختلف باختلاف العصور واحوال الباحثين فربما اهتم اهل عصر بما لا تتجه اليه عناية اهل عصر ءاخر لتباين الميول واختلاف الاذواق فينشأ الاختلاف لقلة الاهتمام بالحادثة المبحوث عنها ونبو اهتمام الحاضرين لها عنها فيضعف اليقين ويحصل الاختلاف

واذ أفضينا بنجوى النفس وعصارة التفكير وعندي انهما من الملح ، فلم يبق الا السير الحثيث الى افاضة الكلام على الحديث المقترح

مكان ابتداء الحمل

كان ابتداء الحمل برسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى (١) ذلك ان بناء عبد الله بن عبد المطلب على ءامنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة كان في شعب ابي طالب ووقع الحمل اثر البناء كما تدل عليه قصة المرأة الكاهنة او التي معها ضرب من الفراسة فانها عرضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب فأبى وبعد ان تزوج بأمنة واقام عندها ثلاثا خرج من عندها واتى المرأة الراغبة فيه وقال ما لك لا تعرضين علي ما عرضت علي بالامس قالت فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي بك اليوم حاجة انما اردت ان يكون النور في فابى الله الا ان يجعله حيث شاء فهذه القصة ان صحت تدل دلالة واضحة على ان ابتداء الحمل كان اثناء الليالي الثلاث من ليلة البناء التي اقام فيها بشعب ابي طالب

بلد الولادة ومكانها

جمهور اهل السير متواطئون على ان الولادة بمكة وشذ من زعم ان الولادة بعسفان وهي قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة واذا اخذنا بالمذهب الصحيح من ان الولادة بمكة ففي

(١) هو الموضع الذي بين منى والحجون ، والحجون جبل يبعد عن مكة بنحو ثلاثة اميال وبه مقبرة اهلها ،

حالة العرب الدينية

قبل البعثة والبشائر به صلى الله عليه وسلم

بقلم العالم النحرير الشيخ محمد الصادق
المحرزي الاستاذ بجامع الزيتونة

كانت العرب من ولد اسماعيل عليه السلام ومن جاورهم من قبيلتي جرهم وخزاعة يوحدون الله ويحجون ويطوفون بالبيت العتيق ملبين بتلبية الخليل عليه السلام وهي لبيك اللهم لبيك وحدك لا شريك لك لبيك ولما توفي تولى امر البيت بعده ابنه ثابت ثم توفي ثابت فتولى امر البيت مضاض بن عمرو الجرهمي جد ثابت لامه واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم اولاد اسماعيل في ذلك لخؤولتهم الى ان بغت جرهم بمكة وظلموا من يدخلها من غير اهلها واكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها وحينئذ قامت عليهم قبيلة خزاعة واطردوهم من مكة الى اليمن ودفنت جرهم ما عندهم من الذخائر الذهبية في بئر زمزم وردموها واخفوا اثرها الى ان اظهرها عبد المطلب لرؤيا رءاها وكان ءاخر سيد منهم عمر بن الحارث الجرهمي وهو القائل

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد ثابت ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا ... صروف الليالي والدهور البواتر

ثم تولت خزاعة امر البيت . وكان اول سيد منهم عمرو بن لحي الخزاعي يقال انه عاش ثلاثمائة

تعيين المكان اقوال الاول ان محل الولادة شعب بني هاشم من الطرف الشرقي بمكة الثاني ان محلها ردم بني جمح بمكة وهو لبني قراد والردم بفتح الراء وسكون الدال الثالث ان محلها الدار التي انتقلت لمحمد بن يوسف الثقفي اخي الحجاج بن يوسف صاحب بني امية وموطد ملكها وهي دار بزقاق المدكك كانت قبل بيد عقيل بن ابي طالب قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبها له فلم تزل بيده حتى توفي عنها فباعها ولده من محمد بن يوسف وقيل ان عقيلا باعها بعد الهجرة تبعا لقريش حين باعوا دور المهاجرين ويقال ان محمد بن يوسف أدخل ذلك البيت في داره التي يقال لها البيضاء فلم تزل كذلك حتى حجت خيزران ام الرشيد فافردت ذلك البيت وجعلته مسجدا يصلى فيه ويقال ان دار محمد بن يوسف بنتها زبيدة زوجة الرشيد مسجدا حين حجت وهي عند الصفا

محمد العزيز جعيط

سنة واربعين سنة وولد له الف مقاتل وكان يذبح في موسم الحج عشرة آلاف بدنه ويكسو عشرة ءالاف حلة وبلغ من الشرف ما لم يبلغه احد قبله ولا بعده من العرب في الجاهلية كل ذلك والعرب يوحدون الله ولا يشركون به شيئا الى ان خرج عمرو إلى الشام في حاجة له فوجد العماليق من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام يعبدون الاصنام فسالهم عنها فقالوا له اصنام نستمطر بها فتمطرنا ونستنصر بها فتنصرنا فقال لهم الا تعطوني صنما منها اذهب به الى ارض العرب فاعطوه صنما يقال له هبل فجاء به الى مكة ونصبه في جوف الكعبة وامر العرب بعبادته وتعظيمه فامتثلوا امره وظلوا عليه عاكفين وبه مشركين يستقسمون عنده بالازلام ويتقربون اليه بذبح الانعام وربما آثروه على الله تعالى بالقربات كما قال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل لشركائهم ساء ما يحكمون ولما رأى عمرو اقبال العرب على عبادة ذلك الوثن وسوس له الشيطان فجلب لهم من جده آلهة كانت تعبد في زمن نوح وادريس عليهما السلام وهي ود وسواع ويقوت ويعوق ونسر قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى حكاية عن نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اظلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا ، وكانت هاته الاسماء لاناس صالحين في عصرهم وقيل من اولاد ءادم لصلبه فلما ماتوا حزن اهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس اللعين امثالهم من صفر ونحاس ليستانسوا بها فجعلوها في مؤخر المسجد فلما هلك اهل ذلك العصر وسوس الشيطان لاولادهم فعبدوها ثم ان الطوفان دفنها في ساحل جدة فاخرجها عمرو باخبار اللعين وانتشرت عبادتها في العرب وكان ود لكليب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج وهو ابو قبيلة من اليمن ويعوق لهذيل ونسر لحمير ومن مآثر عمرو لعنه الله انه هو الذي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد وكانت الازد يحجون اليه ويعظمونه وكذلك الاوس والخزرج وغسان وهي صخرة عظيمة جعلها عمرو من المعابد كما جعل اللات والعزى قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى اللات صنم على صورة انسان كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى لغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وسن عمرو اكل الميتة في العرب وكانوا يستقذرونها وهو اول من سيب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحامية ونسبوا ذلك لله تعالى فرد الله عليهم فيما ابتدعوه بقوله ما جعل الله من بحيرة لا سايبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يفقهون فالبحيرة الناقة اذا انتجت خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان

الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سايبة ويجعلها بالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا من مرعى وقالوا قد حمى ظهره ذلك من مبتدعات عمرو بن لحي وظلالاته لهم ناسبا ذلك لله تعلى عن ذلك علوا كبيرا وقد جاء من رواية البخاري رحمه الله تعلى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت جهنم يحطم بعضها بعضا ورايت عمرا يجر امعاءه في النار وفي رواية يؤذي اهل النار بريح قصبه اي امعائه وقال صلى الله عليه وسلم لاكثم الخزاعي زوج ام معبد صاحبة الشويهة العجفاء التي مر بها صلى الله عليه وسلم في هجرته للمدينة ومسح بيده الكريمة على ضرعها فدرت بما لم يكن في الحسبان يا اكثم - والاكثم واسع البطن - رايت عمر بن لحي يجر امعاءه في النار فما رايت رجلا اشبه به منك ولا بك منه فقال اكثم فعسى ان يضرني شبهه يا رسول الله فقال لا لانك مؤمن وهو كافر هذا ورغما عما كان لعمر من العظمة في العرب واستماع القول لم يتبعه جميعهم في بدعه وضلالاته بل اكثرهم كما قال تعلى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وفي آية اخرى واكثرهم لا يعقلون بل كان من العرب في الجاهلية اجلة موحدون لم يتبعوه فيما سنه وابتدعه ولم يسجدوا لصنم قط وينهون عشائرهم عن الشرك بالله كاكثم بن صيفي وقيس ابن ساعدة وربيعة واخوه مضر من اجداد النبيء صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين وفي رواية لا تسبوا مضر فانه كان على ملة ابراهيم ومما يحفظ عنه «من يزرع شرا يحصد ندامة» ولما مات عمرو بن لحي وسيق الى جهنم وردا تولت امر البيت اولاده وبقيت الولاية في بيتهم خمسمائة سنة وكان ءاخرهم حليل الذي تزوج ابنته قصي وهو الجد الرابع للنبيء صلى الله عليه وسلم لانه عليه الصلاة والسلام ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي واسمه زيد وانما سمي قصي لان امه بعد موت ابيه بعدت به الى الشام فتربى عند اخواله من بني قضاعة وبعد ما كبر رجع الى مكة فعرفته قريش وعرفت نسبه فسودوه عليهم وتزوج بنت حليل الخزاعي المذكور لشرفه ولما حضر حليل الوفاة ولم يكن له ولد اوصى بولاية البيت لصهره قصي فتولى امر البيت وانتقلت ولايتها من خزاعة الى قريش ولقصي مآثر حسنة منها انه جمع قريشا بعد تفرقها في البلاد وجعلهم اثني عشر قبيلة فقيل له مجمعا قال بعض المحدثين ولذلك سماه صلى الله عليه وسلم مجمعا والى ذلك يشير حذافة ابن غانم بقوله :

قصي لعمري كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

من قصيدته التي مدح بها عبد المطلب حين انجده من كربة وقع فيها وقال في مطلعها

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

فصارت له السيادة على قريش وابعدت قريش خزاعة من مكة لمعارضتهم لقصي كما ابعدوا هم جرهم وامر قصي قريشا ان يبنوا دورهم داخل الحرم حول البيت لتهابهم العرب فبنوها ولم يبق حول البيت الا قدر المطاف وجعلوا ابواب دورهم للكعبة وكان لكل بطن منهم باب ينسب اليه كباب بني شيبة وباب بني مخزوم وبقيت كذلك الى زمن النبيء صلى الله عليه وسلم وزمن ابي بكر ولما ولى عمر بن خطاب الخلافة اشترى تلك الدور من اربابها وهدمها وجعلها مسجدا حول الكعبة ولذلك يسمى الى الآن بالحرم المكي ولم يبق من تلك الابواب الا باب بني شيبة لانه دخل منه النبيء صلى الله عليه وسلم للكعبة عام الفتح وهو قايم الى الآن حذو المطاف وبني قصي حذو الحرم دار الندوة وكانت قريش تجتمع فيها للمشاورة في امورها لا يدخلها الا من بلغ الاربعين ولا يتزوج رجل من قريش على امرأة الا فيها ولا يعقد لواء حرب الا فيها ولا زالت هاته الدار في يد بني عبد الدار الى ان صارت لحكيم بني حزام فباعها في الاسلام بمائة الف درهم فلامه عبد الله بن الزبير وقال اتبيع مكرمة ابائك وشرفهم فقال رضي الله تعلى عنه ذهبت المكارم الا التقوى واشهدكم ان ثمنها في سبيل الله فاينا المغبون وكان قصي من حكماء العرب فمن كلامه من اكرم لئيما شاركه في لؤمه ومن استحسن قبيحا ترك الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة اصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود هو العدو الخفي ولما احتضر قال لبنيه اجتنبوا الخمر فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وعدت ولاية قصي امر البيت وجمعه لقبايل قريش بعد تفرقها من المبشرات المنبئة بقرب بعثته صلى الله عليه وسله ليخرج من بيت عز وشرف وكان ابوه كلاب هو الجد الثالث لآمنة لامه صلى الله عليه وسلم وكلاب ابن مرة وهو الجد السادس لابي بكر رضي الله عنه ومره ابن كعب وهو الجد الثامن لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة اي الرحمة الذي هو يوم الجمعة ويقال انه اول من سماه يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه وقيل لم تسم العروبة الجمعة الا مذ جاء الأسلام فكانت قريش تجتمع فيه الى كعب ليعضهم ويذكرهم ببعث النبيء صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بانه من ولده ويامرهم باتباعه ويقول سياتي لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبيء كريم وينشد ابياتا منها

على غفلة يأتي النبيء محمد   فيخبر اخبارا صدوق خبيرها

وينشد ايضا

يا ليتني شاهد فحواء دعوته   حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة . ومن الدلائل المبشرة ببعثته صلى الله عليه وسلم زيادة عما جاءت به الاناجيل السماوية والاخبار النبوية من لدن ءادم عليه

السلام مما هو مقرر في الاذهان ولا يحتاج الى بيان ما يؤثر عن كنانة ابن خزيمة وهو الجد الثاني عشر للنبيء صلى الله عليه وسلم فقد كان شيخا حسنا تحج اليه العرب اي تقصده لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبيء من مكة يدعى احمد يدعو الى الله والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تكذبوا ما جاء به فهو الحق ومن اجداده صلى الله عليه وسلم الياس بن مضر وكان حكيما في العرب مثل لقمان الحكيم وكانت العرب لا تقضي امرا دونه وهو اول من ضفر بمقام ابراهيم عليه السلام لما غرق البيت في زمن نوح وموضعه في زاوية البيت ثم اخرجه منه صلى الله عليه وسلم ووضعه امام البيت كما هو الآن وكان مؤمنا بالله لا يسجد للاصنام وفي الحديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وكان يرى نوره صلى الله عليه وسلم في وجهه. ثم لا زال ينتقل وينمو ذلك النور في وجوه اجداده صلى الله عليه وسلم كلما ازدادوا قربا منه الى ان وصل الى هاشم والد عبد المطلب جده الادني صلى الله عليه وسلم واسمه عمر العلا لقب بهاشم لانه اول من شهم الثريد واطعمه بمكة للمساكين بعد جده ابراهيم عليه السلام وفي ذلك يقول الشاعر

عمر العلا ذو الندى من لا يسابقه مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجوابي للوفود اذا لبوا بمكة ناداهم مناديه
او امحلوا اخصبوا منها وقد ملئت قوتا لحاضرهم منها وباديه

ومما يؤثر عن هاشم انه كان اذا اهل هلال ذي الحجة قام صبيحته واسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته يا معشر قريش انكم سادة العرب واحسنها وجوها واحلاما وأوسطها انسابا اي اشرفها واقربها لاسماعيل عليه السلام يا معشر قريش انكم اجوار بيت الله اكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره وانه ياتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم اضيافه واحق من اكرم اضياف الله انتم فاكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه البيت لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتموه ولما توفي هاشم انتقلت ولاية البيت لابنه عبد المطلب واسمه شيبة الحمد .

هذا ومبشراته صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تذكر واشهر من ان تنشر فقد بشر به كل عارف حكيم وكتاب كريم قال تعلى الذين يتبعون الرسول النبيء الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي يخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في القتل العمد والخطا وقطع الاعضاء التي يعصى بها وقرض اي قطع موضع النجاسة من الثوب كيفما كان والمراد بكونه مكتوبا في التوراة والانجيل اي مذكورا صلى الله عليه وسلم فيهما باسمه وصفته وتصديقا للآية الكريمة والله اصدق القائلين ما اخبر به العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال خرجت في تجارة الى اليمن في ركب فيه ابو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة بن ابي سفيان ان

محمدا قائم في ابطح مكة يقول انا رسول الله أدعوكم الى الله ففشى ذلك في مجالس اهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغني ان فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال قال العباس فقلت نعم فقال ناشدتك الله هل كان لابن اخيك صبوة فقلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين فقال هل كتب بيده قال العباس فاردت ان اقول نعم فخشيت من ابى سفيان ان يكذبني ويرد علي فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت يهود وقتلت يهود قال البيضاوي في تفسير قوله تعلى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابنائهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » الضمير يعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق له ذكر لدلالة الكلام عليه اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابنائهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام رضي الله تعلى عنه وكان من اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به من بني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل امه قد خانت ومما لا ريب فيه انه صلى الله عليه وسلم لم يكن مجهولا عندهم وانما كفروا به حسدا وعنادا والله يهدي من يشاء ومما يؤثر عن امية ن ابي الصلت الثقفي قال لابي سفيان اني لاجد في الكتب صفة نبي يبعث فكنت اظن اني هو وكنت اتحدث بذلك ثم ظهر لي انه من بني عبد مناف فنظرت فلم اجد فيهم من هو متصف باخلاقه الا عتبة بن ربيعة الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال ابو سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لامية فقال امية اما انه حق فاتبعه فقلت له فانت ما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف اني كنت اخبرهم باني هو ثم اصير تبعا لفتى من عبد مناف وقد روي عن حكيم ابن حزام رضي الله عنه قال دخلنا الشام لتجارة قبل ان اسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فارسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من اي العرب انتم من هذا الرجل الذي يزعم انه نبيء فقال حكيم فقلت يجمعني واياه الاب الخامس فقال هل انتم صادقين فيما اسالكم عنه فقلنا نعم فقال انتم ممن اتبعه ام ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسالنا عن اشياء مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فاتى محلا في قصره وامر بفتحه ففتح وجاء الى ستر فامر بكشفها فاذا صورة رجل فقال اتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع ابوابها ففتحها ويكشف عن صور الانبياء فيقول اما هذا صاحبكم فنقول لا فيقول لنا هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة محمد بن عبد الله صاحبنا قال اتدرون متى صورت هذه الصورة قلنا لا فقال منذ اكثر من الف سنة وان صاحبكم لنبيء مرسل ولوددت اني عبده فاشرب ما يغسل من قدميه وحديث سيف ذي يزن مع جده عبد المطلب في حقه صلى الله عليه وسلم شهير وقصة اسلام سلمان الفارسي خبرها مستطير ولو شاء الله لآمن من في الارض ولكن الله يهدي من يشاء الى سواء السبيل

محمد الصادق المحرزي

يوم المولد النبوي وعام الفيل

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد بن
الخوجة المستشار بالحكومة التونسية

اتفق جمهور رجال الحديث واصحاب السير على ان ولادة النبي صلى الله عليه وسلم كانت عام الفيل وروى بعض المحدثين ان الرسول عليه السلام قال ولدت في زمن الملك العادل فما هو عام الفيل ؟ وما هو زمن الملك العادل ؟

قبل البحث عن هذين الزمنين لا بد لنا من تقديم تمهيد وجيز ليتصور القاري لماذا لم يرد فيما ذكره اهل الصدر الاول عن الولادة الشريفة تعيين وقتها بالاحالة على عام معلوم من تاريخ محفوظ كتواريخ عصور الانبياء عليهم السلام ومنها التاريخ المسيحي المتصل بزمن الفترة التي اشرقت بعدها الانوار المحمدية ومقدار ما بين ميلاد عيسى عليه السلام ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ستمائة واثنتان وعشرون سنة والجواب والله اعلم ان عصر النبوة كان متداخلا في عصرين عظيمين من عصور التاريخ وهما عصر الروم وعصر الفرس واهل هذين الجيلين كانوا يؤرخون بمدد ملوكهم وعظمائهم فالروم كان تاريخهم من الاسكندر الاكبر وهو من اعظم رجالهم ولد بمقدونية ومات سنة ٣٢٣ قبل الميلاد والفرس كانوا يؤرخون بملوكهم ومنهم ملوك الطبقة الثانية بنو ساسان اولهم اردشير ابن بابك شاه ومن عقبه كسرى الاول او الاكبر واسمه انو شروان وهذا هو الملك العادل الذي ولد في زمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسياتي خبره وباروبا كانوا يؤرخون في تلك الاعصر باشهر الحوادث عندهم كتاسيس مدينة رومة القديمة وبهذا التاريخ ضبطوا ولادة المسيح عليه السلام فقالوا انه ولد ببيت لحم عام ٧٤٩ لرومة وسياتي الكلام على التاريخ المسيحي وما تناوله من الاغلاط ولم يكن بناء رومة بالمرجع الوحيد لديهم بل كانوا يؤرخون ايضا بما يسمونه في ملتهم عصر الشهداء وهم الاشياخ الدين ماتوا تحت العذاب في عهد الانبراطور الظالم ديوكليتيانوس الروماني المتوفى سنة ٣١٣ للميلاد وغيرهم كان يؤرخ بتخريب بيت المقدس على يد الانبراطور طيطش في عهد ابيه سنة ٧٠ للميلاد ولم يشذ عن هذه الطريقة الا اليهود فانهم كانوا وما زالوا يؤرخون ببداية الخليقه في زعمهم وعامهم الموافق لعامنا الحاضر ١٣٥٦ هو عام ٥٦٩٧ على ما جاء في التوراة بذكرهم وليست كل هذه البدايات لتاريخ الازمان عند الامم المختلفة بالوحيدة في العصور الخالية بل هنالك غيرها مما لا محل لبسطه بهذه النبذة لذلك نكتفي هنا بذكر ما كان مشهورا من التواريخ التي لها علاقة بالموضوع الذي نحن بصدده وهي ثلاثة. تاريخ الروم وتاريخ الفرس وتاريخ الميلاد واكثرها ذكرا

لدى رجال التاريخ في الاسلام ومنهم اصحاب السير هو تاريخ الفرس لما بينهم وبين العرب من صلة الجوار ناهيك انهم اول الامم الاعجمية الذين اعتنقوا الاسلام وقد رايت فيما تقدم انه لم يكن هنالك ذكر للتاريخ المسيحي في عصر النبوة لانه لم يكن معمولا به يومئذ كما ستراه انما كان التاريخ المشهور في ذلك العصر بجزيرة العرب هو التاريخ الفارسي كما قدمنا ومنه زمن الملك العادل كسرى الاول انو شروان الذي ولد على عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الموافق لعام الفيل الذي سنتكلم عليه وكسرى هذا غير حفيده كسرى الثاني الذي تمزق ملكه عند البعثة النبوية وهي من معجزاته صلى الله عليه وسلم قال ولي الدين بن خلدون وعلى عهد كسرى (الاول) ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم لثنتين واربعين سنة من ملكه وذلك عام الفيل اه فهذه الطريقة في ضبط الحوادث الهامة باحالة وقت ظهورها على حوادث اخرى عظيمة مثلها تقدمتها في الوجود هي التي درج عليها الامم الغابرة كما قدمنا وهكذا استرسلت كيفية ضبط الحوادث التاريخية الى ان ظهر التاريخ الهجري في خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك في السنة السادسة عشرة للهجرة الشريفة وقد رايت فيما سبق ان التاريخ المسيحي متقدم على الهجرة النبوية بستمائة واثنتين وعشرين سنة فهذا التاريخ لم يستقر قراره عند اهله الا على رأس المائة الثامنة للميلاد بعناية الانبراطور شرلمان نعم ان احد القسيسين برومة وهو الراهب دونيس من رجال المائة السادسة في تاريخهم ضبط بالتدقيق في زعمه تاريخ ولادة المسيح عليه السلام وعلى حسابه انبنى التاريخ المسيحي كله لكن تحرر لديهم بعد ازمان ان ذلك الحساب غير صحيح لتاخره عن يوم الميلاد الحقيقي باربعة اعوام وعلى هذا التحريف جرى عمل الامم المسيحية حتى اليوم بمعنى انهم ابقوا ما كان على ما كان باستمرارهم على ما ضبطه الراهب دونيس بدون اعتبار للغلط المحقق الذي عثروا عليه

ولنرجع بك لتاريخ زمن كسرى انو شروان الذي تخلله عام الفيل وكلاهما عمدتنا في تحرير تاريخ المولد الشريف فكسرى تولى ملك الفرس من سنة ٥٣١ الى سنة ٥٧٩ للميلاد وكان مشهورا بالعدل ناهيك انه انتصف من نفسه لخصي وكان مكرما للعلماء ومحبا للعلم وفي ايامه ترجم كتاب كليلة ودمنة من العبرية للغة الفرس وفي الاصطلاح السياسي العصري لا يجوز تعريف الفرس بهذا الاسم بل حكم الشاه بهلوي بنسبتهم لاصلهم الايراني فقل ايران ولا تقل فارس . واما عام الفيل فهو عام مولده صلى الله عليه وسلم ويوافق في التاريخ المسيحي سنة ٥٧١ على ما رواه ثقات الحساب المسلمين البارعين في الفنون الرياضية منهم الباشا محمود حمدي المصري الفلكي الذي سياتي ذكره وهذا العام يوافق العام ٤٢ من ملك كسرى الذي نقله لنا ابن خلدون

وزعم الراهب كولبو من حزب المبشرين بالحبشة في تاريخه الكبير لهذه البلاد ان عام الفيل

كان سنة ٥٦٩ للميلاد وهذا القول يوافق ما نقله ابن الاثير من ان عام الولادة الشريفة - وهو نفس عام الفيل على القول المشهور - كان سنة ٨٩٢ لذي القرنين هذا اذا جوزنا ان ذا القرنين هو نفسه الاسكندر المقدوني المتوفي سنة ٣٢٣ قبل الميلاد لان السنة ٨٩٢ المذكورة آنفا موافقة بالحساب الشمسي لمجموع المدة الواقعة بين موت الاسكندر المقدوني وبين عام الفيل ولا تعجب اذا قلت لك إن ذا القرنين والمقدوني اسكندران اثنان لا اسكندر واحد وقال المسعودي في مروج الذهب ان عام الفيل يوافقه سنة ٨٨٢ لذي القرنين لا سنة ٨٩٢ واذا تعارضا تساقطا وليس هذا الخلاف بالوحيد في هذا المقام بين المؤرخين فان الروايات فيه كثيرة ليس فقط عند مؤرخي الافرنج بل وعند رجال الحديث واصحاب السير ومؤرخي العرب ايضا ولكنهم اي علماء الاسلام لم يهملوا الامر بل اجتهدوا في نقده الى ان بلغوا فيه لدرجة الترجيح الذي كانت غايته النتيجة المتفق عليها اليوم عند جمهور العلماء في الشرق والغرب يعني وقوع المولد في الثاني عشر من ربيع الاول الموافق لخمسين يوما مضت على حضور الفيل لهدم البيت الحرام بقيادة أبرهة الاشرم الذي سنتكلم عليه وبهذا القول الذي رجحه أيمة الاسلام يوافق المولد النبوي يوم ٢٠ نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ للميلاد وهو تاريخه الصحيح الذي حرره بالحساب الفلكي المدقق لثمانين سنة ماضية العلامة الوزير محمود حمدي باشا المصري المعروف بالفلكي وهذا الرجل الرياضي المشهور يعده اهل الشرق من كبار رجال النهضة المصرية درس العلوم الرياضية بباريس في عهد سعيد باشا بن محمد علي الكبير وصنف في سنة ١٨٥٨ كتابه في التقاويم العربية قبل الاسلام بحث فيه عن يوم ولادة النبيء صلى الله عليه وسلم وعن عمره السعيد فوصل الى نتيجة مآلها انه ولد في ٩ ربيع الاول الموافق ٢٠ نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ للميلاد وانه مات عليه السلام عن ٦٣ سنة قمرية وثلاثة ايام ودقق النظر في هذا البحث لغاية ادته لثبوت كون العرب كانوا يعملون بالحساب القمري الصرف وارتأى ان العرب في العصر الجاهلي لم يكونوا يعرفون الساعات التي ينقسم اليها اليوم وهو رأي جماعة من الفرنسيين والانكليز وله غير ذلك من التآليف المفيدة في الفنون الرياضية والطبيعية والجغرافية منها خريطة هندسية محررة بغاية الدقة للبلاد المصرية معروفة باسمه لهذا الزمان وتقلد رحمه الله مناصب ذات شان منها وزارة الاشغال العامة ووزارة المعارف فزهت العلوم في عهده وأضاءت البلاد بها وناب عن حكومة بلاده في المجمع الجغرافي بباريس سنة ١٨٧٥ وفي البندقية سنة ١٨٨١ وتولى رآسة الجمعية الجغرافية الخديوية ولما ادركه اجله وصفته الالسن والاقلام بقولها انه كان هماما حازما محبا لوطنه قضى حياته عاملا على خدمته مجاهدا في سبيل نشر المعارف حتى توفاه الله فجأة سنة ١٣٠٣ وهو محاط بالكتب والاوراق. هذا وقد رأيت فيما نقلنا عن هذا الوزير الرياضي ان الولادة الشريفة كانت في ٩ ربيع الاول لا في ١٢ منه وهذا القول رغم

مطابقته ليوم المولد بالحساب الشمسي (٢٠ نيسان) لا يصح اعتباره كيوم المولد لمخالفته للقول المشهور الذي رجحه رجال الحديث من ان الولادة كانت يوم ١٢ ربيع الاول فحسبنا الحاقه بالروايات المختلفة الواردة في يوم الولادة وهي سبعة على ما جاء في المواهب اللدنية بشرح الزرقاني منها يوم ٢ ربيع الاول الى ان قال « وقيل ولد (عليه السلام) لثمان من ربيع الاول وهو اختيار اكثر اهل الحديث وقيل لعشر منه وقيل لاثني عشر وعليه عمل اهل مكة قديما وحديثا في زيارتهم موضع مولده (ورب الدار أدرى بما فيها . وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان عشرة منه وقيل لثمان بقين منه ثم قال والمشهور انه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول وهو قول محمد بن اسحاق بن يسار امام المغازي اهـ قلت هو اول من كتب في السيرة النبوية وضبط يوم المولد الشريف وعنه روى عبد الملك بن هاشم وكان لابن اسحاق الباع الطويل والرواية الثابتة في الحديث وثقه الامام البخاري ولكنه لم يخرج عنه في صحيحه لطعن مالك فيه ومات ابن اسحاق سنة ١٥٠ .

واختلف العلماء في مدة الحمل به صلى الله عليه وسلم فقيل تسعة اشهر وهو القول الصحيح الذي اعتمده رجال الحديث وقيل عشرة وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة الجملة خمسة اقوال قول راجح واربعة مرجوحة يمجها الذوق السليم لتلبسها اما بالنقص في حالة الولادة في الشهور السادس والسابع والثامن واما بعلة في حالة الولادة فيما بعد الشهر التاسع الذي هو أجلها الطبيعي لكافة البشر نعم ان الجنين يكون عند زرع الروح فيه باذن خالقه مستكمل الخلقة ابتداء من الشهر السادس من مدة الحمل ولكنه اذا ولد قبل نهاية الشهر التاسع تكون ولادته سابقة الابان كباكورة الثمار وهذه دون اختها التي يكمل نضجها في وقته الطبيعي وقول من يرى ان الجنين المتزائد في الشهر الثامن لا يعيش وان النبيء صلى الله عليه وسلم ولد فيه وعاش وتلك معجزة له عليه السلام كما وقع لاخيه عيسى صلوات الله عليه فهذه رواية من قبيل احاديث القصاصين ليست من الصحة بمكان . فاولا لان عيسى عليه السلام حملت به امه وولدته في ساعة واحدة وهو القول الصحيح الذي اتفق عليه جمهور العلماء وثانيا لان العلم اثبت ان المولود الثموني متوفرة فيه شروط العيش اكثر من المولود السبوعي المتفق بين الناس على عيشه ولكن دون المولود الذي يولد في تمام الشهر التاسع الذي هو منتهى المدة الطبيعية للحمل والاحصائيات الطبية جاءت مؤيدة لذلك كما يؤيده العقل والذوق السليم فولادة الجنين قبل ابانه غير متوفرة فيها شروط استكمال التكون المرتبط بمدة التسعة اشهر وهو نقص لمخالفته لنواميس الخليقة ومقام الانبياء منزه عما ينقصهم عن بقية البشر ولو اراد الله جعل معجزة للنبي عليه الصلاة والسلام متلبسة بحمل امه به لفعل ذلك بما فيه الاعجاز الذي هو خرق العوائد وهو سبحانه وتعالى انما يقول للشيء كن فيكون وليس من الاعجاز في مجاري العادات الولادة في الشهر الثامن من الحمل ولم يثبت ان الذي يولد فيه لا يعيش .

والمقام يقتضي الاطناب لاهمية الموضوع لذلك تنقل هنا بعض ما وقفت عليه مما كتبه كبراء المستشرقين في هذا المقام ومنهم العلامة هوار الفرنساوي وهو من الافذاذ الاروباويين الذين توفقوا في الاعصر المتاخرة لكشف اللثام عن محاسن الاسلام اذ كتب في التعريف بعلوم الاسلام وعلمائه مالم يكتبه ابن النديم في كتاب الفهرست فهذا الرجل العالم كتب ايضا تاريخا عاما للعرب ومما جاء فيه زعمه ان تاريخ مولد النبيء صلى الله عليه وسلم ليس له اساس يعتمد عليه لضبطه بالتدقيق ولكن المؤرخ لافيس من اكابر المؤرخين الفرنساويين أثبت في تاريخه العام ان النبيء صلى الله عليه وسلم ولد في ٢٠ نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ وهذا التاريخ يطابق ما اتفق عليه ايمة المسلمين من انه صلى الله عليه وسلم ولد في فصل الربيع وفي شهر ربيع الاول وقال المستشرق الطلياني فراكاسي مترجم القرءان ان الولادة كانت في ٢٠ نيسان ولكن العام هو سنة ٥٧٠ او ٥٧١ فهو متفق معنا في الشهر ومتشكك في العام وممن يقول بان الولادة كانت في عام ٥٧٠ المستشرق كوسان برسفال وزاد على ذلك بزعمه انها كانت في ٢٩ من شهر آب (اغشت) الذي هو اشد شهور الحر وعنه نقله المستشرق كازمرسكي في مقدمة ترجمته للقرءان وقال انه نتيجة بحث طويل عريض وهذه الرواية لم يقل بها احد غيره لان الولادة كانت كما قدمناه في شهر ربيع الاول من فصل الربيع كما اثبته اهل الذكر من حساب الاسلام وكما رجحه رجال الحديث وكتاب السيرة النبوية منهم الخوارزمي على ما رواه الامام القسطلاني وكفى به حجة نعم ان بعض ارباب السير روى في تاريخ الولادة اقوالا كثيرة منها انه صلى الله عليه وسلم ولد في المحرم يوم عاشوراء ومنها انه ولد في رجب ومنها انه ولد في رمضان وهذه كلها روايات مرجوحة لم يعتمدها رجال الحديث ودفعوها بأدلة قاطعة مذكورة بمحلها من كتب السنة . فتحصل من جميع ما تقدم ان مولد النبيء صلى الله عليه وسلم كان بمقتضى ما رجحه جمهور علماء الاسلام في ثاني عشر ربيع الاول من عام الفيل يوافقه بالتاريخ المسيحي يوم ٢٠ نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ ولقائل ان يقول هنا ان مبتكر فكرة الاحتفال بالمولد في الاسلام يعني مظفر الدين ملك اربل كان يحتفل به على التناوب مرة في اليوم الثامن ومرة في اليوم الثاني عشر من ربيع الاول والجواب ان هذا العمل لا يستفاد منه اكثر من معرفة درجة التورع الذي كان عليه الملك المشار اليه شكر الله سعيه فانه لما كان مقصوده العناية بالمولد النبوي وليلته على ما قصه علينا التاريخ ناهيك انه كان ينفق في ذلك السبيل ثلاثمائة الف دينار كل عام كان همه محصورا في التوفيق بين صنيعه وبين الوقت الحقيقي المطابق للولادة الشريفة للتبرك به حتى لا يفوته وقتها ولو على القول المرجوح ولهذا السلوك اشباه ونظائر حتى في زماننا هذا فقد سمعنا غير مرة من اخواننا الذين اكرمهم الله بحج البيت الحرام انهم وقفوا مرتين في يومين متتابعين بجبل عرفات احدهما يوم الجمعة مظنة موافقة يوم الوقفة ليوم الجمعة الذي هو يوم الحج الاكبر حتى لا يفوتهم فضلها على كلا الاحتمالين ولو اكتفوا بوقفة واحدة لكان حجهم صحيحا بما لا ريب فيه

بقي علينا البحث فيما هو اليوم الاسبوعي الذي وافق المولد وهل الولادة كانت ليلا او نهارا وهذا الباب استغرق ايضا مجلدات وانفد دنونا من المداد لما تناوله من اختلاف الاقوال وتناقض الروايات والذي رجحه اهل الذكر هو ان الولادة كانت يوم الاثنين ففي المواهب اللدنية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم الاثنين فقال « ذاك يوم ولدت فيه وانزلت علي فيه النبوة » يعني بداية الوحي الشريف وقوله يوم الاثنين يستفاد منه ان الولادة كانت نهارا لا ليلا كما قال به بعض رواة الحديث بناء على ما ورد من تدلي النجوم في رواية البيهقي وكلام البيهقي رده دحية من كبار رجال الحديث وقال الزركشي (غير المؤرخ) ان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا اه والخلاصة ان القول الصحيح الذي اعتمده اكثر رجال الحديث هو ان الولادة كانت عند الفجر والفجر اول منازل النهار وهذا القول يستفاد صراحا من جواب عبد المطلب جد النبي عليه السلام للراهب عيص الذي كان اعلمهم من قبل باقتراب ظهور النبي العربي المبشر به في الانجيل وعبارة عبد المطلب « ولد لي الايلة مع الصبح مولود » فافادت المعية انه عند طلوع الفجر وقال الخوارزمي ان يوم الولادة هو ٢٠ نيسان (ابريل) وبه قال جماعة من اهل الحديث وبه قال محمود باشا المصري وبه قال المؤرخ لا فيس الفرنساوي وغيره من المؤرخين فالولادة الشريفة كانت يوم الاثنين وساعتها هي الفجر وبعبارة افصح ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صبح يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول على القول المشهور وذلك عام الفيل الذي يوافقه بالحساب القمري عام ٤٢ لملك كسرى (٥٣ قبل الهجرة) وهذا يوافقه بالحساب الشمسي يوم الاثنين موفى ٢٠ نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ للميلاد ولم يبق بعد هذا محل للانتقاد ولا مجال للعناد

بقيت لي ملاحظة نوردها هنا في حق أبرهة وجيشه والفيل الذي جاء به لهدم الكعبة المشرفة فأبرهه ويعرف بالاشرم لضربة سيف شرمت شفته وانفه وحاجبه ومعنى أبرهه في اللسان الحبشي هو ابراهم في العبرية وابراهيم في العربيه وكان واليا على اليمن للنجاشي اصحمه كما جاء لفظه في التواريخ العربية وصوابه اصبحه كما هو اصله في اللغة الحبشية والجيش الذي جاء به كان عدده ستين الفا التحق بهم اصحاب الجرائم الذين كانوا في سجنه وعددهم نحو الالف شقي والفيل المصاحب له الذي قص علينا القرآن خبره قالوا انه ابيض اللون واسمه محمود ولعله لفظ محرف عن « ماموت » الذي هو اسم صنف قديم من الفيلة انقرض نوعه في الزمن البعيد وفي رواية ابن خلدون ان هذا الفيل كان برأس سرب من الفيلة عدده ثلاثة عشر وقيل اكثر من ذلك وكان القصد من احضار تلك الحيوانات الضخام التي لم تكن معروفة اذاك بالحجاز هو ارهاب العرب وحسب لان ابرهة وكان يدين بالنصرانية لم يجيء للمحاربة بل لمجرد تخريب البيت الحرام اخذا بالثار من العرب قبل اعتناقهم للاسلام لانهم سخروا به لما بنى كنيسة فخمة بصنعاء اليمن بنية تحويل حج العرب اليها عوض حجهم

للبيت الحرام فقد اخبر قريشا وسيدهم عبد المطلب انه لا يحاربهم الا اذا منعوه من هدم الكعبة المشرفة والقصة معروفة في كتب التفسير والحديث والسير وغيرها انما تضمن حديثها عبارة لبست ثوب الخلود وهي قول عبد المطلب « ان للبيت ربا يحميه » وعبد المطلب هو جد الرسول عليه السلام من جهة ابيه وكان سيد قريش ولم يكن قسيسا كما زعمه المؤرخ كولبو راهب الحبشة الذي نعته بقوله « القس الاكبر للكعبة » فلما حضر عبد المطلب لدى أبرهة في طلب ابله التي اغتصبها منه أتباع أبرهة قال له ابرهة « اني اكبرتك عند رؤيتك فلما طلبت الابل زهدت فيك لانه كان اولى بـك ان تطلب مني الرجوع عن نية هدم الكعبة دين آبائك واجدادك » فقال له عبد المطلب : « طلبت منك الابل لاني انا ربها وللبيت رب يحميه » وهكذا كان فان الله تعالى حمى بيته بارسال الطير الابابيل (ومعناه الجماعات ولا مفرد له من لفظه) شبيهة بالخطاطيف وكانت تحمل في مناقرها ومخالبها حصاة صغيرة بمقدار العدسة طلتها يد الاقدار بجراثيم الجدري ولم يكن معروفا قبل ذلك العام بـالحجاز فكان كل من اصابته حصاة منها هلك بوقته وقد استفيد حديثا من نقوش تاريخية كشف عنها الاثري كلازير بجهة سد مأرب ان أبرهة كان يطلق على نفسه في تلك النقوش المكتوبة بالقلم الحميري لقب « الامير التابع لملك الحبشة ملك سبا وريدان وحضرموت ويمنات (جمع لبلاد اليمن) وعرب نجاد (نجد) وعرب السواحل

والفيل نوعان افريقي ولونه اشهب وهندي ولونـه ابيض والاول اضخم من الثاني وهو اجسم الحيوانات ذوات الثدي مشهور بالذكاء والهدو والرأفة ويعيش اسرابا ورايت في بعض التفاسير انه لا يلد متى كان في قيد الاسر وهو وهم فقد نشرت الجرائد في العام الفارط رسم فيل صغير ولد بفرنسا لاحدى الفيلة التي جاءت مع سيرك عمار لتونس لعامين فـارطين وفي هذا الشهر اخبرت الجرائـد بولادة فيل آخر باروبا قال الراوي انه الثاني عشر فيلا الذي ولد بها بالمشاهدة الصحيحة وقـال ابن خلدون ان الحيوانات الضارئة لا تلد في الاسر وانا رايت بعيني لبوة وحولها شبلان بمتحف الحيوان بمدينة بوردو ولدا قبل ذلك باسبوع ولها في الاسر ثلاث سنين مع اسدين فحلين قـالوا ان الولـد للفراش وللعاهر الحجر وما سمعناه ورايناه لا يناقض القول الآخر لان الحقيقة هو ان تلك الحيوانات يقل نسلها في قيد الاسر عن حالتها في القفار وفي رؤوس الجبال لذلك قال ابن خلدون وغيره بـانها لا تلد في الاسر يعني اذا وقع عكس ذلك كان من الشاذ الذي لا حكم له ونختم هذه النبـذة المباركة نلفت نظر القاري لمولد عام ١٣٥٩ القابل فان يومه سيوافق كما في البدء يوم ٢٠ نيسان (ابريل)الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا يستـهل الملك الا لاهلـه ولا ترجع الايام الا الى الشهر

محمد بن الخوجة

الحمل والولادة ـ ثم الوليمة والختان

بقلم العالم الشيخ محمد الهادي
ابن القاضي المدرس بجامع الزيتونة

ظهرت علائم الحمل على عروس عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب بن عبد مناف بعد افضاء عبد الله اليها واقامته عندها ببيت ابيها ثلاثة ايام كما هي العادة عند العرب فيمن يدخل بعروسه بين قومها

وكان حملا خفيفا لم تحتمل بسببه اذى او نصبا حتى انها ذكرت انها لم تشعر بامتلاء بطنها الامن تخلف عادتها واستمرار طهرها (١) وكان زوجها الفتى الشاب مضطرا بحكم طبيعة البلاد وعادات اهلها وبحكم المنزل الذي صار مسؤلا عن حياة اهله وإعالتهم للبحث عن أسباب الرزق المفقودة ببلده وما ذلك الا بالسفر والخروج مع من يخرج من اهل مكة في رحلتي الشتاء والصيف فخرج وهو كاره مفارقة العروس الحامل ولم يمض على دخوله بها غير ايام قلائل ولكن هي الحياة وتكاليف الحياة

خرج مع القافلة قاصدا غزة من بلاد الشام معللا النفس بالرجوع القريب وبالظفر بالمرغوب الذي يسعي له حتى يتم هناؤه وتسعد معيشته مع عروسه الشابة وولدها المنتظر في احضان السعادة الشاملة والنعمة التامة

وما خرج عبد الله من مكة حتى كتبت له الاقدار ان لا رجوع لهذا البلد وان هذا آخر عهده بالسعادة الدنيوية والحياة الزوجية وان هذا الولد سيولد يتيما ويربي يتيما وانه الولد الذي تتولى العناية السماوية تربيته وتهذيبه واعداده للخطة العظمى والمنصب الاسمى وهو السفارة بين السماء والارض ونقل اسرار الملكوت الاعلى لبني الانسان النازل في ذلك العصر الى اخس دركات الجهل والضلال. ماكان اشقى البشر في ذلك العصر القوضوي لاوازع ديني ولا اخلاقي يصدهم عماهم فيه من المناكر وما اعظم سعادتهم بهذا النبيء الخاتم المنتظر الذي يرفع عنهم أصرهم ويكسر الاغلال التي كانت عليهم . يحرر عقول البشر من قيود الوثنية الاولى ويرفعها لمستوى الملا الاعلى

---

(١) في الخصائص الكبرى للسيوطى : وقال ابن سعد ان الواقدي قال حدثني على بن يزيد ابن عبد الله بن وهب بن زمعة عن ابيه عن عمته قالت كنا نسمع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به آمنة كانت تقول ما شعرت اني حملت به ولا وجدت ثقله كما تجد النساء الا انني قد أنكرت رفع حيضتي واتاني آت وانا بين النائم واليقظان فقال هل شعرت انك حملت فاقول ما ادري فقال انك قد حملت بسيد هذه الامة ونبيها وذلك يوم الاثنين ثم امهلني حتى اذا دنت ولادتي اتاني ذلك الآتي فقال قولي

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

فكنت اقول ذلك فذكرت ذلك لنسائي فقلن لي تعلقي حديدا في عضديك وفي عنقك قالت ففعلت فلم يكن يترك الا اياما فاجده قد قطع فكنت لا اتعلقه

دعوة ابراهيم وبشرى عيسى والنور الذي اضاءت له مشارق الارض ومغاربها (١) وقد حفت بها بشائر مدة حملها بهذا الجنين المبارك دلت على ما لهذا الولد المنتظر من شان واي شان حتى سمت قريش تلك السنة بسنة الفتح والابتهاج فقد كانت قريش في جدب وبلاء وشظف عيش فلما جاءت سنة الحمل اخضرت الارض وحملت الاشجار واتاهم الوفر من كل مكان

ولما تم لها من حمله شهران توفي(٢) عبد الله بديار اخوال ابيه عبد المطلب (٣) هم بنو عدي بن النجار ودفن بدار النابغة الجعدي والى هذا القبر كان يحج عبد المطلب كما كانت تحج اليه آمنة الزوجة الوفية وذلك انعبد الله عرج مع القافلة عند الرجوع الىمكة علىيثرب فلما وصلوها ـ وكان عبد الله مريضا ـ تخلف عند اخواله ريثما يصح ورجعت القافلة الى مكة دونه فلما سال عنه عبد المطلب قالوا تركناه مريضا عند اخواله فارسل اليه ابنه الاكبر وهو الحرث ليأتي به فما وصل حتى وجده قد مات ودفن . فرجع الحرث يحمل نعي عبد الله الى ابيه الشيخ الكبير وزوجه الشابة ولا تسال عما اصاب الوالد من جراء فقد اصغر اولاده واحبهم الى قلبه وما اصاب العروس ولما يكتمل عقد سعادتها وقد انشدت ترثيه حين بلغها خبر موته :

عفا جانب البطحاء من آل هاشم وجاور لحدا خارجا في الغماغم

(١) عن شداد ابن أوس قال بينا نحن جلوس عند النبيء صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ كبير من بني عامر هو بدرة قومه يتوكأ على عصا فمثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبه الى جده فقال يابن عبد المطلب اني انبئت انك تزعم انك رسول الله الى الناس ارسلك بما ارسل به ابراهيم وموسى وعيسى من الانبياء الا انك فهت بعظيم وانما كانت الانبياء والخلفاء في بيتين من بني اسرائيل وانت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان فمالك والنبوة ولكن لكل حق حقيقة وانبئني بحقيقة قولك وبدء شانك فاعجب النبيء صلى الله عليه وسلم بمسألته ثم قال يا اخا بني عامر ان لهذا الحديث الذى سالتني عنه نبأ ومجلسا فاجلس . فثنى رجليه ثم برك كما يبرك البعير فاستقبله صلى الله عليهوسلم فقال : يا اخا بني عامر ان حقيقة قولي وبدء شاني اني دعوة ابي ابراهيم (اي حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية) وبشرى اخي عيسى وهو قوله تعلى (واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد) واني كنت بكر ابي وامي حملتني كاثقل ما تحمل النساء وجعلت تشكو الى صواحبها ثقل ما تجد ثم انها رات في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا قالت فجعلت اتبع بصري النور والنور يسبق بصري حتى اضاءت له مشارق الارض ومغاربها اهـ قال الحافظ ابو نعيم الذي وقع في هذه الرواية كان في ابتداء الحمل والخفة التي جاءت فيما سبق كانت عند استمرار الحمل ليكون بذلك خارجا عن المعتاد

(٢) عن ابن اسحاق رحمه الله لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ان توفي وام رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به فقيل ان ذلك من علامات نبوته في الكتب القديمة وان موت والده كان بعد ان تم لها من حمله شهران

(٣) فان هاشما تزوج من بني عدي فولد له عبد المطلب . اما اخوال عبد الله فانما هم من قريش من بني مخزوم

دعتـه المنـايـا دعـوة فاجـابها — وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره — تعـاوره اصحـابه في التـزاحـم
فان تك غالته المنون وريبها — فقد كان معطاء كثير التـراحم

وبقيت آمنة ببيت ابي طالب تتقدم بها أشهر الحمل الى ان ولدته صلى الله عليه وسلم فلما وضعته بعثت الى جده وهو عند الكعبة تخبره انه ولد له غلام فجاء لحينه وأخذ الولد بين يديه وقلبه مفعم سرورا وغبطة لخلف ابنه عبد الله وذهب به حتى دخل الكعبة فعوذه ودعا له وسماه محمدا ولما سئل عن تسميته بهذا الاسم ولم يكن مشتهرا عندهم قال اردت ان يكون محمودا في السماء لله وفي الارض لخلقه

وقد أقام له جده يوم سابـع ولادته وليمة اظهـارا لشدة فرحه به واغتبـاطه بوجوده فامـر بجزور فنحرت ودعا رجالا من قريش فحضروا وطعموا . واقامة الولائم عند العرب لازدياد غلام يرجى منه عمل نافع او ذكر خالد سنة تعارفوها منذ ازمانهم الاولى وقد جاء الاسلام بتقرير هـذه الوليمة واعتبارها فندب الى العقيقة وهي شاة تذبح يوم سابع الولادة . روى الجماعة الا مسلما عن سلمان بن عامر الضبي قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دمـا وأميطوا عنه الاذى والمراد باماطة الاذى في الحديث حلق شعر رأسه كما جاء في الحديث الآخر عن سمرة قـال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل غلام رهين بعقيقته تذبـح عنه يوم سابع ولادته ويسمى فيه ويحلق راسه) رواه الخمسة وبه جزم الاصمعي وقال في الفتح لكن لا يتعين ذلك في حلق الرأس فالاولى حمل الاذى على ما هو أعم من حلق الرأس ويؤيد ذلك ان في بعض طـرق حديث عمر بن شعيب ويماط عنه أقذاره

ختانه

وقد اختلفت الروايات هنا اختلافا كثيرا في انه ولد مختونا (١) او ختنه جده عبد المطلب يوم سابع ولادته او ختنه جبريل حين طهر قلبه وهو عند مرضعته حليمة السعدية والوقوف هنا لتتبع هذه الروايات بالنقد والتمحيص مما لاغناء فيه ونرجح مما ذكره اهل السير في ذلك انه ولد مختونا ختنا غير تام وان جده اتم ختنه يوم سابع الولادة وفي هذا جمع بين الاقوال المتدافعة والله اعلم .

محمد الهادي ابن القاضي

(١) اي على صورة المختون

عيد الزمان

لمدير المجلة

ته يا ربيع على الشهور فخارا فلقد لبست من العلاء شعارا
وبدا هلالك من مطالع سعده يكسو العوالم بهجة ووقارا
ويزف للثقلين خير بشارة اسمى من السبع العلا مقدارا
ذكراك يا عيد الزمان مجيدة تستبشر الدنيا بها استبشارا
عيد به الاسلام شيد بناؤه وسما على هام الزمان منارا
عيد به انخذل الضلال وحزبه فجنوا بما هم يأفكون خسارا
وتلاشت الاصنام فاقدة الجدا نقعا مثارا في الفضا وغبارا
واندك معبد فارس فقضى اسى كسرى وايقن بالنهاية دارا
واتت على النيران طلعة نير من افق مكة يبهر الابصارا
وقضى اليقين على الضلالة فانثنى عطف الهدى لمحمد اكبارا
طه بن عبد الله من هتفت له لسن العوالم بالثنا معطارا
طه بن ءامنة الامينة صفوة الـ ـعرب الاعزة انفسا وديارا
طه الكريم ارومة خير البر ية ذمة وابرهم انصارا
خير الورى اما واشرفهم ابأً واعزهم ءالا واكرم جارا
لولاه لم تكن البسيطة موطئا يوما ولم يكن الفضاء مطارا
لولاه ما ودقت عيون غمامة فتكللت هام الربا ازهارا
او عب بالغبرا خضم زاخر يجري السفائن عسكرا جرارا
من قبل ءادم رن في الكون اسمه وهفا شذاه على الوجود عرارا
وشدت بمعناه الملائك قبلما تلفي البسيطة فوقها ديارا
وبدا اسمه بالعرش نوراً ساطعا يزري الشموس ويخجل الاقمارا
فاعجب لفرع سابق عن اصله واعجب لسر يكشف الاسرارا
اعظم بساعة وضعه من ساعة مرضية قد خلدت اعصارا
اعظم بمن شرف البرية كلها وحبا معدا بالعلا ونزارا
اعظم بمن منح الرسالة خاتما فجلا محاسن شرعه انوارا

جمعت شريعته الفضائل خردا وحوت تعاليم الهدى ابكارا
رعيت بمهد الصون والكنف الذي تعنوله همم الصروف صغارا
الموئل القدسي حيث السدرة الـ ـغنا تظل ملائكا ابرارا
مستغفرين مسبحين الله لا يعصونه فيما قضى واختارا



يا ايها الامي يا من شرعه محض الخليقة رحمة ويسارا
يا ايها الامي يا من لفظه قد ابكت الشعراء والنثارا
يا بهجة الازمان يا من وجهه فلق من الصبح المبين انارا
يا اسعد السعداء يا من كفه تبري السقام وتكشف الاضرارا
يا طيب الانفاس يا من عرفه يذر النفوس من الزكاء سكارى
يا اصدق الصدقاء يا من سبحت في كفه صم الحصى اقرارا
يا من ثوى في غار ثور فاغتدى نسج العناكب بالمجاز ستارا
يا من جرى لبن العجاف بمسحه فسقى واروى غلة وأوارا
يا من يعصب بالحجارة بطنه عند الطوى وابى الجبال نظارا
يا من حباه الله ارفع رتبة تدع النجوم النيرات حيارى
يا من رقى للسبع فاجتاز المدا ورأى العظيم الواحد القهارا
يا من سقاه الفضل في معراجه غيثا وفيا بالمنى مدرارا
يا من اتم ببعثه الاخلاق فانـ ـبعثت مسوكا في الفضا وبهارا
يا من اتى بالذكر بالغ حجة يقف العنود حيالها محتارا
يا من أتى بالعدل والاحسان دسـ ـتوراً يقيل العالمين عثارا
يا من دعا بالدين حتى إذ بدا شر الخليقة جرد البتارا
فاقام دين الله فوق قواعد ظهرت على شم الجبال قرارا
المسلمون تخاذلوا وسطت بهم هوج النفوس اكابراً وصغارا
وتفرقت كلماتهم ايدي سبا حتى غدوا مستضعفين اسارى
مانوا عن المثلى التي مهدتها لهم فلاقوا محنة وخسارا
وغدا مهاد العلم يعمره القطا من بعد ما ساس النهى اعصارا
لم يفهموا ذكراك الا زينة او محفلا يستنطق الاوتارا

ترجمة الشفاء

(قابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

بقلم العالم المحقق الشيخ محمد
البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة

« ضبط اسمها »

الشفاء بشين مكسورة وفاء مخففة ممدودة على ما يفهم من كلام صاحب القاموس حيث قال : الشفاء الدواء الى ان قال : وسموا بشفاء

ومثله لابن الاثير في الجامع

ولبرهان الحلبي انه بالكسر والقصر قال في كتابه المقتفى : الشفا بكسر الشين المعجمة مقصور فيما اعلمه اهـ ومثله للحافظ في التبصير وبه صدر صاحب المنهل الاصفى

وضبطه صاحب نسيم الرياض بشين معجمة مفتوحة وفاء مشددة ومدة وهو المشهور على الالسنة وجرى عليه الامام البوصيري اذ يقول في الهمزية : وشفتنا بقولها الشفاء وفي شرح منلا علي قاري على الشفاء استظهار انه تصحيف وتحريف

وبناء على ما صدرنا به فهو علم منقول واياه ارتضى منلا علي قاري في شرحه على الشفاء قال : والتحقيق ان الشفاء مصدر في الاصل ثم نقلته العرب علما للمؤنث اهـ وكانه ينظر الى الكثير الغالب فقد

او ناعقا يقر المسامع صوته ... يتكلف التسبيح والاذكارا

❀ ❀ ❀

هـذا الذي قد جد بعدك فليدر ... حرز الشفاعة بالضعاف سوارا
وليرع شاعرك الرهين بذنبه ... من يغفر الآثام والاوزارا
ويفض عليه واهله وبلاده ... نعما تجل بفضلكم مقدارا
وينله يوم الفصل وافر رحمة ... قربا لحضرة نزلكم وجوارا
صلى عليك الله يا خير الورى ... واعز اشراف الانام نجارا
والآل والاصحاب صفوة يعرب ... ما لاح نجم في السما وتوارى

العنابي القصار

سمي به الذكور ايضا وقد اطلق صاحب القاموس في تعبيره اذ قال : وسموا شفاء اه قال في تاج العروس : وغالب ذلك في اسماء النساء اه

واسمها العنقاء قال ابن الاثير : قد ذكر ابن ابي عاصم في ترجمة عبد الرحمان بن عوف ان امه العنقاء ويقال لها الشفاء

« نسبها وصلتها بعبد الرحمن بن عوف »

هي بنت عوف بن عبد الحرث بن زهرة وامها كما في الطبقات لابن سعد سلمى بنت عامر بن بياضه بن سبيع الخزاعي

وهي والدة عبد الرحمن بن عوف « احد العشرة المبشرين بالجنة » قاله الحافظ في الاصابة ومثله للحافظ الذهبي وللقاضي عياض في الشفاء كما ترى عند الكلام على آيات مولده صلى الله عليه وسلم

وحكى الشهاب الخفاجي في شرحه على الشفاء انها اخت عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وهو خلاف ما عليه اكثر اهل العلم والحفاظ

« اسلامها وهجرتها »

كانت الشفاء رضي الله عنها من اول الناس اسلاما وذلك انها شهدت عند مولده صلى الله عليه وسلم ما حفظته ذاكرتها الى بعثته فكانت في مقدمة من آمن به عليه الصلاة والسلام

أخرج أبو نعيم من طريق ولدها عبد الرحمن بن عوف عنها قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحم بك واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم قالت ثم البسته واضجعته فلم البث ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت قائلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق فلم يزل الحديث مني على بال حتى ابتعثه الله فكنت في اول الناس اسلاما واما هجرتها فقد كانت مع اختها لامها بنت ابي قيس

« وفاتها »

توفيت في حياة النبيء صلى الله عليه وسلم قال ابن سعد في الطبقات وجاءت فيها سنة العتاقة عن الميت قال ابنها عبد الرحمن للنبيء صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اعتق عن امي ؟ قال نعم فأعتق عنها

محمد البشير النيفر



الشمائل المحمدية

بقلم صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ سيدي
محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي

لا احسب مسلما يخير في اي الاماني احب اليه ان يحصل بعد تعدادها ثم لا يكون مختارا منها ان يرى ذات نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . واذا كان رسول الله قد تمنى ان يرى من يجيء بعده من المسلمين لمحبته امته كما في الموطا عن ابي هريرة ان رسول الله قال وددت اني قد رايت اخواننا فقال له اصحابه يا رسول الله ألسنا باخوانك قال بل انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد (وانا فرطهم على الحوض) فكيف لا تكون شدة حب الامة نبيها مبعث تمنيهم ان يروه . فلئن فاتهم امكان رؤية ذاته الشريفة فلهم في التعلق بصفاته سلوى كما قال البوصيري .. (فتنزه في ذاته ومعانيه استماعا ان عز منها اجتلاء) ولاجل هذا تنافس السلف الصالح الذين لم يشاهدوا ذات النبيء صلى الله عليه وسلم او لم تعلق تفاصيل صفاته المباركة بمخيلاتهم لصغر سنهم حين رأوه، دآئبين على طلب تعرف صفاته عساهم ان يتلمحوا من تلك الصفات ملامح ذاته المباركة فقد سأل الحسن والحسين رضي الله عنهما خالهما هند ابن ابي هالة (١) وكان وصافا عن صفة رسول الله وسأل الحسين اباه عليا رضي الله عنهما ثم حدث بها اخاه الحسن وقد استشعر من بقي من الصحابة أهمية جمع صفات رسول الله لمن ياتي من أمته فظهر منهم حرص على تحديث الناس بذلك فكان أبو هريرة رضي الله عنه اذا رأى احدا من الاعراب او احدا لم ير النبيء صلى الله عليه وسلم يقول له الا أصف لك النبيء ثم يفيض في وصف شمائله وجاء رجل من بني عامر الى ابي أمامة الباهلي فقال له يا ابا أمامة انك رجل عربي إذا وصفت شيئا شفيت منه فصف لي رسول الله كاني أراه فافاض أبو أمامة في ذكر شمائله صلى الله عليه وسلم . فصار مثل المسلمين في ذلك كمثل قول بشار

قالوا بمن لا ترى تعنى فقلت لهم الاذن كالعين توتي القلب ما كانا

وان محبة الذات تقتضي محبة ذكر صفاتها كما ان محبة ذكر الصفات تقتضي المحبة من صاحب الصفات بما دل عليه حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين ان رجلا كان يقرأ لاصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فذكروا ذلك للنبيء صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمان وانا أحب ان أقرأ بها فقال النبيء صلى الله عليه وسلم أخبروه ان الله يحبه . ولقد يسر الله للمؤمنين ان ألهمهم البحث عن شمائل رسول الله قبل انقراض عصر الصحابة ليبقى منها أثر

(١) هو هند بن ابي هالة امه خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها فهو ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخو فاطمة لامها فلذلك دعاه الحسن والحسين خالهما توفي يوم الجمل سنة ٣٦ مع جند علي رضي الله عنه

قائم لمن ياتي من المسلمين في سائر العصور والاجيال يرد على قلوبهم روحا يهب على لهيب اشواقهم الى ذات نبيهم فانبرى المسلمون في ءاخر عصر الصحابة الى تقييد هذه الصفات المباركة كما ينبىء بذلك وجداننا معظم احاديث شمائله صلى الله عليه وسلم مرويا عن المعمرين من الصحابة مثل ما يروى عن انس بن مالك وسهل بن سعد وابي الطفيل عامر بن واثله ءاخر اصحاب رسول الله وفاة او عمن ثبتت لهم الصحبة بالمولد الذين كان لهم بخاصة اصحاب رسول الله اتصال مثل الحسن والحسين فيما روياه عن ابيهما كرم الله وجهه او عن خالهما هند بن ابي هالة رضي الله عنه وقد كان اصحاب رسول الله اذا رأوا رجلا يشبه رسول الله اهتزت انفسهم اليه شوقا الى شبيهه فقد كان ابو بكر اذا رأى الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله يقول « بابي شبيه بالنبي . ليس شبيها بعلي » وكان كابس (١) بن ربيعة يشبه النبيء صلى الله عليه وسلم فكان أنس بن مالك اذا رءاه بكى وبلغ خبره الى الخليفة معاوية رضي الله عنه (وهو من اعرف الناس بصفة رسول الله اذ كان صاحبه وصهره وكاتب وحيه) فارسل معاوية في ان يوجه اليه كابس من البصرة الى دمشق فلما دخل عليه قبل معاوية بين عيني كابس واقطعه قطيعة وكانوا يحصون الصحابة الذين يشبهون رسول الله في كثير من شمائله ويحصون من كان يشبهه من التابعين فمثلهم كمثل قول الشيخ ابن الفارض

وابيت سهرانا امثل طيفه — للعين كي القى خيال خياله

ثم انقرض عصر الصحابة فغفل الناس عن معرفة من يشبه الذين يشبهون رسول الله لان المشابهة في ملامح الذات لا يتوسمها الا الذي عرف الذات فتحصل له عند رؤية مشابه الذات لمحة من طلعة الذات المشبه بها فهناك يتوسم الذات اللائحة حتى يعرف من اين جاء الشبه فيصفه وسنذكر اسماء من احصيناهم من هؤلاء السادة في آخر هذا المقال

الآثار المروية في الشمائل

ان احاديث الشمائل المحمدية الراجعة الى صفة ذاته كثيرة تنتهي اسانيدها الى ثلاثة وعشرين من الصحابة وهم علي بن ابي طالب . سعد بن ابي وقاص . عائشة . عبد الله بن عمر . انس بن مالك . ابو هريرة . جابر بن عبد الله . البراء بن عازب . جابر بن سمرة . ابو أمامة الباهلي . جبير بن مطعم . ابو الطفيل . هند ابن أبي هالة . عمرو بن اخطب . سلمان الفارسي . ابو سعيد الخدري . عبد الله بن سرجس . ام هاني بنت ابي طالب . ابو رمثة (٢) ام هلال او ام بلال (٣). عبد الله بن عباس . السآئب بن يزيد . ام سعيد الخزاعية .

---

(١) كابس بكاف في اوله بن ربيعة من بني سامة بن لؤي من اهل البصرة تابعي

(٢) هو بكسر الراء وسكون الميم اشتهر بكنيته وقيل اسمه رفاعة كما قاله الترمذي وقيل حيان روى عن النبيء صلى الله عليه وسلم وهو من تيم الرباب كما جزم به الترمذي وقيل تميمي من بني تميم

(٣) ام هلال بنت بلال وقيل العكس قيل هي من الصحابة وقيل غير ذلك

وقد رايت ان أحذف اسانيدها وأختصر ماورد فيها مما به الحاجة ويسهل معه التوصيف وأرتبه على مواضع الجسد ولا اذكر الا ما فيه صفة ذات من شانها ان تشاهد واترك المكرر الا ما في بعضه بيان او خلاف بالنسبة لبعض آخر مع المحافظة على الالفاظ الواردة في الآثار واذا كان بعض ما وصفه به الواصفون يفسر البعض الآخر ذكرته بكلمة اي التفسيرية بدون وضع بين هلالين واذا كان التفسير من كلامي ذكرته بين هلالين

تفصيل الشمائل

(عموم الجسم والقامة) ليس رسول الله بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وهو ربعة (متوسط الطول) الى الطول اقرب رجل بين الرجلين بعيد ما بين المنكبين . جليل الكتد (مجمع الكتفين وهو الكاهل) جليل المشاش (رؤوس المناكب) ضخم العظام ضخم الكراديس (رؤوس المفاصل) فخم مفخم (ليس بنحيف ولا دقيق العظام) ليس بالمطهم (الكثير اللحم) ولما كبر بدن . بادن متماسك (غير مسترخي اللحم) اجرد سائل الاطراف (غير قصير اليدين ولا الاصابع) اذا مشى يتكفأ يتقلع كانما ينحط من صبب (مكان منحدر) او ينقلع من صخر كانما يمشي في صعد أسرع الناس مشية لونه ليس بالابيض الامهن (الشديد البياض) ولا بالآدم (الاسمر) اسمر اللون الى البياض اي ابيض مشرب بحمرة أزهر اللون ابيض كانما صيغ من فضة أنور المتجرد (ما تغطيه الثياب)

الرأس - عظيم الهامة . رجل الشعر اي ليس بالجعد القطط (الجعد الموصوف بالجعودة وهي عسر ارتخاء الشعر والقطط (الشديد الجعود) ولا بالسبط (السبوطة ارتخاء الشعر بدون التواء) وقيل سبط الشعر (فالمعنى انه الى السبوطة اقرب) عظيم الجمة كان شعره فوق الوفرة ودون الجمة (الوفرة الشعر الواصل الى شحمة الاذنين والجمة ما تدلى على المنكبين واللمة بينهما) وقيل كان ذا وفرة اي شعره الى شحمة اذنيه وقيل كان ذالمة (ولعلها احوال) ان فرقت عقيقته (شعر الرأس) فرقه والا تركه وكان يسدل شعره وكان اهل الكتاب يسدلون وكان المشركون يفرقون وكان يحب موافقة اهل الكتاب ثم فرق رأسه وربما ظفره فقد دخل مكة يوم الفتح وله اربع ضفائر وكان شعره اسود وفي صدغيه شيب قليل شعرات

الوجه - في وجهه تدوير مع استطالة قليلة . لم يكن بالمكلثم (اي المدور الوجه) واسع الجبين صلت الجبين سهل الخدين اسيل الخدين (لا نتوء فيهما) ولوجهه بريق كان الشمس تجري في وجهه

الانف - اقنى العرنين (اقنى طويل بدقة والعرنين الانف) يحسبه من لم يتأمله اشم (الشمم استواء أعلى قصبة الانف مع ارتفاع يسير في الارنبة) يرى في أنفه بعض احديداب

العينان ـ اكحل العينين ادعجهما (شديد سوادهما) وقال جابر بن سمرة اذا نظرت اليه قلت اكحل العينين وليس باكحل اشكل (الشكل حمرة في بياض العين) مشرب العينين حمرة وقيل اجور (شديد بياض ابيض العينين) . افخد (طويل شق العينين) اهدب الاشفار (طويلها) في اشفاره وظف (كثرة شعر) نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء (الى فوق) جل نظره الملاحظة (حافظا نظره)

الحاجبان ـ ازج الحواجب (دقيقهما مع تقوس) سوابغ في غير قرن وقيل مقرون الحاجبين (اي يقربان من القرن) بين حاجبيه عرق يدره الغضب

الفم ـ ضليع الفم (واسعه) حسنه مفلج الاسنان اذا تكلم ريء كالنور يخرج من بين ثناياه . ضحكه تبسم وربما ضحك حتى بدت نواجذه

الاذنان ـ تام الاذنين

اللحية والشارب ـ كث اللحية (كثيرة الشعر) قد ملات نحره سوداء اللون فيها شيب شعرات في مقدمها من تحت الشفة السفلى وكان يقص شاربه (من جهة الشفة)

العنق ـ في عنقه سطع (بالتحريك ارتفاع) كان عنقه ابريق فضة اذا التفت التفت جميعا

الصدر والبطن ـ سواء البطن والصدر موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط اشعر اعالي الصدر ليس في بطنه وصدره شعر غير ذلك دقيق المسربة (بضم الراء الشعر الذي يكون من النحر الى السرة) عاري الثديين والبطن (من الشعر) اجرد بطنه ابيض كالقراطيس المثنية بعضها على بعض .

اليدان ـ أشعر الذراعين والمنكبين طويل الزندين عبل العضدين (ضخمهما) شثن الكفين (غليظ فخم) رحب الراحة ضخم الكراديس (رؤوس العظام) سائل الاطراف لين الكفين كالحرير وروي ان سبابتيه اطول من الوسطيين وهو غلط وانما ذكر ذلك في سبابتي رجليه كما سياتي

الظهر ـ بين كتفيه في ظهره خاتم النبوة وهو غدة اي بضعة ناشزة حمراء مثل زر الحجلة (الزر بزاي مكسورة ثم راء قطعة من ثوب تحشى بصوف او نحوه وتخاط فتكون كشكل البيضة يشد بها شقة اثواب الحجلة بفتحتين وهي البيت كالقبة بان يدخل الزر في عروة تقابله فتقع الشقة على الشقة)

الرجلان ـ شثن القدمين خمصان الاخمصين (ضامر وسط القدمين) مسيح القدمين أملسهما لا نتوء فيهما ولا شقوق) قليل لحم العقب رحب القدمين اي ضخمهما وكان في ساقيه حموشة (اي دقة) ولساقيه بريق وروى احمد بن حنبل والبيهقي حديث ان سبابتي ساقيه اطول من الوسطيين لكن في

سنده سلمة بن حفص السعدي كان يضع الحديث والصحيح ان ذلك لا اصل له وان خلق اعضاء رسول الله على احسن خلقة صلى الله عليه وسلم

من يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم

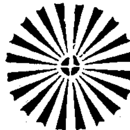
كان بعض الصحابة وبعض التابعين يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعد من بعد التابعين احد يشبهه وسبب ذلك ان اصحاب رسول الله الذين كانوا يرون شبهه في بعض الذوات قد انقرضوا في عصر التابعين فلم يبق من تلوح له ملامح ذات رسول الله في بعض الذين يشبهونه لان الشبه يحصل من مجموع صفات لا يتفطن لها الا من يعرف المشبه به الموصوف بها

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان ابراهيم الخليل عليه السلام هو شبيهه من الانبياء المتقدمين

واما الذين يشبهون رسول الله من امته فتسعة عشر او عشرون وهم : ابنته فاطمة وابنه ابراهيم وجعفر بن ابي طالب قال له رسول الله اشبهت خلقي وخلقي وابو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب اخو رسول الله من الرضاعة وعثمان بن عفان وقثم بن العباس والحسن بن علي يشبه رسول الله في نصفه الاعلى وكان ابوبكر يلاطفه وهو صغير يقول له « بابي شبيه بالنبيء ليس شبيها بعلي » والحسين يشبهه في نصفه الاسفل ، وعبد الله بن جعفر بن ابي طالب ، عون بن جعفر بن ابي طالب ، محمد بن عقيل ابن ابي طالب ، مسلم بن عقيل بن ابي طالب ، عبد الله بن الحرث بن نوفل الملقب ببة ، مسلم بن معتب ابن ابي لهب ، عجير بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ، كابس بن ربيعة ، السائب بن عبيد ، عبد الله بن عامر بن كريز العبشمي ، عبد الله بن ابي طلحة الخولاني ، وكان كف علي بن ابي طالب يشبه بكف رسول الله فهؤلاء الذين بلغ بهم استقراءي لمن ذكر انه يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان مشابهتهم اياه متفاوتة وكلها لا تبلغ تمام شبهه وهذا معنى قول علي رضي الله عنه في حديث صفته « يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله » وعليه يحمل قول البوصيري رحمه الله

منزه عن شريك في محاسنه   فجوهر الحسن فيه غير منقسم

محمد الطاهر بن عاشور



مولد طه

للعالم الاديب الشيخ علي النيفر المدرس
من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

لاح نجم الهدى بمولد طه ماحيا للشكوك يفري دجاها
فانثنت نحوه البرية تعشو ومضت تهتدي به في سراها
تتحرى في سعيها لا حبات من مناح تفضي لصوب مناها
بعد ان عمها الضلال زمانا ودهاها من العمى ما دهاها
وغدت تسرع الخطا لتردى في المهاوي فيالتعس خطاها
ما رأت من سنا الحقائق الا ترهات لم تدر يوما سواها
قد عناها من البلاء ممضا ومن البؤس ناصبا ما عناها
مسها الهون والشقاء بقرح هد جثمانها واخرس فاها
وعراها من المظالم قطع حالك لم يكد يريم حماها
امم امرها شتيت تفانى بحروب امست بها تتباهى
تتبارى على عتاق الهوى في حلبات الردى لاقصى مداها
يقدم الايد الضئيل ويأبى ذو الحجى الجاهلي الا سفاها

❁ ❁ ❁

يا لها غمرة تجلت وشيكا حين لاح الهدى بمولد طه
حين القى الهناء والامن والعد ل بانوارها يشع سناها
وافاءت تلك السعادة ظلا سجسجا انعشت به من نحاها
واستوى الناس في الحقوق ودالت دولة الاقويا ودكت بناها
يوم حاط الورى سياج اخاء يوم لانت من القساة قناها
واستقامت غلف القلوب واضحت كل نفس تسير نحو هداها
مولد كان مبزغ العز للعر ب مفيضا ليسرها ورخاها
مولد المرسل الذي اسعد الاكوان من بعد شقوة وهداها
ذي اليد السمحة التي غمرت هذي البرايا بجودها وجداها

❁ ❁ ❁

بدر تم سرى بآفاق طهر فاق شمس الضحى سنا وعلاها

من لدن آدم الى صلب عبد الله يسري حيث العلاء تناهى
ثم أوفى على العوالم من مظهر نبل وعفة لن يضاهى
مطلع الرشد والهدى ابنة وهب من انافت في مجدها وعلاها
دوحتا سؤدد تفرع غصن عنهما طاول الغصون وباهى
ناط عقد الزواج بينهما الالفة موصولة باقوى عراها
حبذا ذلك الزواج الذي أثمر خير الورى واعلاه جاها



حملته الرؤم آمنة البرة حملا لم توه منه قواها
لم يؤدها ولم تجد منه يوما وحما يسعر الغضى في حشاها
ولكم من خوارق باهرات شهدتها فيه يرن صداها
وتراءى لها من الجانب القدسي طيف مبشر في كراها
منبئا ان ذا الجنين. رسول للبرايا وانه مصطفاها
ودعاها لان يسمى اذاما وضعته محمدا ورجاها
وبأثناء حمله مات عبد الله أف لذا المنون وواها
يا له سؤدداً حواه يتيماً لو حواه سواه يوما لتاها



منذ حين الولاد لاحت تباشير علاه كالشمس رئد ضحاها
وأمور خوارق وأعاجيب تبدت لنا الزمان رواها
حضرت نسوة لدى وضعه من حضرة القدس هن قطبُ رحاها
وتعالى نور فريئت قصور الشام من مكة وريئت رباها
ساطعا من سنا النبوة قد ضاء به بطن مكة وذراها
وتدانت منه الكواكب والاصنام خرت معفرات جباها
وتداعى الايوان يؤذن ان قد حان من دولة الطغاة تواها
ولد المصطفى فقرت عيون للبرايا به وزال قذاها
واضعا كفه على جبهة الستر حذاراً من مقلة ان تراها
رافعاً رأسه الى مهبط الوحي ومرقاة ذاته في سراها
ومشيرا باصبع منه للتوحيد مالوف نفسه من صباها

ثم طافت به ملائكة اللـ ـه بأمصار ارضه وقراها
ولد المصطفى كحيلا نظيفا لم يدنس من الدنا بأذاها
وتبدى مقطوع سر ومختو نا وكم من عناية قد حواها

❀ ❀ ❀

ارضعته الفتاة اخت بني سعـ ـد وقد دكت الخطوب صفاها
فصفا عيشها وأخصب مرعا ها وبالهاشمي طاب ثراها
ورأت من نموه البدع ما أد هش منها فؤادها وحجاها
وكأين رأت بواهر آي منه كثر طول المدى ما طواها
شق عن صدره لديها فراحت من حذار عليه يطمو أساها
حملته لامه وهي ولهى فارقته ولم يكن عن رضاها

❀ ❀ ❀

ثم اودى بأمه الدهر طفلا بكأس المنون ملئى سقاها
فغدا اجده حفياً به حتـ ـى طوى نفسه العزوف رداها
فأواه لظله عمه القر م أبو طالب وأولاه جاها
لم يزل كالئا له ناصرا دعـ ـوته من شبا العداة حماها
ثم أودى فكان عامه عام الـ ـحزن لما العداة أبدت قلاها
وتولت خديجة زوجه البر ة فيه حيث الجنان قراها
هي كانت من المواسين للمخـ ـتار حقا والمؤمنين بداها
وهي ام الجل اولاده الزهـ ـر كفاها بذا فخارا كفاها
ابدا ما ابتغى زواجا عليها لم يكن ينكح النساء لسر
قدسي حتى انطوت في ثراها
وقضاء الحقوق من شيم العر ب ورعي الذمام اقصى مناها
منبت طيب وعرق كريم انجبا السيد الذي لن يضاهى
واذا ما ارومة المرء طابت اشبهتها فروعها وجناها

❀ ❀ ❀

نشأ المصطفى على خير ما ينـ ـشا ذو نهية يضيء سناها
جامعا مفرد المحاسن قد زا نته بين الورى بابهى حلاها

جمع الصدق والامانة والعفـ ـة والباس والندى وسواها
من خلال غر تجمعن في ذا ته جل الذي بها قد حباها
شب لا يرتضي المجون لبوسا يمقت الشرك فطرة والسفاها

❀ ❀ ❀

لم يزل شأنه كذلك حتى خص بالبعثة البعيد مداهـ
فدعا للاله هذي البرايا ماحضا نصحه لها اذ دعاها
دعوة عمت الورى كلهم لحـ ـمتها الحق والسداد سداها
ايدت صدقها من الله آي ليس تبقي لذي الجحود اشتباها
معجزات كالصبح كاثرن في العد د رمال الدهناء بل وحصاها
قد رواها لنا الزمان وابقا ها كتاب راق النهى وسباها
منزل من لدن عليم الخفايا أوضح السبل للهدى وجلاها
سيف حق مصمم زهقت منـ ـه الاباطيل واستباح حماها
لم تفرط آياته الغر من شي ء وما ان تغيض يوما ركاها
اعجزت كل مصقع ببيان ينزل العصم من منيع ذراها
هي كانت خلق النبيء ومنحى هديه لا يحيد عنه اتجاها
قد هدت ناكبا عن الحق للاسـ ـلام للشرعة المرن صداها

❀ ❀ ❀

شرعة تكفل السعادة للخلـ ـق ويحيي النفوس صوب حياها
مهدت منهج السلوك الى خيـ ـر الحياتين ضل من قد اباها
لم تزل مشرعا لهدي البرايا في جميع الشئون يروي صداها
لهج الدهر مفصحا عن علاها وأقرت لها بذاكم عداها
اصبح الناس فرقتين سعيد ليس ينفك يهتدي بهداها
وشقي أبى انصياعا اليها وبافك طوع الضلال رماها
رام اطفاء نورها وابى اللـ ـه تعلى ان لا يتم سناها
حارب الاشقياء صدا عن اللـ ـه رسول الآله بل والآلها

❀ ❀ ❀

ثم هبت بكل نصر وفتح نفحات لطف الآله حداها

وحمى الله دعوة الحق بالهجـ ـرة من كيد حسد وكفاها
ورسا الدين واستقرت بناه فاقرت عين الذي قد بناها
وسرى نوره الى انفس العر ب مسير البروق يجلو عماها
حيث وافى لطيبة هو والصحـ ـب غداة العداة جد أذاها
واواه الانصار في خير ماوى حبذا طيبة ومن قد اتاها
وغدوا والنبيء غيظ الاعادي كأسود روابض في شراها
ان ذب الانصار عن حوزة الديـ ـد ومن هاجروا الصدور شفاها
اخضعوا المشركين بعد اعتزاز اخمدوا فتنة يشب غضاها
يوم خاضوا مع الرسول غمارا لحروب قدكان قطب رحاها
فسلوا عنهم حنينا وبدرا وسلوا خيبرا يجبكم صداها
وسلوا مكة عن الفتح ماذا تم فيه يجبكم أخشباها
وسواها من الملاحم ماها ض قناة القوم العدى وبراها

❀❀❀

ثم لما ان تم واكتمل الديـ ـن كبدر في أوجه قد تناهى
آثر المصطفى الذي هو ابقى وتجافى عن الدنيا وقلاها
فارقتها انواره فغدت في غمرات محلولكات دجاها
ويح يوم الاثنين ماذا جلاه من خطوب على البرايا جناها
اصبح المسلمون فيه حيارى كل نفس يذكو سعير جواها
لم يزل خطبه يجدد فينا لوعة ما خبا اشتعال لظاها

❀❀❀

ما لنا سلوة بشيء سوى شر عته ان يفوح عرف صباها
وبحسب المحب قفو خطاه فهو مأمول نفسه ورضاها
ليس يعلو للمسلمين منار بسوى ساحها وغير حماها
افلح المسلمون في غابر الاز مان لما تمسكوا بعراها
هي يسر ورحمة فاقتفوها فاز مرء قد اهتدى فاقتفاها
شرع بر بالمؤمنين رؤف خاتم الرسل من به نتباهى
فعليه صلى الآله تعلى وعلى آله الرفيعين جاها
وعلى صحبه وتابع ذيا ك الضياء البادي بمولد طه

علي النيفر

كيف نشأ احتفال المولد

في بلاد الاسلام

ان ما يملأ قلوب المسلمين في اليوم الثاني عشر من ربيع الاول كل عام من ناموس المحبة العلوي وما يهز نفوسهم من الفيض النوراني المتدفق جمالا وجلالا لياتي اليهم محملا من ذكريات القرون الخالية بأريج طيب ينم عما كان لاسلافهم الكرام من العناية بدلك اليوم التاريخي الاعظم وما ابتكروا لاظهار التعلق به واعلان تمجيده من مظاهر الاحتفالات فتتطلع النفوس الى استقصاء خبر تلك الايام الزهراء والليالي الغراء اذ المسلمون ملوكا وسوقة يتسابقون الى الوفاء بالمستطاع من حقوق ذلك اليوم السعيد

وان في هذا الحديث العذب لسببا يمت الى رحاب الفضل النبوي بخدمة من تشرفوا بخدمته والانتساب اليه وتخليد فضلهم بين معالم الدين نرجو الاستمساك به اذ نفضي الى قرائنا في هذه الكلمة بما جمعنا من ذكر الاحتفالات المولدية في عصور التاريخ

ولعل اقدم ما عرف من مظاهر الاحتفال بهذا اليوم ما كان يفعله اهل مكة من زيارة المحل الذي ولد فيه النبيء صلى الله عليه وسلم وكلام الشهاب القسطلاني في المواهب اللدنية على اجماله يفيد ان هذا وقع من اجيال يصح الاقتداء بفعلها وذكر ابن ظهيره في كتابه الجامع اللطيف انه وجد هذه العادة في القرن العاشر يتوارثها الخلف عن السلف وبحث عن اوليتها فلم يظفر بها

اما الاحتفال بهذه الذكرى الميمونة في غير مكة فاول ما ظهر بمصر اثناء القرن الخامس على عهد الخلفاء الفاطميين ولم يكن مولد النبيء صلى الله عليه وسلم عندهم خاصا بالأحتفال بل كانوا يحتفلون معه بخمسة موالد اخرى هي مولد علي بن ابي طالب ومولد فاطمة ابنة رسول الله ومولد الحسن ومولد الحسين رضي الله عنهم ومولد الخليفة الذي يكون متوليا كل في اليوم الموافق له من ايام السنة

وكيفية ذلك الاحتفال على ما اورده القلقشندي والمقريزي ان يجلس الخليفة بالمنظرة التي فوق باب الذهب من القصر الكبير وهي ادنى مناظر القصر من الارض ويكون قاضي القضاة وداعي الدعاة ومفتي الدولة والاشراف ومتولي دار العلم والخطباء والمتصدرون بجوامع القاهرة والقيمون على مشاهدها مجتمعين بالجامع الازهر يختمون القرآن الكريم موزعا وعند انتهاء صلاة العصر يمنع مرور الناس في ما بين الجامع الازهر والقصر الكبير ويقف والي القاهرة وصاحب بابها

لتنظيم السير ومنع الازدحام ويركب من كان بالجامع الازهر يتقدمهم قاضي القضاة نحو القصر الكبير حتى اذا لم يبق لهم عن الوصول الى المنظرة الا خطوات ترجلوا وتقدموا نحو المنظرة باجلال وتشوف الى رؤية وجه الخليفة فتفتح احدى الطاقات المطلة من المنظرة ويبدو منها وجه الخليفة وتفتح طاقة اخرى فيبدو منها احد الاستاذين مسلما على الحاضرين بيده مبلغا اياهم سلام امير المؤمنين ويخصص بالذكر وجوه الحاضرين بنعوتهم المعتادة ثم يقف القراء وخطباء الجوامع الثلاث الكبرى تحت حائط المنظرة مستقبلين الناس بوجوهم فيتداول الخطباء الخطابة والقراء خلال ذلك يقرءون حتى اذا انتهوا أخرج الاستاذ يده من الطاقة مسلما ثم اغلقت الطاقتان وانفض الناس وتوزع في ذلك اليوم على الفقراء من النقود والطعام والحلوى مقادير ذات بال يقع توزيعها بالجامع الازهر وجامع الفسطاط والقرافة كما يحمل الى ديار الاعيان والمستخدمين من طرف الخليفة عدد وافر من صواني الحلويات حتى يكون ما ينفق في هذا الموسم الشريف بالغامآت الدنانير وآلاف الدراهم ومآت الآلاف من ارطال الطعام

وقد استمرت هذه العادة طول مدة الحكم الفاطمي بالديار المصرية حتى اذ اسقطت دولتهم اواسط القرن السادس كان هذا في جملة ما ابطلت الدولة الايوبية من عوائدهم ومحت من آثارهم

الا ان سنة الاحتفال بالمولد النبوي لم تكد تنقطع من مصر في ظلمة القرن السادس حتى ظهرت بنواحي الموصل على صبح القرن السابع ظهورها البين اذ اصبح الاحتفال خاصا بالمولد النبوي لا كما كان يفعل الشيعة من اشراكه موالد آل البيت

واول ما بدىء ذلك بمدينة أربل بسعي ملكها ومعمرها الامير الشاب الشهم المحسن المتفضل الملك المعظم ابي سعيد مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين كوجك علي المتوفى سنة ٦٣٠ ودفين المشهد العلوي الشريف بالكوفة

وقد بالغ رحمه الله في تعظيم الاحتفال بالمولد وتفخيمه حتى كان يهتز ما حول مدينته من الموصل والعراق وبلاد الكرد والعجم فتفيض على مدينته بوفود الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء فتقام الاحتفالات الشائقة التي قصر وصف الواصفين عن الاحاطة بها .

ويبدأ الاستعداد لتلك الاحتفالات وتقاطر الوفود لاجلها من اول محرم ولا تبتدىء الاحتفالات الا اليوم الاول من ربيع الاول .

فمن يومئذ يعطل جميع الناس اعمالهم وتقام فيما بين قلعته وقصر الخانقاه قباب خشبية مزينة ذات طبقات في كل طبقة منها جوق من ارباب المغاني واصحاب الخيال (١) وسائر الملاهي وما يزال

(١) العبارة ماخوذة عن ابن خلكان والمراد به خيال الظل المعروف عندنا (بقاره كوز)

داب الناس الدوران على تلك القباب وينزل السلطان كل يوم من قلعته بعد صلاة العصر فيشارك الناس في طوافهم ومرحهم ويستمر هذا ستة ايام او عشرة بحسب اليوم الذي يقام فيه احتفال المولد تلك السنة لانه كان يقيم الاحتفال في اليوم الثاني عشر عاما وفي اليوم الثامن عاما مراعاة للخلاف .

فاذا كان اليوم السادس او العاشر ولم يبق للمولد الا يومان جمعت قطعان كثيرة لا تحصى من الابل والبقر والغنم وسيقت الى الميدان الاكبر الذي بين القلعة والخانقاه محفوفة بالطبول وجوقات المغاني والملاهي فشرع في نحرها و نصبت القدور لطبخ الالوان المختلفة من الطعام ويستمر النحر والطبخ متواليا وفي ليلة المولد يصلي المغرب بالقلعة ثم يقيم بعد الصلاة مجلس انشاد وذكر حافل ومنه يخرج في موكب بهيج تتقدمه مآت من الشموع العظمى موقدة فيخترق الميدان الاكبر حتى ينتهي الى الخانقاه . وفي صباح يوم المولد يقيم بالميدان مجمعا حاشدا يضم الاعيان والرؤساء وعموم الناس من اهل بلده والوافدين عليه وينصب كرسي للوعاظ وموضع لجلوسه هو على شكل برج من الخشب ولكل من كرسي الوعاظ ومقام الملك شبابيك على الميدان ويكون جلوس العلماء والاعيان حول مجلسه وكرسي الوعظ . ثم يبدأ في عرض الجند بالميدان ويتخلل ذلك العرض قيام الوعاظ من كرسيهم لوعظ الناس والملك مشرف على عرض الجند مرة ومصغ الى الوعاظ اخرى .

وفي اثناء ذلك ينادي الحاضرين من الرؤساء والاعيان والوافدين على بلده فيخلع عليهم حتى اذا كان قرب الزوال وفرغ من عرض الجند اقيم سماطان احدهما بالميدان لعامة الناس وصعاليكهم والآخر بالخانقاه لمن كان مجلسه حول الكرسي ويقع الارسال الى دار من تعين لان يرسل اليه من السماط ولا ينتهي السماط الى قرب العصر . ويبيت تلك الليلة بالخانقاه ويقضيها ليلة سماع فاخر الى الصباح اذ يتجهز الوافدون للسفر فيمد كل منهم بنفقة

وقد نقل ابن الجوزي عن بعض من حضر هذه الاحتفالات انه كان ينفق عليها ثلاثمائة الف دينار

وقد كانت هذه الاحتفالات منشأ لتاليف الكتب الخاصة باخبار المولد الشريف وتلاوتها في الاجتماع لذكرى المولد وذلك انه في سنة ٦٠٤ كان من جملة الوافدين على الملك مظفر الدين العلامة الرحالة الحافظ المحدث اللغوي ابو الخطاب مجد الدين عمر بن الحسين ابن دحية البلنسي الاندلسي الظاهري ثم الحنبلي المتوفى بالقاهرة سنة ٦٣٣ فلما راى عناية الملك بامر المولد صنف له كتابا سماه التنوير بمولد السراج المنير وقراه بمحضره في موكب يوم المولد على كرسي الوعظ وذيله بقصيدة مطلعها . لولا الوشاة وهم اعداؤنا وصموا . فاجازه بالف دينار واتخذت تلاوته عادة للملك فكان كثيرا ما يقرؤه بنفسه وسمعه منه القاضي احمد بن خلكان وجرى على عمله الملوك فذاعت مجالس تلاوة المولد بالمشرق وكتب العلماء موالد كثيرة نسجا على منوال الحافظ ابن دحية

وشاعت هذه العادة بالمغرب اواسط القرن السابع وكان اول من ادخلها ابو القاسم العزفي امير سبتة من عام ٦٤٧ الى عام ٦٧٧ وهو من بيت العلم والامارة التي قال فيها ابو العباس المقري في ازهار الرياض بنو العزفي في المشاهير الذين برزوا في ميدان السبق على الخواص والجماهير وحازوا رئاسة الدين والدنيا وفازوا بالمكانة السامية والمرتبة العلياء

وقد استحسن رواج هذه العادة بالمغرب شيوخ المذهب المالكي به ومنهم ابو موسى ابن الامام ونقل الخطيب ابن مرزوق ان بعض العلماء انكر ذلك الا انه استظهر قول ابن الامام والجمهور وتقرر اتباع هذا الاستحسان عند طبقات العلماء بالمغرب وجرى ملوك المغرب والاندلس على الاعتناء بحفلة المولد فلم يكونوا يغفلونها

وكان السبق في ذلك الميدان للاحتفال الباهر الذي يقيمه كل عام بمدينة تلمسان السلطان ابو حمو موسى الزياني وكان ملكه فيما بين ٧٦٠ و٧٩١

وكان الاحتفال يقام ليلة المولد بالمشور وهو ساحة القصر في استعمال اهل المغرب ويدعى اليه خاصة الناس وعامتهم فيكون المشور بالغا نهاية الابهة واكمل مظاهر الزينة مفروشا بالزرابي الفاخرة وعليها نمارق الجلد المغربي الرفيع قد حفتها الوسائد المغشى جلدها بالذهب وانبثت في اطراف المجلس الشموع العظيمة المزهرة ويجلس السلطان في صدر المجلس والناس حوله وهم في قربهم منه على نسبة مراتبهم والخدمة في ثياب ملونة يطوفون عليهم بالمباخر والمرشات

ويكون المنشدون قياما بين يدي السلطان يترنمون بالمديح النبوي والزهديات واول ما يبتدئون بانشاد قصيدة السلطان وكان ينظم كل عام قصيدة كما ينظم له الشعراء قصائد بتلك المناسبة تعرف عندهم بالميلاديات فمنها في بعض السنين قصيدة كاتبه ابي زكرياء ابن خلدون

ما على الصب في الهوى من جناح ان يرى حلف عبرة وافتضاح

وفي بعضها موشح محمد ابن ابي جمعة التلاليسي الذي عارض به ليل الهوى يقضان وطالعه

لي مدمع هتان ينهل مثل الدرر
قد صير الاجفان ما ان لها من اثر

وقد ضمن جميع تلك القصائد الحافظ ابو عبد الله التنسي في كتابه الذي سماه راح الارواح فيما قاله السلطان ابو حمو من الشعر وما قيل فيه من الامداح وفي آخر الليل يمد للحاضرين سماط فاخر يشهده الملك وينفض المحفل عند انبلاج الصباح

ومن ابدع ما كان يزين تلك الحفلة المنجانة البديعة ذات التماثيل العظيمة من اللجين التي كانت تستعمل عندهم لمعرفة الساعات بالليل وقد يخرج بنا الاطناب في وصفها عن الموضوع فمن اراد التملي من ذلك فليرجع الى الجزء الرابع من نفح الطيب

والى جانب هذه الاحتفالات الرسمية التي تقام لذكرى المولد من طرف الملوك تقام احتفالات اخرى خاصة يجعلها الناس في منازلهم لتلاوة المولد واناشيد المديح ويظهرون لها علامات الفرح وشارات الزينة وتغدق فيها الصدقات وتؤدب المآدب

وقد ظهرت هذه الاحتفالات بالمشرق في القرن السابع واستحسنها امام الشافعية يومئذ الشيخ

عبد الرحمان ابو شامة شيخ الامام النوري واستمر تنافس الناس في اقامة الموالد ومبالغتهم في النفقة عليها حتى قرنوا الانشاد فنقر الدفوف ونفخ المزامير

ولم ينبلج صبح القرن الثامن الا وقد حف بالاحتفالات من الغلو ما كان داعيا لانكار كثير من العلماء انكارا جرهم الى الانكار على اصل اقامة المولد وكان في مقدمة هؤلاء الفقيه المالكي تاج الدين عمر بن علي اللخمي الاسكندري المعروف بالفاكهاني المتوفي سنة ٧٣١ فكتب في ذلك رسالة سماها المورد في الكلام على المولد وقد اوردها جلال الدين السيوطي بنصها في كتاب حسن المقصد الآتي ذكره :

وقد دخل في عوائد المولد صدر القرن الثامن عادة الوقوف لاجلال ذكر النبيء صلى الله عليه وسلم وكان ابتداؤها بالشام واول من فعلها الشيخ الامام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفي سنة ٧٥٦ في قصة اوردها ابنه الشيخ تاج الدين في طبقات الشافعية بالعبارات الآتية احضر مرة ختمة بالجامع الاموي وحضرت القضاة واعيان البلد بين يديه وهو جالس في محراب الصحابة فانشد المنشد قصيدة الصرصري التي اولها ـ قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب ـ فلما قال

وان تنهض الاشراف عند سماعه قياما صفوفا اوجثيا على الركب

حصل للشيخ حالة وقام واقفا للحال فاحتاج الناس كلهم ان يقوموا فقاموا اجمعون وحصلت ساعة طيبة اهـ

وقد التزم الناس من يومئذ انشاد ابيات الصرصري في مجالس المولد والقيام عندها وكان ذكرهم الابيات ملتزما عند الوصول الى ذكر ساعة المولد ثم صار بعضهم يجعل القيام لمجرد ذكر المولد

وقد اتى القرن التاسع والناس بين مجيز ومانع مترددين في حكم اقامة الموالد والقيام لها محتارين في ما تضم الحفلات المولدية من الامور المتقدمة التى كانت سببا لانكار المنكرين حتى فاه ايمة القرن التاسع الاعلام امثال الحافظ السيوطي والحافظ ابن حجر العسقلاني وابن حجر الهيثمي بتاييد اقامة المولد واستحسانه وصرحوا بان ما طرا على الموالد من الامور المنكرة يجب تجريد الموالد عنها ولا تكون قاضية على الاصل بالابطال واستخرجوا لذلك ادلة مستروحة من السنة الشريفة وعلى ذلك بني الحافظ السيوطي رسالته البديعة (حسن المقصد في عمل المولد) التي رد فيها على رسالة الفاكهاني المتقدمة

وتقرر هذا الاستحسان عند علماء المسلمين وشاعت الموالد في غالب البلاد الاسلامية وكان لرؤساء الزوايا الصوفية بالمشرق والمغرب عناية زائدة بهذه الاحتفالات التي اصطبغت باشكال مختلفة بحسب اختلاف الطرق الصوفية الراجعة لها تلك المعاهد واتخذ مشائخ الصوفية بحصر الاحتفال المولد مواكب سيارة في الطرقات زيادة على مجلس التلاوة .

ولم تزل هذه العوائد متوارثة بغالب بلاد الاسلام على نحو ما كانت عليه في القرن التاسع ولكن الظاهر انه قد اعتراها فتور بالمغرب الاقصي منذ القرن العاشر فقد ذكر الاستاذ العلامة سيدي محمد الحجوي في رسالته المسماة اصفاء المورد في عدم القيام عند سماع المولد كتبها سنة ١٣٣٧ ما نصه ولا كان عمل المواليد يحتفل فيه الكثير من الناس فيما ادركنا وانما ذلك في هذه السنة وما قرب منها

محمد الفاضل ابن عاشور

مرور مائة عام

على تاسيس حفلة مولدية رسمية بتونس

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد ابن الخوجه
المستشار لـدى الحكومة التونسيـة

اعلم ان الاحتفال بالمولد الشريف في تونس كان ظهوره لاول مرة في المائـة الثامنـة على عهد امراء الدولة الحفصية سلكوا في ذلك مسلك سلاطين بني مرين بالمغرب وكان اكثرهم عناية بعيد الميلاد الاشرف السلطان ابوعنان فاقتدى بصنيعه السلطان الحفصي ابوفارس عبد العزيز فكان موسم المولد في زمنه مظهرا للزينة والصدقات ولا سيما احياء ليلته بالتلاوة والاناشيد وقصائد المديح وفي عهـدهم على ما افاده التواتر كان ابتداء جمع الصبيان بالكتاتيب على قراءة قصيدة الامام البصيري في ايام المولـد ورتبوا لهم في مقابلة ذلك منحة نصف الريال التي ما زالت موجودة لهذا الزمان وامـا منحـة الخمسة ريالات التي تعطى للمؤدبين بمناسبة المولد الشريف فانها حدثت في عصر الدولة المرادية اسبها المرحوم يوسف داي (١) كما فاده صاحب المونس وقال انهم كانوا يعطونها اياهم ليلة المولـد حتى ان الكتاب الذي يكون معطلا مدة العام يجيء صاحبه ليتقاضى ما هو معلوم ومن الغريب ان هذه المنحة التي مر على احداثها اكثر من ثلاثة قرون لم يتناولها التطور الطبيعي في البشر ويلوح ان كرامتها ظهـرت في بقائها لهذا الزمان فلا تمدن عينيك لما وراء ذلك ولكن ليتصور القاري مقدار اهميتها في عصر ظهورها ننقل له هنا اسعار بعض الماكولات في الدولة المرادية وفي بداية العصر الحسيني فرغيف القمح في ايام الداي اسطامراد (٢) كان وزنه ٣٦ اوقية وقيمته ناصري واحد وقنطار اللحم البقري كان سعـره ريالا واحدا في الزمن المذكور وفي عهد المولى حسين بن علي (٣) كان ثمن القفيز قمحا ثمانية ريالات وثمن الكبش نصف ريال والقنطار عسلا بريالين اثنين وقلة السمن بخمسة ارباع ومطر الزيت بثلاثة ارباع والثلاثة ارطال تمر بناصري واحد قال في المشـرع الملكي وكان ثمن فـرس السرج في تلك الايام ٢٠ ريالا وثمن فرس الخدمة ٨ ريالات وكسوة الرجل المستكملة ومعها قفطان قيمتها ثلاثون ريالا وكسوة المرأة خمسة ريالات ومنه يظهر ان منحة الخمسة ريالات التي تفضل بها يوسـف داي على المؤدبين كانت تكفيهم يومئذاك لمئونة عام كامل فاذا اشترى الواحد منهم مثلا لمعاشه ربع قفيز قمحا وكبشا لجعله قديداً مع مطر زيت ونصف قلة سمن وربع قنطار عسل يدخره لعصيد المولد الـذي سياتي ذكره في الختام تبقى له بقية من الخمسة ريالات ، اللهم بارك .

(١) توفي سنة ١٠٤٧ - (٢) توفي سنة ١٠٥٠ - (٣) توفي سنة ١١٥٣

هذا وعلى قياس بني ابي حفص في الاعتناء بالمولد جرى عمل الامراء المراديين ولا سيما واسطة عقدهم محمد ويدعى حمودة باشا صاحب الجامع المجاور للزاوية العروسية ومثله حفيده محمد باشا المرادي صاحب الجامع المواجه للزاوية المحرزية وقد حكى المؤرخ ابن ابي دينار ان في زمنه (القرن الحادي عشر) كان الاحتفال بليلة المولد في تونس بالغا حد الغاية لا سيما بدار نقيب الاشراف ونص عبارته « وتكون ليلة عظمى بدار نقيب الاشراف يحضرها الجلة من الناس والقراء والفقهاء ويقع فيها السماع والاناشيد بالمدائح النبوية ويهرع الناس اليها من اطراف البلد وتكون عندهم من الليالي العقم (١) اه ثم ذكر الزينة التي كانت تقوم بها بعض الزوايا كالزاوية القشيشية نسبة لابي الغيث القشاش (٢) ولا سيما الزاوية البكرية (٣) بمناسبة المولد وقال انها تدوم نصف شهر ويهرع الناس للتفرج والمبيت بالزاوية البكرية المذكورة وعلى قدم امراء الدولة المرادية نسج ملوك الدولة الحسينية وكانوا يكثرون الصدقات في شهر المولد ناهيك ان المولى حسين بن علي كانت صدقاته تتجاوز حدود بلاده فانها كانت تصيب القريب والبعيد حتى اسارى المسلمين بمالطة وبغيرها من بلاد النصارى وكان يبعث لهم الزيت لانارة مساجدهم هنالك ويزودهم بالاكفان لادراج موتاهم واول امير حسيني رتب موكبا رسميا للمولد الشريف بتونس هو المشير احمد باي الاول وكان ذلك في سنة ١٢٥٧ ورتب موكبا مثله بمدينة القيروان وسياتي وصف هذا الموكب فيكون الاحتفال بموسم المولد في عامنا هذا جاء متمما لعدد المائة في صحيفة حسنات البيت الحسيني خلد الله دوامه وقد امتاز المشير محمد الصادق باي بالزيادة في تفخيم هذا الموسم النبوي حيث عمم في سنة ١٢٩٣ الاحتفال به في سائر عواصم المملكة التونسية وخصص لذلك اعتمادات مالية بميزانية الدولة ينفق منها القدر اللازم لاشهار المولد بجامع الزيتونة وجوامع الحاضرة وزواياها على يد شيخ المدينة ويصرف الباقي على الحفلات المولدية التي تقام بجوامع البلدان على يد العمال وبمثل هذا جرى العمل الى هذا الزمان وقد اتفق ان كانت ميزانية عام ١٩١٧ في عصر الحماية) شاملة لمولدي عامين هجريين وهما عام ١٣٣٥ وعام ١٣٣٦ ولم يكن طبعا بتلك الميزانية الا المال الكافي لموسم عام واحد فتداركت الدولة تلك الحال باخذ المال اللازم للمولد الثاني من فواضل الميزان واما صورة الاحتفال المولدي الرسمي الذي رتبه المشير احمد باي وسار اخلافه بكرسي الملك على منهاجه فحديثه طويل نلخصه فيما يلي .

(١) يعني الفريدة يقال امرأة عقيم يعني لا تلد وضده امرأة منتاق اي كثيرة الولد.

(٢) مشهور بالصلاح واليه تنسب حومة القشاشين على مقربة من جامع الزيتونة كان معاصراً ليوسف داي ومن اصهاره الشيخ تاج العارفين البكري توفي سنة ١٠٣٠

(٣) نسبة لآل البكري من ذرية سيدنا عثمان بن عفان رضوان الله عليه انحصرت امامة جامع الزيتونة في بيتهم مدة ١٩٣ سنة.

ففي ليلة ثاني عشر ربيع الاول على ما تثبته الرؤية الشرعية يقدم سمو الباي المعظم في موكبه الفخيم لعاصمة مملكته بنية زيارة مقامات الصالحين وهي ضريح سيدي علي بن زياد(١) وضريح سيدي محرز بن خلف(٢) وضريح سيدي ابن عروس(٣) وضريح سيدي ابراهيم الرياحي(٤) وضريح سيدي علي شيحة(٥) وضريح سيدي علي محسن(٦) وبعد هاته الزيارة وافاضة الصدقات يعود الموكب لسراية المملكة حيث تقام مادبة ملكية فاخرة يحضرها مع سمو الباي ولي عهده والوزراء وامراء الامراء وكبار اهل الدائرة السنية وطبيب القصر الملوكي وقد حضرت مرة في جملة من شرفهم بالاستدعاء المولى محمد الحبيب باي للعشاء مع سموه ليلة المولد فكان معنا حول المائدة جميع اطباء حضرته الرسميين وغير الرسميين وكانوا ستة في العدد فقلت له يا مولاي نتوكل على الله في الاكل من كل هذه الالوان الشهية ولا نخشى تخمة لانكم جعلتم بيننا وبينها سدا منيعا من الحكماء فضحك وقال لاطبائه علينا الاكل وعليكم رد البال ولولا ان هذه الحكاية جاءت بها القافية لما شغلت بها نظر القاري اما اصل هذه المادبة المولدية فانها من محدثات المشير احمد باي المتقدم ذكره وكان الوزراء من اصهاره ومماليكه يترصدون ليالي العام للتقرب اليه في ليلة المولد بصنع الاطعمة الشهية في بيوتهم واضافتها

---

(١) من اصحاب الامام مالك كان فقيها ورعا رفض خطة القضاء بتونس يؤتى اليه من بعيد لاخذ الفتوى منه توفي سنة ١٨٣

(٢) من ذرية سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومن الصالحين والعلماء العاملين ينعت في عصره بالمعلم محرز لانه كان مؤدبا مربيا يعلم الصبيان القرآن والفقه وهو عماد اهل تونس في القديم وفي الحديث ينعتونه بسلطان المدينة وآخر تجديد تناول زاويته كان في سنة ١٢٧٩ على عهد المشير محمد الصادق باي وتوفي رضي الله عنه سنة ٤١٣

(٣) صاحب الكرامات الباهرة مات وهو ابن تسعين سنة عن دون عقب والخلف المنسوب اليه من نسل اخيه بورك فيه وزاويته بناها له السلطان محمد المنتصر الحفصي في المائة الثامنة وعلى واجهتها بالنقش في الحجر عبارة تشعر بذلك توفي رضي الله عنه سنة ٨٦٨

(٤) من اهل الصلاح الشرعي ومن اقطاب العلم وهو اشهر مشاهير علماء تونس في القرن الماضي تخرجت عليه طبقات من كبار العلماء تولى رئاسة المذهب المالكي وامامة جامع الزيتونة وقام بسفارة لدى سلطان المغرب سنة ١٢١٨ في طلب الميرة وبتلك المناسبة اجتمع بالقطب سيدي احمد التيجاني رضي الله عنه واخذ عنه طريقته التي نشرها بتونس عند رجوعه اليها كما قام بسفارة اخرى في عام ١٢٥٤ لدى السلطان محمود خان الثاني في مهمة سياسية اوفده من اجلها المشير احمد باي وحج قبل ذلك عن والده الباشا مصطفى باي في سنة ١٢٥٢ وزاويته من اشهر زوايا حاضرة تونس جددت عمارتها في سنة ١٢٩٥ بعناية المشير محمد الصادق باي وبلغت نفقة قبتها ذات النقوش الجميلة لمائة الف ريال توفي رضي الله عنه في طاعون سنة ١٢٦٦

(٥) من المشهورين بالصلاح وبزاويته ينتصب ميعاد الطريقة السلامية وهذه الزاوية بناها له الوزير مصطفى خزندار في سنة ١٢٦٩ وبها دفن رضي الله عنه عند وفاته سنة ١٢٧١

(٦) من ءال البيت الاطهار واصحاب الكرامات دفن بداره عند وفاته في سنة ١٢٩٧

للمائدة المولدية وسمعت ممن نقل عن نديمه الشيخ مصطفى السماتي ان سموه كان بمعزل عن ذلك لانه كان متخوشنا في عيشه لا يميل للرفاهية بحال وكان لابن عمه المشير محمد الصادق باي عناية عظيمة بالمولد الشريف ويتغالى في ترتيب المأدبة المولدية بما تبلغ قيمته لنحو سبعة ءالاف ريال هكذا رايت في مصروفاته عن عام ١٢٨٩ وهو مبلغ وافر بالنسبة لعصره وللخزينة دولته وقد جرت العادة في مدة البايات السابقين ان عشاء المولد لا يحضره من رجال الدولة الا كبار متوظفيها المسلمين لكن هذه العادة تخلفت لاول مرة في سنة ١٣٣٢ حيث استدعى امير ذلك العصر باشارة من احد وزرائه لسياسة رآها في ذلك خلافا للعادة المالوفة جميع اعضاء مجلس الوزراء الشامل للوزراء والمديرين الفرنساويين والتونسيين وهذه العادة الجديدة احتلت في السنين التالية لتعطيل المأدبة المولدية بسبب استعار نار الحرب العالمية ثم اعيد ارتسامها بشكلها القديم مع تغيير قليل ولكن بدون تتابع على ممر السنين

هذا وبعد ان يستريح سمو الباي المعظم برهة من الزمان بعد صلاة العشاء يجلس بالمقعد المطل على سوق الترك وعندها ينتظم الموكب الملوكي فيخرج سموه من سراية المملكة في مظهر مهيب ويسير على القدم لزيارة اسواق التجارة الاهلية بينما تكون البطاح والشوارع التي حول القصباء محتبكة كاحتباك الرمانة بالمتفرجين والموسيقى الملكية تترنم بالحانها المطربة بحديقة القصباء ومن عقائد العامة بتونس ان اراقة قهوة البن من دلائل الخير المنتظر لذلك اعتاد اصحاب القهاوي العربية اراقة جزوات القهوة في ممر سمو الباي المعظم وسموه يحسن لهم في مقابلة ذلك قالوا ان المرحوم حمودة باشا جاء مرة للمشاركة في افراح اقامها اهل تونس تكريما لحضرته فتقدم نحوه بسوق العطارين أحد القهواجية واراق جزوتين من القهوة فنهاه الباي عما رآه تبذيرا ولكنه فهم المقصود من صنيعه فاحسن له بنصف محبوب وعلى قياس جزوة القهوة وعلى قاعدة التنقل من المهم الى الاهم يتسابق في زماننا هذا اعيان التجار في ميدان المجاملة والمكارمة لحد اراقة قوارير العطور عند قدمي سموه ملكهم المحبوب فيمتلي الفضاء بالرائحة الزكية وبعضهم يفرش قطع الديباج ليمر عليها سموه الى غير ذلك من مظاهر الفرح والحفاوة بامير البلاد وفي اثناء تجوله بالاسواق يشرف سموه بزيارته حانوت امين البركة فيعرض على انظاره الشريفة ما لديه من المجوهرات الفاخرة المعدة للبيع وقد يتفق ان سموه يرغب في بعضها بالشراء ومن سوق البركة يتقدم سموه لزيارة بقية الاسواق وتكون بالغة حد الغاية في الزينة والاسراج فيدخل سوق الشواشية حيث يجلس بحانوت امين الصناعة ويتناول قهوة الاكرام واهل هذا السوق كلهم من ابناء البلاد واعيانها ومعلوم ان صناعة الشاشية هي ام الصنائع التونسية والفضل في تهذيبها يرجع لاهل الجالية الاندلسية ثم يزور حانوت امين سوق الجرائرية وحانوت امين سوق البلاغجية ويختم سموه زياراته بالدخول لسوق العطارين الذي هو اشهر اسواق التجارة واقدمها

احدثه الامير ابو زكريا يحي الحفصي في النصف الاول من المائة السابعة وكان في القديم لجانب سوق العطارين سوق ءاخر اسمه سوق الطيبيين مواجه لصحن الجنائز وبه كانت تباع الزهور من ورد وياسمين وغير ذلك يشتري منها اصحاب حوانيت سوق العطارين ما يلزمهم من الزهور الصالحة للتقطير ومن اهل سوق الطيبيين في حال شبابه العلامة الشيخ محمد بن علي قويسم صاحب دائرة المعارف المسماة كتاب سمط اللآل وتوفي سنة ١١١٤ بعد ان باشر التدريس بجامع محمد باشا المرادي وعند دخول الباي لسوق العطارين يشرف بزيارته حانوت امين الصناعة ويتناول من يده القهوة المسنونة وفي زماننا هذا اضيف لذلك زيارة المغازة المنصورية التي اشتهر صاحبها بالاتجار في الاقمشه البديعة وفي صناعة العطور السليمة وادهان الشنودة الذكية ومياه الطيب ومنها ماء الكونجلو الذي انفرد بصنعه وهذا اللفظ محرف عن acqua angelo في اللغة الطليانية ومعناه ماء الملك ولولا خوف الخروج عن الموضوع لبحثنا هنا عن ماهية هذا الماء وعن حسبه ونسبه وربما عدنا له في مناسبة احرى وعلى ذكر سوق العطارين نقول ان لاهل تونس رغبة زائدة في انواع الطيب وهي احد الامور الثلاثة التي رغبت فيها السنة وقد امتاز الملوك الحسينيون بالاكثار منها في المواسم والاحتفالات ولا سيما في ليالي رمضان وفي ليلة المولد فقد وقفت على دفتر في بعض مصروفات الباشا محمود باي واذا به تفصيل ما انفق بمناسبة الاحتفال بمبعوث عثماني وفد عليه مبشرا بازدياد مولود للسلطان محمود خان الثاني وكان في جملة مصاريف هذا الاحتفال جانب من البخور ضمنه اوقية عنبر خام للاستعمال ساعة قراءة الفرمان المبشر بالمولود المذكور ورأيت في تقييد ءاخر مؤرخ بعام ١٢٥٤ ان المشير احمد باي اشترى رطلا من القماري عند دخول شهر المولد ذلك العام مما يدل على ان عنايته بالمولد النبوي كانت متقدمة على الاحتفال به بالطريقة الرسمية ووقعت بيدي ورقة في بعض مصروفات المشير محمد الصادق باي عن عام ١٢٩٠ فاذا بها ١٧٤٨ ريالا ثمن مسك وعنبر وعود للبخور في ليالي رمضان وخلال تجول سمو الباي المعظم بهاتيك الاسواق يكون سير الموكب بنظام حكيم وفي مقدمته شيخ المدينة لانه هو الذي يمشي به في الناس وخطة شيخ المدينة من انظمة الدولة الحفصية وعنها ورثها المراديون واستكمل نظامها في عهد الدولة الحسينية . وكان البايات يبيتون بسراية المملكة ليلة المولد وبطلت هذه العادة لنحو اربعين سنة فارطة وفي السنين الاولى من عصر الحماية كان المجلس البلدي يرتب حفلة بلدية فخمة ليلة المولد بمناسبة قدوم سمو الباي للحاضرة فيشرف سموه الدار البلدية ويقدم لقدومه فخامة الوزير المقيم والوزراء وشيخ الاسلام واركان الدولة وقواد الجيوش واصحاب الحيثيات من كبار الذوات التونسيين والفرنساويين ثم انقطعت هذه العادة في حدود سنة ١٣١٢ لاسباب ليس هنا محل بسطها

وفي صبيحة يوم المولد يعود سمو الباي المعظم لسراية المملكة للتبرك بحضور قراءة القصة الشريفة بجامع الزيتونة وهذا الاحتفال رتبه المشير احمد باي كما سبقت اليه الاشارة وحفه بمظاهر المهابة والجلال حيث جعله احتفالا عسكريا بكل المعاني ففي ساعة معلومة يعينها سمو الباي يقدم للسراية ءال البيت الحسيني والوزراء وامراء الامراء وامراء الالوية وبقية الضباط من كافة الطبقات ويكون جميعهم بكسوة التشريفة الكبرى مع ما لهم من الاوسمة والنعوت وفي الوقت الذي يكون فيه حضرة الباي المعظم على أهبة الخروج يلتحق بسموه فخامة المقيم العام بنية المشاركة في الاحتفال ولك ان تسألني عن اصل هذه المشاركة من الدولة الحامية في هذا الموسم الاسلامي الصميم والجواب هو ان سراية المملكة كان نزل بها موقتا الجنرال لامبير حاكم قلعة تونس في شهر حجة ١٢٩٨ فلما حل يوم المولد الشريف من عام ١٢٩٩ وقدم المشير محمد الصادق باي للاحتفال به حسب العادة المالوفة استشاره الجنرال لامبير في ذلك واعرب لحضرته عن رغبته بالمشاركة العسكرية الفرنساوية مع العساكر التونسية في تلك الحفلة اظهارا لما للدولة الحامية من الاحترام والتبجيل نحو الديانة الاسلامية ونحو صاحب المملكة التونسية فشكر الباي سعيه واجازه بذلك وخرج سموه من سراية المملكة في موكبه مصحوبا بالجنرال المذكور وحوله ءال بيته ووزراءه ورجال دولته مارا بين سمطين من العساكر الفرنساوية والتونسية من باب السرايا الى باب جامع الزيتونة وفي العام التالي اي في مولد عام ١٣٠٠ الذي هو اول مولد احتفل به المولى علي باي الثالث كان المصاحب له في الاحتفال الوزير المقيم مسيو كمبون وعلى منواله نسج اخلافه الى هذا اليوم وقد احتوى العدد ١١ من الرائد التونسي لعام ١٣٠٠ على حديث ذلك الموكب ضمنه تفاصيل لا تخلو من فائدة للمولعين بالتاريخ هذا هو اصل مشاركة دولة الحماية في موسم مولد النبيء وهي سياسة لها معنى عميق في تودد فرنسا للمسلمين شهد التاريخ برسوخها من عهد قديم فان نابليون بونبارت لما احتل بعساكره البلاد المصرية اوائل القرن الماضي اختلط بالفقهاء وربما تزي بزيهم في بعض الاحيان وكان يشمل برعيه وعطفه نقيب الاشراف ويستمد صالح الدعاء من الشيخ خليل البكري وبعث اليه ذات يوم بثلاثمائة محبوب على وجه المشاركة في الاحتفال بمولد عام ١٢١٣ وفي تاريخ الجبرتي انه كان يستفتح رسائله لقاضي مصر مرة بعبارة « بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين » وتارة بكلمتي التوحيد ويختم كتابه بالتاريخ الهجري وهي سياسة رشيدة في مقام استمالة القلوب فسياسة فرنسا الاسلامية الحالية بقيت محتفظة بشيء من سياسة نابليون الاول والتاريخ يعيد نفسه مادام الفلك يدور

ولنرجع بك لحديث المولد بالذات فنقول عند وصول الموكب المولدي لباب البهور بجامع الزيتونة يتلقى سمو الباي عبارات التهاني مكررة من فخامة المقيم العام ثم يصافحه سموه مودعا اياه باجمل شواهد الوداد ويتقدم نحو مدرج الجامع متبوعا بوزرائه واهل دائرته فيدخل لبيت الصلاة

قاصدا المحراب وهنالك يستقبله المشائخ الايمة وشيوخ المجلس الشرعي بالمذهبين ويكون الجامع حينئذ ءاخذا حظه من الازدهاء والازدهار تسرج فيه السرج الكهربائية في رابعة النهار والناس في عدد الالوف كانما على رءوسهم الاطيار وبالوقت يشرع فضيلة الامام الاكبر من ءال البيت الاطهار في قصة ولادة النبيء المختار وهي من محررات شيخ الشيوخ وطود الرسوخ سيدي ابراهيم الرياحي اختصرها من مولد شيخ الطريقة الرحمانية سيدي مصطفى البكري فلما ينتهي في قراءة الابيات المعروفة الى قوله

فقم ايها الراجي لنيل سعادة قيام محب صادق الحب والادب

يستوي المقام الملوكي قائما ويقف كل من بالجامع على قدميه وتطلق المدافع من برج الجلاز ثم يختم الامام القصة الشريفة جالسا ويتبعها بالدعاء لسمو المولى الامير وآل بيته ورجال دولته ولعامة المسلمين وبعد ذلك يقع تقديم كؤوس الحليب على وجه البركة لحضرة الباي المعظم ولآل بيته ووزرائه واهل حاشيته ولفضيلة الشيوخ ثم يطاف بكؤوس الشربات المعطر على عموم بقية الحاضرين بالجامع وينتهي المجلس برش الجميع بماء الطيب ثم يخرج الموكب الملوكي من الجامع بقصد الرجوع في ابهة عزه واقباله لسراية المملكة هذا وقد جرت العادة في تونس واعمالها ان كل اهل بيت يتبركون بصنع عصيد السميد والسمن والعسل يوم المولد والموسرون يصنعون عصيدا من مزيج الحليب والفستق والسكر يسمونها الرغيدة نعتوها بذلك تفاولا بالعيش الرغيد ومنهم من يتبادل فيما بينهم ذلك على وجه الهدية والتبرك وبعض الزوايا يبعثون من عصيدتهم لدار الباي في مولد كل عام

وقد وقعت بيدي قطعة من ازمة بيت الخزندار شاكير في عهد المرحومين محمود باي وابنه حسين باي فاذا بها كلام على عصيدة البركة التي جيء بها من زاوية الشيخ سيدي ابي الحسن الحلفاوي(١) لدار الباي في عام ١٢٣٥ ومثل ذلك في عام ١٢٤٤ باضافة عصيدة اخرى مولدية جيء بها للدار الكريمة من زاوية سيدي عبد المؤمن(٢) ومما تضمنه ذلك التقييد انهم أحسنوا لكل من نقيبي الزاويتين بريالين وعلى ذلك القياس جرى عمل بعض البيوت الشريفة في الاعصر المتأخرة فقد ادركنا من ذلك المشاركة الواسعة التي كان يقوم بها شيخ المحاسنة (٣) من آل بيت الاطهار في الدولتين العلوية والناصرية بما يهديه على وجه البركة من الاطعمة الفاخرة للمائدة المولدية وامتاز عامل بنزرت باهداء شيء مما تنتجه جهته من الثمار الشهية كعنب رفراف المشهور بحلاوته وطراوته هذا ما بلغه جهدي في هذا الموضوع وجهد المقل دموعه فخذ منه ما بدا لك ودع ما بقي والى القابل الملتقى (ان شاء الله)

محمد بن الخوجه

(١) صاحب الزاوية المعروفة بباب الخضراء كان معاصرا للداي اسطا مراد توفيا سنة ١٠٥٠ والى بيته نسبت حومة الحلفاوين وصوابه الحلفاويين والاشتقاق من نبت الحلفا المعروف

(٢) بنهج السواحل وصاحبها هو سيدي محمد بن عبد المؤمن الساحلي من المشهورين بالصلاح

(٣) هو الشيخ محمد بن الطاهر محسن امام جامع الزيتونة توفي سنة ١٣٢٩

التآليف المولدية

ذكر بعض ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف
من الكتب وبيان اخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها

بقلم العلامة الذائع الصيت الشيخ محمد عبد الحي الكتاني الشريف

قبل كل شيء أردت أن أصارح المطالع المدقق بان الرجل الخريت لو جال واطال الترحال وكشف عن ساعده تنقيبا وبحثا في خزائن الارض طولها وعرضها لم يجد في البشر على اختلاف وجوه العظمة والاكبار من تتبع الناس منه وقائع الميلاد وحوادث الوفاة وشتى الحركات والسكنات واحوال الاقامة والتنقلات واطوار الغضب والرضى ودقائق السلم والحرب والعطاء والمنع والتحريم والتحليل غير فرد واحد في العالم الانساني هو نبي المرسلين ورسول العالمين عليه افضل صلوات الله وازكى تحياته . بحيث لو قدر لدولة عظيمة من الدول الارضية ان تجتهد في جمع كل ما كتب عنه عليه السلام لجمعت من ذلك خاصة مكتبة عظيمة لا تقصر عن اعظم مكاتب العالم.

اقول هذا بعد العلم بما ضاع واضاعه اهله واحرقه اعداؤه من كتب هذا الشان في وقعة التتار واستيلاء الاسبان على الاندلس .

وربما تلتفت سائلا هل سبقك احد الى هذا الاحساس والشعور فاجيبك بعبارة وجدتها لرجل عظيم من أوعية التاريخ في الاسلام وهو الحافظ شمس الدين السخاوي في كتابه الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ انه لو حصل التصدي لجمع اسم من كتب في السيرة النبوية لكان في عشرين مجلدا فاكثر

هذه عبارته عما كتب من القرون الاولى الى القرن التاسع فاذا زدت عليه ما كتب بعده في هذه القرون الاربعة انجلى الامر على حقيقة ما ذكرناه

واذا اردت مثالا يوقفك على ما ورآه فان عائلة واحدة بالمغرب الاقصى هي العائلة الكتانية اتفق لعدد من افراد علمائها الاشتغال بالتدوين في الشئون المحمدية فمنهم من كتب في ميلاده عليه السلام ومنهم من كتب في عله ومنهم من كتب في نظام حكومته ومنهم من كتب في شيبه وخضابه ومنهم من كتب في اكله ولباسه ومنهم من كتب في شمائله وغير ذلك مما يجتمع منه لهم خاصة قريب من مائة مصنف يجتمع منها عدة مجلدات ضخمة

وهذا يدلك على اهتمام المسلمين بشئون نبيهم اهتماما لم يشاركهم فيه رجال دين آخر وها هي خزائن الارض مفتوحة في وجوه المطالعين واغلب فهاريسها مطبوعة فهل يجد المطالع فيها المتتبع مثل هذا او بعضه للنصارى واليهود في انبيائهم او للبوذية او البراهمة في زعمائهم لا لا

وفي خصوص ما انتدبنا اليه من جمع اسماء من كتب في الولادة المحمدية نجد ان محدث الحجاز في القرن الحادي عشر الشمس ابن ع٧ن الصديقي المكي يقول في مولده ما وقع عند حمل امه عليه السلام به وولادتها مما هو شاهد بكمال سيادته وعظيم مكانته بحر ورده الوراد ومنهل عذب عكف على وروده اكثر العلماء فتعددت فيه التآليف وكثرت فيه التصانيف الخ

وقد يظن غر من اهل القصور والتقصير ان العناية بهذا الموضوع شبكة انما حصل فيها جملة من المتاخرين ممن لا يقام لهم وزن وهذا ظن وبعض الظن اثم لانا نجد من بين المصنفين في المولد النبوي جماعة من كبار الحفاظ والائمة الذين عليهم المدار في النقل والنقد امثال الحافظ ابي بكر ابن ابي عاصم من اهل المائة الثالثة والحافظ ابي الخطاب ابن دحية الكلبي الاندلسي والحافظ ابي القاسم العربي السبتي والمحدث الاخباري سيد الدين ابن طغر بك الاموي الدمشقي ومحدث فارس سعيد الدين الكازروني والحافظ ابن كثير والحافظ ابن الجزري الشيرازي والحافظ العراقي صاحب الالفيتين والحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي والحافظ ابن حجر القسطلاني وتلميذه الحافظ السخاوي والحافظ السيوطي وتلميذهما الحافظ ابن الربيع وابن حجر الهيثمي والنجم الغيطي وابن علان المكي وغيرهم كثير . ولامر ما جذع قصير انفه فقد قال قاضي تونس ابو عبد الله محمد ابن قاسم الرصاع في كتابه تذكرة المحسنين في اسماء سيد المرسلين ومن آداب من علم انه العاقب صلى الله عليه وان الله اوجده عقب الانبياء فليكثر من مطالعة ميلاده ويعني بحفظ تاريخه ويتعلم نسبه الكريم وما حفظه مولاه به في صغره وكيف انبته الله نباتا حسنا ويتذكر ما ظهر في ميلاده من الآيات والعجائب العجيبة لكي ينشرح بذلك صدره ويزداد محبة الى محبته ويقوى ايمانه ويهتدي بسنته وطريقته

وقال مؤرخ الديار المصرية التقي المقريزي في كتابه امتاع الاسماع فيما للنبيء صلى الله عليه وسلم من الحفدة والمتاع وغير جميل بمن تصدر للتدريس والافتاء وجلس للحكم بين الناس وحصل القضاء ان يجهل من احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبه وجميل سيرته ما لا غنى ممن صدق وآمن به من معرفته ولابد لكل من اتسم بالعلم من درايته

ولما نزلت علي ارادة من انتدبنا للكتابة في هذا الباب رايت تسهيلا على المطالع ان ارتب لمن تيسر له الوقوف عليه او علي خبره في هذه العجالة على حروف المعجم فاذكر المؤلف في المولد في حرف اسمه ان كان مشهورا به ولم اطلع على اسم مولده او في حرف اسم المولد ان كان له اسم معروف فنشير الى المطبوع منها واين طبع والمخطوط منها واين يوجد في المكاتب التي اعرفها او دخلتها وقد احيل في اسم المولد ان ذكر فيه على محل ذكر اسم مؤلفه ان ذكر فيه زيادة في الافادة والله المستعان

حرف الالف

(ارشاد الحائرين) بشرح بهجة السامعين والناظرين وهو شرح على مولد النجم الغيطي

(للعلامة ابي الحسن) لعلي بن عبد القادر النبتيتي الحنفي المصري موقت الجامع الازهر المتوفى بمصر في نيف وستين والف (اوله الحمد لله الذي صور خلق الانسان من تراب الخ اتمه بالجامع الازهر) موجودة منه نسخة بالمكتبة السلطانية بمصر (انوار تكرار الجلالة) في مولد ومعرج خاتم الرسالة مولد منظوم (لمؤلفه) الشيخ علي سالم بن محمد بن سالم الطنطاوي المفتي الحنفي (قال في خطبته اما بعد فهذا تأليف لم يسألني فيه احد دعاني اليه شوقي) والتزمت ان يكون قبل كل لفظ جلالة فتح اوضم للتفخيم ليكون باللفظ مزيد التعظيم فهو بذكر الله ولو تكرر لا يسأم منه القاري ولا يتضرر (وطالعته ❁ الله رب ونعم الخالق الله ❁ كافي العباد ونعم الرازق الله ❁ له الوجود قديم واجب ابدا ❁ ولا افتتاح له فاول الله ❁) وهو نظم حلو بديع اشتمل على نحو سبعمائة بيت اكمله ناظمه عام ١٣٠٩ طبع بمصر (بمطبعة محمد مصطفى عام ١٣١٠ في ص ٣٢) (انارة الاغوار والانجاد) بدليل معتقد ولادة النبيء صلى الله عليه وسلم من السبيل المعتاد لجامعه محمد عبد الحي الكتاني سبب وضعه سؤال ورد من مراكش عام ١٣٢٨ وقد طبع بتونس عام ١٣٤٠ (في ص ٦٥) وقد غار على هذه الرسالة مفت في مجلة الاسلام المصرية فاخذ جله من غير عدو

« الاسرار الربانية » (اسم مولد الشيخ العارف) السيد محمد عثمان بن ابي بكر بن عبد الله المرغني الطايفي المكي المتوفى سنة ١٢٦٨ وهو مطبوع في مصر (في صفحات ٦٤) وعليه حاشية اسمها خلاصة الانوار البهية لمحمد عبد السلام القصدي (وقد اطال في الثناء على هذا المولد صاحب الوسيلة العظمى الشيخ محمد ايوب البشاوري الهندي)

« اقتناص الشورد » من موارد الموالد وهو شرح على مولد ابن حجر تاليف الشيخ محمد بن محمد المنصوري الشهير بالخياط من علماء القرن الثاني عشر (اوله الحمد لله الذي خلق قبل الاشياء نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من نوره) الفه في زمن قراءته للمولد المذكور عام ١١٦٦ استمد فيه من السيرة الحلبية ومن شرح ابن حجر على الهمزية ومن مولد الشيخ الغيطي وغيره) بالمكتبة السلطانية بمصر نسخة منه

« ابن الشيخ اق شمس الدين » التركي له مولد بالتركية منظوم عزاه له في كشف الظنون

حرف البـاء

« بدر التمام » في مولد خير الانام لعالم سوريا (البدر) حسيب الجسر الطرابلسي الشامي (صاحب الرسالة الحميدية والحصون المحمدية اوله

حمدا لمن بعث النبي رحيما   بالمؤمنين وزاده تكريما

وهو نظم سلس (مطبوع بمطبعة جريدة طرابلس الشام) عام ١٣١٥ (في صفحات ٥٥) ثم

اعيد طبعه مع تصرف تحت عنوان «بهجة الانام في مولد بدر التمام سيدنا محمد عليه السلام» وقد طبع بالمطبعة الاهلية ببيروت عام ١٣٣١ (في صفحات ٢٢)

« البرزنجي » هو مفتي المدينة (المنورة) واديبها (السيد جعفر) البرزنجي الحسيني المدني المتوفى عام ١١٧٧ - له مولد سماه «عقد الجوهر في مولد النبيء الازهر » وهو مشهور مستعمل في المشارق والمغارب (قال عنه الشيخ النبهاني في جواهر البحار ليس له نظير اه وقال عنه بعض رجال من المغاربة هو المولد الفائق الرائق فصاحة وبلاغة المشتمل على ما لا يسع المؤمن جهله من ذكر اجداده عليه السلام واطوار حمله وذكر ولادته الشريفة والخوارق التي ظهرت بعدها) والكل بابدع تسجيع واعجب تصنيف وترصيع يسحر الالباب ويأخذ بمجامع القلب ويكفيك انه لا يتلى بالحرمين الشريفين سواه ولا يختص سرده عندهم بربيع الانور بل في سائر اوقات العام « اوله ابتديء الاملاء باسم الذات العلية » طبع مرارا وقد ترجم الى التركية وغيرها من اللغات ونظمه جماعة وشروحه كثيرة فمن شروحه شرح سميه مفتي المدينة المنورة ايضا السيد جعفر بن اسماعيل البرزنجي المدني له عليه شرح واسع في مجلد سماه الكوكب الانور على عقد الجوهر اتمه عام ١٢٧٩ وهو في ص ٤٤٣ طبع بالمطبعة الوهبية بمصر عام ١٢٩٠ وممن كتب عليه ايضا شيخ المالكية بمصر الشيخ محمد بن احمد عليش المالكي الازهري سمى حاشيته عليه القول المنجي على مولد البرزنجي مطبوعة بهامش الكوكب الانور وطبعت بمصر ايضا مستقلة (ومما يستلطف على البرزنجي في مولده هذا انه يسوق معجزات المولد وارهاصاته سياقا مسجعا لا على انه مرفوع لئلا يقع في محذور النسبة للجناب النبوي من غير اسناد قاطع) وممن نظمه حفيده (عالم المدينة المنورة) السيد زين العابدين بن محمد الهادي بن زين العابدين ابن العلامة السيد جعفر المذكور اوله (بدات باسم الذات عالية الشان ✽ بها مستمدا فيض جود واحسان) وهو نظم عذب احلى من ثرة ومن لطفه انه جعل تعطيرته نظما ✽فقال الاهي روح روحه وضريحه ✽ بعرف شذي من صلاة ورضوان ✽) وقد طبع هذا النظم مرارا بالهند ومصر وممن نظمه ايضا حفيد مؤلفه ابو الحسن علي البرزنجي (اوله : في الذكر بسم الله توجت السور ✽ وبه اتوج خير ميلاد اغر) وهو نظم حلو ويفصل موضوعاته ببيتين ✽ يا نقطة الباء يا مفتاح كنت ويا ✽ خير الانام ويا من لا شبيه له ✽ من ذا يضاهيك والاكوان ما خلقت ✽ الا لاجلك والمولى اصطفاك له ✽ وهو موجود بالمكتبة الكتانية وممن اختصره الشافعي المكي المتوفى عام ١٣١٧ (الشهاب) احمد جمال الدين التونسي وذيله بخاتمة في وصف ما يجري بتونس من الاحتفالات الرسمية بعيدالمولد النبوي (اتمه سنة ١٣٠٢ وتم طبعه عام ١٣١٧) بالمطبعة الرسمية التونسية وممن شرحه الشيخ محمد نوري الجاوي سماه مدارج الصعود الى اكتساء البرود اتمه عام١٢٩٣ وهومطبوع

بمصر بالمطبعة الجمالية في صفحات ٦٠ (ولنا سند عجيب متصل بمولد البرزنجي من داعي سليل مؤلفه شيخناعالم المدينة المنورة الشهاب احمد بن اسماعيل ابن زين العابدين بن محمد الهادي بن زين العابدين ابن السيد جعفر البرزنجي مسلسلا بالاباء عن ابيه اسماعيل عن ابيه زين العابدين عن ابيه محمد الهادي عن ابيه زين العابدين عن ابيه مؤلفه وبهذا السند اروي نظمه المذكور للسيد زين العابدين واروي شرحه الكوكب الانور عن شيخنا بدر الحجاز السيد حسين بن محمد بن حسين الحبشي الباعلوي المكي عن مؤلفه السيد جعفر البرزنجي المتوفى بالمدينة المنورة عام ١٣١٧

« البرعي » هو العارف (ابو محمد) عبد الرحيم البرعي دفين الحجاز بين المدينة المنورة والينبع كان في القرن الخامس له مولد منشور مطبوع بمصر في (مطبعة محمد افندي مصطفى عام ١٣٠٨ في ص ٣٢ وطبع ايضا بمصر عام ١٢٩٨ في ص ٩٨

« بلوغ السعد والتهاني » مولد الفقيه المحدث (الناسك ابى العباس) احمد العمراني الفاسي من اعيان مدرسي القرويين الآن (له مولد) مطبوع سماه (بلوغ السعد والتهاني في مولد صاحب السبع المثاني) اكمله ١٣٣٦ طبع بفاس (ص ٢٨)

« البلوغ الفوزي » انظر اللخمي (في حرف اللام)

« بهجة الفكر » (على مولد ابن حجر) انظر مولد ابن حجر في حرف الحاء

حرف التاء

تحفة ذوي العرفان في مولد سيد بني عدنان لعالم الشام (ومحدثه ومسنده وصوفيه واديبه) الشيخ عبد العزيز اسماعيل النابلسي الدمشقي الحنفي المتوفى عام ١١٤٣ اوله الحمد لله الذي فتح اقفال هذا العالم بمفتاح ظهور سيد السادات ضمن فيه جميع اسماء سور القرءان الكريم (هو مولد عذب) مختصر (طبع في دمشق عام ١٢٨١ بالمطبعة الرومانية في ص ١٣)

« ترويح الفؤاد » بمولد خير العباد للعلامة (الشيخ) عبد السلام بن ابراهيم اللقاني المالكي المصري المتوفى عام ١٠٧٨ ـ اوله الحمد لله الذي اطلع قمر الهداية من فلك السعود اتمه عام ١٠٩٨ بالمكتبة السلطانية بمصر (منه نسخة)

« التحفة السنية » انظر مولد الدردير (في حرف الدال)

« التعريف بالمولد الشريف » للحافظ (المقري ابي الخير) محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي الشيرازي الشافعي المتوفى بشيراز سنة ٨٣٣ له كتاب التعريف بالمولد الشريف وعرف التعريف مختصره (نسبهما له) الحافظ السخاوي (في ترجمة من الضوء اللامع ص : ٢٥٧) (جزء ٩) وفي المكتبة الكتانية احدهما (في مجلد اوله الحمد لله الذي جعل شهر ربيع الاول بهذا النبيء

المرسل ربيع قلوب الابرار وهو في مجلد وسط اشتمل على تراجم اولها الاحاديث والآثار الواردة في ذكر نسبه عليه السلام) ومن عادته سياق الاحاديث بسنده (وروايته فيه غالبها عن ابي عمر محمد ابن احمد بن قدامة المقدسي وابي حفص المراغي وست العرب ابنة محمد بن علي المقدسي شفاها عنها سنة ٧٧٦ بظاهر دمشق والصلاح ابن ابي عمر وغيرهم وختمه بنبذة جامعة في السيرة النبوية وذكر في فصل عقده لذكر مكان ولادته عليه السلام (انه بحمد الله باق الى اليوم) قال ثم اني لما حججت سنة ٨٢٧ من الله علي بالمجاورة وقرىء علي هذا المولد في شهر ربيع الاول عام ٨٢٨ (رأيته) قد تشعب ووقع من شغفه جانب (وكاد ان يتداعى) فاستدركت بالعمارة ويذهب اليه اهل مكة كل عام للمولد ويحتفلون بذلك اشد من احتفالهم بيوم العيد)

« التنوير في مولد السراج المنير » للحافظ (الرحال الخطاب) عمر ابن الحسن بن دحية الكلبي الاندلسي (الظاهري) دفين مصر والمتوفى بها سنة ٨٣٤ ذكره له ابن خلكان في ترجمته (قائلا انه عمله باربل للملك المعظم مظفر الدين ابن زين الدين وقرأه عليه بنفسه قال ولما عمل هذا الكتاب دفع له الملك المعظم الف دينار قال ابن خلكان وسمعناه على الملك المعظم في ستة مجالس في جمادى الاخيرة سنة ٦٢٦ - اه وفي كشف الظنون ان ابن دحية الفه باربل عام ٦٠٤ - وهو متوجه الى خراسان وانه اجازه بالف دينار دون ما اجيز عليه مدة اقامته اه وقد بسط ترجمته المقري في نفح الطيب صفحة ٣٦٨ من الجزء الاول طبع ٢)

حرف الميم

« جامع الآثار » في مولد النبي المختار لحافظ (الديار الشامية الامام) محمد بن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ مولد في ثلاثة مجلدات ذكره له السخاوي في الضوء اللامع وصاحب كشف الظنون وغيرهما

« جنى الجنتين » في التفضيل بين الليلتين ليلة القدر وليلة المولد (لفخر المغارب على المشارق نادرة الدنيا وخطيبها) ابي عبد الله محمد بن احمد بن مرزوق التلمساني المتوفى سنة ٧٨١ بمصر في جزء وسط اوله الحمد لله الذي لا شبه له في عظمة ذاته (صدره بخطبة مسهبة اشار فيها الى ما لاقاه في حياته من المحن والمنح وطول الترحال وتقلب فيه من المناصب وما حله من المحافل وان مما جرى له فيها مسالة التفاضل بين الليلتين والقائهم حمل حل هذه المشكلة على عاتقه) قال فجمعت فيه من الاخبار والآثار ومذاهب علماء الاقطار (وغرر الفرائد ودرر الفوائد وتواريخ الامم) والنكت الصحيحة والطرف الادبية وقسمه الى ثلاثة ابواب وأسند فيه كثيرا من الاحاديث باسناده فيها وفي المكتبة الكتانية منه نسخة عتيقة (جلبتها من تونس بخط ابراهيم بن علي بن محمد الفلاري اتمها عام ١٠٠١ وفيها نسخة اخرى اظنها بخط اندلسي يسر الله نشره)

« ابن الجوزي » لا ادري من ابن الجوزي هذا غير ما وجدت على ظهر مولد مطبوع بالمكتبة (الانسية) ببيروت عام ١٣٣٠ عنوانه مولد الجوزي الشهير بالعروسي وهي الطبعة الثالثة اوله الحمد لله الذي ابرز من عنده عروس الحضرة صبحا منيرا (في صفحات ٤٨) وقد طبع هذا المولد بمصر عام ١٣٠٠ صفحات ٧٩ وعام ١٣٠١ طبع حجر بمصر ايضا ص ٧٩ وعام ١٣٣٠ انظر اللخمي في حرف اللام وللشيخ محمد بن عمر نووي (الجاوي المكي بغية العوام) في شرح مولد سيد الانام وهو شرح على مولد ابن الجوزي هذا فرغ منه عام ١٢٩٤ طبع بمصر

(الجعفري) (هو الامام برهان) ابراهيم ابن عمر الشامي المتوفى عام ٧٣٢ له مولد سماه موعد الكرام بمولد النبيء عليه السلام نقل عنه ابن علان في مولده وذكره له في كشف الظنون (المطبوع)

حرف الحاء

حسن البحري المتوفى سنة ٩٩٩ له مولد منظوم بالتركية

(الحاتمي) هو الشيخ الاكبر (المحدث الكلامي الفيلسوفي النظار الاديب الاشهر) محي الدين ابن العربي الحاتمي الاندلسي دفين دمشق المتوفى بها عام ٦٣٨ له مولد عجيب السياق اوله الحمد لله الذي افتتح عالم التدبير والامكان وهو في نحو كراسة موجود منه نسخة خطية في المكتبة الكتانية (تم نسخها عام ١٣٠٦ ضمن مجموع تحت عدد ٤٧٩٣) وقد ذكر له في كشف الظنون كتاب عنوانه المولد الجسماني والروحاني (حسين الجسر) انظر بدر التمام

ابن حجر العسقلاني هو سيد الحفاظ امام الايمة احمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي المصري المتوفى عام ٨٥٣ صاحب فتح الباري وغيره له مولد نبوي ذكره له الشيخ محمد بن علي الشنواني في الدرة السنية

« ابن حجر » الهيتمي (هو الامام العلامة المحدث الاصولي الصوفي المسند) شهاب الدين احمد ابن حجر الهيثمي المكي الشافعي المتوفى بمكة المكرمة سنة ٩٧٤ له مولد صغير في نحو كراسة (قال عنه الشيخ النبهاني في جواهر البحار هو من اجمع الموالد واصحها) وله مولد آخر سماه بالنعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم قال في طالعة مولده الصغير عنه ذكرت فيه بالاسانيد التي نقلها ايمة السنن والحديث (الموصوفون بالحفظ والاتقان والجلالة والرفعة في القديم والحديث مما هو سالم من وضع الوضاعين وانتحال الملحدين والمفترين) لا كاكثر الموالد التي بايدي الناس فان فيها كثيرا من الموضوع المختلق المصنوع لكن في ذلك الكتاب بسط لا يتم معه قراءته في مجلس واحد فاختصر منه بحذف اسانيده وغرائبه واقتصرت منه على ما بسنده متابع او معاضد روما للتسهيل على المادحين

وقصد ايجازتهم معرفة تلك المزايا والكرامات لينتظموا بذلك في سلك المحبين للجناب الرفيع الخ وافتتحه بالكلام على قوله تعلى (لقد جاءكم رسول من انفسكم) وهو مولد نفيس في مقدار كراسة وقد اعتنى بمولد ابن حجر هذا جماعة من الحجازيين والشاميين والمصريين فتداولوه بالتعليق والدرس منهم (العلامة الشيخ محمد الداود) وابسط شروحه وانفعها شرح العلامة السيد احمد ابن عبد العزيز عابدين الدمشقي المتوفى عام ١٣٢٠ (والد صديقنا مفتي دمشق الفقيه المسند السيد ابي الخير عابدين فانه خدمه بشرح واسع سماه نشر الدر على مولد ابن حجر في مجلد كبير) وممن خدمه من المتاخرين العلامة الشيخ محمد الزكي الغرقي المصري كتب عليه حاشية اولى وثانية موجودة في المكتبة الكتانية في جزء وسط (قال في آخرها انتخبتها من شرح شيخ شيوخنا الشيخ محمد الشافعي الملقب بالخياط المنصوري مع بعض زيادة اضفناها حال الكتابة واتمها عام ١٢٢٩

وممن كتب عليه من المتاخرين (العالم العارف) الشيخ فتح الله بن محمد (السمديسي) المصري فله عليه حواش في كراسين جردها من خطه السيد محمد بن محمد بن موسى عام ١٢٤٠ وهي موجودة بخط المذكور في المكتبة الكتانية وممن اختصره الشيخ علي بن سليمان العلائلي سبط نورالدين الخفاجي الدمياطي قال في اول اختصاره لما كان علماء دمياط لهم عناية بقراءة خاتمة مولد ابن حجر ليلة المولد الشريف وكان استيفاؤها اذ ذاك يعسر لا سيما على الاشياخ الكبار تراءى لي ان اختصرها من غير اخلال بالمرام وهو في كراس موجود في المكتبة الكتانية صدره بالكلام على آية لقد جاءكم رسول الخ وبهامش نسخة اخرى ثم اعلم انه اجمع غالب من ألف في المولد على افتتاحه بهذه الآية لمناسبتها له اعظم مناسبة لان حاصل الموالد على كثرتها بيان ارساله صلى الله عليه وسلم ونشئته وما وجد من الخوارق عند ولادته وبيان نسبه الشريف وطهارته وما جبل عليه من مكارم الاخلاق من اصل طبيعته وهذه الآية قاطعة بذلك والآية الاخرى مرتبطة بها ومرتبة عليها اه

وللشيخ حسن الشبراوي على مولد ابن حجر حاشية اولها الحمد لله الذي انار الوجود بمولد سيد المرسلين فرغ منها عام ١٢٣٥ موجودة منها نسخة بالمكتبة السلطانية بمصر.

وللشيخ محمد بن عبادة المعيدي العدوي المتوفى عام ١١٩٣ عليه حاشية موجودة منها نسخة في مكتبة المجلس البلدي في الاسكندرية في مجلد والشمس محمد بن احمد بن علي الجمل المحلي المصري الشافعي له عليه حاشية مسماة بهجة الفكر على مولد ابن حجر طبعت بمطبعة الكمال الاحمدية بطانطة عام ١٣٢٢ في ص ١٦٤ ولنا سند متصل بمولد ابن حجر الهيتمي وذلك من طرق منها عن المسند المعمر ابي عبد الله محمد امين رضوان المدني عام ١٣٢٥ بالروضة الشريفة من المسجد النبوي وهو عن شيخه الشيخ عطية بن ابراهيم القماش المدني وقد وجدت بخطه على اول ورقة من

مولد ابن حجر وهو عندي بخطه تلقى عطية القماش هذا الكتاب عن شيخه شيخ الاسلام الشيخ ابراهيم الباجوري في ربيع الاول عام ١٢٦٥ في ستة مجالس وقد سمعته منه دراسة مع جمع غفير بجامع الازهر عن محمد الامير الكبير ومحمد الفضالي كلاهما على العلامة السقاط عن الشيخ محمد الزرقاني عن والده الشيخ عبد الباقي عن النور على الاجهوري عن الشمس محمد الرملي الصغير عن مؤلفه العلامة احمد ابن حجر الهيثمي هـ

« حسن المقصد في عمل المولد » للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ وقد طبع

« حصول الفرج وحلول الفرح » في مولد من انزل عليه الخ شرح للشيخ محمود ابن عبد المحسن الشهير بابن الموقع الدمشقي الشافعي (شارح الشمائل اوله حمدا لمنشىء المصنوعات وخالق العالم والعالم ليعلم) وهو مطبوع بالمطبعة الاميرية ببولاق عام ١٣٠٧ في ص ٥٠ مصدر بتقاريض علماء الشام ومصر عليه كالبرهان ابراهيم ابن محمود العطار والسيد محمد المبارك الجزائري والسيد محمد المنيني مفتي الشام ومفتي الحنابلة الشهاب احمد الشطي والشهاب احمد الرفاعي المصري وغيرهم) .

حرف الخاء

« خلاصة الكلام » في مولد المصطفى عليه السلام لصديقنا الشيخ رضوان بن العدل بيبرس الجزري المصري الشافعي اوله الحمد لله المنفرد بالوجود والايجاد ذكر في طالعته السبب الحامل له على جمعه قائلا ولم انقل الا من كتب عظيمة الشان محررة من التحريف والنقصان كالمواهب وشرحها ومولد ابن حجر والدردير وهو الذي عليه جل الاعتماد وهو مرتب عنده ٦٤ ناولنيه مؤلفه على سبعة فصول اكمله عام ١٢٩٣ وعليه تعاليق لمؤلفه واتم طبعه بمطبعة بولاق عام ١٣١٣ (في ص بمصر عام ١٣٢٣)

« خلاصة الانوار البهية » اسم تعاليق على مولد السيد محمد عثمان المرغني المسمى بالاسرار الربانيــة .

« اختصار السيد البرزنجي » تقدم في حرف الباء .

« خالد بن الوليد » له مولد طبع بالمطبعة الشرقية بمصر عام ١٣٥١ ص ٣٤

« الخضري » هو العلامة ابو عبد الله محمد الخضري الدمياطي المصري الشافعي له مولد صدره بالكلام على آية لقد جاءكم وهو مطبوع بمصر (في ص ٢٨ من غير بيان سنة طبعه او مطبعته ولا مصححه ولا مؤلفه من هو هل الخضري الكبير محشي ابن عقيل او الصغير ؟)

« الخفاجي » العلائي تقدم في اختصار مولد ابن حجر .

حرف الدال

« الدر المنظم » في مولد النبي المعظم للامام المحدث المسند الراوية ابي العباس احمد ابن الصالح المحدث القاضي ابي عبد الله محمد بن احمد اللخمي ثم العزفي السبتي ولم يكمله فاكمله بعده ولده المحدث الاصولي النحوي اللغوي الشاعر محمد بن احمد سلطان سبتة ابو القاسم العزفي المتوفى بها عام ٦٧٧ وله سبعون سنة ودولته ثلاثون سنة هذا المولد هو اكبر الموالد واوسعها رواية وافادة موجودة منه نسخة بالمكتبة الكتانية في مجلد ضخم اوله قرات على ابي رحمه الله ورضي عنه ونظر وجهه في غرة شهر رمضان المعظم سنة ٦٣٣ قلتم رضي الله عنكم احمد الله حمد من عرف جلاله وكماله وعلى ان المبتدا منه وان المنتهى له افتتحه بالكلام ضد الابتداع والمبتدعة واعتذر عن عدم تكثيره سياق الاسانيد في المقروء والمسموع لئلا يطول هذا المجموع ثم عقد فصولا مسهبة في الاعياد والمواسم التي جرى على اهل الاندلس التشبه والتقليد فيها لمجاوريهم من الامم التي كانت تريد ابتلاعهم كعيد النيروز والمهرجان والميلاد واطال في ذم التشبه وساق كلام شيخه مؤرخ الاندلس ومسندها ابي القاسم ابن بشكوال القرطبي في جزء له خاص بذلك الى ان قال العزفي فامعنت النظر واعملت الفكر فيما يشغل عن هذه البدع ويدفع في صدر هذه المناكر ولو بامر مباح ليس على فاعله جناح فعلم الله النية واطلع على الطوية فالهمنا سبحانه ان انبهم على امر اذا تقرر لديهم قامت الحجة عليهم دينا ودنيا وانقطع العذر اذا تعوضوا عنه احسن عوض فنبهتهم على ميلاد نبيهم المصطفى سيد ولد ءادم والامر العجيب والاقبال على ما لا يعني والاعراض عما وجب فكثيرا ما يسئلون عن ميلاد عيسى وينظرون يومه ، فيا امة محمد ياخيرة الامم كفى بنا جفاء ان لا نعرف ميلاد نبيئنا وتعرف ميلاد غيره من الانبياء كميلاد عيسى ويحيي اولايكن سؤالهم عن ميلاد نبيهم احق واولى بالاهتمام والفرح فيه والنفقة فيه اسرع خلفا قال ثم رايت تلقي ذلك للنشىء الصغار انجح وانفع ممن غلب عليه سيء العوائد من الكبار الى ان قال ولا ريب انهم اوعى للحفظ واقبل للوعظ وعلمت ان مكاتب العلم تجمعهم وان سواهم لايبلغهم ذلك كما بلغهم ولا يسمعهم اياي كما اسمعتهم فاحتسبت ذاك بنفسي وعممت بقصدي مكاتب البلد التي في ايام عمارتها تجمعهم وبينت لهم السني من اعمال اهل زمانهم في ذلك ولم ادر شيئا يزرع في قلوبهم القبول لذلك حتى يسدى ذلك لآبائهم وامهاتهم ثم ذكر انه انتقد عليه بعض من اراد ان يتكلم قبل ان يتعلم تعطيل قراءة الصبيان في المساجد والمكاتب يوم هذا المولد العظيم وظن ان الناس لا يعقلونه في غير هذه الارض (سبتة) قال وقد شهد الحجاج والسفار ان يوم المولد بمكة لا يقام فيه شغل ولا يشترى ولا يباع ولا يشتغلون الا بزيارة مسقط راسه الكريم مسرعين الى ذلك وتفتح فيه الكعبة وتزار فيه ثم ذكر انه قسم كتابه الى فصول الاول في وجوب معرفة مولده على كافة امته او يكون من فروض الكفاية على علماء

ملته الثاني في ابتداء خلقه الثالث في ذكر نسبه وهكذا الى اربعين فصلا ومر بها فصلا فصلا ولولا خوف الاطالة لسقت من فصوله مثالا ليعلم ان ما في موالد المتاخرين هو قل من كثر مما في موالد المتقدمين اهل القرن السادس والسابع وقل فصل الا وهو مطرز بالرواية العالية من فطاحلة الاندلسيين والمغاربة كابن بشكوال والسهيلي والحجري وابن حوط الله وغيرهم من تلاميذ ابن العربي المعافري وبالجملة فهو مولد جامع مما يفتخر به المغاربة بل الافارقة ومن اندر ما فيه ختمه بالمراثي التي رثي بها عليه السلام من كبار الصحابة والصحابيات وقال ولد مؤلفه السلطان ابو القاسم العزفي في آخره وكان الذي حمل ابي علي تاليفه والاقبال عليه بكليته وتصنيفه ما ذكره في اول الكتاب من متابعة اهل ذلك الوقت في اقامة النيروز والمهرجان لاهل الكتاب فكان في ذلك من الخير العظيم الاعتناء بهذا المولد الكريم وضم ما انتشر فيه وتفرق في كتب المؤلفين في القديم والحديث فاحسن رضي الله عنه في ذلك ما شاء واصابه ثم المنية قبل بلوغ الامل في اكماله فاكملته ورتبته وخرجته من المبيضة وخلصته وهذبته على النوع الذي قصده وهو نسختان صغرى قد رويت عني وحملت وكبرى وهي هذه وقد تمت وكملت وميزت في هذه الكبرى بين ما هو من كلام ابي وتاليفه وبين ما زدته انا فيه عند تخريجه وتصنيفه بان ترجمت على كلامه بقال المؤلف .وعلى كلامي بقلت . ولم اعدل عما اشار له ابي في صدر الكتاب من ذلك الاكثار ولقصوري وتقصيري عن استيفاء ما ورد في ذلك من الاخبار والآثار وقد قال المقري في ازهار الرياض عن مولد العزفي هذا يذكر فيه ما خص الله به نبيه وفضله على كل من تاخر من خلقه او تقدم وما امتن به عليه وعلى امته من ان جعله افضل الانبياء وجعلهم افضل الامم ليتخذوا مولده الكريم موسما يتبركون فيه ما كانوا يقيمونه من اعياد النصارى وعوائدهم التي يجب لمغانيها ان تعطل ولمبانيها ان تهدم وكان الرئيس ابو القاسم كتب بخطه اجازة في هذا الكتاب للخطيب ابي علي ابن الخطيب ابي فارس ابن غالب الجمحي من جماعة اهل سبتة واعيانها حين قراه عليه بالجامع الاعظم في ربيع الثاني عام ٦٥٧ وفي محل ءاخر من ازهار الرياض أن الاحتفال بالمولد السعيد على ما كان عليه بنو مرين سنه بالمغرب الشيخ ابو العباس العزفي وتلك السنة باقية الى الآن بحسن نيته واعتنائه بالجناب العالي وفي محل ءاخر من ازهار الرياض العزفي صاحب سبتة هو الذي سن ذلك في بلاد المغرب.واتى بزلفى تدنيه الى الله وتقربه واقتفى الناس سنته وتقلدوا منه تعظيما للجناب الذي له السمو والعلو اه ومن مفاخر هذا المولد ان الحافظ ابن حجر وهو من هو رواه وساق اسناده في المعجم المفهرس له قائلا في كتاب الدر المنظم في المولد المعظم لابي القاسم محمد ابن الامام ابي العباس احمد بن محمد بن احمد اللخمي المغربي السبتي امير سبتة اخبرنا ابو حيان محمد بن حيان اجازة عن جده عن ابي القاسم المذكور اجازة به اه . وممن ساق اسناده

الشمس محمد بن سليمان الرداني دفين دمشق في صلة الخلف بموصول السلف وحافظ الحجاز شيخ بعض شيوخنا الشمس محمد عابد الانصاري السندي المدني في ثبته حصر الشارد في حرف الدال قال وأما كتاب الدر المنظم في المولد المعظم لابي القاسم محمد بن احمد بن محمد اللخمي المغربي السبتي امير سبته فارويه بالسند المتقدم الى ابن حجر الهيتمي عن الشرف عبد الحق السنباطي عن الحافظ ابن حجر انا ابو حيان محمد بن حيان عن جده عن ابي القاسم المذكور اه)

« الدر النظيم في مولد النبي الكريم » نقل عنه كثيرا محدث الحجاز الشمس محمد علي بن علان الصديقي في مولده قائلا ولا اعرف اسم مؤلفه وهو مشتمل على ثلاثين بابا ووضعه حسن ونظمه متقن اه . قلت وقد اكتشفت اسم مؤلفه وذلك ان القسطلاني في المواهب اللدنية نقل عن المولد الشريف لابن طغربك فوجدت شارحها الزرقاني قال المسمى بالدر النظيم في المولد الكريم لابن طغربك بطاء مهملة مضمومة وغين معجمة ساكنة وفتح الموحدة وكانه علم مركب من طغر بك لقب الامام العلامة المحدث سعيد الدين ابي جعفر عمر بن ايوب بن عمر الحميدي التركماني الدمشقي الحنفي لم ار له في ابن خلكان ترجمة اه منه ص ٥٢ ج اول قلت وجدت ترجمته في طبقات الحنفية المسمى بالجواهر المضيئة للحافظ عبد القادر القرشي قائلا فيه عمر بن ايوب بن عمر بن ارسلان التركماني الدمشقي المنعوت بالسيف المعروف بابن طغربك سمع الكثير وطلب بنفسه وقرأ وكتب وحصل وخرج وجمع وكان صالحا متثبتا حسن الطريقة وحدث هكذا ذكره الشريف في فتاويه وقال كان ثقة مفيدا وخرج معجما لشيوخه مولده سنة ٦٢٥ - ومات بمصر سنة ٦٧٠ هـ منها ص - ٣٧٧ طبع الهند

« الدر المنظم » ذكره في كشف الظنون ولم يذكر الذي قبله عازيا له لابي القاسم محمد بن عثمان اللؤلؤي الدمشقي قال ثم اختصره وسماه اللفظ الجميل بمولد النبي الجليل هـ

« مولد الدودير » (هو العلامة الفقيه الصوفي) شيخ المالكية بالديار المصرية (شهاب الدين) احمد بن محمد العدوي الازهري المصري المالكي المعروف بالدردير المتوفى ١٢٠١. له مولد لطيف في كراسة (اوله الحمد لله الواجب الوجود الذي بعث فينا نبيا وجيها محمدا صلى الله عليه وسلم بالآيات البينات والمعجزات الباهرات) وهو كثير الاستعمال بمصر وقد خدمه جماعة من المصريين والشاميين وغيرهم منهم العلامة ابو عبد الله) محمد بن محمد الامير الصغير المالكي المصري له عليه حاشية سماها التحفة السنية على مولد خير البرية (اولها حمدا لمن تفضل علينا بنعمة الابراز من العدم الى الوجود ذكر في اوله انه كان عام ١٢٢٨ امر والده الشيخ الامير الكبير بقراءة مولد الدردير لما فيه من حسن الاختصار وذكر ما هو ضروري من الآثار رغبة منه لاذاعته ومحبته لتداوله واشاعته فرغب

بعض الاعزة في ان يكتب عليه خدمة له بشيء لاقبال الخلق عليه) ومنهم البرهان ابراهيم الباجوري الشافعي شيخ الجامع الازهر المتوفى ١٢٧٦ له عليه حاشية مطبوعة بمصر مرات ٣ واحسن ما كتب عليه فتح القدير على الفاظ مولد الشهاب احمد الدردير للعالم المسند الاديب جواب الشرق والغرب ابي المحاسن يوسف بن بدر الدين الدمشقي دخل تونس واخذ عنه بها وممن استجاز منه الوزير السيد العزيز بوعتور جد صديقنا شيخ الاسلام المالكي الآن الشيخ الطاهر بن عاشور حفظه الله وتوفي بدمشق سنة ١٢٧٩ في مجلد وسط موجود في المكتبة الكتانية (اوله سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا) الفه باسم وطلب شيخ الاسلام بالاستانة على عهده العلامة المسند الاديب عارف حكمة الحسيني قائلا سالني ان اضع تقييدا كالشرح لمولد الشهاب الدردير لشدة اعتنائه به واستعداده لحفظه وجعله من جملة (أوراده) قال فكنت اتتبع اصول مسائله من مظانها وأطبقها عليه في اماكنها وما لم اقف على شيء فيه اصرف الفكر في فهم معانيه فاعتمدت في تخريج احاديثه على المواهب وشرحها قال وقع لي بفضل الله علي زيادات ربما استدركت عليه في بعض العبارات قال وقد اخذت هذا المولد عن محدث عصره ونخبة اقرانه في عصره الشيخ محمد الامين الصغير وهو اخذه عن المؤلف واخذت روايته عن شيخنا خاتمة المحققين السيد محمد الحسيني المدعو بفتح الله وعن شيخنا الشيخ احمد الصاوي وعن الشيخ محمد الفضالي ـ ح ـ وارويه بالاجازة العامة عن السيد حسين القويني والشيخ حسن العطار وكلهم بمصر ما عدا السيد فتح الله فعن والد شيخنا الاول بل الكل اخذ عنه وروى منه واكمل تصنيفه عام ١٢٤٣ ونروي ما لمؤلفه عاليا عن شيخ المعمرين عبد الرزاق بن حسن البيطار والمفتي السيد ابي الخير بن احمد بن عابدين لدمشقي الاول بدمشق واثاني ببعلبك عام ١٣٣٤ وهما عن الشيخ يوسف بن بدر الدين المذكور)

« ابن دحية » انظر التنوير (في حرف التاء)

« ابن الربيع » هو الامام محدث اليمن ومسنده الوجيه عبد الرحمان بن علي الربيع الشيباني العبدري اليمني المتوفى عام ٩٤٤ له مولد نسبه له في ترجمة صاحب النور السافر في اهل القرن العاشر (انظر ص ٢٠٢ اوله الحمد لله القوي الغالب الوالي الطالب الخ) في المكتبة الكتانية نسخة مما طبع منه بالهند عام ١٣١٣ (ونسخة اخرى وهو مقدار كراسة وطبع ايضا بمكة).

اثبتنا في هذا العدد القسم الاول من التحرير الجامع لصاحبه العلامة الهمام في ما الف من الموالد وقد تعذر نشر كامل هذا البحث القيم لضيق نطاق العدد على اتساعه ونحن نشكر لهمة حضرة صاحبه معتذرين عما اضطررنا له من هذا التقسيم.

المرجو من القارئ اصلاح الاخطاء الاتية

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤٢٣	١٥	المتظافرة	المتضافرة
٤٢٣	١٦	مضرا	مضر
٤٢٤	٢٤	صالحوا	صالحو
٤٢٦	١٤	طوعية	طواعية
٤٢٧	١٤	نجي	نجا
٤٢٨	٨	ابنت	بنت
٤٢٨	١٠	صفية	صفيه
٤٢٨	١٢	روات	رواة
٤٣٣	٢٥	لاساية	ولا سائبة
٤٣٣	١٠	لشركائهم	الى شركائهم
٤٣٣	١١	يقوت	يغوث
٤٣٣	١٤	اظلوا	أضلوا
٤٣٣	٢٥	الحامية	الحامي
٤٣٤	١	بالبحيرة	كالبحيرة
٤٣٤	٧	لاكتم	لاكثم
٤٣٤	١٣	احلة	جلة
٤٣٤	١٤	اخوه	اخيه
٤٣٤	٢٢	حليل	حليلا
٤٣٥	١٠	بني	بن
٤٣٥	١٦	لامه	امه
٤٣٥	٢٠	ليعضهم	ليعظهم
٤٣٥	٢٣	صودق	صدوق
٤٣٦	٦	ضفر	ظفر
٤٣٦	٩	ينموا	ينمو
٤٣٦	١٠	عمر	عمرو
٤٣٦	١٠	شهم	هشم
٤٣٦	١٩	هذه	هذا
٤٣٧	٢٠	صادقين	صادقون

كما وقعت بعض اخطاء في الجزء الثامن وجب التنبيه عليها

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣٦٨	٢٧	فتلك من انباء الغيب	تلك من انباء الغيب
٣٧٠	٦	بذنبهم	بذنوبهم
٣٧٣	٧	يضاعفه	فيضاعفه
٣٨٣	٨	ان الذين	قل ان الذين

تنبيه ٥ — وقع تاخير مقال حالة العرب الدينية عن مكانه الاصلي لسهو مطبعي

فهرس العدد

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

صاحب المجلة : محمد الشاذلي ابن القاضي

عدد ممتاز

خاتمة المجلد الاول

لعام ١٣٥٦ـ٥٧

ثمن هذا العدد ٣ فرنكات

كتاب بزوغ القمر او المقامات الحريرية

فوق المسارح وموشحة بالصور

ان افضل ما وهبه الله لعباده من العطايا . وخصهم به من المزايا . موهبة العلم التي تجعل صاحبها خالد الذكر . طيب النشر . لا ينسى ما طال الزمان . ولا يبلى اثره ما تعاقب الجديدان . لا سيما ان قرن العلم بصدق العزيمة . فان صاحبه ياتي بالعجب العجاب . ولا يصده ارتفاع السن وكثرة الاتعاب وممن منحه الله هذه المزية . في بلادنا التونسية حضرة العالم الفاضل الاديب . الحازم البارع الاريب . الحائز من العلوم الادبية اوفر نصيب . السيد حميدة الحبيب . فان الله قد اودع فيه همة علمية . ونفسا تواقة الى بلوغ نهايات الشرف وان كانت قصية .

كان هذا الرجل الفاضل مغمورا في بحر الوظائف الذي قلما يتاح لراكبه خدمة العلم الشريف فلما خلع عنه رداءه . واستبدل براحته عناءه . انصرف الى خدمة العلوم العربية التي هي بالعناية حرية . وكان من نتائجه التي تعشي النظر . كتابه (بزوغ القمر) . الذي يقع في ثمانية عشر جزءا صدر منها الجزء الاول في الشهر الماضي .

عمد في هذا الكتاب الى شيء مبتكر لم يسبق اليه . وهي افراغ المقامات الحريرية في قوالب الروايات المسرحية . فبدأ اولا بذكر خلاصة المقامة وبيان مميزاتها وذكر اللغات التي ترجمت اليها ثم يذكر المقامة بنصها ثم يفرغها في قالب رواية تمثيلية مسرحية . على اسلوب الروايات في الحوار وتبادل الحديث والتوسع على قدر الحاجة . ولم يكتف في ذلك بمجرد اللفظ بل اراد ان يكون عمله عملا تطبيقيا فنشر عدة صور تمثل المناظر الماخوذة من المقامات . بغاية الدقة ونهاية الاتقان . ثم انه زيادة على ذلك نشر تحت كل مقامة شرحها بقلم شيخ المستشرقين وعمدتهم في القرن الماضي العلامة الفرنسي البارون سلفستر دساسي الذي وضعه باللغة العربية . ونشر مع الشرح ترجمتها الى اللغة الفرنسية التي وضعها المستشرقون .

وقد افتتح كتابه بمقدمات جمعت بين حسن الافادة وطلاوة التعبير تعرض فيها لترجمة الحريري وترجمة البارون دساسي . وتكلم فيها عن المقامات والتصوير . وعن تاثير الديانات الاسلامية والمسيحية واليهودية في التصوير

وقد زاد في قيمة الكتاب جودة ورقه وجمال طبعه الذي يرجع الفضل فيه الى المطبعة التونسية الصنادلية التي اشتهرت بالاتقان والاجادة في كل ما يصدر عنها

ولا نشك في ان الطبقات الادبية في جميع الاقطار العربية سيقدرون قيمة هذا الكتاب وصاحبه بالاسراع الى اقتنائه والاطلاع عليه . فهو امنية كل اديب . ونحن نجدد تهنئتنا لحضرة مؤلفه الفاضل ونحثه على الاسراع بطبع بقية اجزاء الكتاب .

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠
« بالبلاد شمال افريقية « ٢٠
« في الخارج « ٤٠
تخصم الربع للتلامذة .

وصولات الاشتراك تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء العاشر	تونس في ربيع الثاني عام ١٣٥٦ وفي جوان عام ١٩٣٧	المجلد الاول

انتهاء العام الاول للمجلة

بهذا العدد تختم (المجلة الزيتونية) عامها الاول راجية ان تكون قد توفقت في اثنائه الى القيام ببعض ما اسست لاجله • من تحقيق المباحث العلمية • ونشر التعاليم الدينية • وبث الاخلاق الشرعية • والمساهمة في احياء تاريخ هذه البلاد • بنشر بعض صفحات كانت في زوايا الاهمال • يجهلها العامة • ويعرفها القليل من الخاصة • والمسايرة للحركة الادبية بتسجيل اخبارها • ونشر بعض القصائد الغرر التي تكون دليلا على رقي الادب في تونس

كما ترجو ان تكون قد احرزت على رضا قرائها الافاضل ومشتركيها الكرام ونغتنم هذه الفرصة لنقدم اليهم وافر شكرنا على ما لاقيناه منهم من المساعدة المادية والادبية بما كانوا به عند حسن ظننا فيهم جازاهم الله خيرا

ونرى من الواجب ان نسجل شكرنا للسادة العلماء الاعلام الذين لاقينا منهم من الاعانة • والمساعدة على اعمال المجلة ما يعجز السنتنا عن التعبير عنه • والى اللقاء في العام المقبل على احسن حال ان شاء الله تعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم الله في التجنيس

بقلم رئيس التحرير

لقد ابتلى المسلمون في هذا الزمان بانواع من البلايا التي لولا انها قد لاقت منهم صدورا ملئت بالايمان وقلوبا تدرعت بالصبر ، وعقولا تحصنت بالحكمة لصار الاسلام اثرا بعد عين ، ولنعق على اطلاله غراب البين ، ولكن الله سبحانه وتعلى لما جعل دين الاسلام ناسخا لجميع الاديان . وجعل رسوله صلى الله عليه وسلم خاتما لجميع الانبياء . وجعل امته خير امة اخرجت للناس ، حاطه بسياج منيع من حفظه ورعايته ، ووقاه من كل عابث هدام ، وبث في نفوس اهله قوة ومناعة ورباطة جاش يقاومون بها الاخطار ويقارعون بها المصائب ونفوسهم ءامنة مطمئنة راضية مرضية ، واثقة بصدق الوعد مترقبة للنصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين

ومن تلك المصائب التي ابتلي بها المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فتنة التجنيس لانها ترجع الى المساس بروح الدين الذي يضحي في سبيله المسلمون بكل عزيز ونفيس

فلقد كان التجنيس في بلادنا التونسية مثار فتن كبرى ، واضطرابات متنوعة ، وكان سببا في تشتيت شمل بعض العائلات ، واحداث الاحن والاحقاد بين الاخوة والاقارب ، وكان المظنون ان الفتنة فيه قد خمدت بعد الاعتراف الرسمي بكفر المتجنس واحداث مقبرة خاصة بالمتجنسين ، ولا سيما بعد ادراك جماعة من المتجنسين لخطر ما وقعوا فيه . وسعيهم في تلافيه . باحداث جمعية تسعى في ارجاعهم الى حظيرة الاسلام ، وتكفير ما اقترفوه من الآثام . سموها (اللجنة التحضيرية للمسلمين التونسيين المعتنقين للجنسية الفرنسوية للرجوع للجنسية التونسية) كان المظنون ذلك ولكن فريقا آخر من المتجنسين اغتنم حادثة الجلاز الاخيرة - وهي اخراج متجنس دفن بمقبرة الجلاز بعد دفنه بيومين - فاعادوا الكرة من جديد وعقدوا اجتماعات صرحوا فيها - كما نشرته الجرائد اليومية - بان التجنيس لا شيء فيه . وانه لا يوجب الكفر . ونسبوا القول بذلك الى بعض العلماء افتراء وزورا . وغرضهم من ذلك التاثير على الحكومة من ناحية . حتى ترجع فيما قررته من احداث مقبرة خاصة بالمتجنسين والتاثير على الفكر العام من ناحية اخرى حتى يغض الطرف عنهم ويعاملهم معاملة المسلمين . فكان

ذلك باعثا لنا على تحرير هاته المسئلة من اصلها . لا سيما وقد وردت الينا عدة اسئلة في هذا الموضوع من جملتها سؤال من لجنة المتجنسين الذين يريدون الرجوع الى الاسلام المشار اليها آنفا بامضاء رئيسها السيد محمد التركي المتوظف بوزارة العدلية وغرضنا ان نلم في هذه المقالة بتحرير المسئلة تحريرا مستفيضا يحيط بها من جميع نواحيها. حتى لا يبقى فيها ريب لمريب . وحتى تقطع جهيزة قول كل خطيب. والله المرجو ان يوفقنا للقول السديد والراي الرشيد. وهو حسبنا ونعم الوكيل. فنقول:

صورة التجنيس

وينبغي ان نضبط الموضوع بذكر صورة عقدة التجنيس . حتى نتمكن من بناء احكامها عليها . وحتى يكون القراء على بينة تامة من الموضوع .

يكون الانسان مسلما يعمل بالاسلام . ويهتدي بهديه ويأتمر بما جاء به . فيتعلق غرضه بالانسلاخ عن الجنسية الاسلامية - والعياذ بالله - لغرض ادبي سافل او مادي زائل . فيعتنق جنسية دولة من الدول الاجنبية التي تدين بالمسيحية وتعمل بالقوانين الوضعية . فيصير معتبرا كفرد من افرادها . ويلتزم في (عقدة التجنيس) بالانسلاخ عن احكام الشريعة الاسلامية وعن العمل بمقتضاها . ويلتزم في مقابلة ذلك بالعمل بقوانين تلك الدولة التي تجنس بجنسيتها. سواء في احواله الشخصية او في المعاملات او في العقود والالتزامات او في جميع الجزئيات . فيكون بذلك قد نبذ الاسلام وانسلخ عنه . ودخل في الكفر راضيا مختارا ويترتب على ذلك تغيير في احواله من جميع النواحي ، يطلق امراته فيكون طلاقه غير نافذ ويجبر قانونا على البقاء معها والانفاق عليها . ويموت فتقسم تركته على غير الفريضة الشرعية . ويصير مجبورا على التحاكم الى غير قضاة الشرع . وقبل ان يمضي على عقدة التجنيس يكون عالما بجميع ذلك مطلعا عليه فهذه صورة عقدة التجنيس

التجنيس في نظر العقلاء

ولا شك ان كل من له نصيب من العقل يستنكر التجنيس وينكر على المتجنس . لان انتقال الانسان من جنسيته الاصلية الى جنسية اخرى يتضمن اعترافه باحتقار الجنسية التي كان عليها والازدراء بها . فهو كمن ينكر اباه لحقارته . او نسبه لوضاعته . او بلاده لانحطاطها وكل عاقل مهما عظم شانه وارتفع مقامه فانه لا يرضى بالانتساب لغير ابيه ولو كان من احط الناس قدرا ولا بالانتحال لغير نسبته ولو كانت من اسقط الانساب . ولا بالانتماء لغير بلاده ولو كانت من احقر البلدان هذا من الناحية الاخلاقية . وهناك ناحية جديرة بالاعتبار . وهي جناية المتجنس على بلاده ووطنه لان الامم كما تتفاخر بمناعتها وقوتها تتفاخر ايضا بعدد افرادها . فللعدد قيمة كبرى بين الامم والمتجنس

بتجنسه قد نقص من عدد امته . ووفر العدد لامة اخرى . فهو قد سعى الى تضعيف قيمة امته بعمله الشنيع . واذا كانت الامم الغربية على كثرة عددها ووفرة عددها تقرأ لهذا الامر حسابه وتتخذ كل الوسائل لمنع ابنائها من اعتناق غير جنسيتها فما بالك بالامم المستضعفة التي جمعت بين قلة العدد والعدد فلا شك ان المتجنس من افرادها تكون جنايته عند العقلاء افضع ويكون جرمه عند الله اعظم

ومن جملة ما قررته بعض الدول الغربية في مسئلة التجنيس انها لا تعترف به بالنسبة لابنائها . حتى اذا فرضنا ان احد ابنائها سافر الى بلاد اجنبية وتجنس بجنسيتها واقام فيها مدة طويلة فانه بمجرد رجوعه الى بلاده لا تعترف حكومته بتلك الجنسية ولا تطبق عليه الا قوانين بلادها .

التجنس في نظر الشرع

هذا هو بيت القصيد من هذا التحرير . وهو الغرض الاصلي الذي نريد ان نصل اليه وننفصل فيه . ليكون الناس على بينة من امرهم .

ولقد بينا فيما سبق صورة التجنيس وما يشتمل عليه من الالتزام بنبذ العمل بالشرع والتقاضي لدى غير قضاة الشرع . والامتناع من التحاكم لديهم . وبعض ذلك موجب للارتداد. فضلا عن جميعه فحكم الله في المتجنس هو انه مرتد . يعامل معاملة المرتدين. وتنطبق عليه جميع احكامهم . وذلك لان حقيقة المرتد هو الراجع عن دين الاسلام كما عرفه في فتح القدير. والرجوع عن الاسلام يكون بامور كثيرة ضبطها في الفتاوى البزازية (١) وفي الفتاوى الهندية (٢) في تسعة انواع وفرعا على كل نوع منها فروعا كثيرة . ومن تتبع كتب الفقه وامعن فيها النظر وقف على عدة فروع تدل على كون المتجنس مرتدا . والمجال لا يتسع لنقل جميع ما وقفنا عليه من الفروع فنقتصر منها على ما هو صريح في هذا الباب .

الفرع الاول - قال في الخيرية : سئل عن رجل قال لا اعمل بالشرع وانما اعمل بدعائم العرب . فاجاب بانه اذا قال ذلك لاعتقاد عدم حقية الشرع او استخفافا فلا ريب في كفره باجماع المسلمين اه (صفحة ١٠٦ طبع بولاق من باب المرتدين) ومعلوم ان المتجنس لا يعمل بالشرع واذا لم يكن يعتقد عدم حقيته فعلى الاقل يحكم عليه بانه مستخف به والا لما استبدله بغيره

الفرع الثاني - قال في الهندية : اذا قال الرجل لخصمه اذهب معي الى الشرع فقال خصمه لا أذهب الى الشرع الا جبرا يكون كافرا اه (صفحة ٢٧٢ جزء ٢ طبعة بولاق الثانية) ولا شك ان المتجنس ممتنع من الذهاب الى الشرع .

البقية على صفحة ٥٤٢

محمد المختار بن محمود

(١) انظر صفحة ٣٢٠ من الجزء ٣ المطبوع على هامش الجزء ٦ من الفتاوى الهندية طبعة بولاق الثانية
(٢) انظر صفحة ٢٥٣ من الجزء ٢ طبعة بولاق الثانية

القرآن الكريم

المقدمة الخامسة في اسباب النزول

بقلم صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ سيدي
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

اولع كثير من المفسرين بتطلب اسباب لنزول آي القرآن اعني بالبحث عن وقآئع يدعى ان آيات كثيرة من القرآن نزلت لاجل بيان احكام تلك الوقائع او لحكايتها او انكارها او نحو دلك وأغربوا في ذلك واكثروا حتى رفعوا الثقة بما ذكروا بيد انا نجد في كثير من آيات القرآن إشارة الى الاسباب التي دعت الى نزولها فكان امر اسباب نزول القرآن دائرا بين القصد والاسراف وكان في غض النظر عنه وارسال حبله على غاربه خطر عظيم في فهم القرآن ربما جر الى الخطر في اصل الايمان فذلك الذي دعاني الى خوض هذا الغرض في مقدمات التفسير لظهور شدة الحاجة الى تمحيصه في اثناء التفسير وللاستغناء عن اعادة الكلام عليه عند عروض تلك المسائل غير مدخر عنكم ما أراه في ذلك رايا يجمع لكم شتاتها . وانا عاذر المتقدمين الذين الفوا في اسباب النزول فاستكثروا منها بان كل من يتصدى لتأليف كتاب في موضوع غير مشبع تمتلكه محبة التوسع فيه فلا ينفك يستزيد من ملتقطاته ليذكي مقباسه ويمد انفاسه فيرضى بما يجد رضاء الصب بالوعد ، ويقول زدني من حديثك يا سعد ، غير هياب لعاذل ولا متطلب معذرة عاذر وكذلك شان الولع اذا امتلك القلب ولكني لا اعذر اساطين المفسرين الذين تلقفوا الروايات الضعيفة فاثبتوها في كتبهم ولم ينبهوا على مراتبها قوة وضعفا حتى أوهموا كثيرا من الظاهريين في العلم ان القرآن لا تنزل آياته الا لاجل حوادث تدعو اليها وبئس هذا الوهم فان القرآن جاء هاديا الى ما به صلاح الامة في اصناف الصلاح فلا يتوقف نزول على حدوث الحوادث الداعية لتشريع الاحكام . نعم ان العلماء توجسوا منها فقالوا ان سبب النزول لا يخصص الاطائفة شاذة ادعت التخصيص بها .

ولو ان اسباب النزول كانت كلها متعلقة بآيات عامة لما دخل من ذلك ضرر على عمومها اذ قد اراحنا ايمة الاصول بقولهم العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ولكن اسبابا كثيرة رام رواتها

تعيين مراد من عام او تقييد مطلق او الجاء الى مجمل فتلك هي التي قد تقف عرضة امام معاني التفسير قبل التنبيه على ضعفها او تاويلها وقد قال الواحدي في اول كتابه في اسباب النزول

« اما اليوم فكل احد يخترع للآية سببا ويختلق افكا وكذبا ملقيا زمامه الى الجهالة غير مفكر في الوعيد — وقال لايحل القول في اسباب نزول الكتاب الا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل »

ان من اسباب النزول ما ليس المفسر بغني عن علمه لان فيها بيان مجمل او ايضاح خفي وموجز ومنها ما يكون وحده تفسيرا ومنها ما يدل المفسر على تطلب الادلة التي بها تاويل الآية او نحو ذلك ففي البخاري ان مروان بن الحكم ارسل الى ابن عباس لئن كان كل امرىء فرح بما اتى واحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون يشير الى قوله تعالى « لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم » فقال له ابن عباس انما دعا النبيء صلى الله عليه وسلم يهودا فسالهم على شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فاروه انهم قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه فيما سالهم وفرحو بما أتوا من كتمانهم ثم قرا ابن عباس « واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى قوله لا يحسبن الذين يفرحون الآيات . وفي الموطا عن هشام بن عروة بن الزبير عن ابيه انه قال لعائشة ام المؤمنين وانا يومئذ حديث السن أرأيت قول الله تعالى « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما . فما على الرجل شيء الا يطوف بهما قالت عائشة كلا لو كان كما تقول لكانت فلاجناح عليه ان لا يطوف بهما انما نزلت هذه الآية في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سالوا رسول الله عن ذلك فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما اه وقد تصفحت اسباب النزول التي صحت اسانيدها فوجدتها خمسة اقسام :

(١) قسم هو المقصود من الآية يتوقف فهم المراد منها على علمه فلا بد من البحث عنه للمفسر وهذا منه تفسير مبهمات القرآن مثل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها . ونحو عبس وتولى ان جاءه الاعمى . ومنه ما اقتضاه حال خاص نحو يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا . ومثل بعض الآيات التي فيها ومن الناس

(٢) وقسم هو حوادث تسببت عنها تشريعات احكام وصورة تلك الحوادث لا تبين مجملا ولا تخالف مدلول الآية بوجه تخصيص او تعميم او تقييد ولكنها اذا ذكرت امثالها وجدت مساوية لمدلولات الآيات النازلة عند حدوثها مثل حديث عويمر العجلاني الذي نزلت عنه ءاية اللعان ومثل حديث كعب بن عجرة الذي نزلت عنه ءاية ومن كان مريضا او به اذى من رأسه ففدية من صيام

الآية فقد قال كعب بن عجرة هي لي خاصة ولكم عـامة ومثل قول ام سلمة رضي الله عنها للنبيء صلى الله عليه وسلم يغزو الرجال ولا نغزو فنزل قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الآية وهذا القسم لا يفيد البحث فيه الا زيادة تفهم في معنى الآية وتمثيلا لحكمها ولا يخشى اعتقاد تخصيص الحكم بتلك الحادثة اذ قد اتفق العلماء اوكادوا على انّ سبب النزول في مثل هذا لا يخصص واتفقوا على ان اصل التشريع ان لا يكون خاصاً .

(٣) وقسم هو حوادث تكثر امثالها ولا تختص بشخص واحد فنزلت الآية لاعلانها وبيان احكامها وزجر من يرتكبها فكثيرا ما تجد المفسرين وغيرهم يقولون نزلت هذه الآية في كذا وكذا وهم يريدون ان من الاحوال التي تشير اليها تلك الآية تلك الحالة الخاصة فكانهم يريدون التمثيل ففي كتاب الايمان من صحيح البخاري باب قول الله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين طبر يقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الاشعث بن قيس فقال ما حدثكم ابو عبد الرحمان قالوا كذا وكذا قال في انزلت كانت لي بئر في ارض ابن عم لي الخ فابن مسعود جعل الآية عامة لانه جعلها تصديقا لحديث عام والاشعث ابن قيس توهمها خاصة به اذ قال في انزلت بصيغة الحصر ومثل الآيات النازلة في المنافقين في سورة براءة المفتتحة بقوله تعلى ومنهم ومنهم ولذلك قال ابن عباس – كنا نسمي سورة التوبة سورة الفاضحة . ومثل قوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم فلا حاجة لبيان انها نزلت لما اظهر بعض اليهود مودة المؤمنين . وهذا القسم قد اكثر من ذكره اهل القصص وضعفاء المفسرين ولا فائدة في ذكره على ان ذكره قد يوهم القاصرين قصر الآية على تلك الحادثة لعدم ظهور العموم من الفاظ تلك الآيات .

(٤) وقسم هو حوادث نزلت وفي القرآن آيات تناسب معانيها فيقع في عبارات بعض السلف ما يوهم ان تلك الحوادث هي المقصود من تلك الآيات مع ان المراد والله اعلم انها مما يدخل في معنى الآية ويدل لهذا النوع وجود اختلاف كثير بين الصحابة في كثير من اسباب النزول كما هو مبسوط في المسألة الخامسة من بحث اسباب النزول من الاتقان فارجعوا اليه ففيه امثلة كثيرة . وفي البخاري في سورة النساء ان ابن عباس قرأ قوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا بالف بعد لام السلام وقال كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم (اي تحية السلام) فقتلوه (اي ظنوه مشركا يريد أن يتقي منهم بالسلام) واخذوا غنيمته فانزل الله في ذلك ولا تقولوا الآية فالواقعة لا بد ان تكون قد وقعت لان ابن عباس رواها لكن الآية ليست نازلة فيها

وانما ذلك فهم فهمه ابن عباس والاظهر ان الآية نزلت في احكام الجهاد بدليل ما قبلها وما بعدها فان قبلها يا ايها الذين ءامنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وبعدها فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل ، وفي تفسير تلك السورة من صحيح البخاري بعد ان ذكر حديث الزبير والانصاري في مآء شراج الحرة قال الزبير فما احسب هذه الآيات الا نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية قال الشيخ السيوطي في الاتقان عن الزركشي قد عرف من عادة الصحابة والتابعين ان احدهم اذا قال نزلت هذه الآية في كذا فانه يريد بذلك انها تتضمن هذا الحكم لا ان هذا كان السبب في نزولها وفيه عن ابن تيمية قد تنازع العلماء في قول الصحابي نزلت هذه الآية في كذا هل يجري مجرى المسند او يجري مجرى التفسير فالبخاري يدخله في المسند واكثر اهل المسانيد لا يدخلونه فيه بخلاف ما اذا ذكر سببا نزلت عقبه فانهم كلهم يدخلونه في المسند .

(٥) وقسم يبين مجملات ويدفع متشابهات مثل قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون فاذا ظن احد ان من هنا للشرط اشكل عليه كيف يكون الجور في الحكم كفرا ثم ان علم ان سبب النزول هم النصارى علم انها موصولة وعلم ان الذين تركوا الحكم بالانجيل لا يتعجب منهم ان يكفروا بمحمد : وكذلك حديث عبد الله بن مسعود قال لما نزل قوله تعالى الذين ءامنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم . شق ذلك على اصحاب رسول الله وقالوا اينا لم يلبس ايمانه بظلم (ظنوا ان الظلم هو المعصية) فقال رسول الله انه ليس بذاك الا تسمع لقول لقمان لابنه ان الشرك لظلم عظيم .

هذا وان القرآن كتاب جاء لهدي امة والتشريع لها وهذا الهدي قد يكون واردا قبل الحاجة اليه وقد يكون نازلا عند الحاجة وقد يكون مخاطبا به قوم على وجه الزجر او الثناء او غيرهما . وقد يكون مخاطبا به جميع من يصلح لخطابه وهو في جميع ذلك قد جاء بكليات تشريعية وتهذيبية فكما لا يجوز حمل كلماته على خصوصيات جزئية لان ذلك مبطل مراد الله تعلى من كلامه والحكمة في ذلك ان يكون وعي الامة لدينها سهلا عليها وليمكن تواتر الدين وليكون لعلماء الامة مزية الاستنباط والا فان الله قادر ان يجعل القرآن اضعاف هذا المنزل وان يطيل عمر النبيء صلى الله عليه وسلم للتشريع اكثر مما اطال عمر ابراهيم وموسى ولذلك قال تعالى واتممت عليكم نعمتي . كذلك لا يجوز تعميم ما قصد منه الخصوص ولا اطلاق ما قصد منه التقييد لان ذلك قد يفضي الى التخليط في المراد او الى ابطاله من اصله . وقد اغتر بعض الفرق بذلك قال ابن سيرين في الخوارج انهم عمدوا الى ءايات الوعيد النازلة في المشركين فوضعوها على المسلمين فجاءوا ببدعة القول بالتكفير بالذنب وقد قال الحرورية لعلي رضي الله عنه يوم التحكيم ان الحكم الا لله فقال علي كلمة حق اريد بها باطل وفسرها في خطبة له في نهج البلاغة .

تنبيه ونصيحة

ان واجب النصح في الدين والتنبيه الى ما يغفل عنه المسلمون مما يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم قضى علي ان انبه اخواننا الى خطر امر تفسير كتاب الله والقول فيه دون مستند من نقل صحيح عن اساطين المفسرين اومن ابداء تفسير او تاويل من قائله اذا كان القائل قد توفرت فيه شروط المفسر من الضلاعة في علوم الشريعة وعلوم العربية ولا سيما علما المعاني والبيان الذين بدونهما لا يأمن المرء من تكرر الخطأ في فهم معاني القرآن فيضل المقدم على ذلك ويضل غيره وقد قال العلامة الزمخشري في خطبة الكشاف « ان املا العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما يبهر الالباب القوارح علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام والنحوي وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لايتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق ولايغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علما المعاني والبيان وتمهل في ارتيادهما ءاونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة ءاخذا من سائر العلوم بحظ . جامعا بين امرين تحقيق وحفظ . كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب . مقدما في جملة الكتاب . (يعني كتاب سيبويه) وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها . مشتعل القريحة وقادها . دراكا للمحة وان لطف شانها . متنبها الى الرمزة وان خفي مكانهما اهـ)

وقال العلامة السكاكي في المفتاح « وفيما ذكرنا ما ينبه على ان الواقف على تمام مراد الحكيم تعلى وتقدس من كلامه مفتقر الى هذين العلمين (المعاني والبيان) اشد الافتقار فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل اهـ »

وقد ذكر القرطبي في مقدمة التفسير ان من فسر شيئا من القرآن بدون مستند من نقل صحيح او دليل اقتضته قوانين العلم كالنحو والاصول والبلاغة فهو متبع لهواه ورأيه المجرد واقع في الوعيد الوارد فيمن فسر القرآن بهواه ورأيه

وبرغم هذا ونحوه فقد راينا تهافت كثير من الناس على الخوض في تفسير آيات من القرآن فمنهم من يتصدى لبيان معاني الآيات على طريقة كتب التفسير ومنهم من يضع الآية ثم يركض في مجالات من اساليب المقالات تاركا معنى الآية جانبا . جالبا من معاني الدعوة والموعظة ما كان جالبا وقد دلت شواهد الحال على ضعف كفاءة البعض لهذا العمل العلمي الجليل فيجب على العاقل ان يعرف قدره وان لا يتعدى طوره وان يرد الاشياء الى اربابها وياتي البيوت من ابوابها وعلى من لا يانس من نفسه

الحديث الشريف

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال:

كل معروف صدقة (رواه البخاري ومسلم)

الاسلام دين السعادة التي كلفها البشر منذ حياته الاولى بما حواه من التعاليم السامية وما بينه للعالمين من سبل الهداية فهو يحبب اليهم النفع العام ويرغبهم فيه بشتى الوسائل، ورتب على اهتمام المكلف بالصالح العام حصول النفع الخاص ليفرغ جهده في تحصيله . وكذلك تنقاد النفوس طوعا وعن اختيار الى التخلق باسمى الصفات رغبة منها اولا في جلب النفع الشخصي الموعود به فاذا هي قد قامت بواجبها نحو المجتمع الذي هي منه واليه . فالمسلم يشعر بمقتضى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حياته الفردية اذا لم يكن لها اثر فعال في مقومات الامة الاسلامية فانها حياة لم تنتج لصاحبها سعادة الحياة وما بعد الحياة . وهذا الشعور قد كون له من تلك النصوص المتظافرة على اقامة اصل عام الا وهو وجوب اهتمام المسلم بالصالح العام والنفع الشامل . وهذا الحديث الذي نحن بصدد بيان ما تضمنه من مباد سامية ما هو الا نص من تلك النصوص التي اقيم عليها ذلك الاصل العام

فيعلمنا المصلح الاكبر والمرشد الامين ان المسلم عليه ان يتقدم الى المسلمين اخوانه في الدين بما يستطيعه من انواع المعروف ووعده عليه الصلاة والسلام على ذلك ان كل معروف يقوم به هو له صدقة

الكفاءة وهو يرغب في افادة العموم بمعاني القرآن ان يقتصر على نقل كلام المفسرين في التفاسير المشتهرة عازيا ذلك الى مواقعه مع التحفظ على عباراته وفي الناس طبقة ترتقي كفاءتها الى درجة تخولها التصرف في جمع كلام المفسرين وترتيبه واختصاره والواجب على كل راغب في التحلي بذلك ان يدقق النظر في ميزان نفسه ليقف عند الحد الذي يثق به عندها حتى لا يختلط الخاثر بالزباد ولا يكون كحاطب في حالك سواد وبذلك تحصل الفائدة والاستبراء للدين والعرض . وان سكوت العلماء على ذلك زيادة في الورطة، وافحاش لاهل هذه الغلطة فمن يركب متن عمياء ويخبط خبط عشواء فحق على اساطين العلم تقويم اعوجاجه وتمييز حلوه من اجاجه تحذيرا للمطالع وتنزيلا في البرج والطالع

محمد الطاهر ابن عاشور

فما هو مسمى المعروف الذي ورد ذكره في الحديث الشريف ؟ وما المراد من الصدقة ؟

قال الراغب : المعروف اسم كل فعل عرف حسنه بالشرع والعقل ه . فالمعروف هو ما ادرك حسنه العقل وجاء الشرع مقررا لذلك الحسن وبه صح اطلاق اسم الحسن الشرعي عليه وترتب عليه ما يترتب على امثاله من الشرعيات من الثواب الآجل والمدح العاجل . او ان العقل لم يظهر له حسنه اولا حتى جاء الشرع به فانكشفت له عند ذلك صفة الحسن .

وقال بعضهم في تفسير المعروف هو كل امر يعرف بالشرع او العقل انه حسن وكان هذا التفسير هو للمعروف بصفة اعم وليس بتفسير للمعروف الشرعي اعني الذي يترتب عليه الثواب

وقال ابن ابي جمرة : يطلق اسم المعروف على ما عرف بادلة الشرع انه من اعمال البر سواء جرت به العادة ام لا . ه ومعنى جرت به العادة ان اهل المروءة والرأي اعتادوه على انه من الكمالات من قبل ورود الشرع به ويمكن ارجاع هذا التفسير الى الاول

والمراد بكون المعروف صدقة ان له ثوابا كثواب الصدقة فان شان الصدقة ان يترتب عليها الثواب وهو الاجر الاخروي والدنيوي ايضا بالشكر والثناء والتعطف والمحبة ونحو ذلك

قال ابن بطال اصل الصدقة ما يخرجه المرء من ماله متطوعا ه. فظهر من هذا ان المعروف ليس هو نفس الصدقة الا ترى ان من المعروف الكلمة الطيبة يتلطف بها المرء الى اخيه على ما سياتي بيانه وهي ليست بمال فيكون المراد من الحديث ثواب الصدقة . وفي صحيح مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم قال او ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون . ان بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة وفي بضع احدكم صدقة . قالوا يا رسول الله ايأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر . قال او رأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر .

فقد فهم الصحابة ان المراد اجر الصدقة فقالوا له صلى الله عليه وسلم أيأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر وكذلك عبر عليه الصلاة والسلام من بعد حيث قال وكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر

فيكون معنى الحديث كل ما هو معروف من جميع اصناف وانواع المبرات والحسنات الشرعية التي اعتبرها الشارع معروفا وقربة مثابته مثابة الصدقة فينال على ذلك ثوابا واجرا كما ينال المتصدق من الثواب جزاء له عما تقدم به لاخوانه من النفع ومكافاة له عن اهتمامه بصالح الغير وعدم قصره نظره على خويصة نفسه

ولفظ كل في الحديث للعموم فافاد ان المعروف الذي هاته صفته يعم القول والفعل الحقير والعظيم فهو يشير الى ان المرء لا يحتقر شيئا من المعروف ولا يستنكف عن القيام بادنى مراتبه كما ترشد الى ذلك الزيادة التي في غير هاته الرواية . ففي مسند احمد رضي الله عنه من تمام الحديث ومن المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان تكفيء من دلوك في اناء اخيك . فقد جعل من المعروف ان ينبسط الانسان عند مواجهة اخيه المسلم ويقابله بوجه طلق . وان من المعروف ان يعينه فيصب له في انائه من دلوه اذا كان عاجزا اعانة له واذا لم يكن عاجزا مودة وفي ذلك من الرحمة ما لا يخفى

وفي مسند ابي حنيفة رضي الله عنه من رواية عطاء عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غني او فقير صدقة .

فهذا كله يدلنا دلالة واضحة على ان القربة لا تنحصر في اعانة المحتاج كما انه لا تختص بالافعال بل كما تحصل للفقير تحصل مع الغني وكما تكون بالافعال تكون بالاقوال وهو المناسب للعموم المستفاد من كل الا ترى ان الامر بالمعروف يكون مبرة كما جاء في حديث مسلم المتقدم وهو من الاقوال ويكون للغني والفقير

وروى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على كل مسلم صدقة فقالوا يا نبي الله فان لم يجد ، قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا فان لم يجد ، قال يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا فان لم يجد ، قال فليعمل بالمعروف ، قالوا فان لم يفعل ، قال فليمسك عن الشر فانها له صدقة

فانت ترى انه صلى الله عليه وسلم بين لهم ان الامساك عن الشر يكون له بمثابة الصدقة في الاجر والثواب وهذا يشمل امساكه عن الشر بالنسبة لكافة المخلوقات من غير فرق بين غني وفقير وامير وصعلوك

ولا يتسرب الى بعض الاذهان ان الامساك عن الشر هو أدنى المراتب وانما يصار اليه اذا عجز عن الاتيان بالقرب . بل المراد ان الامساك عن الشر وحده يكون له قربة ويحصل له به اجر وان لم تصحبه انواع اخر من المعروف . وتوضيح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بصدد بيان الامور الايجابية وحيث لم توجد انتقل الى التروك وفي مقدمتها الامساك عن الشر بسائر انواعه فالانسان مطالب اولا باجتناب المناكر والشرور ثم بارتكاب الحسنات وانواع القربات هذا وان حصر انواع المعروف التي تدخل في عموم هذا الحديث يكاد لا يمكن فلنقتصر على بيان قسم منها وذلك ان المعروف له طرفان اعلى وادنى وبينهما مراتب كثيرة فبقدر عظم النفع تسمو القربة ويعظم الاجر وبقدر قلة النفع تقل الدرجات فكلما كان النفع اشمل كان الاجر اعظم وكل ذلك بحسب استعداد المرء وما روض نفسه عليه .

فمن المعروف انشاء دور العجز واغاثة المنكوبين واعانة ابناء السبيل. والرحمة بالضعفاء والمرضى وتأسيس المدارس العلمية والخانات لطلبة العلم . والاعانة على تأسيس الشركات التي ينجر منها نفع عام كتشغيل اليد العاطلة . ورد هجمات الغير على الصنائع المحلية وترقية النتائج العمرانية واستثمار محصولات الارض التي خلق فيها وعاش من طيباتها وبذل الصدقات للفقراء لا سيما في عام المسغبة فان ذلك يكون له حصنا حصينا يتقي به النار وسعيرها فقد جاء في الحديث الشريف فيما برويه البخاري ومسلم من طريق عدي بن حاتم رضي الله عنه قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه (أي أعرض) ثم ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه ثم قال: اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة فارشدنا صلى الله عليه وسلم الى ان النار عذابها عظيم وخطرها جسيم وان الاتقاء منها يكون بعمل الخير وبين لنا ان الصدقات تنجي من هولها وان الكلمة الطيبة يحرك بها الانسان لسانه ويتلطف بها لاخيه ربما تكون له خيرا من صدقة المال قال تعلى (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم) فرد السائل بالقول الجميل او وعده بالعطاء عند اليسار هو من المعروف الواقي من عذاب الجحيم وكذلك أدبنا القرءان وعلمنا كيف نعتذر للسائل ونتلطف في رده باطيب الكلمات قال تعالى : (واما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا)

ومن المعروف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاصلاح بين الناس وبذل النصح فان الداعي الى الهدى له من الاجر والثواب مثل أجر من اتبعه من غير ان ينقص لمن اتبعه شيئا من اجره فالمرشد الى الخير كانت كلمته سببا في وجود النفع في المجتمع الانساني من الذين اتبعوا نصائحه فما يأتونه من الطيبات كانه هو الذي فعله فحق له ان ينال جزاء موفورا

وعلى عكس هذا يكون جزاء من دعى الى ضلالة او ابتدع في الدين ما ليس منه كما افصح عن ذلك حديث مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه لا ينقص من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيئا فمن المعروف الدعوة الى صلاح الناس ومن المنكر الدعوة الى تضليلهم قال تعالى (ولا خير في نجواهم الا من امر بصدقة او معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما) .

ومن المعروف الرحمة بجميع الكائنات وذلك ان الرحمة بالانسان وبالحيوان عاطفة شريفة جاءت آثار كثيرة في الترغيب فيها واجمعها قوله عليه الصلاة والسلام (من لا يرحم لا يرحم) فمن لا يرحم مخلوقات الله لا يرتجي رحمة من الله . وقد مدح الله نبيه في القرءان حيث وصفه باخص انواع الرحمة حيث يقول (بالمؤمنين رؤوف رحيم) والرحمة تتناول رحمة الآباء بابنائهم ورحمة الابناء

ورحمة الازواج والاقارب ورحمة الخدم ورحمة اهل دينك والرحمة بالناس اجمعين والكلمة الجامعة لهذا ان تحب لهم ما تحب لنفسك فتمدهم به حسب الطاقة وتكره لهم ما تكره لها فتدفعه عنهم بما اعطيت من قوة والرحمة بالحيوان أن لا تحمله ثقيلا ولا تكلفه عسيرا ولا تتركه بلا طعام حتى الكلب يأتي يلهث فتقدم له شيئا من الماء رحمة بمخلوق من مخاليق الله الى غير ذلك من انواع الرحمات

ومن المعروف ستر عورات المسلمين وعدم تتبع زلاتهم كما يرشد الى ذلك حديث ابي داود عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من راى عورة فسترها كان كمن احيا موءودة (١)

فحسب المرء ان يشتغل بعيوب نفسه ليصلحها ولا يلتفت الى عيوب الناس الا ليرشدهم من غير تشهير ولا انتقام .

ومن المعروف رعاية حق الجار والضيف كما ورد ذلك خاصة في حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خير او ليصمت

ومن المعروف كفالة الايتام بتأسيس الملاجي لهم وتربيتهم تربية اسلامية وعدم تركهم يترامون على الاعتاب حتى تعثر عليهم طوائف الرهبان فيدخلوهم في كفالتهم ثم في دينهم طبعا بدعوى انهم ما صنعوا ذلك الا رحمة بهم وفي ذلك من الخطر على ابنائنا وبناتنا ما لا يكيف والاثم يعم الكافة فحفظهم ورعايتهم فرض كفاية ومن تقدم وقام بهاته المبرة وسعى في تأسيس ملجا يحفظهم من ايدي العابثين فقد اتى بمعروف وصدق عليه قوله عليه الصلاة والسلام انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال باصبعيه السبابة والوسطى اي اشار بهما الى قرب الدرجة . فعلى اللبيب ان يشمر عن ساعد الجد ولا يألو جهدا في القيام بما جاء به الاسلام من اصناف القربات ولا يحتقر منها شيئا حتى اللقمة يضعها في فم امرأته ولنكتف بهذا القدر مما ذكرناه من اصناف المبرات وفقنا الله للقيام بحقوق الاسلام انه قريب مجيب

محمد الشاذلي ابن القاضي

---

(١) الموءودة هي التي تدفن وهي حية خشية العار او الفقر وهي عادة جاهلية حرمها الاسلام وتوعد فاعلها بالعقاب العظيم كما وعد من انقذها وسعى في احيائها ثوابا جزيلا قال تعالى (ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا)

التنبيه على احاديث ضعيفة

او موضوعة رائجة على السنة الناس

بقلم صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

ان من اكبر ما اضر بالمسلمين في تصورهم معاني الدين هو غرورهم بما املي عليهم من تهوين امر العمل بشرائع الاسلام ورضاهم بالاقتصار على فضيلة الايمان والاسلام مع اهمال كثير من الاعمال ، ومن قلب حقائق شرعية في اصول الدين او في فروعه وهذه الاحوال انما جرها اليهم مرويات ضعيفة تكاثرت بين المسلمين بسبب تهاون بعض اهل الحديث بالاحاديث الضعيفة في فضائل الاعمال وقد ادخلت تلك الاحاديث والاحاديث الموضوعة الشائعة بين المسلمين والمجهول وهنها عند عامتهم وكثير من خاصتهم المعرضين عن تمحيص اسانيد الاحاديث اغلاطا كثيرة سرى مفعولها في الناس فلم تخل بعض كتبهم من بعضها . فكان حقا على كل من يتصدى لاصلاح حال المسلمين ان ينبه على تمحيص الآثار لما في التساهل في قبول واهنها من الاخطار التي لا يقدر المرء مقدار ما تفضي اليه فمن حق المسلم الاعراض عنها والاشتغال بالصحيح والحسن فهو اهون عليه وها انا أذكر طائفة منها مرتبة على حروف المعجم وسنقفيها في كل عدد بعدد من نوعها

أ — أنا مدينة العلم وعلي بابها — حديث موضوع بجميع اسانيده على ما انفصل عليه المحققون من المحدثين ولا عبرة بمن أخرجه اغترارا بظاهر حال راويه وقد وضعه ابو الصلت واشتهر به

أ — احبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي ولسان اهل الجنة في الجنة عربي — رواه الحاكم وصححه على عادته وقال الايمة هو ضعيف

أ — ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم الخ — اخرجه ابن عدي في كتاب الضعفاء وقال الايمة هو حديث ضعيف

أ — اذا ذلت العرب ذل الاسلام — رواه ابو يعلى في مسنده قال العراقي في رسالته في فضل العرب هو حديث صحيح قال المناوي وفيه ما فيه

ب — بعثت لاتمم صلاح الاخلاق — رواه الحاكم والبيهقي وهو ضعيف

ح — حب العرب ايمان وبغضهم نفاق — اخرجه الحاكم في المستدرك وهو حديث ضعيف

ح — حب العرب ايمان وبغضهم كفر فمن احب العرب فقد احبني ومن ابغض العرب فقد ابغضني — هو اشد ضعفا من الذي قبله

التآليف المولدية

ذكر بعض ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف
من الكتب وبيان اخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها

بقلم العلامة الذائع الصيت الشيخ محمد عبد الحي الكتاني الشريف

— ٢ —

حرف الذال

« الذكر الشريف » في اثبات المولد المنيف للعالم العارف المرشد الكبير الشيخ احمد سعيد ابن الشيخ ابي سعيد العمدي المجدح الدهلوي المتوفى عام ١٢٧٧ ومن رسالة الفها في مشروعية الاجتماع والاحتفال للمولد الشريف والقيام عند الوصول لذكر الولادة النبوية لم اقف عليها انما ذكرها له ولده الشيخ محمد فظهر في حياة ابيه

حرف الراء

« الرفاعي » هو السيد محمد بن احمد الرفاعي المدني له مولد منظوم اوله

حمدا لمن من نوره قد اظهرا   نورا منيرا للمظاهر مظهرا

ويقول اثناء الخطبة :

هذا بفضل الله عقد مفرد   في مولد الهادي يفوق الجوهرا
واجزم بنيل مقاصد في مجلس   يتلى به هذا فكن مستحضرا

ط — طلب العلم فريضة على كل مسلم — حديث ضعيف

م — من تشبه بقوم فهو منهم — رواه احمد والطبراني وهو حديث ضعيف

م — من كان يحسن ان يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فانه يورث النفاق — رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح وانكره الذهبي

ص — الصلاة تبؤس وتمسكن — لا يعرف اصله

ق — قدموا قريشيا ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعالموها اولا تعلموها ولولا ان تبطر قريش لاخبرتها ما لخيارها عند الله — اخرجه جماعة باسانيد كلها ضعيفة

ي — يا جابر اول خلق الله نور نبيك حديث طويل وهو حديث منكر يتردد حاله بين الضعف والوضع

محمد الطاهر ابن عاشور

يا فوز من يفدونه بنفوسهم وعيالهم طوبى لمن قد عطرا

وهو نظم مستوفى موجود في المكتبة الكتانية

« الرفاعي » هو اشهر مشاهير علماء العرب في الاستانة العلية في دورها الاسلامي الاخير السيد محمد أبو الهدى بن حسن الرفاعي الحلبي المتوفى بالاستانة عام ١٣٢٧ . له مولد منظوم سماه آداب العرفان في مولد سيد ولد عدنان طالعته :

نحمد الله لدى بدء الكلام وعلى خير الورى ازكى السلام

اتم نظمه عام ١٣٠٢ طبع بمطبعة البلاغة بطرابلس الشام ارويه عن مؤلفه مكاتبة والنسخة التي ارسل الي من الاستانة موجودة بالمكتبة الكتانية الى الآن

« الرياحي » هو عالم الديار التونسية ابو اسحاق ابراهيم بن عبد القادر الرياحي المالكي التونسي المتوفى بها عام ١٢٦٦ له مولد لطيف صغير الجرم لخصه من مولد الشيخ مصطفى البكري المصري عام ١٢٥٧ وهو المولد الذي يقرا بحضرة ملوكها الى الآن في المحفل الرسمي وهو اول من قرأ المولد في جامع الزيتونة . اول المولد المذكور الحمد لله الذي لم يترك الخلق سدى فارسل المرسلين رحمة وهدى وقد ساق نصه الاصلي حفيده في تعطير النواحي مصدرا به جزءه الثاني عن خط مصنفه قال بخلاف المستعمل الآن فان فيه التصرف والاختصار ويتصل اسنادنا بابي اسحاق الرياحي عن آخر تلاميذه في افريقية القاضي السيد محمد الطيب النيفر وابي النجاة سالم بوحاجب كلاهما عنه

« رسالة العلامة الشيخ محمد بيرم » الخامس التونسي دفين مصر في احكام الاشراف وولائهم وتعظيمهم وتكريمهم وما يتعلق بهم من الاحكام المجهولة عند اكثر الناس وما ينبغي ان يعمل لحفظ النسب) وجعل الانسب ان يتلا في حفلة المولد الكريم رسالته هذه المشتملة على ما ذكر قائلا آخرها فلنقم اجلالا لهذا النبيء الكريم الذي بلغنا الى هذا الفضل العظيم ومن رسالة له نفيسة طبعت بمصر عام ١٣٠٢ في ١٤ ص)

حرف الطاء

« طيب المولد » قال محدث الحجاز الشمس محمد علي ابن علان المكي « في مولده » ولد صلى الله عليه وسلم بمكة ومحل مولده منها معروف فتواتر عند اهلها خلفا عن سلف يذهب الانام اليه كل عام ليلة المولد ويحتفل به فيها اعظم احتفال ويزار سائر ايام العام من الخاص والعام وقد الفت فيه جزءا سميته طيب المولد انتهى ولم اقف عليه

حرف الكاف

« الكتاني » خالنا عالم فقهاء المغرب ابو المواهب جعفر بن ادريس الكتاني الفاسي المتوفى

بفاس عام ١٣٢٣ ودفن ضجيعا لعالم افريقية دراس بن اسماعيل له مولد سمعناه من لفظه ومما حفظته عن لفظه رحمه الله من مولده هذا ان شيخ الاسلام بالمغرب وفخره ابا عبد الله محمد ابن ابي بكر الدلائي كان يحتفل للمولد النبوي غاية الاحتفال وكان ياتيه الناس لحضور احتفاله بزاويته من حواضر البلاد وبواديها ما بين شرفاء وعلماء واولياء وشعراء واغنياء وفقراء وسوقة ورؤساء وكان يطعمهم بالاطعمة المنوعة على طبقاتهم بما لا يعهد مثله عند غيره في زاوية من زوايا المغرب وانما يكون ذلك عند اعاظم الملوك وكان يرفع اليه الشعراء الامداح النبوية فتقرأ بين يديه ويجيزهم عليها بالجوائز السنية وحكي ان رجلا اديبا اتى اليه في الموسم الشريف بقصيدتين احداهما في مدح المولود فيه عليه السلام والاخرى في مدح الشيخ فلما انقضى الموسم اخرج له الشيخ صرة فيها مائة دينار في يده اليمنى وفي اليسرى فلس واحد وقال له هذه المائة دينار جائزة مدح النبيء صلى الله عليه وسلم وهذا الفلس على مدح محمد ابن ابي بكر وبعد موت الحال بمدة وجدت هذه القصة مبسوطة في البذور الضاوية في تاريخ الزاوية الدلائية في الفرع الخامس الذي عقده لاحتفال الزاوية بالمولد مما لم يكن لغيرها من عالم او ولي

« الكتاني » ولده العلامة المؤرخ الصوفي شامة العصر ابو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني صاحب سلوة الانفاس المتوفى بفاس عام ١٣٤٥ له مولد طبع بفاس مرارا وله مولد آخر سماه اليمن والاسعاد بمولد خير العباد اوله الحمد لله الذي شرف هذا الوجود بميلاد اكرم نبي واعز مولود وقد طبع في الرباط (في ص ٥٩ وهو مولد حميد مملوء نقلا وفوائد وامتع من مولده الاول)

« الكتاني » شقيقنا نادرة الاعصار والامصار ابو الفيض محمد ابن الشيخ ابي المكارم عبد الكبير الكتاني الفاسي المتوفى عام ١٣٢٧ له مولد قديم الفه على منهاج الموالد المعروفة وله مولد آخر جديد الفه على لسان اهل الوجدان وهو مطبوع بفاس

« الكتاني » جامع هذه الشذرة محمد عبد الحي الكتاني له مولد هو اول مؤلفاته لم يخرج الى الآن يسر الله تحريره ونشره

« الكتاني » ابن خالنا الفقيه المدرس الخطيب ابو عبد الله محمد الطاهر بن الحسن الكتاني المتوفى عام ١٣٤٩ بفاس له مولد قرأه علينا مرارا

« الكازروني » هو « الامام » سعيد الدين محمد ابن مسعود الكازروني له المولد الشريف ذكره استاذه محدث اليمن السيد بكر بن عمر الاهدل بثبته قائلا واما المولد الشريف للامام سعيد الدين الكازروني فاجازني به السيد أبو بكر بن علي البطاح الاهدل قال اخبرني به شيخنا الامام الطاهر ابن الحسن الاهدل قال اخبرني به الحافظ ابن الربيع قال اخبرني به الحافظ زين الدين الشرفي

الفتاوى والاحكام

وردت على ادارة المجلة عـدة اسئلة وهـا نحن نثبتها مع اجـوبـتها

سـؤال

ما قولكم رضي الله عنكم فيمن وقع منه مع زوجته مشاجرة آلت الى شدة الغضب فاوقع عليها الثلاث في كلمة واحدة مع انه لا قدرة له على التزوج بغيرها وله ابناء منها هل يلزمه الثلاث مراعاة للفظ والقصد اويلزمه طلقة واحدة لكونه اوقعه في مجلس واحد بلفظ واحد ولان ظاهر الآية يقتضي تفريق الطلاق بالزمان والمكان او تراعى العلل المتقدمة ومن اجلها يقع العدول عن المشهور حسبما افتى بذلك بعض من تصدى للفتيا باحدى قرى عملنا واوقع طائفة من الجهلة بفتواه في فتنة وبلاء وفتح بابا يعسر سده على العقلاء وصار كل من يصدر منه ذلك اليمين يؤم تلك الدار فتجدهم يتهافتون عليه تهافت الفراش على النار ويعضد فتواه باقوال يعزوها الى العلماء كاصبغ ابن الحباب وعدي ابن ارطاة وابن اسحاق صاحب كتاب السيرة النبوية وعلي بن موسى صاحب كتاب الغندوز في الصناعة وابن الجوزي ثم يقول : وحكم به ابو بكر الصديق رضي الله عنه مدة خلافته وحكم به عمر ابن

عن القاضي تقي الدين الفاسي عن العلامة محمد بن محمد بن مسعود الكازروني قال اخبرني به والدي الحافظ سعيد الدين محمد ابن مسعود الكازروني

« ابن كثير » هو (الامام) الحافظ (ابو الفداء) اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي صاحب التفسير والتاريخ من كبار اصحاب الحافظ ابن تيمية الحنبلي المتوفى سنة ٧٧٤ له مولد نقل عنه ابن علان المكي في مولده وهذا من العجائب كون اصحاب ابن تيمية يدلون بدلوهم مع اصحاب المواليد ولا عجب

« ابن كيران » هو الفقيه المدرس ابو محمد الطيب ابن ابي بكر ابن شيخ الجماعة بفاس ابي محمد الشيخ الطيب ابن كيران الفاسي المتوفى بفاس ١٣١٤ له مولد منشور . في المكتبة الكتانية قطعة منه

« الكوكب الانور » على عقد الجوهر في مولد النبي الازهر للسيد جعفر البرزنجي تقدم في حرف الباء

« كنز الراغبين العصاة في المولد المحمدي والوفاة للشيخ محمد الشامي . الدمشقي . موجودة منه نسخة من مجموع في مكتبة المجلس البلدي بالاسكندرية (د) محمد عبد الحي الكتاني

الخطاب رضي الله عنه سنتين من خلافته فلما اكثر الناس من ذلك جعلها عمر ثلاثا تنكيلا بهم لعلهم يتوبون . ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم به لبعض اصحابه المسمى بركانة وامره بترجيعها فهل ما قرر وسطر له صبغة في المذهب ويعتمد عليه في الفتوى او يلغى بينوا لنا بذلك بيانا شافيا يستضاء بنوره ويهتدى بهديه فانتم الملجأ لحل المشكلات وعليكم المعول في كشف المعضلات والسلام من معظم قدركم محمد الترمذي بن عبد الوهاب الماجري

الجـواب

ان الذي اتفق عليه ايمة المذاهب التي تقلدتها الامة ان طلاق الثلاث في كلمة واحدة يلزم منه البتات كما يلزم من وقوع الطلاق ثالثا عقب تطليقتين استنادا الى ما استقر عليه قضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستمر عليه عمل الخلفاء بعده وقضاة العدل واجمع عليه من يعتد بهم من اهل العلم ولا التفات الى قول من شذ من العلماء فقال بخلاف ذلك مثل ابن وضاح وابن زنباع ومحمد بن بقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني واصبغ بن الحباب وابن مغيث من فقهاء المالكية بالاندلس بله الذين لا يعدون في عداد الفقهاء مثل ابن اسحاق وابن موسى وابن الجوزي ودليل هذا من القرآن قوله تعلى عقب ذكر الطلاق والعدة « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » ومن السنة الصحيحة ظاهر حديث عويمر العجلاني انه لما فرغ من ملاعنة امرأته بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقها ثلاثا في كلمة واحدة ولم يامره بذلك رسول الله فحرمت عليه بذلك ولم يثبت من قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعارض هذا ولا يظن بعمر بن الخطاب ان يأخذ بشيء ثبت خلافه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما ما ينقل من قضاء ابي بكر رضي الله عنه ومن قضاء عمر في صدر خلافته بجعل ذلك طلقة واحدة فذلك من الاجتهاد وقد ظهر اجتهاد أرجح منه اشار اليه عمر بقوله ارى الناس قد استعجلوا في امر كانت لهم فيه أناة فارى ان نحملهم ما حملوه انفسهم وليس قصد عمر بذلك التاديب كما يتوهمه بعض الضعفاء اذ التاديب لا يكون بقطع العصمة المعتبرة شرعا واذا كان العلماء قد انكروا العقوبة بالمال القابل للنقل فكيف يظن بهم ان يعاقبوا بتطليق الزوجات والعصمة لا تقبل النقل ومن الناس الذين يخوضون في ذلك من يقولون ان ما قضى به عمر غير موجود في القرآن يظن ان عدم وجوده في القرآن يوجب الغاءه وهذا خطا لان ادلة الدين غير منحصرة في القرآن فالقرآن ذكر صنفا من طلاق الثلاث وهو الغالب والاجتهاد الحق به صنفا آخر وقد انعقد اجماع علماء الامة على الاخذ بما رءاه عمر فصار من الاجماع المستند لدليل اجتهادي راجح على دليل الاجتهاد الذي سبقه وبذلك اخذ ايمة المذاهب الاربعة التي دونت ورويت وتدارسها العلماء وتلقتها الامة بالقبول واقتصر على اتباعها اهل السنة في سائر اقطار الاسلام.

فكل عن يستفتي عالما اليوم فانما يريد من استفتائه ان يخبره بقول امامه الذي قلده فالمالكي مثلا انما يسأل عن مذهب مالك الذي اتبعه لانه لا يجوز له العمل بغيره الا عند الضرورة اي عند ما يكون قول امامه في المسألة النازلة به فيه شدة فحينئذ يجوز له تقليد مذهب ءاخر في تلك الجزءية من المذاهب المعروفة المعتبرة وهذه نكتة يهملها كثير من الذين يتصدون للفتوى فيحسبون الناس اذا سألوهم انهم يسألونهم عن اميالهم وينسون انهم انما يسالونهم عن مذاهبهم التي يقلدونها. وهذا كله مبني على ما رجحه العلماء من انه يجب على العامي التزام مذهب معين وبذلك عملت الامة منذ قرون طويلة فلا تجد مسلما الا وهو مقلد مذهبا ينسب نفسه اليه ثم اذا التزمه لا يجوز الخروج عنه لانه تلاعب بالدين وميل مع الهوى والشهوة الا اذا نزلت به ضرورة فيجوز الانتقال في تلك الجزءية بناء على قاعدة ان المشقة تجلب التيسير تلك القاعدة الماخوذة من استقراء الرخص الشرعية اما الرجل الذي ذكر السائل انه افتى الناس بعدم لزوم البتة من طلاق الثلاث في كلمة فقد افتى بخلاف المذاهب الاربعة وهو جاهل بشروط الفتوى فلا يعمل بفتواه ويجب على اهل العلم تنبيه الناس على خطاه لئلا يغتروا به وحق على حكام المسلمين زجره وتاديبه لجهله بقدره وتجاوز طوره فانه اذ استنسر البغاث افسد في الارض وعاث .

(٢) السؤال

وبعد فقد تقرر ان الحبس قربة بيد اننا نرى اناسا بل غالب الامة يحبسون ريعهم وعقارهم على الاولاد اي اولادهم الذكور دون بناتهم وقد قال ابو الضياء خليل رحمه الله عاطفا على المبطلات او على بنيه دون بناته وعمل الناس على خلافه والحال ان خليلا اقتصر في مختصره على ما به الفتوى فهل تلك الاحباس التي من هذا القبيل باطلة كما ذكر خليل اوما مشى عليه خليل ضعيف. ازالة القناع والسلام من التهامي عزيز — قرقنة

الجواب

ان المروي عن مالك رحمه الله في تحبيس المحبس على بنيه دون بناته روايتان: الاولى رواية ابن القاسم عنه في العتبية ان ذلك مبطل للحبس، الثانية رواية علي بن زياد عنه ان ذلك مكروه ففسرت الكراهة بمعنى ما يثاب على تركه ولا يعاقب على فعله وهذا هو الذي اختاره اللخمي وشهره عياض . وفسرت بمعنى التحريم فيكون ذلك حراما ولكنه يمضي بعد الوقوع وقريب من هذا التفسير مروي عن ابن القاسم انه رأي له . ولم ينقل سحنون في المدونة شيئا في ذلك عن ابن القاسم ولا عن مالك ولكن سحنونا روى فيها عن ابن وهب كلاما في هذه المسالة لم يجزم فيه بشيء وقد

جرى العمل قديما وحديثا برواية علي بن زياد لترجيح اللخمي وعياض اياها ولانها جارية على حكم تخصيص بعض الاولاد بالعطية وفيه خلاف اشرنا اليه في جواب لنا في الجزء الثامن من المجلة الزيتونية باختصار انظر صفحة ٣٨٧ وقد اشار الى هذا العمل السجلماسي في نظمه في العمل العام بقوله

وبنفوذ حبس ان نزلا على البنين لا البنات عملا

اما قول خليل في مختصره عاطفا على المبطلات « او على بنيه دون بناته » فقد درج فيه على رواية ابن القاسم في العتبية وقد اعترضه الشراح بانه ما كان له ان يعتمد عليه وانا اعتذر لخليل بما في جلبه هنا تطويل . واما قول خليل في مختصره مبينا لما به الفتوى فمعناه انه يبين ما الشان ان تكون به الفتوى اي في نظره على انه قد جرى في مواضع كثيرة على خلاف ما به الفتوى والكمال لله

(٣) السؤال

هل استخلاص اموال الدولة على الحيوان يطرح منه الزكاة المفروضة شرعا والسلام من منور الكنزاري

الجواب

قد ذكرت في الفتوى التي نشرت بعدد ٩٢٢١ من جريدة الزهرة وفي جريدة النهضة ان ذلك الاداء يجوز ان يحسبه المزكي من زكاته على الانعام

(٤) السؤال

اما بعد فمنذ يومين اتصلت برسالة من احد اعيان صفاقس يطلب فيها بيان حكم الله في بيع حشيشة الدخان لانه لا يريد ان يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه وعليه فالمرجو من حضرتكم بيان الحكم في ذلك مع زيادة بيان حكم مستعمل تلك الحشيشة ولكم الشكر التام والتحية الخالصة والسلام من ابنكم حسن الشعبوني

الجواب

اعلم ان حشيشة الدخان المسماة بالتبغ وبالتنباك هي طاهرة ولا تؤثر في العقل فيجوز التدخين بها في الفم ومن قال بتحريم التدخين بها فقد أخطأ واشتبه عليه الحال ولذلك لا يلتفت الى قوله لا يمنع بيعها ولا التجارة فيها ولا غرسها واما الحشيشة المسماة بالتكروري فالتدخين بها في الفم حرام وكذا تناولها بالاكل لان ذلك يخدر العقل ويفسده والمخدرات والمفسدات جميعها حرام على ما صرح به الشهاب القرافي في الفرق الاربعين وعليه فبيعها حرام لانها لا تقصد الا للتخدير

(٥) السؤال

التجار يبيعون الزيت بالتفصيل وفي اثناء اخذه من اناء البائع الى اناء المشتري جرت العادة

باستعمال مصب يعرف « بالقمع يوضع على الاناء المنقول اليه وبالضرورة تتعلق كمية قليلة من الزيت بآلة الصب وهو – القمع – بعد التاني والاحتياط وهي من حقوق المشتري لكنها ترجع للبائع لتعلقها بمصبه ووجود الكلفة في انتظار زوالها فهل تحل لهذا الاخير لكونه لم يتعمد استرجاعها ام كيف الحال ننتظر جوابكم الكافي ولكم الشكر وجزاءكم على الله

الجواب

ان المقدار من الزيت الذي يتعلق بالمصب عند صبه من اناء البائع الى اناء المشتري امر طفيف معفو عنه لدخول الناس على التسامح في ذلك افتى بجميع ذلك محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

(٦) السؤال

مكان بيع من زمن بعيد والشائع عنه الان انه كان حبسا وانتقل بالبيع مرات ومنذ خرج عنه بائعه الاول لم يظهر رسم تحبيسه فهل ان مجرد تلك الاشاعة يقوم مقام نص الحبس وهل يأثم المشتري اذا هو اشترى ذلك المكان وخصوصا اذا كان بيد اجنبي واراد مسلم ان يشتريه

الجواب

ان شيوع الحبسية لا يقوم مقام رسم الحبس والمشتري لذلك المكان لا يأثم اذا لم يكن عالما بالحبسية اما كون الشيوع لا يقوم مقام رسم الحبس فوجهه حصول الشك في صدق مقتضاه وصحته لجهالة مصدره وابهام نشأته والتردد فيما طرأ على الحبسية من معاوضة او حكم بفساد والشك لا ينهض للاعتماد عليه ولهذا ذهب الفقهاء الى اهمال ما يلفى في طرر الكتب او اوائلها من كتابة كلمات تفيد وقفيتها وقطعوا بعدم ثبوت الوقفية بذلك – واما عدم تاثيم المشتري لذلك المكان فوجهه ان التاثيم لا يكون الا مع تحقق الحظر وليس هنا ما يعدو دائرة الشك لكن من الورع التجافي عن شراء هذا المكان فان الورع ان يدع الانسان ما لا باس به خيفة ان يقع فيما فيه باس

(٧) السؤال

ان معظم الفلاحين اليوم بل اكثرهم من الفلاحين الكبار يتعاملون من صندوق الاعانة الدولية للفلاحين الكبار بفائض قدره سبعة في المائة ويشترطون عليهم شيئا آخر وهو انه لا يسوغ له التعامل الا اذا التزم بالسيكورتاه وهو الضمان عندهم من الجوائح السماوية فهل يسوغ ويجوز شرعا للفلاح أن يتعامل من الصندوق بالفائض المذكور مع السيكورتاه التي تضمن له الجوائح السماوية كحجر وغيره وكذلك الحرق على ان يدفع مالا في مقابلة ذلك فكيف الحكم في الفائض في الصورة الاولى وكذلك المدفوع الى دار السيكورتاه فهل يسوغ ويجوز شرعا للفلاح الاقدام على الامرين او لا يجوز ويمنع

شرعا والحال ان الفلاحين اليوم في بؤس وشقاء ليس عندهم ما يباع ولا يشترى لبذر اراضيهم المهيئة ولا باب يتعامل منه معاملة شرعية والحال ان عليهم مطالب وديون كثيرة وليس لهم بـاب يطرقونه سوى الفلاحة . وتعسر الامر

الجواب

يمنع التعامل بالفائض سواء أكان قليلا ام كثيرا لآية الربا وليس عجز الفـلاح عن بذر ارضه مبيحا له الاقتراض بالفائض وينـبغي للعاجز عجزا ماليا عن الاشتغلال بالفلاحة ان يشترك مع غيره فيها على طريق المزارعة او يكري لغيره الارض او يبيع شيئا من ارضه لتعمير ما بقي له

ولا يجوز دفع مال في مقابلة ضمان الجوائح الامر المعبر عنه بالسيكورتاه لانه من وادي القمار واكل المال بالباطل لتردد الامر بين سلامة المضمون فيخسر دافع المـال وبين عطبه فيربح وتخسر الشركات وما هذا سبيله محض قمار وعقود المعاوضات يشترط في صحتها السلامـة من الغرر والجهالة وهي قاعدة قطعية مستقراة من جزئيات كثيرة مبثوثة في الشريعة

(٨) السؤال

ما هو حكم الصدقـة عن الميت من طرف ورثته وهل ما يفعلـه الناس من قـراءة قرآن ويدفعون عن ذلك اجرة الى القراء ويسمى هذا ختما او ما يفعلونه من تسبيح وتهليل مائة الف مرة ويطعمون الناس ويعطونهم اجرهم (اعني القراء) ويسمون هذه الفية الى غير ذلك من الصدقات المختلفة الانـواع فهل هذه الاعمال يذهب ثوابها الى الميت ام لا وما نفعل في قوله تعلى وان ليس للانسان الا ما سعى

الجواب

ان الصدقة عن الميت عند جمهور العلماء صحيحة نافعة للميت لحديث عائشة ان رجـلا اتى النبيء صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امي افتلتت نفسها ولم توص واظنها لو تكلمت تصدقت افلها اجر ان تصدقت عنها قال نعم وحكى ابن بزيزة عن قوم شذوا فقالوا لا يصل ثواب الصدقـة الى الميت والحديث حجة عليهم واما قرآة القرءان والتسبيح والتهليل وغير ذلك من عمل الابدان فمورد اختلاف بين العلماء داخل المذهب المالكي وخارجه فمشهور مذهبي مالك والشافعي انه لايصل نفعها الى الميت لقوله تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعى) ومذهب الامام احمد وهو مختار جماعة من المالكية والشافعية ان ثوابها يصل قياسا على الصدقة بالمال ولحديث من مات وعليه صـوم صام عنه وليه ولحديث الخثعمية القائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي

شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة أفا حج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع ويستخلص مما ذكرنا ان آية وان ليس للانسان الا ما سعى مخصصة اما بالصدقة خاصة او بها وبغيرها من الاعمال البدنية النافعة للميت وتخصيص القرآن بالنسة جائز عند الجمهور وبالقياس جائز عند جماع كما هو مبسوط في علم الاصول وقد بسط البناني في حاشية الزرقاني عند قول خليل (وعلى قبره) من باب الجنائز المسألة فقال قال في التوضيح المذهب ان القراءة لا تصل الى الميت. حكاه القرافي في قواعده والشيخ ابن ابي جمرة وفيها ثلاثة اقوال تصل مطلقا لا تصل مطلقا الثالث ان كانت عند القبر وصلت وفي موضع غيره لم تصل قال في المسائل الملقوطة ويعني بكونها في موضع القبر تصل.. انه يحصل له اجر مستمع وفي آخر نوازل ابن رشد وان قرأ الرجل واهدى ثواب قراءته للميت جاز ذلك وحصل للميت اجره اه وقال ابن هلال في نوازله.. الذي افتى به ابن رشد وذهب اليه غير واحد من المشائخ الاندلسيين ان الميت ينتفع بقراءة القرآن الكريم ويصل اليه نفعه ويحصل له اجره اذا وهب القاري قراءته له وبه جرى عمل المسلمين شرقا وغربا ووقفوا على ذلك اوقافا واستمر عليه الامر منذ ازمنة سابقة اه واطال الرهوني في حواشي الزرقاني الكلام على المسالة ونقل عن ابن ابي زيد "الفاسي انه راى جوابا لعبد الله الورياجلي من جملة ما يتضمنه انّ الاجارة على القراءة لا تجوز وذلك جرحة في اكلها الا ان يقرأ القاري على وجه التطوع ويعطيه ولي الميت على وجه الصلة والعطية لا على وجه الاجارة قال ابو زيد الفاسي وما ذكره من منع الاجارة لعله مبني على عدم النفع كما حكاه عن معروف مذهب مالك وفي جواب للغبريني الميت ينتفع بقراءة القرآن هذا هو الصحيح والخلاف فيه مشهور والاجرة عليه جائزة اه ما نقله الرهوني وفي شرح الابي في حديث الصدقة عن الميت ما نصه هذه الاوقاف والتحابيس على القراءة على الغير على القول بالانتقال الامر فيها واضح واما على عدم الانتقال فثواب القراءة الحرف بعشر للقاري وللمحبس ثواب اعانته والتسبب في ذلك لان المعين على الخير كفاعله اه افتى بجميع ذلك عبده محمد العزيز جعيط المفتي المالكي اخذ الله بيده

(٩) سؤال

رجل وجد امه وزوجته في حال مشاجرة ولم يدر الظالمة منهما فصدر منه ظاهرا وعلى سبيل الوعد فقط تطييبا لخاطر والدته قوله لها (والله تبدا مطلقة) معتقدا عدم لزوم الطلاق له لانه لم ينوه باللفظ المذكور ومتعمدا الدخول على يمين غموس لانه كاذب في قوله ثم قال لزوجته (روحي باتي ليلة وارجعي) وبعث معها اخته تأكيداً للرجوع فكان الامر كذلك ذهبت ورجعت وادى الكفارة لحلفه كاذبا وذلك منذ احدى وعشرين سنة لاعتقاده انه لا يلزمه غير الكفارة المذكورة وفي هذه الايام اجتمع هذا الرجل وكان من طلبة العلم بطالب آخر وجر الحديث بينهما الى مسألة

المؤاخذة بالنية فقال له الطالب الآخر ألم تعلم ان الطلاق الصريح يلزم ولو بدون نية فأخذ صاحب الواقعة يسأل العلماء هنا (اي في جربة) فمنهم من قال انه الطلاق وقع ويلزمك الرجعة ومنهم من قال لا يلزمك شيء والآن رفع سؤاله اليكم وهو مشفق من عدم لحوق ذريتـه بنسبه ممن تزايد له بعد حلفه فماذا تقولون في جوابه بارك الله لنا فيكم .

الجواب الهمنا الله للصواب

انه لا خفاء ان الفاظ الطلاق وصيغه تحمل على ما يراد بها في عرف الحالف كما ذلك منصوص لغير واحد فان كان اللفظ محتملا فالاعتماد على نية الحالف وعلى القرائن قال العلامة ابن مرزوق فيما نقله عنه صاحب المعيار - ج ٤ - ص ١٠٤ ما نصه ان المدار على القرائن في الالفاظ المحتملة وعلى دلك بنى اللخمي الكلام في هذه الالفاظ مع اعتبار قوة دلالة بعضها حتى التزم في بعضها الطـلاق وانـه لا يصدق في غيره اهـ .

بناء على هذا التمهيد اقول من قال مخاطبا لامه في شان زوجته (والله تبدا مطلقة) قاصدا بذلك وعدها بطلاقها ظاهراً فقط من غير نية ايقاع الطلاق وذلك لتطييب خاطرهـا حيث كانت في حـال شجار مع زوجته ولو انه لم يتبين له الظالمة منهما اقول بناء على ما تقدم لا يخلو حال مقاله هـذا من احتمالات ثلاث .

الاحتمال الاول — ان يكون عرف بلد الحالف استعمال هذه الصيغة وهي (والله تبدا مطلقة) في الوعد بالطلاق لا في ارادة ايقاع الطلاق وعلى هذا الاحتمال لا يلزم الطلاق لان الوعد بالطـلاق لايلزم به الطلاق على المشهور في الوعد انه لا يجب الوفاء به ان لم يدخل الموعود بسبب الوعد في عهدة سواء أكان الوعد بالطلاق معلقـا لما روي عن مالك انه قال (ولو قال لزوجته اذا قدمت من سفري لاطلقنك فليس عليه وليس كالعتق الذي هو لله) وروي مثله عن سحنون او كان غير معلق لما في المدونة قال مالك من قال لامراته والله لا طلقنك فيلس بمول ولا يمنـع من الوطء فان شاء طلق فبر وان لم يطلق لم يحنث الا بموته او موتها ولا يجبر على الكفارة اهـ وروي عن ابن القاسم (ان من قـال لله علي ان أطلقك فلا شيء عليه لان نذره الطلاق ليس عليه الوفاء به وقـد بسط مسالة عـدم لـزوم الطلاق بالوعد به (وهو ما استظهره ابن عرفه) المحقق ابو عبد الله بن مرزوق في تحرير له ضاف انتصر فيه (لشيخه ابن عرفه في استظهاره المذكور حسبما ذلك مبسوط في كتاب المعيار للعلامة الونشريسي - ج ٤ ص ١٠٢

الاحتمال الثاني — ان تكون عادة بلد الحالف ارادة تنجيز الطلاق بقول الزوج (والله تبـدا مطلقة) ولكن الحالف خالف ما تعارفوه واراد به مجرد الوعد ولم ينوبه ايقاع الطلاق حسبما جزم

به في سؤاله وعلى هذا الاحتمال يتردد في لزوم الطلاق له وعدم لزومه وبيان ذلك ان صريح الطلاق وان نص ايمتنا على لزوم الطلاق به ولو لم ينو به الحالف الطلاق وذلك إن قصد التلفظ به لكن ذلك يتصور بصورتين لان المتلفظ بصريح الطلاق قصدا من غير نية ايقاع الطلاق تارة لا تكون له نية حين نطقه به لا في طلاق ولا في غيره وهذا يلزمه الطلاق اتفاقا وتارة تكون له نية غير ايقاع الطلاق كما في واقعة الحال فانه نوى الوعد بالطلاق لا الطلاق وفي هذه الصورة الآخيرة طريقتان - الاولى - طريقة المدونة لزوم الطلاق له في الفتوى والقضاء ففي ابن يونس ما نصه ومن المدونه قلت لابن القاسم فيمن قال لزوجته انت طالق وقال نويت من وثاق ولم ارد الطلاق ولا بينة عليه وجاء مستفتيا قال الطلاق يلزمه وقد قال مالك رضي الله عنه فيمن قال لزوجته كلاما مبتدأ انت برية ولم ينو به الطلاق فهي طالق ولا ينفعه ما اراد بذلك بقلبه فكذلك مسألتك اه وهذه الطريقة صوبها العلامة بناني في حاشيته على عبد الباقي عند قول خ (وصدق في نفيه ان دل بساط على العد او كانت موثقة فقالت اطلقني وان لم تساله فتاويلان) قائلا كيف يعدل عن كلامها مع تسليم الشيوخ له اه ويعني بالشيوخ ابن يونس واللخمي وعياض وابن الحاجب وابن عبد السلام وابن عرفة وغيرهم.

الثانية - طريقة القرافي نقلها عنه عبد الباقي عند شرحه لعبارة خ الآنفة قال القرافي الزام الطلاق فيها (اي مسألة المدونة التي سئل عنها ابن القاسم لو قيل انه خلاف الاجماع لم يبعد لانه نظير من طلق امرأته فقيل له ما صنعت فقال هي طالق واراد الاخبار فقال ابو الطاهر لا يلزمه في الفتوى اجماعا ثم قال راي القرافي ينبغي ان تحمل مسألة الوثاق على اللزوم في القضاء دون الفتوى اه وهاته الطريقة اعتمدها من المتاخرين الشيخ علي الاجهوري ومن تبعه وبمقتضاها قيد التاويلين في عبارة خ السابقة واعتمد الشيخ مصطفى الرماصي كلام القرافي ومال الى تقييد الشيخ الاجهوري كلام خ اما المحقق بناني فصوب طريقة المدونة المتقدمة وجعل كلام القرافي مما يؤخذ تفقها لا فقها كما يقولون

لكن يلوح ان طريقة القرافي هذه تعضدها فتاو عدة لجلة من شيوخ المذهب المالكي

فمنها ما ذكره صاحب المعيار ج ٤ ص ٧٥ عن فتوى الشيخ ابي محمد عبد الله العبدوسي فيمن الحت عليه احدى زوجتيه ان يطلق ضرتها فاستحفظ على ذلك للشهود بانه مهما طلق زوجه فلانة باي طلاق كان او حرمها باي تحريم كان فانه غير ملتزم لذلك وانه مبطله ثم طلق زوجه المستحفظ في شانها وحرمها بناء على طلب زوجته الاخرى منه ذلك فهل له مراجعتها لاجل الاستحفاظ المذكور ام لا فاجاب بانه لا يلزمه تحريمها لاجل استرعائه وهي باقية في عصمته ولا يقال هل له مراجعتها لانها لم تخرج عن عصمته وهذا اذا لم يقصد الى تحريمها حالة تحريمها لفظا دون نية اه

ومنها ما ذكره صاحب المعيار ايضا ج ٤ ص ١٠٠ ونصه وسئل (اي ابو سعيد فرج بن قاسم بن لب) عمن قال الطلاق ولم ينو التزامه فاجاب لا يلزمه شيء اتفاقا اه

ومنها ما ذكره ايضاح ج ٤ ص ١٩٣ وسئل (يعني ابا عبد الله المواق) عن رجل كان يتحدث مع رجل آخر فقال له طلق امراتك فقال له في جوابه (تراها بحال مطلقة) هل يلزمه طلاق ام لا فاجاب ان كان الرجل خاف من الطلاق فقال له في جوابه (تراها بحال مطلقة) لم يلزمه شيء اذ لم يقصد بذلك ايقاع الطلاق اه

وازاء هذا الخلاف بناء على هذا الاحتمال فالاحتياط يقتضي اعتبار ما صدر من السائل وهو قوله (والله تبدا مطلقة) طلاقا وبموجبه يراجعها بصداق وولي وشهود بعد استبرائها (واستبراء الحرة كعدتها في مثل هذا) لانه على احتمال الحنث انما تلزمه طلقة قال خ وتلزم واحدة الالنية اكثر

ولا يتوهمن السائل عدم لحوق ذريته بنسبه اثناء هذه المدة على احتمال الحنث بل ان من ولد له فيها لاحق بنسبه قطعا على كل احتمال

في نوازل الشريف العلمي ج ١ ك ١٦ ص ٢ ونقله عنه الشيخ المهدي في نوازله ما نصه مختصرا وسئل سيدي يحيى السراج عن اولاد الحانثين بالطلاق والحرام هل يلحقون بآبائهم او يكونون اولاد الزنى فاجاب انهم يلحقون بآبائهم ويتوارثون وليسوا هم كاولاد الزنى المحض فان اولاد الزنى المحض لا يلحقون بآبائهم ولا يتوارثون اه

ثم نقل اثره من خط ابي العباس احمد بن عرضون ما نصه سئل القوري عمن حلف بالطلاق الثلاث والايمان اللازمة ويحنث ويقيم مع زوجته في الحرام حتى يلد معها الاولاد على تلك الحالة فهل يرثه اولاده ام لا فاجاب الفتيا فيها من شيوخنا المتاخرين لحوق الاولاد وتوريثهم وفي تعليل ذلك من اصله طول لا تسعه هذه البطاقة والله سبحانه اعلم اه

فاذا كان هذا حكم اولاد الحانثين بالحرام والطلاق الثلاث فكيف بالحالف في مسالتنا خصوصا واشهب من ايمتنا يرى صحة الرجعة بمجرد الفعل بدون نية الارتجاع وان كان خلاف المذهب

الاحتمال الثالث — ان يكون قول السائل (والله تبدا مطلقة) لم يجر العرف فيه عند اهل بلد الحالف بارادة ايقاع الطلاق ولا الوعد به بمعنى كون هذه الصيغة محتملة للامرين وعليه فالظاهر عدم لزوم الطلاق لنيته اولا ولقرينة ارادة الوعد بالطلاق دون ارادة الطلاق ثانيا وهذه القرينة هي قوله (والله) اذ القسم يقصد به عربية تحقيق صدق الخبر ولو اراد الطلاق لكانت الجملة انشائية فلا معنى لتأكيدها بالقسم هذا ما تقتضيه قواعد العربية ويوافقه الاستعمال في لغتنا الدارجة فانه لم يعتد الحلف على الانشاءات فلا نسمع زوجا يقول لزوجته (والله انت طالق) ولا بائعا يقول لمن ساومه (والله بعت لك) فقوله (والله تبدا مطلقة) هو بمثابة والله لتكونن مطلقة على معنى الوعد وقد سلف انه لا يلزم هذا مالاح لي في جواب هذا السؤال والله اعلم

(١٠) السؤال

يحتفل هنا (اي في جربة) لفائدة الجمعية الخيرية ولفائدة الفقراء بجعل قصاص (فداوي) يروي للحاضرين ما كان عليه بعض الملوك وما وقع لهم من المعارك الحربية وغير ذلك من الاحاديث المسلية والحكايات المضحكة ويتخذون عند باب المحل الذي فيه الاحتفال بوابالاستخلاص مقدار من المال من الداخلين فهل يصدق على هذا القصاص قوله تعلى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤا اولئك لهم عذاب مبين) وهل يحرم سماعه ام لا

الجواب

ان هذا القصاص اذا كان يروي اقاصيص مكذوبة وهو الواقع من القصاصين (الفداوية) فلا جرم يحرم عليه روايتها كما يحرم على غيره سماعها منه كما لا يخفى

قال في المرشد

يصون سمعه عن المآثم　　كغيبة نميمة زور كذب
لسانه احرى بترك ما جلب

وفي المعنى يقول الشاعر

وسمعك صن عن سماع القبيح　　كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح　　شريك لقائله فانتبه

وقال المثقف العبدي

فسامع السوء شريك له　　ومطعم المأكول كالآكل

اما الآية الكريمه فلا تنطبق على هذا القصاص اذ لم يقصد بما يقص من الاكاذيب الصد عن سبيل الله والاستهزاء بها ولا في فعله ما يتضمنهما ويتضح ذلك بذكر سبب نزول هذه الآية وذلك انها نزلت على ما ذكره العلماء في احد المستهزئين الذين قال الله فيهم (انا كفيناك المستهزئين) وهو النضر ابن الحرث العبدري كان اذا جلس رسول الله مجلسا للناس يحدثهم ويذكرهم ما اصاب من قبلهم قال النضر (هلموا يا معشر قريش فاني احسن منه حديثا) ثم يحدث عن ملوك فارس وكان يعلم احاديثهم ويقول ما احاديث محمد الا اساطير الاولين فنزل فيه في سورة لقمان (ومن الناس من يشتري لهو الحديث الى قوله فبشره بعذاب اليم)

(١١) السؤال

هلك هالك وترك زوجة واما وثلاث اخوات شقائق او لاب كيف يكون تأصيل هذه الفريضة وتصحيحها.

الجواب ان فريضة هذا الهالك من اثني عشر وتعول الى ثلاثة عشر (والعول في اصطلاح الفرضيين الزيادة في السهام والنقص من المقادير) وبيان ذلك ان للزوجة الربع ومقامه اربعة وللام السدس ومقامه ستة وللاخوات الثلثان مقامهما ثلاثة نجد الثلاثة داخلة في الستة فنكتفي بالستة ونسبها للاربعة فيتوافقان بالنصف يضرب نصف احداهما في كامل الاخرى باثني عشر هو اصل المسألة للزوجة الربع ثلاثة وللام السدس اثنان وللاخوات الثلثان ثمانية فعالت الى ثلاثة عشر ويرسم كما بالجدول عدد ١ فنجد

(١)

	١٢	١٣
زوجة	٣	٣
ام	٢	٢
اخت شقيقة	٨	٨
اخت شقيقة		
اخت شقيقة		

نصيب الاخوات الثلاث ثمانية وهي غير منقسمة عليهن ومخالفة لعدد رؤوسهن فتضرب الفريضة في عدد رءوسهن والحاصل تصح منه الفريضة ومن اخذ شيئا في اصل الفريضة يأخذه مضروبا فيما ضربت فيه الفريضة فتكون الفريضة من تسعة وثلاثين حاصلة من ضرب ثلاثة عشر اصل الفريضة في ثلاثة للزوجة ثلاثة مضروبة في ثلاثة بتسعة وللام اثنان مضروبان في ثلاثة بستة وللاخوات اربعة وعشرون حاصلة من ضرب ثمانية في ثلاثة لكل واحدة منهن ثمانية. كما بالجدول عدد ٢

(٢)

	١٢	١٣	٣٩
زوجة	٣	٣	٩
ام	٢	٢	٦
اخت شقيقة	٨	٨	٨
اخت شقيقة			٨
اخت شقيقة			٨

(١٢) السؤال

انسان عليه صلوات فائتة وجهل مقدارها لانه كان تارة يصلي وتارة لا يصلي ودام ذلك منه عدة سنوات والآن اراد قضاءها فكيف يمكن له تقديرها وكيف يقضيها واشغاله كثيرة افيدونا الجواب واجركم على الله

الجواب ان قضاء الصلوات الفائتة واجب قال الله تعلى اقم الصلاة لذكري وفي الحديث الصحيح عن انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من نسي صلاة فايصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وأقم الصلاة لذكري)

ومشهور مذهب المالكية ان قضاءها واجب على نحو ما فاتته من قصر واتمام وسر وجهر وذلك على الفور وهو ظاهر المدونة ومعلوم ان ظاهرها يعتبر عندنا نصا وبناء على هذا فلا يجوز تاخير قضائها الا لعذر كما لا يجوز له التنفل خلافا للقاضي ابي بكر بن العربي الا ما خف من الصلوات المسنونة وفجر يومه وشفعه المتصل بالوتر اما ما كثر من النوافل المرغب فيها كقيام رمضان فلا فان فعل أجر من جهة انه طاعة واثم من جهة ما فيه من تأخير قضاء الفائتة قال عبد الباقي في شرح قول خ ، وجب قضاء فائتة مطلقا) ان قوله (مطلقا) حال من قضاء ومن فائتة اي حال كون القضاء

الوعظ والارشاد

خطبة منبرية في المعاشرة بالمعروف

الحمد لله الذي جعل الرجال قوامين على النساء ، واوجب معاشرتهن بالمعروف ووقايتهن من دواعي الشقاء ، احمده على ان شرع لنا ما فيه صلاحنا بمحض فضله ورحمته ، وجعل كل انسان راعياً ومسؤلا عن رعيته ، واشكره شكرا يخولنا المزيد من نعمته ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، شهادة تنير ارجاء الجنان ، وتثقل يوم الحساب الميزان ، واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث بفاصل الحق وواضح الفرقان ، الجامع لاشتات الاخلاق الفاضلة الحسان ، وصلى الله وسلم عليه وعلى ءاله واصحابه السادة الاعيان ، وكل من تبعهم باحسان ، ايها الناس انَّ الله عهد اليكم بعهود فاوفوا بعهوده ، وحد لكم حدودا

مطلقا في جميع الاوقات ولو المحرمة والمكروهة ثم ذكر انه يستثنى من التعميم في الاوقات وقت يحتاج فيه الى تحصيل معاشه . ابو الحسن . انظر هل درس العلم من ذلك ام لا ومراده بالعلم غير المتعين اما المتعين فينبغي ان يقدم مطلقا كتمريض واشراف قريب ونحوه على الموت فيما يظهر اه .

وقيل يجب قضاء الفائتة على التراخي وقيل يلزمه ان يقضي يومين في يوم وقيل انما يؤمر بتعجيلها خوف معالجة الموت فيجوز تاخيرها لمدة بحيث يغلب على ظنه اداؤها .

اما مقدار الصلوات الفائتة المقضية فيعتمد في تقديره على ظنه فما شك هل فعله يجب عليه قضاؤه .

قال عبد الباقي في شرح قول خ (مطلقا) من عبارته السالفة ما نصه وحال كونها فائتة مطلقا تحقيقا او ظنا او شكا مستندا لعلامة لا لمجرد وهم أو تجويز عقلي ولكنه يتوقى في وقت النهي في المشكوك فيه وجوبا في المحرم وندبا في المكروه وحال كونها اي الفائتة فائتة سهوا باتفاق او عمدا على المعروف اه

فزبدة المخيض في الجواب ان واجب هذا الانسان في قضائه لما فاته من الصلوات التي لم يدر مقدارها ان يطرح ما يتحقق او يظن انه صلاه في ماضي عمره ويقضي ما يظن ويشك في ادائه له وذلك في جميع اوقاته عدا اوقات الضرورات كوقت الاكل والنوم واداء ما افترضه او سنه الله عليه ووقت سعيه لمعاشه ووقت اشتغاله بدراسة العلم هذا مشهور مذهب مالك وهنالك اقوال تقابل المشهور منها ان يقضي صلاة يومين في يوم والله اعلم وبه التوفيق

علي النيفر

المدرس بجامع الزيتونة

فقفوا عند حدوده، ونصبكم رعاة فلا تقصروا في امر الرعايه، واستودعكم ودائع فلا تغفلوا عن النظر اليها بعين العنايه، جعل لكم من انفسكم ازواجا، واوضح لكم في معاملتهن شرعة ومنهاجا، فاوجب الانفاق عليهن بحسب السعة والاقتدار، وامر بمعاشرتهن بالمعروف ونهى عن امساكهن لاجل الضرار، واوكل الى البعولة تاديبهن الادب المصلح فشرع، وعظهن وهجرهن في المضاجع، وضربهن ضربا غير مبرح ونبه رسوله عليه الصلاة والسلام الى ما فيهن من الاعوجاج، وما افقر من خلق من ضلع اعوج الى مهرة في طرق العلاج، وقد شاهدنا في هذه الازمنة الفاسدة ان امر جمهور الازواج مع زوجاتهم بين افراط وتقصير، فانتشر الاختلال وافضى الى فساد شره مستطير، فبعض الازواج قصر في القيام بحقوقهن المعتبرة، واضر بهن ضرراً لا تبيحه الشريعة المطهرة فتراه يتقاعس عن الارتزاق، ويرهق زوجته بجبرها على خدمة اليهود والنصارى ايما ارهاق، لتقوم بامر الانفاق فاذا اظهرت اباء، سامها خسفاً واعتداء فضربها ضرباً موجعاً وشتمها شتماً مقذعاً ولعن ابويها ومن يمت بقرابة اليها وبعضهم يوغل في انواع المكر والخديعة لتتخلى اه زوجته عن ما لها وشوارها فاذا خابت مساعيه تفنن في ايذائها وضرارها فيمنعها من زيارة ابويها، ولا يجيبها لمقترحاتها المباحة مع قدرته عليها، ويتركها في بيتها منفردة اليفة الارق، كثيرة القلق، من شدة الخوف والفرق، ولا يرجع الى محله الا بعد مضي نصف الليل اوجله وربما كلفها عند الرجوع تهيئة عشائه الممزوج بالدموع واغلظ لها في الخطاب، وتسبب في انتحال ما يأتي به من السباب. وبعضهم افرط فيما يظنه احسانا، فلم يقم للاعتدال ميزانا، ولم يمسك زمام المراقبة الموجوبة للعفة والصيانه، والقى الحبل على الغارب حتى ضاعت الامانه، فترك زوجته تجوب الطرقات طرفي النهار وزلفا من الليل، بصفة يندى لها جبين المروءة ويتسع بها مجال الويل، واباح لها غشيان ديار الملاهي، والمنصف من يلقفها بمكامن الدواهي، فمكنها من الاختلاط بالرجال، حتى تكسرت النصال على النصال، ودب الفساد بين الاسر من اثر هذا الاهمال، وتراكمت الاهوال، فالله الله في زوجاتكم لا تبغوا عليهن سبيلا. والينوا لهن القول وابسطوا الوجه وافعلوا معهن جميلا. ولا تكلفوهن امراً ثقيلا، فليس على المرأة اذا كانت ممن يخدمن بانفسهن الا القيام بشؤون الزوج من طبخ طعامه وغسل ثيابه، وعليه ان يطعمها ويكسوها بقدر وجده واكتسابه: ولا يسوغ له جبرها على الاكتساب لتعوله، فان ذلك من واجبات البعولة، وان كانت ممن لا يخدمن بانفسهن فليس عليها الا المراقبة والاشراف، والاحتفاظ على ما جعله تحت تصرفها من الرمي به في فضاء الاسراف، وعلى الازواج حفظ زوجاتهم ومنعهن من التبرج في الطرقات، والخروج متزينات متعطرات، حتى لا يغريهن الشيطان ويغري بهن، ويزين لهن ما لايجول في خواطرهن، لو كن في بيوتهن، فخير المرأة ان لا ترى ولا ترى، وشرهن من لم يزعها الحياء عن التعرض للورى، واذا خرجت فلا تخرج الامسترة

فيما لابد لها منه مما حضوره مباح، ولا تحضر من ذلك ما فيه نوح نائحة او لهو من مزمار او عود او شبهه من الملاهي الملهية الا الدف في النكاح ، وعلى الازواج امرهن باقامة الصلوات وفعل الخيرات وصدهن عن غشيان المنكرات . فبذلك تصلح الاسر وتحفظ من الآفات.

اخرج البخاري في صحيحه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المرأة كالضلع ان اقمتها كسرتها وان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وفي رواية عن ابي هريرة عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤدي جاره واستوصوا بالنساء خيراً فانهن خلقن من ضلع اعوج وان اعوج شيء في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء خيراً ،

واخرج البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال خير نساء ركبن الابل صالحوا نساء قريش احناه على ولد في صغره وارعاه على زوج في ذات يده ،

واخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن زمعة عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال لا يجلد احدكم امرانه جلد العبد ثم يجامعها في ءاخر اليوم واخرج البخاري في صحيحه عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والدخول على النساء فقال رجل من الانصار يا رسول الله افرايت الحمو قال الحمو الموت ،

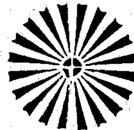
واخرج البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبيء صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة ما ترك غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول تقول المرأة اما ان تطعمني واما ان تطلقني ويقول العبد اطعمني واستعملني ويقول الابن اطعمني الى من تدعني

وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال اذا استاذنكم نساؤكم بالليل الى المسجد فاذنوا لهن قالت عائشة لو ادرك النبيء صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء لمنعهن كما منعت نساء بني اسراءيل ،

ان انفع المواعظ تبشيرا وانذارا، واعمها نفعا واعظمها اعتبارا، كلام من لم يزل عزيزا جبارا، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قوا انفسكم واهليكم نارا ،

محمد العزيز جعيط

خطيب جامع الحلق



اهداء ثواب الاعمال

تعددت اقوال علماء الاسلام في ان الميت هل ينتفع بالقرب التي تهدى له من اخيه الحي ويصله ثوابها ام هي تكون لمهديها خاصة ولا يصل منها شيء للميت وهذا الخلاف بينهم يجرى اولا في اصل الاهداء هل يصل او لا ثم عند من يقول به يجري فيما هي القرب التي يصل ثوابها والقرب التي لا يصل ثوابها على ان هذا الاختلاف ليس هو في حكم شرعي كما قاله الشهاب القرافي في الفرق الثاني والسبعين بعد المائة وانما هو في امر واقع هل هو كذلك ام لا

وقال في فتح القدير وليس الخلاف في ان له ذلك اولا بل الخلاف في انه ينجعل بالجعل اولا بل يلغو جعله

اما القول بعدم وصول الثواب فينسب الى اهل الاعتزال على معنى انهم يقولون ان ثواب العبادات وسائر القرب يكون خاصا بصاحبها ولا ينتفع الميت بشيء من ثواب المهدي فلا يناله ثواب تلك العبادة التي اتى بها المهدي ولا مثل ثوابه اصلا سواء أكانت العبادة مالية كالصدقة او بدنية كالصلاة او ذات شائبتين كالحج محتجين بظاهر قوله تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعى)

وذهب اهل السنة الى وصول ثواب العبادات المالية كالصدقات الى الميت وينتفع بما يهدى اليه كما ينتفع بها صاحبها وقد حكى الامام النووي في شرح مسلم الاتفاق على ان الصدقة عن الميت تنفعه ويصله ثوابها وبين ذلك عند شرحه للحديث الذي اخرجه مسلم عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان رجلا قال يا رسول الله ان امي افتلتت (١) ولم توص واظنها لو تكلمت تصدقت افلها اجر ان تصدقت عنها قال نعم

قال النووي وكذا اتفاقهم على وصول الدعاء وقضاء الدين بالنصوص الواردة في الجميع . وقال في التتارخانية الافضل لمن يتصدق نفلا ان ينوي لجميع المؤمنين والمؤمنات لانها تصل اليهم ولا ينقص من اجره شيء . اهـ

وحكاية النووي الاتفاق تدلنا على ان من خالف من اهل السنة بعد ذلك منه شذوذا وانه ليس من اهل الدراية الذين يعتد بمخالفتهم حتى انه عبر في بعض المواطن بالاجماع على ذلك

وليس منه احضار الطعام لمن جاء لاهل الميت بقصد التعزية كما جاءنا في بعض الاسئلة قال في فتح القدير : يكره اتخاذ الضيافة من الطعام من اهل الميت وهي بدعة مستقبحة روى الامام احمد وابن ماجة

(١) ماتت بغتة

باسناد صحيح عن جرير بن عبد الله قال كنا نعد الاجتماع الى اهل الميت وصنع الطعام من النياحة اه وعدهم ذلك من النياحة صريح في عدم الجواز . وعد في الفتاوى البزازية من المكروهات اتخاذ اهل الميت الطعام في اليوم الاول والثالث وبعد الاسبوع ونقل الطعام الى القبر في المواسم واتخاذ الدعوة لقراءة القرآن وجمع الصلحاء والقراء للختم او لقراءة سورة الانعام او الاخلاص . والحاصل ان اتخاذ الطعام عند قراءة القرآن لاجل الاكل يكره اه و نقل المولى ابن عابدين عن المعراج ان هذه الافعال كلها تتخذ للسمعة والرياء فيحترز عنها لانهم لا يريدون بها وجه الله تعالى اه ومن اراد ان ينفع الميت فليتصدق لوجه الله تعالى ويهدي الثواب للميت . واما اهداء الاقارب الطعام لاهل الميت فندب اليه الشارع قال في الفتح ويستحب لجيران اهل الميت والاقرباء الاباعد تهيئة طعام لهم لقوله صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم ما يشغلهم رواه الترمذي وحسنه واخرجه الحاكم وصححه

واما العبادات ذات الشائبتين كالحج والعمرة فقد قال الحنفية والشافعية والحنابلة ان الميت يصله ثوابها وينتفع به

قال الامام النووي في شرح مسلم يصح الحج عن الميت اذا كان حج الاسلام . يعني حج الفرض . وكذا اذا اوصى بحج التطوع على الاصح عندنا يعني الشافعية

وقال في الدر الاصل ان كل من اتى بعبادة ما له جعل ثوابه لغيره وان نواها عند الفعل لنفسه لظاهر الادلة . اه

واما العبادات البدنية المحضة كالصلاة والصيام والطواف وتلاوة القرآن والاذكار فقد قال الحنفية بوصول ثوابها للمهدى اليه على الاطلاق من غير فرق بينها كما في الفتاوى الهندية وغيرها من كتب المذهب

قال في البحر من صام او صلى او تصدق وجعل ثوابه لغيره من الاموات او الاحياء جاز ويصل ثوابها اليهم . وكذا في البدائع . وقال في البحر ايضا لا فرق بين النفل والفرض ولا يعود الفرض في ذمة المكلف اذا أهدى ثوابه لان عدم الثواب لا يستلزم عدم السقوط عن ذمته اه . قال المولى ابن عابدين قد علمت ان ثواب المهدي لا ينعدم اه . مفاد كلاميهما صحة اهداء ثواب الفرض مع اجزاء العبادة وسقوط الطلب وحصول الثواب للمهدى له من غير ان ينقص شيء عن المهدي وكلام صاحب البحر في براءة الذمة ولو على فرض سقوط الثواب فكيف وهو باق لم يفته منه شيء

ومن هنا جاء قولهم كما في البحر يصل الثواب للمهدى له من غير فرق بين ان ينوي المهدي به للغير عند فعل القربة او يفعله لنفسه ثم يجعل ثوابه لغيره لاطلاق النصوص الواردة في ذلك .

وليست مسالة اهداء الثواب كمسالة النيابة في فعل الواجبات ففيها العبادة المالية تقبل النيابة وذات الشائبتين تقبل النيابة عند العجز الدائم والبدنية لا تقبل النيابة البتة وهو المحمل الذي خرج

عليه حديث (لا يصوم احد عن احد ولا يصلي احد عن احد) . فذلك انما في حق الخروج من عهدة التكليف وان هاته العبادات البدنية لا تقبل النيابة في براءة الذمة وسقوط الطلب ويبقى ما وراء ذلك وهو اهداء الثواب . وقال جمهور الحنابلة يصل الثواب الى المهدى اليه في سائر العبادات البدنية كما هو الحال في العبادات المالية وذات الشائبتين . وجرى الخلاف في اهداء الثواب الى الحي قال الحافظ ابن القيم الجوزية في كتاب الروح اختلف في اهداء الثواب الى الحي فقيل يصح لاطلاق قول احمد يفعل الخير ويجعل نصفه لابيه او امه وقيل لا لكونه غير محتاج لانه يمكنه العمل بنفسه . اهـ واما الميت فلا يمكنه ذلك

وهل يشترط ان يتلفظ باهداء الثواب عندهم قال ابن القيم لا يشترط في الوصول ان يهديه بلفظه بل تكفي النية كما لو أعطى فقيرا بنية الزكاة يجزيه ذلك لان السنة لم تشترط ذلك في حديث الحج عن الغير ونحوه ثم قال نعم اذا فعله لنفسه اولا ثم نوى جعل ذلك الثواب لغيره لم يكف . واختار ابن القيم اشتراط وقوع نية اهداء الثواب عند فعل الطاعة وانه يصح اهداء ثواب الواجبات بعد كونها تجزيء عن الفاعل ويسقط عنه الوجوب بنفس الفعل . ومشهور مذهب الشافعي وامام دار الهجرة رضي الله عنهما عدم وصول ثواب العبادات البدنية كالصلاة والصيام وقد نقل الشيخ بناني في اهداء ثواب قراءة القرآن للميت اقوالا ثلاثة المذهب انها لا تصل وقيل تصل ان كانت عند القبر وقيل تصل مطلقا

وذكر ابن الحاج في المدخل ان من اراد وصول ثواب قراءته بلا خلاف فليجعل ذلك دعاء بان يقول اللهم اوصل ثواب ما أقرأه الى فلان . اهـ ووجه كلامه بان الدعاء متفق على وصول نفعه للميت

لكن نفع الدعاء غير ثواب ما تلي الا ان يقال نفع الدعاء يكون باستجابته وهو قد دعا بجعل الثواب لفلان فيستجاب دعاؤه بذلك ان شاء الله

قال الحافظ السيوطي . مما ورد من الادلة على ان الدعاء ينفع قوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) وما اخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له

وقال الامام النووي اما الصلاة وسائر الطاعات فلا يصل ثوابها للميت والمشهور في مذهبنا ان قراءة القرآن لا يصله ثوابها ايضا اهـ ونقل عن بعض الشافعية ان ما عليه المتاخرون منهم وصول مثل ثواب القاريء للميت وذكروا للقول بالمنع تآويل ثلاثة اولها انما قالوا بعدم وصول عين ثواب قاريء القرآن الذي اهدى ثوابه لصاحبه . الثاني انهم قالوا بعدم الوصول اذا قرأ لا بحضرة الميت . الثالث انهم قالوا بالمنع اذا نوى الثواب للغير ولم يدع باللهم اجعل ثواب هاته الطاعة لفلان ونحوه . ومفاد هذا انهم يشترطون لوصول مثل ثواب المهدي ان تكون القراءة عند الميت وان ياتي بلفظ الدعاء

واما حجة من يقول بعدم وصول الثواب الى المهدى اليه مما يدل عليه ظاهر الآية الكريمة وهي قوله تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعى) فقد أجاب عنها اهل القول الثاني بان الآية من العام الذي دخله التخصيص او المطلق الذي ورد مقيدة على لسان الشارع بما ثبت في السنة مما يخص الصدقة او ما يعمها وسائر العبادات البدنية النافعة للميت من ذلك ما تقدم لنا من حديث ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي رواه مسلم وما رواه ابو داود عنه . صلى الله عليه وسلم انه قال اقرؤا على امواتكم يس . وما رواه الدارقطني ان رجلا سال النبيء صلى الله عليه وسلم فقال : كان لي ابوان ابرهما حال حياتهما فكيف لي ببرهما بعد موتهما فقال صلى الله عليه وسلم ان من البر بعد الموت ان تصلي لهما مع صلاتك وان تصوم لهما مع صومك . وما رواه عن علي كرم الله وجهه عنه صلى الله عليه وسلم قال من مر على المقابر وقرأ قل هو الله احد احدى عشرة مرة ثم وهب اجرها للاموات اعطي من الاجر بعدد الاموات

وقال الكمال : ان الآية وان كانت ظاهرة فيما قاله المعتزلة لكن يحتمل انها مقيدة وقد ثبت ما يوجب المصير الى ذلك وهو ما صح عنه صلى الله عليه وسلم انه ضحى كبشين املحين احدهما عنه والآخر عن امته . فقد روي هذا عن عدة من الصحابة وانتشر مخرجوه فلا يبعد ان يكون مشهورا يجوز تقييد الكتاب به بما لم يجعله صاحبه لغيره ثم ذكر احاديث كثيرة كلها تفيد وصول النفع لغير المهدي ثم قال الكمال فهذا كله ونحوه مما تركنا خوف الاطالة يبلغ القدر المشترك بينه وهو الانتفاع بعمل الغير مبلغ التواتر

ثم قال الكمال وكذا ما في الكتاب العزيز من الامر بالدعاء ومن الاخبار باستغفار الملائكة للمؤمنين فهو قطعي في حصول النفع فيخالف ظاهر الآية التي استدلوا بها اذ ظاهرها ان لا ينفع استغفار احد لاحد بوجه من الوجوه لانه ليس من سعيه فقطعنا بانتفاء ارادة ظاهرها فتعين ان يقدا طلاقها بما لم يهبه العامل اه

فيصير المعنى والله اعلم وان ليس للانسان من الاعمال الا ما سعى اليه بنفسه والا ما يهبه العامل الى غيره على ما جاء في شرح تاويله للآية . هذا وهل يصح اخذ شيء من حطام الدنيا ليجعل الآخذ ثواب عبادته للمعطي قال المولى ان عابدين لا يجوز ذلك لانه ان كان اخذه على ما قدمه من القربة يكون بيعا لها وذلك باطل قطعا وان كان اخذ ليعمل يكون اجارة على عبادة وهي باطلة ايضا كما نص على ذلك فقهاء المذهب وما استثني للضرورة من جواز اخذ الاجرة على التعليم والامامة والاذان اذا قطع عنهم رزقهم من بيت المال العامة انما ذلك معلل بالضرورة وخوف ضياع الدين وهذ لا ضرورة تدعوا اليه فلا يجوز حينئذ الاستئجار على تلاوة القرآن والذكر ونحو ذلك . ومن هنا جاء عدم جواز الاستئجار على الحج وانما يعطي النفقة التي تكفيه ذهابا وايابا كما هو مصرح به في كتب المذهب وقال الشرنبلالي لم يذكر احد من مشائخنا جواز الاستئجار على الحج بل المصرح به في

التاريخ

صحيفة من تاريخ تونس

كيف نشات مصلحة البريد بتونس

(البوسطة والتلغراف)

بقلم العالم المؤرخ سيدي محمد بن الخوجه
المستشار لـدى الحكومـة التونسيـة

كان العرب يقدرون المسافات بالبريد والبريد عبارة عن اربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة اميـال قال الناظم :

ان البريد من الفراسخ اربـع ولفرسخ فثـلاث اميـال ضعـوا

وأطلق لفظ البريد منذ القديم على نقل الرسائل قالـوا ان الخليفة عبد الله المأمون ابيض شعر رأسه قبل بلوغه الثلاثين ولما سئل في ذلك قال ان الذي أشاب رأسه هو صلصلة البريد لانهم كانوا في

عامة كتب المذهب عدم جواز الاستئجار قال المولى ابن عابدين في حواشيه على الـدر وما ورد عن الفقهاء من جواز الاستئجار على الطاعات انما بينوه في التعليم والآذان والامامة خاصة ولم يذكـر واحد منهم انه افتى بذلك على العموم والتعليل بالضرورة يفيد ان الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما ولا ضرورة في الاستئجار لتحصيل الثواب

فعلمت من هذا ان علماءنا معاشر الحنفية يقولون بوصول ثواب العبادة للغير مطلقا حيـا كان او ميتا ولا يفرقون في ذلك بين العبادة المالية والبدنية وذات الشائبتين وهو مذهب الحنابلة وبه قال متاخرو الشافعية في ذات الشائبتين على نحو مـا مر وقال به المتاخرون من الشافعيـة والمالكية في خصوص اهداء ثواب قرءاة القرآن والاذكار

وعلمت ايضا ان صحة الاهداء لا تثبت الا اذا كانت الطاعة يقصد بها وجه الله تعالى ولم يلابسها ما يحبطها ولم يقصد صاحبها من ورائها نفعا ماديا اما اذا كانت على سبيل الاستئجار ونحوه مما تعوده الناس في بعض البلاد الاسلامية من المماكسة في القدر الذي يتسلمه القاري كما جاءنا في بعض الاسئلة او اشتراط شروط لا يقدم القاري الذي سيهدي ثوابه للميت على القراءة الابعد التحصيل عليهـا فذلك لا يجوز ولا ثواب يرتجى وصولـه بل ان حصول النفع وترتب الثواب موكول الى الاخلاص وكون القربة طاعة مقصودا بها وجه الله تعالى

محمد الشاذلي ابن القاضي

زمانه يحملون الرسائل في قماطر (١) من الجلد كركاء الماء ويضعونها فوق ظهور البغال فكانت عند سيرها تحدث حركة تسمع من بعيد واتفق ان اتساع ممالك الخلافة العباسية وتلاوح اطرافها نشأ عنه مقدمات ظهور الشقاق ببعض جهاتها السحيقة فكان المأمون على وجل مما يحمله له البريد من ولاته بالآفاق وهذا سبب شيب رأسه قبل الابان وكان نظام البريد في الدولة الحفصية شبيها به في الدولة العباسية فاذا كتب السلطان لاحد عماله بالآفاق يدفع الكتاب مشمعا عليه بلصاق بيد من يقع الاختيار على تجهيزه من النقباء او الوصفان من عبيد البلاط فيركب ذلك المجهز بغلا له ويرتحل قاصدا الجهة الموفود لها فاذا عيي بغله تركه عند عامل الجهة واخذ منه بغلا مكانه بطريق السخرة وهكذا الى ان يبلغ جهة مقصده وليس لرسول السلطان اكراه الغير على مؤنته وعلف دابته اللهم الا اذا كان ذلك عن طيب نفس منه عملا بما توجبه قوانين الاستضافة ـ فالبريد هو مسمى البوسطة في الاصطلاح العصري واما التلغراف فقد ترجمه الشيخ احمد فارس الشدياق (٢) ـ بالموحى ـ في كتابه كشف المخا عن فنون اروبا وهو استنباط لاباس به لان صاحب القاموس عرف الوحي بقوله هو الاشارة والكتابه والرسالة والالهام والكلام الخفي وترجموه بدواوين الدولة التونسية عند ظهوره بسلك الاشارة واصطلحت الجرائد على تسميته بالبرق وكلا التعريفين يستفاد منه ايضا المعنى المقصود من التلغراف أمامعناه اللفظي فانه مشتق من كلمتين في اللغة اليونانية وهما « تيلي » ومعناه بعيد و « غرافن » ومعناه كتب فيكون معنى تلغراف الكتابة من بعيد ويلوح ان احسن تعريف به هو لفظه الاصلي ولا حاجة لنا للتكلف بالبحث عن مرادف له في العربية وهو لا وجود له بها بتاتا وغاية ماكان معروفا عند العرب في تبليغ الاخبار بسرعة هو الحمام الزاجل كما وقع اثناء الحروب الصليبية والاشارات النارية فوق رؤس الجبال وبالرباطات التي كانت لديهم كما كان بسواحل افريقيا ومنها طرابلس وقابس والمنستير وسوسه قالوا ان الخبر كان يصل من طرابلس الغرب لتونس في يوم واحد. واعلم ان التلغراف المعروف كان ظهوره باروبا في حدود سنة ١٢٦٠ للهجرة (١٨٤٤ للميلاد)

وكان ابتداء الانتفاع به في تونس اوائل دولة المشير محمد الصادق باي نعم انه كان لديهم قبل ذلك نوع من التلغراف بالعلامة الشعاعية بدون سلوك اتخذه المشير احمد باي الاول فيما بين تونس وحلق الوادي مع مركز وسط بجزيره شكلي ولكن التلغراف السلكي نصب بتونس في سنة ١٢٧٦ اثر ولاية المشير محمد الصادق باي حيث امضى اتفاقا مع الدولة الفرنساوية في تخويلها منحة احداث

(١) جمع قمطر وهو محفظة الكتب ويقال ايضا قمطر بتشديد الطاء

(٢) توفي سنة ١٣٠٥

التلغراف من حلق الوادي الى حدود الجزائر من جهة سوق اهراس بشرط مروره على حاضرة تونس وباردو وباجة والكاف مع اعتباره ملكا للدولة التونسية ولها الحق باسترجاعه لمجرد دفع مصاريف نصبه التي قدمتها الدولة الفرنساوية والتزمت هذه الدولة من جهتها بتمرين من يعينهم سمو الباي من المامورين التونسيين لتعلم الصناعة التلغرافية ولكن لم يقع السعي بعد في تهيئة طبقة من الشبان التونسيين لاقتناء التعليم الصالح بذلك ولو في هذا الزمان الذي تكرر التصريح فيه بسياسة التشريك في المنافع بين الامتين الحامية والمحمية ثم ان سمو الباي المشار اليه امضى معاهدة اخرى مع الدولة الفرنساوية في شوال ١٢٧٧ تضمنت اشتراء الدولة التونسية لاسلاك التلغراف التي نصبتها الدولة الفرنساوية بتسعين الف فرنك وتسعمائة وسبعة وتسعين فرنكا تدفعها الاولى للثانية على اقساط منجمة وابقت للدولة الفرنساوية بصفة موقتة حق استخدام التلغراف المتحدث عنه مع الانتفاع بمداخيله لفائدتها الى الوقت الذي يراه سمو الباي مناسباً لتولي شؤونه مباشرة بواسطة الحكومة التونسية وكان من شروط هذه المعاهدة الثانية ايضا تخويل الحكومة الفرنساوية حق نصب الاسلاك التلغرافية من تونس لسوسة وصفاقس وجربة ثم الى حمام الانف والمنستير والمهدية وقابس ان اقتضى الحال وان تتولى الدولة الفرنساوية ادارة شؤون جميعها بواسطة اعوانها الى ان يتيسر لسمو الباي استرجاعها على شروط الاتفاق الاول وكان مركز ادارة التلغراف يومئذ بدار الكاهية بنهج المقطر على مقربة من قشلة سيدي عامر . وممن باشره في مبادي انتصابه بباردو المستعرب مسيو روا فقد كان في شبابه مامورا تلغرافيا وفي كهولته مامورا قنصليا ومراقبا مدنيا ببلد الكاف ثم في مشيبه كاتبا عاما بالدولة التونسية مع وزارة التفويض من لدن الدولة الجمهورية قال بعض اهل النظر ان المزايا التي قام بها مسيو روا لفائدة امته تقدر بمزايا جيش ظافر ان لم تكن اكثر من ذلك . هذا تاريخ نشأة التلغراف بتونس وعنه تفرع التلفون والتلغراف اللاسلكي في عصر الحماية . ولنرجع بك لخدمة البريد يعني البوسطة بتونس ففي الدور القديم كانت الرسائل الخصوصية بين الناس يتولى نقلها المسافرون وارباب عربات النقل والسيارة وكانوا يركبون الحمير الساحلية المشهورة بسرعة العدو وغير ذلك من الوسائل التي كان حكمها الصدفة والاتفاق وكان قطع المراحل يستغرق وقتا طويلا فالمكتوب الذي يوجه من تونس لسوسة لا يبلغها قبل اليوم الثالث والرسائل الموجهة للقيروان تصلها في اليوم الرابع والموجهة لقابس تستغرق ثمانية ايام في الطريق وليقس ما لم يقل واما المكاتيب الرسمية فكان المكلفون بتبليغها اما اصحاب النوازل الصادرة تلك المكاتيب لفائدتهم واما صباحية الاوجاق والبوابون والمماليك بسراية باردو ولا يكون ذلك الا باجور باهضة لها نظام مخصوص اسمه «التعيين» يستخلصه حامل المكتوب من الخصم بدون رحمة ولا حنان ولو كان ذلك قبل ثبوت الحق عليه ولننقل لك هنا عبارة مكتوب

من متعلقات محلة احمد زروق المشهورة التي خرجت لتمهيد الراحة واستخلاص الغرائم اثناء ثورة علي بن غذاهم ومنها يستفاد كيف كانوا يوجهون المال من جهات العمالة لقائد المحلة في ذلك الزمان ونص العبارة بحروفها

المقام الذي نطلب (له) من الله دوام البقاء وزيادة العز والارتقاء الاعز الهمام المفخم امير الامراء سيدي احمد زروق (١) امير المحلة المنصورة ابقاه الله اما بعد اهداء السلام التام وتقبيل ايديكم الكرام يليه رعاكم الله هو انه اخبرنا الاجل المرعي المحترم الموقر سيدي محمود الجلولي (٢) عامل المهدية موجه لكم خمسون (كذا) الف ريال صحبة تابعه علي الزوالي وحانبه (٣) من الحوانب المتعين ودمتم ودامت لكم السعادة والسلام من مقبل ايديكم الاضباشي (٤) سليمان الفرجاوي ومحمود فرجي في ٨ رمضان سنة ١٢٨١ اه

وكان للقناصل بتونس سيارون خصوصيون لنقل رسائلهم للبلاد الساحلية ينتخبونهم من بين الافراد المستظلين بجاههم والمنقطعين اليهم وان شئت قلت الى دراهمهم ومن اشهر من عرف منهم بسرعة السير وتبليغ الامانة رجل اسمه محمد جمل كان يقطع المسافة الفاصلة بين تونس وبين سوسة (١٤٥ كيلو ميتر) في يوم وليلة وكان اجر السيار عن نقل المكتوب من الحاضرة لسوسه ربع الريال وكان اخطر المسالك على السيارين طريق خنقة الحجاج فكم من سيار لاقى بها حتفه وذهبت حمولته طعمة لقطاع الطريق وممن اشتهر بالجسارة ومغالبة الاخطار السيار صالح غوله فقد كان في مدة ثورة علي بن غذاهم يتعهد بتبليغ الرسائل والاموال ذات البال خلال الجهات الثائرة التي كانت تحركها يد السياسة الاجنبية ولم يتفق لـه حصول ما يسوء وممن اشتهر يومئـذ بسرعة العدو في مدينة تونس السيار بوراس وكان يتقاضى نصف الريال عن كل رسالة يبلغها من الحاضرة لصفاقس

اما تبليغ الرسائل على طريق البحر فاول ما وقع ترتيبه بين تونس وبين ثغر مرسيليا في حدود سنة ١٢٦٣ للهجرة (١٨٤٧ للميلاد) في عهد المشير احمد باي بواسطة سفينة تجارية تقدم من فرنسا لمياه حلق الوادي مرة في كل نصف شهر وتمر في طريقها على بلد عنابة (٥) ومنها يحملون

(١) من الوزراء المماليك تولى وزارة الحرب ووزراة البحر ومات سنة ١٣٠٦

(٢) استشهد في سنة ١٢٨٤

(٣) لفظ حانبه في اللسان التركي يقابله لفظ صبايحي ولفظ مخازني في اصطلاح الاوجاق انما الحوانب (جمع حانبه) كانوا من نسل الاتراك والآخرون من نسل العرب والبربر

(٤) ضابط بوجق الحوانب وهو لفظ تركي مركب من اوضه ومعناه بيت وباشي ومعناه رئيس وجلة العبارة تدل على كبير جماعة

(٥) وتسمى ايضا بونة واليها ينسب صاحب كتاب شمس المعارف الشيخ احمد بن علي البوني المتوفى سنة ٦٢٢

الثلج الطبيعي للمشير المشار اليه وفي السنين الاخيرة المتقدمة على عصر الحماية رتبت بعض الشركات البحرية الفرنساوية والطليانية سير سفن اسبوعية لنقل الرسائل والمسافرين والبضائع بين تونس واعمالها الساحلية وبينها وبين البلاد الاروباويه وهذه الحالة هي التي دخلت عليها فرنسا لتونس في سنة ١٢٩٨ (١٨٨١ للميلاد) وكان في مقدمة مساعي دولة الحماية ابطال البوسطات الاجنبية الموجودة يومئذ بالمملكة التونسية وفي ضمنها الخط التلغرافي الطلياني التابع لسكة حديد حلق الوادي لان هذا الخط لعب دورا سياسيا عنيفا اثناء الحوادث التي اعقبها نصب الحماية على تونس. ثم في سنة ١٣٠٥ احالت الدولة الفرنساوية للدولة التونسية حقوقها في البوسطة والتلغراف وصدر امر المقدس المولى علي باي الثالث في غرة شوال من العام المذكور بتاسيس ادارة تونسية للبوسطة والتلغراف والتلفون وهذه الادارة هي الموجودة في عهدنا الحاضر وغني عن البيان ان هذه المصلحة الاجتماعية قامت في بحر هذه الخمسين سنة بوظائفها على احسن اسلوب واتم مرغوب وقد شملت منافعها الحاضر والبادي من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى اقصى الجنوب حتى الواحات الصحراوية الى منتهى حصن لوسيان سان المجاور لغدامس بعد المرور على برج الثور (١) العصيب

ونختم هذه النبذة بالاشارة لنصب اسلاك التلفون بتونس واول ما عرف من ذلك سلك التلفون المتنقل الذي كان في صحبة الجنرال بريار عند دخوله على المشير محمد الصادق باي في طلب امضاء صك الحماية وبإثر ذلك وقع نصب تلفون خصوصي بين السفارة العامة وبين الكتابة العامة ثم وقع تعميمه على التدريج لفائدة افراد الناس ابتداء بمدينة سوسه في عام ١٣٠٩ واعقبه بعد مدة ظهور التلغراف اللاسلكي ولم يؤمن التونسيون بصدقه عند شيوع خبره لكن اتفق في تلك الاثناء مجيء فخامة رئيس الجمهورية لزيارة تونس في سنة ١٣٢٠ واقيمت له بمدينة بنزرت مأدبة اكرام يوم ارتحاله وممن حضرها معه وزراء الحضرة العلية وفي اثنائها عرض انحراف بمزاج المرحوم الوزير امير الامراء ابي عبد الله محمد الجلولي وركب فخامة الرئيس البحر عائدا لفرنسا لكنه في اثناء الطريق بعث على جناح الغيب بتلغراف لاسلكي للحضرة العلية يستفسر فيه عن صحة وزيرها من ذلك الانحراف الذي كانت عاقبته عافية وسلامة وتناقلت ذلك الالسن القصار والطوال (٢) وعند ذلك رجع للناس رشدهم وءامنوا بالتلغراف اللاسلكي كايمانهم في يومنا هذا بالراديو قال اديب المغرب :

لا غروان كلموا المريخ او زحلا . وانت تسمع للراديو وما فعلا

محمد بن الخوجة

---

(١) له سمي في السماء

(٢) الالسن القصار هي الالسن البشرية والالسن الطوال هي الجرائد وليس لطولها حد محدود

تاريخ سراية المملكة التونسية

مع الاستشهاد بوثائق تاريخية وقع تبادلها بين الامير محمد الصادق باشا باي ووزيره الاكبر خير الدين باشا

بقلم العالم المؤرخ الاستاذ محمد صالح مزالي عامل بنزرت

علمنا مما نشرته الصحف الاخبارية ان الحكومة التونسية صرفت عنايتها الى ترميم سراية المملكة الكائنة بطحاء القصبة والمعروفة عند العموم باسم دار الباي وقد خصصت لذلك بميزان العام الجاري اعتماداً اولا قدره مليون فرنك – فرأينا من المناسب إتحاف قراء المجلة الزيتونية الكرام نبذة تاريخية تتعلق بهذا القصر

فهو على قدمه احدث ما بناه ملوك تونس لسكناهم بالحاضرة وهو الوحيد الذي لا زال قائم الذات بعد اندثار قصر بني حفص داخل برج القصبة

يرجع تأسيسه الى عهد المقدس المبرور حمودة باشا خامس الحسينيين الذي تربع على العرش الملكي اواخر المائة الثانية عشرة هجرية

قال الاستاذ المحقق الشيخ محمد بيرم في الجزء الاول من كتابه صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار عند وصف قاعدة القطر التونسي « وامام حصن القصبة داخل المدينة بطحاء عظيمة وفي جهتها الجنوبية سراية المملكة التي بناها حمودة باشا ولا زالت معتنى بها الى الآن وهي مقر الحكومة والوالي عند وفوده للحاضرة » وقال في الجزء الثاني من نفس التأليف عند ذكر سياسة حمودة باشا « وهو في الحقيقة اعقل فروع ذلك البيت الذين استولوا على القطر فقد انشأ فيه ما لم يكن فيه من الحصون والقشل والسفن والذخائر حتى ان مبانيه الخاصة به لم تزل منتفعا بها الى الآن كبستان منوبة الذي صار قشلة للخيالة وداره بتونس المسماة الآن بسراية المملكة واعانه مقام وزيره يوسف صاحب الطابع الملقب بابي الخيرات من كثرة اياديه في طرق البر »

وقد ابدع المؤسس في اتقان البناء وزخرفه بانواع الزينة والتفنين . وما زال الناظر مبتهجا بما يشاهده فيه الى يومنا هذا من الرخام الابيض والاسود المنظم على اشكال هندسية لطيفة ومن الزليج والفسيفساء مختلفة الصور والالوان ومن النقوش في الجص الابيض المسماة (نقش حديدة) ذات الازياء المتنوعة والرسوم الباهرة . كما ان خشب السقوف فيه من التزويق والتمويه بالذهب ما يحرك النفوس ويؤذن بالعجب

من المأثور ان حمودة باشا جلب لصنع تلك الطرف الساحرة بعض من اشتهروا بالمغرب الاقصى

بمهارتهم النادرة فيما ورثوه عن الاندلس من الفنون المستظرفة . وقد ايد ذلك بطرق عقلية المهندس الفرنساوي هنري صلاح الدين المتخصص بدرس الآثار القديمة اذ حلل انواع الزخرفة واساليب التزويق المستعملة بدار الباي تحليلا فنيا ونظر بينها وبين ما يجانسها في البناءات الاخرى فاتضح من ذلك ان الصنعة الخاصة بسراية المملكة مغايرة لصنعة قصر باردو مثلا او دار حسين التي يشغلها اليوم القائد الاعلى للجيوش وبعكس ذلك فهي مشابهة تمام المشابهة لما يوجد بفاس او بالاندلس

على ان استخدام مهرة المغاربة لمباشرة الصناعة الفنيه بتونس لم يقع على عهد حمودة باشا فقط بل ان الوزير خير الدين في مدة المشير الثالث اغتنم فرصة مرور الحاج حسن الفاسي بالحاضرة لتكليفه باتمام قبة ضريح العالم الجليل والولي الصالح سيدي ابراهيم الرياحي

ولكن جلب صنعي الايدي من بلد بعيد يكلف الآجر بلا شك انفاق اموال اوفر من استعمال التونسيين او الاسارى من الافرنج ولربما ادرك ذلك حمودة باشا بعد تشييد سرايته

فقد قال البارع الاكتب الشيخ احمد بن ابي الضياف في تاريخه عند ذكر هذا الامير « ومن اخباره انه يكره السرف في غير مصلحة معتبرة حتى نسب الى الشح ولا شك انه من الامانة لان ما في يده من المال هو في الحقيقة لمصالح العباد والبلاد لا لشهواته ويقول في مجالسه غير مرة ندمت على بناء دار القصبة وهي الدار المنتفع بها الى الآن وعلى بناء قصر منوبة اذ لا يعود على البلاد منهما نفع بجلب مصلحة او دفع مضرة سوى ما يظهر للرائي من فخامة المبنى وحسن المنظر »

اعلم ان من اهم بقايا ما شيده حمودة باشا الصحن العلوي ذا الاساطين المرمرية وما حوله من البيوت المعدة للمواكب الملوكية وكذلك بيت القبة البهية المخصص عادة للمولى الوزير الاكبر وقد تحل به احيانا الحضرة الشامخة العلية واقيمت به المآدب لرؤساء الجمهورية .

اما الاقسام المطلة على بطحاء القصبة فهي احدث منها عهدا . قال الشيخ بيرم الخامس عند ذكر مساعي خير الدين الوزير الناصح الامين « ومنها انشاء بطحاء القصبة وتحسينها وانشاء قصر للوالي على الوجه المطل على البطحاء المذكورة من قصر المملكة الذي بناه حمودة باشا » واهم ما شمله هذا البناء المحدث على عهد الدولة الصادقية بيت الكرسي الذي اضطرت الحكومة الى هدمه خشية سقوطه وكان مخصصا لاقامة بعض المواكب الحافلة منها موكب رابع العيدين حيث يقدم الامير المفدى الى الحاضرة بقصد رد الزيارة الى اعيان البلدية الذين سبق وفودهم الى قصر باردو مهنئين بالعيد ولا يخفى ما في هاته السنة المباركة من الرمز الى العواطف الابوية التي يكنها الجناب العالي نحو رعاياه

وبما ان الاعيان ياتون افواجا للتشرف بتلك الزيارة الملوكية كان هذا البيت اليق من غيره لجمهم لاتساعه وحسن ترتيبه ولذلك تعين تجديد بنائه في البرنامج الذي عزمت الحكومة على تنفيذه

اما تاريخ احداثه فلدينا ما يمكننا من ضبطه بغاية التدقيق . وذلك ان من عادة الوزير خير الدين انه كان يعرض كتابة على المقدس المبرور المشير محمد الصادق باي ما يحدث يوميا من الامور التي تهم جنابه وفي الغالب يجيبه الملك في نفس القرطاس بحيث تجمع عند الوزير عدد وافر من هذه الخطابات مع اجوبتها . فهي غنيمة للمؤرخين ثمرتها لا تتلف ومعدنها لا ينزف .

حظيت بان وصلت الي مع غيرها من الاوراق المخلفة عن خير الدين والتي نشرت البعض منها على صفحات المجلة التونسية — لسان معهد قرطاجنة العلمي —

فاليك نص البطاقة المشار فيها الى اتمام البيت المتقدم ذكره .

الحمد لله المعروض على الحضرة العلية دام علاها ان وزارة البحر اخبرت بان الدونانمة الفرنساوية قد لاحت من البعد . يكن معلوم الحضرة العلية بذلك ونعلم الحضرة العلية انني تكلمت يوم التاريخ مع قنصل الفرنسيس بان الاميرال يقابل الحضرة العلية يوم الثلاثاء الآتي قبل زواله بثلاث ساعات يكن معلوم الحضرة العلية ذلك وان البيت المباركة بسراية المملكة تمت اليوم على خير يكن معلوم الحضرة العلية بذلك والسلام من المقبل بايديكم خديمكم امير الامراء الوزير الاكبر خير الدين في ٢٧ شعبان الاكرم سنة ١٢٩٢ صح خير الدين

. وباسفله بخط الامير ما نصه .

الى ابننا العزيز سيدي خيار الدين ❀ ووزيرنا الاكبر اما بعد السلام ❀

فقد وردت لنا بطاقة من جنابكم تخبرنا في شان الدونانمة الفرنسوية ظهرت على بعد علمنا وكذلك المقابلة في الوقت المذكور وما اخبرتنا في شأن اتمام البيت المباركة علمنا فليأذن ابني بختم قرآن في البيت المذكورة قبل دخولي اليها وهي ليلة غدا أن شاء الله (١) والسلام من الفقير الى ربه محمد الصادق باي في ٢٧ شعبان ١٢٩٢ .

. اما القسم الملاصق لضريح سيدي الشريف فقد جدد بناءه بعد الحرب الكبرى وزيد فيه لايواء مختلف مصالح الكتابة العامة .

ولنلاحظ هنا ان ترتيب الدواوين الادارية باقسام سراية المملكة حديث عهد ولم يتم على صورته الحالية الا بعد الاحتلال اما قبله فقد كانت دواوين الحكومة المركزية بقصر باردو عدا وزارة البحر فانها كانت بحلق الوادي .

على ان سراية المملكة انما اقيمت بقصد السكنى كما تقدم ولكن الامراء في نفس الامر والواقع

---

(١) في هذه الحكاية وفي حكايات اخرى تماثلها دليل عن تغلغل الروح الدينية في ملوك الدولة التونسية من قديم الزمان الى يومنا هذا ولا سيما ملكنا الحالي ابقاه الله

لم يلبثوا فيها الا نادرا فصارت معدة لقبول الضيوف الذين ترى الحكومة اكرامهم. فممن اقام بها الملكة (كارولين) زوجة جورج الرابع ملك انقلتره والدوق (دومنبنسي) والبرنس (دو جوانفيل) والدوق (دومال) ابناء لويز فيليب ملك فرنسا وغيرهم وكانت هذه السنة معلومة لدى الاجانب حتى ان الرحالة ڤيران الفرنساوي تعرض لذلك في كتابه بعد البعثة العلمية التي قام بها في القطر التونسي سنة ١٨٦٠ ميلادية . واليك ما يؤيدها ايضا من مخلفات خير الدين .

الحمد لله المعروض على الحضرة العلية ادام الله تعلى عزها وعلاها انه بلغ لخديم الحضرة العلية ان نفرين احدهما من ابناء سلاطين الهند قدما الى تونس يوم التاريخ وحيث ان عادة الحضرة العلية دام علاها تكرمة امثال المذكورين بالنزول في سراية المملكة بالحاضرة من القادمين على الحضرة العلية من اوربا فان النفرين المذكورين احق بالاكرام وقد وجهنا من يكشف عن تحقيق حال النفرين وننتظر ما يصدر به الاذن العلي لنعتمده والله تعالى يحرس الحضرة العلية برعايته والسلام وكتب في يوم الاربعاء ١٨ من ربيع الانور سنة ١٢٩٣ صح خير الدين

الى ابننا العزيز سيدي خيار الدين وزيرنا الاكبر اما بعد السلام فقد اتصل بنا بطاقة من جنابكم وما اخبرتنا فيها علمنا فان ثبته عندكم من هاته الرتبة فالواجب اكرامه للغاية لان هذا اول قدوم ابناء سلاطين الهند لحضرتنا والسلام من الفقير الى ربه محمد الصادق باي في ١٨ ربيع الاول سنة ١٢٩٣

ومن ذلك :

الحمد لله المعروض على الحضرة العلية ادامها الله تعلى انه بلغني من السيد حسين على ان قبطان البابور اخبر البرنس بان البحر هايج وان ركوبهم اليوم مع شدة الريح يكون فيه تعب كبير فظهر للسيد حسين ان يقول لهم على لسان الحضرة انهم في محل حبيب دولتهم فاذا كان البحر هائجا فلا يلزم ركوبهم اليوم وانهم استحسنوا ذلك للغاية حيث ان النسوة خافت من البحر فاذا ظهر للجناب العلي فاني نرسل للسيد حسين باستحسان الحضرة ذلك والسلام من خديمكم خير الدين في ٥ ربيع الاول سنة ١٢٩٤

الى ابننا العزيز سيدي خيار الدين ووزيرنا الاكبر اما بعد السلام فالذي ذكره لنا في البطاقة الموجهة من جنابكم استحسنته صنيع ابني فيما اذن به للغاية والسلام من الفقير الى ربه محمد الصادق باي في ٥ ربيع الاول سنة ١٢٩٤

ومن ذلك :

الحمد لله المعروض على الحضرة العلية ادامها الله تعلى ان السيد حسين وزير الاستشارة اخبر ان البرنس راكب ماضي ساعتين من زوال يوم التاريخ وذكر السيد حسين المذكور ان يكون سيدي حسين باي بسراية المملكة ماضي ساعتين من زوال اليوم يكون ذلك معلوم الحضرة العلية والسلام من المقبل بايديكم خديمكم امير الامراء الوزير الاكبر خير الدين في ٧ ربيع الانور سنة ١٢٩٤ صح خير الدين

الى ابننا العزيز سيدي خير الدين ووزيرنا الاكبر اما بعد السلام فقد وردت لنا بطاقة من جنابكم فيما اخبر به السيد حسين علمناه فيرسل ابني احدا من معيناتكم لسيدي حسين باي ليتوجه الوقت الذي ذكره يكون بسراية المملكة والسلام من الفقير الى ربه محمد الصادق باي في ربيع الاول سنة ١٢٩٤

وفي بعض الاحيان كان يكتفى بتحضير المئادب بها لمن لم يكن نازلا فيها من كبار الضيوف حسبما يستفاد ذلك من النص التالي

الحمد لله المعروض على الحضرة العلية ادامها الله تعلى فان خديمكم اوصى بلانجي بتحضير فطور للاميرال التركي بسراية المملكة اليوم غير انه يلزم يكون احد من جهة الدولة بالسراية المذكورة لقبوله وللفطور معه اذا ظهر للحضرة العلية ان ياذن امير لواء العسة بالتوجه لسراية المملكة فانه مناسب اومن يظهر للحضرة العلية غير امير لواء العسة المذكور اما حضور احد فانه يلزم للسياسة والسلام من خديمكم الوزير الاكبر خير الدين في ١٤ رجب سنة ١٢٩٢ . فقد اوصينا لواء العسة يتوجه لدار المملكة لقبوله هناك والسلام من الفقير الى ربه محمد الصادق باي في ١٤ رجب الاصم سنة ١٢٩٢

وبالطرة بخط خير الدين – واوصيت سي صالح خوجه يتوجه معه ايضا

وكان قد يطبخ الطعام بها لحمله خارجها كما في الصورة التالية –

الحمد لله المعروض على الحضرة العلية ادام الله تعلى بقاها فان البرنس المان يطلب مقابلة الحضرة العلية يوم السبت من غير رسمي فاذا ظهر للحضرة العلية يكون ذلك بالقصر السعيد باقي ساعتين للزوال وانه يلزم يرسل له زوج كرارس اخرى غير التي عنده في ذلك اليوم وكذلك طلب ان يتوجه غدا للفرجة على حمام الانف فاني اوصيت بان يحضروا له فطور بسراية المملكة ويرفعوه معه لان مراده يتوجه صباح ولا يرجع الا بعد العصر وكذلك اوصيت يتوجه معهم اضه باشي مع مخازنية ٤ لرد البال منهم والسلام من خديمكم خير الدين الوزير الاكبر في ٢٥ قعدة سنة ١٢٩٢

الى ابننا العزيز سيدي خيار الدين وزيرنا الاكبر اما بعد السلام فقد وصلتنا بطاقة من جنابكم وعلمنا فلك الاذن في جميع ما قررته الينا في بطاقتكم في الكرارس وغيرهم والسلام من الفقير الى ربه محمد الصادق باي في ٢٦ قعدة سنة ١٢٩٢ ـ اهـ

اما الآن وقد قررت الحكومة تجديد بناء السراية يسرنا ان اقتضى حسن تدبيرها احترام القسم العتيق منها ـ بحيث يحصل التوفيق بين توسيع منطقة الدواوين الادارية وبين المحافظة على كل ما فيه قيمة اثرية ـ وقد فرض المهندسون ثلاث سنوات لانجاز ما قرر من الاعمال

وستتم بحول الله وتكون السراية من افخر المباني التي يعلقها التاريخ بعهد سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني ايده الله بسر السبع المثاني محمد صالح مزالي

الأديب

البكاء في الشعر العربي

— ٤ —

ان فرار الشعراء كذي الرمة من لواعج الغرام إلى الاستراحة بالموت كفرار امرىء القيس من الليل الى الصباح ثم ذمه الصباح اذ يقول :

الا ايها الليل الطويل الا انجـلِ بصبح وما الا صباح منك بـامثل

اذ هم قد اعتبروا الموت اعظم المصائب واشد النوازل واكره العوادي حتى تخيلوا له ابشع ما تدركه الحواس من القبح الباعث لانقباض النفس فوصفوه بالسواد والكلح وانبتوا له المخالب والانياب ولم يستسيغوه ويستحلوه الا في مقابلة ما هو اشد على نفس الكـريم من كل مكروه وهو الهوان والغلبة وذل الاسر وما اليه كما قال ابو الطيب :

غيـر ان الفـتى يـلاقي المنـايا كالحـات ولا يلاقـي الهـوانا

من اجل ذلك نرى الموت في الاستعمـالات الشعرية اعظم بـواعث الحزن ونجـده شـديد الاقتران بالبكاء الذي هو مظهر الحزن الاكبر حتى تفرع عن هذا الاتصال ان شاع في استعمال اللغة التعبير بالبكاء عن مطلق ذكر الموت والتوجع له لانهم اخذوا البكاء في لوازمه القـريبة حتى انهـم اذا انبعثت ذكرياتهم الحزينة لمرأى بعض الجمادات وافاضوا من حزنهم عليه فتخيلـوه حزينا اغـرقوا في هذا الخيال فنزلوه منزلة العاقل وجعلوه باكيا مبالغة في التعبير عن حزنه وهو ضرب قـريب من التجريد وفيه يقول النابغة في رثاء النعمان مفصحا عن بكاء قصره عليه .

بكى حارث الجولان من فقد ربه وحوران منـه موحش متضـائل

وعلى ذلك قال جرير في رثاء عمر بن عبد العزيز

والشمـس كاسفـة ليست بطـالعة تبكي عليك نجوم الليـل والقمرا

وقد تفنن الشعراء في اسناد هذا البكاء الى اشياء مختلفة باختلاف مقامات الكلام وصفات المبكي عليهم فجعلوا المنابر تبكي لفقد الفصحاء والخمر تبكي لفقد الندماء كما قال ابو واثلـة :

بكى المنبر الغربي اذ قمت فوقه فكادت مسامير الحديد تذوب

وقال احد شعراء العراق يرثي صديقه زلزل :

الخمر تبكي في اباريقها والقينة الخمصانة الرود

وكثيرا ما اسندوا هذا البكاء الى السماء توليدا من قوله تعلى (فما بكت عليهم السماء والارض) فكان ابدع في الادعاء واغرق في التخيل لان للسماء ماء المطر الذي يشبه انصبابه انصباب الدمع فيصير بطريق المجاز المركب ايماء الى الحقيقة وابرازا لغير الحاصل في معرض الحاصل كما قال ابو بكر ابن اللبانة في خروج المعتمد

تبكي السماء بمزن رائح غاد على البهاليل من ابناء عباد

وقد انتهوا في هذا الباب الى اثبات البكاء للمجردات كما قال :

مررت على المروؤة وهي تبكي فقلت علام تنتحب الفتاة

فقالت كيف لا ابكي واهلي جميعا دون خلق الله ماتوا

ومن هنا استمد المعري في رسالة الغفران الصورة الخيالية للماتم الذي تقيمه القصائد على ابي تمام

ومن هذا التلازم الظاهر بين البكاء وبين الموت في الخيال الشعري نرى الذين دلت اشعارهم على امتناعهم من البكاء عند الموت ممن توطنت نفوسهم على المصائب وتمرنت على احتمال الارزاء هم افراد شواذ بالنسبة الى الذين يخور جلدهم لمرأى الموت فتتغلب عليهم دواعي البكاء وفي ذلك يقول بشامة بن حزن النهشلي

ولا تراهم وان جلت مصيبتهم مع البكاة على من مات يبكونا

وقد بلغ بهم الاستسلام لسلطان البكاء عند الموت ان اصبح القاتل يبكي على قتيله و ذلك من أغرب ابواب البكاء وفيه يقول الحماسي:

ونبكي حين نقتلكم عليكم ونقتلكم كانا لانبالي

وفيه قال البحتري فابدع في المطابقة

اذا احتربت يوما وفاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

وإذا كان البكاء لموت العدو بابا مطروقا فالبكاء للقرابة اوضح منهجا والبكاء على النفس اقوى باعثا

وقد تعددت اساليب البكاء في الشعر ومعانيه باختلاف حال المبكي عليه ونسبته من الباكي واصبح ذكر البكاء اعظم مظاهر العاطفة الشخصية في شعر المراثي لان باب المراثي في الشعر العربي باب يتجاذبه اصلان اصل هو شعر الملحمة من جهة ما فيه من ذكر الحروب وبطولة المرثي والحث على الثار واصل هو الاحساس من جهة ما فيه من لوعة الراثي والخنوع لقهر الموت واحياء روابط القرابة وذكريات الوداد

وبذلك امتزجت الملاحم والشعر الاحساسي في هذا الباب امتزاجا قويا حتى تأتي لابي تمام في ديوان الحماسة ان يورد كثيرا من المراثي في باب الحماسة وتوغلت مراث عديدة في ناحية الملحمة حتى كادت تخلو عن الناحية العاطفية بتاتا

ومن هنا تفاوتت اغراض الرثاء في قوة المظهر الاحساسي فكان اعلاها في ذلك رثاء النفس ورثاء الآباء وادناها رثاء قتلى الحرب من غير الاقارب والوسط في ذلك رثاء الابناء ورثاء الاخوان

اما رثاء النفس فهو على عزته باب قديم في الشعر فتحه امرؤ القيس وورد في معلقة طرفة وفي شعر لبيد وفيه اليائيتان الرائعتان لعبد يغوث وهو جاهلي ومالك بن الريب وهو اموي وقد اوردهما ابو علي القالي في ذيل اماليه وبقي هذا الغرض في اشعار المولدين ومن اشهر ما لهم فيه ابيات لسان الدين ابن الخطيب التائية التي اوردها المقري في نفح الطيب وفي ازهار الرياض ولم يرد ذكر البكاء في هذه المراثي من طريق مباشر وانما ورد فيها استحضار البكاء المتوقع على الميت ممن يحق ان يبكي عليه كما قال طرفة :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم احفل متى ناح عودي

وقال مالك بن الريب :

تذكرت من يبكي علي فلم اجد سوى السيف والرمح الرديني باكيا
واشقر خنذيذ يجر عنانه الى الماء لم يترك له الدهر ساقيا

ثم قال :

وبالرمل مني نسوة لو رايتني بكين وفدين الطبيب المداويا
فمنهن ام وابنتاها وخالتي وباكية اخرى تهيج البواكيا

وقد زاد لبيد على استحضار هذا البكاء ان وصفه وحدد امده بقوله يوصي ابنتيه :

فان حان يوما ان يموت ابوكما فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا صديقه اهان ولا خان الامير ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

ويلتحق بالبكاء على النفس البكاء لانصرام الشباب لانه في الحقيقة بكاء على جزء من الحياة عند استشعار قرب الموت كما قال عدي بن زيد :

ولقد بكيت على الشباب لو انه كان البكاء به علي يعود
ليس الشباب وان جزعت براجع ابدا وليس له عليك معيد

كما يلتحق به البكاء لفراق الوطن لان محبة الوطن في اعتبارات الشعر ناشئة عن محبة النفس والحنين الى شبابها على طريقة ابن الرومي التي يقول فيها :

وحب اوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

ومن مثل البكاء لفراق الوطن ما اورده الجاحظ في رسالة الحنين الى الاوطان

اذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي واضحى فؤادي نهبة للهماهم
حنينا الى ارض بها اخضر شاربي وحلت بها عني عقود التمائم

واما رثاء الآباء فالمظهر الحماسي ضعيف فيه بقدر ما قوي فيه المظهر الاحساسي وذلك لان من يكون له اولاد يقولون الشعر لا يكون سنه قاضيا بالموت في الحروب فتجردت رزية الاب بذلك للناحية العاطفية وذلك سر غلبة هذا الغرض على شعر النساء لانهن اقوى شعورا بتلك الرزية مجردة عن غناء الابطال وهو مع ذلك اقل في شعر النساء من رثاء الاخوان لان المرأة تحس في فقد الاخ ما تحس في فقد الوالد مع زيادة ما عندها من الاعجاب بالبطولة واللوعة لمصاب الشباب والتعلق باخذ الثار واصح ما ورد من شعر النساء في رثاء الآباء قول اروى بنت الحباب فيما اورده البحتري في حماسته:

قل للارامل واليتامى قد ثوى فلتبك اعينها لفقد حباب
اودى ابن كل مخاطر بتلاده وبنفسه بقيا على الاحساب
الراكبين من الامور صدورها لا يركبون معاقد الاذناب

ومن هذا الباب ما يروى من رثاء بنات عبد المطلب اباهم مما اثبته ابن هشام في السيرة ومن رثاء ابنة كليب اباها الواردة في اخبار البسوس وكلاهما مشكوك في صحة نسبته اذ لم يثبت في دواوين الادب ولم يرد الا من طريق القصص . واما بكاء الابناء فقد اشتهر فيه ابو ذؤيب الهذلي بعينيته الشهيرة

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وقد اورد من هذا الباب مثلا صالحة الامام السيوطي في رسالته التي سماها (الجلد في فقد الولد)

واما بكاء الاخوان فقد ورد فيه ما لا يحصى كثرة من شعر الرجال والنساء وكان تجاذب بابي الحماسة والرثاء اياه على نسبة متساوية

واقدم ما اشتهر في هذا الباب مراثي مهلهل بن ربيعة لاخيه كليب واشهرها الرائية :

(اليلتنا بذي حسم انيري)

وتبعه في هذا المنهج كثيرون كالخنساء في بكائها على صخر ومعاوية ابني عمرو حتى ضرب بها المثل وليلى بنت طريف التي تقول:

ايا شجر الخابور مالك مورقا كانك لم تحزن على ابن طريف

وهو من شواهد الكشاف

وقتيلة بنت الحارث اذ تقول مخاطبة للنبيء صلى الله عليه وسلم في قتل اخاها النضر في اسرى بدر : امحمد ها انت ضني كريمة * الى آخر القصيدة التي اوردها ابن هشام في السيرة ومطلعها

يـا راكـبا ان الاثيـل مظنـة   من صبح خامسة وانت موفق

ومريم بنت طارق التي رثت اخاها في ابيات انشدها ابن الانباري في اماليه تقول فيها :

بتنا كـا نجم ليـل بينهـا قمر   يجلو الدجى فهوى من بينها القمر

وعمرة بنت العجلان التي رثت اخاها عمرو في قطعة رائعة اوردها الشريف المرتضى في اماليه وكان موته بسبب افتراس نمرين فلذلك تقول في مطلعها :

سألـت بعمـرو اخـي صحبـه   فافضعـني حـين ردوا السـؤالا
وقـالـوا اتيـح لـه نـائمـا   اعـر السبـاع عليـه احـالا
اتيـح لـه نـمـرا أجبـل   فنـالا لعمـرك منـه منـالا

الخ . ومنها الشاهد المشهور في النحو . — اقد علم الضيف والمرملونا البيتين والفارعة بنت شداد التي قالت ترثي اخاها مسعودا قطعتها الدالية :

يا عين بكـي لمسعود بن شداد   بكـاء ذي عبرات شجوه بـاد

وقد اوردها بتمامها الحصري في زهر الآداب ومن اشهر الرجال في هذا الباب عدي اخو مهلهل بن ربيعة الذي اظهر في رثاء مهلهل ما اظهر مهلهل في رثاء كليب وقد اورد ذكره المرزباني في معجم الشعراء . ومتمم ابن نويرة اخو مالك بن نويرة الذي قتله خطأ خالد بن الوليد وقد سارت الركبان بشعره فيه وعقد له حديثا ابو الفرج في الاغاني في الجزء الرابع عشر . وكعب الغنوي الذي اشتهر برثائه اخاه ابا المغوار بالبائية التي مطلعها

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا   كانك يحميك الشراب طبيبُ

وبه ضرب المثل شاعرنا وحافظ العربية بمصرنا الاستاذ الكبادي اذ يقـول في مرثيته لامير الشعراء احمد شوقي رحمه الله

شوقي رثيتك عن فـؤاد موجع   كرثاء كعب في ابي المغوار .

وضرار بن نهشل اذ يقول في رثاء اخيه يزيد

لعمري لئن امسى يزيد بن نهشل   حشا جدث تسفي عليه الروائـح
لقد كان ممن يبسط الكف بالندى   اذا ضن بالخير الاكف الشحائـح

الى آخر كلمته التي منها البيت المشهور في الشواهد

ليبك يزيـد ضارع لخصـومـة   ومختبط ممـا تطيح الطـوائـح

العالم الاسلامي

المسلمون في بولونيا

بقلم الاستاذ عثمان الكعاك

يوجد في بولونيا من المسلمين نحو ٦٠٠٠ نسمة ضاربين بجهة ويلنو وناحية نوفوغرودك ، كما يوجد ما يقرب من الفين مستقرين بمدينة كوناس عاصمة بلاد ليطوانيا وجالية ثالثة قريبة من هذا العدد كائنة ببلدة مينسك في الروسيا السوفياتية ، لكن لم تبق اية صلة بين مسلمي بولونيا وغيرهم من مسلمي كوناس ومينسك رغم وجود قرابة بينهم جميعا لا شك فيها ، وذلك ان العلاقات قد قطعت بين مدينتي ويلنو وكوناس اللتين لا تكادان تبعدان عن بعضهما ٢٠٠ كيلو ميتر على اثر الخلاف الذي شجر بين بولونيا وليطوانيا . واما جالية مينسك فقد فصلتها الحكومة السوفياتية تمام الفصل عن بقية العالم وحرمت عليها تحريما باتاً ان تتخابر (ولو بالرسائل) مع مسلمي ويلنو ، ولو جرؤ احدهم على ذلك لناله من صارم العقاب ما تشيب لهوله الاطفال واصل المسلمين البولونيين - في البعض - من التتار المهاجرين من جزيرة القرم وجبال القوقاز ، والبعض الآخر من التتار النازحين من قارة آسيا على عهد جنكيز خان . هاجر البعض منهم اختيارا الى بولونيا غير ان معظمهم من اسرى الحرب الذين اخذهم الدوق الكبير ويطولد في غزواته بجهات سباسب الجنوب فأقروا بالبلاد في القرن الخامس عشر (التاسع الهجري) واقطعهم ملوك بولونيا الارضين . ولما كانت سنة ١٤١٠ قادهم زعيمهم الامير جلال

ورثاء الاخوان بعد ذلك شائع شيوعا كان سلوة لفاقدي اخوانهم كما قالت الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي

واما رثاء الازواج فقد مر بنا من مثله ما شككنا في صحته من اخبار البسوس والحق انه باب غير مطروق في الشعر القديم لان العلاقة بين الرجل والمراة لم تكن تقوم على العاطفة بل لم يكن مبناها الا تحصيل السعادة المادية للطرفين كما يدل له حوار النساء الذي ورد به حديث ام زرع

واما رثاء غير الاقارب فهو ضرب يتمحض الى الشعر الحماسي ومظهر البكاء فيه ضعيف وان كان بابا يمثل منزلة المراة في الحياة الجاهلية وهنا نمسك العنان عن هذا الحديث المترامي الاطراف المتعلق من النفوس الحساسة بالشغاف مكتفين بهذه الالمامة غير مستنزرين صوب الغمامة ولعل خوالج النفس تعود بنا اليه فنوافيه بمجلد يتناوله من وسطه وحواليه

محمد الفاضل

الدين وابلوا البلاء الحسن في وقعة عزونفالد الشهيرة وتفوقوا ببسالتهم وقيمتهم العسكرية النادرة المثال . وهذا الحادث التاريخي يلذ لكل بولوني مسلم ان يعيد ذكراه ، ومن ذلك العهد سار البولونيون على هذه السنة الحسنة ومنحوا وطنهم بولونيا جنودا بواسل ووطنيين صادقين على كر الشهور ومر الدهور .

الكثيرون من هؤلاء التتار تزوجوا بنسوة بولونيات من بنات البلاد الاصليات وسرعان ما تحولن الى مسلمات مؤمنات ، وكلهم يثبتون كرم محتدهم ونبل ارومتهم وما من عائلة الا وهي تحتفظ - كاعز شيء لديها - باعلام الاجداد . وقد اصبح هؤلاء البولونيون اليوم من الطبقة البرجوازية المتوسطة ، فقليلهم غني وكلهم متمتعون بشيء من اليسر الطيب الذي لا بأس به ، وكثير منهم ما زالوا يملكون الارضين التي اقطعها ملوك بلونيا لاجدادهم ، ومنهم من هو ملازم للفلاحة بالارياف وتطلب النخبة المفكرة من المسلمين البولونيين المهن الحرة كالطب والمحاماة والهندسة والصيدلية وترغب في الوظيف والعدالة والرتب العسكرية في الجيش البولوني ، ويجب علينا ان نلاحظ هنا ان التتار البولونيين كانوا ينخرطون في سلك الجيش القيصري الروسي - قبل الحرب - بكامل الحرية وما ازفت ساعة الحروب حتى كان الجيش الروسي يشتمل على اربعة امراء (جنرال) جنود من البولونيين التاريين وكان صاغقلاسي (كولونيل) فرسان الحرس القيصري في بطرهوف تتاريا اصله من مدينة ويلنو - ثم لما حدث الانقلاب الروسي نظم المسلمون البولونيون كتيبة اسلامية خاصة وجاهدوا الى جانب البولونيين ضد البلشفيك ، والى يومنا هذا ما زالت هذه الامة التتارية القليلة العدد متشبثة اشد التشبث باذيال الشعب البولوني ، لا سيما وافرادها لايتكلمون الا اللغة البولونية . واما تتار مدينة ويلنو ، الذين هم في الحقيقة جالية ضئيلة مغمورة بالدهماء البولونية - فانهم قد وفقوا بين الاسلام والمدنية الغربية وحافظوا على المبادي العامة المحمدية ، فلهم مساجدهم التي لا يقل عددها عن ١٦ بجهة ويلنو منها جامع كبير بمدينة ويلنو نفسها وهو مبني بالخشب احسن البناء ولو كان بسيطا في حد ذاته الا انه نظيف معتنى به احسن اعتناء . وقد عزم مسلمو ورسو (اوفرسوفيه وهي عاصمة بلاد بولونية) على ان ينشئوا جامعا كبير بمدينة (ورسو) العاصمة وجعلوا شغلهم الشاغل جمع الاعانات والاموال اللازمة من كافة البلاد الاسلامية ، فمدهم الملك فؤاد (رحمه الله) بستين الف فرنك ، (يقول مترجمه ان الاموال اللازمة لانشاء هذا الجامع قد جمعت وشرع في بنائه بعد ، وهو سيكون من اكبر الجوامع في العالم الاسلامي ، وقد اتصلنا في السنة الفارطة - ١٩٣٦ - بمناشير من لجنة بناء الجامع نشرتها الصحافة المحلية في ابانها) اهـ

القليل من المسلمين البولونيين من يصوم شهر رمضان ، لكنهم مواظبون نساء ورجالا على الصلوات الخمس ولا سيما صلاة الجمعة فانهم يذهبون الى الجامع لاداء هذه الفريضة زرافات ووحدانا من رجال ونساء ، وافراد منهم فقط قد ادوا فريضة الحج منهم مفتي ويلنو الحالي وهو الاستاذ يعقوب شينكياويش

المستشرق المعتبر . لكل جامع امام ومؤذن تصرف لهما اجرتهما من ميزانية الدولة . والامام يقوم في الآن نفسه بوظيفة قاض تحت اشراف المفتي . وتقام الصلاة بلسان عربي مبين اما الخطب الجمعية فهي تلقى باللغة البولونية . ولكل جامع مقبرة تعاقبه كائنة خارج المقبرة النصرانية بالتمام والكمال

التتار البولونيون يعاقرون عادة بنت الحان غير ان البعض منهم ممن ينتسب الى الاوساط العلية يترفعون عن هذه الوصمة . وجميعهم يستهلكون لحم الخنزير . والظاهر ان هؤلاء المسلمين يسلكون نحو بعضهم مبدأ الاغاثة المتبادلة وهي صورة من صور الزكاة مطبقة على احوال العصر . ومما تجب ملاحظته ان التعليم الاسلامي ضعيف وبسيط (يقول مترجمه ان هذا النقص سيقع جبره عند الانتهاء من بناء الجامع لانه سيشمل مدرسة عليا للديانة والاداب الاسلامية) لكن عند ما يبلغ الولد او البنت السنة السادسة من عمرهما يذهبان الى المدرسة حيث يتعلمان الصلاة . وفي كل صورة لا يحفظون القرآن عن ظهر قلب كما هو الشان في سائر البلاد الاسلامية . وما زال اهل البادية مصرين على تعلم الحروف العربية حتى ان بعض الريفيين اليوم يكتبون اللغة البولونية بحروف عربية وقد رايت عيانا نص وصاية مكتوبا بالبولوني بالخط العربي . واذا استثنينا بعض العلماء الذين درسوا بالقاهرة والذين منهم مفتي (ويلنو) فان معظم هؤلاء المسلمين لا يفهمون العربية التي بقيت بالنسبة اليهم لغة الفرائض الدينية مثل اللاطينية عندنا معشر النصارى)

على ان القرآن قد ترجم الى اللغة البولونية ولكن هذه الترجمة هي في الحقيقة عبارة عن نقل للترجمة الفرنساوية التي قام بها كازيميرسكي . وقد علمت ان المفتي الدكتور يعقوب شينكياويش يحضر الآن ترجمة اصلية مباشرة من العربية الى البولونية .

توجد في مدينتي ورسو وويلنو معهدان خاصان يتمتعان بمنحة حكومية تدرس بهما علم الاجتماع الاسلامي واللغات التركية والفارسية والعربية والصينية واليابانية . لكن هذا التعليم هو في الحقيقة تعليم عال مطابق - مع حفظ النسبة - للتعليم الموجود بمدرسة اللغات الشرقية في باريس .

وحالة البولونيين التتار - من الناحية القانونية - خاصة ممتازة - فالحكومة الروسية كانت تظهر تسامحا خارقا للعادة في مسائل الدين الامر الذي مكن المسلمين من المحافظة على احوالهم الشخصية الاسلامية . ولما كان القانون الروسي هو الذي ما زال جاريا به العمل في جهات الشمال الشرقي فالشريعة الاسلامية هي السائدة اليوم بتلك الجهات بحيث ان البولوني التتاري يستطيع - نظريا - ان يعدد زوجاته ولو كانت هذه العادة قد تركت - عمليا - في زوايا الاهمال ؛ وكل المسائل المتعلقه بالمواريث والزوجيات والطلاق يحكم فيها الايمة القائمون مقام القضاة اللهم الا اذا تواطأ الطرفان اللذان يهمهم الامر على ان يترافعا لدى المحاكم البولونية والمسلمون التتار البولونيون - كسائر المسلمين الاوروباويين - يتبعون المذهب الحنفي . ونقول ختاما ان الجالية التتارية البولونية - ولو كانت قليلة العدد - فانها تكون وسطا مفكرا في غاية النشاط . فهنالك عدد عديد من التآليف والمصنفات التي نشرها التتار بمدينة ويلنو متعلقة بتاريخهم ورغائبهم من جملتها مجلة تصدر كل ثلاثة اشهر بمدينة ورسطو في ٣٢ صفحة منذ سنة ١٩٣١ ومنها التقويم السنوي للبولونيين التتار

عثمان الكعاك

حكم الله في التجنيس

بقيـة مـا نشر بصحيـفة ٤٩٠

الفرع الثالث - قال في الهندية ايضا : لو قال الرجل لغيره حكم الشرع في هذه الحادثة كذا ، فقال انا افعل بالرسم لا بالشرع يكفر اه (صفحة ٢٧٢ من الجزء المذكور) ولا شك أن المتجنس لا يعمل بالشرع وانما يعمل بقانون الدولة التي اعتنق جنسيتها

الفرع الرابع - قال في الخيرية : اذا سلمت فتوى شرعية من شيخ الاسلام لرجل فالقاها على الارض محتقرا لها فانه يكفر ونـقل ذلك عن البحر اه (صفحة ١٠٥ طبعة بـولاق) ولا شك ان المتجنس قد اظهر احتقاره لجميع احكام الشرع بالتزامه عدم العمل به

الفرع الخامس -قال في الهندية : رجل عرض عليه خصمه فتوى علماء الشرع في حادثة فرماها الى الارض وقال : ما هذا الشرع ؟ يكون كافرا اه (صفحة ٢٧٢ جزء ٢ من الطبعة السابقة)

الفرع السادس - قال في الخيرية : سئل في رجل دعي الى الشرع ليتقاضى لديه فامتـنع من الحضور وقال :إنا لا انظر هذه الدعوى بالشرع بغلظة مستخفا بالشرع الشريف وثبت استخفافه بالبينة المعدلة لدى الحاكم الشرعي فاجاب بانه يكون مرتدا وتطبق عليه احكام المرتدين من الحبس وكشف الشبهة والقتل ان لم يجدد الاسلام اه (صفحة ١٠٥ من الطبعة السابقة) ولا شك ان استخفاف المتجنس بالشرع لا يحتاج الى بينة لانه ثابت باقراره حيث امضى بنفسه على التزام عدم التقاضي الى قضاة الشرع

اقول وقد وقفت على فتوى لشيخ الاسلام الشيخ محمد بيرم الرابع رحمه الله يكفر من ينبذ الاحكام الشرعية ويلتزم احكام الكفار ، اثناء رسالته التي اجاب بها عن السؤال الذي وجهه اليه المشير احمد باشا الاول في جمادى الاولى عام ١٢٦٠ في حكم العمل بالشهادات الواردة من الجزائر واعمالها فيما يعرض لاهل تلك النواحي من هذه الحقوق وانفصل على قبول شهادتهم ، ونص ما به الحاجـة من تلك الرسالة : نعم اذا كان حال هـؤلاء - اي المحتمين - الخروج عن ربقة الاحكام الشرعيـة ونبذها والتزام احكام الكفار او كان امتناعهم - اي من التقاضي لدى قطـاة الشرع - استخفافا فـذلك موجب لكفرهم بلا ريب أذ صرح في الخيرية مجيبا عمن قال : لا نعمل بالشرع وانما نعمل بدعـائم العرب بان قائل ذلك ان قـاله لا عتـقاده عدم حقية الشرع او استخفافـا فلا ريب في كفره اه وهـذا الفرع الذي استدل به هو الفرع الاول من الفروع الستة التي ذكرناها سابقا ،

فهذه الفروع صريحة في ارتداد المتجنس والعياذ بالله . وفيها زيادة على ذلك فائدة اخرى يجب

ان يتنبه لها عموم المسلمين وهي وجوب تعظيم علماء الدين واحترامهم وتنزيلهم في المنزلة اللائقة بمقامهم الرفيع ولقد وقفت على نصوص كثيرة تفيد كفر كل من يحتقر عالما من علماء الدين او يزدري به او يتشبه به على وجه التهكم وليس المقام مقام بسط ذلك فلنرجئه الى فرصة اخرى نعود فيها الى هذا الموضوع فنوفيه حقه من البيان والاستدلال بحول الله وانما نرجو من الله ان يرزقنا التوفيق وحسن الادب .

ادلة ذلك من القرءان

وبعد ما ذكرنا من كلام الفقهاء ما يفيد ردة المتجنس فمن الواجب ان نتعرض لادلة ذلك من القرءان العظيم

ان من يقرأ القرآن بتدبر وإمعان . يقف على آيات كثيرة تدل دلالة صريحة اوكالصريحة على كفر من يلتزم ترك العمل بالشرع ويعمل بغيره . ونقتصر على ذكر بعض تلك الآيات اذ الاحاطة بكل ما في كتاب الله مما تعجز عنه القوى البشرية .

ففي سورة آل عمران : (٨٥) ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (٨٦) كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظلمين (٨٧) اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين (٨٨) خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون (٨٩) الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم)

قال البيضاوي : قوله (ومن يبتغ غير الاسلام دينا) اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى وقوله (وهو في الآخرة من الخاسرين) اي الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها . وقوله (كيف الله يهدي قوما كفروا بعد ايمانهم الآية) استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد . وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد . وقوله (الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا) اي تابوا من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا اه

وذكر الفخر الرازي في قوله (كيف الله يهدي قوما كفروا الآية) اختلافا بين العلماء في سبب نزولها على ثلاثة اقوال ترجع كلها الى انها نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام . وانما الخلاف في تعيينهم ثم قال بعد كلام طويل : وقوله (الا الذين تابوا من بعد ذلك) المعنى الا الذين تابوا منه ثم بين ان التوبة وحدها لا تكفي حتى ينضاف اليها العمل الصالح فقال واصلحوا اي اصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات وذلك بان يعلنوا باناكنا على الباطل حتى انه لو اغتر بطريقتهم الفاسدة مغتر رجع عنها اه

وفي سورة النساء : (٦٠) «الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا (٦١) واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا) الى قوله (٦٥) فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هاته الآية عدة اقوال اشهرها انها نزلت في رجل منافق يقال له بشر تخاصم مع يهودي في حق بينهما واحتاجا الى التحاكم ، فطلب بشر من اليهودي ان يتحاكما الى كعب بن الاشرف - وهو المراد من الطاغوت في الآية على بعض الاقوال - وطلب منه اليهودي ان يتحاكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافعا الى رسول الله فحكم لليهودي على بشر فلما خرجا من عنده قال بشر: لا ارضى بهذا الحكم . بيني وبينك ابو بكر فذهبا اليه فحكم لليهودي على بشر فلم يرض بحكمه وقال لليهودي بيني وبينك عمر . فاتياه . فقص اليهودي على عمر رضي الله عنه جميع ما جرى بينهما . فقال عمر لبشر : أحقيقة ما قال ، فقال له : نعم ، فدخل عمر الى بيته واخرج سيفا وضرب به عنق بشر فسقط ميتا . وقال رضي الله عنه : هكذا اقضي على من لم يرض بقضاء الله ورسوله . فلما بلغ الامر الى النبيء صلى الله عليه وسلم قال لعمر : انت الفاروق . اي الذي يفرق بين الحق والباطل . فصار هذا الوصف لقبا له رضي الله عنه

قال النيسابوري : وقد اختلف المفسرون في المراد من الطاغوت على اقوال متعددة ترجع كلها الى معنى واحد وهو التحاكم لغير كتاب الله وسنة رسوله . وبقطع النظر عن كون الطاغوت اي شيء هو فأنه تعلى جعل التحاكم اليه مقابلا للكفر به - اي بالله - وجعل الكفر بالطاغوت ايمانا بالله ورسوله اي في قوله تعلى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها - فيكون نصا في تكفير من لم يرض بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم تشككا او تمردا . ويؤيده قوله تعلى فلا وربك لا يؤمنون الآية اهـ

وقال القاضي ابو بكر الجصاص : وفي قوله تعلى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية دلالة على ان من رد شيئا من اوامر الله تعلى او اوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج من الاسلام سواء رده من جهة الشك فيه او من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم اهـ

وقال الفخر الرازي في تفسير هذه الآيات : المسئلة الثالثة مقصود الكلام ان بعض الناس اراد ان يتحاكم الى بعض اهل الطغيان ولم يرد التحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم قال القاضي ويجب ان يكون التحاكم الى هذا الطاغوت كالكفر وعدم الرضا بحكم محمد صلى الله عليه وسلم كفر ويدل

عليه وجوه الاول انه تعلى قال يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به فجعل التحاكم الى الطاغوت يكون ايمانا به ولا شك ان الايمان بالطاغوت كفر بالله كما ان الكفر بالطاغوت ايمان بالله . الثاني قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله ويسلموا تسليما . وهذا نص في تكفير من لم يرض بحكم الرسول عليه الصلاة والسلام الثالث قوله تعلى (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) وهذا يدل على ان مخالفته معصية عظيمة . وفي هذه الآيات دلائل على ان من رد شيئا من اوامر الله او اوامر الرسول عليه الصلاة والسلام فهو خارج عن الاسلام سواء رده من جهة الشك او من جهة التمرد وذلك يوجب صحة ما ذهبت الصحابة اليه من الحكم بارتداد مانعي الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم اهـ

وفي سورة النساء : (١١٥ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

قال البيضاوي قوله (ويتبع غير سبيل المؤمنين) اي غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل . وقوله (نوله ما تولى) اي نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره اهـ

وافاد الفخر الرازي ان الآية نزلت في رجل ارتد عن الاسلام وهو طعمة بن ابيرق فانه عند ما راى ان الله هتك ستره وبرأ اليهودي من تهمة السرقة ارتد وذهب الى مكة ونقب جدار انسان لاجل السرقة فتهدم الجدار عليه ومات فنزلت هذه الآية اهـ

وفي سورة المائدة (٤٤ ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون)

قال البيضاوي : ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره اهـ

وقال الجصاص : الظاهر ان المراد بالكفر الشرك والجحود فان المراد جحود حكم الله او الحكم بغيره مع الاخبار بانه حكم الله فهذا كفر يخرج عن الملة وفاعله مرتد ان كان قبل ذلك مسلما الخ

وفي سورة المائدة ايضا (٥٤ يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٥) انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٦) ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون

وفي سورة النور (٤٦) لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (٤٧) ويقولون ءامنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين (٤٨)

واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون (٤٩) وان يكن لهم الحق يـاتوا اليه مذعنين (٥٠) افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون (٥١) انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون (٥٢) ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون)

قال الفخر الرازي : هذه الآيات في ذم قوم اعترفوا بالدين بالسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم. وقوله (ويقولون ءامنا الى قوله وما اولئك بالمؤمنين) يدل على ان الايمان لا يكون بالقول (أي فقط) اذ لو كان به لما صح ان ينفى كونهم مؤمنين وقد فعلوا ما هو ايمان في الحقيقة(١) وقوله (وما اولئك بالمؤمنين)راجع الى الذين تولوا المشار اليهم بقوله ثم يتولى فريق منهم.وقوله (افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) ذمهم على كل واحد من هذه الاوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق . وكان فيها شك وارتياب . وكانوا يخافون الحيف من الرسول عليه الصلاة والسلام وكل واحد من ذلك كفر ونفاق . ثم بين تعلى بقوله (بل اولئك هم الظالمون) بطلان ماهم عليه لان الظلم يتناول كل معصية كما قال تعلى (ان الشرك لظلم عظيم) اذ المرء لا يخلو من ان يكون ظالما لنفسه او ظالما لغيره وقوله (انما كان قول المؤمنين الآية) معناه كذلك يجب ان يكون قولهم وطريقتهم اذا دعوا الى حكم كتاب الله ورسوله ان يقولوا سمعنا واطعنا فيكون اتيانهم اليه وانقيادهم له سمعا وطاعة ومعنى سمعنا اجبنا على تاويل قول المسلمين سمع الله لمن حمده اي قبل واجاب اه

وذكر ابن العربي في تفسير هاته الآية فرعا جديرا بالاهتمام . وهو انه اذا حدثت نازلة بين معاهد ومسلم فالذي ينظر فيها هم قضاة المسلمين ولا يجوز ان يقع التقاضي فيها لدى اهل الذمة واذا كانت بين ذميين فذلك اليهما فاذا جاءآ إلى قاضي الاسلام ان شاء حكم وان شاء اعرض.اه قلت وهذا الحكم قد صار العمل به معكوسا في غالب بلدان الاسلام في زماننا هذا فاذا كان احد المتخاصمين اجنبيا والآخر مسلما فالقضاة المسلمون محجر عليهم بمقتضى القوانين ان ينظروا في تلك القضية بل صار محجرا على قضاة المسلمين ان ينظروا في الخصومات التي تقع بين المسلمين والمتجنسين . وللقوة والسلطان . اثر ظاهر في هذا الشان . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

هذا ما اردنا ان نستدل به على حكم المتجنس من نصوص القرءان وكلام علماء الاسلام في تفسيره . بعد ما نقلناه من صريح كلام الفقهاء ثم زيادة على ما تقدم نذكر ـ لزيادة التاييد ـ انه قد افتى علماء الاسلام المعاصرون في مختلف الاقطار الاسلامية بارتداد المتجنس . فافتى من علماء الهند

(١) انظر صفحة ٣٣٤ ج ٦ من تفسير الفخر طبع المطبعة العامرة الشرفية سنة ١٣٠٨

العالم الجليل الشيخ عبد العزيز الحيدر ابادي (١) ومن غرائب الصدف ان هذا العالم ايد فتواه بفتوى قديمة كانت صدرت من علماء تونس وهي الفتوى التي استصدرها المرحوم حسين وزير المعارف بالدولة التونسية قبل الاحتلال عندما كلفته الدولة بالنيابة عنها في قضية القائد شمامه اليهودي الذي كان متوليا لرءاسة القباضة العامة وادارة المال بتونس وبعدما سرق اموال الدولة ذهب لايطاليا وتجنس بجنسيتها حتى لا تتمكن الدولة التونسية من الحاق العقاب به . فافتى شيخ الاسلام المرحوم الشيخ احمد بن الخوجة بعدم صحة اعتناقه للجنسية الطليانية ولو كان مقيما في دار الكفر ووافقه على ذلك اربعة من كبار فقهاء الحنفية في ذلك العصر وهم الشيخ حسن عباس المفتي . والشيخ مصطفى رضوان والشيخ الشاذلي ابن القاضي والشيخ محمود بيرم من مدرسي جامع الزيتونه عمره الله وهي مؤرخة بيوم ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٢٩٤ الموافق لعام ١٨٧٧ (٢)

وافتى من علماء القدس مفتي بيت المقدس وعالمها العامل المجاهد في سبيل الله الشيخ محمد امين الحسيني .

وافتى من علماء مصر الشيخ محمد شاكر وكيل مشيخة الجامع الازهر سابقا (٣) والشيخ يوسف الدجوي (٤) والشيخ على محفوظ والشيخ محمد عبد الباقي الزرقاني (٥)

والمرحوم العلامة الجليل الشيخ رشيد رضا (٦) وعلى عادته رحمه الله في التنويه بما يحرره وينشيه ختم فتواه بقوله (ارايتم هذه الصراحة في بيان حقيقة دينكم التي قلما يتجرأ غير صاحب المنار على الجهر به في صحيفة تنشر؟ انها لهي بعض ما يجب ان تعلموه وتعملوا به ولو صرح لكم بكل ما يجب عليكم لرجت الارض رجا . وقامت عليه دول اروبة وصحفها بل على الاسلام كله . على انه قد بين كل شيء في فرص اخرى . ولكن اكثر المسلمين لا يقرؤون . واكثر الذين يقرؤون منهم لا يفقهون .

---

(١) انظر جريدة (الخلافة) التى تصدر باللسان الهندي في بمباي في العدد ٦٢ من الجزء ٣ المؤرخ بيوم ١١ جمادي الثانية سنة ١٣٤٢ الموافق ليوم ١٨ جانفي سنة ١٩٢٤

(٢) انظر الفتوى بنصها بصفحة ٤٧ من كتاب الشعب التونسي والتجنيس لناشره السيد الجيلاني الفلاح طبع بمطبعة العرب بتونس عام ١٣٤٢

(٣) انظر جريدة (المقطم) المصرية في عددها المؤرخ بيوم ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٤٢ الموافق ليوم ٢٧ نفمبر سنة ١٩٢٣

(٤) انظر جريدة (الفتح) المصرية في عددها المؤرخ بيوم الخميس ١٣ ربيع الثاني ١٣٥٢

(٥) انظر فتواهما بعدد (الفتح) المذكور والعدد بعده . وهذه الفتوى هي التي نشرتها في هذه الايام جريدة (الارادة) في عددها المؤرخ بيوم الاربعاء ٢٩ ربيع الاول المنصرم الموافق ليوم ٩ جوان الجاري .

(٦) انظر صفحة ٢٢٤ من مجلة المنار جزء ٣ من المجلد ٣٣ المؤرخ بشهر المحرم عام ١٣٥٢

وأكثر الذين يفقهون على قلتهم في انفسهم متحيرون . لا يدرون ما يعملون (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون)

ومن ذلك كله يظهر ظهورا بينا لاشك فيه لاولي الالباب ولغير اولى الالباب ان المتجنس قد ارتد عن الاسلام وانسلخ عنه والعياذ بالله وصار في عداد المرتدين . واستبدل الهدى بالضلال . وباع الذي هو ادنى بالذي هو خير

ومن يبع آجلا منه بعاجله يبن له الغبن في بيع وفي سلم

وحيث قد ثبت ان المتجنس مرتد فيجب أن تنطبق عليه جميع احكام المرتدين من حيث العقاب والاحكام وكل ما يترتب على ذلك .

لذلك راينا اتماما للفائدة واستقصاء لهذا الموضوع ان نلخص احكام المرتد حتى تقع معاملة المتجنس بها فنقول :

عقاب المرتد

اذا ارتد المسلم والعياذ بالله فاول ما يفعل معه هو ان يعرض عليه الاسلام ليرجع الى ما كان فيه . ثم بعد ذلك تكشف شبهته ان كانت له شبهة ثم يحبس ثلاثة ايام يعاد عليه في اثنائها العرض وكشف الشبهة . فان رجع الى الاسلام فبها . والا فهناك تفصيل في حكمه بالنظر الى كونه رجلا او امرأة او خنثى مشكلا او صبيا

فان كان رجلا وجب قتله . واستدل لذلك في البدائع بالحديث الصحيح الذي رواه البخاري واحمد وهو قوله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه

وان كان امرأة فلا يجوز قتلها وانما تحبس حبسا مؤبدا ولا تجالس ولا تؤاكل وظاهر الرواية انها لا تضرب . وفي رواية عن الامام الاعظم رضي الله عنه انها تضرب في كل يوم ثلاثة اسواط . وروى الحسن انها تضرب تسعة وثلاثين صوتا الى ان تموت او تسلم . واختار بعضهم انها تضرب خمسة وسبعين صوتا وهو ميل الى قول الامام ابي يوسف في نهاية التعزير (١)

وان كان خنثى شكلا فحكمه كحكم المرأة فلا يقتل وانما يحبس ويضرب حتى يرجع الى الاسلام (٢)

وان كان صبيا فهناك خلاف في قبول ردته من اصلها . فذهب ابو يوسف الى عدم قبول ردته الى ان يبلغ . وذهب الامام الاعظم ومعه محمد الى قبول ردته قياسا على قبول اسلامه . ولكنهما اشترطا

(١) انظر ابن عابدين في حاشيته على الدر صفحة ٤٢٠ جزء ٣
(٢) نقله في البحر عن التتارخانية صفحة ١٣٩ جزء ٥

في قبول ردته ان يكون عاقلا . وضابط عقله ان يعرف ان الاسلام سبب للنجاة . ويميز الخبيث من الطيب . قال الطرسوسي : ولم ار احدا قدره بمدة من العمر (١) وتعقبه شيخ الاسلام الشيخ محمد بيرم الاول في كتابه بغية السايل في اختصار انفع الوسايل بانه قد وقف على تحديدسنه بسبعة اعوام في الفتاوى الهندية والنهر والمجتبي والسراجية . ثم على القول بقبول ردته فحكمه انه لا يقتل وانما يحبس ويضرب حتى يعود الى الاسلام قلت وعلى هذا فابناء المتجنسين لا يحكم عليهم بالارتداد الا اذا بلغوا على ما اختاره ابو يوسف . او عقلوا على ما اختاره الامامان وكانوا راضين بذلك

ما ينشا عن الردة من الاحكام

بمجرد ارتداد الانسان تنشأ عن ردته عدة احكام . منها انه تبين عنه زوجته وتكون تلك البينونة فسخا عند الامام الاعظم وابي يوسف وقال محمد تكون فرقة طلاق واما اذا ارتدت المرأة فتكون الردة فسخا للنكاح باتفاق . ثم اذا تاب وعاد الى الاسلام فلا ترتفع تلك البينونة الا بنكاح جديد ولا يكفي فيها مجرد الاسلام (٢)

ومنها انه لا يجب عليه شيء من العبادات حال ردته لعدم خطاب الكفار بالشرائع عندنا فلا يطالب بعد اسلامه بقضاء ما فاته في حال الردة . ومنها احباط اعماله ببطلان ثواب ما له من الاعمال الصالحة حال اسلامه ومنها انه لا ينكح ولا ينكح . ومنها ان ما ارتكبه من المعاصي في حال اسلامه يبقى بعد الردة ويكون مطالبا بتداركه ان رجع الى الاسلام . حتى اذا كان عليه قضاء صلوات او صيامات تركها حال اسلامه ثم عاد الى الاسلام بعد ردته فانه يكون مطالبا بقضاء ما كان مطالبا به قبل الارتداد

ومنها بطلان اوقافه سواء ما كان منها على قربة ابتداء او على ذريته ثم على المساكين لانه قربة ولا بقاء لها مع وجود الردة واذا عاد الى الاسلام لا يعود وقفه الا بتجديد منه . واذا مات او قتل كان وقفه ميراثا بين ورثته كما اوضحه الخصاف في اخر اوقافه (٣)

ومنها عدم قبول شهادته حتى على مرتد مثله بخلاف الكافر الاصلي فان شهادته تقبل على مثله قال شيخ الاسلام الرابع في رسالته التي الفها في احكام المحتمين من اهل الجزائر التي اشرنا اليها سابقا ما نصه : ان شهادة الكافر المقبولة على مثله انما هو في غير المرتد اما هو فلا ولو على مثله ففي البحر عن المحيط واختلف في شهادة مرتد على مثله والاصح عدم القبول بحال اهـ .

(١) انظر انفع الوسايل للطرسوسي صفحة ٥٢

(٢) انظر ابن عابدين على الدر صفحة ٤١٢ جزء ٣

(٣) انظر البحر صفحة ١٣٧ جزء ٥

وقد ظهر من مجموع هاته الاحكام ان المرتد اسوأ حالا من الكافر الاصلي وبذلك صرح في البحر فقال : الردة افحش من الكفر الاصلي في الدنيا والآخرة (١)

اموال المرتد وارثه

اذا ارتد الانسان زال ملكه عن ماله زوالا موقوفا فان اسلم عاد ملكه اليه وان مات او قتل على ردته فاما المال الذي اكتسبه في حال الاسلام فانه يرثه عنه ورثته المسلمون لقضاء علي رضي الله عنه بذلك فقد ذكر في البدائع ان عليا رضي الله عنه لما قتل المستورد العجلي بالردة قسم ماله بين ورثته المسلمين وكان ذلك بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم من غير انكار فكان اجماعا . واما ما كسبه حال ردته ففيه خلاف بين الامام وصاحبيه . قال الصاحبان رضي الله عنهما هو ككسبه في حال اسلامه فيعطى لورثته المسلمين . وقال الامام رضي الله عنه انه فيء فيوضع في بيت مال المسلمين بناء منه على ان ما اكتسبه في حال ردته لم يصر ملكا له عند ما مات او قتل عليها وما ليس ملكا له لا يورث عنه . واختلف في الوارث هل يشترط فيه إن تكون ثابتة له صفة الارث في يوم الارتداد او في يوم موت المرتد او فيهما اقوال ثلاثة اصحها رواية محمد عن الامام وهي ان العبرة بيوم الموت . حتى لو كان ابن المرتد له مانع من الارث يوم الارتداد فان كان مرتدا ثم اسلم قبل موت ابيه ثم مات ابوه على ردته فانه يرثه هذا بالنسبة لتوارث غير الزوجين . واما بالنسبة لهما فاذا مات الزوج وهو مرتد فان زوجته المسلمة ترثه ان مات وهي في العدة وتخرج المسئلة من باب طلاق الفار . وان مات بعد العدة فلا ترث . واذا ماتت الزوجة وهي مرتدة فاذا كان ارتدادها في حال المرض ورثها زوجها المسلم لانها قصدت ابطال حقه فتعامل بنقيض مقصودها . وان كانت قد ارتدت وهي صحيحة فانه لا يرثها لانها لا تقتل كما تقدم فلم يتعلق حقه بمالها بالردة بخلاف المرتد(٢)

هذا حكم الارث من المرتد . واما ان المرتد هل يرث من الغير ام لا . فالحكم هو ان المرتد لا يرث بحال فلا يرث من مسلم ولا من كافر يوافقه في الملة ولا من مرتد آخر(٣)

قلت ومن هنا يعلم حكم استحقاق المتجنسين من الاوقاف وانهم محرومون منها لان المحبسين يشترطون الاسلام في استحقاق ريع اوقافهم وعليه فالواجب على قضاة الاسلام ان يمنعوا نظار الاوقاف من تمكين [illegible] من ريعها . وهل يعتبر الوقف من منقطع الوسط ام لا فليحرر

(١) انظر البحر صفحة ١٣٨ جزء ٣

(٢) انظر الفتاوى الخانية صفحة ٥٨٠ جزء ٣ والهداية صفحة ٣٩١ جزء ٤ والبدائع صفحة ١٣٨ جزء ٧ والبحر صفحة ١٤١ جزء ٥

(٣) من الفتاوى الخانية صفحة ٥٨٠ جزء ٣

حكم ديون المرتد

اما حكم ديون المرتد فاما ما لزمه منها في حال اسلامه فانه يقضى من كسب اسلامه . واما ما لزمه في حال ردته ففي قضائه روايات عن الامام اصحها انه يقضى ايضا من كسب الاسلام الا اذا لم يف بخلاص الدين فعند ذلك يلتجأ الى ما اكتسبه في حال الردة فيستخلص منه ما بقي من الديون حينئذ(١)

حكم تصرفات المرتد

اعلم ان تصرفات المرتد على اربعة اقسام :

القسم الاول — ما هو نافذ بالاتفاق بين الامام وصاحبيه وذلك كل ما لا يتوقف على ولاية تامة كقبول الهبة وتسليم الشفعة والطلاق في صورة ماذا أوقع على زوجته طلاقا وهي في عدة بينونتها منه بسبب الردة .

القسم الثاني — ما هو باطل باتفاقهم وذلك كل ما كان من الافعال يتوقف على كون فاعله صاحب دين كالنكاح والذبيحة والصيد والشهادة والارث

القسم الثالث — ما هو موقوف باتفاقهم وذلك كل ما كان من الافعال متوقفا على المساواة في الدين بين المتعاقدين وذلك كالتصرف على ولده الصغير وكشركة المفاوضة فاذا فاوض مرتد مسلما توقفت من اصلها عند الامام الاعظم وتنقلب الى شركة عنان عندهما وحكم هذا النوع انه ان اسلم نفذ وان مات او قتل بطل .

قلت وعلى هذا فاذا تجنس الانسان وكان له اولاد صغار فقد زالت ولايته عليهم ولم يبق له حق التصرف في اموالهم وعليه فالواجب نصب مقدمين على ابناء المتجنسين لينظروا في شؤونهم ويمنعوا اباءهم من التصرف فيهم .

القسم الرابع — ما هو موقوف عند الامام ونافذ عند صاحبيه وذلك كل ما كان مبادلة مال بمال او عقد تبرع كالمبايعة والصرف والسلم والهبة والرهن والاجارة والصلح عن اقرار وقبض الدين والوصية وحكم هذا النوع عند الامام كالذي قبله وحكمه عند صاحبيه النفاذ كالقسم الاول (٢)

دفن المتجنس

لا يجوز دفن المتجنسين في مقابر المسلمين ولا في مقابر غيرهم من اهل الاديان الاخرى قال في تنقيح الحامدية (صفحه ١١٦ جزء ١) سئل في المرتدة اذا ماتت اين تدفن فاجاب بانه اذا ثبت

(١) انظر الهداية صفحة ٣٩٤ جزء ٤ والبدائع صفحة ١٣٩ جزء ٧ والبحر صفحة ١٤٢ جزء ٥
(٢) انظر الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه صفحة ٤١٦ ج ٣

ارتدادها بعد اسلامها بالوجه الشرعي ثم ماتت وهي كذلك في سير الاشباه : واذا مات او قتل على ردته لم يدفن في مقابر اهل ملة وانما يلقى في حفرة ..... اه قلت فما صدرت به الاوامر العليه من لدن صاحب الجلالة ملكنا المعظم ابقاه الله من احداث مقابر خاصة بالمتجنسين هو المطابق للشرع . وكل محاولة ترمي الى ابطال العمل بتلك الاوامر فهي محاولة لتغيير الاحكام الاسلامية في بلاد دينها الاسلام . وذلك لا يمكن ان يقع بحال .

توبة المتجنس

والمتجنس كسائر انواع المرتدين يمكن له ان يتوب من ردته ويرجع الى دين الاسلام فباب الاسلام مفتوح على مصراعيه ليدخل فيه الناس افواجا . ولكن لا يكفي في توبته النطق بالشهادتين او اقراره بالرجوع عما كان فيه بمجرد اللسان بل لا بد من الاقلاع عن الامر الذي كان سببا في كفره والندم على ما فرط منه على ما هو المشترط في التوبة اذ من المعلوم ان التوبة لا تتم الا بالاقلاع وهي بدونه كالعدم قال في البحر انه لو اتى بالشهادتين على وجه العادة لم ينفعه ما لم يرجع عما قال اذ لا يرتفع بهما كفر كذا في البزازية وجامع الفصولين (صفحة ١٣٨ جزء ٥)

وقد اسمعناك فيما تقدم كلام الفخر الرازي في تفسير قوله تعلى (الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية) ومحل الحاجة منه هو قوله : ان التوبة وحدها لا تكفي حتي ينضاف اليها العمل الصالح وبما ان الامر الذي كان سببا في ارتداد المتجنس هو التزامه بترك العمل بالشرع وعدم التقاضي لديه والرجوع اليه فانه لا يقبل اسلامه الا اذا اقلع عن ذلك ونبذ الجنسية التي دخل فيها ورجع الى جنسية الاسلام

اقول ومن صرح من العلماء بقبول توبة المتجنس ولم يصرح بشرط الاقلاع فذلك بناء منه على انه شرط معلوم ملازم للتوبة لا تتحقق التوبة الا به

والحاصل ان المتجنس بجنسية اجنبية لا يصح اعتباره مسلما ومعاملته معاملة المسلمين الا اذا ترك تلك الجنسية ورجع الى الاسلام قولا وفعلا. وكان راضخا بقلبه الى احكام الشرع واوامره ونواهيه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

ثم اذا تاب المتجنس ورجع الى الاسلام فالعبادات التي كان مطالبا بها قبل ارتداده يجب عليه قضاؤها بعد رجوعه الى الاسلام كما تقدمت الاشارة اليه واما العبادات التي كان فعلها قبل ارتداده فانه لا يطالب باعادتها الا الحج فانه يجب عليه ان يعيده واما في حال الارتداد فانه لا يطالب بشيء من العبادات لانه كافر والكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة على الاصح (١)

هل اذا تاب المتجنس تعود له حسناته

قال في شرح المقاصد للمحقق التفتزاني في بحث التوبة : ثم اختلفت المعتزلة في انه اذا سقط

---

(١) انظر الفتاوى الخانية صفحة ٥٨٢ جزء ٣ والبزازية صفحة ٣٢١ جزء ٣ والبحر صفحة ١٣٧ جزء ٥ والدر صفحة ٤١٨ جزء ٣

الحركة العلمية والادبية

تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة

اقامت (جمعية الزيتونيين) حفلتها التي كنا اشرنا اليها في عدد سابق بقاعة الاجتماعات وقد حضرها كثير من العلماء والادباء وكان الغرض من هذه الحفلة افتتاح الجمعية لاعمالها وسماع المحاضرة التي سيلقيها حضرة العلامة الجليل المحقق الشيخ محمد البشير النيفر الاستاذ بالجامع الاعظم .

بدئت الحفلة بتلاوة القرآن العظيم

ثم قام رئيس الجمعية حضرة العالم الفاضل الشيخ محمد المؤدب العضو بمحكمة الجنايات فافتتح الحفلة بخطاب طويل شكر فيه الحاضرين على تلبية الدعوة . ثم بين برنامج الجمعية وما تنوي ان تقوم به من الاعمال في دائرة العلم والادب ، ثم قدم الاستاذ المحاضر ليلقي محاضرته ،

فتقدم حضرته وشرع في القاء محاضرته باسلوبه الجزل ، وبيانه الذي اشتهر به وعرفه منه كل من حضر بدروسه

استحقاق عقاب المعصية بالتوبة هل يعود ثواب الطاعة الذي ابطلته تلك المعصية فقال ابو علي وابو هاشم: لا ، لان الطاعة تنعدم في الحال وانما يبقى استحقاق الثواب وقد سقط والساقط لا يعود وقال الكعبي : نعم لان الكبيرة لا تزيل الطاعة وانما تمنع حكمها وهو المدح والتعظيم فلا تزيل ثمرتها فاذا صارت بالتوبة كان لم تكن ظهرت ثمرة الطاعة كنور الشمس اذا زال الغيم وقال بعضهم وهو اختيار المتاخرين لا يعود ثوابه السابق لكن تعود طاعته السالفة مؤثرة في استحقاق ثمراته وهو المدح والثواب في المستقبل بمنزلة شجرة احرقت بالنار اغصانها وثمارها ثم انطفأت النار فانه تعود اصل الشجرة وعروقها الى خضرتها وثمرتها .اه

اقول والظاهر من هذه الاقوال ما ذهب اليه ابو القاسم الكعبي رحمه الله من رجوع الثواب بعد التوبة لان فضل الله سبحانه وتعلى واسع ورحمته سبقت غضبه واحباط العمل كان ناشئا عن الارتداد فلما زال يزول اثره ويرجع الانسان كجوهرة ازيل عنها القتام . او شمس كشف عنها الغمام .

ورجاءنا في الله سبحانه وتعلى ان يثبت قلوبنا على الايمان ، ويقينا من الخذلان ، بمنه وكرمه .

ونختم هذا الفصل بتنبيه كل مسلم الى ان يتعوذ في الصباح والمساء بهذا الدعاء الذي ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من تعوذ به يكون معصوما من الزيغ والغواية ، ويكون محروسا من الله بعين الرعاية . وهو اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك شيئاً وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم .

محمد المختار بن محمود

كان موضوع المحاضرة (تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة) . وقد افتتحها ببيان انه لم يتوصل بعد البحث الطويل الى ما يفيد عن تفصيل تاريخ الحركة العلمية قبل عام ٦٠٣ هـ لذلك سيطوي الكلام على ذلك العهد . ويتكلم على ما بعده .

وقد قسم ادوار التعليم بجامع الزيتونة الى ثلاثة . وهي الدور الحفصي والدور التركي والدور الحسيني .

الدور الحفصي - وهو من عام ٦٠٣ الى عام ٩٨١ اي من تاسيس الدولة الحفصية بتونس الى انقراضها - وقد ذكر ان هذا الدور قد ازدهر فيه العلم بجامع الزيتونة وكثر انتشاره . وتفنن الناس في مختلف العلوم والفنون . وتخصصوا فيها حتى اشتهر كل واحد بما تخصص فيه . وظهرت في هذا العصر تآليف كثيرة . واعتنى الناس بالدروس العليا حتى برعوا فيها . وكان هناك تبادل في الآراء والابحاث بين علماء جامع الزيتونة وبقية علماء المشرق والمغرب . وذكر اسماء كثيرين من مشاهير علماء هذا العصر منهم ابن عبد السلام وابن خلدون والابي والبرزلي الخ

وقد لاحظ انه في القرن العاشر قد تقهقر العلم وضعف شانه . وامتحن كثير من اهل العلم بالنفي والابعاد عن البلاد . ومن هؤلاء الشيخ محمد ماغوش الذي نفي الى مصر وتوفي فيها . والشيخ احمد العيسي الذي نفي الى طرابلس الغرب ومات بها سجينا

الدور التركي وهو من عام ٩٨١ الى عام ١١١٧ - اي من عام استيلاء الترك على تونس - وقد ذكر ان العلم في هذا الدور كان ضعيفا جدا . فقل التفنن والتخصص في العلوم . وقلت التآليف العلمية . ولم يكن فيه اعتناء بتدريس الكتب العالية . بل كاد العلم ينقطع من البلاد . لولا مجيء عالم من كبار علماء الروم وهو المولى احمد افندي الرومي من علماء القسطنطينية فقد رحل هذا العالم الى تونس واقام فيها واخذ عنه كثير من ابنائها وممن تخرج عليه وانتفع به الشيخ محمد الغماد الكبير .

وقد امتاز هذا العصر بعودة ظهور المذهب الحنفي بتونس . اذ من المعلوم ان هذا المذهب قد انقطع العمل به في هذه البلاد من ايام المعز بن باديس حيث انه كان ابطل العمل بذلك المذهب والزم الناس بالعمل بالمذهب المالكي . فلما دالت الايام وافضت النوبة الى الاتراك ارجعوا العمل بهذا المذهب ضرورة ان القضاة في ذلك العصر كانت تاتي بهم الدولة من بلادها فيقضون بين الناس بمقتضى المذهب الحنفي (وقد بقي هذا المذهب معمولا به الى اليوم حيث ان البلاد التونسية يجري عمل سكانها على المذهبين الحنفي والمالكي)

الدور الحسيني وهو من عام ١١١٧ الى عصرنا الحاضر - اي من عهد انتصاب الدولة الحسينية بتونس خلد الله ملكها وادام عزها .

وقد قسم هذا الدور الا قسمين - الاول من العام المذكور الى عام ١٢٥٨ والثاني منه الى يومنا هذا .

فالدور الاول — قد تحسن فيه أمر العلم وظهر اقبال الناس عليه اكثر من ذي قبل وعاوده شيء من النشاط . وتنوعت فيه المشاركة .. وكثر فيه التخصص وظهرت التآليف . ودرست فيه العلوم العاليه .

وكان من اشهر علماء ذلك العصر النبغاء الاعلام من ءال بيرم الكرام . الذين ابقوا من التآليف والرسائل والتحريرات وخصوصا في الفقه الحنفي ما يدل على علو كعبهم ورفعة شانهم

ولم يكن التعليم في هذا الدور داخلا تحت نظام خاص وترتيب محكم .

الدور الثاني — وهو الدور الذي يبتدي من تاريخ وضع قانون لتنظيم التعليم بجامع الزيتونة .

وهو القانون الذي وضعه المشير احمد باشا باي الاول في عام ١٢٥٨ . وكتبه بالذهب في المعلقة التي لا تزال الى اليوم موضوعة بجامع الزيتونة بالقرب من باب الشفاء .

وقد تضمن هذا القانون وضع نظام للتعليم . ووقع فيه تحديد عدد المدرسين وتقسيمهم الى قسمين منهم خمسة عشر من الحنفية وخمسة عشر من المالكية . وقرر لهم جرايات قارة تعطى لهم من بيت المال الى غير ذلك من التراتيب .

ثم قسم هذا الدور الى ثلاثة اقسام — القسم الاول من عام ١٢٥٨ المتقدم الى عام ١٢٩٤ وهو العام الذي وضع فيه قانون جديد للتعليم وهو المعروف بقانون خير الدين نسبة لواضعه الوزير المصلح خير الدين باشا . الذي تولى الصدارة العظمى في الدولة التركيه فيما بعد . وقد وضع على عهد المشير الثالث محمد الصادق باشا باي . والقسم الثاني من العام المذكور الى عام ١٣٢٩ وهو العام الذي نقح فيه قانون خير الدين والقسم الثالث من العام المذكور الى عام ١٣٥١ الذي وضع فيه قانون جديد للجامع وهو المعمول به الآن . وقد بسط القول في هذه الادوار كلها . وبين مزاياها وخصائصها وذكر اسماء غالب العلماء في اثنائها الا القسم الثالث فانه وعد ببسط القول فيه في فرصة اخرى .

ونعتقد اننا مهما تحرينا في تلخيصها فانه لا مندوحة للشيخ عن نشرها بين الناس بنصها لما اشتملت عليه من الفوائد الجمة . والتحقيقات المهمة . بارك الله فيه . وامد في عمره .

ولما انتهى . وقعت راحة بعشر دقائق ثم استونفت الحفلة لالقاء بقية ما قرر في برنامجها .

فالقى امير الشعراء السيد الشاذلي خزنه دار قصيدته التي نظمها في مدح جامع الزيتونة وماله من الآثار الظاهرة في الرقي بهذه البلاد . وانه رمز سيادتها وعزها . ثم تلاه الشيخ علي النيفر والشيخ الطاهر القصار المدرسان بجامع الزيتونة فالقى كل واحد منهما قصيدة عصماء في ذلك الموضوع . (وقد طالع القراء هذه القصائد الثلاث في العدد السابع من المجلة) ثم وقف الشيخ علي بن عبد السلام العضو بمحكمة الدريبة فالقى قصيدة لطيفة حيى فيها الجامع وبنيه . وعبر عما يكنه من العطف والاجلال نحو ذلك المعهد العظيم . ثم القى رئيس الجمعية ابياتا من نظمه عبر فيها عن ابتهاجه بتكوين هذه الجمعية وما يعلقه عليها من الامال . ثم وقف حضرة العالم الفاضل الشيخ محمد العزيز النيفر النائب الاول لشيخ الجامع الاعظم فالقى خطابا لطيفا شكر فيه المحاضر ومن تكلم من بعده . ثم حث الزيتونيين على الاتحاد والعمل والظهور بالمظهر اللائق بمجدهم القديم ومركزهم الرفيع .

وبانتهائه انتهت الحفلة ونحن نشكر جمعية الزيتونيين على هذه الباكورة التي قدمتها الينا في مستهل حياتها . ونرجو لها من الله الاعانة والتوفيق حتى تحقق ما لنا فيها من ءامال وتنفذ ما رسمته لنفسها من اعمال وعلى الله النجاح .

ذكرى المتنبي

احتفلت في العام الماضي كافة الاقطار العربية بذكرى ابي الطيب المتنبي . وارادت البلاد التونسية ان تشارك في تلك الذكرى باقامة حفلة كبرى يتباوى فيها الادباء والشعراء لاظهار فضل ذلك الشاعر الفحل الذي يعتبر بحق واسطة عقد شعراء العربية في جميع العصور . ثم منعت امور من اقامة تلك الذكرى لا داعي لبسطها . وفي هذا العام لما زالت الموانع . نفذت تلك الفكرة واقيمت في المدة الفارطة حفلة تحت اشراف جمعية الرابطة الادبية كانت مظهرا حيا من مظاهر الرقي الادبي في البلاد التونسية . وتكلم فيها السادة الآتية اسماءهم على ترتيبهم في الالقاء (١) رئيس الجمعية الخلدونية (٢) الطاهر صفر (٣) الشاذلي خزنة دار (قصيدة) (٤) الصادق مازيغ (٥) الطاهر القصار (قصيدة) (٦) علي النيفر (قصيدة) (٧) نور الدين بن محمود (٨) علي بن عبد السلام (قصيدة) (٩) مصطفى

المؤدب (قصيدة) (١٠) نصر المرزوقي (قصيدة) فاجادوا وافادوا ، واحسنوا الاختيار ، واجيوا للحاضرين سوق عكاظ ، ببلاغة اشعارهم ، ورقة دراساتهم

ذكرى المرحوم البشير صفر

اقيمت في يوم الجمعة ١٧ ربيع الاول و ٢٨ ماي المنصرمين حفلة كبرى تخليدا لذكرى المرحوم البشير صفر بمناسبة مرور عشرين عاما على وفاته شاركت فيها جميع الطبقات على اختلاف مناحيهم ومباديهم والقيت فيها خطب رنانة ، وقصائد بليغة قام بالقائها ثلة من اعيان الادباء والعلماء . فاظهرت الامة التونسية بذلك اعترافها بالجميل نحو ذلك الرجل العظيم الذي كان صادقا في اقواله شجاعا في اعماله ، حريصا على ترقية امته الى المستوى اللائق بعزها ومجدها ، ذلك الرجل الذي لم يؤثر عليه الوظيف ، ولم يحل بينه وبين تحقيق بعض مقاصده وامانيه ، ولم يجعل من الوظيف مطية يصل بها الى التقرب السافل ، والكيد والنميمة والتعفير في وجه ابناء وطنه .

اسندت رئاسة الحفلة لحضرة العالم الفاضل المؤرخ سيدي محمد بن الخوجه نظرا لما له من القيمة المعترف بها من الجميع ونظرا لكونه من اتراب المحتفل بذكراه . لكنه لم يباشر الرئاسة بنفسه وكلف بها احد الحاضرين ، وقد تكلم في هذه الحفلة بعد خطاب الافتتاح السادة الأفاضل (١) عبد الحميد بن باديس(٢) العربي الكابادي (قصيدة) (٣) بلحسن بن شعبان (قصيدة) (٤) محمد المقداد الورتتاني (قصيدة) (٥) محمد الورتاني (٦) محمد شاكر (قصيدة) (٧) محمد بن الخوجه رئيس الحفلة فكانت بحق مسك الختام ، واعجب بها الخاص والعام ، لما اشتملت عليه من النكت المفيدة ، والمرامي البعيدة ونشر بعض نصوص يعسر العثور عليها ، وتحرير بعض نقط قل من يتنبه اليها .

فرحم الله فقيدنا العظيم وجازاه احسن الجزاء

الاحتفال بذكرى المولد

اقامت جمعية الشبان المسلمين في يوم الجمعة ٢٤ ربيع الأول المنصرم الموافق ليوم ٤ من شهر جوان الجاري ، حفلة كبرى بمناسبة ذكرى المولد النبوي على صاحبه ازكى الصلاة والتسليم اقبل الناس عليها افواجا حتى امتلات قاعة الاجتماعات وقد افتتحت الحفلة على الساعة الرابعة ونصف مساء بتلاوة القرآن العظيم . ثم وقف رئيس الجمعية الشيخ الشاذلي النيفر المدرس بالجامع الاعظم ادام الله عمرانه فالقى خطابا تعرض فيه لاعمال الجمعية فيما سبق وما تنوي أن تقوم به من الاعمال المفيدة في المستقبل . ولما انتهى تخلى عن رئاسة الحفلة الى حضرة العالم الفاضل الشيخ سيدي محمد العزيز النيفر النائب الاول لشيخ الجامع الاعظم فوقف والقى خطابا اعتذر فيه عن صاحب الفضيلة مولانا شيخ الجامع الاعظم الذي تعذر عليه الحضور ومباشرة رئاسة الحفلة بنفسه . ثم بسط القول في نكتة تتعلق بالمولد وهي البحث عن السر في عدم شيوع الاحتفال بالمولد الا في القرن السابع . ولما انتهى من خطابه اعطى الكلمات للسادة الافاضل الذين شاركوا في هذا الاحتفال فكانوا على الترتيب الآتي :

(١) الشيخ علي النيفر (قصيدة) ولم يحضر بنفسه فالقاها نيابة عنه الشيخ محمد العنابي (٢) محمد المختار بن محمود (٣) الحبيب بورقيبه (٤) سالم الشاذلي (٥) الطاهر القصار (٦) احمد النيفر (٧) الحيلاني حمزة (٨) محمد العنابي (٩) محمد المرزوقي (١٠) محمد بن يوسف طفيش

وانتهت الحفلة على الساعة الثامنة ونصف فنشكر جمعية الشبان المسلمين وخصوصا رئيسها الشيخ الشاب على اعتنائها بالذكريات الدينية . والمواسم الشرعية ثبت الله خطاها وسدد اعمالها

تقاريظ المجلة الزيتونية

اتصلنا من بعض الادباء بتقاريظ شعرا ونثرا ونحن نثبت هنا منها القصيدتين الاتيتين شاكرين بجميع من اهتم بمشروعنا معتذرين عما لم نتمكن من نشره

(الاولى)

اضاءت بنور الدين تسمو على البدر فقمتُ احييها ببدر من الشعر
عليها جلال من فصاحة معشر تحاريرهم للعقل ضرب من السحر
اقاموا صروح العلم فينا وايدوا شريعة خير الرسل بالحجج الغر
مشائخ قد شاب الزمان وعلمهم شباب جميل للورى باسم الثغر
تؤم لهم اهل السعادة مثلما تؤم طيورا صاديات الى النهر
لقد اسسوا في القطر خير مجلة بها يسعد الانسان في موقف الحشر
جريدة علم بنت اعظم معهد مزاياه قد تربو عن العد والحصر
من «المعهد الزيتوني» سلك ضيائها تجلى باشراق على سائر القطر
رأيت بها التفسير ابلج ناصعا كمثل انبلاج النور في وضح الفجر
تترجم عن قوم من السلف الاولى حموا بيضة الاسلام بالبيض والسمر
فشعري عن اوصافها غير قادر فعذرا فما عندي سوى نقطة البحر
فبالمعهد الزيتوني قلبي مقيم ومن حب اهل العلم منشرح صدري

❁ ❁ ❁

يقولون في التجديد للشعر رونق وكل قديم فهو كالميت في القبر
وما انا الا بالقديم مولع فهل من قبول إن بسطت لكم عذري
فكم قاد شعر القوم جيشا عرمرما فما رجعوا الا بالوية النصر
فمن ينكر العهد القديم الذي مضى وما فيه من عز وما فيه من فخر
فيا قادة الدين الحنيفي تدرعوا بدرع به حسن الثبات مع الصبر
وطهروا دين الله من كل بدعة رمت امة الاسلام في حمأة الخسر
فمنكم يرجى كل خير وسؤدد ونبلغ للحسنى وخاتمة الخير

القيروان — صالح سويسي

القضاء الشرعي في مصر

ووضع قانون له مستمد من المذاهب الاربعة
بعد ان كان المعمول به هو مذهب الامام الاعظم

عرض وزير العدلية بمصر معالي محمد غالب باشا على مجلس الوزراء مشروعا يقتضي تاليف لجنة لتعديل قانون الاحوال الشخصية ، ومهمتها وضع قانون جديد لذلك يكون مستمدا من مذاهب الايمة الاربعة رضي الله عنهم . وقد اسندت رئاسة هذه اللجنة الى صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر ، ومعه عشرون عضوا وقع انتخابهم من بين رجال الدين والقضاء . وقد شرعت هذه اللجنة في اعمالها والتي يوم افتتاحها رئيسها صاحب الفضيلة شيخ الازهر خطبة صور فيها طريقة العمل وحث الاعضاء على النشاط والاخلاص لهذا المشروع العظيم الذي القيت مقاليده اليهم . ونحن نرجو لهذه اللجنة التوفيق فيما اقدمت عليه من عمل عظيم . وان يكون عملها عائدا بالنفع . ومحاطا بالمحافظة التامة على نبراس الشريعة من ان تمتد اليه يد التغيير .

(الثانية) هنأتكم يا حماة الدين بالظفر … برخصة النشر اذ جاءت على قدر
نشر العلوم وآداب تسجلها … مجلة قد حوت من اصدق الخبر
تتلو الكتاب بتفسير يوضح ما … في الامر والنهي والامثال والعبر
تروي الحديث بشرح في صراحته … ما يشرح الصدر بالتبشير والنذر
من دابها الامر بالمعروف وهي لقد … تنهى عن المنكر المفضي الى الضرر
ما جاءها سائل عن حل مشكلة … الا اجابته بالفتوى على الاثر
تسدى النصيحة ارشادا لمنتصح … وتذكر الوعظ تذكيرا لمدكر
تبدي من العدل والاحسان ما أمرت … به الشريعة كالمأثور عن عمر
فالشرع موردها والفقه يعضدها … والدين قائدها في الورد والصدر
تحيي لنا اللغة الفصحى وتنشرها … كي يصبح اللسن المنطيق ذو الحصر
تقص انباء ماضينا وحاضرنا … من غير ما صح في التاريخ والسير
خط اليراع بها الشعر الرقيق وما … ينسيك منظومه المنظوم من درر
علمان للدين والدنيا قد ارتسما … فيها فانعم بها فخرا لمفتخر
فيا لها روضة غنا بمنتزه … تجلو عن القلب ما لاقاه من كدر
ويا لها ءالة للنفس تطربها … تغنيك عن ءالة الانغام والوتر

❀ ❀ ❀

هذي المجلة للزيتونة انتسبت … ثمارها العلم لا الزيتون من شجر
وزيتها الادب الراقي يضيء لنا … دياجر الجهل لا ما مس بالشرر
محرروها شيوخ هم اساتذة … مصاقع برزوا في حلبة الفكر
اشياخ كلية في تونس اشتهرت … بالعلم بين اهالي البدو والحضر
اعني بها جامع الزيتونة انتظمت … دروسه كحياض الماء من نهر
يؤم مورده الظمآن من بعد … فيرتوي من حياض العلم لا المطر

❀ ❀ ❀

يا قادة القوم يا من في مجلتكم … فلك الهدى ينقذ الغرقى من الخطر
دوموا على السعي في تزييد رفعتها … كيما تقر بها عين لمنتظر
لا زال يعلو لها ذكر ويصحبها … اقبال طلابها والطول في العمر
فذاك من خير ما نرجو ونأمله … مما يروق لنا في السمع والبصر
رسم الامير بها اضحى يؤرخها … تحوي مجلتكم من ابهج الصور

٤٢٤ ٥٣٣ ١٠١ ٢٩٧

عام ١٣٥٥

صفاقس محمد احمد المزيو

سيف الاسلام

ذكرنا في المقالة التي نشرناها بالعدد الثامن من المجلة الزيتونية تحت العنوان اعلاه ان السيف الذي اهدي لديكتاتور ايطاليا عند ما سافر الى طرابلس موروث من عائلة قرملي واعتمدنا في ذلك على ما نشر بالصحف اليومية فلاحظ لنا بعض اهل طرابلس ان هذا الخبر مكذوب . وان السيف الذي وقع اهداؤه صنع في رومة في العام الماضي . وغاية ما لاهل طرابلس فيه انهم تقاسطوا دفع ثمنه على طريقة الاكتتاب . ونحن نعتذر عما كنا قلناه بالمثل المشهور : وما آفة الاخبار الا رواتها .

الفهرس العام للسنة الاولى من المجلة الزيتونية

مرتب على حروف الهجاء

جريدة الاطلس

ظهرت في المغرب الاقصى منذ اعوام نهضة علمية وفكرية وسياسية ترمي الى النهوض بذلك القطر الشقيق الغني بتاريخه الحافل بالآثار العلمية والادبية . والحق ان المفكرين بالمغرب وخصوصا الشبان منهم قد شمروا الآن عن ساعد الجد للوصول ببلادهم الى المركز اللائق بها بين بلدان الشرق . ولما كانت الصحافة في هذا العصر هي عنوان الامم ، وترجمانها المعبر عن آمالها وآلامها والمفصح عن قيمة رجالها . وكان المغرب في حاجة الى صحيفة من هذا القبيل تكون مرآة يطالع فيها العالم الاسلامي ما لابناء ذلك القطر الشقيق من المطالب والمقاصد ، وما لهم من الافكار العالية والمبادي السامية ، فاصدرت (كتلة العمل الوطني) جريدة باسم (الاطلس) تعبر عن تلك الاغراض وترسم الدور الذي ستقوم به نحو ذلك القطر العزيز ونحن نرجو لهذه الجريدة التوفيق في خدمة ما اسست له كما نرجو لمديرها الاعانة والنجاح .

تهنئة لمجلات بالدخول في اعوامها الجديدة

دخلت مجلة « الشهاب » الغراء التي تصدر بقسنطينة (الجزاير) لصاحبها العالم الفاضل الشيخ عبد الحميد بن باديس في عامها الثالث عشر ودخلت مجلة الازهر) الكبرى التي هي شيخة المجلات الدينية في عامها الثامن ودخلت جريدة (الفتح) الزاهرة التي تصدر بمصر لصاحبها الكاتب البارع السيد محيي الدين الخطيب في عامها الثاني عشر ودخلت مجلة (التقوى) التي تصدرها جمعية الوعظ والدعوة الاسلامية بالقاهرة في عامها الرابع . ودخلت مجلة (التمدن الاسلامي) التي تصدرها جمعية التمدن الاسلامي بدمشق الشام في عامها الثالث ودخلت مجلة (الحكمة) التي يصدرها في بيروت حضرة الطبيب الماهر السيد عبد الغني شهبندر في عامها الرابع عشر . فنهنى الرصيفات الكريمات على الاعوام التي قطعتها في خدمة الدين والعلم . وبث المبادي العالية والاخلاق الفاضلة . والدفاع عن القضية الاسلامية المقدسة . ونرجو لها الحياة الطيبة والانتشار المناسب ونرجو لاصحابها صدق العزم . وقوة الحزم . في خدمة ما تحملوا القيام باعبائه من المهمات الصعاب . شان خدمة المصلحة العامة وما ينشأ عنها من الاتعاب . كما نرجو لهم من الله الاعانة وحسن التوفيق والسلام

« انتهى العام الاول من المجلة الزيتونية »

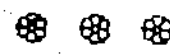
ضيوف كرام من الاقطار الشقيقة

زار تونس في خلال الشهر الماضي حضرة الاديب الفاضل السيد محمد تيسير ضبيان صاحب جريدة الجزيرة التي تصدر بدمشق فاقتبلته النوادي العلمية بمزيد الحفاوة والاكرام وكان له بهيئة المجلة الزيتونية ارتباط خاص . وقد قضينا معه ساعات طويلة تمتعنا فيها بالحديث عن بلاد عزيزة واخوان كرام . زادها حسنا ان كانت في وقت اخذت فيه المياه ترجع لمجاريها ويحل الامن والاطمئنان بواديها ويعود الى ضئر الاسلام ابناؤها ويعم خيرها ونماؤها

وقبل ان يبارح تونس القى مسامرة عن (سوريا الحديثة) فاجاد وافاد وخرج الحاضرون مسرورين مبتهجين بما سمعوه من الرقي الباهر والتقدم المطرد الذي بلغ اليه القطر العزيز



كما زار تونس حضرة الاديب الفاضل السيد يونس بحري المعروف بالسائح العراقي صاحب جريدة العقاب التي تصدر بالعراق فقوبل بالحفاوة والاكرام . وزارنا في ادارة المجلة فانسنا بادبه وظرافته وخفة روحه وقد القى اثناء اقامته عدة مسامرات تحدث فيها عن العراق وما فيه من التقدم السياسي والعلمي وابهج سامعيه بما استخلصوه من حديثه عن اقدم عواصم الاسلام ومطمح الانظار اليوم من السير الحثيث في طريق التقدم والرقي الباهر الذي هو غاية ما يتمناه كل شرقي لسائر الاقطار الشرقية خفف الله بلاءها وازال عناءها



كما زار تونس حضرة العالم الفاضل الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ورئيس تحرير مجلة الشهاب وكان الغرض الاصلي من قدومه المشاركة في الاحتفال بذكرى المرحوم البشير صفر وفعلا قد شارك فيه والقى خطابا بليغا كان من ابلغ ما قيل في ذلك اليوم . ولا غرابة في ذلك فهو في الخطابة فارس مغوار لا يشق له غبار

وقد زارنا في ادارة المجلة فآنسنا بعلمه وفضله بارك الله فيه وقبل رجوعه الى الجزائر القى محاضرة عن تاريخ الحركة العلمية والسياسية في الجزائر فاجاد كما هو المعتاد منه في جميع المواقف

اصلاح خطا

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٤٩٩	١٣	واما تعرض	واما تعرضن
٤٩٩	٢٢	ولا خير في نجواهم	لا خير في كثير من نجواهم
٥٠٧	١	فكل عن	فكل من
٥٢٠	١٨	افلتت	افلتت نفسها
٥٢٢	١	بذلك انما في	بذلك انما هو في
٥٢٢	٥	ابن القيم الجوزيه	ابن قيم الجوزيه

اصلاح خطا بالجزء التاسع

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٤٣٣	٢٦	لايفقهون	لايعقلون
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

فهرس العدد